

دَلِيلُ الباحِثِين

إِلَى

المفاهيم النفسية في التراث

عرض وتكشيف

عرض وتلخيص

د. أحمد مجرية
د. أشرف شلبي
د. أمنية الشناوي
د. خالد زيادة
د. صفاء مرسي
د. عبير أنور
د. غادة عبد الغفار
د. فؤاد أبو المكارم
د. مي إدريس
د. نرمين عبد الوهاب
د. نشوة عبد التواب
د. هشام حنفي

التخطيط والإشراف والمراجعة

أ. د. عبد الحليم محمود السيد
أ. د. طريف شوقي فرج
أ. د. عبد المنعم شحاتة محمود

الإخراج وإعداد معجم المصطلحات

د. نشوة عبد التواب حسين

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



المعهد العالمي للفكر الإسلامي

دليل الباحثين

إلى

المفاهيم النفسية في التراث

للناشرين

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



وفق عقدهما

بطاقة فهرسة : فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية .

دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث: (عرض وتكشيف) / التخطيط والإشراف والمراجعة : عبد الحليم محمود السيد ، طريف شوقي فرج ، عبد المنعم شحاته محمود - ط ١ . - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ٢٠١٠م .
٧٦٠ ص ؛ ٢٤سم . تدمك ١ ٩٩١ ٣٤٢ ٩٧٧ ٩٧٨ .
١ - علم النفس - بيبليوجرافيات . أ - السيد ، عبد الحليم محمود [مشرف ومراجع] .
ب - فرج ، طريف شوقي [مشرف ومراجع] . جـ - محمود ، عبد المنعم شحاته [مشرف ومراجع] .
١٥٠,١٦

نشر مشترك

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

الإدارة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتقاطع مع شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر
٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)
٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي -
هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الأزاريطة قسم باب شرق بجانب جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com



IIIT
500 Grove Street, Suite 200
Herndon, Virginia 20170
U.S.A
001 703 471 1133 (O)
001 703 471 3922 (F)
iiit@iiit.org

علم النفس في التراث الإسلامي (٤)

دليل الباحثين إلى

المفاهيم النفسية في التراث

عرض وتكشيف

التخطيط والإشراف والمراجعة

أ. د. عبد الحليم محمود السيد

أ. د. طريف شوقي فرج — أ. د. عبد المنعم شحاتة محمود

الإخراج وإعداد معجم المصطلحات

د. نشوة عبد التواب حسين

عرض وتلخيص

د. أحمد مجرية	د. أشرف شلبي	د. أمنية الشناوي
د. خالد زيادة	د. صفاء مرسي	د. عبير أنور
د. غادة عبد الغفار	د. فؤاد أبو المكارم	د. مي إدريس
د. نرمين عبد الوهاب	د. نشوة عبد التواب	د. هشام حنفي



دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فِهْرِسُ المَوضُوعَاتِ

القسم الثالث

* * *

مُقَـدِّمَة



في إطار المشروع الحضاري الرائد لتلخيص وتكشيف التراث الإسلامي المتصل بعلم النفس، الذي يضطلع المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقيام به لإثراء، وتفعيل الفكر الإسلامي والمعرفة الإسلامية في حياتنا الثقافية المعاصرة، وبيان ما يمكن أن يقدمه التفاعل الخلاق بين كل من الإسهامات الإبداعية لعلماء الحضارة الإسلامية المتميزين،مع التركيز بشكل خاص على ما قدموه من إسهامات نفسية، وبين جهود علماء النفس المعاصرين، والذي من شأنه ضخ المزيد من الأفكار الوثابة والأطر التنظيرية الموجهة للعقل البشري الباحث عن الفهم الأعمق للإنسان، فضلًا عن توسيع مدى تطبيقات علم النفس المعاصر، والتوظيف الحكيم لمنجزاته بغية إسعاد البشرية، وتصحيح مسارها نحو المزيد من التناغم مع الكون وسننه التي بثها فيه الخالق جل علاه.

ويتمثل مناط اهتمام البحث الراهن في تحقيق مجموعة من الأهداف قوامها:

- إتاحة ذخائر التراث الإسلامي لأجيال الباحثين لكي تعرف، وتفهم، وتستثمر كيف حاول المفكرون المسلمون الغوص في مختلف جوانب النفس الإنسانية، والسلوك البشري؛ لفهمه وإدارته إدارة رشيدة تبرز إيجابياته، وتشحذ طاقاته لبلوغ الغايات الحضارية الإسلامية، وهو ما تشهد بحدوثه الحقب التاريخية المتعاقبة،ولا يختلف عليه المؤرخون العدول.

- تفعيل مبدأ التراكمية بوصفه أحد الركائز الأساسية للنهضة الفكرية المعاصرة للأمة، وذلك من خلال شروع معهد الفكر الإسلامي في بداية التسعينيات من القرن المنصرم في تنظيم مشروع لتلخيص وتكشيف الإسهامات النفسية لعلماء الحضارة الإسلامية في مجال فهم النفس الإنسانية من خلال فحص وتلخيص أمهات الكتب التراثية، والوقوف على المفاهيم النفسية التي تناولتها مع بيان طبيعة ذلك التناول، ومحاولة فهمه في إطار ما تواضع عليه علماء النفس المحدثون؛ حتى يتمكن الباحث النفسي العربي والمسلم المعاصر من استيعاب الجهود الخلاقة لأسلافه والإحاطة بها، وتمثلها، وتوظيفها في تأصيل وإحكام معرفته النفسية الراهنة، فحاضر العلم - أي علم - كما نعلم ما هو إلا نتاج التفاعل بين جهود علمائه السابقين، عبر تاريخه، والحاليين، وقد تمخضت تلك الجهود

المحمودة عن إصدار المعهد في سنة (١٩٩٦م) موسوعة « **دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث: عرض وتكشيف** » في ثلاثة أجزاء تتضمن تلخيصًا لثلاثمائة من أمهات الكتب والمخطوطات التي قدمها علماء وفلاسفة الحضارة الإسلامية – إبان عصر ازدهارها – لإبراز إسهامهم العلمي في تطور الدراسات النفسية بما قدموه من مفاهيم ومصطلحات وآراء حول موضوعات علم النفس، وذلك تيسيرًا للباحثين المعاصرين في الإحاطة بتراثهم العربي الإسلامي، فضلًا عن كونها خطوة أولية نحو تأريخ موضوعي لعلم النفس الذي أغفل مؤرخوه الغربيون دور العلماء المسلمين وفلاسفتهم الذين سبقوا بإنجازاتهم علماء النفس الغربيين بعشرة قرون، وكانت تدرس إبداعات العلماء المسلمين في أوروبا بعد ترجمتها إلى اللاتينية حتى القرن السابع عشر، مثل الإشراط والتذكر والمخيلة الإبداعية وتعديل السلوك وتهذيب الأخلاق والتحكم في الانفعالات وقواعد المحاجة والمناظرة التي ما زالت تمثل موضوعات ثرية للبحث.

– من شأن توفر هذا التلخيص والتكشيف للتراث أن يمكن الباحثين وطلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه من التأصيل التاريخي لموضوعات اهتمامهم، ويسد الثغرة التي كانت قائمة في التاريخ العلمي لموضوعات علم النفس، ويزود الباحثين بنماذج من التناول لموضوعات نفسية من منظور إسلامي.

كما أنه من شأن التكشيف التراثي للمصطلحات النفسية، أن يحل كثير من مشكلات المصطلح في علم النفس المعاصر من قبيل:

- استخدام أكثر من كلمة عربية من مؤلفين مختلفين للإشارة إلى مصطلح أجنبي واحد، دون التنبيه إلى اختلاف المعنى بين كل منهما.

- صعوبة التوصل إلى مقابل عربي للمصطلح الأجنبي المركب، مع إمكان التوصل إلى هذا المقابل، عند الرجوع إلى التراث.

- كما أنه يمكن اكتشاف مصطلحات في التراث، لم ترد في المراجع الأجنبية، مما يثري أساليب التعبير العلمي عن الظواهر النفسية في اللغة العربية.

وإعمالًا لمبدأ تراكمية الجهود العلمية وتواصلها عبر الأجيال فها هو المعهد العالمي للفكر الإسلامي يواصل دوره التأصيلي بإضافة جزء رابع يتم فيه تلخيص مائة كتاب أخرى – وتكشيف ما بها من مصطلحات نفسية – موزعة على خمس فئات هي: – التصوف – وأصول الفقه – وآداب السلوك – وإصلاح النفس – والتراجم والسير.

ويعد التصنيف الخماسي السابق من الجوانب المميزة للجزء الرابع بالمقارنة بالأجزاء الثلاثة السابقة، أضف إلى ذلك أن الكتب التي تضمنها رُوعي في اختيارها أن تتمتع بمكانة فكرية متميزة؛ لذا مر اختيارها - أي الكتب التي تضمنها الجزء الراهن - بمرحلتين هما:

١ - اقترح الباحثون الرئيسيون قائمة من ١٨٥ كتابًا.

٢ - تولى استشاريو المعهد تنقيح القائمة في ضوء معايير تحقيق التراث.

وتميز إعداد الجزء الرابع - بالمقارنة بالأجزاء السابقة - بمراعاة توحيد الشكل العام المتبع في عرض الكتاب وتكشيف مصطلحاته، وذلك بأن يتبع الباحثون المشاركون الآتي:

- أن يتم تلخيص الكتاب، بغض النظر عن حجمه، في حدود ما بين خمس إلى سبع صفحات.

- الالتزام بنظام موحد لتوثيق الكتاب، والذي يكتب بموجبه عنوان الكتاب وسط الصفحة يعقبه اسم المؤلف (اسم العائلة ثم الاسم الأول للمؤلف، وتاريخ مولده ووفاته إن كان ذلك ممكنًا) ثم جهة، وتاريخ النشر.

- تعريف بالمؤلف بما لا يزيد عن عشرة أسطر.

- يبدأ عرض الكتاب بوصفه (عدد صفحاته وفصوله وأبوابه...) مع مراعاة أن يشمل العرض إبراز المفاهيم النفسية المذكورة في الكتاب بخط غليظ (Bold) مقرونة بالمقابل الإنجليزي لها والتعريف الذي ساقه المؤلف لكل منها (بين قوسين رقم الصفحة التي ورد فيها)، مع مراعاة أن ينتهي العرض بخلاصة تحدد قائمة المصطلحات التي ورد ذكرها بالكتاب وإبراز ما ليس له مقابل إنجليزي منها.

ولتحقيق هذا التوحيد في عرض الكتاب وتكشيف مصطلحاته عقد اجتماع مبدئي بين إدارة المعهد والباحثين الرئيسيين والمشاركين تم فيه مناقشة أهداف وضع الموسوعة وخطة العمل وأسلوبه والاطلاع على نماذج من الأجزاء الأولى.

ثم قام كل باحث مشارك، من قبيل التجربة الاستطلاعية - أو البيان التدريبي العملي - بتطبيق ما اتفق عليه من قواعد من خلال تلخيصه، وتكشيفه، لأحد الكتب كنموذج، وتولى الباحثون الرئيسيون مراجعة ما قام به كل منهم. ثم عقد اجتماع موسع تم فيه

استعراض عينة مما تم تلخيصه للتحقق من توحيد طريقة العرض بين فريق العمل، وإبداء الملاحظات التي تكفل الارتقاء بمستوى الأداء، فضلًا عن تلقي استفسارات وتعليقات الباحثين حول بعض الصعوبات التي واجهتهم إبان القيام بتلك المهمة.

وفي الختام لا يسعنا - نحن الباحثين الرئيسيين: أ.د. عبد الحليم محمود أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة، وأ.د. طريف شوقي أستاذ علم النفس بجامعة بني سويف، و أ. د. عبد المنعم شحاتة أستاذ علم النفس بجامعة المنوفية - سوى التعبير عن تقديرنا وامتناننا لتلك الجهود الدءوبة، والحكيمة، للقائمين على إدارة شؤون المعهد العالمي للفكر الإسلامي لتبني مثل تلك المشروعات العلمية الطموحة، والتي يتوقع أن تؤتي ثمارها الوفيرة لخدمة مستقبل الأمة والحفاظ على ثوابتها بعونه تعالى، وعلى قدر سمو الغايات ترتقي الهامات.

ونخص بالشكر كل من: سعادة أ.د. عبد الحميد أبو سليمان رئيس مجلس إدارة المعهد، وأ.د. فتحي الملكاوي نائب الرئيس، وأسرة فرع المعهد بالقاهرة: أ.د.عبد الرحمن النقيب، وأ.د.رفعت العوضي المستشارين العلميين، والأستاذ خالد عبد المنعم المدير الإداري، والأستاذة نهى سكرتيرة الفرع، والذي كان لتعاونهم الوثيق والمرن والمتفهم أكبر الأثر في خروج هذا العمل للنور بالمستوى المرجو.

وبطبيعة الحال فإن الشكر موصول للأخوة الأعزاء الباحثين المشاركين في هذا العمل، والذين يعدون عموده، وهم نخبة من الباحثين الواعدين والذي يتوقع منهم أداء دور بارز في المستقبل لإثراء علم النفس العربي المعاصر، وإضفاء الطابع والخصوصية الحضارية العربية والإسلامية عليه، وهم: د.نشوى عبد التواب مدرس علم النفس بجامعة بني سويف والتي قامت - بجانب دورها في تلخيص وتكشيف مصطلحات الكتب - بالمساهمة في إعداد معجم مصطلحات الجزء النهائي، و د.عبير أنور، د. صفاء مرسي، د. فؤاد أبو المكارم، د. مي إدريس مدرسي علم النفس بجامعة القاهرة، ود. غادة عبد الغفار، د. نيرمين عبد الوهاب، د. أشرف شلبي مدرسي علم النفس بجامعة بني سويف، ود. أحمد مجرية، د. أمنية الشناوي، د. خالد زيادة مدرسي علم النفس بجامعة المنوفية.

وختامًا فإننا ندعو اللّه أن يتقبل هذا العمل في ميزان حسنات كل من ساهموا في إنجازه، وأن ينفع به كل باحث مثقف أراد أن يقف على نقاط القوة الفكرية لحضارته، وأن يعرف مدى إسهام علماء ومفكري المسلمين في مجال الدراسات النفسية، وهي

نقطة انطلاق أساسية للسير على جسر تلاقي الثقافات والذي تتواصل على دربه الجهود السابقة واللاحقة الرامية إلى استئناف مسيرة العطاء الإنساني لإثراء الحضارة.

مع تمنياتنا بكل الخير

الباحثون الرئيسيون

* * *

القسم الأول

آداب السلوك



إغاثة اللَّهفان
في حكم طلاق الغضبان



○ تأليف/ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبو يوسف الزرعي (٦٩١ - ٧٥١هـ).
○ تحقيق/ محمد عفيفي.
○ بيروت: المكتب الإسلامي (١٩٨٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الفقيه المفسر النحوي، صاحب التصانيف الشهيرة شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية. ولد سنة (٦٩١هـ - ١٢٩٢م) بدمشق. نشأ في بيت علم ودين وورع وصلاح. سمع الحديث من كثير من العلماء منهم الشهاب النابلسي القاضي تقي الدين سليمان. وأخذ الفقه والأصول عن الشيخ صفي الدين الهندي، وشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أحمد بن تيمية. كما أخذ الفرائض وعلم الحساب عن أبيه الذي كان له اليد الطولى في ذلك.

خلف لنا الإمام تراثًا عظيمًا ضخمًا، فكثرت تصانيفه حتى بلغت نحو المائة، منها: « إغاثة اللَّهفان من مصائد الشيطان »، و « بدائع الفوائد »، و « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » وغيرها.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٧٨) صفحة، منقسمة إلى ثلاثة فصول وجزء خاص بالمطلقة، بالإضافة إلى مقدمة الكتاب.

تبدأ المقدمة بشرح كيف يقع الزوجان في خلاف ينتهي بهما إلى الطلاق، وأشار بالغلاق إلى حالة الغضب **Anger State** (ص ٢٨).

بدأ الفصل الأول بالوجه الثاني من دلالة الكتاب قوله ﷻ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]. وبيَّن أن الغضب قد يؤدي إلى العدوان **Aggression** (ص٣٤).

وبين في الوجه الثالث كيف أن الغضب دفع بموسى ليلقي بالألواح، وحمله على ذلك الغضبُ الخارج عن قدرة العبد.

كما يوضح في الوجه الرابع قوله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، فبين أن الغضب قد يسيطر على الفرد وعلى تصرفاته، وأنه قد يكون مهيمنًا عليه.

ووضح الوجه الخامس أن الغضب قد يدفع الفرد إلى أفعال منها الطلاق أو الشتم أو نحوه. وبين خصائص الغضب **Anger Characteristics** (ص٣٥) ومنها احمرار الوجه، وانتفاخ الأوداج.

تناول **الفصل الثاني** أدلة الغضب من السنة وبين فيه أن الغضب يسبب إغلاق أبواب القصد والإرادة، فيصعب على الفرد السيطرة على نفسه، وقسم الغضب إلى ثلاثة أنواع:

١ - غضب يحصل للإنسان مبادئه بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه ويعلم ما يقوله وما يقصده.

٢ - أن يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم والإرادة.

٣ - توسط في الغضب بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته إلى آخره.

وبين أن طلاق السكران أيضًا لا يقع؛ لأنه غير قاصد للطلاق، ويكون الغضبان أسوأ حالًا منه.

وبين في **الفصل الثالث** أن الفرد قد يقع في خطأ بغير قصد. وأشار أن **للغضب ألمًا Anger Pain** (ص٤٧) قد يؤدي بالشخص إلى الصراخ، والصياح، وشق ثيابه، ويلقي ما في يديه للإحساس بالراحة. وأن هذه الأمور تدفع حرارة الغضب والذي يقصد به اندفاع الغضب **Anger Impulse** (ص٤٧).

وأشار النبي إلى أساليب إذا قام بها الغضبان هدأ، وتمثل هذه الأساليب **أساليب لتعديل سلوك الغضبان Anger Behavior Modification** (ص٥١) ومنها: الوضوء، وأن يتحول الشخص عن حالته فإن كان قائمًا فليقعد، وإن كان قاعدًا فليضجع.

كما أشار إلى أن الغضب مرض وهو ما أشارت إليه الدراسات الحديثة بمصطلح زملة الغضب **Anger Syndrome** (ص٥٣) وهو من أمراض القلب، كما أن **الوسواس Obsession**، والصرع **Epilepsy** (ص٥٣) من أمراض البدن.

وبين أيضًا أن الغاضب يستطيع أن يملك نفسه، ولكن إذا استحكم وتمكن منه الغضب

لا يستطيع امتلاك نفسه، كما بين أن الإصابة بالهلع (الجزع) **Panic** تبدأ بالأسى **Grief**، وقد لا يستطيع المصاب به أن يملك نفسه (ص٥٤).

وأشار إلى وجود الفروق الفردية بين الأفراد **Individual Differences** (ص٦٠) في ملكهم لأنفسهم أو التحكم في سلوكهم **Behavioral Control** (ص٦٠) عند الغضب، والطمع، والحزن، والخوف **Fear** (ص٦٠).

وانتهى الكتاب بالمطلقة وعرض فيها لقصيدة لأديب عراقي يدعى معروف الرصافي.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **حالة الغضب Anger State.**
- **العدوان Aggression.**
- **خصائص الغضب Anger Characteristics.**
- **ألم الغضب Anger Pain.**
- **اندفاع الغضب Impulse Anger.**
- **أساليب تعديل سلوك الغضب Anger Behavior Modification.**
- **زملة الغضب Anger Syndrome.**
- **الوسواس Obsession.**
- **الصرع Epilepsy.**
- **الهلع (الجزع) Panic.**
- **الأسى Grief.**
- **الفروق الفردية Individual Differences.**
- **التحكم في السلوك Behavioral Control.**
- **الخوف Fear.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

الأنوار القدسية
في معرفة آداب العبودية



○ تأليف/ الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد الأنصاري (٨٩٨ - ٩٧٣هـ).

○ دراسة تحليلية وتحقيق/ رمضان بسطاويسي محمد.

○ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (٢٠٠٧م).

***

التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ عبد الوهاب الشعراني، من ذرية سيدي محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية. ولد ببلدة قلقشندة بمصر سنة (٨٩٨هـ)، أدخله والده الكتَّاب في سن مبكرة من عمره، فحفظ القرآن الكريم وأخذ العلم عن مشايخ عصره كالشيخ جلال السيوطي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

ألف في كثير من آفاق المعرفة العلمية فكتب في التفسير، والحديث، والفقه، والتصوف، والنحو، والطب، والكيمياء، من مؤلفاته التي تزيد عن الخمسين كتابًا، منها « أسرار أركان الإسلام »، و « الأنوار القدسية في معرفة آداب قواعد التصوف »، و « البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير » وغيرها. توفي سنة (٩٧٣هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٧٠) صفحة مشتملة على الفهارس. شغلت مقدمة المحقق (٨٩) صفحة، أعقبتها خاتمة في بيان ما خرج من مقامات السالكين بالعبودية وتقع في (٣٢) صفحة، واحتلت دراسة عن الإمام الشعراني (٢٢) صفحة. ثم بدأ نص الكتاب والذي يقع في (٣٠٣) صفحة مقسمة إلى ثلاثة أبواب وخاتمة.

تناول الباب **الأول** آداب العبودية على الإطلاق. وبدأ بالآداب العامة ومنها:

- أن لا ينسى العبد ما أعطاه ومنحه إياه سيده، وينسى حقوقه عليه، وأن العوام يسألون اللَّه فيعطيهم.

- وعلى العبد أن يثق في اللَّه، ولا يكون عنده اتهام للَّه - تعالى - في شيء.

- وأنهم يجب أن يروا جميع النعم التي بأيديهم لوجهين؛ وجه نعمة، ووجه بلاء ومحنة، فربما أتت النعم في المحن ويراها من وجه البلاء والمحنة فيخاف، فإذا نظرها بهذا الوجه أمن - إن شاء اللّٰه - من التكبر بها على من لم يعطها.

- كما يجب أن يعلم أيضًا أن البلايا أكثر من النعم في الدنيا.

- ويجب على العبد أن يرى جميع طاعاته ناقصة يستحق عليها العقاب، لولا عفو اللّٰه تعالى.

- كما أن عليه أن يأخذ الأحوط لدينه، ويخرج من خلاف الأئمة - رضي اللّٰه عنهم - فيتجنب المكروهات كأنها حرام، ويفعل السنن كأنها واجبة.

- ويجب أن يعلم أيضًا أنه كما يدين يدان، وكما يكون أمر الحق عند العبد كذلك يكون هو عنده.

- وأن النصح خير لأخيه؛ لأنه يرى ما يدعو إليه أنفس وأفضل من غيره، وأن طريق القوم على وفق الكتاب والسنة، فمن خالفهما خرج عن الصراط المستقيم.

أما الباب الثاني فكان في آداب طلب العلم النافع. وعمدة هذا الباب الإخلاص، ومن علاماته:

- أن لا يتكدر ممن نسبه إلى الجهل وعدم الفهم. وأن يجد في نفسه حلاوة لما تكبر حلقة دروسه، ويعظم في أعين الخلق.

- ومن شأن طالب العلم أن ينظف باطنه من الخصال المهلكة كالكبر، والحرص، ودعوى العلم، ومحبة الدنيا.

- ولا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه، ويصير عليه الأنس والخير، إلا إن كان معتقدًا في طائفة الفقراء مخالطًا لهم.

- وأن ما فاز بالإرث للأنبياء - عليهم السلام - على حقيقةٍ إلا المحدِّثون الذين رووا الأحاديث بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

- كذلك من شأنه أن يتأدب مع اللّٰه تعالى ولا يتكلم إلا فيما يعلم، فيؤمن بالمتشابه من كلام اللّٰه تعالى، ويقف على حد ما يُعَلِّمُه اللّٰه منه، ولا يخوض فيه من غير تحقيق. وأن المتشابه من القول قد نختلف في تأويله وفهمه؛ فالمعنى لا يتغير بتغير الكلمات، ولكن تفسيرها هو الذي يغيرها.

- كذلك ما جاء عن الأولياء من طريق الكشف بما فيه تعظيم للّه وآداب معه ومع رسله نؤمن به ونتبعه. وأن أحكام الشريعة لا تثبت بالكشف لعزته؛ لأنه لو فتح هذا الباب تخالفت الأحكام وفسد نظام الشريعة.

- كذلك فإن كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلًا من جهته فهو تعبد محض؛ لأن العمل إذا عُلِّلَ ربما يكون الباعث للصبر على العمل. وأن ما بيد الخلق من العلوم لا يجيء قطرة من بحور علومهم، كذلك من شأنه ترك التعصب لإمامه إذا علم ضعف دليله، وعلم صحة دليل مذهب الغير.

- كذلك فإن جميع مذاهب المجتهدين كلها عند أهل الحق مذهب واحد؛ لأنهم يشهدون العين التي يستمد بها المجتهدون كلهم واحدة في شريعة واحدة.

- كما أننا نعجز عن الإحاطة بفهم كلام جنسنا من البشر، فكيف لا نعجز عن فهم كلام رب العالمين؟! وأشار هنا إلى **الاستعداد Aptitude** (ص٢٠٧) وكيف أن هذا الاستعداد - قويًا كان أم ضعيفًا - يساهم في فهم القول والاجتهاد فيه. كذلك أشار الرسول إلى أنه أمر بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ويبين هنا **وجود فروق فردية Individual Differences** (ص٢٠٨) بين الأفراد في القدرة على الفهم.

- ويجب على الأفراد الانشغال بالأهم من العلوم التي يحتاج إلى معرفتها ويسأل عنها، وأن أهل الحق يشهدون جميع العلوم حتى الحساب والهندسة وعلوم الرياضيات. وأنه لا يؤثر في القلوب إلا ما قام بها من العلم والتعظيم وتأمل الملك.

- كما أشار إلى أنه لا ينبغي القراءة بالروايات إلا لكمَّل الأولياء من ورثة الأنبياء. كما أن مراد الحق ﷺ من الخلق رجوعهم إليه بأحد وجهين إما الطاعات أو المعاصي، وأن الطاعة إذا لم تكن خالصة تورث صاحبها الجفاء وقساوة القلب.

- ومن شأنه إذا كشف اللّه تعالى عن بصيرته وفهم أسرار الشريعة أن لا يتقيد عن نقل المقلدين في الحكام من غير نظر في الأدلة، وفي كلام الإمام في فتواه لجميع الخلق على حد سواء.

وعرض **الباب الثالث لآداب الفقراء والمشايخ من السلف الصالحين**. ومن صفاتهم:

- أن لا يدخل في طريق القوم إلا بعد تضلعه من علم الشريعة والحديث، ويقرأ شيئًا من عقائد أهل السنة.

– وألا يطالع من كلام القوم ما دام مقلدًا لهم، إلا كلام الكمل من الأولياء ومن شأنه أن يطالب نفسه بحقوق الخلق، ولا يطالب الخلق بحقوق نفسه.

– ومن شأنه الذل وعدم التميز عن غيره بخلق غريب يعرف به، وأن ينزل الناس منازلهم، ولا يتبع التقليد، وأن يتحمل الأذى من جميع الأنام، ويشهد ذلك من رحمة اللّه تعالى ونعمته عليه.

– أنه إذا أمر بشيء أو نهى عنه ولم يمتثل المأمور أو المنهي لا يتكدر عليه، وأن لا يقول في شيء فعل: لم فعل؟ ولا لشيء ترك: لم ترك؟

– وليعلم أن المانع من الأدب في ابتداء الحال الحجاب وإقامة الحجة. وأن من شأنه أن لا يرى بيده نفعًا ولا ضرًّا لأحد دون اللّه تعالى.

– وأن لا يتغير بشيء يبرز في الكون؛ لأن الفقير لا نفس له لقوة قربه من الحق. كذلك فإن شرط المسلك أن يعتمد في التسليك على ما يبقيه الحق في قلبه، فيعطي كل شخص من جلسائه ما يقبله استعداده. واعلم أن الطرفين يعلمون أن الخلق في التغير والتحويل ليلًا ونهارًا لتجدد الشئون التي يظهرها الحق تعالى.

– ومن شأنه أن لا يظهر من الألفاظ التي ظاهرها الدعوى والتزكية للنفس. وأن لا يظهر عند زيارة من يستحي من المشايخ وغيره ممن يعتقده ناموسًا زائدًا على حالته. وأن يخفض جناحه للمؤمنين امتثالًا لأمر اللّه تعالى؛ لأنه أو لأنها ماتت.

– ومن شأنه ألا يفرح بزيارة الناس له في وقت حزبه وأوراده. ويستر حالته وعورته الباطنة ما أمكن، وينظر إلى صالح إخوانه ويأمرهم بعمل اليد. كذلك يكون ناصحًا لنفسه ولإخوانه من غير تصدٍّ ولا دعوة.

– وإذا ابتلي بالتصدي لباب قبل تأهيله له، ينبغي له أن يرى أن غير تلك الحالة التي هو عليها أولًا دائمًا لئلَّا تميل نفسه إليها فيهلك. وأن طريق السلوك بالخلوة والرياضة طريق جماعة من المشايخ، وليس كل المشايخ. وإذا كان قصده بالخلوة أن لا يرى الأغيار، فالأغيار من لازم الخلوة؛ لأنه يرى نفسه، والحيطان، والسقف، والفرش وهي إشارة إلى أهمية التفاعلات الإنسانية حتى يسلك ويتعلم السلوكيات السوية الصحيحة.

– وأن ليس في هذا إنكار على من يختلي لمشروعيتها عند بعض القوم، وإنما المراد أنه ينبغي أن لا يركن إلى شيء من أحواله؛ لأنه في ذلك هلاكه.

- كما أن عليه أن يقتدي بالرسول ﷺ في أصل الأفعال الشاقة على النفس من قيام الليل واحتمال الأذى. وأن الفقير الضعيف لا يجوز له أية تشبه بالأكابر الأقوياء، فيهلك نفسه لعدم معرفته بمداخل النفس، والشيطان، والهوى كمن يلبس الثياب النفيسة تشبهًا بالمشايخ الكبار.

- ولا ينبغي الاعتراض على من يقول: أنا قوي. مثل هذا لا يضرني، فكل أمره إلى اللّه تعالى فإنه ليس مباحًا. ومن شأنه أن يراعي الأدب، ويرى أنه أضعف خلق اللّه - تعالى - فليحذر من قوله للتلميذ إذا وسوس لك الشيطان وأنت في الذكر في خلوتك فاصرخ باسمي.

- كذلك عليه أن يتأدب مع شيخه ويعتقد فيه ما أمكن، فإن ذلك نافعة إن شاء اللّه تعالى. ويلزم الأدب مع القطب، وأن لا يسأل ولا يرد ولا يدخر وهذه طريقة الشاذلية. وأن كل من تمشيخ عليه تلميذه له إن مد له يد ليقبلها فليقبل رجله.

- وأن يفرح إذا ظهر شيخ آخر غيره ببلده وانقلبت جماعته إليه، وهي إشارة إلى تقبل السلوك التنافسي **Competitive Behavior** (ص٢٥٤). وأن من يتخذ المشيخة حرفة يقع في أمور مذمومة لا تحصى. وأن يرفع همته عما بأيدي أصحاب من الدنيا ويخفي حاجته عنهم.

- وأن التعريض لهم لمصلحة الفقراء الذين عنده أخف أمرًا من نفسه وعياله. وأن يحفظ لسانه في حق أقرانه، وأنه لا بأس أن يتبين عيوب أهل الدعاوى لمن يرجو من يريد أن يتبع طريقهم.

- وأن ينتبه لما يحصل بسبب الإذن له في التلقين من شيخه أو غيره من ترك النصح من إخوانه وتلامذته. ومن شأنه إذا لم يطرقه البكاء ولا الخشية أن لا يذكر ما فيه انتصارًا لنفسه. واعلم بأنك يجب عليك أن تعتقد في نفسك أنك ما أنت فقير إلا عند العوام، وعرض هنا لما يجب أن يتصف به من يعلم الآخرين والذي من الممكن أن نشير إليه بخصال الراعي **Mentor Characteristics** (ص٢٦٣) ومنها التلطف في النصح.

- وأن الشيخ لا يكون شيخًا بكثرة مريديه، وأنه ليس من الغفلة اشتغال العبد بحقوق أهله؛ لأن اللّه قد عين لهم حقًا عليه. وأن يكتم مساوئ أقرانه ويظهر محاسنهم والثناء عليهم، ويعتبر ذلك من أساليب العلاج النفسي؛ حيث يواجه الشخص بعيوبه والجوانب المميزة له ليستفيد منها في علاج وتعديل الجوانب المعيبة.

- أن يلزم من ازدراء شخص أو احتقاره الوقيعة في جميع أصحابه ومحبيه. وأنه إذا جلس لإرشاد الخلق بإذن خاص من النبي ﷺ أن لا يرى له بذلك مزية وخصوصًا على من لم يحصل له ذلك من أقرانه.

- ويتثبت فيما يحكيه عن نفسه من الوقائع والأحوال. ومن شأنه أن لا يركن إلى الإذن له بالسلوك والإرشاد من شيخه ومن غيره. وأن يكون يقظًا فطنًا لما يبرز منه فلا يعطي كل جليس إلا ما يقبله استعداده.

- وأن جميع ما ينصح به العبد أعوانه من الدسائس والعيوب يحظر على قلب الناصح، ولولا ذلك ما نصح أحد أحدًا بترك عيب؛ لأنه لم يخطر بباله.

وانتهى الكتاب بخاتمة في بيان ما خرج من مقامات السالكين بالعبودية. وبين فيه:

- أن على قدر القرب يكون الخوف من اللّه تعالى. وأن لا غاية للعبد يقف معها دون معرفة سيده. وبين أن ما اجتمع اثنان قط على علم واحد في اللّه من جميع الجهات كما لا يجتمعان على مزاج **Mood** واحد (ص٢٩٣)؛ أي يختلف الناس في أمزجتهم.

- وأن من حزن على شيء من الدنيا والآخرة يتعرض لمقت اللّه، وعرف الخوف على أنه احتراز على النفس لدفع مكروه عنها في زعمه، وهي إشارة إلى الخوف المرضي **Phobia** (ص٢٩٧)، ولا يخفى عجزه عن دفع ذلك عنها.

- وأنه لا ينافي مقام أهل الزهد تجارتهم، وبيعهم، وسفرهم في أمور الدنيا. كما بين أهمية مراقبة الفرد لذاته **Self-Monitoring** (ص٣٠٧) وسلوكه، وأن اللّه رقيب على مراقبة العبد لذاته.

- وأن من الأدب أن يتلقى العبد البلاء من المبلي، ويعني بالبلاء وجود الألم والإحساس به لا غير. ولنعلم أن أقل درجات الأنس باللّه - تعالى - أن يكون العبد مع إعراض الخلق عنه أشد أنسًا من إقبالهم عليه.

الخلاصة:

نستشفُّ من الكتاب المفاهيم النفسية الآتية:

- **الاستعداد Aptitude.**
- **الفروق الفردية Individual Differences.**
- **السلوك التنافسي Cmpetitive Behavior.**

- خصال الراعي Mentor Characteristics.

- المزاج Mood.

- الخوف المرضي Phobia.

- المراقبة الذاتية Self-Monitoring.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

برد الأكباد عند فقد الأولاد



- تأليف/ ابن ناصر الدين أبي عبد اللّه محمد بن أبي بكر عبد اللّه بن محمد.
- تحقيق ودراسة/ مجدي قاسم.
- القاهرة: مكتبة الحرمين للعلوم النافعة.

***

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ المحدث أبو عبد اللّه محمد بن أبي بكر عبد اللّه بن محمد بن أحمد ابن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي، الحموي الأصل، الدمشقي المعروف بابن ناصر الدين محدث الشام وحافظها. ولد في دمشق في المحرم سنة (٧٧٧هـ)، ولي الإمامة والخطابة بالجامع الناصري وفي مسجد القصب من أول ما أنشئ حتى مماته. له من المؤلفات (٦٤) مؤلفًا؛ وتوفي عام (٨٤٢هـ).

ولقد قام محقق الكتاب بتقويم النص وضبط الآيات القرآنية والأحاديث، وقسم الكتاب إلى عشرة فصول.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٨٦) صفحة من القطع المتوسط، ويبدأ بتقدمة الناشر حول المصائب التي يبتلى بها الشخص، وكيف أن صبر الفرد على ذلك البلاء من علامات الصدق في الإيمان والبراءة من النفاق والمخادعة، وأن المسلم يجب أن يدرك حكمة اللّه ﷻ في البلاء، وأن تلك نعمة كنعمة الكفارة والمغفرة.

يلي ذلك مقدمة المحقق والتي يصف فيها تجربته الذاتية لفقد الولد، ودافعه من تحقيق الكتاب في أن يكون بردًا لكل من فقد عزيزًا، وأن يتأسى كل منهم بمن هو على شاكلته ضاربًا عدة أمثلة لمبتلين بتلك المصائب، وكثير من الأقوال المأثورة والأشعار تصف عناء فقد الأبناء، والصبر كدواء ناجع لهذه البلية.

ويشير المحقق إلى أن « ما يسلي المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبة تأتيه هي من عند اللّه، وأنها بقضائه وقدره، وأنه ﷻ لم يقدرها عليه ليهلك بها ولا ليعذبه، وإنما

ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه، وشكواه إليه وابتهاله ودعاه، فإن وفق لذلك كان أمر اللّه قدرًا مقدورًا، وإن حُرِمه كان ذلك خسرانًا مبينًا » (ص ١٨).

ثم يذكر المحقق ثلاثة عشر علاجًا للمصائب هي في مجملها تصب فيما يسمى الآن العلاج العقلاني الانفعالي، وربما يفيد في العلاج المعرفي وهي:

١ - أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.

٢ - أن يعلم أن المصيبة ثابتة.

٣ - أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

٤ - النظر في من ابتلي بمثل هذا البلاء، فإن التأسي راحة عظيمة.

٥ - النظر في حال من ابتلي أكثر من هذا البلاء فيهون عليه هذا.

٦ - رجاء الخلف إن كان من قضي يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.

٧ - طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم.

وما يلحق بها هو ستة أشياء:

٨ - أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خير له.

٩ - أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

١٠ - أن يعلم أنه مملوك وليس للمملوك في نفسه شيء.

١١ - أن هذا الواقع وقع برضى المالك فيجب الرضى به.

١٢ - معاتبة النفس عند الجزع بأنه أمر لا بد منه.

١٣ - أنما هي ساعة فكأن الأمر بعدها لم يكن.

مقدمة المؤلف يظهر فيها دوافعه لكتابة هذا الكتاب، وهو تعزية بعض السادات المحسنين في موت ولدهم، وأشار المؤلف أن التعزية هي حمل الفرد على الصبر، وهو سنة، وأنه استعان بآيات من الكتاب يليها أخبار وآثار ممزوجة بحكايات وأشعار.

أما الفصول العشرة فهي كما يلي:

تناول الفصل الأول فضل الصبر، واستعان المؤلف بالآيات القرآنية من قبيل ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦] وكذلك أحاديث الرسول الكريم، والتي أجمعت جميعها على أن الصبر هو « الحبس »، ومداه ثلاثة أركان هي: إمساك النفس عن السخط بالقضاء،

وحبس اللسان عن القول السيئ والبذيء، وتقييد الجوارح عن المعصية. فإذا قام بها حاز فضيلة الصبر وهو نصف الإيمان. وأشار المؤلف - أيضًا - في هذا الفصل إلى أن فقد الأبناء من أعظم الابتلاء وأنه نار تستعر في الفؤاد، وضرب مثلًا على ما يصيب الآباء من أمراض تنجم من الحزن، فأشار إلى ما أصاب سيدنا يعقوب حينما فقد ولده يوسف: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٤] مفسرًا أن كظمه الحزن يؤثر في الأعصاب مما أدى إلى حدوث حالة العمى، وهي إشارة واضحة إلى الاضطرابات النفس جسمية، مؤكدًا أن ذلك عائد لأنه لم يئن أو يتوجع أو يشكو ما به من حزن **Psychosomatic Diseases** (ص١٦).

وتناول الفصل الثاني أجر المصاب ويرى أن المصاب الفادح يكون كفارة وطهورًا كما في حديث الرسول، عندما سُئِلَ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: « **الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة** ».

وقال النبي ﷺ: « **ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر اللّه بها من خطاياه** ». وعرف النصب على أنه التعب **Fatigue**، والوصب هو أي مرض وزنه ومعناه، أما الهم والحزن فهما من الأمراض الباطنة (بمعنى النفسية) والغم من أمراض الباطن وهو ما يضيق على القلب. وميز بينهم في أن الهم ينشأ من الفكر مما يتوقع حصوله ويتأذى الفرد به (على المستقبل)، أما **المشقة Stress** فهو كرب يحدث للقلب بسبب ما حصل في الماضي، أما **الحزن Sadness** فيحدث لفقد ما يشق على المرء فقده. وهذه إشارة واضحة للأمراض النفسية وأصلها الانفعالي (ص٥٩).

وفي **فصل الابتلاء بفقد الأولاد** استدل المؤلف بالأحاديث والقرآن ليؤكد أن فرط الأولاد يحظر والديه من النار: « عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللّه ﷺ قال: « **ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا أدخلهم اللّه وأبويهم الجنة** ». قال: « **يكونون على باب من أبواب الجنة، فيقال لهم ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يجيء آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يجيء آباؤنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم بفضل رحمة اللّه** ».

وفي **فصل تمني تقديم الأولاد** يشير إلى أن الشخص يتمنى ابتغاء ثواب الصبر أن يقدم

ابنه ليكون له يوم القيامة من الساقين.

وفي فصل ما يقال عند المصيبة، نقل عن أم سلمة - رضي اللَّه عنها - قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: « **إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا للَّه وإنا إليه راجعون، اللَّهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني منها وأبدلني خيرًا منها** ». أخرجه أبو داود والنسائي.

وفي فصل من صبر على فقد ولده فيشير المؤلف إلى أن من يحصل على أجر الصبر على المصائب يكون في أول الصدمة ووقت اشتدادها؛ إذ إن صدمة الفقد تكون في أعلى درجاتها في البداية ثم تتلاشى مع مرور الزمن، وهي إشارة واضحة إلى النسيان مع مرور الوقت (**العفاء Decay**). وأشار إلى أن من تحلى بالصبر فقد فاز بثواب عظيم وحصل على رضى الرب الرحيم (ص١٢٣).

وفي فصل أمور تعين على الصبر أشار المؤلف إلى وجوب النظر إلى أن المصيبة في غير الدين أهون وأيسر عند المؤمنين، وأن فوق كل مصيبة ما هو أشد منها فيسلو عنها (**التفكير العقلاني المعرفي**)، والعلم بأنها كفارات مع أنها يسيرة فانية وتدفع عقوبات الآخرة مع أنها خطيرة باقية، وأن ما قدر يكون لا محالة، ومن ابتلي فقد حصل ما قدر عليه وناله وكفي شر ذلك ووباله.

وفي فصل من لطيف التعازي ذكر المؤلف أمثلة على التعازي منها ما ذكره عبد الرحمن عن معاذ بن جبل ﷺ قال: مات ابن لي فكتب إليَّ رسول اللَّه ﷺ: « **من محمد رسول اللَّه إلى معاذ بن جبل، سلام اللَّه عليك، فإني أحمد اللَّه إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد،** فعظم اللَّه لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم إن أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب اللَّه ﷻ الهنية، وعواريه المستودعة، ومتعك اللَّه به في غبطة وسرور، وقبضه بأجر كثير، إن صبرت واحتسبت لا تجمعن عليك يا معاذ أن يُحبط جزعك أجرَك فتندم على ما فاتك... واعلم أن الجزع لا يرد ميتًا ولا يدفع حزنًا، فليذهب أسفك ما هو نازل بك فكأن قد. والسلام ». ويتضح من هذا الحديث كيف أن مواساة المبتلى من شيم المحيطين به الأخيار، وأن له دورًا كبيرًا في التخفيف عنه، ويقترب هذا من مفهوم الدعم **الاجتماعي Social Support**.

فصل من فوائد الابتلاء منها فوائد سنية وحكم ربانية. قال اللَّه تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾ [البقرة: ٢١٦] ومن فوائده النظر إلى قهر الربوبية، والرجوع إلى ذل العبودية، وتمحيص الذنوب والسيئات وبلوغ الدرجات العليا في الجنات، ومعرفة

قدر العافية لمن غفل عن إحصاء ذلك، وحصول رحمة أهل البلاء الموجبة لرحمة اللَّه، والدخول في زمرة المحبوبين المشرفين بمحبة رب العالمين، وتيقظ المبتلى من غفلته، ومقت الدنيا لإنكارها وعمل النفس ليوم ميعادها، ومنع صاحب البلية من خصال غير مرضية كالخيلاء والكبر والأشر والبطر والتجبر.

وأخيرًا في **فصل تحريم النياحة وجواز البكاء** يرى المؤلف أن البكاء متنفس للفرد مع تحريم النياحة قولًا وفعلًا.

الخلاصة:

نستشف من الكتاب المفاهيم النفسية التالية:

- الاضطرابات النفس جسمية Psychosomatic Diseases.

- أساليب مواجهة المشاق (ضغوط الحياة) Stress.

- طرق العلاج العقلاني الانفعالي Rational-Emotional Therapy.

- الدعم الاجتماعي Social Support.

- الثالوث الاكتئابي (الحزن والهم والغم) Depressed Trials.

- أثر مرور الزمن على نسيان الأحداث (نظرية العفاء) Decay.

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

تحفة العروس ومتعة النفوس



- تأليف/ التجاني، محمد بن أحمد.
- تحقيق/ جليل العطية.
- لندن: رياض الريس للكتب والنشر (١٩٩٢م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني. ينتسب إلى قبيلة تجان من المغرب، أديب وكاتب. ولد في تونس، وتوفي سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م). من مؤلفاته « أحكام النكاح »، و « أداء اللازم في شرح مقصورة حازم »، و « تحفة العروس ».

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٩٦) صفحة، بما فيها الفهارس من القطع الصغير. يتناول فيه الكاتب كل ما يتعلق بالنساء بشكل موضوعي. مقسم على (٢٥) بابًا في كيفية وأدب معاشرة النساء، وأخلاقهن، وخصالهن، وصفة أعضائهن من الحسن والقبح.

حاول الكاتب الإحاطة ما وسعه ذلك بحياة المرأة جسدًا، وروحًا، ومشاعرًا، وعقلًا عبر رحلة واسعة بين القصص والحكايات، والأخبار، والأحاديث، والأشعار، والنوادر، والملح، والمواقف الطريفة، إلى جانب وفرة المعلومات الدينية والفقهية، والتاريخية، واللغوية. فهو موسوعة في المرأة.

يوضح **الباب الأول باب جامع النساء** أن حب النساء مجبول عليه الرجال، وأن اللّه خلق المرأة للرجل.

وجاء **الباب الثاني في العفاف والتصون**، وثواب من منع النفس هواها، وقمعها عن شهواتها المحرمة ومناها. واستشهد بأقوال وأفعال أقوام، وأبيات شعر في عفة المرأة، وصونها لنفسها.

أما الباب الثالث فجاء في الحض على النكاح، وإنكار من ترك النساء زهدًا. وذكر اختلاف الناس في وجوب النكاح واستحبابه. وأشار إلى أن النكاح واجب لمن استطاع

عليه، وأنه لحفظ المرء من الفتنة.

وتحدث في **الباب الرابع عن تخير الرجل لنطفته**، وبيان الخصال التي تتزوج بها المرأة، كما بين المرأة التي يجب أن يتزوجها الرجل، وتلك التي يجب أن يتجنبها.

ويأتي **الباب الخامس فيما يباح للرجل من النظر إلى المرأة إذا أراد نكاحها**، وهنا جاءت الأقوال والأحاديث لتشير إلى أن الرجل يجب أن ينظر لمن تقدم لخطبتها، وعليها أن تتزين لخطابها.

الباب السادس في ذكر الصدقات وما ورد في كثرتها وقلتها وكراهة المغالاة فيها. وبين أنه لا يجب المغالاة في المهور، وأن رسول اللَّه ﷺ لم يغالي في المهور.

ثم كان **الباب السابع في الوقت المستحب لعقد النكاح**. وجاء في ذكر ذلك على الوليمة وما ينبغي أن يدعى به للمتناكحين، كما أشار إلى استحباب النكاح في يوم الجمعة آخر النهار، وأنه يجب إعلان النكاح وذلك بعقده في المساجد، وإذا دعي الفرد إلى الوليمة فعليه تلبيتها.

الباب الثامن في جلاء العروس ودخولها على الرجل. وذكر في هذا الباب آداب الجماع، واستعداد العروس لليلة زفافها. كما تناول جوانب كثيرة تمثل شكلًا من أشكال **التربية الجنسية Sexual Education**، **والسلوك الجنسي Sexual Behavior**، حيث وصف وأشار إلى أهمية أن يمهل الرجل المرأة حتى تقضي أيضًا هي؛ وذلك لأن التوافق في وقت الإنزال ألذ للمرأة (ص١٢٢ - ١٢٤).

وجاء **الفصل التاسع في الزينة والتطيب**، وأنها من أعظم الأسباب الموجبة لحظوة المرأة عند زوجها وأشار إلى أن المرأة عليها أن تتخضب وتتكحل وتتجمل لزوجها.

ويشير **الباب العاشر إلى زينة الرجل وما يستحب له من التهيؤ لزوجته**، والنهي عن إكراه الحسناء والحدثة على تزوج المسن، وأن على الرجل أن يتطيب لزوجته كما تتطيب له. وأشار إلى أهمية التناسب في العمر بين الزوجين.

ويتناول **الباب الحادي عشر حقوق المرأة على الرجل في المعاشرة**، وماله من الحق عليها، وذكر في ظل ذلك بعض وصايا الحكماء. وأشار إلى أهمية مراعاة الحالة النفسية للزوج. وأعطى في ذلك درسًا في موجبات **التوافق الزواجي Marital Adjustment** حيث قال: « أشد ما تكونين له إعظامًا، أشد ما يكون لك إكرامًا. وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن

ما يكون لك مرافقة » (ص١٧٠).

وأشار في **الفصل الثاني عشر إلى السراري والذي قصد بها المحظيات**، أو الأمة التي يعاشرها سيدها لكونها تدخل السرور عليه.

أما الفصل الثالث عشر ففي تفضيل الأسنان وما ورد في ذلك من الاستحسان والاستقباح. ووصف هنا عمر المرأة وعلاقته بأسنانها، وأشار أنه باختلاف أسنانها تختلف صفاتها وأخلاقها، وبين أن الرسول ﷺ دعي إلى وجوب تناسب عمر الزوجين فالمسن للمسنة، والشاب للشابة.

ويشير **الفصل الرابع عشر إلى الأبكار والثيب**، وتفضيل البكر على الثيب، ووضح الكاتب ما جاء في زواج البكر وصفاتها.

وجاء **الفصل الخامس عشر في السمنة والضمور**. ووصف السمنة المستحبة في المرأة، وكيف أنه يستحب السمان في الزواج.

الفصل السادس عشر في الألوان وبدأها بفصل البياض. وأشار إلى أن المرأة الرقيقة البشرة والصافية اللون تتلون بلون الهواء.

ثم جاء فصل السمرة بعده ليوضح أن الناس قد تختلف فيما يفضلونه من ألوان النساء، وصفات كل لون من الألوان، ثم بينتْ أحاديث الرسول ﷺ أن الأهمية للدين وليس للون.

الفصل السابع عشر في الطول والقصر. وتباينت الآراء في الأطوال المفضلة للمرأة.

وجاء **الفصل الثامن عشر جامعًا للملاحة والجمال** وأشار إلى أن اللّه جميل يحب الجمال، وأن الفرد يفضل النظر إلى الشيء الجميل وليس القبيح.

وذكر **الفصل التاسع عشر أوصاف النساء على الإجمال**. وعرض لوصف النساء، وما يذكر في وصف المرأة الجميلة من مظاهر الجمال.

وعرض **الفصل العشرون للصفات الجسمية للمرأة**، وما ورد في ذلك من المخايرة والتفضيل. وذكر أول ما ذكر وصف الشعور، ثم الجبهة والجبين وما إلى ذلك حتى وصل إلى الأقدام، حيث عرض للأبيات الشعرية التي وصفت المناطق المختلفة من جسم المرأة.

وجاء **الباب الحادي والعشرون في الجامع لذكر الجماع وبيان ما فيه من المنافع والمضار.**

وذكر أسماء النكاح، وتحدث هنا عن الجوانب النفسية للجماع وذكر أنه ينشط النفس ويسرها ويزيد النشاط، والذي نعني به **الاستثارة Arousal**، وأنه يزيل **الغضب Anger** (ص٣٥١)، ويذهب بالفكرة الرديئة والظنون السيئة.

وبين الفصل الثاني والعشرون أهمية الإتيان ببعض الحركات أثناء الجماع.

أما الفصل الثالث والعشرون فعرض لوطء الرجل في غير الفرج، وذكر صور من صور النكاح.

وكان الفصل الرابع والعشرون في الغيرة وما يحمد منها وما يذم. وأوضح أن الغيرة للرجال والنساء، وأن غيرة الرجال أشد من غيرة النساء؛ لأن اللّٰه جبل النساء على الصبر.

وجاء **الباب الخامس والعشرون والأخير في بعض ملح المفاكهات والمطايبات التي تتعلق بالنكاح**، وذكر وعرض في ظل هذا الباب لما جاء من الشعر الذي كتب في النكاح والمعاشرة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **التربية الجنسية Sexual Education**.
- **السلوك الجنسي Sexual Behavior**.
- **التوافق الزواجي Marital Adjustment**.
- **الاستثارة Arousal**.
- **الغضب Anger**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

التراث التربوي الإسلامي
في خمس مخطوطات



O جمعها وحققها وقدم لها/ د. هشام نشابة.

O دار العلم للملايين (١٩٨٨م).

* * *

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٦٧) صفحة. ويتضمن خمس مخطوطات تربوية هي: كتاب السياسة المنسوب للشيخ الرئيس ابن سينا (ص٢٥ - ٤٥)، ومنهاج المتعلم المنسوب للغزالي، وتذكرة السامع والمتكلم لأبي إسحاق إبراهيم بن جماعة، واللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم لأبي زكريا الأنصاري، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدب الأطفال لابن حجر الهيثمي. ونبدأ بعرض المخطوطة الأولى:

المخطوطة الأولى
كتاب السياسة
المنسوب إلى: الشيخ الرئيس ابن سينا

التعريف بالمؤلف:

ابن سينا هو أبو علي الحسين بن عبد اللَّه بن الحسن بن علي بن سينا، عالم فارسي مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما. ولد في قرية (أفشنة) التركمانية قرب بخارى (في أوزبكستان حاليًا) سنة (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليًا) سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٧م). عُرف باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء وأبو الطب الحديث. وقد ألّف (٤٥٠) كتابًا في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. إن ابن سينا هو من أول من كتب عن الطبّ في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب. ومن كتبه الطبية أيضًا كتاب الأدوية القلبية، وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، وكتاب القولنج، ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب، ورسالة في تشريح الأعضاء، ورسالة في الفصد، ورسالة في الأغذية والأدوية. ولابن سينا أراجيز

طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب، والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت. ولابن سينا كتاب نفيس في الطب هو « القانون »، جمع فيه ما عرفه الطب القديم، وما ابتكره هو من نظريات واكتشفه من أمراض، وقد جمع فيه أكثر من (٧٦٠) عقارًا مع أسماء النباتات التي يستحضر منها العقار. ومن آثار ابن سينا الرياضية رسالة الزاوية، ومختصر إقليدس، ومختصر الارتماطيقي، ومختصر علم الهيئة، ومختصر المجسطي، ورسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء. طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة (١٩١٧م). وفي الموسيقى له مقالة بعنوان: جوامع علم الموسيقى.

عرض المخطوطة:

قسم ابن سينا مخطوطته (ص٢٥ - ٤٥) إلى ثلاثة أقسام:

يتضمن **القسم الأول** (ص٢٥ - ٣٥) ما يرتبط بأخلاق المرء وأعماله حتى تكون حياته الأولى والأخرى سعيدة. يؤكد في البداية على مبدأ **الفروق الفردية Individual Differences** فيذكر « فقد علم ذوو العقول أن الناس لو كانوا جميعًا ملوكًا لتفانوا عن آخرهم، ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا عيانًا بأسرهم، كما أنهم لو استووا في الغنى لما مهن أحد لأحد، ولا رفد حميم حميمًا، ولو استووا في الفقر لماتوا ضرًّا وهلكوا بؤسًا » (ص ٢٨). ويرى أنه ينبغي على جميع الناس تدبر وتأمل ما يجري عليه العالم من الحكمة وحُسن إتقان السياسة، وإحكام التدبير. وأول ما ينبغي أن يبدأ به الإنسان من أصناف السياسة سياسة نفسه، ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه أن يعلم أن له عقلًا هو السائس، ونفسًا أمارة بالسوء، وكثيرة المعايب، كذلك من رام سياسة نفسه ورياضتها وإصلاح فاسدها لم يجز له أن يبتدئ في ذلك حتى يعرف جميع مساوئ نفسه معرفةً محيطةً، ولما كانت معرفة الإنسان نفسه غير موثوق بها، كان غير مستغنٍ في البحث عن أحواله والفحص عن مساوئه ومحاسنه عن معونة الأخ الوادِّ الذي يكونُ منه بمنزلة المرآة فيريه حسن أحواله حسنًا وسيئها سيئًا. وأحق الناس بذلك وأحوجهم إليه الرؤساء (ص٣٢).

ونتساءل كيف يتم هذا الإرشاد. يقول: «ولكن ينبغي أن تمس العاقل بالمشورة عليه مسك الشوكة الشائكة بجسد، والقرحة الدامية من بدنك، على ألين ما تمس وأرفق القول، وأخفض الصوت، وفي أخلى المواطن، وأستر الأحوال، والتعريض فيها أبلغ

من التصريح، وضرب الأمثال أحسن من التكشيف، فإن رأيت صاحبك يشرئب لقولك إذا بدر منك، ويهش له ويصغي إليه، فأسبغ القول في غير إفراط ولا إسهاب ولا إملال، ولا تزد على الوجه الواحد من الرأي، ودعه يختمر في قلبه، ويتردد في جوانحه فيعلم بتخلي مغبته، وإن رأيت صاحبك لا يكترث لكلامك إذا ورد عليه فاقطعه وأحل معناه إلى غير ما أردته، وأخره إلى وقت نشاطه وفراغ باله (**يقابله مصطلح المهارات الاجتماعية Social Skills**) (ص٣٤).

والسبيل الثاني لمعرفة مناقب النفس هو تفقد أخلاق الناس، وتفقد شيمهم وخلائقهم. ويذكر أنه ينبغي للإنسان أن يعد لنفسه ثوابًا وعقابًا يسوسها به (**الدعم Reinforecement**). فإن حسنت طاعتها أثابها بإكثار حمدها، وجلب السرور لها، وتمكينها من بعض لذاتها (**يقابله مصطلح الدعم الإيجابي Positive Reinforcement**) (ص٣٥). وإذا ساءت طاعتها عاقبها بإكثار ذمها ولومها وجلب عليها شدة الندامة ومنعها لذتها (**ويقابله مصطلح العقاب Punishment**) (ص٣٥).

ويتضمن **القسم الثاني** تدبير المرء لمنزله المشترك بينه وبين زوجه وولده ومملوكه، حتى تكون حاله مؤدية إلى التمكن من كسب السعادة (ص٣٦ - ٤٥). ويبدأ بسياسة الرجل دخله وخرجه يذكر: « أنه ليس شيء أزين بالرجل من عزق واسع وافق منه استحقاقًا. ثم ليطلب معيشته بصناعة على أعف الوجوه وأرفقها وأعفاها » (ص٣٦). أما عن كيفية إنفاقه فيذكر: « إن من السيرة العادلة أن يكون بعضه مصروفًا في الصدقات والزكوات وأرباب المعرفة. وللمعروف شرائط عنده هي: تعجيله، وكتمانه، وتصغيره، ومواصلته، واختيار موضعه (ص٣٧). فأما النفقات فإن سدادها وإصلاح أمرها بين السرف والشح » (ص٣٧).

أما عن **سياسة الرجل لأهله** فتتحقق من البداية من خلال اختيار المرأة الصالحة. ويعرِّف **المرأة الصالحة** بأنها: « العاقلة الدَّينة، الحيية الفطنة، الودود الولود، القصيرة اللسان، المطاوعة العنان، الناصحة الجيب، الأمينة الغيب، الرزان المجلس، الوقور في هيبتها، المهيبة في قامتها، الخفيفة المبتذلة في خدمتها لزوجها، تُحسن تدبيرها وتُكثر قليله بتقديرها، وتجلو أحزانه بجميل أخلاقها، وتُسلي همومه بلطيف مُداراتها » (ص٣٨). « وجماعُ سياسة الرجل أهله بحسم ثلاثة أمور لا تدعه وهي: الهيبة الشديدة، والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم » (ص٣٩).

أما عن سياسة الرجل ولده فتتحقق من خلال إحسان تسميته، ثم اختياره ظئره كي لا تكون حمقاء ولا ذات عاهة، فإن فُطم بُدئ بتأديبه ورياضة أخلاقه، وإن احتاج إلى الاستعانة فليكن أول الضرب قليلًا موجعًا، فإذا اشتدت مفاصله واستوى لسانه أخذ في تعليمه القرآن.

المخطوطة الثانية

كتاب منهاج المتعلم

تأليف: الإمام أبي حامد الغزالي

التعريف بالمؤلف:

هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي، ولد بقرية « غزالة » القريبة من طوس من إقليم خراسان عام (٤٥٠هـ) وإليها نسب الغزالي. ونشأ الغزالي في بيت فقير لأب صوفي لا يملك غير حرفته، ولكن كانت لديه رغبة شديدة في تعليم ولديه، وحينما حضرته الوفاة عهد إلى صديق له متصوف برعاية ولديه، وأعطاه ما لديه من مال يسير، وأوصاه بتعليمهما وتأديبهما. اجتهد الرجل في تنفيذ وصية الأب على خير وجه حتى نفد ما تركه لهما أبوهما من المال، وتعذر عليه القيام برعايتهما والإنفاق عليهما، فألحقهما بإحدى المدارس التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، والتي كانت تكفل طلاب العلم فيها.

ودرس الغزالي في صباه على عدد من العلماء والأعلام، أخذ الفقه على الإمام أحمد الرازكاني في طوس، ثم سافر إلى جرجان فأخذ عن الإمام أبي نصر الإسماعيلي، وعاد بعد ذلك إلى طوس حيث بقي بها ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى نيسابور والتحق بالمدرسة النظامية، حيث تلقى فيها علم أصول الفقه وعلم الكلام على أبي المعالي الجويني إمام الحرمين ولازمه فترة ينهل من علمه ويأخذ عنه حتى برع في الفقه وأصوله، وأصول الدين والمنطق والفلسفة وصار على علم واسع بالخلاف والجدل. ودرس الفقه في طوس ولازم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني في نيسابور، واشتغل بالتدريس في المدرسة النظامية ببغداد بتكليف من نظام الملك، وقد دخل بغداد في سنة (٤٨٣هـ)، ودرس بها وحضره الأئمة الكبار كابن عقيل، ثم ترك التدريس والرياسة ولبس الخام الغليظ ولازم الصوم، ثم رحل إلى الشام وأقام ببيت المقدس ودمشق مدة يطوف المشاهد ثم بدأ في تصنيف كتاب الأحياء في القدس ثم أتمه بدمشق إلا أنه وضعه على مذهب

الصوفية وترك فيه قانون الفقه، ثـم عاد إلى وطنه مشتغلًا بتعبده، فلما صارت الوزارة إلى فخر الملك أحضره، وسمع كلامه وألزمه بالخروج إلى نيسابور، فخرج ودرس ثم عاد إلى وطنه، واتخذ في جواره مدرسة ورباطًا للصوفية، وبنى دارًا حسنة وغرس فيها بستانًا، ومن أشهر كتب الغزالي إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، ومقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك، وأيها الولد المحب.

عرض المخطوطة:

تتكون المخطوطة من ثلاثة أبواب (ص٤٨ - ٩٢).

يتناول الباب الأول فضل العلم (ص٥٧ - ٧٢)، فيذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد فضل طلب العلم.

ويتناول الباب الثاني سمات شخصية المعلم Personality Traits of Teacher (ص٧٣ - ٧٨) فيذكر أنه ينبغي أن يكون المعلم:

١ - ماهرًا في فنٍّ يعلِّمه.

٢ - طاهر القلب واللسان.

٣ - نظيفًا عن الغيبة.

٤ - عدلًا في الدين.

٥ - ناصحًا في جميع الأمور.

٦ - شريفًا في النسب.

٧ - كبيرًا في السن.

٨ - وأن لا يكون غضوبًا.

٩ - أن لا يخالط السلطان.

١٠ - ولا يباشر دنيا تشغله عن أمر دينه.

ثم يتناول أهم المهارات المهنية **Professional Skills** التي ينبغي أن يتحلى بها المعلم (ص٧٤ - ٧٨) فيذكر أنه:

١ - يجب عليه إذا جاءه طالب مبتدىء أن يداعبه، ويكرمه ويعزه إلى يوم كان مؤنسًا معه.

٢ - لا يتعبه حتى لا يسمع كلامه ولا يعمل بأمره.

٣ - ثم يبدأ ثانيًا بالتأديب ثم التعليم.

٤ - ويجب عليه أن يُشخِّص طبيعة المبتدئ من الذكاء والغباوة.

٥ - ويعلمه على مقدار وُسعه، ولا يكلفه الزيادة عن مقداره.

٦ - ولا يُشرك الذكي مع الغبي.

٧ - ولا يُعلم من لا يُعظّمه ولا يُكرِّمه.

٨ - وينبغي أن يكون حسن العبارة عند التكلم، ويُعبِّر بما ينفع المبتدئ بكلام بليغ فصيح الكلمات.

٩ - وينبغي أن ينوى بتعليمه إرشاد عباد اللّه تعالى إلى الحق.

١٠ - ينبغي عليه تقريب الفقير إلى نفسه في التعلم، والشفقة فيه.

١١ - ولا يُعلم العلم إلا لأهله.

١٢ - وأن يُعلِّم كل نوع من المتعلمين بما يبلغ عقله ويدرك ذهنه.

١٣ - ويُحدث الناس بما يُفهم القلوب سهلًا بلا مشقة.

١٤ - ولا يشدِّد عليه فييأس فإن اليأس كُفر.

ويتناول الباب الثالث الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم (ص٧٩ - ٩١)، فيذكر أنه ينبغي على المتعلم أن:

١ - يُعظّم العلم وأهله وأستاذه.

٢ - يطلب مسرة المعلم بالتواضع، والتكلم، والتملق، والدعاء، والخدمة، والنُّصرة.

٣ - يُقدم حق الأستاذ على حق أبويه وسائر المسلمين.

٤ - لا يبخل بشيء من ماله على أستاذه.

٥ - ويحمل ما يسمع من خطاياه على أحسن التأويل.

٦ - لا يضحك في العلم وسماعه، ولا يلعب فيه فيموت قلبه.

٧ - لا يجادل في العلم ولا يعارض.

٨ - لا يأخذ الكتاب إلا بطهارة.

٩ - يضع كتاب التفسير فوق سائر الكتب.

١٠ - لا يمشي أمام أستاذه، ولا يجلس مكانه.

١١ - لا يبدأ الكلام عنده إلا بإذنه.

١٢ - لا يسأل شيئًا عند ملاله.

١٣ - تعظيم أولاد أستاذه ومن يتعلق به.

١٤ - التملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم.

١٥ - أن يستمع العلم والحكمة بالتعظيم والحُرمة.

١٦ - تقديم طهارة النفس من رذائل الأخلاق.

١٧ - أن لا يختار نوع العلم النافع بنفسه، بل يفوض أمره إلى أستاذه.

١٨ - ألا يجلس قريبًا من أستاذه عند قراءة الدرس بغير ضرورة.

١٩ - أن يتعلم من كل عالم صغير وكبير، غني وفقير... إلخ.

٢٠ - لا يستنكف من استفادة العلم ممن هو أدنى حالًا منه.

٢١ - مواظبة الدرس والتكرار في أول الليل وآخره.

٢٢ - لا يعتمد على نفسه وعقله بل يعتمد ويتوكل على اللّه.

٢٣ - يستعمل ما يجلب التذكر ويدفع النسيان والكسل.

وورد في هذه المخطوطة المفاهيم التالية:

١ - **العلم الكسبي**: هو العلم الحاصل بمداومة الدرس والقراءة عن الأستاذ (ص٦٧).

٢ - **العلم السماعي**: هو التعلم عن العلماء بالسماع في أمور دينهم ودنياهم وهذا لا يحصل إلا بمحبة العلماء، والاختلاط معهم، والمجالسة لهم، والاستفسار منهم (ص٦٧).

٣ - **الإبدال**: قوم من الصالحين بهم يُقيم اللّه الأرض، أربعون في الشام، وثلاثون في سائر البلاد، لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر (ص٧٠).

٤ - **النُّكتة**: في الأصل الأثر في الأرض، ثم عُبِّر بها عن كل شيء واضح عما حوله كالنقطة البيضاء في صفحة سوداء، وكالقول المستطرف الغريب في ثنايا الحديث (ص٧١).

٥ - الرُّخصة: من ترخيص اللّه للعباد في أشياء خففها عنهم، تقول رخَّصت فلانًا في كذا أي أذنت له بعد نهيي إياه عنه (ص٧).

المخطوطة الثالثة

تذكرة السامع والمتكلم وأدب العالم والمتعلم

تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن جماعة

وقد سبق عرضها مفصلة في الجزء الثالث من كتاب « علم النفس في التراث الإسلامي ».

المخطوطة الرابعة

اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم

تأليف: أبو عبد اللّه زكريا الأنصاري

التعريف بالمؤلف:

هو شيخ الإسلام أبو يحيى زكريا الأنصاري المولود سنة (٨٢٦هـ) في سُنيكة من محافظة الشرقية في مصر. وقد عُرف بالسكيني المصري الشافعي، ثم رحل الشيخ الأنصاري إلى القاهرة سنة (٨٤١هـ)، ونزل الأزهر لطلب العلم فتتلمذ على الشمس القاياتي والعلم البلقيني والشرف السبكي وغيرهم، وأذن له شيوخه بالإفتاء والإقراء. ويقول صاحب شذرات الذهب: « إن روايته أحسن من بديهته، وكتابته أمتن من عباراته، وعدم مسارعته إلى الفتاوى يعد من حسناته » وهي سمات يتميز بها العالم المدقق، الواعي لمسؤوليته العلمية. درس الشيخ الأنصاري الصرف، واللغة والعروض، والحديث والفقه، والأصول، والتفسير، وعلم الهيئة، والهندسة، والميقات والفرائض، والحساب والجبر، والمقابلة والتصوف. ولي الشيخ الأنصاري القضاء في عهد السلطان قايتباي ورُقي حتى أصبح قاضي القضاة في مصر سنة (٨٨٦هـ)، وبقي في هذا المنصب طيلة مدة ولاية قايتباي، ثم عزل منه سنة (٩٠٦هـ)، ثم عرض عليه مرة أخرى بعد ذلك فرفضه؛ لأن بصره قد كُفَّ، وكان بعد عزله من القضاء يشتغل بالتدريس إذ كان شيخ المدرسة الجمالية. وقيل إن عزله كان لمراعاة مصالح دنياه وحفدته. وكان الشيخ الأنصاري معروفًا بزهده وتواضعه، وميله الشديد إلى التقشف والتصوف، كما عُرف بحبه ودفاعه عن بعض أئمة الصوفية كابن عربي وابن الفارض. وتذكر كتب التراجم والأعلام للأنصاري ثلاثة وعشرين كتابًا أو رسالةً منها اللؤلؤ النظيم في روم التعلم

والتعليم، وتحرير تنقيح اللباب، وتحفة الباري على صحيح البخاري، وتحفة الطلاب لشرح تحرير تنقيح اللباب، وشرح الشافية لابن الحاجب، ولب الأصول، والمقصد لتلخيص ما في المرشد، وأدب القاضي على مذهب الشافعي، ونهاية الهداية في شرح الكفاية، وفتح الوهاب لشرح الآداب.

عرض المخطوطة:

هذه المخطوطة مشتملة على بيان شروط تعليم العلوم وتعلمها وعلى حصر أنواعها وبيان حدودها (ص١٨٧ - ٢١٣). فيذكر الأنصاري أن شروط تعلم العلوم اثنا عشر شرطًا هي:

١ - أن يقصد به ما وُضع ذلك العلم له فلا يقصد به غير ذلك (ص٢٠٣).

٢ - أن يقصد العلم الذي تقبله طباعه (ص٢٠٤).

٣ - أن يعلم غاية ذلك العلم ليكون على ثقة من أمره (ص٢٠٤).

٤ - أن يستوعب ذلك العلم من أوله إلى آخره تصورًا وتصديقًا (ص٢٠٤).

٥ - أن يقصد فيه الكتب الجيدة المستوعبة لجملة الفن (ص٢٠٤).

٦ - أن يقرأ على شيخ مرشد أمين ناصح، ولا يستبد بنفسه وذكائه (ص٢٠٤).

٧ - أن يُذاكر به الأقران والأنظار طلبًا للتحقيق لا للمغالبة بل للمعاونة على الإفادة والاستفادة (ص٢٠٤).

٨ - أنه إذا حصَّل ذلك العلم لا يضيِّعه بإهماله ولا يمنعه عن مستحقه (ص٢٠٤).

٩ - أن لا يعتقد في علم أنه حصل منه مقدارًا لا تمكن الزيادة عليه، فذلك نقص وحرمان (ص٢٠٤).

١٠ - أن يعلم أن لكل علم حدًّا فلا يتجاوزه ولا ينقص عنه (ص٢٠٤).

١١ - أن لا يدخل علمًا في علم آخر، لا في تعلم ولا في مناظرة؛ لأن ذلك يشوش الفكر (ص٢٠٤).

١٢ - أن يراعي كلٌّ من المتعلم والمعلم الآخر،خصوصًا الأول؛ لأن معلمه كالأب بل أعظم (ص٢٧٥).

ثم يتناول آفات الاشتغال بالعلم، فيذكر منها وثوق المتعلم بالزمن المستقبل فيترك

التعلم حالًا، ومنها الوثوق بالذكاء، ومنها التنقل من علم قبل إتقانه إلى علم آخر، أو من شيخ إلى آخر قبل إتقانه ما بدأ به عليه، ومنها طلب الدنيا، والتردد إلى أهلها، والوقوف على أبوابها، وولاية المناصب فإنها شاغلة مانعة (ص٢٠٥ - ٢٠٦).

وأما حصر أنواع العلوم فهي شرعية وهي ثلاثة: الفقه، والتفسير، والحديث. وإما أدبية وهي أربعة عشر علمًا: علم اللغة، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم قرض الشعر، وعلم إنشاء النثر، وعلم الكتابة، وعلم القراءات، وعلم المحاضرات، ومنه التواريخ. وإما رياضية وهي عشرة: علم التصوف، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، والعلم التعليمي، وعلم الحساب، وعلم الجبر، وعلم الموسيقى، وعلم السياسة، وعلم الأخلاق، وعلم تدبير المنزل. وإما عقلية وهي ما عدا ذلك كالمنطق والجدل، وأصول الفقه، وأصول الدين، والعلم الإلهي، والعلم الطبيعي، والطب، وعلم الميقات، وعلم النواميس، والفلسفة، والكيمياء ثم يوضح حدودها وفوائدها (ص٢٠٦).

وورد في المخطوطة الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **علم الفقه**: علم بحكم شرعي، عملي، مكتسب من دليل تفصيلي (ص٢٠٦).

٢ - **علم التفسير**: علم تعرف به معاني اللّه ﷻ من الأوامر والنواهي وغيرها (ص٢٠٦).

٣ - **علم الحديث رواية**: علم يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ قولًا أو فعلًا أو تقديرًا أوصفة (ص٢٠٧).

٤ - **علم الحديث دراية**: علم يُعرف به حال الراوي والمروى من حيث القبول والرد (ص٢٠٧).

٥ - **علم اللغة**: علم تُعرف به أبنية الكلم، ويُقال علم بنقل الألفاظ الدالة على المعاني المفردة (ص٢٠٧).

٦ - **علم الاشتقاق**: علم يُعرف به أصل الكلم وفرعه (ص٢٠٧).

٧ - **علم التصريف**: علم بأصول تعرف بها أحوال بنية الكلم التي ليست بإعراب (ص٢٠٧).

٨ - **علم النحو**: علم بأصول تُعرف بها أحوال أواخر الكلم إعرابًا وبناءً (ص٢٠٧).

٩ - علم المعاني: علم يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (ص ٢٠٧).

١٠ - علم البيان: علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة وفي وضوح الدلالة عليه (ص٢٠٧).

١١ - علم البديع: علم تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (ص٢٠٨).

١٢ - علم العروض: علم بأصول يُعرف بها صحيح أوزان الشعر وفاسدها (ص٢٠٨).

١٣ - علم القوافي: علم تُعرف به أحوال أواخر الأبيات الشعرية من حركة وسكون ولزوم وجواز وفصيح وقبيح ونحوها (ص٢٠٨).

١٤ - علم قرض الشعر: علم تُعرف به كيفية النظم وترتيبه (ص٢٠٨).

١٥ - علم إنشاء النثر: علم تُعرف به كيفية إنشائه (ص٢٠٨).

١٦ - علم الكتابة: علم تُعرف به أحوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها خطًّا (ص٢٠٨).

١٧ - علم القراءات: علم بأصول تُعرف بها أحوال ألفاظ القراءات من حيث النطق بها (ص٢٠٨).

١٨ - عِلم التصوف: علم بأصول يُعرف بها صلاح القلب وسائر الحواس (ص٢٠٨).

١٩ - علم الهندسة: علم تُعرف به خواص المقادير للخط والسطح والجسم التعليمي، ولواحقها وأوضاعها (ص٢٠٩).

٢٠ - علم الهيئة: علم تُعرف به الأجرام البسيطة من حيث كمياتها، وكيفياتها، وأوضاعها، وحركاتها اللازمة لها (ص٢٠٩).

٢١ - العلم التعليمي: ما يُبحث فيه عن أشياء موجودة في مادة، كالمقادير والأشكال والحركات (ص٢٠٩).

٢٢ - علم الحساب: علم بأصول يتوصل بها إلى استخراج المجهولات العددية (ص٢٠٩).

٢٣ - **علم الجبر**: علم بأصول يُعرف بها استخراج كمية المجهول بمقدرات معلومة (ص٢٠٩).

٢٤ - **علم الموسيقى**: علم بأصول يُعرف بها النغم، وكيفية تأليف الألحان بعضها من بعض (ص٢٠٩).

٢٥ - **علم السياسة**: علم بأصول تُعرف بها أنواع الرئاسات والسياسات المدنية وأحوالها (ص٢٠٩).

٢٦ - **علم الأخلاق**: علم بأصول تُعرف بها أنواع الفضائل وكيفية اكتسابها، وأنواع الرذائل، وكيفية اجتنابها (ص٢١٠).

٢٧ - **علم تدبير المنزل**: علم بأصول تُعرف بها الأحوال المشتركة بين الرجل وزوجته وولده وخدمه (ص٢١٠).

٢٨ - **علم المنطق**: علم بأصول تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر (ص٢٠٨).

٢٩ - **علم الجدل**: علم بأصول تُعرف بها كيفية تقرير الأدلة، ودفع الشبه عنها (ص٢٠٨).

٣٠ - **علم أصول الفقه**: علم بأدلة الفقه الإجمالية وطرق استفادة جزئياتها، وحال مستفيدها (ص٢١٠).

٣١ - **علم أصول الدين**: علم بالعقائد الدينية من الأدلة اليقينية (ص٢١٠).

٣٢ - **العلم الإلهي**: علم بأصول تُعرف بها أحوال الموجودات، وما يُعرض لها (ص٢١١).

٣٣ - **العلم الطبيعي**: علم يُبحث فيه عن أحوال الجسم المحسوس من حيث أنه معرَّض للتغيُّر (ص٢١١).

٣٤ - **علم الكلام**: مبني على أصول الإسلام من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ والإجماع والمعقول الذي لا يخالفها (ص٢١١).

٣٥ - **علم الطب**: علم تُعرف به أحوال بدن الإنسان من صحة ومرض ومزاج وأخلاط وغيرها، مع أسبابها من المآكل وغيرها (ص٢١١).

٣٦ - **علم الميقات**: علم عُرف به أزمنة الأيام والليالي وأحوالها (ص٢١١).

٣٧ - **علم النواميس**: علم تُعرف به حقيقة النبوة وأحوالها، ووجه الحاجة إليها. والناموس يُقال للوحي وللملك النازل به وللسنة (ص٢١١).

٣٨ - **علم الفلسفة**: ويُسمى عند بعضهم علم الأخلاق (ص٢١١).

٣٩ - **علم الكيمياء**: علم بأصول يُعرف بها معدن الذهب والفضة (ص٢١٢).

٤٠ - **علم المساحة**: استخراج مقدار أرض معلومة بنسبة ذراع أو غيره (ص٢١٢).

٤١ - **علم البيطرة**: علم بأصول تُعرف بها أحوال الدواب من صحة أو مرض (ص٢١٢).

٤٢ - **علم الفلاحة**: معرفة أحوال النبات من حيث تنميته بالسقي والعلاج (ص٢١٢).

٤٣ - **علم السحر والطلسمات**: علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على ظهور التأثير في عالم العناصر، إما بلا مُعين أو بمُعين سماوي. والأول السحر والثاني الطلسمات (ص٢١٢).

٤٤ - **علم الفراسة**: مُعاينة المغيبات بالأنوار الربانية بسبب تصور آثار الصور (ص٢١٢).

٤٥ - **علم تعبير الرؤيا**: علم يُعرف به استدلال من المُتخيلات على ما شاهدته النفس في حالة النوم من عالم الغيب، فخيَّلته القوة المُخيِّلة بمثال يدل عليه في عالم الشهادة (ص٢١٣).

المخطوطة الخامسة

تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مُؤدب الأطفال

تأليف: ابن حجر الهيثمي

التعريف بالمؤلف:

هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكِّي الأزهري الجندي السعدي المولود في محلة الهيثم في غربي مصر سنة (٩١١هـ) وهو من علماء الشافعية. درس في الأزهر حتى سنة (٩٢٤هـ)، ثم رحل إلى مكة المكرمة في سنة (٩٣٣هـ) حيث أقام حتى سنة (٩٤٠هـ). وتوفي سنة (٩٧٣هـ). له العديد من الكتب ذكر منها بروكلمان ثلاثة وستين عنوانًا بينها كتب مطبوعة مشهورة مثل: **جامع الفوائد في جامع الأصول ومجمع**

الزوائد، والفتاوى الحديثة، والصواعق المحرقة، والزواجر عن اقتراف الكبائر.

عرض المخطوطة:

تتكون المخطوطة من سبعة مقاصد وخاتمة (ص٢١٥ - ٢٦٤):

يتناول **المقصد الأول** الأحاديث الدالة على شرف أهل القرآن (ص٢٢٢ - ٢٢٤). ويتناول **المقصد الثاني** بعض الأحاديث الواردة في فضائل معلمي القرآن ومتعلميه (ص٢٢٤ - ٢٣٠).

ويتناول **المقصد الثالث** الأحاديث الدالة على جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن والرقية ونحوهما (ص٢٣٠ - ٢٣٣).

ويتناول **المقصد الرابع** الأحاديث الدالة على امتناع أخذ الأجرة على تعليم القرآن (ص٢٣٣ - ٢٣٥).

ويوضح **المقصد الخامس** اختلاف العلماء بالأخذ بالأحاديث التي ذكرها في المقصدين السابقين (ص٢٣٥ - ٢٤٠).

ويوضح **المقصد السادس** حد نظر المعلم إلى الأمرد المتعلم. حيث يذكر المؤلف أنه على المعلم صون نظره عن الأمرد الحسن ما أمكن، وإن جاز له إذا كان لمحض التعليم، من غير شهوة ولا خوف ولا فتنة؛ لأنه ربما أداه إلى ريبة أو فتنة. فيتعين فطم النفس عنه ما أمكن (ص٢٤٠ - ٢٤٤).

ويتناول **المقصد السابع** بعض الأسئلة التي أثارها معلمو الصبيان والأجوبة عنها. مثل: قرر ناظر مكتب موقوف على عدة أيتام أن يحضر فقيهًا لقراءتهم وتأديبهم، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أو لا؟ وهل يلزمه ذلك من ماله بأن يستأجر من يُحضر غائبهم، أو من مال الوقف أو لا؟ وهل له أن يُرسل بعضهم خلف بعض لإحضار من يغيب وهرب منهم أو لا؟ وهل يلزمه إعلام الناظر بمن غاب منهم؟ وهل له ضرب من شرُد منهم أو أخذ شيئًا من الغير أو ضربه وسبَّه؟

ويجيب المؤلف أنه لا يلزم المعلم في واحدة منها إحضار الأولاد، ولكن ينبغي أن لا يتقاضى أجره كاملًا بل يخصم أجرة تعليم الأولاد المتغيبين. ويلزمه إعلام الناظر ونائبه بأسماء المتغيبين. أما عن جواز ضرب المتعلمين فيذكر أنه لا يجوز ضرب الصغير إلا إن أذن له أب، فجدٌّ، فوصيٌّ، فقيِّم، فأُمٌّ ونحوها مما مر (ص٢٥٥)، ويلزم الفقيه

أن يتقي في ضربه الوجه والمقاتل مثل الفرج وتحت الأذن عند ثغرة النحر، وأن يكون مفرقًا لا مجمعًا في محل واحد، وأن يكون بين الضربتين زمن يخفُّ فيه الألم الأول، وأن لا يرفع السوط؛ كيلا يعظم ألمه، ولا يضعه عليه وضعًا لا يتألم به. ويجب في نحو السوط أن يكون معتدل الحجم، فيكون بين القضيب والعصا، وأن يكون معتدل الرطوبة فلا يكون رطبًا فيشق الجلد، ولا شديد اليبوسة فلا يؤلمه لخفته (ص٢٥٧).

الخلاصة:

نستشف من النص المفاهيم النفسية الآتية:

- **الفروق الفردية Individual Differences.**
- **المهارات الاجتماعية Social Skills.**
- **الدعم Reinforecement.**
- **الدعم الإيجابي Positive Reinforcement.**
- **العقاب Punishment.**
- **سمات شخصية المعلم Personality Traits of Teacher.**
- **المهارات المهنية للمعلم Professional Skills of Teacher.**
- **علم الفراسة Phrenology.**
- **علم تعبير الرؤيا interpretation of dreams.**

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

تعليم المتعلم طريق التعلم



○ تأليف/ الزرنوجي برهان الإسلام.

○ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

يُنسب الإمام برهان الإسلام الزرنوجي (٥٣٩ - ٦٢٠هـ) إلى زرنوج، وهي من بلاد الترك. ويُقال إنه بلد مشهور وراء النهر من أعمال تركستان. وهو سنِّي حنفي المذهب من علماء القرن السادس الهجري. وهذا الكتاب هو كتابه الوحيد الذي طالعنا به التراث حتى الآن. ويعد بمثابة أساس للأسلوب التعليمي المتبع في المدارس القرآنية والمجالس العلمية في قطاعات من الأقطار الإسلامية. فكانت دراسته تُقرَّر على التلاميذ في السنوات الأولى للتعليم ليجعلوه دستورًا يعملون بإرشاداته وتوجيهاته.

عرض الكتاب:

يعتمد العرض على مطبوعة محمد عبد القادر أحمد (٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط)، المحققة من عدة نسخ. وتحتوي المطبوعة بدون مقدمة المحقق وثلاثة فهارس (فهرس الأحاديث النبوية، وفهرس الأعلام، وفهرس البلدان)، على خطبة وثلاثة عشر فصلًا، بيانها كالتالي:

الفصل الأول ويتناول ماهية العلم Definition of Science (ص٨٣ - ٩١) إجمالًا، مبينًا ما يُعدُّ منه فرض عين **Obligatory for All Moslems** (ص٨٣)، واجب الأداء على كل مسلم ومسلمة، ولا يسقط عن البعض، بإقامة البعض له (كالإيمان والصلاة)، ويأثم تاركه (وهذا ما يسميه **علم الحال**، أي علم ما يقع له في حاله في أي حال كان، كالصلاة يُفترض عليه علم ما يقع له فيها بقدر ما يؤدي به فرضها)؛ **وما يُعدُّ منه فرض كفاية Not Obligatory if One Does it** (ص ٨٨)، واجب يلزم جميع المسلمين إقامته، ويسقط عن الآخرين، بإقامة البعض له (وهو ما يطلق عليه **علم بعض الأحايين**، كالجهاد وصلاة الجنازة). ثم يعرض تفصيلًا لفضل العلم عمومًا والفقه خصوصًا تحريضًا على

طلبهما. ويوضح أن خير العلوم علم التوحيد ثم الفقه (نظرًا لأنه العلم الذي يبيِّن الشرائع والأحكام، الهادي إلى سنن الهدى المُنَجِّي من جميع الشدائد). والعلوم من بعده على مراتب من الأهمية بدءًا من علم العربية حتى علم النجوم الذي يُحذَّر من سوء استخدامه إلا إذا تعلم منه قدر ما يعرف به القبلة وأوقات الصلاة فذلك جائز. وأما تعلم علم الطب فيجوز؛ لأنه سبب من الأسباب، فيجوز تعلمه كسائر الأسباب.

وجواز العلوم على شرطين: أولهما، أن تكون وسيلة لمعرفة الأحوال الدينية؛ وثانيهما، أن تكون سببًا من الأسباب، فيجوز تعلمها كسائر الأسباب. فالطب، مثلًا، يجوز تعلمه لكونه علة لجواز التداوي.

ويؤكد **الفصل الثاني أهمية النيَّة Intention** (ص٩٢ - ٩٧) في طلب العلم. فربما تصير أعمال الدنيا بحسن النية من أعمال الآخرة، والعكس صحيح، كالأعمال التي تؤدَّى على وجه الرياء. ومن **الآداب والأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم Student Ethics** (ص٩٢ - ٩٧):

١ - أن ينوي بطلب العلم رضا اللّٰه تعالى، وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال، وإحياء الدين وإبقاء الإسلام (ص٩٢ - ٩٣).

٢ - ألا يتبع عالمًا متهتكًا يأتي رديء الأفعال ولا يبالي الافتضاح وإن صح معتقده، وأسوأ منه أن يتبع جاهلًا متنسكًا، أي مقلّدًا في معتقده جاهلًا في أفعاله وأقواله، فهو فاسد في الاعتقاد والعمل جميعًا.

٣ - أن لا ينوي بطلب العلم الرياء (إقبال الناس إليه) (ص٩٣).

٤ - أن تصير عنده لذة العلم والعمل به أعز الأشياء، فلا يرغب فيما عند الناس (ص٩٤).

٥ - أن يفوق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنفيذ الحق وإعزاز الدين لديه جاه إقبال الناس وعطاءهم (ص٩٤).

٦ - ألا يطلب الحياة بالعلم إلا بقدر ما يقيم به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص٩٤).

٧ - أن يعلم أن تمام الذِّلة في طلب الدنيا بما بذله من جهد كبير في طلب العلم (ص٩٤).

٨ - أن يكون متواضعًا، والتواضع وسط بين التكبر والمذلة (لئلَّا يُستخَف بالعلم وأهله) (ص٩٥).

ويعرض الفصل الثالث أربعة عناصر واجبة على طالب العلم، وهي: اختيار العلم واختيار الأستاذ والثبات عليهما واختيار الشريك (الزميل) (ص٩٨ - ١٠٥).

(١) **اختيار العلم** (ص ٩٩): ينبغي عليه أن يختار من كل علم ما يتصل بما عليه من فروض، مقدِّمًا عليها جميعًا علم التوحيد. كما ينبغي له معرفة اللَّه بالاستدلال من الأثر إلى المؤثر لا بتقليد الآباء. وينبغي له كذلك أن يختار من العلم عتيقة (علم النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان) دون محدثه (كعلم المنطق)، مما يصرفه عما يهمه من علم الفقه.

(٢) **اختيار الأستاذ Tutor** (ص ١٠٠): وهنا ينبغي لطالب العلم أمران:

١ - مشاورة العقلاء في أمر التلمذ واختيار الأستاذ.

٢ - اختيار الأستاذ الأعلم والأورع والأسن والثبات عليه حتى ينبت وينمو إلى أن يبلغ مرتبة الاجتهاد.

(٣) **الثبات Stability والمثابرة Persistency على العلم والأستاذ** (ص١٠٠): حيث ينبغي لطالب العلم:

١ - التريث في اختيار الأستاذ على سبيل الوجوب، حتى لا يعود فيتركه فلا يُبَارك في التعلم.

٢ - الثبات على الأستاذ، والثبات على الكتاب حتى يتمه، وعلى فن من فنون العلم حتى يتقنه.

٣ - الصبر على المحن التي تظهر له في طريق التعلم. قيل أن « علي بن أبي طالب » كرم اللَّه وجهه ورضي عنه قال:

ألا لا تنال العلم إلا بستة	**سأنبيك عن مجموعها ببيان**
ذكاء وحرص واصطبار وبلغة	**وإرشاد أستاذ وطول زمان**

(٤) **وبالنسبة لاختيار الشريك أو الزميل في العلم Colleague** (ص ١٠٣): فينبغي لطالب العلم اختيار الشريك المجد الورع صاحب الطبع المستقيم، والفرار من الكسلان المعطِّل كثير الكلام المفسد الفتان، فكم صالح بفساد آخر يفسد. ويبرهن على ذلك

حديث رسول اللَّه ﷺ: « **كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يُمجِّسانه** »، وإلا فالخلقة التي خلق اللَّه الناس عليها سالمة من الفساد.

أما **الفصل الرابع** فيتناول أربعة عناصر، هي: **تعظيم العلم والمعلم والكتاب والزملاء** (ص١٠٦ - ١١٦)، كالآتي:

(١) **تعظيم العلم** (ص١٠٦): فما وصل الواصل مطلوبًا إلا بالحرمة والتعظيم (للأستاذ والعلم ومداخل تحصيل المطلوب) وما سقط من سقط إلا بترك الحرمة والتعظيم.

(٢) **توقير المعلم** (ص١٠٦): فلا ينبغي لطالب العلم المشي أمامه ولا الجلوس مكانه ولا ابتداء الكلام عنده إلا بإذنه ولا إكثار الكلام عنده ومراعاة وقته، وذلك طلبًا لرضاه وتجنبًا لسخطه وامتثالًا لأمره في غير معصية اللَّه تعالى. إن تعظيم المعلم تعظيم للعلم، حتى أن «عليًّا» كرم اللَّه وجهه قال: « أنا عبد من علمني حرفًا واحدًا، إن شاء باع وإن شاء أعتق، وإن شاء استرقَّ »، وهذا كمال التعظيم.

(٣) **تعظيم الكتاب** (ص١١١)، لا ينبغي لطالب العلم أن يأخذ الكتاب إلا بوضوء، ولا يمد الرجل إليه، وأن يضع كتب التفسير فوق سائر الكتب، ولا يضع على الكتاب شيئًا آخر.

(٤) **تعظيم الشركاء ومن يُتعلَّم منه** (ص١١٣): ينبغي لطالب العلم أن يتودد إلى أستاذه وشركائه ويستفيد منهم (والتملق مذموم إلا في طلب العلم). كما ينبغي له أن يستمع للعلم والحكمة بالتعظيم والحرمة وإن سمع مسألة واحدة وكلمة واحدة ألف مرة. وأن يفوض أمر اختيار نوع العلم إلى الأستاذ، فقد حصلت له التجارب في ذلك وعرف ما ينبغي لكل أحد وما يليق بطبيعته. ولا ينبغي - كذلك - لطالب العلم أن يجلس قريبًا من الأستاذ بغير ضرورة، بل ينبغي أن يكون بينه وبين الأستاذ قدر طول القوس. فينبغي أن يحترز طالب العلم عن الأخلاق الذميمة.

أما **الفصل الخامس** فيتناول ما ينبغي لطالب العلم لتحصيل الكثير من مطلوبه (ص١١٧ - ١٣٣). فلزامًا له أن يكون جادًّا ومواظبًا وملازمًا، **فمن طلب شيئًا وَجَدَّ وَجَدَ، ومن قَرَعَ البابَ وَلَجَّ وَلَجَ**. وقيل بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى. **أما الكيفية أو الشروط التي يتحقق بها الجد في طلب العلم**، فتتمثل في سبع نقاط، على النحو الآتي:

١ - يحتاج التعلم والتفقه إلى جِدٍّ ثلاثة: المتعلم، والأستاذ، والأب.

٢ - أحق الناس بالهم امرؤ ذو همة يُبتلى بضيق العيش والألم، فمن رُزق الحجا حُرِم الغنى.

٣ - سهر الليالي تيقظًا وانتباهًا؛ لأنه من المشاق التي تُتَحمل في طلب العلم.

٤ - المواظبة على التكرار في أول الليل وآخره، فإن ما بين العشاءين ووقت السحر وقت مبارك.

٥ - لزوم الورع والتحرز عن الحرام وترك الشبع واغتنام أيام الحداثة والشباب والرفق بالنفس.

٦ - علو الهمة، فإن المرء يرتقي بهمته كالطير يطير بجناحيه.

٧ - اقتران الجد والمواظبة دون انفرادهما.

وتُخْرِج **المواظبة والمثابرة Persistency** على الدرس المتعلم من البلادة والحمق (ص١١٧). وتتولد البلادة (الكسل) عن طريق البلغم والرطوبات في البدن، من جراء كثرة الطعام. فقد اتفق سبعون نبيًا على أن كثرة النسيان من كثرة البلغم وكثرة البلغم من كثرة شرب الماء وكثرة شرب الماء من كثرة الأكل. ويزيد الحفظ والفصاحة بقطع البلغم. ويتحقق تقليل البلغم عن طريق الآتي:

١ - أكل الخبز اليابس وأكل الزبيب على الريق بدون إكثار واستعمال السواك والتقيؤ.

٢ - التأمل في منافع قلة الأكل وهي الصحة والعفة والإيثار.

٣ - التأمل في مضار كثرة الأكل وهي الأمراض وكلالة الطبع. فالبطنة تذهب الفطنة.

ويعرض **الفصل السادس** (ص١٣٤ - ١٤٩) لثلاث مسائل، وهي:

(١) **بداية السبق** (ص١٣٤): والسبق هو قدر الجزء المتعلم أو المدروس الذي يمكن تعلمه وحفظه والتمكن منه (أي، ضبطه)، وكان الشيوخ يوقفونه على يوم الأربعاء، استدلالًا بحديث رسول اللّه ﷺ: « **ما من شيء بدئ يوم الأربعاء إلا وقد تم** ». فكانوا يوقفون كل عمل من أعمال الخير على يوم الأربعاء؛ لأنه يومُ خُلِقَ فيه النور.

(٢) **قدر السبق في الابتداء** (ص١٣٥): ينبغي أن يكون بقدر ما يمكن حفظه وتعلمه بالإعادة مرتين، ثم يُزيد كل يوم كلمة حتى وإن طال وكثر يمكن حفظه بالإعادة مرتين ويزيد بالرفق والتدريج. وإذا طال السبق في الابتداء واحتاج المتعلم إلى الإعادة عشر مرات فهو في الانتهاء كما في الابتداء يحتاج إلى الإعادة الكثيرة؛ لأنه يعتاد ذلك ولا يترك

تلك العادة إلا بجهد كثير. وينبغي الابتداء بما هو أقرب إلى الفهم وسهل التعلم.

(٣) **ترتيب السبق** (ص١٣٦): لا بد لطالب العلم من المذاكرة والمناظرة والمطارحة. ويتم هذا بالإنصاف والتأني والتأمل والتحرز عن الشغب. ولا تجوز الحيلة في المناظرة إلا إذا كان الخصم متعنتًا لا طالبًا للحق، بل لا تجوز المناظرة مع متعنت. **والمناظرة والمطارحة** (ص١٣٩) (مشاورة تتحقق بالتأمل والتأني والإنصاف، بهدف استخراج الصواب وإظهار الحق؛ وهما أضداد الغضب والشغب والتعنت والتمويه والحيلة) أكثر فائدة من مجرد التكرار. وينبغي لطالب العلم أن يكون **متأملًا Speculative** في جميع الأوقات في دقائق العلوم ويعتاد ذلك فإنما تُدرك الدقائق بالتأمل. وينبغي لطالب العلم أن يكرر سبق الأمس خمس مرات، وسبق اليوم الذي قبل الأمس أربع مرات، والسبق الذي قبله اثنين، والذي قبله واحدًا، فهذا أدعى للحفظ، ولا ينبغي له اعتياد المخافتة في التكرار؛ لأن الدرس والتكرار ينبغي أن يكون بقوة ونشاط ولا يجهر جهرًا، ولا يجهد نفسه كي لا ينقطع عن التكرار.

أما **الفصل السابع** فيتناول **تفويض الأمر إلى اللّٰه تعالى والتوكل عليه في طلب العلم** (ص١٥٠ – ١٥٣). فلا ينبغي لطالب العلم الاهتمام بأمر الرزق وألا يشغل قلبه بذلك. ولا بد له من تحمل المشقة والنصب في سفر التعلم، وهو أفضل من الغزوات عند أكثر العلماء، والأجر على قدر التعب والنصب. فمن صبر على التعب والنصب وجد لذة العلم تفوق سائر لذات الدنيا.

ويبين **الفصل الثامن زمن تحصيل العلم** (ص١٥٤، ١٥٥)، وهو يمتد من المهد إلى اللحد. وأفضل أوقات طلب العلم شرخ الشباب (أوله)، ووقت السحر، وبين العشاءين. وينبغي أن يستغرق طلب العلم جميع أوقات المتعلم، فإذا مل من علم اشتغل بآخر.

ويقدم **الفصل التاسع مجموعة من النصائح تتصل بخُلُق طالب العلم** (ص١٥٦ – ١٦٠) **Student Ethics**، تتمثل في:

١ – أن يكون مشفقًا ناصحًا غير حاسد، فالحسد يضر ولا ينفع.

٢ – ألا ينازع أحدًا حفظًا لوقته. قيل: المحسن سيُجزَى بإحسانه، والمسيء سيكفيه مساويه.

٣ – أن يلزم الاشتغال بمصالح نفسه لا بقهر عدوه. ففي أداء مصالح نفسه قهر عدوه.

ويركز **الفصل العاشر على سبيل المتعلم إلى الكمال في العلم** (ص١٦١ - ١٦٣)، وهو الاستفادة في كل وقت. وسبيل طالب العلم إلى الاستفادة في كل وقت أن يكتب ما يسمع من الفوائد العلمية. قيل: من حفظ فَرَّ (فر منه ما حفظ) ومن كتب شيئًا قَرَّ (استقر له ما كتب). وقيل: العلم ما يؤخذ من أفواه الرجال؛ لأنهم يحفظون أحسن ما يسمعون، ويقولون أحسن ما يحفظون. فعن « هلال بن يسار » قال: رأيت النبي ﷺ يقول لأصحابه شيئًا من العلم والحكمة، فقلت: يا رسول اللّه أعد لي ما قلت لهم، فقال لي: « **هل معك محبرة؟** » **فقلت: ما معي محبرة، فقال النبي ﷺ: « يا هلال لا تفارق المحبرة فإن الخير فيها وفي أهلها إلى يوم القيامة** ». ووصى أحدهم ابنه أن يحفظ كل يوم يسيرًا من العلم والحكمة، فإنه يسير وعن قريب يكون كثيرًا. ولا بد لطالب العلم من تحمل المشقة والمذلة في طلب العلم، ولا بد له من التودد إلى الأستاذ والشركاء وغيرهم للاستفادة منهم. قيل: العلم عز لا ذل فيه لا يُدرك إلا بذل لا عز فيه.

ويتناول **الفصل الحادي عشر التورع في طلب العلم Devoutness** (ص١٦٤ - ١٦٨). ويتحقق هذا الورع بجملة من الأفعال، وهي:

١ - التحرز عن الشبع وكثرة النوم وكثرة الكلام فيما لا ينفع.

٢ - التحرز عن أكل طعام السوق إن أمكن؛ لأنه أقرب إلى الخباثة وأبعد عن ذكر اللّه تعالى، ولأن أبصار الفقراء تقع عليه ولا يقدرون على الشراء منه فيتأذون بذلك فتذهب بركته.

٣ - التحرز عن الغيبة ومجالسة كثير الكلام.

٤ - اجتناب أهل الفساد والمعاصي والتعطيل لئلّا يتأثر بهم.

٥ - الجلوس مستقبلًا القبلة ومستنًّا بسنة النبي ﷺ.

٦ - اغتنام دعوة أهل الخير والتحرز عن دعوة المظلومين.

٧ - عدم التهاون بالآداب والسنن، فإن من تهاون بالآداب حُرِم السنن، ومن تهاون بالسنن حُرِم الفرائض، ومن تهاون بالفرائض حُرِم الآخرة.

٨ - الإكثار من صلاة النوافل والتطوعات، صلاة الخاشعين.

ويتناول **الفصل الثاني عشر أهم أسباب الحفظ Remembering والنسيان Forgetting** (ص١٦٩ - ١٧٣). فأما أقوى أسباب الحفظ فالجد والمواظبة وتقليل الغذاء وصلاة

الليل وقراءة القرآن. وكذلك، استعمال السواك وشرب العسل وأكل الكندر مع السكر وأكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء كل يوم على الريق، واستعمال كل ما يقلل البلغم والرطوبات. وأما ما يورث النسيان فالمعاصي وكثرة الذنوب والهموم والأحزان في أمور الدنيا وكثرة الأشغال والعلائق.

ويقدِّم **الفصل الثالث عشر**، والأخير، **ما يُزيد ويُنقص كل من الرزق والعمر** (ص ١٧٤ - ١٨٣). فيذكر أنه لا بد لطالب العلم من القوتَ ومعرفة ما يُزيده وما يُزيد في العمر والصحة ليتفرغ لطلب العلم. ويوجزها في ثلاث نقاط، هي:

١ - **ما يورث الفقر** (ص١٧٤): ارتكاب الذنب، والكذب، ونوم الصُّبحة، وكثرة النوم، ونوم الليل والنوم عريانًا، والأكل جُنُبًا ومتكئًا على جنب، والتهاون بسقاط المائدة، وحرق البصل والثوم، وترك القمامة في البيت، والمشي أمام كبار السن، ونداء الأبوين باسمهما وإزالة بلله بالثوب، وترك بيت العنكبوت في البيت، والتهاون بالصلاة، وإسراع الخروج، من المسجد بعد صلاة الفجر، والتبكير في الذهاب إلى السوق، والإبطاء في الرجوع منه، ودعاء الشر على الولد، وترك ستر الأواني، وترك الدعاء بالخير للوالدين، والتعمُّم قاعدًا، والتسرول قائمًا، والبخل، والتقتير، والإسراف، والكسل، والضعف، والتهاون في الأمور.

٢ - **ما يورث الغنى** (ص١٧٧): الصدقة، والبكور، وبسط الوجه، وطيب الكلام، وإقامة الصلاة بالتعظيم والخشوع، وتعديل الأركان، وصلاة الضحى، وقراءة سورة الواقعة خصوصًا بالليل وقت النوم، وقراءة سورة الملك والمزمل والغاشية والشرح، وحضور المسجد قبل الأذان، والمداومة على الطهارة، وأداء سنة الفجر والوتر في البيت، وعدم الإكثار من مجالسة النساء إلا عند الحاجة، ولا يتكلم بلغو غير مفيد لدينه ودنياه، وأن يقول كل يوم بعد انشقاق الفجر إلى وقت الصلاة « سبحان اللّه العظيم. سبحان اللّه وبحمده. استغفر اللّه وأتوب إليه » (مائة مرة)، وأن يقول « لا إله إلا اللّه الملك الحق المبين » صباحًا ومساءً (مائة مرة)، وأن يقول بعد الفجر وبعد صلاة المغرب كل يوم « الحمد للّه وسبحان اللّه ولا إله إلا اللّه » (ثلاثًا وثلاثين مرة)، وأن « يستغفر اللّه تعالى » (سبعين مرة) بعد صلاة الفجر، وأن يكثر من قول « لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، والصلاة على النبي ﷺ »، وأن يقول يوم الجمعة « اللّهم أغنني بحلالك عن حرامك واكفني بفضلك عمن سواك » (سبعين مرة)، وأن يقول كل يوم وليلة « أنت

اللّه العزيز الحكيم، أنت اللّه الملك القدوس، أنت اللّه الحليم الكريم، أنت اللّه خالق الخير والشر، أنت اللّه خالق الجنة والنار، عالم الغيب والشهادة، عالم السر وأخفى، أنت اللّه الكبير المتعال... له الأسماء الحسنى يسبح له من في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم».

٣ - **ما يُزيد في العمر** (ص١٨٣): البر، وترك الأذى، وتوقير الشيوخ، وصلة الرحم، وأن يقول حين يصبح وحين يمسي ثلاثًا: «سبحان اللّه ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش»، وإسباغ الوضوء، والصلاة بالتعظيم، والقِران بين الحج والعمرة، وحفظ الصحة، وتعلم شيء من الطب.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **ماهية العلم Definition of Science.**
- **علم الحال (علم فرض العين) Obligatory for all Moslems.**
- **علم بعض الأحايين (علم فرض الكفاية) Not Obligatory if One Does It.**
- **النية في طلب العلم Intention.**
- **آداب المتعلم Student Ethics.**
- **اختيار العلم Specialization.**
- **اختيار الأستاذ Tutor.**
- **الثبات Stability والمثابرة Persistency على العلم.**
- **اختيار الشريك أو الزميل في العلم Colleague.**
- **التأمل Speculation.**
- **أسباب الحفظ والنسيان Remembering and Forgetting.**

القائم بالعرض

د. فؤاد أبو المكارم

* * *

تهذيب الأخلاق



- تأليف/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.
- عنى بنشره: محمد كرد علي.
- دمشق: مطبعة البطريركية الأرثوذكسية (١٩٢٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني الليثي البصري (١٥٩ - ٢٥٥هـ) أديب عربي ومفكر من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، وُلد في البصرة وتوفي فيها. كانت ولادة الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين، ووفاته في خلافة المهتدي باللَّه سنة (٢٥٥هـ). نشأ فقيرًا، وطلب العلم في سن مبكّرة، فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده، ولكن اليتم والفقر حال دون تفرغه لطلب العلم، فصار يبيع السمك والخبز في النهار، ويكتري دكاكين الورّاقين في الليل فكان يقرأ منها ما يستطيع قراءته. أخذ علم اللغة العربية وآدابها على أبي عبيدة صاحب عيون الأخبار، والأصمعي الراوية المشهور صاحب الأصمعيات وأبي زيد الأنصاري، ودرس النحو، وعلم الكلام. وكان متصلًا - بالإضافة لاتصاله بالثقافة العربية - بالثقافات غير العربية كالفارسية واليونانية والهندية، عن طريق قراءة أعمال مترجمة أو مناقشة المترجمين أنفسهم، كحنين بن إسحق وسلمويه. ولكن الجاحظ لم يقصر مصادر فكره ومعارفه على الكتب؛ إذ العلم الحقُّ لا يؤخذ إلا عن مُعلم، فتتلمذ على أيدي كثير من المعلمين العلماء واغتنى فكره من اتصاله بهم. وتكوَّنَتْ لدى الجاحظ ثقافةٌ هائلةٌ ومعارفُ طائلةٌ عن طريق التحاقه بحلقات العلم بالمسجد التي كانت تجتمع لمناقشة عددٍ كبيرٍ وواسعٍ من الأسئلة، وبمتابعة محاضرات أكثر الرِّجال علمًا في تلك الأيَّام، في فقه اللغة وفقه النَّحو والشِّعر. وسرعان ما حصَّل الأستاذيَّة الحقيقيَّة في اللغة العربيَّة بوصفها ثقافةً تقليديَّة، ومَكَّنهُ ذكاؤُه الحادُّ من ولوج حلقات المعتزلة حيث المناقشات الأكثر بريقًا، والمهتمَّة بالمشكلات التي تواجه المسلمين، وبالوعي الإسلامي في ذلك الوقت.

وترك كتبًا كثيرة يصعب حصرها، وإن كان البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء أشهر هذه الكتب. وكتب في علم الكلام، والأدب، والسياسية، والتاريخ، والأخلاق، والنبات، والحيوان، والصناعة، والنساء، وغيرها. وقد انتهج الجاحظُ في كتبه ورسائله أسلوبًا بحثيًّا أقلُّ ما يقال فيه: إنَّهُ منهجُ بحث علميّ مضبوطٌ ودقيقٌ، يبدأ بالشَّك ليُعْرَضَ على النَّقد، ويمرُّ بالاستقراء على طريق التَّعميم والشُّمول بنزوعٍ واقعي وعقلَانيٍّ.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٦٠) صفحة. يستهل الكاتب الكتاب ببيان أهمية التحلي بمكارم الأخلاق. فيذكر الجاحظ: « أول ما اختاره الإنسان لنفسه، ولم يقف دون بلوغ غايته، ولم يرض بالتقصير عن نهاية تمامه وكماله؛ ومن تمام الإنسان وكماله: أن يكون مرتاضًا بمكارم الأخلاق ومحاسنها، ومتنزهًا عن مساويها ومقابحها، آخذًا في جميع أحواله ما بين الفضائل عادلًا في كل أفعاله عن طرق الرذائل » (ص٦). ثم يبين ما الخُلق وما علته (ص٧ - ٩). الخُلق هو حال النفس التي بها يفعل الإنسان أفعاله بلا روية ولا اختيار. والخُلق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعًا، وفي بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعمُّل، وكالشجاعة والحُلم، والعفة، والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة. ويوجد في كثير من الناس ذلك، فمنهم من يصير إليه بالرياضة، ومنهم من يبقى على عاداته، ويجرى على سيرته (ص٩).

وتكون الأخلاق إما مذمومة أو محمودة. فأما الأخلاق المذمومة فإنها موجودة في كثير من الناس كالبُخل، والجُبن، والظلم، والتشرر، فإن هذه العادات غالبة على أكثر الناس، مالكة لهم؛ بل قلَّما يوجد في الناس من يخلو من خُلق مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاضلون في ذلك (ص٩). وكذلك في الأخلاق المحمودة، قد يختلف الناس ويتفاضلون، إلا أن المجبولين على الأخلاق الجميلة قليلون جدًّا. فأما المجبولون على الأخلاق السيئة فأكثر الناس؛ لأن الغالب على طبيعة الإنسان الشر. ويُنبه الجاحظ إلى أن هناك فروقًا فردية بين الناس في قابليتهم لتعديل أخلاقهم المكروهة، وفي النواتج المتوقعة من تعديل أخلاقهم، فيذكر: « فالأخلاق المكروهة في طباع الناس، إلا أن فيهم من يتظاهر بها، وينقاد لها. وهم شرار الناس. وفيهم من يُنبه بجودة الفكر، وقوة التمييز على قُبحها، فيأنف منها، ويتصنع لاجتنابها، وذلك يكون عن طبع كريم، ونفس شريفة.

وفيهم من لا ينتبه لذلك، إلا أنه إذا نُبه عليه أحس بقبحه، فربما حمد نفسه على تركه. وفيهم من إذا تنبه لما فيه من النقائص، أو نبه عليها، ورام العدول عنها، تعذر عليه ذلك، ولم يُطاوعه طبعه، وإن كان مُؤثرًا للعدول عنها مجتهدًا في ذلك. وهذه الطائفة تحتاج أن تُرشد إلى طريق التدرب، والتعمل للعادات المحمودة، حتى تصير إليها على التدريج. ومن الناس من ينتبه على الأخلاق الرديئة أو ينبه عليها فلا يحن إلى تجنبها، ولا تسمح نفسه لمفارقتها، بل يُؤثر الإصرار عليها مع علمه برداءتها وقبحها. وهذه الطائفة ليس إلى تهذيبها طريق إلا بالقهر، والتخويف، والعُقوبة إن لم يردعها الترهيب. فأما الأخلاق المحمودة فإنها وإن كانت في بعض الناس غريزة، فليست في جميعهم، وإن الباقين قد يمكن أن يصيروا إليها بالتدرب والرياضة، ويترقوا إليها بالاعتياد، والإلف، ومع هذه الحال فقد يكون في الناس من لا يقبل طبعه العادات الحسنة، ولا الخُلق الجميل، وذلك لرداءة جوهره، وهذه الطائفة من جملة الأشرار الذين لا يُرجى صلاحهم » (ص ١٠، ١١).

ويفسر الجاحظ منشأ هذه الاختلافات بين الأفراد، فيعزوها إلى النفس « فأما العلة الموجبة لاختلاف الأخلاق فهي النفس » (ص١١). وللنفس ثلاث قوى وهي: النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة. وجميع الأخلاق تصدر عن هذه القوى.

فأما النفس الشهوانية فهي للإنسان ولسائر الحيوان وهي التي يكون بها جميع اللذات، والشهوات الجسمانية كالقرم (شدة الشهوة) إلى المآكل والمشارب والمباضعة. وهذه النفس قوية جدًّا متى لم يقهرها الإنسان ويؤدبها، ملكته واستولت عليه. فإذا تمكنت هذه النفس من الإنسان وملكته كان بالبهائم أشبه منه بالناس (ص١٢). واتسم بعدة خصال منها: يقل حياؤه، ويكثر خرقُه، ويستوحش من أهل الفضل، ويميل إلى الخلوات، ويبغض أهل العلم، ويود أهل الفجور، ويستحب الفواحش، ويغلُب عليه الهزل، وكثرة اللَّهو، وربما حملته نفسه على الغصب، والتلصص، والخيانة. ومن تنتهي به شهواته إلى هذا الحد، فهو أسوأ الناس حالًا. وهو من الأشرار الذين يخاف خبثهم، ويستوحش منهم (ص١٢). وأما من ملك نفسه الشهوانية فيتسم بعدة خصال منها: أنه يكون ضابطًا لنفسه، عفيفًا في شهواته، مُحتشمًا من الفواحش، مُتوقيًا من المحظورات، محمود الطريقة في جميع ما يتعلق باللذات (ص١٣).

فالعلة الموجبة لاختلاف عادات الناس في شهواتهم ولذاتهم، وعفة بعضهم، وفجور بعضهم هو اختلاف أحوال النفس الشهوانية (ص١٣).

وأما النفس الغضبية فيشترك فيها أيضًا الإنسان وسائر الحيوان، وهي التي بها يكون الغضب، والجرأة، ومحبة الغلبة. وهذه النفس أقوى من النفس الشهوانية، وأضر لصاحبها إذا ملكته، وانقاد لها، فإن الإنسان إذا انقاد للنفس الغضبية كثر غضبه، وظهر خرقه، واشتد حقدهُ، وعدم حلمه، وقويت جُرأته، وتسرع عند الغضب إلى الانتقام، والإيقاع بمغضبه (ص١٣، ١٤). ويتسم من تملكه النفس الغضبية بعدة خصال منها: أنه يكون بالسباع أشبه منه بالناس، ويكون مُحبًّا للغلبة، متوثبًا على من آذاه، ويغلب على من هذه حاله الحسد، والقحة، واللجاج، والجُور، واكتساب الأموال من غير وجهها. أما من ساس نفسه الغضبية، وأدبها فيكون حليمًا، وقورًا، عادلًا، محمود الطريقة (ص١٤، ١٥).

وأما النفس الناطقة فهي التي بها يتميز الإنسان من جميع الحيوان. وهي التي بها يكون الفكر، والفهم، وبها تُستحسن المحاسن، وتُستقبح القبائح (ص١٥).

ويلفت الجاحظ الأذهان إلى أهمية السياق الاجتماعي، والقدوة في اكتساب الأخلاق فيذكر « وقد يكتسب الناس جميع الأخلاق جميلها، وقبيحها اكتسابًا، وذلك بحسب منشأ الإنسان، وأخلاق من يحيط به، ويشاهده، ويقرب منه، فالحدث والناشئ يكتسب الأخلاق ممن يكثر ملابسته، ومخالطته، ومن أبويه، وأهله، وعشيرته » (ص١٧).

أما أنواع الأخلاق وأقسامها؛ فمنها المُستحسن ويعد فضائل، والمُستقبح، ويعد رذائل. أما التي تعد فضائل فإن منها العفة، والتصوُّن، والتحفظ من الابتذال، والحُلم، والوقار، والرحمة، والوفاء، وكتمان السر (ص ١٨ - ٢٤).

وقد ورد في هذا الجزء تعريف المفاهيم الآتية:

١ - **العفة**: ضبط النفس عن الشهوات، وقسرها على الاكتفاء بما يقيم أود الجسد، ويحفظ صحته فقط، واجتناب السرف، والتقصير في جميع اللذات، وقصد الاعتدال (ص١٨).

٢ - **القناعة**: الاختصار على ما سنح من العيش، والرضا بما تسهل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال، وطلب المراتب العالية مع الرغبة في جميع ذلك، وإيثاره، والميل إليه، وقهر النفس على ذلك، والتقنع باليسير منه (ص١٨).

٣ - **التحفظ من التبذل**: التحفظ من الهزل القبيح، ومخالطة أهله، وحضور مجالسه، وضبط اللسان من الفحش، وذكر الخنا، والسخف وخاصة في المحافل، ومجالس المحتشمين (ص١٩).

٤ - **التصوُّن**: الانقباض من أدنياء الناس، وأصاغرهم، ومصادقتهم، والتحرز من المعايش الزرية، واكتساب الأموال من الوجوه الخسيسة، والترفع عن مسألة الحاجات لئام الناس وسفلتهم، والتواضع لمن لا قدر له، والإقلال من البروز من غير حاجة، والتبذل بالجلوس في الأسواق، وقوارع الطريق من غير اضطرار (ص١٩).

٥ - **الحُلم**: ترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة على ذلك (ص١٩).

٦ - **الوقار**: الإمساك عن فضول الكلام، والعبث، وكثرة الإشارة، والحركة، فيما يستغنى عن التحرك فيه، وقلة الغضب، والإصغاء عند الاستفهام، والتوقف عن الجواب، والتحفظ من التسرع، والمباكرة في جميع الأمور (ص١٩).

٧ - **الحياء**: غض الطرف، والانقباض عن الكلام حشمة للمستحيا منه (ص٢٠).

٨ - **الود**: المحبة المعتدلة من غير اتباع الشهوة (ص٢٠).

٩ - **الرحمة**: خُلق مركب من الود والجزع. والرحمة لا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، إما لنقيصة في نفسه، وإما محبة عارضة. فالرحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم (ص٢٠).

١٠ - **الوفاء**: الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه، ويرهن به لسانه، والخروج مما يضمنه وإن كان مجحفًا به، فليس يُعد وفيًّا من لم تلحقه بوفائه أذية وإن قلت (ص٢٠).

١١ - **أداء الأمانة**: التعفف عما يتصرف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض، والحرم مع القدرة عليه، ورد ما يستودع إلى مستودعه (ص٢١).

١٢ - **كتمان السر**: خُلق مركب من الوقار وأداء الأمانة (ص٢١).

١٣ - **التواضع**: ترك الترؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وتجنب المُباهاة، والمفاخرة بالجاه والمال (ص٢١).

١٤ - **البشر**: إظهار السرور بما يلقاه الإنسان من إخوانه وأصحابه ومعارفه، والتبسم عند اللقاء (ص٢٢).

١٥ - **صدق اللَّهجة**: الإخبار عن الشيء على ما هو به (ص٢٢).

١٦ - **سلامة النية**: اعتقاد الخير لجميع الناس، وتنكب الخبث، والغيلة، والمكر، والخديعة (ص٢٢).

١٧ - **السخاء**: بذل المال من غير مسألة ولا استحقاق (ص٢٣).

١٨ - **الشجاعة**: الإقدام على المكاره، والمهالك عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والاستهانة بالموت (ص٢٣).

١٩ - **المنافسة**: منازعة النفس إلى التشبه بالغير فيما يراه له، وهو يرغب فيه لنفسه، والاجتهاد في الترقي إلى درجة أعلى من درجته (ص٢٣).

٢٠ - **الصبر عند الشدائد**: خُلق مركب من الوقار والشجاعة وهو مستحسن جدًّا ما لم يكن الجزع نافعًا، ولا الحزن والقلق مُجديًا، ولا الحيلة والاجتهاد دافعة سورة تلك الشدائد (ص٢٣).

٢١ - **عظم الهمة (دافعية إنجاز)**: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلب الغايات، والتهاون بما يملكه وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان، ولا اعتداد به (ص٢٤).

٢٢ - **العدل**: القسط اللازم للاستواء،أي استعمال الأمور في مواضعها، وأوقاتها ووجوهها، ومقاديرها من غير سرف ولا تقصير أو تقديم و تأخير (ص٢٤).

وأما الأخلاق الرديئة التي تعد نقائص ومعايب فمنها الفجور، والشره، والتبذل، والخرق، والعشق، والخيانة، والنميمة، والكبر، والعبوس، والخُبث، والحسد، والجُور (ص٢٤ - ٣٠).

وقد ورد في هذا الجزء تعريف المفاهيم الآتية:

١ - **الشره**: الحرص على اكتساب الأموال وجمعها، وطلبها من كل وجه وإن قبح التعسف في اكتسابها (ص٢٥).

٢ - **التبذل**: إطراح الحشمة، وترك التحفظ، والإكثار من الهزل، ومخالطة السفهاء، وحضور مجالس اللَّهو، ومخالطة السفهاء، والتفوه بالخنا، وذكر الأعراض، والتكسب بالمعايش الزرية (ص٢٥).

٣ - **السَّفه**: ضد الحلم، وهو سرعة الغضب والطيش من يسير الأمور، والمُبادرة في البطش، والإيقاع بالمؤذي، والسرف والعقوبة، وإظهار الجزع من أدنى ضرر، والسب الفاحش (ص٢٥).

٤ - **الخرق**: كثرة الكلام، والتحرك من غير حاجة، وشدة الضحك، والمبادرة إلى الأمور من غير توقف، وسرعة الجواب (ص٢٥).

٥ - **القحَّة**: قلة الاحتشام لمن يجب احتشامه، والمجاهرة بالجوابات الفظة المستشنعة (ص٢٦).

٦ - **العشق**: إفراط الحب والسرف فيه (ص٢٦).

٧ - **القساوة**: خُلق مركب من البغض والشجاعة والقساوة. وهو التهاون بما يلحق الغير من الألم والأذى (ص٢٦).

٨ - **الغدر**: الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به (ص٢٦).

٩ - **الخيانة**: الاستبداد بما يؤتمن الإنسان عليه من الأمور والأعراض والحرم، وتملك ما يستودع، ومجاحدة مودعه (ص٢٦).

١٠ - **إفشاء السر**: هذا الخُلق مُركب من الخرق والخيانة (ص٣٧).

١١ - **النميمة**: أن يبلغ إنسانًا عن آخر قولًا مكروهًا (ص٢٧).

١٢ - **الكبر**: استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له (ص٢٧).

١٣ - **العُبُوس**: التقطيب عند اللقاء وقلة التبسم، وإظهار الكراهية. وهذا الخُلق مُركب من الكبر، وغلظ الطبع (ص٢٨).

١٤ - **الكذب**: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو به (ص٢٨).

١٥ - **الخُبث**: إضمار الشر للغير، وإظهار الخير له، واستعماله الغيلة، والمكر، والخديعة في المعاملات (ص٢٨).

١٦ - **الحقد**: إضمار الشر للجاني إذا لم يتمكن من الانتقام منه، وإخفاء ذلك الاعتقاد إلى أن تتاح الفرصة (ص٢٨).

١٧ - **البُخل**: منع المسترفد (طالب العطاء) مع القدرة على رفده (عطائه) (ص٢٩).

١٨ - **الجُبن**: الجزع عند المخاوف والإحجام عما تُحذر عاقبته أو لا تُؤمن مغبته (ص٢٩).

١٩ - **الحسد**: التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير، وما يجده فيه من الفضائل

والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له (ص ٢٩).

٢٠ - **الجزع عند الشدة**: هذا الخُلق مركب من الخرق والجبن (ص٢٩).

٢١ - **صغر الهمة**: ضعف النفس عن طلب المراتب العالية، وقصور الأمل عن بلوغ الغايات، واستكثار اليسير من الفضائل، واستعظام القليل من العطايا، والاعتداد به، والرضى بأوساط الأمور وأصاغرها (ص٢٨).

٢٢ - **الجور**: الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور، والسرف والتقصير، وأخذ الأموال من غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق الواجبة، وفعل الأشياء في غير مواضعها.

٢٣ - **حب الزينة**: التصنع بحسن البزة والمركوب والآلات، وكثرة الخدم والحشم (ص٣٠).

٢٤ - **حب الكرامة**: أن يُسرَّ الإنسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمد والثناء الجميل(ص٣٠).

٢٥ - **الزُّهد**: قلة الرغبة في الأموال، والأعراض، والادخار، وإيثاره القناعة بما يقيم الرمق، والاستخفاف بالدنيا ومحاسنها ولذاتها، وقلة الاكتراث بالمراكب العالية، واستصغار الملوك، وممالكهم وأرباب الأموال وأموالهم (ص٣٢).

ومن الأخلاق ما هو في بعض الناس فضيلة، وفى بعضهم رذيلة؛ فحب الزينة مثلًا مُستحسن من الملوك، والعظماء، والأحداث الظرفاء، والمتنعمين، والنساء، ولكنه مُستقبح من الرُّهبان، والزُّهاد، وأهل العلم (ص٣١).

ويوضح بعد ذلك كيفية رياضة النفس الشهوانية (ص٣٦ - ٣٩). يذكر الجاحظ عدة أساليب يمكن اتباعها لقمع النفس الشهوانية، فيذكر أنه ينبغي على من يرغب في رياضتها أن:

١ - يتذكر في أوقات شهواته، أنه يريد تذليل نفسه الشهوانية؛ فيعدل عما تاقت إليه من الشهوة الرديئة إلى ما هو مُستحسن من جنس تلك الشهوة (ص٣٦).

٢ - يُكثر من مجالسة الزُّهاد، والرُّهبان، والنُّساك، ويلازم مجالس الرؤساء، وأهل العلم (ص٣٦).

٣ - يُديم النظر في كتب الأخلاق والسياسة، وأخبار الزُّهاد، وأهل الورع (ص٣٧).

٤ – تجنب السُّكر، ومجالس المجاهرين بالشراب، والسُّكر، والخلاعة (ص٣٧).

٥ – يرتدع عن القبائح بالعقل والتمييز (ص٣٧).

٦ – يقل من استماع السُّماع، وخاصة النساء، والشابات (ص٣٨).

٧ – يكون متيقظًا ذاكرًا لما يلحق الفاجر، والنهم، والشره، والمتهتك من القباحة، والعار (ص٣٩).

ثم ينتقل الجاحظ بعد ذلك لبيان كيفية رياضة النفس الغضبية (ص٣٩ – ٤٢). ويذكر عدة أساليب يمكن اتباعها لقمع النفس الغضبية، فيذكر أنه ينبغي على من يرغب في رياضتها أن:

١ – يصرف همته إلى تفقد السفهاء الذين يُسرع الغضب في أوقات طيشهم، وحدتهم، وتسفههم على خصومهم، وعقوبتهم لخدمهم وعبيدهم، فإنه يشاهد منظرًا شنيعًا يأنف منه الخاصي والعامي (ص٤٠).

٢ – يذكر في أوقات غضبه على من يؤذيه، أو يجني عليه، أنه لو كان هو الجاني، ما الذي كان يستحق أن يُقابل على جنايته، فإنه بهذا الفعل يعتقد أن درك تلك الجناية، أو أرش ذلك الأذى يسير جدًّا (تمثل منظور الآخر)، فإذا اعتقد ذلك كانت مقابلته للجاني، والمؤذي بحسب اعتقاده، فلا يُسرف في الانتقام، ولا يفحش في الغضب (ص٤٠).

٣ – يتجنب حمل السلاح (في مجالس الشراب)، وحضور مواضع الحروب، ومقامات الفتن (ص٤٠).

٤ – يتجنب مُجالسة الأشرار، ومُعاشرة السُّفهاء (ص٤٠).

٥ – يتجنب المُسكر من الشراب، فإن السُّكر يُهيج النفس الغضبية (ص٤١).

٦ – يستعمل في جميع ما يفعله الفكرَ، ولا يُقدم على شيء إلا بعد أن يرو فيه، ويجعل الفكرة واتباع الرأي ديدنًا. وعادة فإن الرأي، وجودة الفكرة يُقبحان له السفه، وسرعة الغضب (ص٤١).

أما النفس الناطقة فإنها إذا كانت مُتمكنة من صاحبها أمكنه أن يسوس بها قوتيه الباقيتين، ويكف نفسه عن جميع القبائح، ويتبع أبدًا محاسن الأخلاق. ولتقوية هذه النفس يذكر الجاحظ عددًا من الأساليب، منها:

١ - تدقيق النظر في العلوم العقلية (ص ٤٢).

٢ - دراسة كتب الأخلاق والسياسة، والمُداومة عليها (ص٤٢).

٣ - الارتياض بعلوم الحقائق، فإن أشرف ما تكون النفس إذا أدركت حقائق الأمور (ص ٤٢).

٤ - مُجالسة أهل العلم، ومخالطتهم، والاقتداء بأخلاقهم وعاداتهم (ص٤٢).

٥ - تدقيق الفكر، ومُجاهدة النفس، وتمثيل ما بين عاداته القبيحة والجميلة، وينظر أيها أجدى عليه، وأيها أنفع له (ص٤٣).

٦ - أن يجعل غرضه من كل فضيلة غايتها، ولا يقنع منها بما دونها (ص٤٥).

ثم يذكر أوصاف الإنسان التام (ص٤٥ - ٥٩). ينبغي أن يكون الإنسان التام أو الكامل:

١ - مُتفقدًا لجميع أحواله (ص٤٦).

٢ - مُتيقظًا لجميع معايبه (ص٤٦).

٣ - مُتحرزًا من دخول نقص عليه (ص٤٦).

٤ - مُستعملًا لكل فضيلة (ص٤٦).

٥ - مُجتهدًا في بلوغ الغاية (ص٤٦).

٦ - مُعتدلًا في إشباع شهواته (ص٤٧).

٧ - مُستهينًا بالمال ويحتقره، وينظر إليه بالعين التي يستحقها (ص٤٩).

٨ - مُحبًّا للناس أجمع، متوددًا إليهم (ص٥٢).

٩ - مُسارعًا إلى فعل الخيرات مع جميع الناس (ص٥٤).

١٠ - واسع الصدر، يتلقى من يهدي إليه شيئًا من عيوبه بالبشر والقبول (ص٥٨).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **العفة Chastity.**

- **القناعة Conviction.**

- **الوقار Dignity.**

- الود Friendly.
- كتمان السر Confidentiality.
- التواضع Modesty.
- السخاء Generosity.
- المنافسة Competition.
- عظم الهمة achivement motivated.
- السفه Foolishness.
- القساوة Cruelty.
- الجُبن Cheese.
- الزُّهد Asceticism.
- الشره Greed.

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع
(الجزء الأول)



○ تأليف/ الحافظ الخطيب البغدادي (٣٩٣هـ - ٤٦٣هـ).

○ تحقيق/ د. محمود الطحان.

○ الرياض: مكتبة المعارف (١٩٨٣م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ويُكنى أبا بكر. والده أبو الحسن كان يخطب الجمعة والعيدين بقرية قريبة من بغداد، ويبدو أن لقب الخطيب لحق بوالده بسبب توليه الخطابة مدة طويلة، ومن والده انتقل إليه.ونشأ أبو بكر في كنف والده، فبعث فيه روح العلم والتقى، وحبب إليه القرآن والعلم، وحضور مجالس العلماء، وما إن صار في سن التمييز حتى دفعه إلى هلال بن عبد اللّه الطيبي ليعلمه القراءة والكتابة، فتأدب به، وتعلم القراءة والكتابة، وقراءة القرآن الكريم، كما تعلم وجوه القراءات، وسمع الحديث وعمره إحدى عشرة سنة. وفي سنة (٤١٢هـ) تبدأ المرحلة الثانية من حياته، وهي مرحلة إنشاء الرحلات لجمع الحديث والتخصص فيه، فيلتقي بمشاهير محدثي الإسلام ويأخذ عنهم الحديث. وقد درس الخطيب الفقه وأصوله، ودرس علوم اللغة والأدب، واشتغل بالتاريخ، وخصوصًا تاريخ رجال الحديث. ونقل المؤرخون أنه صنف قريبًا من مائة مصنف صارت عمدة لأصحاب الحديث. ومن أشهر مصنفاته: الكفاية في علم الرواية، والمتفق والمفترق والسابق واللاحق، و تقييد العلم، وغنية الملتمس وإيضاح الملتبس، والمزيد في متصل الأسانيد.

عرض الكتاب:

يقع الجزء الأول من هذا الكتاب في (٤٢٩) صفحة. يتكون الجزء الأول من تسعة عشر بابًا (ص ٨١ - ١٤٦).

يتناول المؤلف في **الباب الأول** (ص٨١ - ٩١) موضوع « **النية Intention** في طلب العلم ». يذكر المؤلف أنه ينبغي على طالب العلم أن:

١ - يخلص نيته في طلبه (ص٨١).

٢ - يحذر أن يجعله سبيلًا إلى نيل الأعراض، وطريقًا إلى أخذ الأعواض (ص٨٣).

٣ - يتقي المفاخرة والمباهاة به (ص٨٥).

٤ - يجعل حفظه للحديث حفظ رعاية، لا حفظ رواية (ص٧٨).

أما الباب الثاني (ص٩٣ - ١٠١) فعنوانه « ذكر ما ينبغي للراوي والسامع أن يتميز به من الأخلاق الشريفة ». يذكر المؤلف أنه ينبغي أن يتسم طالب العلم بالخصال الآتية:

١ - السكينة والتواضع والحلم (ص٩٣).

٢ - الصمت والعزوف عن الدنيا والصبر (ص٩٥).

٣ - الإعراض عن السفهاء (ص٩٥).

٤ - إذا كان للطالب عيال لا كاسب لهم غيره، فيُكره له أن ينقطع عن معيشته، ويشتغل بالحديث عن الاحتراف لهم، ويُستحب لطالب العلم « أن يكون عزبًا ما أمكنه ذلك، لئلَّا يقتطعه الاشتغال بحقوق الزوجة، والاهتمام بالمعيشة عن الطلب (ص٩٧ - ١٠١).

ثم ينتقل المؤلف إلى ذكر ما يجب تقديمـه على الحفظ.فيذكر « ينبغي للطالب أن يبدأ بحفظ كتاب اللَّه ﷻ (ص١٠٦)، فإذا رزقه اللَّه - تعالى - حفظ كتابه، فليحذر أن يشتغل عنه بالحديث أو غيره من العلوم اشتغالًا يؤدي إلى نسيانه »، ثم الذي يتلو القرآن من العلوم أحاديث الرسول ﷺ (ص١٠٨ - ١١١).

أما الباب الثالث (ص١١٥ - ١٢٥) وعنوانه « القول في الأسانيد العالية ». يذكر المؤلـف ما ينبغي على طالب الحديث فعله « إذا عزم اللَّه تعالى للطالب على سماع الحديث، وحضرته نية الاشتغال به، فينبغي أن يُقدم المسألة للَّه أن يوفقه فيه، ويُعينه عليه، ثم يُبادر إلى السماع، ويحرص على ذلك من غير توقف ولا تأخير » (ص١١٥)، ويعمد إلى أسند شيوخ مصره، وأقدمهم سماعًا، فيُديم الاختلاف إليه، ويواصل العكوف عليه (ص١١٦)، ثم يذكر الأدلة - المستقاة من أحاديث الرسول ﷺ والصحابة والتابعين - التي تمدح العلو في إسناد الأحاديث، وتذم النزول. ويُفضل المؤلف اختيار النزول عن الثقات على العلو عن غير الثقات (ص١٢٤).

أما الباب الرابع (ص١٢٦ - ١٤١) فعنوانه « القول في تخير الشيوخ إذا تباينت

أوصافهم » يذكر المؤلف عدة خصال ينبغي أن يحتكم إليها الطالب عند اختيار شيخه:

١ - درجات الرواة لا تتساوى في العلم، فيُقدم السماع ممن علا إسناده.

٢ - فإن تكافأت أسانيد جماعة من الشيوخ في العلو، وأراد الطالب أن يقتصر على السماع من بعضهم، فينبغي أن يتخير المشهور منهم بطلب الحديث المُشار إليه بالإتقان له، والمعرفة به (ص١٢٦).

٣ - وإذا تساووا في الإسناد والمعرفة، فمن كان من الأشراف وذوي الأنساب، فهو أولى بأن يسمع منه (ص١٢٧).

٤ - وينبغي أن يتسم كذلك بالاستقامة وثبوت العدالة، والسلامة من البدعة. فأما من لم يكن على هذه الصفة، فيجب العدول عنه، واجتناب السماع منه (ص١٢٧).

ثم ينتقل المؤلف إلى ذكر خصال الشيوخ الذين ينبغي اجتنابهم. فيذكر الآتي:

١ - اتفق أهل العلم على أن السماع ممن ثبت فسقه لا يجوز (ص١٣١).

٢ - وينبغي امتحان الراوي بالسؤال عن وقت سماعه الأحاديث، وعن صفة من روى عنه، وعن الموضع الذي سمع فيه (ص١٣١ - ١٣٣).

٣ - كما ينبغي امتحانه بقلب الأحاديث وإدخالها عليه (ص١٣٥، ١٣٦).

٤ - وإذا كان الراوي من أهل الأهواء والبدع والمذاهب التي تُخالف الحق، لم يسمع منه، وإن عُرف بالطلب والحفظ (ص١٣٧).

٥ - كما ينبغي ترك السماع ممن لا يعرف أحكام الرواية، وإن كان مشهورًا بالصلاح والعبادة (ص١٣٨).

٦ - وإذا كان الراوي صحيح السماع، غير أنه متساهل في الرواية، ومعروف بالغفلة، فالسماع منه جائز، غير أنه مكروه (ص١٤٠).

أما **الباب الخامس** (ص١٤٢ - ١٥٦) فعنوانه « آداب الطلب » يستكمل المؤلف ذكر الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها طالب علم الحديث، وذلك على النحو التالي:

١ - استعمال آثار رسول اللّه ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه (ص١٤٢).

٢ - البكور إلى مجالس الحديث (ص١٤٩).

٣ - المشي على تؤدة من غير عجلة (ص١٥١).

٤ - تشميره ثيابه وترك الزينة تواضعًا (ص١٥٣).

٥ - استعماله السمت وحسن الهدي (ص١٥٥).

٦ - تجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس، بالسخف والضحك والقهقهة، وكثرة التندر (ص١٥٦).

وأما الباب السادس (ص١٥٨ - ١٦٨) فعنوانه « أدب الاستئذان على المُحدث » يُلخص المؤلف أهم آداب الاستئذان على المُحدث (وهي تُقابل مُصطلح المهارات الاجتماعية **Social Skills**) وهي:

١ - إذا وجد الطالب المُحدث (أو الراوي) نائمًا فلا ينبغي له أن يستأذن عليه، بل يجلس وينتظر استيقاظه، أو ينصرف إن شاء. وإذا كان باب دار المُحدث مفتوحًا، فينبغي للطالب أن يقف قريبًا منه ويستأذن. ويجوز له طرق الباب (ص١٥٨ - ١٦٠).

٢ - وينبغي عليه استخدام لفظ الاستئذان، وتعريف نفسه (ص١٦٢ - ١٦٣).

٣ - ويُستحب له إفشاء السلام بصوت غير مرتفع (ص١٦٥).

٤ - إذا استأذن الطالب فأُمر بالانتظار، فعليه أن يقعد قريبًا من باب الراوي حتى يخرج له، ويجوز له الاستئذان ثلاث مرات والانصراف بعدها إذا لم يُؤذن له (ص١٦٧).

وأما الباب السابع (ص١٦٩ - ١٨٠) فعنوانه: « أدب الدخول على المُحدث ». يذكر المؤلف أن أهم هذه الآداب (أو المهارات) هي:

١ - لا يجوز الدخول على المُحدث من غير استئذان، فمن فعل ذلك أُمر بالخروج، وأن يستأذن ليكون تأديبًا له في المستقبل (ص١٦٩).

٢ - وينبغي تقديم الأكابر في الدخول (ص١٧٠).

٣ - وإن قدم الأكبر على نفسه من كان أعلم منه جاز ذلك وكان حسنًا (ص١٧١).

٤ - إذا دخل الطالب على المُحدث (أو الراوي)، فوجد عنده جماعة، فيجب أن يعمهم بالسلام (ص١٧١).

٥ - يُستحب للطالب أن لا يمشي على بساط المُحدث إلا بعد نزع نعليه من قدميه (ص١٧٣).

٦ - أن يبتدئ بنزع اليسرى من نعليه دون اليمنى (ص١٧٣).

٧ - ينبغي عليه الجلوس حيث ينتهي به المجلس، ولا يتخطى الرقاب (ص١٧٤).

٨ - ويُكره أن يجلس الطالب في موضع رجل آخر، وإن قام من مجلسه باختياره. كما يُكره له الجلوس في وسط الحلقة، وفي صدرها (ص١٧٥ - ١٧٦).

٩ - ويُكره له الجلوس بين اثنين بغير إذنهما، وإن أفسح له اثنان ليجلس بينهما فعل ذلك؛ لأنها كرامة أكرماه بها، فلا ينبغي أن يردها، ولكن يجمع نفسه - أي يشغل حيزًا أقل (ص١٧٨، ١٧٩).

١٠ - ويُكره له القعود في موضع من قام وهو يريد العود إلى المجلس(ص١٧٩).

١١ - ويُستحب للطالب أن يُسلم على أهل المجلس إذا أراد الانصراف قبلهم (ص١٨٠).

أما الباب الثامن (ص١٨١ - ١٩٣) فعنوانه « **تعظيم المُحدث وتبجيله** ». يذكر المؤلف أن على طالب علم الحديث أن يتحلى بالآداب (أو المهارات الاجتماعية) الآتية:

١ - يُعظم المُحدث ويبجله (ص١٨١).

٢ - وإذا خاطبه عظمه في خطابه بنسبته إياه إلى العلم، كأن يقول له: أيها العالم (ص١٨٣).

٣ - ويجيز المؤلف قيام الطالب للمُحدث، والأخذ بركابه، وتقبيل يده ورأسه وعينيه، والاعتراف بحقه، وتوقير مجلس الحديث (ص١٨٥ - ١٩٢).

أما الباب التاسع (ص١٩٤ - ٢٠١) فعنوانه « **باب آداب السماع Listening Ethics** ». يذكر المؤلف عددًا من الآداب -أو المهارات الاجتماعية- التي ينبغي على الطالب التحلي بها عند السماع، نذكر منها:

١ - أن يصمت ويصغي إلى ما يرويه الراوي (ص١٩٤).

٢ - وإن عرض للطالب أمر يحتاج أن يذكره في مجلس الحديث، وجب عليه أن يخفض صوته، لئلَّا يفسد السماع عليه أو على غيره (ص١٩٥).

٣ - وإن لم يبلغه صوت الراوي، لبعده عنه، سأله أن يرفع صوته سؤالًا لطيفًا لا سمجًا ولا عنيفًا (ص١٩٦).

٤ - وليتق إعادة الاستفهام لما قد فهمه (ص١٩٦).

٥ - أن يكون مقعد الطالب من الراوي بمنزلة الصبي من المُعلم (ص١٩٨).

٦ - أن يُقبل على الراوي بوجهه، ولا يلتفت عنه، ولا يُسار أحدًا في مجلسه،

ولا يحكي عن غيره خلاف روايته (ص١٩٨).

٧ - وإذا روى الراوي خبرًا قد تقدمت معرفته، فينبغي له أن لا يُداخله في روايته (ص٢٠٠).

أما الباب العاشر (ص٢٠٢ - ٢١٨) فعنوانه « آداب السؤال للمُحدث **Questioning Ethics** » يذكر المؤلف أن مذاهب المُحدثين في الرواية تختلف ؛فمنهم من يبتدئ بها احتسابًا من غير أن يُسأل، ومنهم من لا يروي شيئًا إلا بعد أن يُسأل، ومنهم من يمتنع وإن سُئل، ولهذا ينبغي على الطالب أن يتحلى بعدد من الآداب - أو المهارات الاجتماعية - نذكر منها:

١ - إذا كان المُحدث ممن يمتنع بالرواية، ويتعسر في التحديث، فينبغي للطالب أن يُلاطفه في المسألة، ويرفق به، ويديم الدعاء له (ص٢٠٩).

٢ - وإذا روى المُحدث حديثًا فعُرض للطالب في خلاله شيء أراد السؤال عنه، أن لا يسأل عنه في تلك الحال، بل يصبر حتى يُنهي الراوي حديثه (ص٢١١).

٣ - ولا ينبغي أن يسأله التحديث وهو قائم، ولا وهو يمشي؛ لأن لكل مقام مقالًا (ص٢١٢).

٤ - أن يذكر السائل للمُحدث طرف الحديث الذي يريد أن يُحدثه به. فإن كان للحديث طرائق متسعة، نص السائل على أحسنها (ص٢١٣).

٥ - أن يرفق بالمُحدث ويحتمله عند الغضب (ص٢٢٢).

٦ - كما ينبغي عليه تدوين ما يذكره المُحدث (ص٢٢٨ - ٢٣٠).

أما الباب الحادي عشر (ص٢٣١ - ٢٣٩) فعنوانه « كيفية الحفظ عن المُحدث ». يذكر المؤلف عددًا من **إستراتيجيات التعلم Learning Strategies**. من أهمها:

١ - ينبغي أن لا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه؛ بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه (ص٢٣١).

٢ - وإذا كان في حفظ بعض الطلاب إبطاءٌ، قدموا من عرفوه بسرعة الحفظ وجودته، حتى يحفظ لهم عن الراوي، ثم يعيد ذلك عليهم، حتى يتقنوا عنه (ص٢٣٣). **(ويماثل هذا ما يعرف في النظام الغربي بالقراءة والتسميع بمعونة المعلم المساعد Shadow Teacher).**

٣ - وإن كتب بعض الطلبة وذاكر به الباقين حتى يحفظوه جميعًا، لم يكن به بأس (ص٢٣٣).

٤ - ويُستحب لمن حفظ عن شيخ حديثًا أن يعرضه عليه، ليُصححه له (ص٢٣٥).

٥ - وينبغي أن يُذاكر الطلبة الحديث معًا (يتذاكرونه) بعد حفظه ليثبت (ص٢٣٦).

٦ - وإذا لم يجد الطالب من يُذاكره، أدام ذكر الحديث مع نفسه، وكرره على قلبه (ص٢٣٨) (يُقابل مصطلح التسميع الذاتي **Rehearsal**).

أما الباب الثاني عشر (ص٢٤٠ - ٢٤٨). فعنوانه « الترغيب في إعارة كتب السماع وذم من سلك في ذلك طريق البخل والامتناع ». يتناول المؤلف في هذا الباب آداب الاستعارة. (وهي تقابل مصطلح المعايير الأخلاقية للمشتغلين بالعلم **Scholars Ethics**). يذكر المؤلف ثلاثة آداب هي:

١ - ينبغي على الشيخ إعارة كتب السماع لتلاميذه، ولا يسلك طريق البخل (ص٢٤١).

٢ - وينبغي على من يستعير كتابًا من شيخه ألا يحبسها بل يُعجل بردها (ص٢٤٢).

٣ - أن يشكر المستعير المُعير (ص٢٤٧).

أما الباب الثالث عشر (ص٢٤٩ - ٢٥٨) فعنوانه « تدوين الحديث في الكتب وما يتعلق بذلك من أنواع الأدب ». يؤكد المؤلف أهمية تدوين الأحاديث المسموعة (وهي تقابل: تدوين الملاحظة)، ويذكر أهم أدوات النسخ التي يُوصي باستخدامها.

أما الباب الرابع عشر (ص٢٥٩ - ٢٧٤) وعنوانه « تحسين الخط وتجويده » فيُوصي فيه المؤلف بضرورة تحسين الطالب لخطه، ويُوضح له كيفية ذلك، ويذكر عددًا من القواعد التي ينبغي الالتزام بها عند الكتابة نذكر منها:

١ - أن يبتدأ كل كتاب من كتب العلم بـ « بسم اللّه الرحمن الرحيم » (ص٢٦٣).

٢ - أن يكتب الطالب بعد التسمية اسم الشيخ الذي سمع منه الكتاب، ويكتب فوق سطر التسمية أسماء من سمع معه، وتاريخ وقت السماع (ص٢٦٨).

٣ - أن يُقيد (يُشكل) الأسماء بالشكل والإعجام حذرًا من التصحيف والإيهام (ص٢٦٩).

٤ - أن يجعل بين كل حديثين دارة « فصلة » تفصل بينهما (ص٢٧٢).

أما **الباب الخامس عشر** (ص٢٧٥ - ٢٨٠) فعنوانه « وجوب المعارضة بالكتاب لتصحيحه وإزالة الشك والارتياب » يذكر المؤلف عددًا من إستراتيجيات التعلم التي تكفل الدقة فيما ينسخه الطالب عن شيخه، نذكر منها:

١ - يجب على من يكتب نسخة من أصل بعض الشيوخ أن يُعارض (يُراجع) نسخته بالأصل، ويجعل للعرض قلمًا مُعدًّا (ص٢٧٥ - ٢٧٦).

٢ - وإذا وجد اسمًا عاطلًا من التقييد نقطه (ص٢٧٦).

٣ - وإذا كرر في الخط كلمة ليس من شأنها التكرار حذف إحداهما (ص٢٧٦).

٤ - وإن سقطت كلمة من إسناد حديث أو متنه، كتبها بين السطرين أمام الموضع الذي سقطت منه، أو بحذاء السطر الذي سقطت منه (ص٢٧٩).

أما **الباب السادس عشر** (ص٢٨١ - ٣١٤). فعنوانه « القراءة على المُحدث وأدبها وما يُختار من الأمور المتعلقة بها » يذكر المؤلف عددًا من الآداب المُهمة نذكر منها:

١ - إذا قرأ المُحدث بنفسه كان أفضل، وإن عجز عن القراءة فأمر بها غيره جاز (ص٢٨١).

٢ - واستحب لمن حضر لسماع شيخه أن تكون له بها نسخة، ويصطحبها معه (ص٢٨٤).

٣ - أن يتخير الشيخ للقراءة أفصح الحاضرين لسانًا وأوضحهم بيانًا (ص٢٨٤).

٤ - أن يكون القارئ ممن قد أنس بالحديث، واشتغل به بعض الشغل (ص٢٨٥).

٥ - وإذا اختلفت أغراض الطلبة في السماع، وأراد بعضهم القراءة لما لا يستفيد غيره، فعلى المُحدث أن يُقدم السابق منهم إلى المجلس (ص٣٠٢).

٦ - فإن أعجلته حاجة خشي فواتها بتأخيرها، سأل من سبقه أن يهب له سبقه، ويسامحه في القراءة قبله (ص٣٠٣).

٧ - وإذا عين الشيخ للطالب قراءة أحاديث بعينها، فينبغي له أن لا يتعداها (ص٣٠٤).

ويتناول المؤلف في **البابين السابع عشر والثامن عشر** (ص٣١٥ - ٣٥٨) « **الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الراوي** » (وهي تقابل المعايير الأخلاقية **للمشتغلين بالعلم Scholars Ethics**) ونلخص أهمها:

١ - إن كان في بلده أو بغيره من هو أعلى إسنادًا منه دل عليه، وأرشد الطلبة إليه (ص٣١٧).

٢ - ولا يتصدى للحديث بالرواية إلا بعد دخوله في السن (ص٣٢٢).

٣ - ويُستكره التحديث لمن لا يبتغيه، ولمن عارضه الكسل والفتور ولأهل البدع، ولمن عارض الرواية بالتكذيب (ص٣٢٧ - ٣٣٤).

٤ - ويُكره التحديث على سبيل المُباهاة (ص٣٣٧).

٥ - توقير المُحدث طلبة العلم وأخذه نفسه بحسن الاحتمال لهم والحلم معهم (ص٣٤٣).

٦ - إكرامه المشايخ وأهل المعرفة، وتعظيمه الأشراف ذوي الأنساب، ومن كان رأسًا في طائفته، وكبيرًا عند أهل نحلته (ص٣٤٤ - ٣٤٧).

٧ - إكرامه الغرباء من الطلبة وتقريبهم، واستقباله لهم بالترحيب (ص٣٤٨، ٣٤٩).

٨ - تواضعه مع طلابه والرفق بمن جفا طبعه منهم (ص٣٥٠ - ٣٥٥).

٩ - أن يصون نفسه من أخذ الأعواض على الحديث (ص٣٥٦ - ٣٥٨).

١٠ - إعزازه لنفسه وترفعه عن مُضيه إلى منزل من يُريد السماع منه (ص٣٦٩).

١١ - إصلاح هيئته فيقص أظافره، ويأخذ من شاربه، ويُسكن شعث رأسه (ص٣٧٢ - ٣٧٦).

١٢ - ويُستحب أن يلبس ثوبًا أبيض، وقلنسوة وعمامة (ص٣٨١ - ٣٨٤).

١٣ - أن يقتصد في مشيه، ويمنع أصحابه من المشي وراءه (ص٣٩٤ - ٣٩٧).

١٤ - ويُستحب عند جلوسه أن يجلس متربعًا مع كونه متخشعًا (ص٤٠١).

١٥ - وينبغي عليه تجنب المزاح مع أهل مجلسه (ص٤٠٤).

١٦ - ويُكره له التحديث في حالتي المشي والقيام، وكذلك يُكره له التحدث على غير طهارة (ص٤٠٩ - ٤١٠).

١٧ - ويُستحب أن يعدل الراوي مجلسه مع أصحابه، ويُقبل على جماعتهم بوجهه أثناء حديثه معهم، ويُستحب أن يخفض صوته (ص٤١١، ٤١٢).

الخلاصة:

نستشف من النص المصطلحات الآتية:

النية **Intention**.

الخصال **Characteristics**.

المهارات الاجتماعية **Social Skills**.

آداب السماع **Listening Ethics**.

آداب السؤال **Questioning Ethics**.

إستراتيجيات التعلم **Learning Strategies**.

المُعلم المساعد **Shadow Teacher**.

التسميع الذاتي **Rehearsal**.

المعايير الأخلاقية للمشتغلين بالعلم **Scholars Ethical Norms**.

القائم بالعرض

د.عبير محمد أنـور

* * *

الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع

(الجزء الثاني)



○ تأليف/ الحافظ الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ - ٤٦٣هـ).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الجزء الثاني في (٣٥٢) صفحة، ويتكون من خمسة أجزاء فرعية: باقي الجزء الخامس وحتى الجزء العاشر. يستكمل المؤلف في الأبواب الثاني والعشرين (ص٧ - ٣٧)، والثالث والعشرين (ص٣٨ - ٥٤)، والرابع والعشرين (ص٥٥ - ٦٤)، والخامس والعشرين (ص٦٥ - ١٣٨) والثالث والثلاثين (ص٣٠٥ - ٣٠٦) بقية الآداب (أو المهارات) التي ينبغي أن يتحلى بها الراوي، وذلك على النحو التالي:

١٨ - تحرِّي الراوي الصدق في مقاله وإيثاره ذلك على اختلاف أموره وأحواله (ص٧).

١٩ - اختيار الرواية من أصل الكتاب؛ لأنه أبعد من الخطأ وأقرب للصواب (ص١٠).

٢٠ - عدم إغفاله عن مطالعة كتبه وتعاهدها والنظر فيها (ص١٤).

٢١ - رواية الحديث على الصواب، وترك اللحن فيه، وإن سمع ملحونًا (ص٢٣ - ٣٠).

٢٢ - ويلزم الراوي إذا خالفه فيما رواه راوٍ غيره أن يرجع إلى أصل كتابه فيطالعه، ويستثبت منه (ص٣٨).

٢٣ - ويجب عليه الرجوع عما رواه إذا تبين أنه أخطأ فيه، فإذا لم يفعل ذلك كان آثمًا (ص٤٠).

٢٤ - وإذا روى الراوي من حفظه ما ليس به كتاب، فخالفه فيه من هو أثبت، أو أحفظ منه لزمه الرجوع على قوله (ص٤٢).

٢٥ - ويستحب عقد المجالس لإملاء الحديث، وينبغي أن يعين الراوي لأصحابه يوم المجلس لئلَّا ينقطعوا عن أشغالهم، وليستعدوا لإتيانه، ويعد بعضهم بعضًا به (ص٥٨).

٢٦ - وإذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه، فلا ينبغي له إخلاف موعده، إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به (ص٥٩).

٢٧ - ويستحب له أن يجعل تحديثه في المسجد، وأن لا يخلي يوم الجمعة من الإملاء في مسجد الجامع. أما عن موضع جلوسه؛ فيكون تجاه القبلة، ويكون التحليق قبل صلاة الجمعة (ص٦٢ - ٦٤).

٢٨ - أن يتخذ من يبلغ عنه الإملاء إلى من بعد في الحلقة (ص٦٥).

٢٩ - أن لا يقتصر في إملائه على الرواية من شيخ واحد من شيوخه، بل يروي عن جماعتهم، ويقدم من علا إسناده منهم (ص٨٧).

٣٠ - ويكون إملاؤه عن كل شيخ حديثًا واحدًا، فإنه أعم للفائدة، وأكثر للمنفعة، ويتعمد ما علا إسناده، وقصر متنه (ص٨٨).

٣١ - أن يستعين ببعض حفاظ وقته في تخريج الأحاديث التي يريد إملاءها قبل يوم مجلسه، إذا لم يكن من أهل المعرفة بالحديث وعلله، واختلاف وجوهه وطرقه، وغير ذلك من أنواع علومه (ص٨٨).

٣٢ - فإن أحب الراوي خرَّج أحاديث المجلس لنفسه، ونقلها من أصوله إلى فرعه بخطه، ثم عرضها على من يثق بمعرفته وفهمه، ليصلح خللًا إن وجده فيها، ويتلافى من الأخطية ما أمكن تلافيها (ص٨٨).

٣٣ - أن يعتمد في إملائه الرواية على ثقات شيوخه، ولا يروي عن كذاب، ولا متظاهر ببدعة، ولا معروف بالفسق؛ بل تكون روايته عمن حسنت طريقته، وظهرت عدالته (ص٨٩).

٣٤ - أن يتشدد في أحاديث الأحكام التي يفصل بها بين الحلال والحرام، فلا يرويها إلا عن أهل المعرفة والحفظ، وذوي الإتقان والضبط (ص٩١).

٣٥ - أن يذكر تاريخ سماعه عن شيخه، إذا لم يشاركه غيره في التحديث عنه، فإن ذلك أفضل (ص٩٣).

٣٦ - أن لا يروي شيئًا من الأخبار المصنوعة، والأحاديث الباطلة الموضوعة. ويستحب رواية المشهور من الأحاديث، والصدوف عن الغرائب والمناكير (ص١٠٠).

٣٧ - ويستحب للراوي إن روى حديثًا معلولًا، أن يبين علته (ص١٠٢).

٣٨ - أن يملي من الأحاديث ما تعلق بأصول المعارف والديانات، وتضمن الدلائل على صحة المذاهب والاعتقادات، ويتجنب في أماليه رواية ما لا تحتمله عقول العوام، لما لا يؤمن عليهم في دخول الخطأ والأوهام. ومن أنفع ما يملي الأحاديث الفقهية التي تفيد معرفة الأحكام السمعية كسنن الطهارة، والصلاة، وأحاديث الصيام، والزكاة، وغير ذلك من العبادات، وما تعلق بحقوق المعاملات، ويستحب أيضًا إملاء أحاديث الترغيب في فضائل الأعمال، وما يحث على القراءة وغيرها من الأذكار (ص١٠٧ - ١١١).

٣٩ - وإذا روى حديثًا فيه كلام غريب فسره، أو معنى غامض بيَّنه وأظهره (ص١١١).

٤٠ - ولا يجوز له رواية أحاديث بني إسرائيل المأثورة عن أهل الكتاب، أما ما حفظ من أخبار بني إسرائيل وغيرهم من المتقدمين عن رسول اللَّه ﷺ، وعن صحابته، وعن العلماء من سلف المسلمين، فإن روايته تجوز ونقله غير محظور (ص١١٤، ١١٥).

٤١ - ويستحب له إملاء فضائل الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - ومناقبهم، والنشر لمحاسن أعمالهم وسوابقهم، ويتجنب رواية ما شجر بين الصحابة، ويمسك عن ذكر الحوادث التي كانت منهم، ويعم جميعهم بالصلاة عليهم والاستغفار لهم (ص١١٧- ١١٩).

٤٢ - ويستحب له أن ينبه على فضل ما يرويه، ويبين المعاني التي لا يعرفها إلا الحُفَّاظ من أمثاله وذويه. فإن كان عاليًا علوًّا متفاوتًا وصفه بذلك، وإن كان الحديث من عيون السنن، وأصول الأحكام ذكر ذلك(ص١٢١).

٤٣ - أن لا يطيل المجلس الذي يرويه، بل يجعله متوسطًا ويقتصد فيه، حذرًا من سآمة السامع وملله، وأن يؤدي ذلك إلى فتوره عن الطلب وكسله (ص: ١٢٧).

٤٤ - ويستحب للراوي أن يختم مجلسه بالحكايات، ومستحب النوادر والإنشادات، ثم يستغفر اللَّه ويحمده على آلائه قبل أن يقوم من مجلسه (ص١٢٩ - ١٣١).

٤٥ - وينبغي عليه مراجعة ما أملاه بعد الانتهاء من كتابته (ص١٣٣).

٤٦ - أن يتوقف عن التحديث عند كبر السن مخافة اختلال الحفظ ونقصان الذهن (ص٣٠٥).

ويتناول المؤلف في **الباب الخامس والعشرين** (ص٦٥ - ١٣٨) الآداب (أو المهارات) التي ينبغي أن يتحلى بها المستملي. ومن أهم هذه الآداب:

١ - يستحب للمستملي أن يستملي وهو جالس على موضع مرتفع، أو على كرسي، فإن لم يجد استملى قائمًا (ص٦٦).

٢ - أن لا يخالف لفظ الراوي في التبليغ عنه، بل يلزمه ذلك، وخاصة إذا كان الراوي من أهل الدراية والمعرفة بأحكام الرواية (ص٦٧).

٣ - ينبغي أن يقرأ في المجلس سورة من القرآن قبل الأخذ في الإملاء (ص٦٨).

٤ - ثم يستنصت الناس إن سمع منهم لغطًا (ص٦٩).

٥ - فإذا أنصت الناس قال: « بسم اللّه الرحمن الرحيم والحمد للّه رب العالمين ». ثم يذكر النبي ﷺ، ويقبل على الراوي ويقول له « من حدثك أو من ذكرت رحمك اللّه ». وإذا فعل المستملي ذلك قال الراوي « أخبرنا فلان » ثم نسب شيخه الذي سماه حتى يبلغ بنسبته منتهاه (ص٦٩ - ٧١).

٦ - ويجوز للمستملي ذكر الراوي وتعريفه بصفته التي ليست نقصًا في خلقته، كالطول، والزرقة، والشقرة، والحمرة...إلخ. وإذا كان الراوي معروفًا بالعلم والفضل؛ حسن ذكر ذلك في حال الرواية عنه (ص٨٠ - ٨٥).

٧ - وينبغي عليه أن يثني على شيخه أو محدثه، ويمدحه، ويعظمه (ص٨٥).

٨ - وإذا انتهى المستملي في الإسناد إلى ذكر النبي ﷺ استحب له الصلاة عليه رافعًا صوته بذلك، وهكذا يفعل في كل حديث عاد فيه ذكر النبي ﷺ، وإذا انتهى إلى ذكر بعض الصحابة قال: رضوان اللّه عليهم (ص١٠٣، ١٠٤).

ويتناول المؤلف في الأبواب من **السادس والعشرين وحتى الثاني والثلاثين** (ص١٣٩ - ٣٠٦) الآداب (أو المهارات) التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم - علم الحديث - ومن أهم هذه الآداب (أو المهارات):

١ - البكور إلى المجلس، خوفًا من فوات المجلس بتأخير الحضور، وأن يتعذر عليه

مع ذلك إعادته من قبل شيخ لعل التمنع عادته. ومن فاته شيء كان يؤثر سماعه، وحال بينه وبين إعادته تعسر راويه وامتناعه، فليتوصل إلى استجازته وإذن الراوي له في روايته، فإن الإجازة منزلة للسماع تالية (ص١٣٥ - ١٣٨).

٢ - وينبغي لمن أفيد حديثًا أن يذكره في حال روايته ذلك الحديث أن فلانًا أفاده إياه (ص١٥٣).

٣ - وينتقي حديث الراوي إذا كان مكثرًا في حديثه، فيكتب عنه ما لا يجده عند غيره، ويتجنب المعاد من رواياته، وأما من لم يتميز للطالب معاد حديثه من غيره، وما يشارك في روايته مما يتفرد به، فالأولى أن يكتب حديثه على الاستيعاب، دون الانتقاء والانتخاب (ص١٥٥، ١٥٦).

٤ - أن يرسم علامة على ما ينتخبه من أحاديث (ص١٥٨).

٥ - أن يتخير الأسانيد العالية والطرائق الواضحة،والأحاديث الصحيحة،والروايات المستقيمة، ولا يذهب وقته في تتبع الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات، ويترك الطالب أيضًا الاشتغال بأخبار الأوائل، وأحاديث الملاحم (ص١٥٩ - ١٦١).

٦ - أن يخلص نيته في طلب العلم، ويجدد للصبر عليه عزيمته (ص١٧٩).

٧ - وإذا تميز الطالب بفهم الحديث ومعرفته، تعجل بركة ذلك في شبيبته. والطريق إليه ما ذكرناه من دوام السماع، والإكثار منه، والمطالبة له، والنظر فيه، والمذاكرة به، وصرف العناية إليه (ص١٨١).

٨ - ومن أول ما ينبغي أن يستعمله الطالب شدة الحرص على السماع، والمسارعة إليه، والملازمة للشيوخ (ص١٨٢).

٩ - ألا تفارقه محبرته وصحفه لئلَّا يعرض له من يحدثه بما يحتاج إلى كتبه، ويبتدئ بسماع الأمهات من كتب أهل الأثر، والأصول الجامعة للسنن، ثم الكتب المصنفة في الأحكام، الجامعة للمسانيد، وغير المسانيد، ثم تواريخ المحدثين، وكلامهم في أحوال الرواة، فأما الأحاديث المسندات إلى النبي ﷺ فهي أصل الشريعة (ص١٨٣ - ١٨٩).

١٠ - وإذا عزم الطالب على الرحلة لطلب الحديث؛ فينبغي له أن لا يترك في بلده من الرواة أحدًا إلا ويكتب عنه ما تيسر من الأحاديث وإن قلَّت، ويستأذن أبويه قبل سفره (ص٢٢٤ - ٢٢٨).

١١ - أن يتخير لمرافقته من يشاكله في مذهبه، ويوافقه على غرضه ومطلبه (ص٢٣٥).

١٢ - أن يتخير اليوم الذي يسافر فيه، ويستحب أن يكون الخميس أو الجمعة، ويستحب البكور في يوم المسير(ص٢٣٧).

١٣ - أن لا يخرج إلا بعد توديعه إخوانه ووصاته إياهم بالدعاء له (ص٢٣٨).

١٤ - إذا نزل بالبلد الذي إليه رحل أن يقدم لقاء من به من المشايخ، ويتعجل السماع منهم، خوف اعتراض الحوادث (ص٢٤٣).

١٥ - وليسمع من كل شيخ ما ليس عند غيره، وما اشترك المشايخ فيه، فليقتصر على سماعه من أحدهم (ص٢٤٤).

١٦ - وليعلم الطالب أن شهوة السماع لا تنتهي، والنهمة من الطلب لا تنقضي، فلا ينبغي أن يشتغل في الغربة إلا بما يستحق لأجله الرحلة (ص٢٤٥).

١٧ - وإذا بلغ الطالب غرضه، وحاز في الرحلة ما قصد له من سماع علو الأسانيد، وتحصيل فوائد الشيوخ، فينبغي له الرجوع إلى وطنه، والاشتغال بالنظر فيما جمعه (ص٢٤٦).

١٨ - إذا استقرت بالطالب داره، وانقضت من السفر والاغتراب أوطاره، فليأخذ نفسه بالنظر فيما كتب، والتدبر لعلم ما طلب (ص٢٤٩).

١٩ - أن يكون قصد الطالب بالحفظ ابتغاء وجه اللّه تعالى، والنصيحة للمسلمين في الإيضاح والتبيين(ص٢٥٧).

٢٠ - أن يتجنب ارتكاب المحرمات، ومواقعة الأمور المحظورات (ص٢٥٨).

٢١ - ويأخذ نفسه باتباع أوامر الحديث والعمل به (ص٢٥٨).

٢٢ - ويطيب كسبه ويصلح غذاءه ويقلل طعامه (ص٢٥٩).

٢٣ - ويستحب له تناول ألبان البقر وعسل النحل واللبان الذكر « الكندر » فإن تناولها يشجع القلب، ويذهب النسيان (ص٢٦٢).

٢٤ - أن يطالع كتبه في الليل، فالمطالعة بالليل أفضل لخلو القلب، فإن خلوه يسرع إليه الحفظ (ص٢٦٥).

٢٥ - أن يجهر بقراءته قدر ما يسمعه، ويكرر ما قرأه ليحفظه، ويذكر الحديث الذي

حفظه مع عامة الناس ليثبت حفظه (ص٢٦٦، ٢٦٧).

٢٦ - ويستحب للطالب المذاكرة مع الأتباع والأصحاب (ص٢٦٩).

٢٧ - ويستحب له كذلك المذاكرة مع الشيوخ وذوي الأسنان (ص٢٧٦).

٢٨ - أن يداوم مراجعة الحديث ومذاكرته، اتقاء الفتور عنه(ص٢٧٨).

٢٩ - أن يجمع المتفرقات من الأحاديث، ويشتغل بتصنيف أبوابها، وترتيب أصنافها، فإن ذلك الفعل مما يقوي النفس، ويثبت الحفظ، ويذكي القلب (ص ٢٨٠).

٣٠ - ولا يضع من يده شيئًا من تصانيفه إلا بعد تهذيبه وتحريره، وإعادة تدبره وتكريره (ص٢٨٣).

٣١ - وينبغي على من اختار طريقة تصنيف السنن وتخريجها على الأحكام وطريقة الفقه؛ أن يجمع أحاديث كل نوع من السنن على انفراده، فيميز ما يدخل في كتاب الجهاد عما يتعلق بالصيام، وكذلك الحكم في الحج والصلاة، والطهارة والزكاة، وسائر العبادات، وأحكام المعاملات، ويفرد لكل نوع كتابًا، ويبوب في تضاعيفه أبوابًا، يقدم فيها الأحاديث المسندات، ثم يتبعها بالمراسيل والموقوفات (ص٢٨٦).

٣٢ - أن يرتب أسانيد الصحابة، فيجوز له الاختيار في تخريج المسند إلى المصنف، فإن شاء رتب أسماء الصحابة على حروف المعجم من أوائل الأسماء، أو رتبها على قدر سوابق الصحابة في الإسلام، ومحلهم من الدين. ويفضل المؤلف الطريقة « الثانية » (ص٢٩٢).

٣٣ - ويستحب أن يصنف المسند معللًا، فإن معرفة العلل أجل أنواع علم الحديث (ص٢٩٤).

٣٤ - أن يتخير الرجال الذين يعتني بجمع حديثهم (ص٢٩٧).

الخلاصة:

نستشف من الكتاب المفاهيم النفسية التالية:

- مهارات الراوي **Narrators Skills**.
- مهارات المستملى **Writers Skills**.
- مهارات طالب العلم **Scholars Skills**.

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

الخطابة



- تأليف/ الفارابي أبو نصر.
- تحقيق وتعليق/ الدكتور محمد سليم سالم.
- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

محمد بن محمد بن طوخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي. ولد في فاراب في تركستان، وتوفي أعزب بمدينة دمشق سنة (٣٣٩هـ/ ٩٥٠م). درس في مسقط رأسه مجموعة من المواد المختلفة كالعلوم، والرياضيات، والآداب، والفلسفة، واللغات وخاصة التركية، والفارسية، واليونانية، والعربية. وفي سن متقدمة غادر إلى العراق لمتابعة دراساته العليا، فدرس المنطق، والفلسفة، والطب... ويعرف بالمعلم الثاني لدراسته كتب أرسطو (المعلم الأول) وشرحه لها. وتتجلى إسهاماته في كتابه « إحصاء العلوم »، و « تراث الإسلام ».

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٦٢) صفحة، ويتناول هذا الكتاب موضوعين مهمين من موضوعات علم النفس الاجتماعي المعاصر ألا وهما المحاجة **Argumentation** والتي نعني بها قدرة الفرد على دحض وتفنيد حجج الطرف الآخر بالأدلة والبراهين الاستدلالية والواقعية، وعمليات التخاطب **communication**، وذلك من خلال اهتمام الكتاب بصناعة الخطابة. ونعني بالخطابة صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس البشرية، وما يحصل من تلك الأشياء في نفس السامع من القناعة، وهو الغرض الأقصى بأفعال الخطابة.

ويشير الكتاب إلى عمليتين أساسيتين تمثلان في علم النفس الاجتماعي المعاصر من العمليات المرتبطة بالمحاجاة. وهما:

- التفنيد **Refutation** والذي نعني به إثبات أن صحة حجج الطرف الآخر زائفة

أو خاطئة؛ حيث أوضح الكاتب كيف يتخذ الفرد رأيًا لنفسه، حيث إنه يصحح رأيه بقياسه بمطلوب ما، فإذا صادفه جعل ذلك الشيء الذي صادف قياسه رأيًا له، ثم يتعقب الرأي ويلتمس ما يفنده، ويقايس بينه وبين مقابله، فإن لم يجد ما يفنده اتخذ هذا الرأي نفسه.

- ومفهوم **الاستمالة Persuasion** (ص٨ - ١١) ونعني بها استخدام مجموعة من الحجج يستدل بها الفرد على صحة دعواه، والتي قد تمثل ظنًّا يحتمل الصدق كما يحتمل الكذب، الإيجاب أو السلب. والظن واليقين يشتركان في أنهما شكل من أشكال الرأي.

وأن الظن قد يكون له ما يفنده وقد لا يكون له ذلك. والظن القوي هو ما ليس له ما يعارضه ويفنده. فالظن الذي يجد ما يؤيده أكثر مما يعارضه هو الظن الأغلب في الشيء. أما ما كان ما يعارضه أكثر مما يؤيده فنطلق عليه الريبة. والشك هو وقوف النفس بين ظنين متقابلين.

وأساليب الإقناع هي الضمائر والتمثيلات. ونعني بالضمائر إضمار إحدى المقدمتين وذلك لكي يكون مقنعًا؛ ويقصد بها إخفاء بعض الحقائق أو التعمية المقصودة كتوضيح فضيلة القائل، ونقيصة الخصم، والتي يمكن أن نطلق عليها مصداقية القائل. ومن الأساليب المستخدمة في الخطابة استثارة انفعالات معينة لدى الجمهور **كالغضب Anger** من الخصم، أو **التعاطف Sympathy** معه والتي من الممكن أن نعتبرها من المنبهات الخارجية المرتبطة **بطبيعة الرسالة Message** (ص٣٤).

ويشير الكاتب هنا إلى جوهر عملية التخاطب والاتصال، وهو إرسال واستقبال المعلومات من خلال رسالة محددة. كما يوضح الكاتب أهمية المخاطبة **في تغيير اتجاهات الفرد Attitude Change** نحو موضوع ما. وأن ذلك يحدث من خلال العمليات الوسيطة التي تساعد التخاطب على تغيير قناعة المتلقين ومنها:

- **عوامل انفعالية Emotional Factors** كاستخدام أساليب معينة لاستثارة انفعالات معينة عند السامع (ص٣٤).

- **عوامل معرفية Cognitive Factors** (ص٣٥) كجذب انتباه السامع لأمر معين، وتشويه إدراكه لهذا الأمر بتقليله أو تفخيمه بما يؤثر على قناعته به. كذلك تحريف محتوى رسالة الخصم، وتشويه صورته عند السامع حتى يتناقض معه ولا يقنع به (وذلك في إشارة للعوامل المسببة **للتشويه الإدراكي Perception Distortion**) (ص٣٥)، والتي تمثل المنبهات الخارجية المرتبطة بمصدر الرسالة، والإطار المحيط بها. هذا بالإضافة

إلى سلطة القائل وسطوته (مصدر الرسالة) والتي من الممكن أن تجعل ما يقوله يصدق، ولا يستطيع أحد معارضته فيه وذلك في إشارة للمكانة الاجتماعية للفرد، وكيف لها أن تؤثر على تفاعلاته الاجتماعية مع الآخرين.

كما تمت الإشارة إلى سحنة الإنسان أو شكله أو ما يمكن أن نطلق عليه جاذبيته **Attractiveness** والتي تعتبر من العوامل الشخصية المؤثرة في عملية الاتصال والتي يمكن الإشارة إليها بجاذبية المصدر الاتصالي، وكيف لها أن تمثل سببًا من أسباب قدرته على الإقناع.

بالإضافة إلى طبيعة المجتمع الذي يستمع له، وطبيعة احتياجات الفرد ورغباته، وما يقدمه القائل من مناشدات **Appeals** له ليقتنع بما يقوله ويستميله لتغيير آرائه أو اتجاهاته.

كما تمت الإشارة إلى الطريقة التي يتكلم بها الفرد، وصوته، ونغمة الصوت والتي من الممكن أن يشير إليها بمضمون الرسالة، وطريقة نقلها، وطريقة تغيير نغمة الصوت، والتي من شأنها أن تجعل لقوله مصداقية **Credibility** يقتنع بها السامع، وهي من العوامل المرتبطة بمصدر الرسالة، والمهارات التي يستخدمها في نقل رسالته وإقناع الآخرين.

الخلاصة:

نستشف من الكتاب المفاهيم النفسية الآتية:

- **المحاجة Argumentation.**
- **التخاطب communication.**
- **التفنيد Refutation.**
- **الاستمالة Persuasion.**
- **الغضب Anger.**
- **التعاطف Sympathy.**
- **الرسالة Message.**
- **تغيير اتجاهات Attitude Change.**
- **عوامل انفعالية Emotional Factors.**

- عوامل معرفية **Cognitive Factors**.
- التشويه الإدراكي **Perception Distortion**.
- جاذبية المصدر **Attractiveness**.
- مناشدات **Appeals**.
- مصداقية المصدر **Source Credibility**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

رسالة الآداب في
علم آداب البحث والمناظرة



O تأليف/ محمد محيي الدين عبد الحميد.

O القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى (١٩٤٢م)، الطبعة الثالثة.

* * *

التعريف بالمؤلف:

أستاذ في كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر وأستاذ الشريعة الإسلامية بمدرسة الحقوق العليا بالخرطوم.

عرض الكتاب:

يتكون الكتاب الحالي من ثلاثة أبواب، إضافة إلى مقدمة وخاتمة؛ ففي المقدمة، عرض المؤلف تعريف ما يطلق عليه « علم المناظرة »، وموضوعه، وفائدته، وحكمه الشرعي، وأنواع المناظرة.

ويتألف **الباب الأول من ثلاثة فصول. في الفصل الأول** تناول المؤلف معنى التقسيم، والفرق بين تقسيم الكل إلى أجزائه وتقسيم الكل إلى جزيئاته، وأنواع وشروط كل منها. وفي **الفصل الثاني**، تناول بعض الاعتراضات التي تجرى على التقسيم والأجوبة عليها. وفي **الفصل الثالث**، قام بتوضيح بعض خطوات الاعتراض على التقسيم وأمثلة وتطبيقات لها.

وقد خصص المؤلف **الباب الثاني في التعريف**؛ ففي **الفصل الأول** قام بعرض أنواع التعريف (اللفظي، والتنبيهي، والاسمي، والحقيقي) والفرق بينها، وأقسامها الفرعية، وشروط كل نوع، وأمثلة لها. وفي **الفصل الثاني** وضح طرق المناظرة في التعريف، والاعتراضات والأجوبة على التعريفات. وفي **الفصل الثالث** أوضح خطوات مناقشة التعريف وبعض الأمثلة لتعريفات مفاهيم مختلفة.

أما **الباب الثالث فقد خصَّصه المؤلف في التصديق**، وفيه ستة فصول. **في الفصل الأول** تناول معنى التصديق وأنواعه. وفي **الفصل الثاني** ناقش المناظرة في التصديق والاعتراضات التي تجوز للسائل. وفي **الفصل الثالث** ناقش المنع (المناقضة) من حيث

التعرف، والأنواع، والسند، والأجوبة، والعواقب. وفي **الفصل الرابع** تناول المعارضة وأنواعها وأجوبتها. وفي **الفصل الخامس** تناول النقض وأنواعه والردود عليه. وفي **الفصل السادس** ناقش ترتيب المناظرة في التصديق. وفي خاتمة الكتاب تناول المؤلف بعض آداب المناظرة وبعض السلوكيات مثل المصادرة والمكابرة، والمعاندة ، وكيفية انتهاء المناظرة.

تناول هذا الكتاب في مجمله مشكلة نفسية اجتماعية وهي المحاجاة. وقدم المؤلف تعريفًا لكثير من السلوكيات المرتبطة. فعلى سبيل المثال، عرف المناظرة على أنها « تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق » (ص٦). كما عرف المكابرة على أنها « المنازعة بين الخصمين لا لإظهار الصواب، بل لإظهار الفضل والغلبة على الخصم » (ص١٢١)، والمعاندة على أنها « تنازع شخصين لا يفهم أحدهما كلام صاحبه، وهو يعلم ما في كلام نفسه من فساد » (ص ١٧٦)، والمجادلة على أنها « المنازعة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم » (ص١٧٦).

كما قام المؤلف بشرح بعض التفاصيل الدقيقة المتعلقة بمناهج البحث، وهي وضع التعريفات وأنواعها وشروطها. فعلى سبيل المثال، أشار إلى أربعة شروط للتعريف هي: الأول: أن يكون جامعًا؛ لئلَّا يتوهم أن بعض أفراد المعرف ليس منه. الثاني: أن يكون مانعًا؛ لئلَّا يتوهم أن شيئًا ليس من المعرف داخل فيه. الثالث: ألَّا يستلزم المحال؛ كالدور والتسلسل واجتماع النقيضين. الرابع: أن يكون التعريف أجلى من المعرف؛ ليكون أوضح وأيسر عند العقل، وليكون ذلك موصلًا إلى الغرض المقصود من التعريف، وإيضاح المعرف للسامع (ص٥٩، ٦٠). إضافة إلى ذلك، أشار إلى بعض شروط التعريف الجيد وهي: الأول: أن يكون خاليًا من الأغلاط اللفظية. الثاني: ألَّا يشتمل على لفظ مجازي إلَّا مع القرينة التي تعين المراد منه، وهذا إذا لم يشتهر المجاز حتى يصبح حقيقة عرفية. الثالث: ألَّا يشتمل على لفظ مشترك بين معانٍ متعددة إلَّا مع القرينة التي تعين أحد المعاني. الرابع: ألَّا يشتمل على لفظ غريب: غير ظاهر الدلالة على معناه المراد منه، أو موهم لمعنى غير المقصود لصاحب التعريف (ص ٦٠، ٦١).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- المحاجة **Argumentation**.

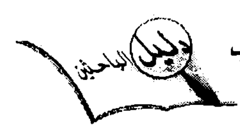
- التعريفات **Definitions**.

القائم بالعرض

د.أحمد محمد مجرية

* * *

غذاء الألباب شرح منظومة الآداب



○ تأليف/ الحنبلي محمد بن أحمد بن سالم السفاريني.

○ تحقيق/ محمد بن عبد العزيز الخالدي.

○ لبنان: دار الكتب العلمية، الجزء الأول.

* * *

التعريف بالمؤلف:

محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان (١١١٤هـ - ١١٨٨هـ). ولد بقرية سفارين من قرى نابلس، ونشأ بها، وتلا القرآن الكريم. ثم رحل إلى دمشق لطلب العلم، فأخذ بها عن الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، وشيخ الإسلام الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي وغيرهم. وأخذ الفقه عن أبي التقى عبد القادر بن عمر التغلبي، وأبي الفضائل عواد بن عبيد اللّه الكوري، ومصطفى بن عبد الحق اللبدي وغيرهم. ثم رجع إلى بلده، ثم توطن نابلس. واشتهر بالفضل والذكاء. ودرس وأفتى وألف تآليف عديدة منها: شرح ثلاثيات « مسند الإمام أحمد »، وتحبير الوفا في سيرة المصطفى، والبحور الزاخرة في علوم الآخرة، وكشف اللثام في شرح عمدة الأحكام، ونتائج الأفكار في شرح حديث سيد الاستغفار.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٦١) صفحة. يتناول الكتاب شرح منظومة الآداب التي ألفها محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان. حيث يتناول المؤلف عديدًا من الموضوعات بإيجاز، فيتناول مراتب الصحبة. قسمها ابن الجوزي إلى ثلاث مراتب: الأولى من كثرت مخالطته ومعاشرته للنبي ﷺ لا يُعرف صاحبها إلا بها، والثانية: من اجتمع به ﷺ مؤمنًا ولو مرة واحدة، والثالثة: من رآه ﷺ رؤية، ولم يجالسه ولم يماشه فهذا ألحقوه بالصحبة إلحاقًا (ص٢١).

ويتناول مراتب الهداية فيذكر أنها أربعة أنواع: الهداية العامة المشتركة بين الخلق. وهداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه

الهداية لا تستلزم الهدى التام، فهي سبب وشرط لا موجب؛ ولهذا ينتفي الهدى معها. وهداية التوفيق و الإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها. والهداية إلى الجنة أو إلى النار إذا سيق أهليهما إليهما (ص٢١، ٢٢).

ويتناول مراتب العلم، فيذكر أنها ثلاث: المرتبة الأولى «علم اليقين» وهو انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده، ولا يشك فيه كانكشاف المرئي للبصر. ثم يليها المرتبة الثانية وهي مرتبة «عين اليقين» ونسبتها إلى العين كنسبة الأولى للقلب. ثم تليها المرتبة الثالثة وهي « حق اليقين » وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام. فالأولى كعلمك أن في هذا الوادي ماء، والثانية كرؤيته، والثالثة كالشرب منه (ص٣١). ثم يتناول مراتب التعلم وهي ستة: أولها حسن السؤال. وثانيها حسن الإنصات والاستماع، وثالثها حسن الفهم. ورابعها الحفظ. وخامسها التعلم. وسادسها العمل به ومراعاة حدوده (ص٣٢، ٣٣).

ثم يتناول آفات اللسان ويذكر أنها كثيرة جدًّا منها: الكلام فيما لا يعني، ومعنى الذي لا يعنيه لا تتعلق عنايته به ولا يكون من مقصده ومطلوبه، ومنها الكذب، والبذاذة، وشهادة الزور، وقول الفجور، والقذف (ص ٥٥، ٥٦).

ثم يتناول غض البصر وهو: ترك التحديق واستيفاء النظر، فتارة يكون ذلك لأن في الطرف كسرًا وفتورًا خلقيين، وتارة يكون لقصد الكف عن التأمل حياءً من اللّه - تعالى - (ص٦٣). ثم يتناول فوائده وهي عشرة نذكر منها: أنه يُورث صحة الفراسة، ويفتح للفرد طرائق العلم وأبوابه، ويُورث كذلك قوة القلب وثباته وشجاعته، ويقوي عقله ويثبته ويزيده، ويسد عنه أبواب جهنم، ويخلص القلب من سكرة الشهوة (ص٦٧ - ٦٩).

ثم يتناول النميمة. ويفرق المؤلف بين النميمة وعدد من المفاهيم القريبة منها؛ فيذكر معنى الهمزة: ويقصد بها الذي يعيبك في وجهك. والهمز يكون بالعين والشدق واليد (ص٨١). ثم اللمزة وهي: الذي يعيبك بالغيب. واللمز يكون باللسان (ص٨١). ثم النميمة وهي: نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر. وقال في القاموس: النَّم: التوريس والإغراء، ورفع الحديث إشاعة وإفسادًا، وتزيين الكلام بالكذب، ينم فهو نموم ونمام ومنم كمجن. والنميمة: الاسم، وصوت الكتابة، والكتابة، ووسواس همس الكلام، ونَمَّ المسْكُ: سَطَعَ. والنمام: نبت طيب مُدر مخرج للجنين الميت، والدود، ويقتل القمل، وخاصيته النفع من لسع الزنابير شربًا مثقالًا بسكنجبين (ص٨٥). ثم

يُعرِّف القتَّات بأنه: النمام الذي يستمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون، سواء نمها أم لم ينمها (ص٨٥). أما العساس فهو: الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمها (ص٨٦). ويبين أحكام الشرع في النميمة وكل ما يتعلق بها من آفات اللسان.

ثم يتناول الفُحش ويعرفه بأنه: كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ويذكر الأحاديث التي تنهى عنه (ص٩٧ - ١٠٠).

ثم يتناول حكم الشرع في السخرية، ويفرق بينها وبين عدد من المفاهيم القريبة. فيذكر أن السخرية: الاستهزاء. وفي القاموس هزأ منه وبه كمنع وسمع هزؤًا وهزوًا ومهزاة سخر كتهزأ واستهزأ. ورجل هُزأة يُهزأ منه (ص١٠١). أما الكبر فهو بطر الحق، أي دفعه ورده (ص١٠٢). والغمط: بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة هو احتقارهم وازدراؤهم (ص١٠٢).

ثم يتناول الكذب ويعرفه بأنه: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، ولا يشترط فيه التعمد. ويتناول المواضع التي يصلح فيها الكذب وهي ثلاثة: خداع الكافر، والتقريب بين الزوجين، والإصلاح بين الناس (ص١٠٥).

ثم يتناول حكم الاستماع إلى الموسيقى والغناء، ويذكر كثيرًا من الأحاديث التي تنهى عن الاستماع إليهما (ص١١٤ - ١٣٦). ثم يذكر حكم الشرع في إنشاد الشعر وسماعه. ويذكر عددًا من الأحاديث التي تبيح إنشاد الشعر وسماعه خاصة الذي يحث على القيم والسلوكيات النبيلة (ص١٣٩ - ١٥٧).

ثم يتناول حكم الشرع فيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١٦٣- ١٧٤).

وورد في هذا الموضع تعريف مفهومين هما:

١ - **المعروف**: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة اللَّه، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المُحسنات والمُقبحات، وهو من الصفات الغالبة. والمعروف النصف، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم (ص١٦٣).

٢ - **الجهل**: ضد العلم. وهو انتفاء العلم بالمقصود ويسمى الجهل البسيط. وأما الجهل المُركب: فهو تصور الشيء على غير هيئة؛ لأنه جهل المُدرك بما في الواقع، مع الجهل بأنه جاهل به كاعتقاد الفلاسفة قدم العالم (ص١٧٠).

ثم يتناول حكم الشرع في التصوير (ص١٨٨ - ١٩٠)، وفي التنجيم والسحر ويذكر الأحاديث التي تحرمهم (ص١٩٠ - ١٩٤). ثم يتناول حكم الشرع في التجسس (ص٢٠١ - ٢٠٥). ويعرف التجسيس «بالجيم» بأنه: البحث عن عيوب الناس. وأما بالحاء المهملة فهو البحث عن طلب الخب. ويتناول حكم الشرع في التجسس.

ثم يتناول آداب الاستئذان عند دخول ديار الغير، فيذكر أن على المسلم أن يستأذن قبل الدخول، وأن يقف بعيدًا عن باب الدار، ويُستحب تحريك نعليه وإظهار حسه عند السماح له بالدخول، ويُستحب أن يُسمي نفسه إذا قيل له من أنت، وأن يجلس حيث أجلسه رب المنزل (ص٢٣٦ - ٢٥٠).

ثم يتناول صلة الرحم ويذكر الآيات القرآنية والأحاديث التي تتناولها (ص٢٦٧- ٢٨٠). وبر الوالدين، وتقديم بر الأم على الأب (ص٢٨٨ - ٣٠٣).

وأخيرًا يتناول المؤلف معنى الخوف ومراتبه فيُعرف الخوف بأنه: توقع الأذى على مجازي الأنفاس. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المُخوف. وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام. قال ابن القيم: وهذا سبب الخوف لا نفسه. وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره. وفى متن منازل السائرين: الخوف الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الجزاء. والخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج (ص ٣٥٣ - ٣٥٤). أما الخشية فهي أخص من الخوف فإنها للعلماء باللَّه. وهي خوف مقرون بمعرفة؛ فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون (ص٣٥٤).

وورد في الكتاب الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الشكر**: لغة هو الحمد العرفي، وعُرفًا صرف العبد جميع ما أنعم اللَّه به عليه إلى ما خُلق لأجله (ص١٢).

٢ - **مراتب الصحبة**: قسمها ابن الجوزي إلى ثلاث مراتب: الأولى من كثرت مخالطته ومعاشرته للنبي ﷺ لا يُعرف صاحبها إلا بها، والثانية: من اجتمع به ﷺ مؤمنًا ولو مرة واحدة، والثالثة: من رآه ﷺ رؤية، ولم يجالسه ولم يماشه فهذا ألحقوه بالصحبة إلحاقًا (ص٢١).

٣ - **مراتب الهداية**: أربعة أنواع هي: هداية عامة مشتركة بين الخلق. وهداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية

لا تستلزم الهدى التام، فهي سبب وشرط لا موجب، ولهذا ينتفي الهدى معها. وهداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها. والهداية إلى الجنة أو إلى النار إذا سيق أهليهما إليهما (ص٢١، ٢٢).

٤ - **الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه** (ص٢٦).

٥ - **الجُحد**: جمع جاحد أي منكر مع علمه، يقال جحده حقه كمنعه جُحدًا، وجُحودًا أنكره مع علمه (ص٢٨).

٦ - **مراتب التعلم ستة**: أولها حسن السؤال. وثانيها حسن الإنصات والاستماع. وثالثها حسن الفهم. ورابعها الحفظ. وخامسها التعلم. وسادسها العمل به ومراعاة حدوده (ص٣٢، ٣٣).

٧ - **النصيحة**: إرادة الخير للمنصوح له (ص٣٤).

٨ - **العناية**: شدة الاهتمام بالشيء (ص٥٣).

٩ - **ذرب اللسان « بفتح الذال والراء »**: حِدَّته وشرِّه وفحشه (ص٥٥).

١٠ - **آفات اللسان**: وهي كثيرة منها الكلام فيما لا يعني، ومعنى الذي لا يعنيه لا تتعلق عنايته به ولا يكون من مقصده ومطلوبه، ومنها الكذب، والبذاذة، وشهادة الزور، وقول الفجور، والقذف (ص٥٥، ٥٦).

١١ - **غض البصر**: ترك التحديق واستيفاء النظر، فتارة يكون ذلك لأن في الطرف كسرًا وفتورًا خلقيين، وتارة يكون لقصد الكف عن التأمل حياءً من اللَّه تعالى (ص٦٣).

١٢ - **الشهوة**: التلذذ بالنظر (ص٧٦).

١٣ - **البُهت**: قال في القاموس: بهته كمنعه بهتًا وبُهتانًا، أي قال عليه ما لم يفعل. ويقال بهت فلانًا فبهت أي تحير في كذبه، وقيل بهته أي واجهته بما لم يفعله (ص ٧٩، ٨٠).

١٤ - **البُهتية**: الباطل الذي يُتحير من بطلانه (ص٧٩).

١٥ - **الهُمزة**: ويقصد بها الذي يعيبك في وجهك. والهمز يكون بالعين والشدق واليد (ص٨١).

١٦ - **اللمزة**: الذي يعيبك بالغيب. واللمز يكون باللسان (ص٨١).

١٧ - **النميمة**: نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر. وقال في

القاموس: النم: التوريس والإغراء، ورفع الحديث إشاعة وإفسادًا، وتزيين الكلام بالكذب، يَنِمُّ فهو نَمُومٌ ونمَّامٌ ومِنَمٌّ كمجن. والنميمة: الاسم، وصوت الكتابة، والكتابة، ووسواس: همس الكلام، ونم المسك سطع. والنمام نبت طيب مُدر مخرج للجنين الميت، والدود، ويقتل القمل، وخاصيته النفع من لسع الزنابير شربًا مثقالًا بسكنجبين (ص٨٥).

١٨ - **القتات**: النمام الذي يستمع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون، سواء نمها أم لم ينمها (ص٨٥).

١٩ - **العساس**: الذي يسأل عن الأخبار ثم ينمها (ص٨٦).

٢٠ - **الفُحش**: كل ما اشتد قبحه من الذنوب والمعاصي (ص٩٧ - ١٠٠).

٢١ - العي : قلة الكلام (ص٩٩).

٢٢ - **البيان**: كثرة الكلام (ص٩٩).

٢٣ - **البذاء**: الفحش في الكلام (ص٩٩).

٢٤ - **الخدعة**: بفتح الخاء وسكون الدال المهملة بمعنى أن أمرها ينقضي بخدعة واحدة يخدع بها المخدوع فتزل قدمه، ولا يجد لها تلافيًا ولا إقالة. فكأنه نبَّه على أخذ الحذر من مثل ذلك. ومن ضم الخاء وسكن الدال فمعناه أنها تخدع، يعني أهلها ومباشريها. ومن ضم الخاء وفتح الدال نسب الفعل إليها أي تخدع هي من اطمأن إليها، وأن أهلها بهذه الصفة فلا يُطمأن إليهم كأنه قال: أهل الحرب خدعة ثم حذف المضاف. وأصل الخداع إظهار أمر وإضمار خلافه. ويقال: خدع الطريق فسد فكأن الخداع يفسد تدبير المخدوع ويُقيل رأيه. وقال في الصحاح: خدعه يخدعه خُدعًا وخَدعًا وأيضًا بالكسر مثل سحره سحرًا أي ختله وأراد به المكروه من حيث لا يعلم (ص١٠٠).

٢٥ - **الخدع**: توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده والمُخادعة تكون بين اثنين (ص١٠٠).

٢٦ - **السخرية**: الاستهزاء. وفي القاموس هزأ منه وبه كمنع وسمع هزؤًا وهزوًا ومهزاة سخر كتهزأ واستهزأ. ورجل هُزأة يُهزأ منه (ص١٠١).

٢٧ - **الكبر**: بطر الحق، أي دفعه ورده (ص١٠٢).

٢٨ - **الغمط**: بفتح الغين المعجمة وسكون الميم: احتقارهم وازدراؤهم (ص١٠٢).

٢٩ - **التنكيد**: التعاسر وفي القاموس: تناكدًا تعاسرًا. وناكده عاسره، وأصل النكد الشدة والعُسرة (ص١٠٥).

٣٠ - **الكذب**: الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، ولا يشترط فيه التعمد (ص١٠٥).

٣١ - **الحكمة**: الفقه في الدين والعلم به. وقيل الخشية. وقيل الفهم عن اللَّه. والحكمة معرفة الأشياء بأفضل العلوم (ص١٤٣).

٣٢ - **المندوب**: ما أُثيب فاعله ولم يُعاقب تاركه (ص١٦٠).

٣٣ - **النفاق**: إظهار الجميل وإبطال القبيح، وإضمار الشر مع إظهار الخير لإيقاع الأذى (ص١٦١).

٣٤ - **المعروف**: اسم جامع لكل ما عُرف من طاعة اللَّه، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه من المُحسنات والمُقبحات، وهو من الصفات الغالبة. والمعروف النصف، وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم (ص١٦٣).

٣٥ - **الجهل**: ضد العلم. وهو انتفاء العلم بالمقصود ويسمى الجهل البسيط. وأما الجهل المُركب: فهو تصور الشيء على غير هيئة؛ لأنه جهل المُدرك بما في الواقع، مع الجهل بأنه جاهل به كاعتقاد الفلاسفة قدم العالم (ص١٧٠).

٣٦ - **الصبي**: الولد ما دام في بطن أمه فهو جنين. إذا وُلد يسمى صبيًا، فإذا فُطم يسمى غُلامًا إلى سبع سنين، ثم يصير يافعًا إلى عشر، ثم حزورًا إلى خمسة عشر، ثم يصير قَمْدًا إلى آخر كلامه (ص١٨٢).

٣٧ - **التجسيس « بالجيم »**: البحث عن عيوب الناس. وأما بالحاء المهملة فهو البحث عن طلب الخبر (ص٢٠١).

٣٨ - **القرف**: التهمة. يقال قرفته إذا أضفته إليه وعبته واتهمته (ص٢٠٨).

٣٩ - **المحبة**: الميل الدائم بالقلب الهائم، وقيل: إيثار المحبوب على كل مصحوب. وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. وقيل: إقامة الخدمة مع القيام بالحرمة (ص٢٢٥).

٤٠ - **السُّنة**: الطريقة والعادة والسيرة حميدة كانت أو ذميمة. وفي الاصطلاح: ما أُضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير (ص٢٣٦).

٤١ - **المُناجاة**: المُسارَّة. يُقال ناجاه مُناجاة سارَّه، وانتجاه خصه بمُناجاته كما في القاموس، وقال في النهاية: المُناجي هو المُخاطب للإنسان والمُحدِّث له. يقال ناجاه يناجيه مُناجاة فهو مُناجٍ (ص٢٦٢).

٤٢ - **المُرد**: جمع أمرد وهو من لم تنبت لحيته، بأن لم يأت أوان نباتها (ص٢٦٦).

٤٣ - **الخُلق**: السجية والطبع والمروءة والدين (ص٢٧٧) ويطلق البعض على الخُلق لفظ الخيم ويُراد به الطبع الغريزي (ص٢٨٣).

٤٤ - **عقوق الوالدين**: إيذاءهما. ويُقال عقَّ والده يعقُّه عقوقًا فهو عاقٌّ إذا آذاه وعصاه، وخرج عليه، وهو ضد البر به، وأصله من العق الذي هو الشق والقطع (ص٢٨٧).

٤٥ - **البر**: الصلة والسُّنة والخير والإشباع في الإحسان (ص٢٨٧).

٤٦ - **القزع**: حلق بعض الرأس وترك بعضه (ص٣٣٠).

٤٧ - **المُتفلجة**: التي تُفلج أسنانها بالبرد ونحوه للتحسين (ص٣٣١).

٤٨ - **الواصلة**: التي تصل الشعر بشعر نساء أو دواب (ص٣٣٢).

٤٩ - **النامصة**: التي تنقش الحاجب حتى ترفه (ص٣٣٢).

٥٠ - **القاشرة**: التي تقشر وجهها بالدواء ليصفو لونها (ص٣٣٢).

٥١ - **الصالقة**: التي ترفع صوتها بالصراخ عند المصائب (ص٣٣٢).

٥٢ - **الحالقة**: التي تحلق شعرها عند النوائب (ص٣٣٢).

٥٣ - **الخارقة**: التي تخرق ثوبها عن المصيبة (ص٣٣٢).

٥٤ - **التثاؤب**: قاموسًا: تثاءب: أصابه كسل وفترة كفترة النعس، وهي الثؤباء والثأب مُحركة (ص٣٤٨).

٥٥ - **الخوف**: توقع الأذى على مجازى الأنفاس. وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المُخوف. وقيل الخوف قوة العلم بمجاري الأحكام. قال ابن القيم: وهذا سبب الخوف لا نفسه. وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره. وفي متن منازل السائرين: الخوف: الانخلاع عن طمأنينة الأمن بمطالعة الجزاء. والخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف، فكل راج خائف، وكل خائف راج (ص٣٥٣، ٣٥٤).

٥٦ - **الخشية**: أخص من الخوف فإنها للعلماء باللّه. وهي خوف مقرون بمعرفة؛

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون (ص٣٥٤).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **البُهت.**
- **الخدعة.**
- **السخرية.**
- **الغمط.**
- **التنكيد.**
- **الكذب ling.**
- **الحكمة Wisdom.**
- **الخوف Fear.**
- **الخشية.**
- **الإيثار. Altruism**

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام



○ تأليف/ الحنفي الإمام علاء الدين أبي الحسن علي بن خليل الطرابلسي (٨٤٤هـ).

○ القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١٩٧٣م)، الطبعة الثانية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو علي بن خليل الطرابلسي، علاء الدين، فقيه حنفي، كان قاضيًا بالقدس وتوفي سنة (٨٤٤هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٤٧) صفحة من القطع الكبير، وهذا الكتاب رتبته على ثلاثة أقسام:

الأول: في مقدمات هذا العلم التي تنبني عليها الأحكام.

الثاني: فيما تفصل به الأقضية من البينات وما يقوم مقامها.

الثالث: في أحكام السياسة الشرعية.

* **القسم الأول يشتمل على أبواب:**

الباب الأول: **في بيان حقيقة القضاء ومعناه وحكمه وحكمته:**

فحقيقة القضاء الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلزام. وفي المدخل: القضاء: معناه الدخول بين الخالق والخلق ليؤدي فيهم أوامره وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة. وقال « القرافي »: حقيقة الحكم: إنشاء إلزام أو إطلاق. فالإلزام كما إذا حكم بلزوم الصدق، أو النفقة، أو الشفعة ونحو ذلك؛ فالحكم بالإلزام هو الحكم. والحكم في اللغة: القضاء أيضًا، فحقيقتهما متقاربة. وأما حكمه فهو فرض كفاية. وأما حكمته فرفع الهارج ورد النوائب، وقمع الظالم ونصر المظلوم، وقطع الخصومات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو ما يشير إلى مفهوم (**العدالة Justice**) انظر (ص٧).

الباب الثاني: في فضل القضاء والترغيب في القيام فيه بالعدل وبيان محل التحذير منه وحكم السعي فيه:

بالغ أكثر المؤلفين في الترهيب والتحذير من الدخول في ولاية القضاء، وشددوا في كراهة السعي فيها ورغبوا في الإعراض عنها والنفور والهرب منها، ويقول رسول اللّه ﷺ: « **القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاض في الجنة، قاض عمل بالحق في قضائه فهو في الجنة، وقاض علم الحق فجار متعديًا فذلك في النار، وقاض قضى بغير علم واستحيا أن يقول لا أعلم فهو في النار** » صدق رسول اللّه ﷺ.

وهو ما يشير إلى مفهوم (**انخفاض توكيد الذات Low of Assertiveness**) انظر (ص٩).

وطلب القضاء ينقسم إلى خمسة أقسام: واجب، ومباح، ومستحب، ومكروه، وحرام.

فالوجه الأول: إذا كان من أهل الاجتهاد، أو من أهل العلم والعدالة ولا يكون هناك قاض أو يكون ولكن لا تحل ولايته، أو ليس في البلد من يصلح للقضاء غيره، أو لكونه إن لم يل القضاء وليه من لا تحل ولايته، وكذلك إن كان القضاء بيد من لا يحل بقاؤه عليه ولا سبيل إلى عزله إلا بتصدي هذا إلى الولاية، فيتعين عليه التصدي لذلك والسعي فيه إذا قصد بطلبه حفظ الحقوق، وجريان الأحكام على وفق الشرع؛ لأن في تحصيله القيام بفرض الكفاية.

الوجه الثاني: أن يكون فقيرًا وله عيال، فيجوز له السعي في تحصيله ليسد خلته، وكذلك إن كان يقصد به دفع ضرر عن نفسه فيباح له أيضًا.

الوجه الثالث: إذا كان هناك عالم خفي علمه عن الناس فأراد الإمام أن يشهره بولاية القضاء ليعلم الجاهل ويفتي المسترشد، أو كان هو خامل الذكر لا يعرفه الإمام ولا الناس فأراد السعي في القضاء ليعرف موضع علمه فيستحب له تحصيل ذلك والدخول فيه بهذه النية.

الوجه الرابع: أن يكون سعيه في طلب القضاء لتحصيل الجاه والاستعلاء على الناس فهذا يكره له السعي، ولو قيل أنه يحرم كان وجهه ظاهرًا لقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ويكره أيضًا إن كان غنيًا عن أخذ الرزق على القضاء وكان مشهورًا لا يحتاج أن يشهر نفسه وعلمه بالقضاء.

الوجه الخامس: أن يسعى في طلب القضاء وهو جاهل ليس له أهلية القضاء، أو يسعى فيه وهو من أهل العلم لكنه متلبس بما يوجب فسقه، أو كان قصده بالولاية الانتقام من أعدائه أو قبول الرشوة من الخصوم وما أشبه ذلك من المقاصد، فهذا يحرم عليه السعي في القضاء وهو ما يشير إلى مفهوم (**الدوافع Motives**) انظر (ص١٠).

الباب الثالث: **في ولاية القضاء وما يستفاد بها من النظر في الأحكام، وما ليس للقاضي النظر فيه، ومراتب الولاية التي تفيد أهلية القضاء أو شيئًا منها:**

ولاية القضاء، فقال « القرافي » في كتابه « الذخيرة »: هذه الولاية متناولة للحكم لا يندرج فيها غيره، وقال في موضع آخر: وليس للقاضي السياسة العامة لا سيما الحاكم الذي لا قدرة له على تنفيذ، كالحاكم الضعيف القدرة على الملوك الجبابرة، فهو ينشئ الإلزام على الملك العظيم، ولا يخطر له تنفيذه لتعذر ذلك عليه، بل الحاكم ليس له الإنشاء، وأما قوة التنفيذ فأمر زائد على كونه حاكمًا، فقد يفوض إليه التنفيذ وقد لا يندرج في ولايته، وليس له قسمة الغنائم، وتفريق أموال بيت المال على المصالح، وإقامة الحدود، وترتيب الجيوش، وقتال البغاة، وتوزيع الإقطاعات، ونحو ذلك، فلا يجوز لأحد الإقدام عليه إلا بإذن إمام الوقت الحاضر.

وهو ما يشير إلى مفهوم (**مهام العمل Job Tasks**) انظر ص(١١).

- **أنواع الولاية التي يندرج القضاء في ضمنها:**

النوع الأول: **الإمامة الكبرى وأهلية القضاء جزء من أجزائها**، وكذلك أهلية السياسة العامة فهي صريحة في تناول ذلك.

النوع الثاني: الوزارة، يجوز التفويض في جميع الأمور للوزير، ويختص الإمام عنه بثلاثة أشياء:

- لا يعقد الوزير ولاية العهد ويعقدها الإمام لمن يريد، فيكون إمامًا من بعده للمسلمين كفعل أبي بكر ﷺ.

- لا يستعفى من الولاية والإمام الاستعفاء من الإمامة.

- لا يعزل من قلده الإمام، ويسمى هذا الوزير وزير تفويض، وهذا مع وجود أهلية القضاء وإلا فهو جاهل لا يجوز له القضاء. وأما وزير التنفيذ ووزير الاستشارة فليس لهما أهلية الحكم، ووزير التنفيذ هو الذي إذا حكم الإمام بشيء نفَّذه.

النوع الثالث: الإمارة وهي أربعة أقسام:

١ - كالملوك مع الخلفاء في الإمارات على بعض الأقاليم، فهذه صريحة في إفادة أهلية السياسة وتدبير الجيوش وتقسيم الغنائم، وأموال بيت المال.

٢ - أن يكون الأمير مؤمرًا لكنه لم تفوض إليه الحكومة مع الإمرة، وإن فوضت إليه الحكومة مضى حكمه وحكم مقدميه.

٣ - الإمارة الخاصة على تدبير الجيوش وسياسة الرعية دون تولية القضاء، ففيه خلاف بين العلماء.

٤ - ولاية النظر في المظالم، وله من النظر ما للقضاة، وهو أوسع منهم مجالًا يزيد بشرط العلم.

الباب الرابع: في الألفاظ التي تنعقد بها الولاية، وما يشترط في تمام الولاية وما تفسد الولاية باشتراطه:

الألفاظ التي تنعقد بها الولاية صريح وكناية. فالصريح أربعة ألفاظ، وهي: وليتك، وقلدتك، واستخلفتك، واستنبتك.

والكناية ثمانية ألفاظ، وهي: اعتمدت عليك، وعولت عليك، ووردت إليك، وجعلت إليك، وفوضت إليك، ووكلت إليك، واستندت إليك، وعهدت إليك. وتحتاج الكناية إلى أن يقترن بها ما ينفي عنها الاحتمال مثل: احكم فيما اعتمدت عليك فيه. ويجوز تعليق القضاء والإمارة، وكذا يجوز إضافتهما إلى المستقبل، وكذا يجوز تأقيت القضاء بزمان بأن قال: أنت قاضي هذه البلدة هذا الشهر، أو هذا اليوم، ويصير قاضيًا بقدره، وكذا يجوز تقييده بمكان.

الباب الخامس: في أركان القضاء:

وهي ستة: القاضي، والمقضي به، والمقضي له، والمقضي عليه، وكيفية القضاء، والإمام.

- الركن الأول: في شروط القضاء، وأدب القاضي واستخلافه، وذكر التحكيم، ويشتمل على فصول:

الفصل الأول: في الأوصاف المشترطة في صحة الولاية للقاضي وما هو غير شرط: إذا أراد الإمام تولية أحد اجتهد لنفسه وللمسلمين ولا يحابي، ولا يقصد بالتولية إلا وجه اللّٰه تعالى،

فقد روي عن « عمر بن الخطاب » ﷺ أنه قال: ما من أمير أمَّر أميرًا، أو استقضى قاضيًا محاباة إلا كان عليه نصف ما اكتسب من الإثم، وإن أمره أو استقضاه نصيحة للمسلمين كان شريكه فيما عمل من طاعة اللَّه ولم يكن عليه شيء مما عمل من معصية اللَّه، وليختر رجلًا من أهل الدين، والفضل، والورع، والعلم، ومن صفته أن يكون غير مستكبر عن مشورة من معه من أهل العلم، ورعًا ذكيًا فطنًا، ومتأنيًا غير عجول، ونزهًا عما في أيدي الناس، عاقلًا، مرضي الأحوال، موثوقًا باحتياطه في نظره لنفسه في دينه وفيما جمل من أمره، ومن ولي النظر لهم، غير مخدوع، وقورًا مهيبًا، عبوسًا من غير غضب، متواضعًا من غير ضعف، حاكمًا بشهادة العدول، ولا يطلع الناس منه على عورة، ولا يخشى في اللَّه لومة لائم، ولا ينبغي أن يكون صاحب حديث لا فقه عنده، أو صاحب فقه لا حديث عنده، عالمًا بالفقه والآثار. وهو ما يشير إلى مفهوم (متطلبات العمل **Job Specifications**) انظر (ص١٤).

الفصل الثاني: في الأحكام اللازمة للقاضي في سيرته، والآداب التي لا يسعه تركها، وما جرى عمل الحكام بالأخذ به: ونذكر رسالة أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ﷺ المعروفة برسالة القضاء، ومعاني الأحكام، وعليها احتذاء قضاة الإسلام، وقد ذكرها كثير من العلماء وصدروا بها كتبهم، وهي أصل فيما تضمنته فصول القضاء، وهي: « بسم اللَّه الرحمن الرحيم »، من « عمر بن الخطاب » أمير المؤمنين إلى « أبي موسى الأشعري »: سلام عليك، فإني أحمد اللَّه الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدلى إليك وأنفذ إذا تبين لك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له. سو بين الناس في وجهك ومجلسك وعدلك، حتى لا ييأس الضعيف من عدلك، ولا يطمع الشريف في حيفك، والبينة على من ادعى، واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا. لا يمنعك قضاء قضيته أمس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه رشدك أن تراجع الحق، فإن الحق ومراجعته خير من الباطل والتمادي فيه. والفهم فيما تلجلج في صدرك مما لا يبلغك في الكتاب والسنة. اعرف الأمثال والأشكال وقس الأمور عند ذلك، واعمد إلى أحبها إلى اللَّه وأشبهها بالحق فيما ترى. اجعل للمدعي حقًّا غائبًا أو بينة أجلًا ينتهي إليه، فإن أحضر بيِّنته أخذت بحقه، وإلا وجهت عليه القضاء، فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في العذر. والمسلمون عدول بعضهم على بعض، إلا مجلودًا في حد، أو مجربًا عليه شهادة زور، أو طعينًا في ولاء أو نسب، فإن اللَّه - تعالى - تولى منكم السرائر ورد عنكم بالبينات والإيمان. وإياك والقلق والضجر والتأذي بالناس والتنكر للخصوم عند الخصومات في مواطن الحق.

وهو ما يشير إلى مفهوم (**السلوك الحكيم Wise behaviour**) انظر (ص١٥).

- **فصل: فيما يلزمه في خاصة نفسه**: يجب على من ولي القضاء أن يعالج نفسه على آداب الشرع وحفظ المروءة وعلو الهمة، ويتوقى ما يشينه في دينه ومروءته وعقله، أو يحطه في منصبه وهمته، فإنه أهل لأن ينظر إليه ويقتدى به، وليس يسعه في ما يسع غيره، فالعيون إليه مصروفة، ونفوس الخاصة على الاقتداء به موقوفة، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاقتداء Modeling**) انظر (ص١٥).

وليجتهد أن يكون جميل الهيئة ظاهر الأبهة وقور المشية والجلسة حسن النطق والصمت محترزًا في كلامه من الفضول وما لا حاجة به، فكأنما يعد حروفه على نفسه عدًّا، فإن كلامه محفوظ وهناته في ذلك ملحوظ، وليقلل عند كلامه الإشارة بيده والالتفات بوجهه، فإن ذلك من عمل المتكلفين وصنع غير المتأدبين، وليكن ضحكه تبسمًا، ونظره فراسة وتوسمًا، وإطراقه تفهمًا، وليلزم من السمت الحسن والسكينة والوقار ما يحفظ به مروءته، فتميل الهمم إليه. وهو ما يشير إلى مفهوم (**ضبط النفس Self Control**) انظر (ص١٥).

ولا يبيع ولا يشتري في مجلس القضاء، ويشهد الجنازة، ويعود المريض، ويجيب الدعوة. ينبغي له التنزه عن طلب الحوائج، ويتجنب بطانة السوء، وينبغي أن يستبطن أهل الدين والأمانة والعدالة والنزاهة ليستعين بهم على ما هو بسبيله، ويقوى بهم على التواصل على ما ينويه، ويجب أن يكون أعوانه في زي الصالحين، فإنه يستدل على المرء بصاحبه وغلامه.

الفصل الثالث: **فيما يتعلق بمجلسه ومسكنه**: أما مسكنه فينبغي أن يكون وسط البلد في موضع لا يشق على الناس القصد إليه. وأن لا يجلس على حال تشويش من جوع، أو غضب؛ لأن الغضب يسرع مع الجوع وهو ما يشير إلى مفهوم (**انفعال Emotion**) انظر (ص١٩). والفهم ينطفئ مع الشبع، والقلب يشتغل مع الهم، فمهما عرض له ذلك لم يجلس للقضاء. ولا يقضي ماشيًا لأنه يفرق رأيه ويخل فهمه، وينبغي أن يكون جلوسه متربعًا في مجلس الأحكام. وأن لا يتضاحك في مجلسه، ويلزم العبوس من غير غضب، ويمنع من رفع الصوت عنده، وأنه لا يتشاغل بالحديث في مجلس قضائه، ولا يكثر من القضاء حتى يأخذه النعاس والضجر.

الفصل الرابع: **في سيرته في الأحكام**: لا يقضي القاضي حتى لا يشك أن قد فهم. فإما

أن يظن أنه قد فهم ويخاف أن لا يكون قد فهم لما يجد من الحيرة، فلا ينبغي أن يقضي بينهما وهو يجد ذلك. ولا يقضي إلا بحضرة أهل العلم ومشورتهم...إلخ.

الفصل الخامس: فيما يبتدئ بالنظر فيه: أول ما يبتدئ به الكشف عن الشهود والموثقين فيعرف حال من لا يعرف منهم ويفحص عن عدالتهم، فمن كان عدلًا أثبته، ومن فيه جرحة أسقطه وأراح المسلمين من أذيته، ويسجل على شاهد الزور كتابًا مخلدًا، والكشف عن المحبوسين فينظر في أمورهم ومدة إقامتهم في حبسهم، ثم ينظر في الأوصياء وأموال الأيتام.

الفصل السادس: في سيرته مع الخصوم: إذا حضر الخصمان بين يديه فليسو بينهما في النظر إليهما والتحدث معهما، ويقعدهما بين يديه، ولا يقرب أحدهما إليه، ولا يقبل عليه دون خصمه، ولا يميل إلى أحدهما بالسلام فيخصه به ولا بالترحيب.

ثم تناول **الفصل السابع: في استخلاف القاضي. والثامن: في التحكيم. الركن الثاني**: المقضي به، وفيه بيان حكم القاضي المقلد وما يتعلق في حقه أن يحكم به من الأقوال والروايات، وبيان ما لا ينقض فيه حكم الحاكم، ونقض القاضي أحكام نفسه، ونقضه أحكام غيره، وبيان ما لا يفيد من أحكام القاضي، وبيان مالا يعتبر من أفعاله إذا عزل أو مات، وحكم الكشف عن القضاة، وجمع السلطان الفقهاء للنظر في حكم القاضي، والنظر في قيام المحكوم عليه يريد فسخ الحكم عنه. **الركن الثالث**: المقضي له. **الركن الرابع**: المقضي فيه، وفيه ذكر الأحكام التي ينظر فيها القاضي، وما ليس له النظر فيه. **الركن الخامس**: المقضي عليه، وفيه أنواع المقضي عليهم، والحكم على الغائب الذي يتعدى إلى غيره، وحيلة إثبات الدين على الغائب، والتصرف في أموال الغائب. **الركن السادس**: في كيفية القضاء، ويشتمل على ثمانية أقسام.

الأول: في معرفة تصرفات الحكام، وفيه فصول:

أولها: في تقريرات الحكام على الوقائع وما هو منها حكم وما ليس بحكم.

وثانيها: في بيان الفرق بين تصرفات الحكام التي هي حكم لا يجوز تعقبها، والتي ليست بحكم ويجوز تعقبها.

وثالثها: في بيان المواضع التي يدخلها الحكم استقلالًا لا تضمنًا.

ورابعها: الفرق بين ألفاظ الحكم التي جرت بها عادة الحكام في التسجيلات في قولهم يسجل بثبوته والحكم بصحته، وقولهم يسجل بثبوته والحكم بموجبه، وبيان

الفروق التي بين الحكم بالصحة والحكم بالموجب، وبيان ما يجتمع فيه الحكم بالصحة والحكم بالموجب.

وخامسها: الفرق بين الثبوت والحكم.

وسادسها: في تنفيذ القاضي حكم نفسه وتنفيذ حكم غيره وما يمتنع تنفيذه.

وسابعها: ما يدل على الحكم من قول أو فعل، وبيان انقسام الحكم.

وثامنها: ذكر تنبيهات في التسجيل وما ينبغي للقاضي أن يمتنع من التسجيل به والإشهاد على نفسه فيه، وما ينبغي أن ينبه عليه في الإسجال.

القسم الثاني: في بيان المدعي من المدعى عليه:

المدعي من إذا ترك الدعوى يترك، أي تنقطع الخصومة بتركه، والمدعى عليه من إذا ترك الدعوى لم يترك. وذكر « القدوري » في مختصره: المدعي من إذا ترك الخصومة لا يجبر عليها، والمدعى عليه من إذا تركها يجبر عليها. وذكر في التحفة، المدعي من يلتمس إثبات ملك أو حق، والمدعى عليه من ينفيه ويدافعه.

القسم الثالث: في ذكر الدعاوى وأقسامها:

وفيه فصول: **الفصل الأول**: في بيان الدعوى الصحيحة وشروطها، وكيفية تصحيح الدعوى.

الفصل الثاني: في تقسيم الدعاوى، وهي سبعة أنواع: منها ما لا يسمعه الحاكم ولا يلزم المدعي بسبب ما ادعاه شيئًا، ومنها ما لا يسمعه الحاكم ويؤدب المدعى بسبب ما ادعاه. ومنها ما يسمع الحاكم الدعوى به ويمكن المدعي من إقامة البينة على صحة ما ادعاه، ولا يلزم الحاكم المدعى عليه بالجواب.

ومنها ما يسمعه الحاكم ولا يلزم المدعى عليه بالجواب عنها إلا بشروط. ومنها ما يسمعه الحاكم ويمكن المدعي من إقامة البينة بما ادعاه ولا يحكم له بموجب ما شهد له به على الفور. ومنها ما يسمعه الحاكم ويمكن المدعي من إقامة البينة على دعواه ويلزم المدعى عليه بالجواب. ومنها ما يسمعه الحاكم ولا يمكن المدعي من إقامة البينة على صحة ما ادعاه ويغرم ما ادعى عليه به.

الفصل الثالث: في تقسيم المدعى عليهم إلى أربعة أنواع: دعوى على الحاضر المالك لأمره. ودعوى على الصغير والسفيه المولى عليهم. ودعوى الغائب. ودعوى في مال اليتيم.

الفصل الرابع: في تقسيم المدعى لهم وما يسمع من بيناتهم وما لا يسمع، وذكر منهم أنواع.

الفصل الخامس: في التنبيه على أحكام تتوقف سماع الدعوى بها على إثبات فصول.

الفصل السادس: في حكم الوكالة على الدعوى.

القسم الرابع: في حكم الجواب عن الدعوى وأقسامه.

القسم الخامس: في ذكر اليمين وصفتها والتغليظ فيها، وفيمن تتوجه عليه اليمين ومن لا تتوجه، وما لا يستحلف فيه.

القسم السادس: في ذكر البينات، وفيه فصول:

- **الأول**: في تعريف حقيقة البينة وموضعها شرعًا.
- **الثاني**: في أقسام مستند علم الشاهد.
- **الثالث**: في حد الشهادة وحكمها وحكمتها وما تجب فيه.
- **الرابع**: في صفات الشاهد وذكر موانع قبول الشهادة.
- **الخامس**: فيما ينبغي للشهود أن يتنبهوا له في تحمل الشهادة وأدائها وما يحترزون من الوقوع فيه، والأحكام المتعلقة بكاتب الوثائق.
- **السادس**: فيما ينبغي للقاضي أن يتنبه له في أداء الشهادات عنده، وفي الإشهاد عليه في التسجيلات.
- **السابع**: في صفة أداء الشهادة وما يجزئ من الألفاظ.

وهنا انتهى القسم الأول من الكتاب وهو قسم المقدمات. وموضوعاته تندرج في مجال (علم النفس الشرعي Forensic Psychology) تحت مسألة (الأسس النفسية لشهادة العيان Psychology of Eye-Witness).

* **القسم الثاني من الكتاب في ذكر أنواع البينات وما يقوم مقامها مما تفصل به الأحكام،** وهي أحد وخمسون بابًا، ومنها:

- في القضاء بأربعة شهود.
- في القضاء بشاهدين لا يجزئ غيرهما.
- في القضاء بشاهدين أو بشاهد وامرأتين.
- في القضاء بالبينة التامة مع يمين القضاء ويسمى يمين الاستبراء.

- في القضاء ببينة المدعي بعد فصل القضاء بيمين المدعى عليه.

- في القضاء بقول رجل بانفراده.

- في القضاء بقول امرأة بانفرادها.

- في القضاء بالنكول عن اليمين وعن حضور مجلس الحاكم، وبيان المواضع التي تجب فيها إجابة دعوة الحاكم وما لا تجب فيه الإجابة.

- في القضاء ببينة الخارج على ذي اليد إذا أقاما البينة، وفي تاريخ الدعوى والشهادة.

- في القضاء بالتحالف من الجهتين.

- في القضاء بأيمان اللعان.

- في القضاء بشهادة بعض أصحاب الحق.

- في القضاء بالشهادات المختلفة، والاختلاف بين الدعوى والشهادة.

- في القضاء بشهادة السماع...إلخ.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- العدالة **Justice**.

- توكيد الذات **Assertiveness**.

- الدوافع **Motives**.

- مهام العمل **Job Tasks**.

- متطلبات العمل **Job Specifications**.

- السلوك الحكيم **Wise Behaviour**.

- الاقتداء **Modeling**.

- ضبط النفس **Self Control**.

- علم النفس الشرعي **Forensic Psychology**.

- الأسس النفسية لشهادة العيان **Psychology of Eye–Witness**.

القائم بالعرض

د.أشرف محمد علي شلبي

المنن الكبرى أو لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق



- تأليف/ الشعراني الإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي (٨٩٨هـ - ٩٧٣هـ).
- وضع حواشيه وخرج أحاديثه: سالم مصطفى البدري.
- لبنان: بيروت، دار الكتب العلمية (٢٠٠٥م) الطبعة الثانية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٧٤٢) صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على: ترجمة المصنف، ومقدمة، وتقديم، وستة عشر بابًا.

تقديم، ذكر فيه أن اللَّه - تعالى - أمرنا بشكره على نعمته التي أسبغها علينا، وجعل ذلك علينا من جملة فرائضه، وطالبنا تعالى بشكره باللسان والقلب والجوارح، فشكر اللسان لا يكون إلا باعترافنا بنعمه أنها من عنده. وأما شكر القلب لا يحصل إلا باعتقاد العبد جزمًا أن جميع ما بيده من النعم والمنافع واللذات والحركات والسكنات من فضل ربه، وذلك ليكون شكر العبد بلسانه مطابقًا لما في قلبه ومعبرًا عما فيه.

وأما شكر الجوارح فلا يكون إلا بجعل العبد جميع حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة كلها في مرضاة اللَّه ﷻ. كما بين أن جميع الأخلاق المذكورة في هذا الكتاب لا يوصل إليها إلا بأحد طريقين، إما بالجذب الإلهي، وإما بالسلوك على يد شيخ صادق، ومن لم يدخل من أحد هذين الطريقين فمحال أن يصل إلى شيء من هذه الأخلاق.

قال « القشيري » رحمه اللَّه: وأصل تسمية الصوفية صوفية كان حين ظهرت الأهواء والبدع في عصر الإمام « أحمد بن حنبل ﷺ » فسموا كل من تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما صوفيًا دون غيره، وهو ما يشير إلى مفهوم ضرورة (**الالتزام الديني Religious Commitment**) انظر (ص٤٣).

وقد ذكر أن الشيخ « أفضل الدين » - رحمه اللَّه - أخبره أن اللَّه أعطى سيدي عليًا الخواص القدرة على استنباط جميع أحكام القرآن من الفاتحة، وكذلك استنباط جميع أدلة المجتهدين منها؛ بل أعطاه القدرة على تخريج جميع الأحكام الشرعية من أي حرف شاء من حروف الهجاء وهو ما يشير إلى مفهوم (**مهارة الاستدلال الاستنباطي Deductive Reasoning Skill**) انظر (ص٤٧).

كان الشيخ « أبو الحسن الشاذلي » يقول: ما بقي - بحمد اللَّه - عند غيرنا من أهل عصرنا علم نستفيده، وإنما ننظر في كلام غيرنا لنعرف ما مَنَّ اللَّه به علينا دونهم بما هو فوق مقامهم، فنشكر اللَّه على ذلك.

ذكر بعض نُقول من كلام السلف الصالح تؤذن بأن العلماء والصالحين ما مدحوا نفوسهم فخرًا ورياءً - حاشاهم من ذلك - وإنما بنوا أمرهم في ذلك على قواعد صحيحة، وأغراض شرعية، فإياكم أن تبادروا إلى الإنكار على أحد من العارفين إذا مدح نفسه، وتحمله على الأغراض النفسانية بعد اطلاعك على هذه الأدلة والنقول، وعليك بحملها على أحسن المحامل. وهو ما يشير إلى مفهوم (**العزو Attribution**) انظر (ص٥١).

الباب الأول: نعمة شرف نسبه لكونه من ذرية الإمام محمد بن الحنفية:

ذكر فضل شرف نسبه، فهو عبد الوهاب، ابن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن محمد، بن زوفا، ابن الشيخ موسى المكنى في بلاد البهنسا بأبي العمران جدي السادس، ابن السلطان أحمد، ابن السلطان سعيد، ابن السلطان قاشين، ابن السلطان محيا، ابن السلطان زوفا بن ريان، ابن السلطان محمد، ابن موسى، ابن السيد محمد ابن الحنفية، ابن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وذكر بعض ما من به اللَّه تبارك وتعالى عليه ومنها:

حفظ القرآن وهو صغير ابن ثمان سنوات وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها.

حماه اللَّه تعالى من الغرق في النيل وهو دون البلوغ.

انتقاله من بلاد الريف حيث الجفاء والجهل إلى مصر بلد اللطف والعلم.

حفظ متون الكتب مثل: أبا شجاع، والآجرومية، المنهاج للنووي، ألفية ابن مالك، والتوضيح لابن هشام، جمع الجوامع، ألفية العراقي، وتلخيص المفتاح، الشاطبية... إلخ.

شرحه لمحفوظاته السابقة على المشايخ الذين تعامل معهم وهم نحو خمسين شيخًا.

أخذه بالأحوط في دينه ولا يترخص في تركه إلا بطريق شرعي.

عدم التعصب لمذهبه من غير علم ولا اجتهاد وهو ما يشير إلى مفهوم (التسامح **Tolerance**) انظر (ص٦٢).

- لم يجزم عند اشتغاله بالفقه قط بما فهمه من كلام إمامه أو مقلديه.

- عدم المبادرة إلى القول بتعارض الأدلة أو كلام المجتهدين.

- كثرة مطالعته لكتب الشريعة، ثم مراجعة العلماء لما يشكل عليه منها فهمه.

- الفهم في القرآن العظيم، وهو مقام عظيم.

- كثرة توجيهه وتقريره لجميع مذاهب المجتهدين حين تبحر في علومهم.

- إجازة العلماء من أهل المذاهب الأربعة لمؤلفاته ومدحهم لها.

- موت جميع أشياخه في الفقه والتصوف وهم عنه راضون، فرضا الأشياخ على طالبهم ومريدهم عنوان على رضا اللّه تعالى عنه.

- انشراح صدره لاتباع السنة المحمدية قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

- إلهامه لمجاهدة نفسه بغير شيخ لما تبحر في علوم الشريعة.

- إلهامه لطلب الاجتماع بأهل الطريق وانقياده لهم إعطاؤه الفرقان بين رجال اللّه تعالى، وهم ثلاثة أصناف ذكرهم الشيخ « محيي الدين » هم:

١ - العباد بضم العين، وهم قوم غلب عليهم الزهد والتبتل، والأفعال الظاهرة المحمودة، ومن شأنهم أنهم لا يرون شيئًا فوق ما هم فيه، فلا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات.

٢ - الصوفية: وهم رجال فوق هؤلاء العباد، فإنهم يرون أفعالهم كلها للّه تبارك وتعالى مع ما هم عليه من الجد، والاجتهاد، والورع، والزهد، والتوكل.

٣ - الملامتية، وهم على قدم السيد « أبي بكر الصديق » - رضي اللّه عنه وأرضاه -، ومن شأنهم أنهم لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب، ولا يفعلون من العبادات كلها إلا ما لا بد منه، ولا يتميزون عن غالب الناس بعبادة، يمشون في الأسواق، ويتكلمون

مع الناس بكلام العامة، قد انفردوا بقلوبهم مع اللَّه جل وعلا، لا يتزلزلون عن عبوديتهم، ولا يذوقون للرياسة طعمًا لاستيلاء عظمة اللَّه تبارك وتعالى على قلوبهم، وهؤلاء أعلى الطوائف مقامًا. وهو ما يشير إلى مفهوم (**التصنيف Classification**) انظر (ص٨٩).

الباب الثاني: في جملة أخرى من الأخلاق:

بعض ما أنعم اللَّه تبارك وتعالى به عليه:

- عدم إصغائه إلى قول من يزعم أنه يعرف علم الكيمياء، أو يقدر على فتح المطالب. ويقول: إياكم أيها الإخوان من الاشتغال بذلك، وعليكم بالصبر على قيامكم في الصنائع والحرف التي بها معاشكم وأجركم على اللَّه تعالى، ثم اعلموا أن علم الحكمة ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي في الحقيقة مراتب الأقسام:

الأول: علم الكيمياء، وهو علم الجمادات على اختلاف مراتبها وأحكامها، وطرقه معرفة الميزان من غير تدبير حكمي، ويحتاج صاحبه إلى معرفة الذوات وتفاصيلها من حيث الحكم والأثر، علمًا يطابق عين الوصف القائم بذلك الجوهر حكمًا، وأثرًا؛ فعلًا وانفعالًا، ثم معرفة علم الدرجات والدقائق بالأعراض الملكوتية في الجوهر بسبب انحراف القطر، أو نقص شرط أو علة في المادة.

الثاني: علم الحجر المكرم، وهو على صورة تدبير أعيان العالم من حال ظهوره إلى حال استوائه.

الثالث: علم الخواص الموضوعة في المفردات بغير واسطة الطبيعة الكلية، وصورها العنصرية المزاجية، لعلوه عن العلم بأسره، إذ هو محل خزانة الملك، وموضع أسراره، ويحتاج صاحب هذا العلم إلى ثلاثة أمور:

١ - أن يعطى معرفة الحكم والأثر على وجه لا يقوم الأثر به إلا لحكمة في العدد.

٢ - أن يعطى الحكمة في معرفة الوقت الذي يتم فيه وجود التأثير.

٣ - أن يعرف الوقت الذي تقوم فيه الحكمة، وكذلك المكان المناسب للقوة المؤثرة أو المعين لها.

وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحكمة Wisdom**) انظر (ص١٠١).

- بلغ من الزهد أنه لو قدر له أن يجمع من الدنيا إردبًا من الذهب، فسرقه شخص أو أخذه من بين يديه، لا تتكدر منه عليه شعرة.

- كراهته لأكل شيء أعطيه على اسم كونه من الصوفية، أو على اسم كونه من الصالحين؛ لأن اسم الصوفي عرفًا لا يطلق إلا على من كان على قدم الصوفية المذكورين في رسالة « القشيري » وغيرها، من الزهد، والورع، وحفظ الجوارح كلها عن الحرام، وبحيث يشهد له أهل العقل من العلماء بذلك.

- كثرة شفقته على جميع المسلمين، وولاة أمورهم.

- عدم مدحه لأصوله وفروعه عند من لا يعرفهم إلا لغرض صحيح شرعي.

- عدم البدء بالزيارة لمن لا يعلم منه المكافأة له خوفًا من تكليفه بزيارة نظير البداءة بالهدية لمن يعلم منه المكافأة عليها.

- عدم نصبه على الناس بإيهامهم أنه يعرف علم الكيمياء بقصد ائتلاف قلوبهم عليه، حتى يرشدهم إلى سلوك طريق القوم.

- إلهامه جوامع الكلم من التسبيح والاستغفار، والصلاة على رسول اللّه عليه الصلاة والسلام.

- حين دخلت سنة إحدى وستين وتسعمائة ترادف رؤيته للمشايخ الذين أدركهم من علماء وصالحين، وأمرهم له بالتهيؤ للسفر إلى الدار الآخرة، حتى صار لا يتهنى بنوم ولا أكل ولا شرب، ولا غسل عمامته إلا بعد أمرهم له بغسلها من شدة الوسخ.

- نظره إلى الوقت الذي هو فيه دون الماضي والمستقبل، فإن الماضي قد ذهب بما فيه من خير أو شر،وختم على صحيفته، والمستقبل لا يدري العبد ما اللّه صانع فيه.

- فراره في جميع الشدائد إلى اللّه - تعالى - قبل جميع الخلق، لعلمه بأن بيده ملكوت كل شيء على الكشف والشهود.

- تربيته - تعالى - له في النوم واليقظة برؤيته للعبر في الدنيا، فلا يقع بصره على شيء إلا واعتبر به من صبر، وضجر، وزهد، ورغبة، وشهود وغفلة.

- نفرة نفسه من الدنيا وأبنائها فلا يتمنى قط أن يكون شيء مما بأيديهم في يده.

- وقوع الخوف منه من اللّه ﷻ حتى يكاد يهلك، ووجود الرجاء منه حتى يكاد لا يخاف، وأهل الطريق يسمون ذلك من تجلي الجلال والجمال، يعني الجلال الممزوج بالجمال.

وهو ما يشر إلى مفهوم (**إدارة النفس Self Management**) انظر (ص١١٩).

الباب الثالث: نعمة رد نفسه فورًا إلى الرضا بتقدير اللّه ﷻ:

ذكر الشيخ «محيي الدين» رضي اللّه تعالى عنه في الفتوحات المكية: أن الأسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي أربعة لا خامس لها، إذ بوجود أحدها في المؤمن يستدل على عدم تقدير تلك المعصية على ذلك العبد: وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستدلال Reasoning**) انظر (ص١٥٤)، وهذه الأربعة هي:

١ - المحبة للّه تعالى.

٢ - دوام الحياء من اللّه - تعالى - عن الكشف، والشهود بأن اللّه تبارك وتعالى يراه.

٣ - دوام خوفه من مؤاخذة اللّه تعالى له إذا عصاه، وصحة إيمانه بذلك.

٤ - الرجاء لمغفرة اللّه تبارك وتعالى وثوابه، إذا ترك ذلك الذنب، فما دام يشهد ذلك لا يقع في معصية أبدًا.

الباب الرابع: نعمة كثرة ثنائه على اللّه إذا أنزل به ما يسوءه:

- مشاركته لكل من كان في ضيق في جميع ما يصيبه.

- زيادة إكرامه لليتيم،ومراعاته له بعد وفاة والده أكثر مما كان يراعيه أثناء والده.

- مساعدته لأصحاب النوبة في سائر أقطار الأرض، في حفظ إدراكهم من براري وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال. وهو ما يشير إلى مفهوم (**سلوك المساعدة Helping Behavior**) انظر (ص١٨٠).

الباب الخامس: نعمة كراهيته للأكل من صدقة أو هدية:

- كراهته للأكل من صدقة أو هدية إذا علم أن في بلد المتصدق أو المهدي أو حارته من هو أحوج إلى ذلك منه.

- عدم مبادرته إلى سوء الظن بأحد من المسلمين، وكثرة ستره لما تحققه من عوراتهم.

- محبته لكل شيء ينكس رأسه بين يدي اللّه تبارك وتعالى، ويورثه الحياء منه، وهروبه من كل شيء يرفع رأسه، ويورثه الكبر والعجب.

الباب السادس: نعمة كراهيته للاختصاص عن الفقراء:

- كراهيته للاختصاص عن الفقراء بشيء وقف عليه وعلى ذريته فقط.

- تعففه عن الأكل من طعام من عرف في هذا الزمان بكثرة الكرم، وقرى الضيوف من مشايخ العرب.

- تعففه عن الأكل من مال اليتيم.

الباب السابع: نعمة عدم تشوف نفسه إلى مكافأته على هديته:

- عدم تشوف نفسه إلى طلب مكافأته على هدية أهداها لأحد من الخلق.

- كثرة رحمته وشفقته على كل من كان على التقوى من إخوانه، ثم غير وبدل، وصار فاسقًا شريرًا.

- عدم قطع بره وحسنته للناس إذا كفروا وساطته في ذلك.

- عدم تكدره ممن ذهب إلى زيارته، ولم يأذن له في الدخول من عالم، أو أمير أو صالح، أو غيرهم.

الباب الثامن: نعمة عدم بغضه أحدًا من الأشراف أو الأنصار:

- عدم بغضه لأحد ممن نسب إلى الشرف، أو كان من الأنصار.

- حفظه لحرمة أشياخه أحياءً وأمواتًا.

- عدم مزاحمته لمشايخ عصره على شيء من أنواع صفات المشيخة، كتلقين المذكر، وأخذ العهد، وإرخاء العذبة لأحد من الناس، لا سيما إن كانوا أقدم هجرة منه في الطريق.

الباب التاسع: نعمة كثرة إكرامه لأهل الحرف النافعة:

كثرة إكرامه لأهل الحرف النافعة وعدم ازدرائه لأحد منهم، و كثرة محبته وإكرامه لحملة العلم والقرآن، وكراهته للتقدم للإمامة في الفرائض والنوافل وصلاة الجنازة خوفًا من تحمل نقص المأمومين في صلاتهم زيادة على نقص صلاة نفسه، ومبادرته للشكر إذا قدر الحق - تبارك وتعالى - له خيرًا، ومبادرته للاستغفار إذا قدر على معصية.

الباب العاشر: نعمة حمايته من أنه لم يدع أحدًا من الصالحين والعلماء إلى زفة عرس أو ختان:

حمايته من أن يدعو أحدًا من أكابر العلماء إلى المشي في زفة ختان، إعظامًا لخرقة العلماء، وعدم تمكينه أحدًا من أصحابه من التصدر للرد على أحد من الفرق الإسلامية، إلا إن خالف كلامه صريح السنة المحمدية، أو قواعد علمائها، وعدم تنفيذ غضبه فيمن

غضب عليه عند القدرة، وحفظ الأدب مع أشياخه وأصحابه، فلا يمدحهم إلا بحضرة من يعتقدهم.

الباب الحادي عشر: نعمة نفرة نفسه من الصفات التي يكرهها اللَّه - تعالى - ومحبته للصفات التي يحبها ﷺ:

سروره بالمرض إذا جاء، لعلمه بأنه ينظف جسده وروحه من القذر الحاصل بالمخالفات، وعدم عجلته بالجواب في مجلس المذاكرة والمناظرة في العلم، وعدم طلبه أحدًا يساعده على من آذاه من أرباب الأحوال، بل صبر واحتسب، ولا يقابل من آذاه بسوء.

الباب الثاني عشر: إيثار جناب الحق جل وعلا على جنابه:

إيثار جناب الحق جل وعلا جناب نفسه، في عدم تمكينه لمريديه أن يرسخ محبته في قلبه.

الباب الثالث عشر: نعمة كثرة شهوده لأصل ولاة الزمان حال ولايتهم وضخامتهم:

شهوده لأصل ولاة الزمان حال ولايتهم وضخامتهم، فلا يحجبه أحد الحالين عن الآخر، فأشهد الأمير ترابًا حال رؤيته له أميرًا، وتارة يشهده نطفة أو علقة أو مضغة، وكثرة تكرمه بثيابه، وجميع ما يدخل تحت يديه من النقود، والمطاعم والآلات، وكثرة حمايته من النظر إلى النساء الأجانب، والمردان، ولو بلا شهوة.

الباب الرابع عشر: نعمة كثرة شفقته على كل دابة ركبها:

كثرة شفقته على كل دابة ركبها من جمل أو حمار، وكراهة حمله سوطًا إذا ركبها خوفًا من أن تغلبه حدة النفس فيضربها إذا حرنت، وعدم سبه ولعنه للدابة إذا عثرت ورمته على وحل أو قذر ونحو ذلك.

الباب الخامس عشر: نعمة سماعه القرآن في زاويته ليلًا ونهارًا:

مما أنعم به اللَّه - تعالى - عليه كثرة وجود الرزق عنده في الزاوية، وإصلاح زوجاته الأربع: زينب،وحليمة،وفاطمة، وأم الحسن، ومحبة الفقراء الصادقين الطالبين للآخرة في الإقامة عنده.

الباب السادس عشر: نعمة كثرة سماعه للقرآن والذكر ليلًا ونهارًا وهو جالس في بيته:

شهوده في نفسه أنه دون كل جليس من المسلمين كشفًا وذوقًا، لا تواضعًا منه، فإن

لفظ التواضع يدل على أن صاحبه أثبت لنفسه مقامًا عاليًا، ثم تنازل منه إلى جليسه، وما هكذا تواضع أهل اللّه تعالى، فإنهم كلما ارتفعوا في المقام ظهر لهم حقارة نفوسهم، وكمال غيرهم.

وقد كان الإمام « أبو القاسم الجنيد ﷺ » يقول: لا يبلغ أحد مقام الكمال في التواضع، حتى يرى نفسه ليست بأهل أن تنالها - رحمة اللّه - ﷻ، أي على وجه الاستحقاق، وإنما رحمة اللّه لها باب الفضل والمنة وكان « السري » - رضي اللّه تعالى عنه - يقول: لا يبلغ أحد مقام التواضع، حتى يرى أنه لا يقف أحد للحساب يوم القيامة من المسلمين أكثر أوزارًا ولا معاصي ولا مخالفات منه.

وكان « الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز - رضي اللّه تعالى عنهما - » يقولان: لا يبلغ أحد مقام التواضع، حتى يخرج إلى الجمعة أو العيد فلا يجد أحدًا في الطريق، ولا في المسجد، أو مصلى العيد، إلا وهو يرى نفسه دونه حتى يرجع. وهو ما يشير إلى مفهوم التواضع **Modesty** انظر (ص٦٦٠).

الخلاصة:

نستشف من الكتاب المفاهيم النفسية التالية:

- الالتزام الديني **Religious Commitment**.
- مهارة الاستدلال الاستنباطي **Deductive Reasoning Skill**.
- العزو **Attribution**.
- التسامح **Tolerance**.
- التصنيف **Classification**.
- الحكمة **Wisdom**.
- إدارة النفس **Self Management**.
- الاستدلال **Reasoning**.
- سلوك المساعدة **Helping Behavior**.
- التواضع **Modesty**.

القائم بالعرض

د.أشرف محمد علي شلبي

المنهاج في ترتيب الحجاج



- تأليف/ الباجي أبو الوليد (٤٠٣هـ - ٤٧٤هـ).
- تحقيق/ عبد المجيد تركي.
- لبنان: دار الغرب الإسلامي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي. ولد سنة (٤٠٣هـ) في قرطبة، في عائلة أصلها من بطليوس، انتقلت منها إلى باجة بالأندلس، أي البرتغال اليوم، قبل أن تستقر نهائيًا في قرطبة. وفي العاصمة الأموية تلقى أبو الوليد دروسه الأولى، ثم واصل تعلمه في شرق الأندلس قبل أن يسافر إلى المشرق سنة (٤٢٦هـ) ويقيم بحواضره طيلة ثلاث عشرة سنة للأخذ عن علمائها في الأندلس. ثم عاد إلى بلده وقد أكمل زاده العلمي، واستعد لفن جديد في علم الكلام، وكذلك في علم الأصول الفقهية. ويذكر المؤرخون أن الباجي أقام أولًا ببغداد ثلاث سنوات اتصل فيها بأهم فقهاء الطبقة المالكية وفي الحجاز اتصل الباجي بالمحدث أبي ذر الهروي، وخدمه وأخذ عنه علم الحديث، وشهد ضبطه الشديد في نقل الحديث. وكذلك كان الباجي حريصًا على معاشرة غير المالكية من أصحاب المذاهب الثلاثة الأخرى، والذين تغلب عليهم صبغة الحديث كأبي عبد اللّه الصوري. وتتلمذ الباجي على محدثين آخرين نذكر منهم أبا القاسم التنوخي، وأبا بكر الخطيب البغدادي. وألف أبو الوليد في مختلف العلوم والفنون، وبعضها ألف فيه أكثر من ألف كتاب، فألف في العقيدة: **التسديد إلى معرفة طريق التوحيد**. وفي الفقه: **المقتبس من علم مالك بن أنس**، وفي أصوله: **إحكام الفصول في أحكام الفصول**. وفي التفسير والحديث: **المنتقى في شرح الموطأ، والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح**. وفي الزهد: **السنن في الرقائق والزهد**. وفي علم الكلام: **السراج في علم الحجاج**، وفي الفرق: **فرق الفقهاء**. وفوق كل ذلك، كان أبو الوليد شاعرًا مجيدًا له النظم الرائق في المديح. وبعد حياة حافلة بالعلم والعطاء توفي أبو الوليد سنة (٤٧٤هـ) في ألمرية.

التعريف بالكتاب:

كتاب المنهاج في ترتيب الحُجاج كتاب في صناعة الجدل يهدف إلى بيان أبوابها إجمالًا، ثم أقسامها تفريعًا، ثم أسئلتها تفصيلًا. وهو يناصر فيه المالكية في مقابل المذاهب الثلاثة الكبرى الأخرى، يقع الكتاب في (٢٨٥) صفحة. ويتكون من تسعة أجزاء رئيسة؛ المدخل وثمانية أبواب.

يتناول **المدخل** (ص٧ - ١٤) الغرض من تأليف هذا الكتاب. حيث يذكر الباجي: « فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين، وعن سنن المجادلين عادلين، خائضين فيما لم يبلغهم علمه، ولم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه، والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه، أزمعت على أن أجمع كتابًا في الجدل يشتمل على جمل أبوابه، وفروع أقسامه، وضروب أسئلته وأنواع أجوبته » (ص٧).

ثم يتناول **الآداب** التي ينبغي أن يتحلى بها المناظر، من أهمها: ينبغي على المناظر أن يتقي اللَّه، ويصلي على رسوله ﷺ، ويتوقر في جلوسه، ولا يعبث بيده ولحيته، ولا يكثر الصياح حتى يشق على نفسه، ويُقبل على خصمه، ويُحسن الاستماع إلى كلامه، ولا يناظر في حال الجوع والعطش، ولا في حال الخوف والغضب (ص٩، ١٠).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الحد**: اللفظ الجامع، ومعناه الذي يجمع المحدود على جنسه، ويحصره، ويمنع ما ليس منه أن يدخل فيه، وما هو منه أن يخرج عنه (ص١١).

٢ - **العلم**: معرفة المعلوم على ما هو به (ص١١).

٣ - **العلم الضروري**: ما لزم نفس المخلوق لزومًا لا يمكنه الانفكاك عنه ولا الخروج منه ولا التشكيك فيه (ص١١).

٤ - **العلم النظري**: ما احتاج إلى تقديم النظر والاستدلال ووقع عُقيبه بلا فصل (ص١١).

٥ - **الجهل**: اعتقاد المعتقد على ما ليس به (ص١١).

٦ - **الشك**: تجويز أمرين فزائدًا لا مزية لأحدهما على سائرهما (ص١١).

٧ - **الظن**: تجويز أمرين فزائدًا أحدهما أظهر من الآخر (ص١١).

٨ - **غلبة الظن**: زيادة قوة أحد المجوزات (ص١١).

٩ - **العقل**: بعض العلوم الضرورية ومحله القلب (ص١١).

١٠ - **الفقه**: معرفة الأحكام الشرعية (ص١١).

١١ - **أصول الفقه**: ما انبنت عليه الأحكام الشرعية (ص١١).

١٢ - **الجدل**: تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه (ص١١).

١٣ - **النظر والاستدلال**: تفكر الناظر في حال المنظور فيه طلبًا للعلم بما هو ناظر فيه، أو لغلبة الظن، إن كان مما طريقه غلبة الظن (ص١١).

١٤ - **الدليل**: ما صح أن يرشد إلى المطلوب، وهو الحجة والبرهان والسلطة (ص١١).

١٥ - **الدلالة**: الدليل (ص١١).

١٦ - **الدال**: الناصب للدليل (ص١١).

١٧ - **المُستدل**: الطالب للدليل وقد يكون المحتج بالدليل (ص١١).

١٨ - **المُستدَل عليه**: الحكم وقد يكون المحتج عليه (ص١٢).

١٩ - **المستدَل له**: يقع على الحكم؛ لأن الدليل يطلب له، وقد يقع على السائل (ص١٢).

٢٠ - **النص**: ما رفع في بيانه إلى أبعد غاياته (ص١٢ - ١٥).

٢١ - **الظاهر**: ما سبق إلى فهم سامعه معناه من لفظه، ولم يمنعه من الفهم له من جهة اللفظ مانع (ص١٢ - ١٥).

٢٢ - **العموم**: استغراق ما تناوله اللفظ (ص١٢).

٢٣ - **المُجمل**: ما لا يُفهم معناه من لفظه ويفتقر في بيانه إلى غيره (ص١٢).

٢٤ - **المُفسر**: ما فُهم المراد به من لفظه، ولم يفتقر في بيانه إلى غيره (ص١٢).

٢٥ - **المُحكم**: يستعمل في المُفسر، ويستعمل في الذي لم يُنسخ (ص١٢).

٢٦ - **المتشابه**: المُشكل الذي يُحتاج في فهم المراد به إلى تفكر وتأمل (ص١٢).

٢٧ - **المطلق**: هو اللفظ الواقع على صفات لم يُقيد ببعضها (ص١٢).

٢٨ - **المقيد**: هو الذي قُيد ببعض صفاته (ص١٢).

٢٩ - **التخصيص**: إفراد بعض الجملة بالذكر (ص١٢).

٣٠ - **تخصيص العموم**: هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام (ص١٢).

٣١ - **التأويل**: صرف الكلام عن ظاهره إلى وجه يحتمله (ص١٢).

٣٢ - **النَّسخ**: إزالة الحكم الثابت بالشرع المتقدم بشرع متأخر عنه على وجه لولاه لكان ثابتًا (ص١٢).

٣٣ - **دليل الخطاب**: تعليق الحكم بمعنًى في بعض الجنس، اسمًا كان أو صفة (ص١٢).

٣٤ - **لحن الخطاب**: ما فُهم من قصد المتكلم ما لم يُوضع له لفظه، وقيل: قصر حكم المنطوق به على بعض ما تناوله والحكم للمسكوت عنه بما يخالفه، وقيل: هو الضمير الذي لا يتم الكلام إلا به (ص١٢).

٣٥ - **فحوى الخطاب**: تنبيه اللفظ على ما هو أبلغ منه (ص١٢).

٣٦ - **الحقيقة**: تستعمل في الحد وتستعمل في ضد المجاز، وهو كل لفظ بقي على موضوعه (ص١٢).

٣٧ - **المجاز**: كل لفظ تجوز به عن موضوعه (ص١٢).

٣٨ - **الأمر**: اقتضاء الفعل المأمور به على وجه الاستعلاء والقهر (ص١٢).

٣٩ - **الواجب**: هو ما كان في تركه عقاب، من حيث هو ترك له على وجه ما (ص١٢).

٤٠ - **الفرض**: هو الواجب، وهو المكتوب؛ وقد عبر بعض أصحابنا عن مؤكد السنن بالواجب، وهذا تجوُّز في العبارة (ص١٢).

٤١ - **المندوب إليه**: هو المأمور به الذي في فعله ثواب، وليس في تركه عقاب من حيث هو ترك له على وجه ما (ص١٣).

٤٢ - **المباح**: ما أعلم الفاعل من جهة الشرع أنه لا ثواب في فعله ولا عقاب في تركه من حيث هو ترك له على وجهٍ ما (ص١٣).

٤٣ - **السنة**: ما رُسم ليُحتذى (ص١٣).

٤٤ - **العبادة**: هي الطاعة والتذلل للّه بامتثال أمره (ص١٣).

٤٥ - **الطاعة**: امتثال الأمر (ص١٣).

٤٦ - **المعصية**: مخالفة الأمر (ص١٣).

٤٧ - **الحسن**: ما أُمرنا بمدح فاعله (ص١٣).

٤٨ - **القبيح**: ما أُمرنا بذم فاعله (ص١٣).

٤٩ - **الظلم**: التعدي (ص١٣).

٥٠ - **الجور**: العدول عن الحق (ص١٣).

٥١ - **الجائز**: يستعمل فما لا إثم فيه، وحده ما وافق الشرع، ويستعمل في العقود التي لا تُلزم، وحده كل عقد للعاقد فسخه (ص١٣).

٥٢ - **الصحيح**: ما اعتدّ به (ص١٣).

٥٣ - **الفاسد**: ما لا يعتد به (ص١٣).

٥٤ - **الشرط**: ما يعدم الحكم بعدمه ويوجد بوجوده (ص١٣).

٥٥ - **الخبر**: الوصف للمخبر عنه على ما هو به (ص١٣).

٥٦ - **الصدق**: الوصف للمخبر عنه على ما هو به (ص١٣).

٥٧ - **الكذب**: الوصف للمخبر عنه على ما ليس به (ص١٣).

٥٨ - **التواتر**: كل خبر وقع العلم بمخبره ضرورة من جهة الخبر (ص١٣).

٥٩ - **الآحاد**: ما قصر عن التواتر (ص١٣).

٦٠ - **المرسل**: ما انقطع إسناده (ص١٣).

٦١ - **الموقوف**: ما وقف على صحابي أو تابعي ولم يبلغ به الرسول ﷺ (ص١٣).

٦٢ - **المسند**: ما اتصل إسناده (ص١٣).

٦٣ - **الصحابي**: من صحب الرسول ﷺ (ص١٣).

٦٤ - **التابعي**: من تبع الصحابي (ص١٣).

٦٥ - **الإجماع**: اتفاق علماء العصر على حكم الحادثة (ص١٣).

٦٦ - **التقليد**: التزام قول المقلّد من غير دليل (ص١٣).

٦٧ - **الاجتهاد**: بذل الوُسع في بلوغ الغرض (ص١٣).

٦٨ - **الرأي**: إدراك صواب حكم لم ينصَّ عليه، وقيل: استخراج صواب العاقبة (ص١٣).

٦٩ - **القياس**: حمل أحد المعلومين على الآخر في إثبات الحكم أو إسقاطه بأمر جامع بينهما (ص١٣).

٧٠ - **الأصل « عند الفقهاء »**: ما قيس عليه الفرع بعلة مستخرجة منه (ص١٣).

٧١ - **الفرع**: ما حمل على الأصل بعلة مستنبطة منه (ص١٣).

٧٢ - **المعلول**: هو الحكم عند بعض أصحابنا، ومنهم من قال: هو العين التي يثبت فيها الحكم (ص١٤).

٧٣ - **الحكم**: هو وصف ثابت للأمر المحكوم فيه عقليًّا كان أو شرعيًّا (ص١٤).

٧٤ - **المعتل**: هو المستدل بالعلة وهو المعلل؛ ومن أهل الجدل من قال: هو الناصب للعلة (ص١٤).

٧٥ - **العلَّة**: هي الوصف الجالب للحكم (ص١٤).

٧٦ - **العلة المتحدية**: هي التي تعدت الأصل إلى فرع (ص١٤).

٧٧ - **العلة الواقفة**: هي التي لم تتعدَّ الأصل (ص١٤).

٧٨ - **الطرد**: وجود الحكم لوجود العلَّة (ص١٤).

٧٩ - **العكس**: عدم الحكم لعدم العلَّة (ص١٤).

٨٠ - **التأثير**: زوال الحكم لزوال العلة في موضع ما (ص١٤).

٨١ - **النقض**: وجود العلة مع عدم الحكم (ص١٤).

٨٢ - **الكسر**: وجود معنى العلَّة مع عدم الحكم (ص١٤).

٨٣ - **القلب**: مشاركة الخصم المستدل في دليله (ص١٤).

٨٤ - **المعارضة**: مقابلة السائل المُستدل بمثل دليله أو ما هو أقوى منه (ص١٤).

٨٥ - **الترجيح**: بيان مزية لإحدى الدلالتين على الأخرى (ص١٤).

٨٦ - **الانقطاع**: هو العجز عن نصرة الدليل (ص١٤).

ثم يتناول في **الباب الأول أقسام أدلة الشرع** (ص١٥- ٣٣). يقسم أدلة الشرع إلى

ثلاثة أقسام: أصل، ومعقول أصل، واستصحاب أصل. فأما الأصل: فالكتاب والسنة وإجماع الأمة. ومعقول الأصل فيتضمن: لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، ومعنى الخطاب. واستصحاب الحال وينقسم إلى قسمين: أحدهما: استصحاب الحال في براءة الذمة وخلو الساحة، وعدم الشرع الموجب لاشتغال الذمة. والثاني: الاتفاق على مقدار ما من حقٍّ ثابت في الذمة والاختلاف فيما زاد عليه، ويورد عددًا من الأمثلة التوضيحية.

وورد في هذا الباب الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الظاهر بالوضع**: كل لفظ وُضع في اللغة بمعنى واستعمل فيه على حسب ما وضع له كأوامر الشرع ونواهيه (ص١٦).

٢ - **الظاهر بعرف اللغة**: هي الألفاظ التي هي في أصل اللغة موضوعة بجنس من الأجناس، ثم وردت في الشرع لمعنى من ذلك الجنس بعينه (ص١٦).

٣ - **الظاهر بالدلالة**: هو أن يكون اللفظ موضوعًا لمعنًى إلا أن الدليل قد قام على أنه أُريد به غير ذلك المعنى (ص١٧).

٤ - **قياس العلة**: هو أن يُحمل الفرع على الأصل بعلة شرعية (ص٢٦).

٥ - **قياس العلة الواضح**: ما ثبت بضرب من الظاهر؛ وقد يكون ذلك الظاهر صفة وعمومًا (ص٢٦).

ويتناول الباب الثاني أقسام السؤال والجواب (ص٣٤ - ٤١). يذكر أنها تكون على خمسة أضرب هي:

١ - السؤال عن إثبات مذهب المسؤول.

٢ - السؤال عن ماهية مذهبه.

٣ - السؤال عن دليل المذهب.

٤ - السؤال عن وجه الدليل.

٥ - السؤال عن وجه القدح في الليل.

ثم يتناول كل قسم بالتفصيل والإيضاح.

وورد في هذا الباب الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **المطالبة**: هي المطالبة بتصحيح الأخبار، وإثبات أسانيدها، والمطالبة بتصحيح

الإجماع وإثباته، والمطالبة بإيجاد العلة وتصحيحها وغير ذلك من وجوه المطالبات؛ فيتوجه على المسؤول تصحيح ذلك على ما أبيِّنه في مواضعه (ص٤١).

٢ - **الاعتراض**: الاعتراض في نفس الدليل بما يبطله؛ وذلك مثل الطعن في أسانيد الحديث بتضعيف ناقله، أو الطعن في الإجماع ببيان الخلاف، أو الطعن في العلّة بالنقض والكسر وغير ذلك؛ فيلزم المسؤول إسقاط السؤال ودفعه بما يوقفه ليسلم له الدليل (ص٤١).

٣ - **المعارضة**: هو أن يقابل دليله بمثله أو بما هو أقوى منه؛ فيجيب المسؤول عنه بكل ما يورده السائل على دليل المسؤول من المطالبات والاعتراضات أو يرجح ذكره من الدليل على ما عورض به (ص٤١).

ثم يتناول **الباب الثالث « بيان وجوه الاعتراض على الاستدلال بالكتاب »** (ص٤٢ - ٧٥). يذكر أنواع الاعتراض على الاستدلال بالكتاب وهي سبعة أوجه، نذكر منها: الاعتراض عليه بأن المستدلّ لا يقول به، والقول بموجبه والمنازعة بمقتضاه، والاعتراض عليه بدعوى النسخ، وباختلاف القراءة. ويذكر أمثلة توضيحية لكل وجه من هذه الوجوه السبعة.

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفهومين الآتيين:

١ - **المشاركة بالاستدلال بالكتاب**: هو أن يجعل السائل ما استدلَّ به المستدلّ دليلًا له في المسألة التي سأل عنها (ص٥٨).

٢ - **تأويل الظاهر**: يكون على وجهين: أحدهما: أن يستعمل اللفظ فيما يستعمل فيه كثيرًا، والثاني: أن يتأول اللفظ ويحمله على ما لا يستعمل فيه كثيرًا (ص٦٧).

ثم يتناول الباب الرابع الاعتراض على الاستدلال بالسنة (ص٧٦ - ١٣٧). يذكر الاعتراض على الاستدلال بالسنة من جهة الإسناد، وهو يكون على ضربين: تواتر وآحاد (ص٧٦ - ٩٠). ثم يتناول الاعتراض على متن السُّنة وهو يكون على سبعة أوجه، نذكر منها: الاعتراض عليه بالمشاركة في الدليل، والاعتراض عليه باختلاف الرواية، والاعتراض عليه من جهة التأويل (ص٩٠ - ١٣٧).

وورد في هذا الباب الإشارة إلى المفهومين الآتيين:

١ - **التواتر على اللفظ**: هو أن تنقل الجماعة لفظًا واحدًا ومعنى واحدًا وذلك مثل

استدلال المالكي بنقل أهل المدينة للصاع (ص٧٦).

٢ - **التواتر على المعنى**: مثل أن تنقل جماعة أخبارًا مختلفة تنفرد كل طائفة بخبر، وتتفق الأخبار كلها في معنى من المعاني؛ ويقصد المستدلُّ بها إثبات ذلك المعنى الذي اتفقت الأخبار عليه؛ فإن ذلك يكون تواترًا من جهة المعنى (ص٧٦).

ثم يتناول الباب الخامس وجوه الاعتراض على الاستدلال بالإجماع (ص١٣٨ - ١٤٤). تصنف وجوه الاعتراض على الاستدلال بالإجماع إلى صنفين: صنف يُعرف بالاتفاق، وصنف يُعرف بالاختلاف. ويقع **الاعتراض على الاستدلال بالاتفاق** على ثلاثة أوجه هي: المطالبة بتصحيح الإجماع وظهوره، ونقل الخلاف، وأن يتكلم على ما نقل منه (ص١٣٧ - ١٤٢). أما **الاعتراض بالاختلاف** فهو يتعلق باختلاف الأمة على قولين وما ينتج عن ذلك، ويخصص فصلين أحدهما لتناول الاعتراض على الاستدلال بإجماع أهل المدينة، والثاني للاعتراض على الاستدلال بقول الواحد من الصحابة إذا لم يظهروا (ص١٤٢ - ١٤٤).

ثم يتناول الباب السادس « الكلام على معقول الأصل » (ص١٤٥ - ٢١٨). وهو يكون على أربعة أضرب: الاعتراض على لحن الخطاب، وفحوى الخطاب، والحصر، ومعنى الخطاب، يتناولها الكتاب تفصيلًا ويورد العديد من الأمثلة على كل نوع منها.

وورد في هذا الباب الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **فساد الاعتبار**: أن يعتبر الشيء بما لا يقتضي اعتباره به (ص١٧٨).

٢ - **عدم التأثير**: هو ألا يعدم الحكم لعدم العلة في موضع من المواضع؛ والتأثير عندنا دليل على صحَّة العلَّة، وليس عدمه دليلًا على فسادها، إذا دلَّ على صحتها دليل آخر (ص١٩٦).

٣ - **النقض**: هو أن يبين له في الأصول خلاف ما ادَّعى، فيكون ذلك معنى لما ادعاه من الأصول، ونقضًا لما أورده من الدَّليل (ص٢١٧).

٤ - **الفرق**: أن يبين أن هذا الموضع مخالف لسائر الأصول من جهة المعنى؛ فلهذا خالفها في الحكم (ص٢١٨).

ثم يتناول **الباب السابع « الكلام على استصحاب الحال »** (ص٢١٩، ٢٢٠). يُعترض على استصحاب الحال من وجهين؛ أحدهما أن يعارضه بمثله، والثاني أن ينقله عن حال

بديل، ويقدم أمثلة توضيحية لكلا الوجهين.

ثم يتناول **الباب الثامن « الكلام علي الترجيحات »** (ص ٢٢١-٢٤٠). يذكر أن الترجيح طريق لتقديم أحد الدليلين على الآخر، وهو قد يقع في الظواهر، وقد يقع في المعاني، ويوضح كلا النوعين من خلال الأمثلة التوضيحية.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الجدل Controversy.**
- **الاستدلال Reasoning.**
- **الدليل Evidence.**
- **التقليد Imitation.**
- **الرأي Opnnion.**
- **القياس Measurement.**
- **الحكم Judgement.**
- **التأثير Effect.**
- **الترجيح Probability.**

القائم بالعرض

د. عبير محمدأنور

* * *

المواقف في علم الكلام



○ تأليف/ الإيجي عبد الرحمن بن أحمد.

○ القاهرة: مكتبة المتنبي (غير موضح سنة النشر).

* * *

التعريف بالمؤلف:

المؤلف هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي الشيرازي. ويذكر أنه من نسل أبي بكر الصديق ﷺ. لقبه عضد الدين، وقاضي القضاة، وشيخ العلماء، وشيخ الشافعية ببلاده. ولد بإيج من نواحي شيراز سنة (٦٨٠هـ). وكانت أكثر إقامته بمدينة سلطانية. وفي عهد أبي سعيد وُلي قضاء المماليك، ثم انتقل إلى إيج واتخذها مقره الدائم. ووقع بينه وبين الأبهري منازعات وماجريات كثيرة أدت إلى غضب صاحب كرمان عليه، فحبسه بقلعة دريميان، وبقي مسجونًا بها إلى أن مات سنة (٧٥٦هـ). وكان الإيجي إمامًا في المعقولات، مُحققًا مُدققًا، عارفًا بالأصلين - الكلام وأصول الفقه - والمعاني، والبيان، والنحو، مُشاركًا في الفقه والفنون. وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم الشيخ زين الدين أو تاج الدين الهنكي تلميذ القاضي ناصر الدين البيضاوي. ومن أهم مؤلفاته: الجواهر في مختصر المواقف، والعقائد العضدية، وشرح مختصر ابن الحاجب، وكتاب الفوائد الغياثية، وأدب البحث والمناظرة.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٣٠) صفحة. ويقسمه المؤلف إلى ستة مواقف.

يتناول **الموقف الأول**: المقدمات المرتبطة بموضوع علم الكلام (ص٧ - ٤٠). ويتكون من ستة مراصد. يتناول **المرصد الأول**: ما يجب تقديمه في كل علم. فيُعرف علم الكلام في البداية (ص٤)، ويوضح موضوعه وفائدته ومرتبته وتسميته. ويتناول **المرصد الثاني**: تعريف مُطلق العلم (ص٩ - ١١). ويتناول **المرصد الثالث**: أقسام العلم (ص١١ - ١٤). ويتناول **المرصد الرابع**: إثبات العلوم الضرورية (ص١٤ - ٢١). ويتناول **المرصد الخامس**: النظر (ص٢١ - ٣٤). حيث يذكر أقسامه ويتناول النظر

الصحيح المفيد للعلم (ص٢٣ - ٢٧)، وشرط النظر (ص٢٨). ويتناول المرصد السادس: الطريق (ص٣٤ - ٤٠) ويقصد به ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب (ص ٣٤) ويحدده ويذكر أقسامه.

وورد في الموقف الأول المفاهيم الآتية:

١ - **علم الكلام**: هو العلم المتكفل بإثبات الصانع وتوحيده وتنزيهه عن مشابهة الأجسام، واتصافه بصفات الجلال والإكرام، وإثبات النبوة التي هي أساس الإسلام، وعليه مبنى الشرائع والأحكام، وبه يترقى في الإيمان باليوم الآخر من درجة التقليد إلى درجة الإيقان (ص٤). وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه (ص٧).

٢ - **العلم الضروري**: هو الذي يلزم نفس المخلوق لزومًا لا يجد إلى الانفكاك عنه سبيلًا وأورد عليه جواز زواله بأضداده كالنوم والغفلة، وأنه قد يُفقد قبل الحس والوجدان، ولا يُرد. إذا عبارته مشعرة بالقدرة، فإن قيل فكذا النظري بعد حصوله، قلنا: لا يلزم من عدم القدرة بعد حصوله عدم القدرة مطلقًا، ونقول: هو ما لا يكون تحصيله مقدورًا للمخلوق (ص١١).

٣ - **العلم البدبهي**: ما يثبته مجرد العقل (ص١١).

٤ - **العلم النظري**: هو ما يتضمنه النظر الصحيح (ص١١).

٥ - **النظر**: هو الفكر الذي يُطلب به علم أو غلبة ظن (ص٢١).

٦ - **القياس**: الاستدلال بالكلي على الجزئي. وهو قول مؤلف من قضايا متى سلمت لزم عنه لذاته قول آخر (ص٣٥).

٧ - **الاستقراء**: الاستدلال بالجزئي على الكلي. وهو إثبات الحكم الكلي لثبوته في جزئياته (ص٣٥).

٨ - **المشاهدات**: ما يحكم به العقل بمجرد الحس (ص٣٨).

٩ - **المجربات**: ما يحكم بها العقل بواسطة الحس مع التكرار (ص٣٨).

١٠ - **المتواترات**: ما يحكم بها بمجرد خبر جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب (ص ٣٨).

ويتناول **الموقف الثاني**: الأمور العامة (ص٤١ - ٩٥). ويتكون من خمسة مراصد.

يتناول **المرصد الأول**: الوجود والعدم (ص٤٣ - ٥٩). ويتناول **المرصد الثاني**: الماهية (ص٥٩ - ٦٨) فيميزها عما عداها ويتناول أقسامها، ويتناول **المرصد الثالث**: الوجوب والإمكان والامتناع (ص٦٨ - ٧٨). ويتناول **المرصد الرابع**: الوحدة والكثرة (ص٧٨ - ٨٤). ويتناول **المرصد الخامس**: العلة والمعلول (ص٨٥ - ٩٥).

وورد في الموقف الثاني المفاهيم الآتية:

١ - **الواجب**: ما يمتنع عدمه، أو ما لا يمكن عدمه (ص٦٨).

٢ - **الممتنع**: ما يجب عدمه، أو ما لا يمكن وجوده (ص٦٨).

٣ - **الممكن**: ما لا يجب وجوده أو عدمه، أو ما لا يمتنع وجوده ولا عدمه (ص٦٨).

ويتناول **الموقف الثالث**: الأعراض (ص٩٦ - ١٨١). ويتكون من ثلاثة مراصد. يتناول **المرصد الأول**: الأعراض (ص٩٦ - ١٠٤)، حيث يتناول أقسامه (ص٩٧ - ٩٩)، وإثباته (ص٩٩). وعدم انتقاله من محل إلى آخر(ص١٠٠). ويتناول **المرصد الثاني**: الكم (ص١٠٤ - ١٢٠). حيث يتناول موضوعات مثل: خواص الكم (ص١٠٤)، وأقسامه (ص١٠٥)، وإنكار الزمان (ص١٠٨ - ١١٠)، وحقيقة الزمان (ص١١٠ - ١١٢). والمكان (ص١١٣ - ١١٩) ويتناول **المرصد الثالث**: الكيفيات (ص١٢٠ - ١٦١). حيث يتناول موضوعات عديدة مثل: الكيفيات المحسوسة وأنواعها (ص١٢٢ - ١٣٩)، والمبصرات (ص١٣١ - ١٣٥)، والمسموعات (ص١٣٥ - ١٣٧)، والكيفيات النفسانية، وأنواعها (ص١٣٩ - ١٦٠)، وتعريف العلم وأقسامه (ص١٤٠ - ١٤٨)، والحركة وأنواعها (ص١٦٧، ١٧٧).

وورد في الموقف الثالث المفاهيم الآتية:

١ - **الصفة الثبوتية**: تنقسم إلى نفسية ومعنوية (ص٩٦).

٢ - **الصفة النفسية**: هي التي تدل على الذات دون معنى زائد، ككونها جوهرًا أو موجودًا أو ذاتًا. وهي ما لا يصح توهم ارتفاعه عن الذات. وقال الجبائي: هي أخص وصف للنفس التي بها يقع التماثل والتخالف (ص٩٦).

٣ - **الصفة المعنوية**: هي التي تدل على معنى زائد على الذات كالتحيز، والحدوث، وقبول الأعراض. وهي التابعة للحدوث ولا تأثير للفاعل فيها، فمنها واجبة كالتحيز

وقبول الأعراض للجوهر، ومنها ممكنة تابعة للإرادة، ككون الفعل طاعة أو معصية، وغيرها (ص١١٠، ١١١).

٤ - **الزمان**: جوهر مجرد لا يقبل العدم لذاته؛ إذ لو عدم لكان عدمه بعد وجوده بعْديَّة لا يجامع فيها البُعد القُبل، وهو مقدار حركة الفلك الأعظم (ص١١٠، ١١١).

٥ - **الكيفيات**: عرض لا يقتضي القسمة واللا قسمة اقتضاءً أوليًا، ولا يكون معناه معقولًا بالقياس إلى الغير، وهذا رسم ناقص، وهو الغاية في الأجناس العالية، ويجوز بالأمور الوجودية والعدمية؛ بشرط أن تكون أجلى، فلا يصح أن يقال: الجوهر ما ليس بعرض، والكم ما ليس بكيف ولا أين، إلى آخر المقولات (ص١٢٠، ١٢١).

٦ - **الكيفيات المحسوسة**: إن كانت راسخة سميت انفعاليات، وإلا فانفعالات. وسميت انفعاليات لوجهين هما: أنها محسوسة والإحساس انفعال للحاسة، وأنها تابعة للمزاج، إما بشخصها كحلاوة العسل، أو بنوعها كحرارة النار، فإنها وإن كانت ثابتة لبسيط فقد توجد في بعض المركبات تابعة للمزاج كالعمل. ثم إنهم سموا القسم الثاني انفعالات، لأنها لسرعة زوالها أشبهت الانفعاليات، فسميت بها تمييزًا لها (ص١٢٢).

٧ - **الاعتماد**: ما يوجب للجسم المُدافعة لما يمنعه الحركة إلى جهة ما. وقيل هو نفس المُدافعة (ص١٢٥). ويسمى الحكيم الاعتماد ميلًا، ويقسمه إلى ثلاثة أقسام: طبيعي وقسري ونفساني؛ لأنه إما بسبب خارج عن المحل وهو القسري، أو لا فإما مقرون بالشعور وهو النفساني، أو لا، وهو الطبيعي (ص١٢٧).

٨ - **المُدافعة**: غير الحركة لأنها توجد عند السكون؛ فإنا نجد في الحجر المُسكن في الهواء قسرًا مُدافعة نازلة، وفي الزق المنفوخ فيه المُسكن في الماء قسرًا مدافعة صاعدة (ص١٢٥).

٩ - **الحرف**: عرفه ابن سينا بأنه كيفية تُعرض للصوت، بها يمتاز عن مثله في الحدة والثقل تميزًا في المسموع (ص١٣٧).

١٠ - **الكيفيات النفسانية**: إن كانت راسخة سُميت ملكة، وإلا سُميت حالًا، والاختلاف بينهما بعارض، فإن الحال بعينها تصير ملكة بالتدريج (ص١٣٩).

١١ - **الحياة**: قوة تتبع اعتدال النوع، ويفيض منها سائر القوى (ص١٣٩).

١٢ - **الموت**: عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حيًا. وقيل: كيفية وجودية يخلقها اللّه

تعالى في الحي فهو ضدها لقوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ [الملك: ٢] والخلق لا يُتصور إلا فيما له وجود (ص١٤٠).

١٣ - **الجهل المركب**: عبارة عن اعتقاد جازم غير مُطابق، وهو ضد العلم (ص١٤٢).

١٤ - **الجهل البسيط**: عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالمًا، فلا يكون ضدًّا، ويقرب منه السهو، وكأنه جهل سببه عدم استثبات التصور، حتى إذا نبه تنبه، وكذا الغفلة، ويُفهم منها عدم التصور، وكذلك الذهول (ص١٤٣).

١٥ - **النسيان**: الجهل بعد العلم (ص١٤٣).

١٦ - **العلم**: ينقسم إلى تفصيلي. وهو أن يُنظر إلى أجزائه ومراتبه. وإجمالي: كمن يعلم مسألة فيُسأل عنها فإنه يحضر الجواب في ذهنه دفعة، وهو متصور للجواب عالم بأنه قادر عليه، ثم يأخذ في تقريره فيلاحظ تفصيله؛ ففي ذهنه أمر بسيط هو مبدأ التفاصيل (ص١٤٤).

والعلم إما فعلي؛ كما نتصور أمرًا ثم نُوجده، أو انفعالي كما يُوجد أمر ثم نتصوره. فالفعلي قبل الكثرة والانفعالي بعدها (ص١٤٥).

١٧ - **مراتب العقل**: مراتب العقل أربع هي: العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض، وهو قوة خالية عن الفعل كما للأطفال. والعقل بالملكة: وهو العلم بالضرورات، وإنه حادث، فله شرط حادث وما هو إلا الإحساس بالجزئيات، ولا نريد بذلك العلم بجميع الضروريات. فإن الضروريات قد تُفقد لفقد شرط، للتصور، كحس ووجدان، كالأكمه والعنين لا يتصوران ماهية اللون ولذة الجماع، أو للتصديق، كأحدهما في القضايا الحسية أو الوجدانية، وكتصور الطرفين والنسبة في البديهيات. والعقل بالفعل: وهو ملكة استنباط النظريات من الضروريات، بحيث متى شاء استحضر الضروريات، واستنتج منها النظريات.وقيل: بل حصول النظريات، بحيث يستحضرها متى شاء بلا روية. والعقل المُستفاد: وهو أن يحضر عنده النظريات، بحيث لا تغيب عنه، وهل يمكن ذلك والإنسان في جلباب من بدنه أم لا؟ فيه تردد (ص١٤٥).

١٨ - **الإرادة**: اعتقاد النفع أو ظنه. وقيل: ميل يتبع ذلك، فإنا نجد من أنفسنا بعد اعتقاد أن الفعل الفلاني فيه جلب نفع أو ضُر ميلًا إليه وهو مُغاير للعلم. والإرادة مُغايرة للشهوة لوجهين؛ الأول: أن الإرادة قد تتعلق بنفسها دون الشهوة. والثاني: أن الإنسان قد يريد

شرب دواء كريه فيشربه ولا يشتهيه بل يتنفر عنه (ص١٤٨، ١٤٩).

١٩ - **القدرة**: هي صفة تُؤثر وفق الإرادة، فخرج مالا يُؤثر كالعلم، وما يُؤثر لا على وفق الإرادة كالطبيعة (ص١٥٠).

٢٠ - **الخلق**: ملكة تصدر عنها الأفعال بلا روية، كمن يكتب شيئًا من غير أن يروى في حرف حرف، أو يضرب الطنبور من غير أن يفكر في نغمة نغمة. والخلق مغاير للقدرة؛ لا سيما إن جعل نسبة القدرة إلى الطرفين على السواء (ص١٥٧).

٢١ - **العفة**: هيئة للقوة الشهوية بين الفجور والخمود (ص١٥٧).

٢٢ - **الحكمة**: هيئة للقوة العقلية بين الجربزة والبلاهة (ص١٥٧).

٢٣ - **المحبة**: هي الإرادة. فمحبة اللَّه لنا إرادته لكرامتنا، ومحبتنا للَّه إرادتنا لطاعته (ص١٥٧).

٢٤ - **الرضا**: عند المعتزلة هو الإرادة. ويرى المؤلف أنها ترك الاعتراض (ص١٥٧).

٢٥ - **الترك**: عدم فعل المقدور، وقيل: إن كان قصدًا؛ ولذلك يتعلق به الذم، وقيل: إنه من أفعال القلوب، وقيل: هو فعل الضد؛ لأنه مقدور والعدم مستمر، فلا يصلح أثرًا للقدرة (ص١٥٧).

٢٦ - **العزم**(*): هو جزم الإرادة بعد التردد، وهذا كله إنما يصح إذا لم نفسرها بالصفة المُخصصة؛ بل بالميل (ص١٥٧).

٢٧ - **اللذة**: إدراك المُلايم من حيث هو مُلايم، والمُلايم هو كمال الشيء الخاص به، كالتكيف بالحلاوة والدسومة للذائقة، والجاه والتغلب للغضبية، وقولنا من حيث هو ملايم؛ لأن الشيء قد يُلايم من وجه دون وجه كالدواء الكريه إذا علم أن فيه نجاة من العطب، وذلك لم يثبت؛ فإنا ندرك حالة هي لذة ونعلم أن ثمة إدراكًا للمُلايم (ص١٥٨).

٢٨ - **الكيفيات الاستعدادية**: وهي إما تكون نحو القبول ويسمى ضعفًا، وإما نحو اللا قبول و يسمى قوة لا ضعفًا (ص١٦١).

(*) العزم: إرادة يقطع بها المُريد رؤيته في الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه، والنية: إرادة متقدمة للفعل بأوقات. والعزم قد يكون متقدمًا للمعزوم عليه بأوقات أو بوقت.

٢٩ - الأبوة: هي المعقولة بالقياس إلى الغير، ولا حقيقة لها إلا ذلك، وهي الإضافة التي تعد من المقولات، وتسمى مضافًا حقيقيًّا، ويقال لذات الأب المعروضة لهذا العارض إضافة، وكذا للمعروض مع العارض، وهذان يسميان مُضافًا مشهوريًّا (ص١٧٧).

ويتناول **الموقف الرابع**: الجوهر (ص١٨٢ - ٢٦٥) ويتكون من أربعة مراصد. يتناول **المرصد الأول**: الجسم (ص١٨٣ - ٢٤٤). ويتناول موضوعات عديدة مثل: حــد الجسم (ص١٨٣)، وأقسامه وأحكام كل منها (ص١٩٩ - ٢٢٩)، ويتناول المرصد الثاني: عوارض الأجسام (ص٢٤٤ - ٢٥٦). ويتناول **المرصد الثالث**: النفس (ص٢٥٧ - ٢٦١). ويتناول موضوعات مثل: النفوس الفلكية، وتعلق النفس بالبدن. ويتناول **المرصد الرابع**: العقل (ص٢٦٢ - ٢٦٥). حيث يتناول قضايا إثبات وجوده (ص٢٦٢، ٢٦٣)، وترتيب الموجودات (ص٢٦٣)، وأحكام العقول (ص٢٦٣ - ٢٦٥).

وورد في الموقف الرابع المفاهيم الآتية:

١ - **الجوهر**: إن كان حالًّا فصورة، وإن كان محلًّا لها فهيولي، وإن كان مركبًا منهما فجسم، وإلا فإن كان متعلقًا بالجسم تعلق التدبير والتصرف فنفس، وإلا فعقل، وهذا بناء على نفي الجوهر الفرد (ص ١٨٢).

٢ - **الجسم**: جوهر يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قائمة (ص١٨٣).

٣ - **حد المزاج**: كيفية متشابهة تحصل من تفاعل عناصر متصغرة الأجزاء بحيث تكثر صورة كل سورة كيفية الآخر (ص٢٢٥).

٤ - **اللطف**: هو الذي يقرب العبد إلى الطاعة، ويبعده عن المعصية، كبعثة الأنبياء يكون الناس معها أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية (ص٢٢٨).

٥ - **النفس**: كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتغذى وينمو أو يحس ويتحرك بالإرادة، أو يعقل الكليات ويستنبط بالرأي، وقد يعبر عنها بلازم واحد وهو من حيث أنه ذو حياة بالقوة (ص٢٢٩).

٦ - **النفس النباتية**: كمال أول لجسم طبيعي آلي من حيث يتغذى وينمو. فالكمال جنس. وبأول: يخرج الكمالات النباتية كتوابع الأول من العلم والقدرة، وبالجسم:

يخرج كمال المجردات، وبالطبيعي: يخرج الصناعي كالسرير والكرسي، وبالآلي: العناصر؛ إذ لا يصدر عنها أفعالًا بواسطة الآلات. وقواها تسمى طبيعية. وهي أربع اثنتان يحتاج إليهما لبقاء الشخص وهي الغاذية والنامية، ومنهما اثنتان يحتاج إليهما لبقاء النوع وهما المُولدة والمصورة. وهذه الأربع تخدمها أربعة أخرى هي: الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة (ص٢٢٩ - ٢٣٥). وسنعرف كلًّا منها.

٧ - **النفس النباتية الغاذية**: تُشبه الغذاء بالمتغذي أي تُحيل جسمًا آخر إلى مُشاكلة الجسم الذي تغذوه بدلًا لما يتحلل عنه، وقد يثبت وقوفها ضرورة الموت بأن القوى الجسمانية متناهية (ص٢٣٠).

٨ - **النفس النباتية النامية**: تُداخل الغذاء بين الأجزاء فتضمه إليها فتزيد في الأقطار الثلاثة بنسبة طبيعية إلى غاية ما، ثم تقف لا كالورم والسمن؛ وذلك أنه لما كان البدن متولدًا من الدم والمني فهو في الأول رطب ثم يجف يسيرًا يسيرًا. ونُفوذ الغذاء لا يكون إلا بتمدد الأعضاء، فإذا جفت لم تقبل ذلك فوقفت ضرورة (ص٢٣١).

٩ - **النفس النباتية المُولدة**: تفصل من الغذاء ما يصلح أن يكون مادة للمثل، وهي في كل البدن (ص ٢٣١).

١٠ - **النفس النباتية المُصورة**: توجد في الرحم خاصة تفيد تلك الأجزاء الصور، والقوى التي بها تصير مثلًا بالفعل.

١١ - **النفس النباتية الجاذبة**: هي التي تجذب المحتاج إليها (ص٢٣١).

١٢ - **النفس النباتية الهاضمة**: هي تعد الغذاء لأن يصير جزءًا بالفعل (ص٢٣٢).

١٣ - **النفس النباتية الماسكة**: هي التي تمسك الغذاء ريثما تفعل فيه الهاضمة فعلها (ص٢٣٣).

١٤ - **النفس النباتية الدافعة**: إما للغذاء المهيأ للعضو إليه، وإما للفضل عنه ويجده كل أحد من نفسه عند التبرز، كأن معدته وأمعاءه تنتزع، ويدل عليه القيء من غير اختيار (ص٢٣٤).

١٥ - **النفس الحيوانية**: كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما، يحس ويتحرك بالإرادة (ص٢٢٩). وتسمى قواها نفسانية، وهي إما مُدركة وإما مُحركة، والمُدركة إما ظاهرة وإما باطنة (ص٢٣٥).

ويتناول **الموقف الخامس**: الإلهيات (ص ٢٦٦ - ٣٣٦). ويتكون من سبعة مراصد. يتناول **المرصد الأول** الذات الإلهية (ص ٢٦٦ - ٢٧٠)، ويتناول **المرصد الثاني** تنزيه اللَّه - تعالى - عن الصفات السلبية (ص ٢٧٠ - ٢٧٨)، ويتناول **المرصد الثالث** توحيده تعالى (ص ٢٧٨، ٢٧٩)، ويتناول **المرصد الرابع** الصفات الوجودية للذات الإلهية (ص ٢٧٩ - ٢٩٩)، ويختص **المرصد الخامس** فيما يجوز عليه - تعالى - ويتناول تحديدًا الرؤية والكلام (ص ٢٩٩ - ٣١١)، ويتناول **المرصد السادس** أفعاله تعالى (ص ٣١١ - ٣٣٢)، ويتناول **المرصد السابع** أسماء اللَّه تعالي (ص ٣٣٣ - ٣٣٦).

ويتناول **الموقف السادس**: السمعيات (ص٣٣٧ - ٤٣٠). ويتكون من أربعة مراصد. يتناول **المرصد الأول** النبوات (ص٣٣٧ - ٣٧٠). ويتناول موضوعات من قبيل: حقيقة المعجزة (ص٣٣٩ - ٣٤٢) وإمكان البعثة (ص٣٤٢ - ٣٤٩). وعصمة الأنبياء (ص٣٥٨ - ٣٦٦). وحقيقة العصمة (ص٣٣٦). وأفضلية الأنبياء على الملائكة (ص٣٦٧ - ٣٧٠). وجواز وجود كرامة للأولياء (ص٣٧٠). ويتناول **المرصد الثاني** المعاد (ص٣٧١ - ٣٨٤). ويتناول موضوعات مثل: إعادة المعاد (ص٣٧١ - ٣٧٢). وحشر الأجساد (ص٣٧٣ - ٣٧٤)، والجنة والنار: هل هما مخلوقتان (ص٣٧٤ - ٣٧٦)، والتوبة (ص٣٨٠ - ٣٨٢). ويتناول **المرصد الثالث** الأسماء والأحكام (ص٣٨٤ - ٣٩٥). ويجيب عن أسئلة مهمة مرتبطة بالإيمان والكفر مثل: هل الإيمان يزيد أو ينقص (ص٣٨٨)، وهل مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة مؤمن (ص٣٨٩ - ٣٩٢). ويتناول **المرصد الرابع** الإمامة (ص٣٩٥ - ٤١٤) ويتناول موضوعات مثل: شروط الإمامة (ص٣٩٨ - ٣٩٩)، وأفضل الناس بعد رسول اللَّه ﷺ (ص٤٠٧ - ٤١٢)، ووجوب تعظيم الصحابة، والكف عن القدح فيهم (ص٤١٣، ٤١٤).

وقد ورد في الموقف السادس المفاهيم الآتية:

١ - **النبي**: لفظ منقول في العُرف عن مُسماه اللغوي. فقيل: هو المُنبئ من النبأ؛ لإنبائه عن اللَّه تعالى، وقيل: من النبوة وهو الارتفاع لعلو شأنه، وقيل: من النبي وهو الطريق.

٢ - **الإيمان**: في اللغة التصديق. وأما في الشرع فهو التصديق للرسول ﷺ فيما عُلم مجيئه به ضرورة، فتفصيلًا فيما عُلم تفصيلًا، وإجمالًا فيما عُلم إجمالًا (ص٣٨٤).

٣ - **الكفر**: عدم تصديق الرسول ﷺ في بعض ما عُلم مجيئه به ضرورة (ص٣٨٨).

٤ - **الإمامة**: رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، ونقض بالنبوة. وهي خلافة الرسول ﷺ

في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة (ص٣٩٥).

٥ - **البصر**: إنما يحصل بانعكاس صورة المرئي بتوسط الهواء المشف إلى الرطوبة الجليدية وانطباعها في جزء منه، وذلك الجزء زاوية مخروط قاعدته سطح المرئي؛ ولذلك يرى القريب أعظم؛ لأن الوتر الواحد كلما قرب كان أقصر ساقًا، فأوتر زاوية أعظم، وكلما بعُد كان أطول ساقًا فأوتر زاوية أصغر، والنفس إنما تدرك الصغر والكبر باعتبار تلك الزاوية. ويخرج من العين جسم شعاعي على هيئة مخروط رأسه يلي العين وقاعدته تلي المبصر، والإدراك التام إنما يحصل من الموضع الذي هو موضع سهم المخروط (ص٢٣٥ - ٢٣٦).

٦ - **السمع**: إنما يحصل بوصول الهواء المنضغط بين القارع والمقروع إلى الصماخ، لقوة حاصلة في العصبة المفروشة في مؤخره التي فيها هواء محتقن كالطبل،فإذا انحرفت تلك العصبة أو بطل حسها بطل السمع(ص٢٣٦).

٧ - **الشم**: قوة مستودعة في زائدتين في مقدم الدماغ، وزعم بعضهم أن الرائحة تتأدى إليه بتحلل أجزاء من الجسم ذي الرائحة وتبخره ومخالطته للمتوسط (ص٢٣٦).

٨ - **الذوق**: قوة منبثة في العصب المفروش على جرم اللسان، وإنما تدرك بواسطة الرطوبة العذبة المخالطة للمذوق، فإذا كانت الرطوبة عديمة الطعم أدت الطعوم بصحة، وإن خالطها طعم لم تؤدها بصحة كما للمرضى؛ ولذلك كان الممرور يجد الماء والسكر مُرًّا (ص٢٣٧).

٩ - **اللمس**: قوة مبثوثة في العصب المخالط لأكثر البدن سيما الجلد، ومن الأعضاء ما ليس فيه قوة لامسة كالكلية فإنها ممر الفضلات الحادة، فاقتضت الحكمة أن لا يكون لها حس؛ لئلَّا تتأذى بمرورها عليها، وكذلك العظم؛ لأنه أساس البدن وعليه أثقاله (ص٢٣٧).

١٠ - **الحس المشترك**: القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الخمس فتطالعها النفس ثم تدركها (ص٢٣٨).

١١ - **الخيال**: يحفظ الصور المرتسمة في الحس المشترك كالخزانة له، وبه يعرف من يرى ثم يغيب ثم يحضر، ولولا هذه القوة لامتنع معرفته واختل النظام (ص٢٣٩).

١٢ - **القوة الوهمية**: تدرك المعاني الجزئية كالعداوة التي تدركها الشاة من الذئب، والمحبة

التي تدركها السخلة من أمها، وهي التي تحكم بأن هذا الأصغر هذا الحلو (ص٢٤٠).

١٣ - **القوة الحافظة:** هي الحافظة للمعاني التي تدركها الوهمية كالخزانة لها، ونسبتها إلى الوهمية نسبة الخيال إلى الحس المشترك (ص٢٤٠).

١٤ - **المتخيلة:** تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني بالتركيب والتفصيل مثل إنسان ذي رأسين، وإنسان عديم الرأس، وحيوان نصفه إنسان ونصفه فرس، وهذه القوة إذا استعملها العقل سميت مفكرة (ص٢٤٠).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الرضا Satisfaction.**
- **النفس Psycho.**
- **القياس asurement.**
- **الاستقراء Induction.**
- **النسيان Forgetting.**
- **الإرادة willing.**
- **القدرة ability.**
- **العفة Chastity.**
- **الشجاعة Courage.**
- **الحكمة wisdom.**
- **اللطف Kindness.**
- **الحس المشترك Common sense.**
- **الخيال Imagination.**

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

القِسمُ الثَّاني

إصلاح النفس



الإخلاص والنية



- تأليف/ ابن أبي الدنيا (٢٠٨ - ٢٨١هـ).
- تحقيق/ إياد خالد الطباع.
- دمشق: دار البشائر.

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد ابن أبي الدنيا في بغداد عام (٢٠٨هـ). قام بتأليف (٢١٧) كتابًا في موضوعات مختلفة، أكثرها في الزهد والرقائق ثم التاريخ و التراجم. وتوفي في جمادى الأول من سنة (٢٨١هـ) ببغداد.

عرض الكتاب:

يتكون هذا الكتاب من نتف من بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وبعض أقوال الرسل والأنبياء، وأهل السلف التي تفيد إخلاص العمل والنية لوجه اللّٰه تعالى.

ومن هذه النتف ما يتعلق ببعض اهتمامات علم النفس المعاصر. فإن مفهوم «النية» قد يكون مرادفًا لمصطلح «المقصد» الذي يعد بمثابة حلقة الوصل بين المعتقدات والاتجاهات من ناحية والسلوك من ناحية أخرى كما تشير نظريات علم النفس الاجتماعي.

تعضيدًا لذلك، تم الإشارة إلى كثير من الأقوال التي تفيد مطابقة الظاهر (أي السلوك) مع الباطن (القيم) مثل: «من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، ومن كانت سريرته مثل علانيته فذلك النصف (أي العدل)، ومن كانت سريرته دون علانيته فذلك الجور (أي الظلم)» (ص٥٣). و أيضًا «لا تكن ذا وجهين و ذا لسانين، تظهر للناس ليحمدوك، و قلبك فاجر» (ص٥٥).

فأثناء الحديث عن إخلاص البكاء للّٰه، قال أيوب (ابن تميمة السختياني، أبو بكر البصري): «إن الشيخ إذا كبر مج» (ص٦٣). ويقصد بـ«مج» أي استرخى. فقد يتفق ذلك مع تأثير التقدم في العمر **Aging** على الانفعالات كما أوضحته البحوث النفسية للمسنين.

وذكر حادثًا قد يستشف منه أهمية الوجه والصوت في التعرف على الهوية **Identification** وهو ما أكدته بحوث علم النفس المعرفي المعاصر. وهذا هو: « صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة، فكان الليل أجمع يصلي في المحمل جالسًا يومئ برأسه إيماء، وكان يأمر الحادي أن يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له » (ص٦٧).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **النية أو المقصد Intention.**
- **التقدم في العمر Aging.**
- **الانفعالات Emotions.**
- **التعرف على الهوية Identification.**

القائم بالعرض

د. أحمد محمد مجرية

* * *

أريج البستان

- للشيرازي (٥٨٠ - ٦٩٠هـ).
- ترجمة د/ أمين بدوي.
- القاهرة: دار الشروق (٢٠٠٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد شرف الدين عبد اللّه السعدي ونشأ في شيراز في أسرة رجالها من أهل العلم والدين والعرفان. وفي تاريخ مولده اختلاف، فهو في رواية عام (٥٩٥هـ) الموافق سنة (١١٩٩م)، أو عام (٦٠٦هـ) المطابق سنة (١٢٠٩م)، أو عام (٥٠٨هـ) المقابل سنة (١١٨٤م). وبهذا التاريخ الأخير أخذت دائرة المعارف البريطانية.

أما الاختلاف في تاريخ رحيله عن الدار الفانية فهو أيسر من هذا. يذكر البعض أنه في عام (٦٩٠هـ) أو عام (٦٩١هـ) الموافقين (١٢٩١م)، أو عام (٦٦٤هـ) الموافق (١٢٩٤م). ولكنهم متفقون على أن الشيخ كان من المعمرين وأنه جاوز المائة.

لما اشتد عوده سافر إلى بغداد ليستكمل علومه في المدرسة النظامية. والتقى السعدي هناك بعلماء كان أبعدهم أثرًا في حياته شيخاه شهاب الدين السهرودي الصوفي المعروف، وشمس الدين أبو الفرج الجوزي.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من القطع الكبير، مشتملة على الفهارس، وإهداء للمغفور لها الدكتورة إسعاد عبد الهادي قنديل من المترجم في شكل أبيات شعر، ومقدمة المؤلف في تمجيد الخالق ومدح النبي ﷺ. ثم تاريخ تأليف الكتاب، وتقديم الكتاب، والتماس الإغضاء عن العيوب، ومدح لأبي بكر بن سعد بن زنكر، ومدح لسعد ابن أبي بن سعد وحكاية العارف والنمر والأفعى.

ويتكون الكتاب من عشرة أبواب عبارة عن مجموعة من القصص المعنونة بعناوين منفردة. يشير الباب الأول إلى العدل والتدبير والرأي، ويبدأ بوصية أنوشيروان لولده هرمز

يوصيه فيها بالعفو والصفح والتزام الرضا، أتبعها بنصيحة خسرو لولده شيرويه، وبين كيف تتم معاملة التجار والغرباء وإكرامهم، وأن الاحتراز من الغريب حسن، ومعاملة الخدم والأتباع واختيار العمال ومعاملة العمال المعزولين والجمع بين الشدة واللين، والنهي عن إهمال ذكر العظماء، والاعتبار بسيرة الملوك السابقين، والنهي عن الاستماع إلى قالة السوء، وعدم التسرع في معاقبة الخباة. وفي حكاية السائح جوَّاب الآفاق بين كيفية اتخاذ القرار **Decision-Making** (ص٤١) من خلال ذكره؛ لأن من يعمل أعمالاً بلا تجربة يحمل على قلبه أعباء من جور الغم. وحين يسجل القاضي أحكامه بفكر وروية، لا يخجل من ذوي العمائم، وانظر فوق السهم في إبهامك، لا حين تكون قد أطلقته من يدك.

وأشار إلى الجنسية المثلية **Homosexuality** (ص٤٢) عند ذكره لكيف أنه عرف أن الملك له ميلًا وهوى مع الغلامين خواء شهواني وأنه تيقن من هذا القول قبل ذكره. ثم ذكر حكاية إبليس في المنام وأشار في أصول الحكم وسياسة الرعية والجند إلى تأثير الغضب **Anger** (ص٤٧). فذكر أنه لا يقول: إذا حاربت فاثبت بل: إذا غضبت فاضغط بالعقل، كل من له عقل يتحمل لا العقل الذي يحكمه الغضب، وحكاية عن ملك عادل كان يرتدي قباءً زهيدًا، وحكاية دارا والراعي، وحكاية عمر بن عبد العزيز، وحكاية عن تكله بن زنكي وأحد العرفاء، وحكاية عن سلطان الروم، وحكاية العابد والحاكم الظالم، وحكاية عام القوط في دمشق، وحكاية عن حريق في بغداد وفي الاعتبار بملوك العجم الظالمين، وحكاية الملكين الأخوين العادل والظالم.

وفي التحذير من عاقبة فعل الشر والجور على الضعفاء وملك القناعة وحديث الجمجمة مع العابد والمحسن والمسيء وحكاية العسس الجبار الذي وقع في البئر، وحكاية الرجل الصالح والحجاج وعظات وحكم متفرقة، وحكاية الملك المريض بداء الخيط؛ في التحذير من الغرور بالدنيا. وحكاية أمير مصر الآجل الذي وافاه الأجل. حكاية قزل أرسلان والرجل المبارك وعظة الولهان لكسرى، وعظة المجنون الذكي في موت ألب أرسلان، وحكاية عن ملك ظالم من ملوك الغور، وحكاية المأمون والجارية الجميلة، وحكاية الملك الكبير والرجل الطيب الفقير، وحكاية المصارع البائس، وحكاية الحاكم الظالم والشيخ الحكيم وفي التدبير ومداراة العدو والحيطة والحذر في خوض الحرب والعناية بالجند وتشجيع الأبطال، وفي تدبير الحرب والملك، وفى

الفرار من القتال، وفي تربية الرجال في الحذر من العدو وفي السلم في التنبيه لكيد العدو والضعيف في الحرب، ومعاملة الأسرى في الحذر من صداقة أقرباء العدو والحذر من استخدام الجندي العاصي أميرًا، وفي سياسة البلاد المفتوحة وفى حرب العدو وكتمان السر.

أما الباب الثاني في الإحسان وبدأها في الاهتمام بالمعاني لا الصور، وعرض فيه للعاقل الذي يميل إلى المعاني؛ لأن المعنى هو الذي يبقى من الصورة لا الصورة وهي إشارة إلى الإدراك **Perception** والذي يعني اختفاء المعنى على الصورة (ص٨٨) ثم العطف على اليتيم، وفي الرحمة والتواضع، وحكاية إبراهيم الخليل عليه السلام وضيفه المجوسي في الإحسان وبيع الآخرة بالدنيا، وحكاية الخب المحتال والشيخ الصوفي، وحكاية الغني الممسك ووارثه المنفق. وحكاية المرأة. ثم قدم عظة، وعرض بعدها لحكاية الشيخ المغرور بصلاته وعبادته وأشار فيه إلى الوسواس المشتت الخاطر والذي يعنى به **Obsessions** (ص٩٥). ثم حكاية زوجة قائد السلطان، وحكاية عن رجل كريم رقيق الحال، وحكاية الرجل الرحيم والكلب الظمآن، وفي العطف على المساكين وعدم الاغترار بالجاه والسلطان، وحكاية الغني الذي نهر السائل فأصبح سائلًا، وحكاية النملة الحائرة، وحكاية الشاب والخروف الأليف، وحكاية الدرويش والثعلب الأبتر اليدين والرجلين، وحكاية الرجل المجامل البخيل، واختبار سلطان الروم لكرم حاتم الطائي، وحكاية ملك اليمن الحاقد على حاتم الطائي، وحكاية ابن حاتم مع النبي صلى اللّه عليه وسلم، وحكاية حاتم والشيخ طالب السكر، وفي مقارنة أبي بكر بن سعد بحاتم الطائي، وحكاية الرجل الذي وقع حماره في الوحل والسلطان، وحكاية المحسن الأعمى الذي أبصر ببركة إكرامه السائل وطريق الوصول إلى الخير، ورجل يبحث عن ولده في الليل وياقوته بين الحصى وباب المعرفة، وحكاية الرجل الحريص وابنه المتلاف، وحكاية عن شاب تصدق بدانق على شيخ فقير، وحكاية صحراء المحشر، وفي معاملة الأشرار، وحكاية المرأة الحمقاء وعش الزنابير والحزم في الأمور والعمل في الوقت المناسب.

أما الباب الثالث ففي العشق والسكر والوله وعرض فيه لما جاء في عشق الذات الإلهية والعشق الإلهي والعشق الدنيوي وحكاية ابن الصعلوك عاشق الأمير والشرك بالحبيب وفي أخوال أهل الطريق. وهنا أشار لتشتت الإدراك **Perception Distraction** (ص١٢٢). وحكاية الحبيب السمرقندي وغريق المحبة، وحكاية الشيخ المتسول على

باب المسجد، وحكاية الشيخ الذي داوم على قيام الليل ونصيحة نيسابوري لولده، وحكاية عروس جديدة شابة تشكو من عروسها، وحكاية المريض عاشق الطبيب، وحكاية المغتر بقوته ومبارزته الأسد، وحكاية زواج ابن عم من ابنة عمه وارتضيت ما يرتضيه لي، وحكاية مجنون ليلى ولائمه، وحكاية شاه غزنين وإياز، وحكاية شيخ من فارياب وطريق العقل وطريق العرفان، وحكاية رئيس القرية وابنه في عاصمة المملكة والدودة الصغيرة المشعة في الليل، وحكاية المثنى على سعد بن زنكي، وحكاية الشيخ الأسير في فتنة الشام، وحكاية شخص قلبه بيد شخص آخر وفي العشق والسماع، وحكاية الغني عازف الناي وأبيه، وحكاية الفراشة ولائمها في محبتها للشمع، وحكاية حديث الفراشة مع الشمعة.

وجاء الباب الرابع في التواضع وجاء فيه على ذكر الحض على التواضع وقطرة المطر المتواضعة، وحكاية الشاب الصوفي وكبير العابدين، وحكاية بايزيد والرماد المهال على رأسه والرفعة في التواضع والهوان في الكبر، وحكاية العابد بعبادته والفاسق النادم على معصيته، وحكاية الفقيه الرث الثياب في مجلس القاضي، وحكاية أمير كنجه الفاسق الطاغية، وحكاية بائع العسل السكري الابتسامة، وحكاية الحكيم العابد والفاسق العربيد، وحكاية البدوي الذي عضه الكلب مع ابنته، وحكاية السيد الفاضل وغلامه الذميم، وحكاية معروف الكرخي وحنيفة المريض وجاءت هنا إشارة إلى **اضطرابات النوم Sleep Disorders** ألا وهي **الكوابيس Nightmares** (ص١٥٥). كما جاء على ذكر **الاضطراب Disorder** و**القلق Anxiety** (ص١٥٦).

ثم عرض لحكاية الطامع الوقح والشيخ الصوفي، وحكاية الملك الصالح وفقيرين نائمين بالمسجد، وحكاية المُنجِّم الناشئ المغرور، وحكاية العبد الآبق والملك الغاضب وبين كيف يمكن التعامل مع حاد الطبع، وأن القول اللين مثل الماء على نار الرجل الحمي الغاضب، وفيه إشارة إلى أحد أساليب تنمية السلوك (التوكيد) ألا وهو **تطويق الغضب Anger Disarming** (ص١٦٠). وحكاية العرف الناج، وحكاية خاتم الأصم وطنين الذبابة، وحكاية عزيز تبريز واللص، وحكاية رجل ساذج القلب مع غلام أمرد، وحكاية تسخير لقمان في عمل الطين، وحكاية الجنيد وكلب الصيد، وحكاية العابد والبربطي السكران، وحكاية الشيخ الصوفي في أرض وخش، وحكاية الإمام ومخالفه في الرأي، وحكاية الخليفة عمرو والشحاذ، وحكاية رؤية الرجل الصالح في الرؤيا، وحكاية ذي النون المصري وعام جفاف النيل.

أما **الباب الخامس** فكان في الرضا، فبدأه في تحدي السعدي لخصومه ثم في الإيمان بالقدر والرضا بالقضاء ثم حكاية البطل الأصفهاني، وحكاية البطل الأردبيلي والمحارب لابس اللبد، وحكاية الكردي العليل والطبيب الصحيح، وحكاية القروي الذي نفق حماره، وحكاية المفلس الذي وقع منه دينار، وحكاية الشيخ الهرم وضربه لابنه بلا ذنب، وحكاية المدسر المقيم في حي الشحاذين، وحكاية النسر والحدأة، وحكاية تلميذ النساج، وحكاية ولد الناقة مع أمه، وحكاية العبادة بإخلاص وبابا كوهي والمرائي والصبي الصائم وحكاية الفاسق الهالك.

والباب **السادس** في القناعة ويبدأها بتربية النفس وحكاية الحاجب والمشط، وحكاية الطماع وملك خوارزم، وحكاية العارف المصاب بالحمَّى، وحكاية الحديث عن البصرة، وحكاية الصوفي المغلوب على أمره وبائع قصب السكر، وحكاية الأمير وطاق الحرير، وحكاية الفقير القانع، وحكاية الهرة في بيت العجوز، وحكاية الأب الفقير وطفله وفي تحويل الحجر إلى فضة، وحكاية البيت المنخفض، وحكاية الشيخ الذي خلف السلطان وأشار إلى أهمية أن تكون الخصال مرضية وجميلة وهي إشارة إلى سمات الفرد **Traits** (ص ١٩٥)، وانتهى بحكاية الشيخ المعمر.

والباب السابع في التربية وبدأها بكبح جماح النفس، وحكاية صون اللسان عن الهذيان، وحكاية بوح السلطان تكشي بسره لغلمانه، وحكاية الجهول الصامت وحكاية رجل جمح لسانه، وحكاية عضد الدولة وابنه المريض وفي المريد في حفل السكارى وفي مشهد معركة، وحكاية الشيخ والأسود والفتاة، وحكاية داود الطائي والمريد السكران، وفي النهى عن الغيبة والنميمة، وحكاية السعدي في المدرسة النظامية، وهنا أشار إلى أحد أساليب التعليم ألا وهي التسميع الذاتي **Rehearsal** (ص ٢٠٧)، وحكاية القادح في الحجاج، وحكاية العابد ومضاحكة الصبي، وحكاية العبد وتعليمه الصبي الوضوء، وفي ذكر الناس بالخير، وحكاية الرفيق المغتاب والمجنون المرغزي، وحكاية من يجوز اغتيابهم، وحكاية اللص القادم من الصحراء، وحكاية النمام والصوفي، وحكاية أفرويدون والواشي والوزير، وفي المرأة الطيبة والمرأة الخبيثة، وحكاية الشاب الشكي من زوجته، وفي تربية وتعليم الصبي، وحكاية الحفل والمطرب والمعشوق، وفي العاشق والمعشوق، وحكاية التاجر والغلام، وفي ادعاء الهوى العذري، وحكاية العابد الوجه الجميل، وفي الابتلاء بألسنة الخلق، وحكاية عائب الشاب الفاضل.

وتناول **الباب الثامن** الشكر على العافية وفيها ذكر في عجز الخلق عن شكر الحق، وحكاية الأم وابنها العاق، وفي تدبر صنع الخالق وبين فيها أن **البصر والرأي والفكر Thinking، Opinion and Vision** والتمييز **Discrimination** بينهم يتم في الرأس، أي أنها تدرك في الرأس وفي مراكزها في الرأس (ص ٢٢٨)، وحكاية الأمير ناكر الجميل، وفي تأديب الصبي وفي تذكير الإنسان بأنعم اللّه وفي معرفة المحروم قدر النعمة، وحكاية طغرل والحارس، وحكاية العسس واللص، وحكاية العاري والكساء الخام، وحكاية العابر والعابد الزاهد، وحكاية العاجز والباكي، وحكاية الفقيه والسكران، وفي حكمة صنع الباري وبين أن العسل يحسن للأحياء المزاج ويقصد به أن بعض الأطعمة تؤثر على **المزاج Mood** (ص٢٣٥) وأن المزاج ينقسم إلى رطب ويابس وحار وبارد وأن طباع الإنسان مركبة من هذه الأربع، وبين أن هناك **اختلافًا في الأمزجة Moods Differences** وذلك إذا تغلبت واحدة من السابقة على الأخرى (ص ٢٣٥)، وفي المواهب الإلهية للإنسان والسعدي في معبد سومنات.

أما **الباب التاسع** ففي التوبة وطريق الصواب وبدأ في الإعداد للآخرة، وحكاية الشبان والشيخ، وحكاية الشيخ المعمر والطبيب، وفي حض الشبان على الطاعة، وحكاية النائم في صحراء فيدو، وحكاية الميت والحي، وحكاية فقيد جم وتكفينه بالحرير، وحكاية العابد والأجرة الذهبية، وحكاية العدوين اللدودين، وحكاية المسافر في القافلة ولفتاة وقفص الصدر والروح، وحكاية الصبي وخاتمه الذهبي، وحكاية الشخص الذي أغضب الملك، وحكاية آكل مال الناس والذاهب إلى المسجد ملطخًا بالطين، وحكاية الصبي الضال، وحكاية جامع الغلة وحارق البيدر، وحكاية المتفق على مفكر وعرض في ظل ذلك إلى أحد مظاهر **الخجل Shyness** وهو **التعرق Sweating** (ص٢٦٢)، وحكاية زليخا وعشقها ليوسف، وفي ستر الهرة قذارتها بالتراب، وحكاية الغريب في سداد الحبش، وحكاية رئيس دامغان وضربه شخصًا بالصولجان، وحكاية موت طفل للسعدي في صنعاء.

أما **الباب العاشر** ففي المناجاة وختم الكتاب وعرض إلى التضرع إلى اللّه، وعائب الشخص الأسود اللون والدرويش ناقض التوبة، وحكاية المجوس وخدمته الصم، وحكاية السكران في مقصورة المسجد، وختم ما جاء في الكتاب بعبارة « لم أجئ ببضاعة إلا الأمل، فلا تجعلني يا إلهي قانطًا من العفو » بالإضافة إلى قصيدة وخاتمة بقلم المترجم.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- اتخاذ القرار Decision-Making.
- الجنسية المثلية Homosexuality.
- الغضب Anger.
- الإدراك Perception.
- الوسواس Obsessions.
- تشتت الإدراك Perception Distraction.
- اضطرابات النوم Sleep Disorders.
- الاضطراب Disorder.
- القلق Anxiety.
- تطويق الغضب Anger disarming.
- السمات Traits.
- التسميع الذاتي Rehearsal.
- البصر Vision.
- الرأي Opinion.
- الفكر Thinking.
- التمييز Discrimination.
- المزاج Mood.
- اختلاف في الأمزجة Moods Differences.
- الخجل Shyness.
- التعرق Sweating.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

بحر الدموع



○ تأليف/ ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج (٥١٠هـ - ٥٩٧هـ).

○ القاهرة: مكتبة مصر.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ الإمام العلامة جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن علي ابن عبد اللّه بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد اللّه بن القاسم بن النضر ابن القاسم بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي البكري البغدادي الحنبلي، اشتهر الحافظ أبو الفرج بالجوزي. ولد سنة (٥١٠هـ)، ومن شيوخه أبو القاسم بن الحصين، وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي الحافظ وغيرهم، ومن تلاميذه ابن البخاري وابن أبي الخير. من مؤلفاته زاد المسير، وفنون الأفنان، وتلبيس إبليس وغيرها. توفي سنة (٥٧٩هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس. ينقسم الكتاب إلى اثنين وثلاثين فصلًا.

تناول **الفصل الأول** المجتهدون بالليل أصحاب القرآن، وأن من تقرب إلى اللّه تقرب اللّه إليه، ومن عمل للّه تقبله اللّه.

أما **الفصل الثاني** فكان في المماطلة في العمل والطمع في تحقيق أمل ما، مع عدم الأخذ في الاعتبار قدوم الأجل وقربه.

وعرض **الفصل الثالث** للمقيمين على الخطايا والعصيان ومدى إصرار العاصي على عصيانه.

ويعتبر **الفصل الرابع** تنبيهًا للغافلين والقائمين على الذنوب أن ينتهوا ويتعظوا.

وأشار **الخامس** إلى تقييد النفوس بزمام ما، ومن قهر النفس من المهام التي يجب أن يطلع عليها الفرد، وأن الدنيا دار تكليف وامتحان.

أما **الفصل السادس** فمثل تنبيهًا لتهيئة الفرد لنفسه للآخرة وأن يعمل لها ويستعد.

وعرض **السابع** للدنيا وما فيها وخطاياها الكثيرة التي يمكن أن يقع الفرد فيها.

اهتم **الفصل الثامن** بما على الناس أن يقوموا به، وأن عليهم التوجه إلى اللَّه، وأن يتوبوا إليه، وأن عليهم أن يصلحوا ما فسد من أعمالهم.

وتناول **الفصل التاسع** ماهية الدنيا وأنها زائلة، فكيف لنا أن نطلب البقاء فيها، فهي مجرد معبر وطريق نأخذه حتى نصل إلى الآخرة.

أما **العاشر** فأشار إلى أن ظاهر الفرد قد لا يتفق مع باطنه.

وأشار **الحادي عشر** إلى اختلاف أداء الفرد، فعند طلبه للدنيا يسرع، وعندما يطلب الآخرة يمشي رويدًا، وأن العمر أمانة يجب أن نعرف كيف نحافظ عليها.

يصف الفصل **الثاني عشر** سمات وصفات التائب إلى اللَّه، نهاره صوم، وليله سهر.

وبين **الفصل الثالث عشر** أن من أصر على المعاصي فهو في غفلة من حياته.

وتناول **الفصل الرابع عشر** كيف يكون قلب الفرد معمور بذكر الحبيب، وليس فيه لغيره حظ ولا نصيب.

ووجه **الخامس عشر** إلى التائبين والتائهين، مع توصية ابن آدم بألَّا يعلق قلبه بالدنيا.

وعرض **الفصل السادس عشر** لقرب الأجل وقرب الموت، وما يمكن أن يقوم به الفرد حتى لا يندم عندما يأتيه الممات.

وتناول **الفصل السابع عشر** من أذنب عليه التوبة والصلاح، فكيف يستطيع المذنب أن يعيش في ذنبه.

واهتم **الثامن عشر** بأن على الفرد الاستعداد حتى لا تفاجئه الأيام فيجدها قد انتهت به إلى الممات.

ويوجه **الفصل التاسع عشر** الفرد إلى كيف يمكنه أن يشتري آخرته بدنياه، وما يصنعه في هذه الدنيا ليفوز بالآخرة.

وأشار **الفصل العشرون** إلى تغير الفرد من الأحسن إلى الأسوأ بطول بقائه وأمده.

وبين **الفصل الحادي والعشرون** أن من أحبه اللَّه حماه من نفسه والآخرين.

وأظهر **الفصل الثاني والعشرون** أهمية البكاء والدموع في غسل الفرد لذنوبه.

وتناول **الفصل الثالث والعشرون** تأجيل التوبة، وأن من كان غافلًا في شبابه عليه أن يفيق من هذه الغفلة.

وعرض **الرابع والعشرون** لكيف للفرد أن يرحل دون زاد ويسافر دون عتاد، فكيف له أن لا يخاف مما هو مقبل عليه.

ووضح **الفصل الخامس والعشرون** جزاء من اتبع هواه وشهواته، ولم يجعل قرة عينه الصلاة والزكاة والزهد.

وجاء **الفصل السادس والعشرون** في التائبين، وكيف أنهم عمروا قلوبهم بذكر اللَّه والتقوى ووصفهم في ذلك **بالخوف Fear** وأذبلهم **الأرق Insomnia** وهم من القلق **Anxiety** كل يوم في شأن (ص٩٤). كما أشار لمن وسوست له نفسه أمرًا وكيف تسيطر هذه الوساوس عليه وفي ذلك إشارة إلى **الأفكار الوسواسية Obsession Thoughts** (ص٩٦).

اهتم **الفصل السابع والعشرون** بكبائر الذنوب، وأن الزنا من أكبر الكبائر التي نهى اللَّه عنها، وأشار إلى أن ممن لا يدخلون الجنة المخنثون.

وعرض **الفصل الثامن والعشرون** إلى أن العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس.

وأشار **الفصل التاسع والعشرون** إلى أَبْغَض عباد اللَّه إلى اللَّه وهم كل طعان ولعان، وأن الغيبة والنميمة يضران الدين.

وأتى **الفصل الثلاثون** على ذكر الغيبة وما تفعله بالناس وعلاقاتهم ومجتمعهم، وبين أن الغيبة لا تقتصر على اللسان، ولكنها تشمل كل ما بلغ الفرد أو سمعه باليد، أو بالرجل، أو بالإشارة، أو بالحركة، أو بالتعريض، أو **بالمحاكاة Imitation** والتي قصد بها التقليد (ص١١١).

وانتهى الكتاب **بالفصلين الحادي والثاني والثلاثين** والذي ذكر فيهما أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وأن الربا من المهلكات وأن طعام المرابي يوم القيامة من شجر الزقوم. كما أشار إلى جزاء من يأكل مال اليتيم، ومن يخون في الميزان والمكيال، كذلك شارب الخمر، وتارك الصلاة. وأشار إلى أن هناك عشرة من أمتي يأمر اللَّه - تعالى - بهم يوم القيامة إلى النار منهم **مدمن الخمر Alcoholism** (ص١٢٥).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الخوف **Fear**.
- الأرق **Insomnia**.
- القلق **Anxiety**.
- الأفكار الوسواسية **Obsession Thoughts**.
- المحاكاة **Imitation**.
- مدمن الخمر **Alcoholic**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

تسلية أهل المصائب



- تأليف/ الحنبلي أبي عبد اللّه محمد بن محمد (٧٨٥هـ).
- صححه وأعد فهارسه: السعيد المندوه.
- القاهرة: دار الكتبي، الطبعة الأولى.

* * *

عرض الكتاب:

يقع هذا الكتاب في (٢٦٠) صفحة من القطع المتوسط، ويتكون من ثلاثين بابًا. يختص كل باب منها بأحد الأمور المتعلقة بالإصابة بكرب ما، وما ذكر في كل نوع من أنواع هذه المصائب والكروب، وكيف للمؤمن أن يتعامل مع الكروب، والأجر الذي ينتظره نظير صبره على ما وقع به.

فيشير **الباب الأول إلى المصيبة وحقيقتها**، وما أعد اللّه لمسترجعها. وكيف أن اللّه يكافئ من يتحمل المصائب ويصبر عليها ويجازيه من عنده. ويكمن تسكين أهل المصاب وعلاجه في اعتناق **أفكار عقلانية Rational Thoughts** (ص٢٢) **تجعله يؤمن أن ما كان يصيبه لم يكن ليخطئه. وأن ينظر المصاب في كتاب اللّه وسنة رسوله، وأن كلمات الاسترجاع « إنا للّه، وإنا إليه راجعون » يؤجره اللّه عليها، ويخلف عليه.**

كما أشار إلى أن الرضا **Satisfaction** (ص٢٤) هو تقبُّل ما أصيب به، والإيمان بأنه كان سيصيبه حتى وإن اعترض عليه، وأن يعلم أن ما وقع قد وقع برضى المالك، فيجب على العبد أن يرضى بما رضي به له اللّه.

كما أشار إلى التأسي بأهل المصائب، وأنه لا يوجد من يخلو من المصائب والمحبة. والنظر في حال من ابتلي أكثر من هذا أو بمثل هذا البلاء؛ ذلك أن التأسي راحة عظيمة.

وأهمية معاتبة النفس عند الجزع أي إجراء حوار مع النفس، لتفسير وتوضيح ما وقع لها، وتقبله على هذا الأساس.

وأشار الكاتب إلى أن بعض الصحابة كانوا يتمنون أن تحل عليهم المصائب ويطلبونها

لما لها من جزاء عند اللَّه؛ كطلب فقد الولد؛ لأنه يستقبل والديه يوم القيامة ليسقيهم شربة ماء.

أما الباب الثاني في البكاء على المصيبة وما ذكر العلماء في ذلك، فلم ينه الرسول ﷺ عن بكاء العين والقلب، أما البكاء الذي يصاحبه العويل والصراخ فهو ما نهى الرسول عنه.

ويشير **الباب الثالث والمتعلق بتحريم الندب والنياحة وشق الثياب**، وقد اختلفت الأحاديث في هذا الشأن، إلا أن عديدًا منها أشار إلى أن الميت يعذب في قبره بنياح أهله وندبهم عليه.

تناول **الباب الرابع والذي ذكر فيمن فقد ثلاثة من الولد فأكثر** أن له الجنة، كما أنه يحفظ من النار وتعمه رحمة اللَّه. كذلك وردت أحاديث في أن جزاء من مات له أربعة أولاد الجنة.

وجاء **الباب الخامس فيمن أصيب بفقد ولدين**. فورد في الكتاب والسنة أن هؤلاء الصغار في الجنة، وأن من صبر على فقد ولديه يجزيه اللَّه الجنة.

كما وردت أحاديث في **الباب السادس فيمن فقد ولدًا واحدًا**. وأجمعت الأحاديث فيمن كانت مصيبته في فقد أحد أبنائه أن جزاءه الجنة، وأن صغاره ينتظرونه في الآخرة ليسقونه شربة ماء وذلك في حالة أن كان حال أهلهم في الدنيا الصبر على مصيبتهم. وأشار الكاتب في ظل هذا الأمر إلى كيفية التعامل مع من مات لهم ولد، وكيف لهم أن يتأسوا بمن أصيب بمثل مصيبتهم.

أما الباب السابع فجاء في ذكر السقط وثوابه، وزيارة القبور. وأن السقط أيضًا يورد أهله الجنة، إذا احتسبوه عند اللَّه. كما ذكرت أحاديث في فضل زيارة القبور للوعظ والتذكر مع عدم الصلاة، أو الجلوس عليها.

وجاء **الباب الثامن في ذكر تطييب خاطر الوالدين على الأولاد**. وقصد بتطييب خاطر الوالدين مساندتهم **Support** (ص١٠٢ - ١٠٤) والتخفيف من مصيبتهم. كما ألمح هذا الباب إلى أن موت المواليد على الفطرة يعني موتهم على ما خلقوا وجبلوا عليه من التوحيد والإسلام، يكون جزاؤه السعادة في الآخرة، واستحقاق دخول الجنة بلا عمل عملوه، ولا خير قدموه بل برحمة اللَّه عليهم.

ويتحدث **الباب التاسع عمن مات له طفل رضيع في أنه يكمل رضاعه في الجنة**، وأورد هذا الباب الأحاديث المؤيدة لهذه المقولة.

أما الباب العاشر والخاص بالصلاة على كل مولود مسلم والدعاء لوالديه. فيذكر أنه يصلى على الطفل الميت، وأنه من الخير الدعاء لوالديه، كما أنه يصلى على السقط إذا أكمل أربعة أشهر في الحمل؛ لأن الروح تكون قد نفخت فيه عندئذ.

وفي **باب استحباب اصطناع الطعام لأهل الميت (الباب الحادي عشر).** يهتم الكاتب بالإشارة إلى بعض مظاهر **المساندة الاجتماعية Social Support** (ص١١٤، ١١٥) ومنها إعانة أهل الميت، وجبر قلوبهم، وذلك بمساعدتهم في شئون منزلهم.

ويذكر **الباب الثاني عشر الذبح عند القبور وكراهة صنع الطعام من أهل المصيبة.** فبينت الأحاديث المذكورة في هذا الباب أنه لا عقر في الإسلام؛ فالذبح على القبر مكروه، كما أن صنع أهل الميت طعامًا للناس مكروه أيضًا.

أما الباب الثالث عشر فيذكر الثناء الحسن على الميت، وذكر محاسنه، والسكوت عن مساويه. وجاءت فيه الإشارة إلى أهمية الثناء على الميت وذكر محاسنه، والكف عن ذكر مساوئه وأذيتهم بما كانوا عليه من سوء في حياتهم.

وتظهر لنا مرة أخرى المساندة الاجتماعية (ص١٢٥) في **الباب الرابع عشر والذي يدور حول فرح العبد وتسليته بكونه من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.** وأن من مظاهر المساندة تعزية أهل الميت وتسليتهم عما ابتلاهم به اللَّه بأنه من أمة محمد، وأن الرسول سيكون أول شافع له وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة.

أما الباب الخامس عشر في استحباب التعزية لأهل المصيبة، والدعاء لميتهم. فسرد الكاتب عددًا من الأحاديث والمواقف المذكورة في شأن ألفاظ التعزية المختلفة، وجميعها تشير إلى تشبيه من أصيب بموت حبيب له بعطية أعطاها اللَّه عبده فترة من الزمان ثم استردها، فكيف للعبد أن يحزن عليها.

ويشير **الباب السادس عشر في وجوب الصبر على المصيبة،** أن الصبر على المصيبة هو مفتاح التعامل معها؛ لأن المصيبة تزعزع القلب عند وقوعها، ولكن إن صبر المؤمن عليها صغرت مصيبته واستهانت واستطاع تحمل عواقبها.

وقد أورد عديد من الأحاديث والآيات القرآنية في **الصبر على المصيبة الواردة في الباب السابع عشر** وأوضحت هذه الآيات والأحاديث كيفية الصبر على المصيبة، وكيف أن هذا الصبر خير للمؤمن.

ويهتم الباب الثامن عشر بالشخص الذي لا يستغني عن الصبر ولا في المصيبة ولا في غيرها، فيشير الباب إلى أهمية الصبر من خلال أداء العبادات، واجتناب المعاصي والمساوئ، وأهمية الصبر على الضراء. وأشار الكاتب إلى أن النفس مطبوعة على محبة الفطر، ولذلك يأتي الصوم ليكيف النفس على ذلك **Adapt** (ص١٥٣). كما ورد أن الصبر على السراء مشقة على النفس؛ أي يمثل شكلًا من أشكال **المشقة Stress** (ص١٥٣) لأنه مقرون بالقدرة على ما تشتهيه النفس وتميل إليه.

أما الباب التاسع عشر فيشير إلى أن الصبر من أشق الأشياء على النفوس، وأن المشقة تكمن في الامتناع عن كل شيء يوجب إظهار الحزن على المصيبة (ص١٥٩).

وجاء **في الباب العشرين في الرضا بالمصيبة** ذكر **الرضا Satisfaction** (ص١٦٢)، وكيف له أن يجلب راحة البال لصاحبه؛ لأنه يعني تقبل الأحداث والأمور التي تتغير من حوله دون أن تثير انفعالاته.

ويهتم الباب الحادي والعشرون بما يقدح في الصبر والرضا وينافيهما، فورد في قول الرواة « من بث لم يصبر » وهي إشارة إلى الشخصية التي تفتقد القدرة على التحمل وتميل إلى الشكوى.

وأشار إلى أن العكس من الصبر والرضا **الهلع Panic** (ص١٧٦)؛ ونعني به الإصابة بالخوف الشديد غير المبرر.

ويشير الباب الثاني والعشرون والخاص بالإجابة عن تساؤل: هل المصائب مكفرات أم مثيبات، فكانت الإجابة أن المصائب والأوجاع تكفر عن الذنوب والخطايا. وأشار ابن تيمية إلى أن كل ما تولد عن عمل الفرد الصالح من المصائب أثيب عليه، بخلاف المصائب التي لم تتولد عن عمله، فإنها مكفرات لا مثيبات.

أما حول الصدقة عن المصاب به وأفعال البر عنه المذكورة في الباب الثالث والعشرين، فمن المستحب التصدق عن المصاب والقيام بأعمال بر عنه؛ ذلك أن الدعاء والاستغفار، والصدقة عنه، وقضاء دينه وأداء الواجبات عنه تصل إليه.

ويشير الباب الرابع والعشرون في ذكر عمارة القبور فتكون بالصدقة عن ساكنيها، وأفعال القرب منه، وليس بتجميل القبر وتزويقه. بل الأخذ في الاعتبار أن أول منازل الآخرة هو القبر، ولكونه يمثل عبرة لأهل الدنيا، فلا ينبغي تزيينه ولا زخرفته. وأشار الكاتب إلى أن المؤمن يثبت عند دخوله القبر، وعند البعث؛ أي أنه يثبت عند السؤال في القبر وعند

الحساب في البعث. والكافر لا يثبت في الاثنين.

أما الباب الخامس والعشرون في أن اللّه يثبت الذين آمنوا عند المسألة، فتحدث الكاتب عن اللاشعور **Unconsciousness** (ص٢١٣)، وذلك عندما أشار إلى أن الفرد قد يقوم في حالة نومه فيبطش ويضرب في الهواء، أو يدافع عن نفسه، وربما يصرخ بأعلى صوته كأنه يقظان وهو لا شعور له بشيء من ذلك؛ لأن الروح استعانت بالبدن.

واهتم **الباب السادس والعشرون باجتماع الأرواح وهيئاتها**، وأين محلها والخلاف في ذلك. فاختلفت الآراء حول من يموت البدن أم الروح، فأشار بعضهم إلى أن البدن يموت كذلك الروح، وأشار آخرون إلى أن الأرواح لا تموت وخلقت للبقاء، وأن الأرواح في النعيم أو العذاب حتى بعد المفارقة إلى أن يرجعها اللّه في أجسادها. كما اختلفت الآراء في عذاب القبر فهل تعذب الروح أم الجسد أم الاثنين معًا، فأشار بعض المتفقهين إلى أن الروح تعذب وتنعم منفردة، وبعضهم أشار إلى أنها تعذب وتنعم مع الجسد، ويرى آخرون أن التنعيم والعذاب للجسد فقط.

كما تطرق هذا الباب لعذاب القبر وأنه حق لا ينكره إلا ضال مضل، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، أما ما يختص بالبدن فهو يبلى وما هو إلا آلة تؤذي الروح أو تنفعها.

أما الباب السابع والعشرون فينظر في مسألة عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين. وأشار إلى فضل الشهداء، وأن من سأل اللّه الشهادة بصدق بلغه اللّه منازل الشهداء. وأن من يموت بالطاعون أو الغرق أو مبطون فهو شهيد كما أشار الكاتب إلى أن الموت كفارة لكل مسلم. وأن على المسلم أن يستعيذ من سبع موتات؛ الموت المفاجأة من لدغ الحية، ومن السبع، ومن الغرق، ومن الحرق، ومن أن يخر على شيء، أو يخر عليه شيء، ومن الفرار من الزحف.

أما الباب الثامن والعشرون في ذكر الصراط ودرجات الناس في المرور عليه، وعن الصراط ومن يثبت عليه أشار الكتاب إلى أنه طريق حرج ومسلك شاق وقنطرة مضطربة وعقبة لا تثبت عليها الأقدام، ولا تجوزها الأوهام ولا يثبت عليها إلا من ثبته اللّه بالقول الثابت.

أما باب ذكر سعة رحمة اللّه ومن مات على التوحيد في الباب التاسع والعشرين، فيذكر هذا الباب أن من رحمه اللّه وشمله برحمته، ومات على التوحيد، ومن وجدت في قلبه ذرة

من خير فيخرج من النار. فمن كان سالمًا من المعاصي أدخل الجنة، ومن كان له معصية كبيرة ولم يتب منها فهو داخل تحت مشيئة اللّٰه، إن شاء اللّٰه عذبه بمقدار ذنبه، أو عذبه بالقدر الذي يريده ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه مطلقًا، فلا يخلد أحد في النار مات على التوحيد، وأن أسعد الناس بشفاعة الرسول ﷺ من قال لا إله إلا اللّٰه.

وينتهي الكتاب **بالباب الثلاثين الخاص بالزهد في الدنيا والتسلية عنها والرغبة في الآخرة،** وأنها منزل نقلة وارتحال، ومحل نائبة وامتحان ومتاع وغرور وافتنان. وأنه جاء عن رسولنا الكريم ﷺ أنه قال: « **ازهد في الدنيا يحبك اللّٰه، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** ». وأن علامة السعادة اليقين في القلب والورع في الدنيا والزهد فيها، والحياء والعلم. وعلامة الشقاء تشوه القلب، وجمود العين، وطول الأمل، والحرص على الدنيا. كما أن زاد الآخرة التقوى، فلا بد من تعب الشخص والتصبر على مرارة التقوى.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الأفكار العقلانية Rational Thoughts**.
- **الرضا Satisfaction**.
- **المساندة Support**.
- **المساندة الاجتماعية Social Support**.
- **التكيف Adapt**.
- **المشقة Stress**.
- **الهلع Panic**.
- **اللاشعور Unconsciousness**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع



- تأليف/ الشافعي أبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المالطي.
- قدم له و علق عليه محمد زاهد بن الحسين الكوثري.
- القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث (١٩٩٣م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الشافعي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن المالطي صاحب المذهب الشافعي، والمتوفى عام (٣٧٧هـ).

عرض الكتاب:

قال رسول اللَّه ﷺ: « **تفترق أمتي على ثلاث و سبعين فرقة، واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار** » فقد خصص الكتاب الحالي في ذكر هذه الفرق، بأسمائها، واعتقاداتها والرد عليها من خلال الكتاب والسنة. وبغرض إرهاف العزائم و شحذ الهمم، بدأ المؤلف بذكر ما قاساه الرسول والصحابة في صدر الدعوة؛ أعقبه عرضًا موجزًا لأصول السنة.

يقول المؤلف أنه « لا راحة لكذاب » (ص١١). فقد أشارت بحوث علم النفس المعاصر أن الكذب يصاحبه بعض التغييرات الانفعالية مثل التوتر والشعور بالذنب، يعتمد عليها كمؤشرات سلوكية لكشف الكذب. كما يرى أن « العذاب هو الأمراض، والفقر، والآلام، والأوصاب، وما تتأذى به النفوس » (ص٢١). قد يكون ذلك تعريفًا **لمقابل الصحة النفسية Mental Health.**

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الكذب Lie.**
- **الصحة النفسية Mental Health.**

القائم بالعرض

د. أحمد محمد مجرية

التنوير في إسقاط التدبير



- تأليف/ السكندري ابن عطاء اللّه (١٢٦٠م - ١٣٠٩م).
- القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده.

***

التعريف بالمؤلف:

هو تاج الدين أبو الفضل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء اللّه، ولد سنة (١٢٦٠م). بدأ فتفقه ودرس التفسير والحديث واللغة والأدب على شيوخ له في مصر، ثم توج حياته العلمية بالسلوك التربوي والسعي إلى تزكية النفس على يد عالمين جليلين أحدهما الشيخ أبو العباس المرسي أحمد بن عمر، الذي اشتهر إلى جانب غزارة علمه بالصلاح والتقوى، والآخر أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد اللّه.

من كتبه كتاب « الحكم العطائية »، و « مفتاح العلاج »، و « تاج العروس ». توفي بمصر سنة (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٣٢) صفحة من القطع الصغير، يتناول فكرة أن اللّه ﷻ هو المدبر لهذه الدنيا والخلق، ويبين أحكام التكليف والأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العباد وأحكام التصريف، وبين فائدة أن اللّه إذا أراد أن يقوي عبدًا على ما يريد أن يورد عليه من وجود حكمة ألبسه من أنوار وصفه وكساه من وجود نعمته. وبين عشرة أسباب توجب صبر العبد وثبوته لأحكام سيده منها:

١ - أنما يعينهم ذلك على حمل الأقدار وورود الأنوار.

٢ - أنما يعينهم على حمل الأحكام فتح باب الأفهام.

٣ - أنما يعينهم على حمل البلايا واردات العطايا.

٤ - أنما يقويهم على حمل أقداره شهود حسن اختباره.

٥ - أنما صبرهم على وجود حكمه علمهم بوجود علمه.

٦ - أنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله.

٧ - أنما صبرهم على القضاء وعلمهم بأن الصبر يورث الرضا.

٨ - أنما صبرهم على الأقدار كشف الحجب والأستار.

٩ - أنما قواهم على حمل أثقال التكليف وورود أسرار التصريف. وهنا أشار إلى أن الفرد كلما شكر اللَّه على نعمه زاده، وفي هذه الزيادة سبب **لمثابرة الفرد Persistence** (ص١٠) للاستمرار في شكر اللَّه.

١٠ - أنما صبرهم على أقداره علمهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره.

ولتعلم أن الذي يحملك على إسقاط التدبير مع اللَّه والاختيار أمور منها: علمك بسابق تدبير اللَّه فيك، وأن تعلم أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها، وعلمك بأن القدر لا يجري على حسب تدبيرك بل أكثر ما يكون أنت له مدبر، وأن اللَّه - تعالى - هو المتولي لتدبير مملكته علوها وسفلها، وأنك ملك للَّه وليس لك تدبير ما هو لغيرك فما ليس لك ملكه ليس لك تدبيره، وأنك في ضيافة اللَّه؛ لأن الدنيا دار اللَّه وأنت نازل فيها عليه، ونظر العبد إلى قيومية اللَّه تعالى في كل شيء، واشتغال العبد بوظائف العبودية التي هي معناة بالعمر، وأنك عبد مروب وحق العبد أن لا يعول همًّا مع سيده مع اتصافه بالأفضال، عدم العلم بعواقب الأمور فربما دبرت أمرًا.

ثم عرض تقرير وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير، وأن الأشياء تذم وتمدح بما تؤدى إليه؛ فالتدبير المذموم ما شغلك عن اللَّه وعطلك عن القيام بخدمة اللَّه وصدك عن معاملة اللَّه والتدبير المحمود ما ليس كذلك.

وبين أن النفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة فصحبتك للغافلين معولة لها على وجود الغفلة، وهو ما يشير إلى أن التعلم يحدث من **خلال الاقتداء Modeling** (ص٥٣).

وأن هناك أمورًا ينبغي للمتسببين أن يلتزموها:

١ - ربط العزم مع اللَّه - تعالى - قبل الخروج من المنزل على العفو.

٢ - أن يتوضأ ويصلي قبل خروجه ويسأل اللَّه السلامة في مخرجه.

٣ - إذا خرج من منزله أن يستودع اللَّه أهله ومسكنه وما فيه.

٤ - يستحب له إذا خرج من منزله أن يقول: « بسم اللّه توكلت على اللّه ».

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليجعل ذلك شكرًا لنعمة القوة والتقوى.

٦ - أن يكون مشيه بالسكينة والوقار.

٧ - أن يذكر اللّه - تعالى - في سوقه.

٨ - أن لا يشغله ما هو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض إلى الصلاة.

٩ - ترك الخلف والإطراء والسلف.

١٠ - كف لسانه عن الغيبة والنميمة.

وأن هم العبد مناجاة مولاه؛ ولهذا فوائد منها:

الفائدة الأولى: أن يكون المؤمن طالبًا من ربه ما قل.

الفائدة الثانية: أنه ﷺ نادى متعلقًا باسم الربوبية؛ لأنه المناسب في هذا المكان.

الفائدة الثالثة: أني لما أنزلت إلى من خير فقير.

الفائدة الرابعة: أن الطلب من اللّه لا يناقض مقام العبودية وغيرها من الفوائد الأخرى.

وبين أنه لو توكل العبد على اللّه حق توكله يرزقه كما يرزق الطير وبين وجوه الإنفاق والادخار ووجوه البخل وما يتعلق به الوجوب كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيئًا. وبين فضل اللّه على عبده وكيف للعبد أن يشكر ويطيع ربه ثم أنهى الكتاب بدعاء.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **المثابرة Persistence.**
- **الاقتداء Modeling.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *



حكم ابن عطاء اللّه
(٨٤٦هـ - ٨٩٩هـ)

- شرح/ العارف باللّه الشيخ زروق.
- تحقيق/ الإمام الأكبر/ عبد الحليم محمود. د/ محمود بن شريف.
- القاهرة: دار البصائر (٢٠٠٤م) الطبعة الأولى.

* * *

التعريف بالمؤلف:

كتاب « الحكم العطائية » ألفه الإمام الجليل « ابن عطاء اللّه السكندري » المولود في يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، جمع بين رئاسة علوم الشريعة وعلماء الشريعة، ورئاسة علوم الحقيقة وعلماء الحقيقة، فكان عالمًا مستشرعًا متحققًا، بل رأس علماء التشريع وعلماء التحقيق. أخذ العهد على الإمام الكبير « أبي العباس المرسي » ذلك القطب الذي قال عنه « أبو الحسن الشاذلي » « إنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض ». ويقص « ابن عطاء » في كتابه القيم « لطائف المنن » قصة صلته « بأبي العباس » ولازمه، ثم كان من بعده شيخ الطريقة الشاذلي. و « ابن عطاء » كان له الفضل الكبير في بيان ما نعرفه الآن من آثار « أبي العباس المرسي »، وفي بيان الكثير أيضًا عن القطب الكبير « أبي الحسن الشاذلي ». أما الشيخ « زروق » فإنه « أحمد ابن أحمد بن محمد الفاسي » المعروف بـ« زروق »، قمة من قمم التصوف أيضًا، وسار في الطريق الذي سار فيه « ابن عطاء ». يقول « المناوي » عنه « عابد من بحر العبر يغترف، وعالم بالولاية متصف، وتحلى بعقود القناعة والعفاف، وبرع في معرفة الفقه والتصوف والأصول والخلاف، خطبته الدنيا فخطب سواها، وعرضت عليه المناصب فردها وأباها »، وولد في يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ست وأربعين وثمانمائة، ومات أبوه قبل تمام أسبوعه، فنشأ يتيمًا. وولد في « فاس » وحفظ بها القرآن، وكانت حياته دراسة وسياحة وتجردًا. أما التجرد فإنه يعني: أنه استخلص نفسه للّه تعالى. وأما السياحة فتعني: الأسفار المتلاحقة في طلب العلم، وللخلوة في العبادة، وكتب عن الحكم نيفًا وثلاثين شرحًا، وعلى القرطبية، وعلى رسالة « ابن زيدون القيرواني »

عدة شروح كلها مفيدة، وشرح حزب البحر للشاذلي، وألف كتاب « قواعد التصوف »، وكانت وفاته سنة (٨٩٩هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٦١٥) صفحة من القطع المتوسط ويشتمل الكتاب على مقدمة الناشر، والمحققين، ومقدمة الكتاب، ويحتوى أيضًا على خمس وعشرين بابًا بالإضافة للمكاتبات والمناجاة.

تناول في الباب الأول:

- من علامات الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل. الاعتماد: حصر القوة في الشيء، وهو باعث النفس لما تريد في تحصيل المقصود منه. وعلامة حصوله إيثار المعتمد والنظر إليه في الإقبال والإدبار.

وأوضح أن الناس ثلاثة: معتمد على عمله، وموقفه التقصير، وغايته التشمير، ومقامه الإسلام؛ لدورانه مع العمل رجاء أو خوفًا. ومعتمد على فضل اللّه تعالى، وموقفه شهود المنة، وغايته التبري من الحول والقوة، ومقامه الإيمان؛ لدورانه مع القدرة في إقباله وإدباره. ومعتمد على سابق القسمة وماضي الحكم، وموقفه شهود التصريف، وغايته الفناء في التوحيد، ومقامه الإحسان لما شهد به حاله من المشاهدة والعيان، وقيامه بتصنيف الناس لثلاثة أنواع وهو ما يشير إلى مفهوم (التصنيف **Classification**) انظر (ص٣٥).

- إرادتك التجريد مع إقامة اللّه تعالى إياك في الأسباب من الشهوة الخفية. وإرادتك الأسباب مع إقامة اللّه إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية. والناس ثلاثة: مقام في الأسباب، وحكمه: الرضا والصبر والاستسلام، وعلامته: استقامتها له بحصول فوائدها العادية، واستقامته فيها بالقيام بالحقوق الشرعية. ومقام في التجريد، وحكمه: الشكر والتشمير، وعدم الفترة والتقصير، وعلامته: القيام بالحقوق والإعراض عن كل مخلوق.

- سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار؛ بل هي تدور مع القدر كيفما دار، حسبما دلت عليه العقول وقضايا الشرع والنقول وأوضح أن الهمم ثلاثة: الهمم القواصر: وهي التي تقتضي العزم والحزم من غير فعل ولا انفعال. والهمم المتوسطة: وهي التي توجب مع العزم فعلًا، ومع الحزم كمالًا، سواء وقع انفعال أم لا، والهمم السوابق: وهي قوى

النفس الفعالة في الوجود بلا توقف. وهو ما يشير إلى مفهوم: (**الدافعية Motivation**) انظر (ص٣٩).

- أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرك لا تقم به لنفسك. والتدبير تقدير شئون تكون عليها في المستقبل مما يخاف أو يرجى وهو ما يشير إلى مفهوم (**التخطيط Plaining**) انظر (ص٤١)، ويشير إبراهيم الخواص إلى أن « العلم كله في كلمتين: لا تتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت ». اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك، دليل على انطماس البصيرة منك عبر الاجتهاد؛ لأن الطلب دونه لا يقدح بل ربما كان مطلوبًا، وبالضمان ليشعر بسبق القسمة، وبالتقصير؛ لأن الترك أعظم، وبالطلب ليشمل الواجب.

- لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبًا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك، لا فيما تختار لنفسك، وفي الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد. أي التكرار في الدعاء لحاجة من وجه واحد على سبيل الطلب، وهو مطلوب في الدعاء، والإجابة مضمونة بمطلق الدعاء، فإذا قمت بما طلب منك من الدعاء والإلحاح فيه فلا تيأس من الإجابة وهو ما يشير إلى مفهوم (**المثابرة Persistence**) انظر (ص٤٤).

- لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود، وإن تعين زمنه؛ لئلَّا يكون ذلك قدحًا في بصيرتك، وإخمادًا لنور سريرتك. يرى أن التشكك: التردد بين إيقاع الشك ونفيه لاضطراب النفس في موجبه وهو ما يشير إلى مفهوم (**عدم اليقين Uncertainty**) انظر (ص٤٨).

- إذا فتح لك وجهةً من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك، فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك. ألم تعلم أن التعريف هو مورده عليك، والأعمال أنت مهديها إليه. وذلك مشاهد من حالها؛ إذ لم تأت إلا بالتعريف وهو بساط المعرفة التي لا تصل إليها إلا به ولا تبلغها إلا بمنته، والتعريف من عنده، وهو أورده، والوجهة بساطه، فإذا وجهها لك فقد وجه لك التعريف الذي تتضمنه وبه تصل للمعرفة التي هي غاية المطالب، ونهاية الآمال والمآرب.

- تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال. التنوُّع: التلوُّن، والأعمال: عبارة عن الحركات الجسمانية، والأحوال: عبارة عن الحركات القلبية، فحركات الأجسام تبع لأحوال القلوب.

- الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها. والإخلاص حصن الأعمال فالخمول حصن الإخلاص وهو طرح النفس فيما يليق بها من النقص والدناءة وبحسب هذا فهو دفن لها.

- ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه. وكما لا يصح دفن الزرع في أرض رديئة لا يصح الخمول بحالة غير مرضية، وهو ما كان محرمًا متفقًا عليه؛ لأن ما كان ظلمة بالذات لا يصح أن يكون نورًا بالعرض، فقياس الخمول بالمحرم بمن غصب لقمة لا يجد لها مساغًا إلا بجرعة خمر لا يصح؛ لأن المحرم لا يباح لنفي مكروه ثم إن الموصل للإخلاص وتحقيق الخمول إنما هو العلم الوافي عن الفكر الصافي، ومقدمته إنما هي العزلة، ثم الخلوة فلذلك اتبعها به فقال:

- ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة. لأنه بالعزلة يسلم من الأغيار وبالفكرة يستجلي الأنوار وكل عزلة لا تصحبها فكرة فإلى الحمق مآلها، والفكرة لا تصح بدون العزلة؛ فالعزلة منزل الفكرة « وفي بيته يؤتي الحكم » وهو ما يشير إلى مفهوم أهمية (العزلة **Isolation**) انظر (ص٥٩) والناس ثلاثة: منفرد بقلبه لا بشخصه، وهذا كائن بائن، راحل قاطن، وحاله حال الأقوياء وأهل الكمال. ومنفرد بالشخص دون القلب، ومنفرد بهما وهو المتخلى وأنواعه ثلاثة: معتزل ليسلم، ومعتزل ليغنم، ومعتزل لينعم.

- كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته؟ أم كيف يرحل إلى اللّه، وهو مكبل بشهواته؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة اللّه، وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟ أم كيف يرجو أنيفهم دقائق الأسرار، وهو لم يثبت من هفواته؟ قيل « للجنيد » - رحمه اللّه -: « كيف السبيل إلى الانقطاع إلى اللّه عالي؟ (قال): بتوبة تزيل الإصرار، وخوف يزيل التسويف، ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها من الأمل. قيل له: فبِمَ يصل العبد إلى هذا؟ قال: بقلب مغرد، فيه توحيد مجرد.

- الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار.

شبه المعارف بالشموس؛ لأنها تذهب بكل ظلمة ونور، وتكشف عن حقائق الأمور مع علوها وارتفاعها وعموم النفع بها.

- مما يدلك على وجـود قهره سبحانـه، أن حجبك عنه بما ليـس بموجود معه

استدلال القوم مراد لتمكين الحقيقة من النفس، لا لمطلق الإثبات وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستدلال Reasoning**) انظر (ص٧١).

- كيف يتصور أن يحجبه شيء، وهو الذي ظهر بكل شيء، وفي كل شيء، ولكل شيء، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، وهو أظهر من كل شيء، وهو الواحد الذي ليس معه شيء، وهو أقرب إليك من كل شيء، ولولاه ما كان وجود شيء؟

الباب الثاني:

- ما ترك من الجهل شيئًا من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره اللّه فيه. الوقت هنا هو الزمان وقال « أبو القاسم القشيري » ومن كلامهم « الوقت كالسيف ». أي كما أن السيف قاطع، فالوقت بما يقتضيه الحق تعالى ويجريه: حاكم. وقيل: « السيف لين مسه قاطع حده، فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم »، كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا، ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى. وهو ما يشير إلى مفهوم أهمية (**إدارة الوقت Time Management**) انظر (ص٨٠).

- إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفوس. الناس ثلاثة: رجل ساعده القدر فعمل في فراغه وشغله. وهذا من الموفقين المغبوطين. ورجل وجد الفراغ ولم يعمل وهذا من البطالين المغبونين؛ إذ جاء « **خصلتان مغبون فيهما كثيٌر من الناس: الصحة والفراغ** ». ورجل: لم يجد الفراغ وجعله علة في التسويف فأحال عليه العمل، وهذا من المغتربين.

- لا تطلب منه أن يخرجك من حالة؛ ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج.

- ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

- طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه.

- ما من نفس تبديه، إلا وله قدر فيك يمضيه.

- لا تترقب فراغ الأغيار، فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك

فيه. لا تنتظر بعملك فراغًا من الأغيار والأفكار فإن ذلك التوقف قاطع لك عن عبودية الوقت وحكمه، ولكن قم له بما تقدر عليه كما أنت. ومترقب الفراغ للعمل كمن يقول: لا أتداوى حتى أجد الشفاء، فيقال له: لا تجد الشفاء حتى تتداوى، فلا يتداوى ولا يجد الشفاء كذلك هذا يقول: لا أعمل حتى أتفرغ، ولا يتفرغ حتى يعمل، فهو لا يعمل ولا يجد الفراغ.

- لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها.

- ما توقف مطلب أنت طالبه بربك، ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك. الطلب باللّه تعالى هو الاستناد إليه في تيسير المطلب وعلامته ثلاثة: التفويض في المراد، والتوكل في التحصيل، والاستقامة في التوجه، فإذا تمت هذه فالمطلب متيسر.

- من علامة النجاح في النهايات، الرجوع إلى اللّه في البدايات. من علامة الخسران إلى النهايات الرجوع إلى النفس في البدايات؛ لأنها إذا كانت البداية باللّه تعالى كانت النهاية إلى اللّه تعالى.

- من أشرقت بدايته أشرقت نهايته. أي من أشرقت بدايته بالرجوع إلى اللّه أشرقت نهايته بالوصول إلى اللّه.

- ما استودع في غيب السرائر، ظهر في شهادة الظواهر. أي ما استودع في غيب السرائر من معرفة اللّه ظهر في شهادة الظواهر بالعمل على مقتضى ما هناك.

- شتان بين من يستدل به، ويستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، وأثبت الأمر من وجود أصله. والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه؟ ومتى بَعُدَ حتى تكون الآثار هي الموصلة إليه؟ وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستدلال Reasoning**) انظر (ص٩٩).

- ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧] الواصلون إليه، و﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [الطلاق: ٧] السائرون إليه يقول العارفون وسعت عليهم أرزاق العلوم والمعارف فأنفقوا على مقدار ما وصل إليهم إذا استدلوا به.

- اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم؛ لأنهم للّه لا لشيء دونه. فأنوار التوجه أنوار العمل،

والمعاملة. وأنوار المواجهة: ما يرد من حقائق المواصلة. فمظاهر الأولى ثلاثة: الاستدلال للتوصل، والعمل للتوسل، والتعلق للتقرب. ومظاهر الأخرى ثلاثة: التوفيق للهداية، والإلهام للعناية، والتحقق للولاية.

الباب الثالث:

- تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب، خير لك من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب.

- الحق ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه؛ إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصرًا، وكل حاصر لشيء فهو قاهر له.

- اخرج من أوصاف بشريتك، عن كل وصف مناقض لعبوديتك؛ لتكون لنداء الحق مجيبًا، ومن حضرته قريبًا، وأوصاف البشرية قسمان: أوصاف موافقة للعبودية: كالطاعة، والعفة، واليقظة، وأوصاف مناقضة للعبودية: كالمعصية، والشهوة، والغفلة، فالخروج من المناقضة بالعمل بالموافقة.

- أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة وعفة ويقظة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلًا لا يرضى عن نفسه، خير لك من أن تصحب عالمًا يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه؟ وهو ما يشير إلى مفهوم: (**الرضا عن الذات Self Satisfaction**) انظر (ص١١٥).

- شعاع البصيرة يشهدك قربة منه، وعين البصيرة تشهدك عدمك؛ لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده، لا عدمك ولا وجودك.

- كان اللّه ولا شيء معه، وهو الآن ما عليه كان.

الباب الرابع:

- لا تتعد نية همتك إلى غيره، فالكريم لا تتخطاه الآمال.

- لا ترفعن إلى غيره حاجةً هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعًا؟ من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعًا؟

- أن تحسن ظنك به لأجل جميل وصفه، حسن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عودك إلا حسنًا؟ وهل أسدى إليك إلا مننًا؟

- عجبًا ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء معه ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦].

- لا ترحل من كون إلى كون، فتكون كحمار الرحى يسير، والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون وانظر إلى قوله ﷺ: « **فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه** ».

الباب الخامس:

- لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على اللّه مقاله. ويقول أبو الحسن الشاذلي: « لا تصحب من يؤثر نفسه عليك، فإنه لئيم، ولا من يؤثرك على نفسه فإنه قل ما يدوم، واصحب من إذا ذكر ذكر اللّه، فاللّه يغني به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد. ذكره نور القلوب، ومشاهدته مفاتيح الغيوب » وهو ما يشير إلى مفهوم شروط (**الصداقة Friendship**) انظر (ص١٣٩).

- ربما كنت مسيئًا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالًا منك.

- ما قل عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب.

- حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقيق في مقامات الإنزال.

- لا تترك الذكر لعدم حضورك مع اللّه فيه، فإن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة، إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة، إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور، إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور.

الباب السادس:

- من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من الزلات. وهو ما يشير إلى مفهوم الحالة الوجدانية (**الحزن Sadness**) انظر (ص١٥١).

- لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن باللّه، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه.

- لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله.

- لا عمل أرجى للقبول من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده.

- أورد عليك الوارد؛ لتكون به عليه واردًا، وليتسلمك من يد الأغيار، ويحررك من رق الآثار، وليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك.

- الأنوار مطايا القلوب والأسرار، والنور جند القلب، كما أن للظلمة جند النفس. فإذا أراد اللّه أن ينصر عبده أيده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

- النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإدبار والإقبال. ولا تفرحك الطاعة؛ لأنها برزت منك، وافرح بها لأنها برزت من اللّه إليك. قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون؛ فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع اللّه فيها، وأما الواصلون؛ فلأنهم غيبهم بشهوده عنها.

الباب السابع:

- ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع. وما قادك شيء مثل الوهم.

- أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع. ومن لم يقبل على اللّه بملاطفات الإحسان، قيد إليه بسلاسل الامتحان. ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. وخف من وجود إحسانه إليك، ودوام إساءتك معه، أن يكون ذلك استدراجًا لك.

الباب الثامن:

- من رأيته مجيبًا عن كل ما سئل، وذاكرًا كل ما علم، ومعبرًا عن كل ما شهد؛ فاستدل بذلك على وجود جهله. إنما جعل الدار الآخرة محلًا لجزاء عباده المؤمنين؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها. ومن وجد ثمرة عمله عاجلًا، فهو دليل على وجود القبول آجلًا. ومتى رزقك الطاعة والغنى به عنها، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة.

الباب التاسع:

- الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار والحزن انقباض القلب لفوت محبوب أو خوف حصول مكروه فيهيجه حسرة خوف الفوات، وهو عذاب حاضر ونكد حاصل، لا فائدة له إلا التلهف على السالف، والتشمير في

المستأنف. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحزن Sadness**) انظر (ص٢٠٦).

- ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له؛ لفنائه في وجوده، وانطوائه في شهوده.

- الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية. مطلب العارفين من اللّه الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية. والعارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل. وربما أعطاك فمنعك، وربما منعك فأعطاك. الأكوان ظاهرها غرة، وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها. والطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك، حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك، العطاء من الخلق حرمان، والمنع من اللّه عز وجل إحسان.

الباب العاشر:

- كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلًا. وكفى العاملين جزاءً ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته. ومتى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك. وإنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن اللّه فيه. وربما فتح لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وقضى عليك بالذنب، فكان سببًا في الوصول.

- معصية أورثت ذلًا واحتقارًا، خير من طاعة أورثت عزًا واستكبارًا. فاقتك لك ذاتية، وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض، والفاقة شدة الاحتياج وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحاجات Needs**) انظر (ص٢٤٤).

الباب الحادي عشر:

- يخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه ﷻ هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار، هو الذي عودك حسن الاختيار، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره، ولا يخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك، وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك. لا تطالب ربك بتأخير مطلبك، ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك. ومتى جعلك في الظاهر ممتثلًا لأمره، ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره، فقد أعظم المنة عليك.

الباب الثاني عشر:

- ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار -

الغافل إذا أصبح نظر فيما يفعل، والعاقل ينظر ماذا يفعل اللّه به - أمرك في هذه الدار بالنظر في مكوناته، وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته - علم منك أنك لا تصبر عنه، فأشهدك ما برز منه - الصلاة طهارة للقلوب، واستفتاح لباب الغيوب، ومحل المناجاة، ومعدن المصافاة، تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار. علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها، وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها.

الباب الثالث عشر:

- كن بأوصاف ربوبيته متعلقًا، وبأوصاف عبوديتك متحققًا. وأوضح أن أوصاف الربوبية أربعة، هي: الغنى، والعز، والقدرة، والقوة، والتعلق بها أن تكون ناظرًا إليها معتمدًا عليها دون النظر إلى سواها. وأوصاف العبودية أربعة، هي: الفقر، والذل، والعجز، والضعف. والتحقق بها: أن تراها لازمة لك فلا تنفك عن النظر إليها في حال من أحوالك.

الباب الرابع عشر:

- لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلًا للقبول - أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته - الستر على قسمين: ستر عن المعصية، وستر فيها؛ فالعامة يطلبون من اللّه تعالى الستر من اللّه فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق.

الباب الخامس عشر:

- الناس يمدحونك لما يظنون فيك، فكن أنت ذامًّا لنفسك؛ لما تعلمه - أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس - الزهاد إذا مدحوا انقبضوا؛ لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مدحوا انبسطوا؛ لشهودهم ذلك من الملك الحق.

الباب السادس عشر:

- إذا وقع منك ذنب فلا يكن سببًا يؤيسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك - مطالع الأنوار القلوب والأسرار - نور مستودع في القلب، مدده النور الوارد من خزائن الغيوب.

الباب السابع عشر:

- من اطلع على أسرار العباد، ولم يتخلق بالرحمة الإلهية، كان اطلاعه فتنة عليه،

وسببًا لجر الوبال إليه.

- حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعة باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه.

- استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك.

- من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئًا.

الباب الثامن عشر:

- لا يكن طلبك تسببًا إلى العطاء منه، فيقل فهمك عنه، وليكن طلبك؛ لإظهار العبودية، وقيامًا بحقوق الربوبية - إلى المشيئة يستند كل شيء؛ لأن وقوع ما لم يشأ محال، وليست تستند هي إلى شيء.

الباب التاسع عشر:

- إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال، وينبه من يمكن منه الإهمال - تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه، تحقق بذلك يمدك بعزه، تحقق بعجزك يمدك بقدرته، تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته.

الباب العشرون:

- تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيث صار التنوير وصل التعبير - من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته، وجليت إليهم إشارته.

- عباراتهم إما لفيضان وجد، أو لقصد هداية مريد، فالأول: حال السالكين، والثاني: حال أرباب المكنة والمتحققين.

الباب الحادي والعشرون:

- إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقًّا. قيد الطاعات بأنواع الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف، ووسع الوقت عليك كي يبقى لك حصة في الاختيار.

- من لم يعرف قدر النعم بوجدانها، عرفها بوجود فقدانها.

- لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق.

الباب الثاني والعشرون:

- فرغ قلبك من الأغيار، يملأه بالمعارف والأسرار - حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إنه ما من وقت يرد إلا وللّه عليك فيه حق جديد وأمر أكيد، فكيف تقضي فيه حق غيره، وأنت لم تقض حق اللّه فيه؟! فالحقوق التي في الأوقات: هي أنواع العبادات؛ كالصلاة والصوم وغيرهما مما يتسع زمانه فيمكن قضاؤه إن فات وقته. وحق الأوقات هي ما يلزم العبد من العبودية المترتبة على حركاتها وسكناتها وهي متتابعة.

- ما فات من عمرك لا عوض له، وما حصل لك منه لا قيمة له - لا تنفعه طاعتك، ولا تضره معصيتك، وإنما أمرك بهذه، ونهاك عن هذه؛ لما يعود عليك.

الباب الثالث والعشرون:

- لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور، فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلًا.

- لا تزكين واردًا لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة وجود الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار.

الباب الرابع والعشرون:

- النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه، فسبب العذاب وجود الحجاب، وتمام النعيم بالنظر إلى وجه الكريم.

- ما تجده القلوب من الهموم والأحزان؛ فلأجل ما منعت من وجود العيان - ومن تمام النعمة عليك، أن يرزقك ما يكفيك، ويمنعك ما يطغيك - إن أردت أن لا تعزل، فلا تتول ولاية لا تدوم لك.

- اعلم أن العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه، ويكشف عن القلب قناعه - وخير علم ما كانت الخشية معه - والعلم إن قارنته الخشية فلك، وإلا فعليك.

الباب الخامس والعشرون:

- من أثبت لنفسه تواضعًا فهو المتكبر حقًّا؛ إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعًا فأنت المتكبر، وليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع. والتواضع الحقيقي ما كان ناشئًا

عن شهود عظمته، وتجلي صفته. وهو ما يشير إلى مفهوم (التواضع **Modesty**) انظر (ص٤٨٧).

المكاتبات:

- وذكر فيها بعض ما كتبه لبعض إخوانه منها:

من أيقن أن اللّه يطلبه صدق الطلب إليه. ومن علم أن الأمور بيد اللّه انجمع إليه بالتوكل عليه.

المناجاة: وتناولها في فصلين، وهي بعض الأدعية في مناجاة مولاه وتضرعه بين يديه بما أولاه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **التصنيف Classification.**
- **الدافعية Motivation.**
- **التخطيط Planning.**
- **المثابرة Persistence.**
- **عدم اليقين Uncertainty.**
- **العزلة Isolation.**
- **الاستدلال Reasoning.**
- **إدارة الوقت Time Management.**
- **الرضا عن الذات Self Satisfaction.**
- **الصداقة Friendship.**
- **الحزن Sadness.**
- **الحاجات Needs.**
- **التواضع Modesty.**

القائم بالعرض

د/ أشرف محمد علي شلبي

الحلم
ويليه
كتاب التوكل على اللّـه



○ تأليف/ ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد اللّه بن محمد (٢٠٨هـ - ٢٨١هـ).

○ تحقيق/ مجدي السيد إبراهيم.

○ القاهرة: مكتبة القرآن (٢٠٠٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع كتاب « **الحلم** » في (٦٠) صفحة، مقسمة إلى فصول. يليها كتاب « التوكل على اللّه » والذي يقع في (٣٥) صفحة مقسمة إلى فصول جميعها من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس.

يبدأ « **كتاب الحلم** » بجزء عن حلم النبي ﷺ، وما جاء فيه من أحاديث مختلفة، ثم عرض لحلم أصحابه رضوان اللّه عليهم.

وجاء **الفصل الأول** في طلب العلم والصبر عليه، وأشار فيه إلى أن العلم يكون **بالتعلم Learning** (ص١٤).

ثم **الفصل الثاني** في طلب الرفعة عند اللّه بالحلم.

أما **الفصل الثالث** فجاء في شرف الحلم في يوم القيامة.

أما **الفصل الرابع** فورد فيه وصف الحليم وأعوانه.

وأشار **الفصل الخامس** إلى خصلتين يحبهما اللّه: الحلم والأناة.

وعرض **الفصل السادس** لفضيلة السكوت عن السفيه.

أما **السابع** فجاء في أن الناس رجلان عاقل وجاهل، وبين لنا صفات كل منهما.

وتناول **الفصل الثامن** لأشعر الناس.

وعرض **التاسع** لأجمل الحكم والشعر الذي جاء في ذكر الحلم.

أما **الفصل العاشر** فجاء فيما ذكره وهب بن منبه من حكم في الحلم.

وأشار **الفصل الحادي عشر** لوصية لقمان لابنه عن الحلم وذكر من بين وصاياه خصال من تمسك بالحلم، وكيف أنه لو تمسك بهذه الخصال أصبح واستمر سيدًا على قومه.

وتناول **الفصل الثاني عشر** محبة اللّه للحليم.

ثم عرض **الفصل الثالث عشر** لفضل أهل الحلم يوم القيامة، وكيف تتلقاهم الملائكة وتوجههم إلى الجنة.

وجاء **الفصل الرابع عشر** في فضل مجالسة الحلماء.

وعرض في **الخامس عشر** لوصية أبي الدرداء بالحلم، وأشار إلى أن السفهاء يهلكون قومهم.

أما **السادس عشر** فجاء في أن الصبر على المكروه من علامة الحلماء، وأن زينة المرء في الحلم.

وذكر **الفصل السابع عشر** ما جاء من الشعر في هذا المقام.

أما **الفصل الثامن عشر** فعرض لوصايا لقمان.

وذكر بعد ذلك أن السيادة لأهل الحلم وذلك ما جاء به **الفصل التاسع عشر**.

وعرض **الفصل العشرون** لكون الناس معادن وفي هذا إشارة إلى **الفروق الفردية** **Individual Differences** (ص٥٤) بين الأفراد.

وبين **الفصل الحادي والعشرون** في ستر زلة الكريم من الحلم، وأن سلاح اللئام قبيح الكلام.

وانتهى الكتاب الأول « **الحلم** » **بالفصل الثاني والعشرين** ثواب الحلم يوم القيامة.

* تناول **الكتاب الثاني** « **التوكل على اللّه** » بداية المعنى الحقيقي للتوكل، وما جاء على لسان النبي من دعاء في التوكل، وأن التوكل على اللّه من جماع الإيمان، وأن أربع يعطيهن اللّه لمن أحب وهن: الصمت، والتوكل على اللّه، والتواضع، والزهد. ثم عرض لوصايا الإمام علي - كرم اللّه وجهه - ووصايا لقمان لابنه في التوكل، وكيف أن التوكل هو سر قوة الناس، وعرض لكيف فضح عمر بن الخطاب أساليب المتواكلين، وكيف أن من أنفق على أهله من غير سرف قضى اللّه عنه دينه، وأن العز والغنى يجولان في طلب التوكل.

وحددت أحاديث أخرى مفهوم التوكل، وكيف أنه عند التوكل على اللّه يكفك اللّه، وأن التوكل في معناه ثقة باللّه ﷻ، والمتوكل راضٍ لا يسخط، وأن الرضى يبعد الشيطان عن الفرد، وذكر ما يقال كشكل من أشكال التوكل عند الخروج من البيت، والخروج من المسجد، وما كان يقوله الرسول ﷺ إذا خرج من بيته، وما صفة من يدخلون الجنة بغير حساب، وفضل حسبنا اللّه ونعم الوكيل. ثم عرض لوصية معروف الكرخي، وذكر فضل أمة الإسلام.

وانتهى الكتاب الثاني بذكر أن **الطيرة والتشاؤم Pessimism** (ص٢٧) من الشرك. وبين لنا درجات التوكل وأنها ثلاث درجات أولها ترك الشكاية، والثانية الرضى، والثالثة المحبة، وأن أهل التوكل هم أهل الراحة، فالتوكل خير زاد.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **التعلم Learning.**
- **الفروق الفردية Individual Differences.**
- **التشاؤم Pessimism.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

رسالة روح القدس في محاسبة النفس



- تأليف/ الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي.
- جمع/ محمود محمود الغراب.
- دمشق: مطبعة نضر (١٩٩٤م)، الطبعة الثانية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي، ولد عام (٥٦٠هـ) بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتُوفي عام (٦٣٨هـ) بمدينة دمشق. له من المؤلفات ما ينيف عن ستمائة مؤلف بين رسالة وكتاب، لم يبق منها بخط يده إلا القليل، منها الفتوحات المكية. اعتبره فلاسفة الغرب والشرق من أكبر فلاسفة الإسلام ولقبه الأولياء وأهل العرفان سلطان العارفين وشيخ المحققين.

عرض الكتاب:

كتبت هذه الرسالة لأخ في اللّه وصديق للشيخ الأكبر ابن العربي يدعى « أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي » كان يعيش في تونس، يخاطب الشيخ الأكبر « محيي الدين بن العربي » صديقه بصورة مباشرة على امتداد الرسالة، التي تتضمن حوارًا بين الشيخ ونفسه. يتضمن الحوار حكايات عن سلوك الأولياء الذين اجتمع بهم بالجسم أو بالروح، أو الأولياء الذين رويت قصة حياتهم من قبل شهود ثقات. قصد الشيخ بهذه الأمثلة تعليم النفس التي تشعر بالتقصير مقارنة بهؤلاء الأولياء.

يخبر الشيخ صديقه بأنه قد أمر بتقديم النصيحة، ويشرح المؤلف كلمات « ابن العربي » ذاته في كتاب المبشرات أنه قد أمر بالنصح العام كما جاء في الحديث النبوي، وأنه أُمر بأمر مباشر من اللّه في مكة ودمشق، وكانت محاولاته الأولى في النصح تُجرى دون أن يعزوها لنفسه، إذ كان يعتقد أن المقصود هو أن ينتفع الناس وفق مقاييسهم، سواء علموا أم لم يعلموا من هو المؤلف، ولكن عندما نُسبت هذه الأعمال إلى « الغزالي » الذي تلقى السباب بسببها من النقاد، شعر « ابن العربي » بضرورة أن يصرح بتأليفه.

وقد أشار « ابن العربي » (ص٢٣) إلى النفس بأنها الصفات التي جبل عليها الإنسان والتي لا تتبدل، فهي ذاتية في النشأة والمزاج الخاص، من الجبن والشح والحسد والحرص والغلظة وطلب القهر، فهي صفات لازمة للنفس في أصل خلقتها لا تنفك عنها. ويشير هذا التعريف إلى سمات الشخصية **Personality Traits**.

وتشمل الرسالة ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: الدروس المستفادة من أحوال ومقامات الأولياء الذين عاشوا قبل زمن الشيخ « كأبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب مثلًا، بالإضافة إلى بعض الأولياء الآخرين مثل أويس القرني » وذلك من (ص٢٨ - ٦٥).

القسم الثاني: يتناول الأولياء وأهل طريق اللّه الذين قابلهم الشيخ في حياته، مثل « أبو جعفر أحمد العريبي، أبو الحجاج يوسف الشبريلي، صالح الخراز » وغيرهم، وذلك من (ص٦٥ - ١٣٣). وفي سياق تناول الشيخ للفكرة الثانية تحدث عن الذكي وغير الذكي على لسان القاضي « عبد الوهاب الأزدي أحد أهل طريق اللّه الذين قابلهم الشيخ ابن العربي، فقال: الناس على قسمين ذكي وغير ذكي، فغير الذكي لا كلام معه لنقصه، وهو يأتي للعالم فيأخذ منه العلم تقليدًا، لعدم ذكائه وفطنته، والذكي الغالب عليه الإصابة في عموم أحواله، وهذا لا يقنع في الأشياء إلا بالبراهين من نفسه لذكائه. وفي هذا إشارة إلى مفهوم الذكاء **Intelligence** من حيث الوصف اللفظي لمظاهر السلوك الذكي.

القسم الثالث: تتضمن وصف النعم التي منحها اللّه لوليه، والشكر المناسب لها، والواجب عليه للّه. تتمثل هذه النعم في نعمة الإيجاد من العدم، ونعمة الإيجاد ناميًا متغذيًا وليس جمادًا، ونعمة النقل من عالم النبات إلى عالم الحيوان، ونعمة النطق والتفضيل على الحيوان، وسر الألوهية والعبودية في الإنسان، ونعمة التوكل والتوبة والطهارة، ونعمة إدراك أنه « لا إله إلا اللّه »، ونعمة الإيمان بالنبي ﷺ، ونعمة جعلك من أهل السنة، ونعمة جعلك طائعًا عارفًا وارثًا.

الخلاصة:

ورد في هذه الرسالة الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- سمات الشخصية **Personality Traits**. - الذكاء **Intelligence**.

القائم بالعرض

د. أمنية الشناوي

الرقة والبكاء



- تأليف/ ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد اللّه بن محمد (٢٠٨هـ - ٢٨١هـ).
- تحقيق/ مجدي السيد إبراهيم.
- القاهرة: مكتبة القرآن (٢٠٠٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٢٧) صفحة من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس مقسمة إلى واحد وعشرين جزءًا، تتناول كل ما يتعلق بالبكاء والرقة وتعرض له في شكل أحاديث وردت على لسان النبي ﷺ.

بدأت بذكر البكاء من خشية اللّه وثوابه، ثم استدعاء البكاء، وكيف أن البكاء هو تكفير عن الذنوب، ثم عرض لأسباب البكاء ومنها ما جاء بإشارة إلى **الآسي Grief** (ص٢٣)، وكيف أن الحزن يجول بالبدن ثم يرجع إلى القلب والرأس فيسكنهما وهو ما يمكن اعتباره إشارة إلى **الأفكار اللاعقلانية Irrational Thoughts** (ص٢٣) المرتبطة بالحزن التي قد تؤدي إلى الإصابة بالاكتئاب.

وأشار إلى أن أسبابه البكاء، والسرور، والكرب، والخوف والألم (ص٢٤).

وبعد ذلك تناول البكاء عند قراءة القرآن الكريم، وجاء على ذكر من وعظ وبكى، ثم عرض لمن وعظ فاستمع إلى الموعظة وبكى، وكيف أن من رق قلبه يبكي عند وعظه.

ثم أشار إلى البكاء في الصلاة، والبكاء عند الصلاة، والبكاء عند الطهور، ثم أشار لإخفاء البكاء.

تناول بعد ذلك البكاء على الذنوب، وبين كيف أن الذنوب تؤثر على القلوب فلا تصل لها الموعظة. وعرض لمن أفسد البكاء عينيه من كثرته. وذكر كذلك من بكى حتى أثرت

الدموع في وجهه، وإلى من كان يديم البكاء فيبكي ليلًا ونهارًا، ويستمر في بكائه أيامًا حتى أنه يبكي في نومه.

وأشار إلى أن في البكاء شفاءً للنفوس، ويتناول البكاء بهذا المعنى كأسلوب للتنفيس عن الشحنات الانفعالية للفرد.

كما عرض لمن عوتب على كثرة بكائه، وذكر جماع من أخبار البكائين، وكيف أن تذكر يوم القيامة يبكي المرء.

وتناول الكتاب بكاء آدم ﷺ، وكيف أنه حين هبط من الجنة بكى؛ لأنه أخرج من الجنة واستبعد من جوار ربه، وذلك حتى رجع إليها.

أما بكاء نوح فكان لثلاثمائة عام عندما عاتبه اللَّه على ابنه، وسمي نوح باسمه لأنه نواح. وذكر بعد ذلك بكاء داود ﷺ، ويحيى ﷺ، كما أشار إلى بكاء الملائكة. وانتهى الكتاب إلى جمع من أخبار البكائين.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الآسي Grief.

- الأفكار اللاعقلانية Irrational Thoughts.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس



- تأليف/ التيفاشي أبو العباس أحمد بن يوسف.
- هذبه: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور).
- تحقيق/ د. إحسان عباس.
- بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٨٠م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج بن ميمون بن سليمان بن سعد القيسي القفصي التيفاشي. ويلقب بشرف الدين، ويعرف بكنيتين هما: أبو الفضل وأبو العباس. ولد سنة (٥٨٠هـ/ ١١٨٤م)، وتوفي سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٣م). من أهم كتاباته كتاب « علم البديع »، وكتاب « في المسالك ونزهة الألباب ».

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٨٢) صفحة من القطع المتوسط، بما فيها الفهارس. يدور الكتاب حول التغيرات النهارية والليلية، والفصول الأربع، ومظاهر الإشراق والمطر والغيم، وآراء المنجمين في هذه الظواهر الكونية المختلفة، والأجرام السماوية والكواكب وتسمياتها. وينقسم الكتاب إلى عدد من الأبواب. نلخصها فيما يلي:

الباب الأول في الملوين الليل والنهار. ويشير إلى أن لليل والنهار مسميات عديدة، وسميا بالملوين؛ لأنهما يملآن الآفاق نورًا وظلمة، وأوضح أسباب التسميات المختلفة لهما.

وجاء **الباب الثاني في أوصاف الليل** وطوله وقصره، واستطابته، ومدحه، وذم الاصطباح.

أما الباب الثالث فجاء في الاصطباح ومدحه، وذم شرب الليل، وإيقاظ النديم للاصطباح.

ويأتي **الباب الرابع في وصف الهلال** من وقت ظهوره، وامتلاء ربعه ونصفه وكماله، ووصف الليلة المقمرة.

ويتناول **الباب الخامس انشقاق الفجر**، ورقة نسيم السحر، وتغريد الطير في الشجر، وصياح الديك وإيذانه بالصباح. وعرض في ظل هذا الباب إلى شرح مفصل **للسلوك الجنسي Sexual Behavior** للحمام وكيف أنه يماثل سلوك الإنسان (ص١٠٨)، فبين لنا أن الحمام قد يميل إلى نفس جنسه (كما في السلوك الإنساني **Homosexuality**) (ص١٠٩)، فيحكي الكاتب ويقول « رأيت الحمام الذكر يقمط الحمام الذكر، ورأيت أنثى لا تقمط إلا أنثى ». وقارن لنا بين سلوك الحمام والإنسان، وأن هناك من أفعال الحمام ما يكون على شاكلة أفعال الإنسان. كما أشار إلى أن الحمام اللواتي يحملن من الحرام يجافين أولادهن؛ أي أنه لا تتولد لديها مشاعر طبيعية نحو أولادها.

أما **الباب السادس فعرض لصفات الشمس** والشروق، والضحى، والارتفاع، والطفل، والمغيب، والصحو، والغيم، والكسوف. وساق أبياتٍ عديدة من الشعر لشعراء مختلفين تناولوا هذه الظواهر ونظموا فيها الشعر.

وجاء في **الباب السابع على ذكر جملة الكواكب والسماء وآحاد الكواكب المشهورة**. ووصف أشهر هذه الكواكب ومنها عطارد، وزحل، والزهرة. كما جاء على ذكر الأشعار التي قيلت في الأبراج المعروفة كالأسد، والجوزاء، والحوت، والميزان ووصفتها.

أما الباب الثامن فتناول آراء المنجمين والفلاسفة والأقدمين في الفلك والكواكب. فجاء فيها الخاصية العشرة للقطب الجنوبي وأشاروا إلى علاقته بمرض **الصرع Epilepsy، والمصروع Epileptic** (ص١٧١)، وكيفية الشفاء منه باستخدام دواء معين محضر من عظام الجمال. كذلك أشار إلى من ضعفت فيه شهوة الطعام، وضعفت معدته والتي يمكن أن نشير إليها بأحد اضطرابات الأكل وهي **فقدان الشهية العصبي Anorexia Nervosa** (ص١٧١).

كذلك أشار إلى كيفية الاستفادة من الجمال أيضًا كدواء لمن اعتاد السهر المفرط، فبتعاطيه يزول السهر عنه وينام وهو ما يمكن الإشارة إليه **بالأرق Insomnia** (ص١٧٣). كما أنه تناول علاقة كل كوكب، وتأثيره على الأشخاص من حيث الشكل، والأخلاق الباطنة، والأفعال الظاهرة، والطبائع.

وشرح **الباب التاسع لما تشتمل عليه أسماء الأجرام العلوية**، وما يتصل بها واشتقاقه.

وفيه ذكر مسمى الشمس، ومنازل البروج، وموقع كل برج في منزله، وطول الشمس في البروج، والفصول. ثم ذكر أسماء البروج ومعانيها.

وعرض **الباب العاشر لما جاء في تأويل رؤيا الأجرام العلوية**، ورؤيتها في المنام، وتفسير الحكماء والفلاسفة لهذا النوع من الرؤيا. وتحدث عن رؤيا النهار والليل والتي يقصد بها **الحلم Dream** (ص٢١١). وفسر رؤى الشمس والقمر والسماء والكواكب. وربط بين الحالات المختلفة التي يتم رؤية الشمس فيها ببعض خصائص **الحالات الانفعالية** لدى الفرد **Emotional State**، فرؤية الشمس وهي تغيب تدل على **اليأس Despair** (ص٢١١). **وانتهى هنا الجزء الأول من الكتاب.**

أما **الجزء الثاني** وأطبق عليه ظل الأسحار على الجلنار في الهواء والنار وجميع ما يحدث بين السماء والأرض من الآثار، وقسمه أيضًا إلى عشرة أبواب.

الباب الأول في الفصول الأربعة. وبدأ بوصف الربيع وما جاء في جمال مناظره، واعتدال جوِّه. ثم الصيف بحرِّه وكيف تمت اختراع المراوح فيه بأنواعها. أما الخريف فقدم لنا معنًى هو أن منه اشتقت كلمة **الخرف** للشيخ **Dementia** (ص٢٣٠) وعرفه بأنه ذهاب العقل كأن عقله انقطع. والشتاء بكثرة نيرانه لردع برده، وأنه يمثل للمؤمن وقتًا يدخره ويذكر فيه اللّه كثيرًا.

أما **الباب الثاني فجاء في وصف البرد وشدته**، ودفعه بالجمر، ودلائل الصحو، ومعرفة الشتاء الذي يطول وهل يتقدم أو يتأخر، والمطر المتقدم والمتأخر. وفيه أشار لوصف برد الشتاء ودلائل صحو الأيام، ودلائل المطر على النبات والحيوان والطير وغيره. كذلك بين لنا أننا نستدل على طول الشتاء من ملاحظتنا لشجر السندان والبلوط.

ويأخذنا **الباب الثالث إلى البرق وحنين العرب به لأوطانهم**، ولظواهر منها الرعد، والغيم، وهالة القمر، وقوس قزح، وأشار إلى رأي الفلاسفة والشعراء في هذه الظواهر المختلفة، وتسمياتها وما جاء فيها من أشعار. ثم عرض لتسميات الغيم المختلفة والأشعار التي وصفته. وتسميات قوس قزح وآراء الفلاسفة فيه، وفي هالة المطر.

تناول **الباب الرابع السحاب الثقال**، والمطر، والاستسقاء، والحجا - وهي القواقع التي يرسمها قطر المطر على الماء - ومنع المطر من تزاور الأخوان، وآراء الفلاسفة في المطر، والثلج، والبرد، والجليد. وأشار إلى العلامات الأولى لسقوط المطر من تجمع السحاب، وتغير شكله بما ينذر بسقوط مطر أم لا. ثم جاء على وصف الثلج وما قاله

الشعراء عند نزوله وتسببه في حبسهم عن الخروج، ثم ما جاء في البرد.

أما الباب الخامس فكان القول فيه في الأنواء من الحظر والإباحة في الشرع، ومعنى قولهم ناء الكوكب اشتقت من ناء في اللغة من السقوط، وقيل النوء من النهوض والاستقلال.

وعرفنا **الباب السادس على الرياح الأربع والنكب والإعصار** والتي نعني بها الزوبعة، والزلزلة وتغير الهواء بحسب هبوب الرياح على رأي الأطباء والقدماء، وذكر أسماء الريح. وأشار إلى طبيعة الريح الدبور والنكب وهي من الرياح العواصف.

كما تقدم **الباب السابع بمعرفة الحوادث الكائنة في العالم السفلي من جهة كسوف الثيرين**، وطلوع الهالة، وهبوب الرياح العواصف، وطلوع قوس قزح، وخفقان البرق وجلجلة الرعد، وسقوط البرد. وجاء فيهما على ذكر أسماء الشهور، وما يحدث إذا كان كسوف الشمس، خسوف القمر، وهبوب الريح في كل منها.

جاء **الباب الثامن في النار ذات اللَّهب وما يتعلق بها**، ونار النفط، والصاعقة، ونار الفحم والكوانين. وأشار إلى أفضل أنواع الأشجار التي يمكن أن يتخذ منها النار.

ووصف **الباب التاسع أوصاف الشموع، وضوء الشمعة والفانوس والقناديل والجلاسات وثريا المساجد** والمشعل والسراج والمسرجة. وأشار إلى أن أحد الحكماء بيَّن أن الطفل يناغي أفضل ما يناغي على نور المصباح، كما بين أن للمناغاة وسرور الطفل أهميته في تحريك القوة النفسانية أو ما يمكن أن نشير إلى أهميتها في **الارتقاء اللغوي** للطفل **Language Development** (ص٣٩٥).

وانتهى **الفصل العاشر في تعبير ما تشتمل عليه من الآثار العلوية وغيرها في المنام**. وتحدث هنا عن **الأحلام Dreams** (ص٤٠٣) وتفسيراتها المختلفة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **السلوك الجنسي Sexual Behavior**.
- **الجنسية المثلية Homosexuality**.
- **الصرع Epilepsy**.
- **المصروع Epileptic**.
- **فقدان الشهية العصبي Anorexia Nervosa**.

- الأرق **Insomnia**.
- الحلم **Dream**.
- الحالات الانفعالية **Emotional State**.
- اليأس **Despair**.
- الخرف أو العته **Dementia**.
- الارتقاء اللغوي **Language Development**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

الشكوك على كلام فاضل الأطباء جالينوس في الكتب التي نسبت إليه



- تأليف/ الرازي أبو بكر.
- القاهرة: مكتبة دار الكتب والوثائق القومية (٢٠٠٥م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (٢٥١ هـ - ٣١٣هـ)، وكان مولده في بلدة الريّ، بالقرب من مدينة طهران الحديثة. درس الرياضيات، والطب والفلسفة، والفلك، والكيمياء والمنطق والأدب. ومن أهم إنجازاته: الإشراف علي إنشاء بيمارستان (مستشفى) بغداد - بتكليف من الخليفة المُعتصم باللّه - وهو يُضارع أحدث مُستشفيات العالم اتساعًا وتنظيمًا. ومن أهم إبداعاته كتاب الحاوي في الطب الذي يتكون من (٢٣) مُجلدًا، وهو موسوعة طبية أعدها لتعليم الأطباء فنون الفحص والتشخيص والعلاج لمختلف الأمراض، ووضع فيه كل ما توفر له من علوم السابقين والمُعاصرين، مُضيفًا إليها خبراته وآرائه. ومن أعظم كتبه « تاريخ الطب »، وكتاب « المنصوري » في الطب، وكتاب « الأدوية المفردة »، الذي يتضمن الوصف الدقيق لتشريح أعضاء الجسم. وألف موسوعة طبية أطلق عليها اسم « الجامع الكبير » في اثني عشر جزءًا على الأقل. وكان يُعد العُدة لكتابة جزأين آخرين من أجزاء « الجامع الكبير »، أحدهما « الجامع في العين » والثاني « الجامع في الحميات »، إلا أنه توفي قبل أن يحقق تلك الأمنية. وله مؤلفات في الصيدلة ساهمت في تقدم علم العقاقير. ويُسجل للرازي أنه أول من استخدم مجموعتين؛ تجريبية وضابطة في البحث الطبي، وابتكر الطب النفسي في العلاج، واستعمال الموسيقى في علاج بعض الأمراض. كما يُعد أول من استخدم خيوطًا من أمعاء الحيوان لخياطة الجراحات، وأول من حضَّر الجبس واستخدمه في تجبير العظام، وأول من اكتشف أثر الحساسية من مواد أو روائح معينة في إظهار بعض الأمراض، وأهم من ذلك أنه وضع نموذجًا للالتزام الأخلاقي للطبيب، وأسلوبًا لاختيار الأطباء علي أساس الالتزام والمهارة، والالتزام بحسن رعاية المرضى. وقد تُرجمت كتب الرازي، وتم تدريسها في أوربا حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي. وأمضى الرازي الشطر

الأخير من حياته بمدينة الري، وتوفي في مسقط رأسه في سنة (٣١٣هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٥٢) صفحة، ويتكون من مقدمة للمحقق (ص٩ - ٣٥)، ثم عرض لآراء جالينوس في قضايا عديدة، وإبراز مدى تناقضها (ص٣٩ - ٢١٦).

ويبدأ بآرائه في قدم العالم وحدوثه (ص٤٤ - ٥٣). يذكر الرازي أن جالينوس قد منع بل قد حكم في المقالة الرابعة من « البرهان » بأن العالم لا يفسد. ثم ناقض ما قاله وقال في كتابات أخرى بأن: « ما لا يفسد فليس بمكون ». فلم يكن ينبغي له أن يثبت الحكم بما أثبت به دون أن يُبيّن أن العالم من الأشياء التي لا يمكن فسادها إلا على جهة الذبول. كأنه لا يمكن أن يكون فساد إلا على هذه الجهة فقط. وإنما يصح لزوم هذا التالي لهذا المقدم بزيادة مشروطة حتى يكون على هذه الصفة: لو فسد العالم فسادًا ذبوليًّا لكانت الأجسام التي فيه لا تلبث بحالة واحدة بعينها (ص٤٦).

ويتناول الرازي آراءه في أمر الإبصار (ص٥٥ - ٦٦). يذكر جالينوس: إنه من البين عند جميع الناس أنه ليس يكون البصر بأنِ صورًا تجري إليه من كل واحد من الأشياء المُبصرة. ويستنكر الرازي ذلك بقوله: « كيف استجاز لنفسه الإقدام على هذا وهو يعلم أن أناسًا كثيرين يخالفونه في ذلك » (ص٥٦). ثم يذكر جالينوس: « وقول من زعم أنه يخرج من العين شعاع حتى يأتي المُبصر مُحال؛ لأنه لا يمكن للشعاع أن يمتد إلى الكواكب » فيعلق الرازي بقوله: « بل الأفضل من هذا أن يُقال: إن صورة الكواكب والمُبصرات متصلة بالبصر بتوسط المضيء » (ص٥٦). وقال جالينوس: « وأعجب من ذلك أن يجري في وقت واحد صور كثيرة بحسب عدد الأعين التي تبصر بها ». يذكر الرازي أن جالينوس استنكر ما ليس بمستنكر بل محسوس مشاهد وهو: تأدِّي أشباح الأشياء المبصرة. ونحن إذا أقمنا بحذاء المبصر مرآة رأينا شبحه فيها، حتى إنه لو كان المُبصر وراءنا، والمرآة أمامنا لأبصرناه بجميع أحواله حتى نُخبر عنه كإخبارنا عنها لو كانت مُحاذية للبصر نفسه، ولو أقمنا حواليه وفوقه وتحته مرايا كثيرة لرأينا شبحه في كل واحدة، فكيف يكون الظاهر للحس مُستنكرًا؟ (ص٥٧). وقال جالينوس: « لو كان اللون وحده يأتي البصر بتوسط الهواء المحيط لم تحتج العين أن تتحرك، ولا كنا نعلم مقدار عظم الشيء وبُعده وشكله ». ويرد الرازي عليه: إن العين إنما تحتاج إلى الحركة لتقابل المحسوس، كما أنَّا نحرك المرآة حتى نقابل لها ما نريد تشبحه فيها؛ ولذلك

جعل لها العضل الذي يحركها ليقابل المُبصر، ومتى لم يمكنها ذلك فزعت إلى حركة جملة الرأس (ص٥٨). (**يقابل مفهوم الإدراك البصري للحركة Visual Perception of The Movement**).

ورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الجليدية « الرطوبة الجليدية »**: جزء من العين الشبيه بالجليد المُسماة باليونانية (قريسطالونداس) أي الجليدية. وهي بيضاء صافية نيرة مستديرة ليست بمستحكمة الاستدارة بل فيها عرض، وهي في وسط العين كنقطة توهمناها في وسط كرة (ص٦٢).

٢ - **العُنبية**: طبقة في العين أمام الرطوبة، تحوي الرطوبة الشبيهة ببياض البطن، وهي شبيهة بالعُنبة، وفي لونها سواد مع لون السماء، يقال لها باليونانية (راغويذيس خيطن)، أي العُنبية.

٣ - **بطن الدماغ**: خمسة أوعية، وعاءان في مقدمه، ووعاء في مؤخره، ووعاء فيما بين الوعائين المتقدمين والوعاء الآخر، وفي هذه الأوعية روح نفساني تكون به أفعال التخيل والفكر والتذكر (ص٦٢).

٤ - **الروح النفساني**: هو الروح النوراني الذي به يكون البصر إلى الرطوبة الجليدية. وهو يجري في عصب ينبت في بطون الدماغ، وبه يكون التخيل، والفكر، والتذكر، وتوليد هذا الروح النفساني من الروح الحيواني الذي يتولد في القلب، والحس والحركة الإرادية، إنما يكونان بنفوذ هذا الروح النفساني، ووصول ما يحدث عنه في العصب من الدماغ إلى الأعضاء الحساسة المتحركة (ص٦٣).

ويبين الرازي تناقض آراء جالينوس في طبيعة النفس الإنسانية (في مواضع متفرقة: ص٦٧، ص١٧٨، ١٨٩). فجالينوس يقرر أن الأبدان آلة للنفس. وهذا مُناقض لما يميل إليه في أكثر كتبه. ويقول الرازي: « إن جالينوس يري أن النفوس جواهر لها ذوات قائمة بغير جسد، وأنها موجودة قبل الأجسام، وهذا يناقض ما قاله في أنه لا علم له بتة بأن النفس جوهر أم عرض، ولما يميل إليه في أكثر كتبه في أن قوى النفس تابعة لمزاج الجسد، فهو يرى أن النفس تابعة لمزاج الجسد من بخار الدم، والروح الذي في بطون الدماغ، ولم يقل أنها شيء غير الجسد لها إنية، وذات قائمة بانفراد عن الجسد إلا في هذا الكتاب (ص٦٧). ثم يتناول النفس الناطقة فيذكر جالينوس: « أي حُجة لمن يقول إن

النفس الناطقة في القلب، ثم يداوى الرأس عند اختلاط الذهن ونحوه، فالقلب وإن كان المعطي والباعث إليه بالشيء الذي به تكون الأفعال العقلية والإرادية، فإن الدماغ حاله ما لا يمكن قبوله لذلك إلا معها، فنحن نداويه لكي يعود إلى حياته تلك » (ص١٥٢، ١٥٣) وقال: « إن القوة النفسانية في الدماغ، والعصبية في القلب ».

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم التالية:

١ - **العصبة**: جسم أبيض لدن ينبت من الدماغ والنخاع، وينفذ في جميع البدن فيفيده الحس والحركة (ص٧٤).

٢ - **المراقية**: مرض نفسي يشبه الماليخوليا إلا أن اختلاط الذهن فيها أقل، وهي **وسواس سوداوي Obsessive** يكون ابتداؤه من المعدة. ويتبع هذه العلة جشاء حامض، وبُزاق رطب كثير، وحركة وقرقرة بعد تناول الطعام، والأعراض القوية لهذه العلة التفزع وخبث النفس (ص١٥٣).

ويشكك الرازي فيما ذهب إليه جالينوس من أن سبب تولد المني إنما هو بياض صفاقات المني، فيحيل الدم لذلك إلى بياض (في مواضع متفرقة: ص٨٤ - ٨٦، ص١٨١، ص٢٠٠). ويرى الرازي « أن السبب المولد للمنيِّ هو الغدد المحتوية على الدم الذي في صفاقات أوعية المنيِّ الذي في طبيعته المنيِّ » (ص٨٤ - ٨٦). وفي رد جالينوس على أرسطو، وبيان جالينوس: « أن الأعصاب والأغشية والآلات الأُول بيض عديمة اللون، فهي بأن تكون مخلوقة من المنيِّ أولى من أن تكون مخلوقة من الدم »، يرى الرازي أن كلام جالينوس هذا مقنع لا برهاني؛ لأنه ليس كل ما يكون من شيء يحفظ لون مادته، بل لا يكاد يحفظه (ص١٨١). وقال جالينوس كذلك « إنما تنمو البيضة اليسرى قبل اليمنى لضعف خلقه، ونموها قبل اليمنى يدل على أن الحيوان يولد الإناث ». ويرى الرازي أن هذا الكلام غير صحيح، ولو كان هكذا لكان إنما يُولد الناس الإناث في النُّدرة والأقل، لا معتدلًا متكافئًا، والبيضة اليمنى يجب أن يكون ضعفها في الأقل. ولذلك يجب أن يكون نمو اليسرى قبلها في أقل الأمر في الندرة. ويجب عن ذلك أن يكون تولد البنات في الندرة، وفي أقل الأمر (ص٨٤). ويفسر جالينوس العُقم. حيث يذكر « أن المعتدل من الرجال يلد دائمًا، وأما الخارج عن الاعتدال فإنما يلد إذا صادف زوجًا مضادًّا له في المزاج ». ويُعقب الرازي « ليس يصح هذا فإنا رأينا رجالًا عُقمًا، ونساءً عواقر حال أبدانهم الحالة التي يحكم لها جالينوس باعتدال المزاج » (ص٢٠٠).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية: -

١ - **الصفاقات**: هي الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر، وهي أغشية عصبية تُلبس على التجويف من الداخل (ص٨٥).

٢ - **الكلام المقنع**: هو الذي لا تقوم مقدماته على أساس منطقي، بل تقوم على أساس عاطفي (ص١٨١).

٣ - **الكلام البرهاني**: هو الذي تكون مقدماته صادقة، فتصدق بذلك نتائجه (ص١٨١).

ويتناول الرازي مناقضة آرائه في مبدأ الحس والحركة (ص٨٦ - ٩٧). يرى جالينوس أنه « حيث مبدأ العصب فهناك مبدأ الحس والحركة الإرادية، وقوى النفس المدبرة، فينتج أن مبدأ ذلك أجمع من الدماغ ». وقال: « ليس بالدماغ حاجة في هذه الأفعال إلى القلب إذا كان هو العضو الذي يُتنازع فيه ». ثم قال في توضيح ذلك: « إنه كُشف عن القلب، وضغطت الكليتان، وعُصر لا ينال الحيوان آفة في حسه، ولا في حركته، لا بل لو أُخرج القلب عن الجسد جُملة لبقي الحيوان بحاله في الحس والحركة، مدة ما إلى أن يجحف به خروج الدم فيموت. وأما القوم الذين ظنوا أنه يُعرض للحيوان من شدِّ هذه العروق الضوارب، يعني المعروفة بالمسببة سُبات، فينبغي أن يُعلم أن قد غلطوا وكذبوا أيضًا. أما غلطهم ففي شدهم مع شدِّ هذه الشرايين العصب الدقيق الذي يُعرف بالراجع إلى فوق. وأما كذبهم فقولهم إنه يُعرض للحيوان عند هذه الحال سُبات، وليس يُعرض له سُبات، بل إنما يُعرض له عدم الصوت. ولو كان يُعرض له عن شد هذين الشريانين أو قطعهما سبات، لكان الأمر على ما قال القوم؛ من أن الدماغ وإن كان منه منبت العصب؛ فإن الباعث إليه بقوة الحس والحركة هو القلب. ويُعلق الرازي بقوله: « إن هذا الشك قائم بعينه ما لم يُبين السبب في العارض، الذي يعرض عند الغمز، والضغط على هذين الشريانين، وهما العرقان النابضان الموضوعان عند جنبي قصبة الرئة، فإنه يُعرض من الغمز على هذين العرقين حالة شبيهة بالصرع أولًا ثم بالسكتة، وربما لم ينحل، ولم يُراجع الإنسان منه إذا أُطيل إمساكه، والضغط عليه » (ص٨٨).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **السُّبات**: هو أن يكون الإنسان كالنائم مُلقى، وهو يحدث عن آفة في مقدم الدماغ، فإنه إن حدث فيه كله؛ أحدث سُباتًا ثقيلًا أو جمودًا، فإن حدث في نصفه أحدث آفة في

نصف الوجه. وصاحب السُّبات يكون ملقى لا يحس، ولا يتحرك إلا أن نفسه صحيح، وهذا هو الفرق بينه وبين السكتة (ص٨٨).

٢ - **الصرع**: هو سقوط الإنسان بغتة وتخبطه، وضغط نفسه، ثم يفيق ويكون ذلك بأدوار (ص٨٨).

٣ - **السكتة**: هو أن يعدم البدن كله الحس والحركة دفعة. ويتبع ذلك غطيط وزبد وموت في أكثر الأحوال (ص٨٨). وتُعرف في موضع آخر بأنها: أن يعدم البدن كله بغتة الحس والحركة، خلا حركة التنفس وحدها، فإن عدمها فذاك أعظم وأدهى ما يكون منها (ص١٢٨).

ويناقض الرازي آراء جالينوس في الكون والاستحالة (ص٩٧ - ١٠٩). يرى جالينوس أن جميع الأجسام التي تقبل الكون والفساد، وهي أبدان الحيوان والنبات، والأجسام التي تتولد في باطن الأرض، إنما تركيبها من أربعة أسطقساط (عناصر)، وهي: الأرض والماء والهواء والنار. والطبيعة هي المزاج الذي تولد من الأسطقسات (العناصر) الأربع للإنسان. والطبيعة والنفس ليستا شيئًا غير الحرارة الغريزية. وقال: إن مزاج العضو هو سبب أفعاله، وهذين جميعًا لا يتقدمان الجسم. ويُعلق الرازي بقوله: « كان يجب عليه مع اعتقاد هذا الرأي أن يحكم بأن النفس جوهر، وأن الطبيعة جوهر متقدمين في الكون للأجسام. وفي هذا مُناقضة لما قاله في هذه المواضع » (ص١٠٣).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الأسطقس (العنصر)**: ما منه يكون الشيء، ويرجع إليه منحلًا. وفيه الكائن بالقوة، وأيضًا هو عنصر الجسم، وهو أصغر الأشياء من جملة الجسم (ص٩٨).

٢ - **القياس الخطابي**: ما كانت مادته أو مقدماته من المقبولات والمظنونات (ص١٠٩).

٣ - **القياس الجدلي**: ما كانت مادته أو مقدماته من المسلمات والمشهورات (ص١٠٩).

ويناقض الرازي آراء جالينوس في المزاج (ص١٢٤ - ١٣٦). يذكر جالينوس: « إن استعملت الزيت في الورم المعروف بالحُمرة يبث لك حرارة، وأنه يضره مضرة عظيمة ». ويُعلق الرازي: ووفقًا لهذا القانون يجب أن تكون جميع الأشياء المجاورة

للاعتدال،مجاورة يسيرة إلى الحر أو إلى البرد، لا تظهر أفعالها في الأبدان والأعضاء الصحيحة،لضعف تأثيرها. لكن إذا امتحنت الحارة منها في العلل الحارة والباردة، ظهرت أفعالها، وبانت جدًّا، فيظهر إسخان المسخنة منها، إذا استعملت في العلل الحارة كالحُمرة، إذا لطخت بالزيت، وتبريد المبردة إذا استعملت في العلل الباردة كدُهن الورد؛ إذا صُب على رأس صاحب الزكام البارد، أو السكتة البلغمية. وإذا استخدم في العلل الباردة؛ فإن ضرره يُبين فيها؛ لأن تبريده يظهر ظهورًا شديدًا قويًا. وإذا كان هذا القانون صحيحًا، وهو صحيح، فـقانونه الثاني الذي قاده إلى أن دُهن الورد يُسخن بعض الأبدان، من أجل أنه أسخن مزاجًا منها فباطل (ص١٢٩).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم التالية:

١ - **السكتة البلغمية**: هي ما يعرض من بلغم كثير بارد،يملأ بطون الدماغ، يتقدمه وجع حاد في الرأس، وانتفاخ في الأوداج، وظُلمة البصر، ودوار، وبريق، وبرد في الأطراف، واختلاج البدن كله، وثقل الحركة، وتصرير الأسنان في النوم، ويكون البول زنجاريًا أو أسود، أو فيه قُشار نخالي (ص١٢٨).

٢ - **المفلوج**: هو من به ذهاب الحس والحركة من العضو بتة. وقد يذهب الحس وتبقى الحركة، وقد تذهب الحركة ويبقى الحس، وقد يذهبا جميعًا (ص١٢٩).

٣ - **الحُمرة**: هي ورم حار صفراوي (ص١٢٩).

٤ - **الحُمى المُحرقة**: هي الصفراوية التي لا تفتر، وتصل إلى القتل أو الإقلاع (ص١٢٩).

ويناقض الرازي آراءه في استخراج الأدوية (ص١٤٢ - ١٤٤). يذكر جالينوس: « إذا أردنا أن نصف أصل السوسن؛ لم نقل أنه يُدر الطمث، وينفع السعال، وذات الجُنب، والرئة، والصرع، والتشنج، والاختلاج، والرعدة، وهتك العصب وفسخه، وأنه يُنبت اللحم على العظام العارية، ويُنقي الجروح، ويُسكن وجع الجنبين، والكبد، والطحال، ويمنع سيلان المنيِّ، وينفع من أوجاع الرحم، ويُقلع النمش، ولكن حسبنا أن نقول عنه - أي عن أصل السوسن - أنه من الحرارة في مقدار كذا، ومن اليُبس في مقدار كذا، ومن اللطافة في مقدار كذا. فإذا ذكرنا ذلك نتبين منه جميع هذه الأشياء، وأشياء أخرى كثيرة ». ويرى الرازي أن في هذا الكلام تعديًا كثيرًا، فجالينوس نفسه لم يكن ليعرف هذه القوى من هذا الوجه، لكن من التجارب والسماع من المجربين على الدهر.

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفهومين التاليين:

١ - **النمش**: هو آثار في الوجه من غير لونه أكثر ذلك، وقد تكون في غير الوجه، وهو أقل من البرش (ص١٤٢).

٢ - **الكلف**: هو كمدة وقلة نضارة تقع في بقع من الوجه أكثر ذلك، وقد تكون في غيره من البدن (ص١٤٢).

ويناقض الرازي آراءه في الشعر (ص١٤٤ - ١٤٦). يذكر جالينوس أن استخدام الخضابات المُسودة للشعر يورث الزكام والنوازل وقد يُورث نوعًا من الاضطراب يُطلق عليه قرانيطس وهو: سرسام حاد خطر، وعلامات مريض قرانيطس؛ مرة يعتريه السهر، ومرة ينام نومًا مشوشًا مضطربًا، مع اختلاط خيالات ظاهرة، حتى أنه يصيح ويثب، وفي بعض الأوقات يُعرض له نسيان. ويكون مع جرأة وقحة زائدة على العادة، ولا يشرب إلا قليلًا، ونفسه عظيم متفاوت، والمصابون به نبضهم ليس بعظيم، وهو صلب كأنه عصب، فإذا قرب الوقت الذي تعتريهم فيه العلة؛ يجدون وجعًا في مؤخر الرأس، حتى إذا وقعوا فيها يبست أعينهم جدًا، وتدمع إحداهما دمعة حارة، ويصير فيها ومض، وتمتلئ عروقها دمًا، ويقطر من آنافهم أيضًا الدم، وتبقي حُماهم بحالها لا تنحط، ولا تنوب، ولسانهم خشن (ص١٤٥، ١٤٦).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الإدراك البصري للحركة Visual perception of the movement**.
- **بطن الدماغ**.
- **الروح النفساني**.
- **العصبة**.
- **المراقبة**.
- **الكلام المقنع**.
- **الكلام البرهاني**.
- **السبات**.
- **الصرع Epilepsy**.

- وسواس سوداوي.
- السكتة.
- القياس الخطابي.
- القياس الجدلي.

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

صيد الخواطر



○ تأليف/ البغدادي أبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الظفري (٤٣١ - ٥١٣هـ).

○ جمع وإعداد/ أبي عبد اللّه فيصل بن عبده قائد الحاشدي.

○ الإسكندرية: دار الإيمان (٢٠٠٧م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة علي بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي، ولد سنة (٤٣١هـ). من شيوخه ابن الشيطي في القراءة، وفي النحو والأدب أبو القاسم ابن برهان، وفي الفقه أبو إسحاق الشيرازي. له مؤلفات كثيرة في أصول الدين، والفقه، والزهد وغير ذلك، من أهم أعماله « الفنون »، و « الفصول في الفقه »، و « الإرشاد في أصول الدين »، و « تهذيب النفس ». توفي سنة (٥١٣هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط متضمنة الفهارس. يعرض فيها الكاتب لبعض الخواطر التي طرأت له والتي يرى أنه في حالة أن يتبناها الفرد ستتحسن حياته وتصبح أفضل.

يشير **الخاطر الأول** إلى شذرة وعظية.

أما **الخاطر الثاني** فأشار إلى الحذر من الخلوة والاختلاط.

أما **الثالث** ففي المبتدعين الخوارج على الشرائع.

وعرض **الخاطر الرابع للغضب Anger** (ص٢٥) وأنه يجب أن يكون بقدر العقوبة، وأشار إلى أن الغضب يجب أن يتناسب مع ما أعد له من عقوبة.

أما **الخامس** فكان عن محاسن الدنيا ومعايبها.

ثم جاء **السادس** في حال الناس مع الصالحين.

واهتم **السابع** بأداء النوافل مع الإخلال بأداء الفرائض.

وكان **الثامن** في تعظيم اللّه.

و**التاسع** في الصديق أفضل هذه الأمة بعد نبيها.

وجاء **العاشر** في أذية الخلق بسوء الرأي.

وعرض **الحادي عشر** للتسليم بأمر اللّه والتحكيم لحكمته.

ثم تلاه **الثاني عشر** في التوكل على اللّه.

أما **الثالث عشر** فكان في « أن اجعلوا بيوتكم قبلة ».

وأعقبه **الرابع عشر** في ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ٩].

وجاء **الخاطر الخامس عشر** في تنافر الناس.

أما **السادس عشر** في أن المخالطة لبعض الناس دواء ولبعضهم أدواء، وهنا إشارة إلى مفهوم **التخفف من الأسى لمن ابتلى بمصيبة Coping with Grief** (ص٣٧)، فيرى البعض أنه يجب عليه أن يتشاغل عن حزنه بمن حوله، ويرى آخرون أن الانفراد أفضل، وأشار إلى أن الأفراد يختلفون في ذلك، فمنهم من يجزع على نفسه فيكون من حوله إعانة له، ومنهم من لا يستطيع البقاء بين الناس ويحتاج للبعد عنهم.

وجاء **الخاطر السابع عشر** في تجرع مرارة الأدب.

أما **الثامن عشر** ففي منازل الأسلاف.

والتاسع عشر في من لك بأخيك كله، وهنا يشير إلى أن لكل فرد **تقلباته المزاجية Mood Swings** فيكون شهي المودة، وطيب الأنس في بعض الأحيان، وغاضب ساخط في أحيان أخرى(ص٤٠، ٤١).

تناول **الخاطر العشرون** أن من الأحسن أن تكون الفضائل لك، وذكر أن الفرد الذي يجد نفسه تفتقد إلى فضيلة ما عليه أن يكتسبها، وهو ما يمكن أن نشير إليه بأن يكون الفرد **مراقبًا لذاته Self-Monitoring** (ص٤١)، كما أن عليه أن يتخذ لنفسه قدوة يتعلم منها وهو ما يمثل أحد أساليب التعلم واكتساب السلوك الصحيح والذي يطلق عليه التعلم **بالقدوة Modeling** (ص٤١).

يلي ذلك **الخاطر الواحد والعشرون** في التعلم من الأنبياء وهو أيضًا مثال آخر للتعلم بالقدوة (ص٤٢).

أعقب ذلك **الخاطر الثاني والعشرون** في أن المخاصمة موازنة.

والثالث والعشرون في ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾.

أما الرابع والعشرون ففي أن الجزاء من جنس العمل.

تناول **الخاطر الخامس والعشرون** أن الأمراض مواسم العقلاء.

تلاه الخاطر **السادس والعشرون** ألا تعاشر متلونًا ويقصد به الشخص الذي يتغير بتغير المواقف المختلفة عليه.

أما السابع والعشرون فجاء في العزبة والمعنى بها ترك النكاح.

وأشار **الخاطر الثامن والعشرون** إلى مجاهدة النفس.

أعقبه **التاسع والعشرون** في أن العمل لهذا الدين أعظم جهاد.

وكان **الثلاثون** في نعمة المعرفة.

يلي ذلك **الخاطر الواحد والثلاثون** في اغتنام عبادة اللَّه.

أما الثاني والثلاثون ففي عدم نصح أحد على شرط القبول.

تناول **الخاطر الثالث والثلاثون** في أن الشيب مرض الموت.

أما الرابع والثلاثون ففي قصر الأمل.

والخامس والثلاثون في أن الاعتماد على الناس إفلاس.

وأكد الخاطر الذي تلاه - **السادس والثلاثون** ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون: ٤] - هذه الفكرة في أن على الفرد الاعتماد على ذاته والاستقلال في تفكيرهم وهو أحد الأساليب المعرفية المعروفة **بالاستقلال عن المجال Field-Independence** (ص٥٦).

وجاء **السابع والثلاثون** في الرضاء بقضاء اللَّه.

والثامن والثلاثون في ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

أما التاسع والثلاثون ففي أن الحسد وبال على صاحبه.

وكان **الأربعون** في الفرح بطاعة الرب، والفرق بينه وبين الإعجاب.

وتمثل الخاطر **الواحد والأربعون** في لطف اللَّه بخلقه.

تلاه **الثاني والأربعون** في العمل للناس.

ثم **الثالث والأربعون** في أن للإيمان روائح ولوائح.

ثم كان **الرابع والأربعون** في اكتشاف أصحاب الملل والنحل.

أما **الخامس والأربعون** ففي تعلق القلب باللَّه.

وأشار **السادس والأربعون** إلى أن الطباع الردية أبالسة الإنسان.

تناولت **الخواطر السابعة والثامنة والتاسعة والأربعون والخمسون** أن « مذهب العجائز أسلم »، و « الصبر على الأغمار » ويقصد به الجاهل الغر الذي لم يجرب الأمور، و « حال الجهال مع الوقت »، و « اتقاء شر الأشرار ».

اهتم **الخاطر الواحد والخمسون** ببرودة الدين في القلب.

والثاني والخمسون برضاء الناس.

أما **الثالث والخمسون** ففي هجران أهل البدع والمعاصي.

والرابع والخمسون في أن كمال الأدب في مراقبة النفس **Self-Monitoring** (ص٦٩، ٧٠) وإزالة كل ما يكره منها ويؤذي عند المخالطة.

وجاء **الخامس والخمسون** في الإغضاء عن زلات القرون الثلاثة.

وتناول **الخاطر السادس والخمسون** أن المرء مخبوء تحت لسانه.

والسابع والخمسون في قصور الأعمار مع بلوغ الغايات.

والثامن والخمسون في أن الحكمة ضالة المؤمن.

أما **التاسع والخمسون** في الاستراحة إلى نوع من الشكوى.

والستون في لطف اللَّه بعبده.

وعرض **الخاطر الواحد والستون** إلى عجز العقل عن ملاحظة العواقب.

أتبعه **الخواطر الثانية والثالثة وحتى السبعين** في « حال بعض العوام »، و « استقلال البلاء »، و « هجران الدنيا »، و « العز في القناعة »، و « الحياة الطيبة »، و « وكفى بربك وكيلًا »، و « ساعة إجابة »، و « الأدب عند تلاوة القرآن »، و « حال بعض الناس عند السماع ».

أما **الخواطر من الواحد والسبعين وحتى الثمانين** فتناولت « جهال الأطباء »، و « في العشق أسبابه وعلاجه »، و « الخير عادة والشر أصالة »، و « النوح على الدنيا »، و « في

أن تأخير الإجابة حكمة ومصلحة »، و « في تمسك الناس بالخرافات »، و « في الانبساط والمداعبة مع الزوجة والولد »، و « في عاقبة البخل والشح »، و « في حفظ مودة الإخوان والجيران »، و « في الراحة من تعب الاعتراض ».

ثم جاء **الخاطر الواحد والثمانون** في إنكار ما يعمل في المساجد والقبور.

تلاه **الثاني والثمانون** في أكدار المخالطة.

ثم مدح النفس بالحق للمصلحة ممثلة **للخاطر الثالث والثمانين**.

أما **الرابع والثمانون** ففي أن لا قرابة لمن لا تؤمن مكايده.

وتناول **الخامس والثمانون** أن علماء الكلام يشككون في العقائد.

والسادس والثمانون في حد الأخوة وأشار هنا إلى الخلال والتي قصد بها **السمات Traits** (ص٩٦) وكيف أنها تختلف ليس فقط من شخص لآخر، ولكن داخل الفرد نفسه.

أعقب ذلك السابع والثمانون في نقض العهد.

ثم **الثامن والثمانون** في كل محدث فقيه.

أما **التاسع والثمانون** ففي تلبيس إبليس على العباد.

والتسعون فيمن ترك شيئًا للّه عوضه اللّه خيرًا منه.

وكان **الخاطر الواحد والتسعون** في علو الهمة.

والثاني والتسعون في أن الجن يسكنون البيوت المأهولة.

أعقبه **الثالث والتسعون** في تقرير البعث والمعاد.

والرابع والتسعون في تكريم اللّه لعبده.

وبذل النفس في ذات اللّه في **الخاطر الخامس والتسعين**.

أما **السادس والتسعون** ففي فضائل المجتهد، ومن **السابع والتسعين وحتى المائة** فجاءت في « صفة الأرض أيام الربيع »، و « تسلية النفس »، و « فراق الأحباب »، و « السلام على شواب النساء ».

عرض **الخاطر الواحد بعد المائة** إلى التغافل عن بعض مساوئ الناس، أما **الثاني بعد المائة** ففي التدخل في الأسرار.

أعقبه الثالث في هلاك المتنطعين.

ثم الرابع في وصف أصحاب الإمام أحمد.

أما الخاطر الخامس بعد المائة فجاء في شر الطوائف.

وعرضت الخواطر السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة بعد المائة لكل من « رعونة الطبع »، و « استعمال القرآن في الأمور الدنيوية »، و « ما جاء في ترقيع الثوب »، و « ما أشار إليه من حيل أهل الإلحاد »، و « أدب الخوف من اللّه ».

وانتهى الكتاب بالخواطر الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والرابعة عشرة بعد المائة والتي أشارت إلى « أشد شيء على النفس »، و « كشف وجه المرأة المحرمة »، و « بركات الإخلاص »، و « تقبيل يد السلطان ».

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الغضب **Anger**.
- التخفف من الأسى **Coping with Grief**.
- التقلبات المزاجية **Mood Swings**.
- مراقبة الذات **Self-Monitoring**.
- الاقتداء (التعلم بالقدوة) **Modeling**.
- الاستقلال عن المجال **Field-Independence**.
- السمات **Traits**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

طبائع النفوس
أو
« الأكياس والمغترون »



- تأليف/ الترمذي محمد بن عبد اللّه (٢٠٥هـ - ٣٢٠هـ).
- تحقيق/ أحمد عبد الرحيم السايح، السيد الجميلي.
- القاهرة: المكتب الثقافي للنشر والتوزيع (١٩٨٩م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

الترمذي أبو عبد اللّه محمد بن علي بن الحسن بن بشر الملقب بالحكيم (٢٠٥هـ - ٣٢٠هـ) وُلد في عائلة تنتمي إلى العرب، كان أبوه من رواة الحديث الذين رحلوا في سبيله، واشتغلوا بروايته. فقد ترجم له الخطيب البغدادي. وذكر أنه نزل ببغداد وحدَّث بها. وقد روى الحكيم كثيرًا عن والده في كتبه المتعددة. وكانت أمه أيضًا من أهل الحديث فقد روى عنها، وكذلك كان جده لأمه من أهل الحديث. وثبت أنه أخذ الحديث عن بعض مواطنيه. وكان لتوجيه والد الحكيم له منذ الصبا الباكر أثر بالغ في تعلق الحكيم بالمعرفة وطلبها. والرغبة في الاستزادة من العلم. والاستعداد للرحلة من أجل ذلك. وأخذ الحكيم الترمذي عن كثير من شيوخ المحدثين في عصره. ويعد الحكيم الترمذي أول من أورد قصص الصوفية في الخضر، قال أبو عبد الرحمن السلمي: « أخرجوا الحكيم من ترمذ »، وشهدوا عليه بالكفر وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة، وقالوا: إنه يقول إن للأولياء خاتمًا كالأنبياء لهم خاتم، وإنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: يغبطهم النبيون والشهداء. فقدم بلخ فقبلوه لموافقته لهم في المذهب. وقد عمر مائة وخمسة عشر سنة، وتوفي عام (٣٢٠هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١١٤) صفحة. ويتكون من مقدمة وثلاثة عشر فصلًا. ويعد هذا الكتاب نقدًا اجتماعيًا يتناول ظاهرة الرياء التي تدخل في كثير من الأعمال والعبادات: كالزكاة، والحج، وطلب العلم، والكسب، والنكاح، والسياحة، والاحتساب، ومجاورة البيت الحرام، والاعتزال، وتلاوة القرآن، وأداء النوافل، والوعظ والإرشاد، حيث يشرح

المؤلف عبر فصول هذا الكتاب كيف يفسد الرياء العمل الصالح في كل ما ذكرناه آنفًا. واهتم بإبراز أصول السلوك. وهي من وجهة نظره تتجسد في الحق والعدل والعمل الصالح، فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق علي العقول، ومنتهى رضا اللّه عن العبد في عبوديته أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاثة. فإذا افتقد منه الحق من عمل خلفه الباطل، وإذا افتقد منه العدل خلفه الجور، وإذا افتقد منه الصدق خلفه الكذب، فهذه الثلاثة جند المعرفة، وهذه الثلاثة التي هي أضدادهن جند الهوى. فالنفس كما يرى وعاء الهوى. والمغترون من يقطعون أعمارهم بإصغائهم بأذان قلوبهم إلى نفوسهم، وإلى ما يرد الهوى عليهم من هذه الثلاثة (ص٢١). ويتناول خصال المغترين والأكياس - عبر فصول الكتاب - ليوضح من خلالها ظاهرة الرياء التي تشوب كثيرًا من العبادات.

فتتلخص خصال المغترين وأفعالهم بما يأتي:

١ - **الوضوء**: تجد أحدهم إذا توضأ، ترك أدب الوضوء. أقبل علي صب الماء، فأكثر منه يريد بذلك التوفير للتطهير والوفاء لأمر اللّه ﷻ، فهو مغتر ولذلك أمر بالغسل؛ فالغسل أن يبل الجلد والبشرة، وأصول الشعر، ويذكر اسم اللّه ﷻ في مبتدئه، ويستقبل بوضوئه القبلة. **فالمغتر** يلهو عن اسم اللّه، ويلعب بالماء صبًّا، يرى تطهيره في كثرة الصب، فإذا فعل طابت نفسه، ويرى أنه وفَّى اللّه ﷻ (ص٣٧).

٢ - **الصلاة**: إذا قاموا إلى الصلاة سَهَوْا عن حفظ قلوبهم مع اللّه بين يديه، وسَهَوْا عن حفظ جوارحهم، فالتفتوا ورفعوا بصرهم عن مواضعه، وتثاءبوا وتمطوا، وفرقعوا بأصابعهم، وتمايلوا في صلواتهم كالمترنحين والمتنهدين، وعبثوا بأجسادهم وثيابهم، وأشباه هذا.فهم غير مُقبلين علي صلواتهم، قد أهموا حفظ قلوبهم من حديث النفس ووساوسها.

٣ - **الصيام**: إذا صاموا تلاهوا ولهوا عن حفظ الجوارح التي ائتمنهم اللّه تعالى عليها، فتراهم كافين عن الطعام والشراب الذي أحله اللّه، وآكلين لحوم الموحدين اغتيابًا، وناظرين بأعينهم إلى ما حظُر عليهم، ونُهوا عنه، ومستمعين إلى ما زُجروا عنه، وناطقين باللغو، وخفي الكلام (ص٤٠، ٤١).

٤ - **الزكاة**: إذا زكوا أموالهم أقبلوا يتصدقون من مال اكتسبوه وجمعوه من غير حقه، من رياء، وغصب، وظلم، وأبواب المظالم، والشُّبهة. وإذا جمعوا أموالهم من حقوقهم

في الميراث أو من صلة لم يَشُبْهَا شيء من الشبهة، تصدقوا على العلائق والأسباب التي يجترون بها المنافع، فيهيمون بها في أتباعهم واللائذين بهم، والقائمين لهم في النوائب، من مولًى قد أعتقوه، ومتولي خدمتهم، والحامين عنهم، فيُفرِّقون في هؤلاء ويدعون أرحامهم وجيرانهم (ص٤٣).

٥ - **الحج**: إذا حجوا أكثروا الطواف والصلاة، ومواترة الحج عامًا بعد عام،ولكنهم لا يتنصلون عن ذنوبهم، وصاروا إلى مقام الاعتذار، ولم يهمهم الاعتذار، وكيف يعتذرون ولم يخرجوا من الذنوب إلا بألسنتهم فقط.وهم غاصبون أو قاطعي أرحام أو ظالمين، أو جامعين أموالهم من خبائث،أو عاقين، أو تاركين لحقوق زوجاتهم وأولادهم، أو مُصرين على خطاياهم (ص٤٦).

٦ - **طلب العلم**: إذا طلبوا العلم طلبوا النزهة فيه، فخطوا البلدان، وتركوا علماء بلدانهم يريدون أن يغربوا بأسمائهم، لا يريدون العلم لذاته ولكن طلبًا للرياسة، ونوال العمر، وشرف المجالس(ص٤٩). فإذا أدركوا مدرك الرياسة، واحتاج الناس إليهم، شمخوا بنفوسهم علوًّا وذهبوا بنفوسهم ذهابًا (ص٤٩).

٧ - **الوعظ والإرشاد**: هم يهدون الناس قولًا ولا يهتدون بأنفسهم، وتراهم يخالفون إلى ما ينهون عنه، وليس بهم إصلاح الناس، وإنما دوام عزهم وجاههم (ص٥٠).

٨ - **طلب العيش**: وإذا طلبوا معيشة مكسب، كان مركبهم الحرص، وجمعهم على النهمة، وإمساكهم على النعمة، وإنفاقهم على سوء الظن، وبالهوى، والشهوة (ص٥١).

٩ - **أداء الأمانات**: إذا صاروا إلى حد الأمانات ضيعوها، وضيعوا الحدود، فلا يصونون الأعراض ولا الأديان، وإذا جمعوا ضيعوا الحقوق، وقتروا في النفقة، فلا على العدل سعوا، ولا على الفقراء عطفوا، ولا الأرحام وصلوا، ولا في إعطاء نوائب الحقوق بذلوا (ص٥١).

١٠ - **جمع المال**: كلما ازدادوا جمعًا ازدادوا حرصًا، وشرهًا، وتكبرًا، ومباهاة، وتطاولًا على الخلق. وأبغض الناس إليهم من ذكرهم بالموت، وأثقل الناس عليهم من وعظهم فى ذلك. قرة أعينهم من الدنيا ما جمعوا (ص٥١).

١١ - **الزواج**: إذا تزوجوا تراهم يقصدون الزواج لغرض الدنيا،فيعمدون إلى من يطمعون أن ينالهم منهم مالًا، يضيفونه إلى أموالهم (ص٥٣). ويتسمون كأزواج بسوء

الخلق، وسوء العشيرة. وهم خائنون لزوجاتهم يتطلعون إلى نساء المؤمنين، وملاحظتهن بأعينهم الخائنة (ص٥٤).

١٢ - **الجوَار**: وإذا جاوروا البيت أظهروا الجوار، وهم هناك طالبون الدنيا (ص٥٦).

١٣ - **الاعتزال**: وإذا اعتزلوا الناس، وطلبوا الخلوة انقبضوا، وضيعوا الحقوق، وذهبت عشرتهم (ص٥٦).

١٤ - **زيارة الإخوان**: وإذا زاروا الإخوان مضوا في زيارتهم على سرور اللقاء، آمنين، مطمئنين، نشبطين، غير معتصمين باللّه، لا يراعون حرمة الديار (ص٥٧).

١٥ - **تلاوة القرآن**: إذا تلوا القرآن فَهِمَّتُهُم إذا ابتدأوا في السورة انتهاؤها إلى آخرها (ص٥٩).

١٦ - **بناء المساجد**: إذا بنوا المساجد يزخرفونها، ويزوقونها، ويزعمون أنهم يعظمون بيوت اللّه (ص ٦٩).

١٧ - **الدعوة إلى اللّه**: إذا ساروا في ميدان الدعاة نجدهم يتلمظون بكلام يقرع الآذان، ولكنه لا يصل إلى القلوب (ص٧٢).

١٨ - **تتبع عيوب الآخرين**: فهم قد جعلوا عيوب النفس علمهم وحديثهم، فبقوا مع هذا الحديث، ومع الاستقصاء على أنفسهم في طلب العيوب، واستخراج مكامنها تكايسًا، وتحذلقًا في الكلام،فوقفوا في ظلمة الاغترار،هذا علمهم، ورأس مالهم (ص٨٠).

١٩ - **التقوى**: إذا ساروا في ميدان المتقين؛ انقبضوا، واعتزلوا الخلق، ونظروا إليهم بعين الازدراء والاحتقار،مستخفون بهم، وبحقوقهم، مكفهرون في وجوههم (ص٨٣).

٢٠ - **قبول الهدايا** عند التوسط بين الناس والتحاكم إليهم (ص١٠٤).

وورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم الآتية:

١ - **الكيِّس**: هو الشخص الذي يستقيم سلوكه وأخلاقه واعتقاده. وقد وصف الرسول ﷺ الكيس بأنه: من دان نفسه وعمل لما بعد الموت (ص٥).

٢ - **الكياسة**: النظر في الأمور، وحدة النظر في دقائق الأمور، ولطائف العوارض، حتى يزن الأمور بعضها ببعض، فينال بذلك وقارة الأمور ويتعرف جواهرها، حتى يضعها مواضعها، ويتحين أوقاتها، فمن كان بهذه قل ما يُغبن؛ لأنه يستعمل هذه الأشياء

في أعمال الآخرة (ص٥).

٣ - **المغتر**: هو الذي لا يستقيم له سلوك،أو أخلاق، أو اعتقاد. لا يستقيم له أحد هذه الثلاثة، أو لا تستقيم له جميعًا، ويُلبس عليه طريق الحق والدين، ويُزين له طريق الغرور فيراه حسنًا. والمغتر هو الذي يلبس عليه طريقه في أمره ودينه بقدر ما يلبس عليه (ص٥، ٦).

٤ - **المتأولون**: من يُحمِّلون ظاهر الألفاظ فوق ما تطيق، وكذلك الذين يُعرِّفون - بغير مقتضىً أو تجويز أو دليل شرعي - الألفاظ عن ظاهرها إلى معانٍ بعيدة تتعارض مع الأصول الثابتة المتفق عليها (ص٢٦).

٥ - **الأحاديث المتواترة**: هي ما رواها في كل عصر منذ عصر الصحابة جمع يصعب تواطؤهم على الكذب، لكثرتهم وتباعد أماكنهم(ص٢٩).

٦ - **الشرك**: هو التعلق بالشيء، مأخوذ من الشرك وهو الذي يُصاد به (ص٣٦).

٧ - **الرهبنة**: مشتقة من « الرهبة » لما فضُل عن المقدار وأفرط فيه(ص٣٩).

٨ - **غمرات**: جمع غمرة وهي الشد، وغمرات الفساد شدته وتفاقم أمره (ص٥٠).

٩ - **النهمات**: جمع مفرده نهمة وهي مطلوب النفس والشهوة (ص٥١).

١٠ - **الحرَدَ بالتحريك**: الغضب. والحريد هو المنبوذ وحرد أيضًا بمعنى غضب (ص٥٥).

١١ - **الكتاب**: الحروف المنظومة، والكتب النظام منه سميت الكتبة؛ لأنها تتبع بعضها بعضًا(ص٥٩).

١٢ - **الستوق** بفتح السين المهملة وضمها: الزيف والبهرجة، وكل ما كان على هذا المثال مفتوح الأول، إلا أربعة أحرف جاءت نوادر وهي: سبوح، وقدوس، وذروح، وستوق، فإنها تُضم وتُفتح (ص٦٠).

١٣ - **التبرم**: السآمة.يُقال تبرم به أي سئمه(ص٦٤).

١٤ - **التكايس**: اصطناع الكياسة عندما لا تكون عالقة بفطرة المغرور(ص٨٠).

١٥ - **شره النفس**: حدتها وشدة غضبها وثوراتها (ص٨٢).

١٦ - **الاكفهرار**: الكلوح والعبوس(ص٨٣).

١٧ - **التقوى**: طهارة القلب، وطهارة الصدر (ص٨٣).

١٨ - **المُنيب**: من أقبل على اللّه في وقت تناولها النعيم (ص٩١).

١٩ - **الزيوف**: جمع زيف وهو الخداع (ص٩٦).

ويتسم الأكياس وفقًا لتصور المؤلف بالخصال والأفعال الآتية:

١ - يقبلون على تعظيم أمر اللّه (ص٤٠).

٢ - يجتهدون في أداء الفرائض (ص٤٠).

٣ - يعرضون عن حديث النفس (ص٤٠).

٤ - يقبلون على حفظ الجوارح أثناء الصلاة (ص٤٠).

٥ - يتدبرون آيات القرآن الكريم أثناء تلاوتهم له(ص٤٠).

٦ - الرشد منهم مأمول(ص٦٤).

٧ - الكبر منهم مأمون (ص٦٤).

٨ - لا يتبرمون ممن يطلب الحوائج قبلهم (ص٦٤).

٩ - التواضع إليهم من الشرف(ص٦٤).

١٠ - الذل أحب إليهم من العز(ص٦٤).

١١ - يستقلون كثير المعروف من أنفسهم(ص٦٤).

١٢ - يستكثرون قليل المعروف من غيرهم(ص٦٤).

١٣ - نصيبهم من الدنيا القوت(ص٦٤).

١٤ - لا يسأمون من طلب العلم طوال أعمارهم (ص٦٤).

١٥ - يرون جميع الناس خيرًا منهم (ص٦٤).

١٦ - وهم يتسمون بحدة العقل، ومطالعة الفهم، وغزارة العلم (ص٩٢).

خلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الكيس. **- الكياسة.**

- المغتر. **- المتأولون.**

- الأحاديث المتواترة.
- الرهبنة.
- النهمات.
- الكتاب.
- التبرم.
- شره النفس.
- التقوى.
- الزيوف.
- الشرك.
- غمرات.
- الحرد بالتحريك.
- الستوق بفتح السين المهملة وضمها.
- التكايس.
- الاكفهرار.
- المُنيب.

القائم بالعرض

د.عبير محمد أنور

* * *

العشر مقالات في العين



○ تأليف/ ابن إسحق حنين (١٩٤هـ - ٢٦٤ هـ).

○ القاهرة: المطبعة الأميرية (١٩٢٨م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد أبو يزيد حنين بن إسحق العبادي سنة (١٩٤هـ) في الحيرة بالعراق من أب نصراني نطوري كان يشتغل بالصيدلة، درس الطب بادئ الأمر في أكاديمية الطب المشهورة في سابور. أجاد أربع لغات: الفارسية، واليونانية، والعربية، والسريانية التي هي لغته الأصلية. لما ذهب إلى بغداد حوالي سنة (٢١١هـ) دخل في خدمة جبرائيل بن بختيشوع أشهر أفراد عائلة بختيشوع التي كان أفرادها أطباء البلاط.

ترجم إلى السريانية وهو في السابعة عشرة من عمره كتاب جالنيوس أصناف الحميات، ثم كتابه في « القوى الطبيعية ». قام برحلات طويلة جاب فيها أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر سعيًا وراء الحصول على المخطوطات العلمية اليونانية. تحسنت ترجمته بعد أن بلغ سن الثلاثين. كان حنين متطببًا ممتازًا، اتصف بمهارته الخاصة في معالجة أمراض العين، ولكن أهم جانب من حياته العلمية هو تراجمه التي من بينها كل مصنفات جالنيوس التي بلغت حوالي (٩٥) كتابًا، وترجم إلى الغربية (٣٩) كتابًا منها « كتاب الفصول » و « كتاب الكسر » و « كتاب الخلع ». توفي سنة (٢٦٤هـ).

عرض الكتاب:

يقع المجلد في (٤٤٩) صفحة من القطع الكبير؛ تنقسم إلى كتاب باللغة العربية يقع في (٢٢٢) ملحق بها فهارس لأسماء الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الكتاب؛ بالإضافة إلى نسخة باللغة الإنجليزية تقع في (٢٢٧) صفحة مشتملة على فهارس منها معجم خاص بالاصطلاحات الطبية التي وردت في الكتاب.

يشير الكتاب في مضمونه إلى عشر مقالات في العين.

تتناول **المقالة الأولى طبيعة العين وتركيبها**. قدم ابن إسحق فيها شرحًا مفصلًا للعين

وتركيبها. وهو ما يدخل في نطاق الإحساس **Sensation** وبين أن العين تتكون من ثلاث طبقات: طبقة شبيهة بالشبكة تسمى **الحجاب الشبكي Retina** يليها **شبيهة المشيمة**، ويطلق عليها **الطبقة المشيمية Choroid Secondine-like Tunic** (ص٧٤)، والطبقة الثالثة وهي صلبة جاسية؛ يعنى بها **الغشاء والصلب (Sclerotic Hard Tunic (of the eye**. ومن الأمام في مقابل ذلك توجد ثلاث طبقات: العتبية وعلى هذه الطبقة طبقة ثانية شبيهة بالذيل وجدت كالصفائح سميت **القرنية Cornea**، وتحيط بها طبقة من الخارج لا تغشيها تسمى الملتحم **Connecting Tunic Conjunctiva** (ص٧٥).

وبين أن الدماغ هي عين كل حس وكل حركة؛ أي أن الدماغ هو المهيمن على الحس والحركة **فمراكز الحس Sensory Center** تقع في الدماغ (ص٧٧). كما بين أن على الدماغ حجابين حجاب لين والآخر غليظ صلب؛ فالطبقة الرقيقة شبيهة بالمشيمة لكثرة ما فيها من الأوردة والعروق. أعقب ذلك شرح الجفن، وبين أن الجفون تحتاج إلى عضلات لتحركها، وأن بالعين تسع عضلات.

جاءت **المقالة الثانية في طبيعة الدماغ ومنافعه** أشار إلى أن من يحدد طبيعة العين عليه أن يعرف طبيعة الدماغ ويكون عالمًا بها. وبين أن الدماغ يحد بحدين أحدهما من الطبع والحد الآخر من فعله والحاجة إليه، وأن من أعمال الدماغ **الحس Sensation والحركات الإرادية Voluntary Movement**. وأن للعصب الذي يخرج من الدماغ ضربين منه صلب ومنه لين، والصلب ضربان منه ما ينبت من الدماغ نفسه، ومنه ما ينبت من مخ الصلب وهو **النخاع Spinal Cord** (ص٨٤) وهو ما ينتقل عبره النبضات العصبية إلى عضو الحركة، أما العصب اللين فإن به يكون الحس.

كما أشار إلى أن من حركات الدماغ **التخيل Imagination، والتفكير Thinking، والتذكر Memorizing** (ص٨٧). وبين كيف يختلف الأفراد في حالة ودرجة حرارة الدماغ لديهم وأن ذلك من شأنه أن يؤثر على شخصية الفرد. فمن كانت دماغه باردة كان تفكيره أثبت، وأن من كان مزاج دماغه حارًّا لم يكن له رأى ثابت؛ أي أنه شخص يتسم بالتردد؛ **فالحالة الانفعالية للفرد Emotional state** لها أساس فسيولوجي (ص٨٧) يبدأ من الدماغ.

تناولت **المقالة الثالثة أمر البصر**. وشرح هنا عصب البصر وما المشترك والمختلف بينه وبين غيره من الأعصاب، وأن هناك عصبين بصريين يخرجان من الدماغ ليصلا إلى

العينين، وأن منشأهما مقدمة الدماغ **Frontal Lobes** أو الفصوص الجبهية (ص٨٩) وجوهرهما لين؛ أي أنهما يختصان بنقل النبضات العصبية الحسية من عضو الإبصار إلى الدماغ، وأشار إلى أن هذين العصبين يتصلان في نقطة عند الأنف ثم يفترقان مرة أخرى إلى أن يصل كل منهما للعين المختص بها. وأهمية ذلك أنه في حالة غمضت العين الواحدة منهما في وقت من الأوقات أو عميت يجري ويصير الإبصار إلى الأخرى.

ويشير إلى أن الروح الباصر منفعته في فعل البصر أبلغ منفعة، وأن هذه الروح النفسانية التي تصير إلى بطن الدماغ المقدمين، فينضج هناك ويرق ويلطف ويتهذب وهو ما يمكن أن يكون إشارة إلى **الإدراك الحسي Sensory Perception** (ص٩٨).

أما في ذكر أمر البصر كيف يكون فقد تم شرح كيف يتم الإبصار، وأنها تبدأ بأن يرسل الجسم شيئًا منه إلينا فيدلنا به على نفسه، أو يلبث في موضعه على ما لم يزل وتذهب منا إليه قوة الحس فتعرفه بها ما هو، وثالثًا أن يكون ها هنا شيء آخر عندنا وعنده واسطة فيما بيننا وبينه هو الذي يأتينا بمعرفته حتى نعلم ما هو، وتؤدي رؤية الشيء إلى إصدار نبضات عصبية ينقلها العصب الحسي حتى تصل إلى الدماغ، وبين أن أول وأقدم محسوسات البصر هو حس الألوان ويقصد به **إدراك الألوان Color Perception**، وأن البصر لا يحس اللون فقط ولكنه يحس الجسم الملون نفسه من حيث مقدار عظمه وشكله **Shape Perception** وأيضًا وضعه والمسافة **Distance Perception** بينها وبينه وتتعرف أيضًا على حركته **Movement Perception** (ص١٠٨).

تناولت المقالة الرابعة جملة ما يضطر إلى معرفته من أراد شيئًا من علاج الطب وعرف الطب والصحة، وأنها تعني حفظ الصحة في الأبدان الصحيحة وردها إلى الأبدان السقيمة بما ضاد أسقامها.

وبين أن ما يؤثر على صحة ومزاج البدن منه ما يؤثر على مزاج البدن ككل، أو على واحد من الأعضاء وهيئته وعلل المزاج أربعة: الغريزية والسن والعادة والهواء. وبين أن العادة تكون في ستة أشياء: الهواء وتغيره، والحركة والسكون، والغذاء وعدمه، والنوم واليقظة، والجماع وعدمانه والآلام النفسية والتي عني بها **العوارض النفسية أو Psychological Symptoms** (ص١١٣). وبين أن أجناس الأمراض ثلاثة؛ وذلك لأن ضروب التركيب في البدن ثلاثة: **الأول** منها تركيب الأعضاء البسيطة من الأركان ويحدث فيه جنس من الأمراض يقال له بسيط إما حر وإما برد. **والتركيب الثاني** تركيب

الأعضاء المركبة من الأعضاء البسيطة ويحدث فيه جنس من الأمراض يقال له: المرض المركب، **والتركيب الثالث** فهو تركيب البدن كله واتصاله عن الأعضاء البسيطة والمركبة وأنواعها، فأكثر علل الأمراض البسيطة منها ما يفعل المرض الحار وهي ستة منها إفراط حركة إما من النفس أو البدن ويعني به **Hyperactivity** (ص١١٥).

أما **المقالة الخامسة فكانت في علل الأعراض الحادثة في العين**. وأن الأعراض التي تحدث في البصر، إما من آفة تدخل على آلة البصر، وإما من آفة قوة البصر، وإما من آفة فيما يخدم البصر، وإما بانحلال الفرد ويعنى به **انفصال الاتصال**. وبين أجزاء العين المختلفة وما يمكن أن يصيب كل منها من أمراض، فمنها ما قد يصيب الحدقة، والقرنية وكذلك في الرطوبة البيضية، وبين أن الآفة التي تصيب الحدقة من القرنية تضر بالبصر.

وعرضت **المقالة السادسة في علامات الأمراض التي تحدث في العين**، منها أمراض الملتحم كالطرفة، والظفرة، والرمد، وشرح طبيعة كل مرض منها ثم تناول أمراض الجفن ومنها الجرب والبرد والتحجر، وأمراض المآق كالغرب والغدة والسيلان، وأمراض القرنية ومنها القروح والأثر.

أشارت **المقالة السابعة لجميع قوى الأدوية المفردة عامة** وأن أدوية الجسم بشكل عام تأتي من النبات والثمار، وأن طبع هذه الثمار من طبع شجرته، وبتمادي الثمار على شجرته منه ما يرطب ويقبل مع عفوصته حموضة، ثم أنه يتغير عن ذلك قليلًا قليلًا حتى يستكمل فيصير في وقت استكماله إلى الحلاوة، وذكر قوى الأدوية وبين أن منها الأوائل ومنها ثواني ومنها ثوالث؛ فالأوائل: أربعة الحار والبارد والرطب واليابس، ولكل واحد من هذه أربع درجات وفي كل درجة ثلاثة مواضع أول وآخر ووسط، فما في الدرجة الأولى هو ما غير البدن عن الاعتدال إلا أنه لم يغيره تغييرًا بينًا فيحتاج في تغييره له إلى البرهان، وما في الدرجة الثانية هو ما غيره تغييرًا بينًا ليس بشديد، وما في الدرجة الثالثة هو ما غيره تغييرًا شديدًا ليس بمفسد، وما في الدرجة الرابعة هو ما غيره تغييرًا مفسدًا. والحار يفسد بالإحراق، والبارد بالخدر. وكل ما هو في الدرجة الرابعة من اليبس فإنه أيضًا يحرق.

تناولت **المقالة الثامنة منه أدوية العين وأجناسها وفنون استعمالها**، وبين أنه ينبغي لمن أراد معرفة علاج أمراض العين أن يكون عارفًا بقوى الأدوية التي تعالج بها، وفي أية علة يستعمل كل واحد منها وأجناسها وأنواعها، وأن أدوية العين منها من النبات ومنها من

المعادن ومنها من الحيوان وبين أمثلة لكل منها. وأجناس الأدوية سبعة مسدد ومفتح وجلاء ومعفن وقابض ومنضج ومخدر.

فالأدوية المسددة تصلح للسيلان والثانية الفتاحة للسد المحللة تصلح للبثر والمدة في القرنية، والثالثة التي تجلو تصلح للقروح، أما المعفنة فتصلح لقلع الخشونة والجرب، والقابضة تصلح للرمد والقروح والبثور والمنضجة للأورام وسائر آلام العين، أما المخدرة ففي حالة إفراط الوجع.

بينت المقالة التاسعة لعلاج أمراض العين وعرض هنا لكل الأمراض التي تناولها في المقالة السادسة وبين أسباب المرض، وكيفية علاجه كما أفرد بابًا لعلاج الرمد.

أما المقالة العاشرة فعرضت للأدوية المركبة المذكورة في المقالة التاسعة التي ألفها القدماء للعلل الحادثة في العين، وعرض فيها للوصفات المركبة التي عرفها الأقدمون واستخدموها لعلاج أمراض العيون المختلفة ومنها ما يسمى قليماكس وآخر بالمامثيا وغيرها من الوصفات المركبة من مواد مختلفة وتمثلت في (٣٦) وصفة علاجية لأمراض العين.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الإحساس Sensation.**
- **الحجاب الشبكي Retina.**
- **الطبقة المشيمية Choroid Secondine-like Tunic.**
- **الغشاء والصلب (Sclerotic Hard Tunic (of the eye.**
- **القرنية Cornea.**
- **الملتحم Connecting Tunic Conjunctiva.**
- **مركز الحس Sensory Centre.**
- **الحركات الإرادية Voluntary Movement.**
- **النخاع الشوكي Spinal Cord.**
- **التخيل Imagination.**

- التفكير Thinking.
- التذكر Memorizing.
- الحالة الانفعالية Emotional State.
- الفصوص الجبهية Frontal Lobes.
- الإدراك الحسي Sensory Perception.
- إدراك الألوان Colours Perception.
- إدراك الشكل Shape Perception.
- إدراك المسافة Distance Perception.
- الأعراض النفسية Psychological Symptoms.
- إفراط حركة Hyperactivity.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

العقل وفضله



- تأليف/ ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن عبيد (٢٠٨هـ - ٢٨١هـ)
- تحقيق/ لطفي محمد الصغير.
- الرياض: دار الراية (١٤٠٩هـ).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٧٠) صفحة، تشير في مجملها إلى العقل وفضله وأهميته.

يبدأ الكتاب بتوضيح أن العاقل مصيره إلى الجنة، وأنه حازم في أموره، وأشار إلى فضل مجالسة وجه الناس، وأن مروءة المؤمن في عقله وذكر فيها أنه حسب المرء دينه، وأصله، وعقله، ومروءته، وخلقه.

كما أشار إلى أن أصحاب الأبصار هم أصحاب العقل، وتساءل هل إسلام المرء يتوقف على عقله؟ وكيف عقله؟ وأن الناس يرتفعون ويعملون الخير على قدر عقولهم، وأنه يفلح من يجعل اللّه له عقلًا. وتساءل مرة أخرى هل الجزاء يوم القيامة على قدر العقل؟

بين أيضًا أن أعلم الناس أعقلهم، وأفضل العبادة بالعقل، وأصحاب الشهادة هم أصحاب العقول، وهم من جاء ذكرهم في القرآن بأصحاب العدل. وأشار إلى أن اللّه جل جلاله يكرم العاقل، ومن صفات العاقل مداراة الناس.

عرض أيضًا للحقوق الواجبة على العاقل، وأن عليه ألا يغفل أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه يخبرونه بعيوبه، وساعة يخلو فيها بين نفسه وبين لذاتها.

وبين أن الرجل ثلاثة أنواع: عاقل، وأحمق، وفاجر. وأن القرآن نذير العقلاء، وأن

الناس يتفاضلون بالعقل، وغاية السؤدد حسن العقل. وأشار إلى أن أقسام العقل اثنان: عقل تجارب، وعقل نحيزة، والعاقل من يغلب حلمه جهله، والعاقل من عقل أمر اللَّه، والعقل هو التجارب.

وأن هناك ثلاث صفات من علامات الصلاح، وبين أن هناك سمة **Trait** (ص٤٤) إن نقصت من الرجل كانت وصمة عليه في صلاحه. وأشار إلى أن طول النظر في الحكمة يزيد في العقل، وبين أن طول النظر في الحكمة يعد تلقيحًا للعقل. وبين أن العاقل لا يعتقد في رأيه ما لم يقايس به أولو الألباب من إخوانه، وهنا إشارة إلى مفهوم **الحكمة Wisdom** (ص٤٥). وبين فضل اجتماع الآراء. كما أشار إلى أن دعامة العقل الحلم، وعرض لحال العقل في آخر الزمان.

كما أن حديث العاقل أحلى من الشهد، وأن طلب العلم من أصحاب العقل عبادة، وأن العاقل يتبع الخير ويترك الشر، كما أشار إلى فضل الفعل على المقال، وأن الجاهل هو الغريب بين الناس، ولا خير في علم بلا عقل. وتساءل هل للعقل راحة؟ وبين أن حسن السؤال يزيد في العقل، وأن القلوب أوعية والعقول معادن فما في الوعاء ينفد إذا لم تمده المعادن، وفي ذلك إشارة لتأثير الأفكار، سواء كانت **عقلانية Rational** **أو لا عقلانية Irrational** (ص٥٥) على سلوك الفرد ومشاعره.

وأشار إلى أن التودد إلى الناس نصف العقل، وبين أن أنواع الرجال ثلاثة: رجل عاقل إذا أقبلت الأمور واشتبهت يأمر فيها أمره وينزل عند رأيه، وآخر ينزل به الأمر فلا يعرفه فيأتي ذوو الرأي فينزل عند رأيهم، وآخر حائر لا يأمر رشدًا ولا يطيع مرشدًا.

ووصف الخليل بن أحمد للناس، وأشار إلى دعاء المنصور بن المعتمد. وأظهر شر الأحمق والبخيل. وبين أقسام العقل وهي ثلاثة: حسن المعرفة باللَّه، وحسن الطاعة له، وحسن الصبر على أمره.

وانتهى الكتاب بأقوال الحكماء عن العقل والعاقل. وسئل الحكماء عن العقل فأشاروا إلى أمرين صحة الفكر في الذكاء والفطنة، والآخر حسن التمييز وكثرة الإصابة وهو ما يعد من عناصر مفهوم الذكاء **Intelligence**.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- سمة **Trait**.
- الحكمة **Wesdom**.
- الأفكار العقلانية **Rational Thoughts**.
- الأفكار اللاعقلانية **Irrational Thoughts**.
- الذكاء **Intelligence**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

عيوب النفس



- تأليف/ السلمي أبي عبد الرحمن (٣٣٠هـ - ٤١٢هـ)
- تحقيق/ مجدي فتحي السيد.
- طنطا: دار الصحابة للتراث (١٩٩٣م)، (ط٢).

* * *

التعريف بالمؤلف:

محمد بن الحسين بن موسى بن خالد بن سالم بن راوية العربي الأصل المعروف بأبي عبد الرحمن السلمي، ولد سنة (٣٣٠ هـ). من شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم وطلب منهم العلم الإمام الحافظ الدارقطني. أما عن تلاميذه الذين حملوا علمه، فقد حمل عنه الحافظ البيهقي، والشيخ القشيري صاحب الرسالة. من مؤلفاته « طبقات الصوفية »، و « تاريخ أهل الصفة ». توفي سنة (٤١٢هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٥٩) صفحة من القطع المتوسط مشتملة الفهارس. **وينقسم الكتاب إلى جزئين؛ الأول العيوب التي تصيب النفس**، وكيفية مداواتها وعلاجها والتخلص منها، **والجزء الثاني وصايا إلى عبد الرحمن السلمي.**

وذكر **أول عيب من عيوب النفس ألا وهو توهم النجاة**، وكيف للنفس التي أطلقت لنفسها الشهوات أن تنجو وأن المداواة تأتي بملازمة البكاء، ويمكن اعتبار هذا الأسلوب أحد الأساليب العلاجية **في التخفف من الكدر** **Coping with Distress** (ص٧)، وأن ذلك يساعد على التخفف من الشحنة الانفعالية.

من عيوبها **أيضًا استكشاف الضر ممن لا يملكه**، ومداواته الرجوع إلى صحة الإيمان.

أما العيب الثالث ففي الفتور في الطاعة والكسل عن أدائها، وخلاص ذلك دوام الالتجاء إلى اللّه تعالى وملازمة ذكره وقراءة كتابه.

أما العيب الرابع فيكمن في أن النفس لا تألف الحق، ومداواته الخروج منها بالكلية إلى ربها.

وتمثل **العيب الخامس في تألف الخواطر الرديئة**، وهنا إشارة إلى **الأفكار اللاعقلانية Irrational Thoughts** (ص١٠) والتي أشار إلى أنه في حالة عدم تداركها تصبح وسوسة وهو ما يمكن الإشارة إليه **باضطراب الوسواس القهري Obsessive Compulsive** (ص١١)، وتناول كيفية وأساليب معالجتها والسيطرة عليها من مجاهدة واستحضار العقل والبيان.

وسادس هذه العيوب الغفلة والتواني، وأن مداواتها رؤية فضل اللّه على الفرد في جميع الأحوال مما يسقط عنه رؤية النفس.

وتمثل **السابع في الاشتغال بعيوب الناس** ومداواتها السكوت عن عيوب الناس ليستر اللّه عيوبه.

أما **العيب الثامن فكان الاشتغال بتزيين الظواهر** وأن مداواتها في الاشتغال بحفظ الأسرار ليزين أنوار باطنه أفعال ظاهره. ومن **عيوبها أيضًا الكسل** وعلاجه في تجويعها؛ لأن ذلك من شأنه أن يضعفها فيتغلب القلب عليها.

ثم جاء **العيب التاسع متمثلًا في عيب الرئاسة بالعلم والتكبر** وعلاجها التزام التواضع والانكسار والشفقة على الخلق.

عرض **العيب العاشر من عيوب النفس لكثرة الكلام** وعلاجه في أن النفس مأخوذة بما تتكلم به، وأنه مكتوب عليه ومسؤول عنه.

أما **العيب الحادي عشر ففي الرضا عند المدح والغضب عند الذم** وعلاجها تعويد النفس على الصدق والحق.

وجاء **كثرة التمني ممثلًا للعيب الثاني عشر** وعلاجه في الفرد لا يعرف ما يعقب التمني أيجره إلى خير أم شر؛ لذلك عليه بالتسليم والرضا ليستريح.

أما **العيب الثالث عشر ففي الخوض في أسباب الدنيا** ومداواتها الاشتغال بالفكر الدائم في كل الأوقات ليشغله ذلك عن ذكر أهل الدنيا والخوض فيما هم فيه.

ثم **العيب الرابع عشر في الطمع** ومداواته أن طمعه يدخله الرياء لينسيه حلاوة العبادة.

أما **العيب الذي يليه - الخامس عشر - فهو الحرص على عمارة الدنيا** ومداواتها أن يعلم أن الدنيا ليست بدار قرار وأن الآخرة دار مقر.

ثم جاء **العيب السادس عشر في الشفقة على النفس** ومداواتها اتهام النفس دائمًا أنها

أمارة بالسوء وحسن الظن بالخلق.

أما العيب السابع عشر ففي رغبة النفس في الانتقام لها والخصومة عنها، ومداواتها عداوتها وبغضها ومحبة الدين والغضب لارتكاب المناهي.

ومن **عيوبها – الثامن عشر – الاهتمام بالرزق**، ومداواته أن يعلم أن اللّٰه الذي خلقه ضمن له كفاية الرزق.

وعيبها التاسع عشر في كثرة الذنوب، ومداواتها كثرة الاستغفار والتوبة في كل نفس ومداومة الصيام.

أما **العيب العشرون ففي اتباع الهوى**، ومداواتها اتباع أوامر السنة في نهيه عن اتباعها للهوى.

كما جاء **العيب الحادي والعشرون في الأنس بالطاعة**، ومداواتها أن تعلم أفعالها وإن أخلصها، فهي معلومة بأن أفعالها لا تخلو من العلل.

ومن **عيوبها أيضًا – العيب الثاني والعشرون – الأمن من مكر الشيطان** ومداواته التضرع إلى اللّٰه.

وتمثل **العيب الثالث والعشرون في قلة الاعتبار**، ومداواته دوام الخشية.

ومن **عيوبها أيضًا قلة المعرفة بالأمر**، ومداواتها أن يعلم أنه مأمور من جهة الحق ليحمله فرح ذلك على النشاط.

وجاء **العيب الخامس والعشرون من عيوب النفس تضييع الأوقات فيما لا يعنيه** ومداواتها أن يعلم أن وقته أعز الأشياء عليه.

ومن عيوب النفس **العيب السادس والعشرون وجاء في الغضب والكذب**. وأشار هنا إلى الغضب **Anger** (ص٢٩)، ومداواتها حمل النفس على الرضا بالقضاء؛ لأن الغضب جمرة من الشيطان.

ومن **عيوبها الشح والبخل**، وهما من نتائج حب الدنيا، ومداواتها أن يعلم أن الدنيا فانية، وأن حلالها حساب وحرامها عذاب.

أما **العيب الثامن والعشرون فجاء في الحرص والحسد**، ومداواته الحرص أن يعلم أنه لا يستجلب بحرصه زيادة ما قدر اللّٰه من رزقه. أما الحسد فمداواته أن يعلم أن الحسد عدو نعمة اللّٰه.

والعيب التاسع والعشرون فكان في الإصرار على الذنب ومداواتها أن يعلم أن اللّه أوجب مغفرته لمن لا يصر على الذنب.

أما العيب الثلاثون ففي الغفلة ومداواتها أنه ليس بمغفول عنه وأنه محاسب.

وأخيرًا من عيوبها رؤية فضله على إخوانه ومداواتها العلم بنفسه وحسن الظن بأقرانه ليحمله ذلك على احتقار نفسه، ثم تناول الرخيص بالشبهات ومداواتها الإقصاء على نفسه في عثرة تقع به أو زلة وأمثالها. وأشار إلى أن النفس حين تقتاد لارتكاب سلوك شاذ ما أو هفوة ما، ولا يعمد إلى مداواتها يحدث اعتياد للنفس على هذا السلوك ويصبح لديه عادة **Habit** (ص٣٦). وأخيرًا الاغترار بالكرامات ومداواتها أن يعلم أن أكثرها اغترارات واستدراج.

أما الجزء الثاني فوصية أبي عبد الرحمن السلمي، وأشارت البداية إلى أن الفرد قد يصيبه الكدر **Distress** (ص٤١) وأن علاجها الرجوع إلى اللّه.

وأولى وصاياه عدم الدخول على السلاطين، ثم عدم ازدراء نعم اللّه، ثم مطالبة النفس بما هو أولى والإخلاص في العمل والتصرفات والإكثار من الاستغفار، وحذر من حب الدنيا وأمر بطاعة الوالدين وصلة الأرحام. وهنا توصيته بالإحسان إلى الوالدين وهو أحد مبادئ الإرشاد الأسري **Family Counseling** (ص٤٧، ٤٨)، وأن ذلك من شأنه حسن صلاح العائلة.

كذلك أوصى وأشار إلى فضل حسن الجوار، وأشار إلى إكرام الجار والإحسان له وهي توصية تدخل في نطاق مجال العلاقات الاجتماعية **Social Relationship** (ص٤٨) والتي من شأنها أن تقوي هذه الأوامر وتعززها.وأشار أيضًا في هذا المجال إلى ضرورة مقابلة القطيعة بالوصل، والإساءة بالإحسان، والظلم بالصبر والغفران **Forgiveness** (ص٤٩) وهو ما يمثل مبدأ من المبادئ الحديثة في علم النفس الإيجابي.

أما الوصية التي تلتها فكانت في التزام الرفق، ثم إنصاف الخلق من نفسك، وذكر اللّه، ثم أخيرًا إسداء النصح لكل مسلم.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- التخفف من الكدر **Coping with Distress**.

- الأفكار اللاعقلانية **Irrational Thoughts**.
- الوسواس القهري **Obsessive Compulsive**.
- الغضب **Anger**.
- عادة **Habit**.
- الكدر **Distress**.
- الإرشاد الأسري **Family Counseling**.
- العلاقات الاجتماعية **Social Relationship**.
- الغفران **Forgiveness**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

غاية المرام في علم الكلام



- تأليف/ الآمدي سيف الدين.
- تحقيق/ حسن محمود عبد اللطيف.
- القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي (١٩٧١م)، (ك٢٤).

* * *

التعريف بالمؤلف:

علي بن أبي علي بن محمد بن سالم ولقبه سيف الدين، والآمدي نسبة إلى موطنه الأصلي، ولد سنة (٥٥١هـ) في مدينة آمد بشمال العراق، استكمل دراسته في بغداد وتعلم على يد « جمال الدين أبو القاسم يحيى أبو الفضل الشافعي »، وتلقى دروسًا في الفلسفة، واتجه إلى الشام وواصل دراساته الفلسفية فيها، ثم انتقل إلى مصر عام (٥٩٢هـ)، ولنبوغه دبرت له المؤامرات فخرج من مصر بعد عشرين عامًا، وعاد إلى الشام، وأهم كتبه بها هي « دقائق الحقائق » في المنطق، و « أبكار الأفكار » في علم الكلام. ثم انتقل إلى دمشق واهتم بعلم أصول الفقه وأصدر كتابين هما « الإحكام في أصول الأحكام » و « منتهى السول في علم الأصول »، وتوفي في سنة (٦٣١هـ).

عرض الكتاب:

يتكون من (٤٦٠) صفحة من القطع الكبير، يبدأ بتصدير رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامي الناشر لذلك الكتاب وهو « محمد أبو الفضل إبراهيم »، وتحدث فيها عن علم الكلام، وتعريف « ابن خلدون » له بأنه « علم يتضمن الحج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة وهو غاية رسالة سيدنا محمد »، وتحدث عن كتاب « بلوغ المرام في علم الكلام »، وأنه نسخة وحيدة، وأنها من نفائس المخطوطات بمكتبة إسطنبول. تلي ذلك مقدمة المحقق، بدأت بالتأكيد على كتب التراث العربي والإسلامي وما فيها من أهمية لنهضة الثقافة والحضارة، وإضافة للرصيد العلمي، وأشار إلى أن الدراسات الكلامية

من أكثر جوانب التراث الإسلامي أصالة وخطرًا فهي أساس الفلسفة الفكرية له، ثم وصف المؤلف وعرض وصفًا تفصيليًّا للنسخة الأصلية من الكتاب، وبيان المنهج الذي اتبعه في تحقيقه، ثم تلى ذلك مقدمة المؤلف التي أوضح فيها أن غاية الإنسان الإلمام بالمعلومات، وتحصيل العلم وأن علم الكلام هو أشرف العلوم، **وأن الكتاب يتضمن ثمانية قوانين لكل منها عدة قواعد دينية.**

القانون الأول: في إثبات الواجب بذاته، ويتحدث عن طرق إثبات وجود موجود هو اللَّه، وفلسفة وجوده، وأن وجود الوجود يلزم وجود الموجود.

وذكر في (ص١٨) أن الإدراك يكون بالحواس أو بالنظر بمعنى أن معارف الفرد السابقة تحدد إدراكه للأشياء فقد يكون الإنسان عالمًا بقضية كلية وهو جاهل بما يدخل أسفلها بالجزئية أو غافل عن الارتباط الواقع بينهم.

القانون الثاني: في إثبات الصفات، وإبطال تعطيل من ذهب إلى نفيها من أهل المقالات، وأورد هنا وصف ما يتميز به الخالق عن المخلوقات وهل يجوز أن يكون له صفة زائدة، وهل الصفة نفس الوصف أم غيره.

وذكر في (ص٤٥) أنواع الاستقراء **Induction** معرفًا إياه بأنه البحث والنظر في جزئيات كل ما عن مطلوب ما، وهو إما تام أي أنه على جميع الجزئيات، أو ناقص أي أنه على بعض الجزئيات دون البعض.

وذكر في (ص٨٠) أن العلم بالكائنات عبارة عن انطباع صورها في النفس **Images**.

وتحدث عن صفة الكلام وأهمية الكلام ووظائفه، وذكر في (ص٩٢) أن كلام النفس ليس خارجًا عن القدرة والإرادة والتمييز الحاصل للنفس الحيوانية، والحواس الباطنية، وذلك كما تتصوره القوة الخيالية من شكل الفرس عن شكل الحمار ونحوه. وما تتصوره القوة الوهمية لشاة من المعنى الذي يوجب نفرتها عن الذئب، أو التمييز الحاصل للنفس الناطقة الإنسانية بالقوة النظرية التي بها إدراك الأمور الكلية بالفكرة والروية، وذلك كتصورنا معنى الإنسان من حيث هو إنسان، وكحكمنا عليه بأنه حيوان ونحوه.

وذكر في (ص٩٣) مراحل معالجة المعلومات كاملة « حيث يرى أن تميز الأشياء يبدأ بأن تنطبع أولًا الصورة الحسية الخارجية في إحدى الحواس الظاهرة الخمسة، ثم بتوسطها تنطبع في الحس المشترك، وهي القوة المرتبة في مقدم التجويف الأول من

الدماغ، على نحو انطباع الصور في الأجرام الصقيلة المقابلة، ثم بتوسطها في المصورة ثم في المفكرة ثم في الوهمية ثم في الحافظة، وبعض هذه القوى وإن لم يفتقر في الانطباع إلى حضور المادة كما في المصورة والمفكرة والوهمية والحافظة فهي بأسرها لا تنفك عن الانطباع عن علائق المادة، وأن إدراكها لا يكون إلا بانطباع الأشكال والصور الجزئية القابلة للتجزئة **Information Processing Model** ».

وذكر في (ص٩٧) أن إطلاق الكلام على ما في النفس.

وذكر في (ص١٢٥) تعريف للحواس المختلفة فعرف:

السمع: أنه قوة مرئية في العصبة المنبسطة في السطح الباطن من صمام الأذن، من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في مقعر صماخ الأذن عند وصوله إليه بسبب ما.

البصر: عبارة عن قوة مرتبة في عصبة مجوفة من شأنها أن تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من أشباح صور الأجسام بتوسط المشف.

الشم: عبارة عن قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ من شأنها إدراك ما يتأدى إليها بتوسط الهواء من الأرابيح.

الذوق: عبارة عن قوة مرتبة في العصبة البسيطة على السطح الظاهر من اللسان من شأنها إدراك ما يرد عليها من الطعوم بتوسط ما فيه من الرطوبة الغذائية.

اللمس: عبارة عن قوة منبثة في كل البدن من شأنها إدراك ما يرد عليه من خارج الكيفيات الملموسة وهي الحرارة والبرودة واليبوسة. (يتضح من تلك التعريفات ارتباطها **بعلم النفس الفسيولوجي Physiological Psychology**).

القانون الثالث: **في وحدانية الباري تعالى**. وذكر في (ص١٥٢) تعريف القدرة ليس معناها غير التهيؤ والاستعداد للإيجاد والإحداث، والعجز لا معنى له إلا عدم القدرة على الإحداث **Ability Deficiency**.

القانون الرابع: **في إبطال التشبيه وما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز** ويشتمل على قاعدتين أولًا ما يجوز على اللّه تعالى، والثانية ما لا يجوز عليه سبحانه.

وذكر في (ص١٦٦) تعريف الإدراك: أنه عبارة عن كمال ما يحصل به مزيد كشف على ما يخيل في النفس من الشيء المعلوم من جهة **التعقل بالبرهان** أو الإدراك

Perception.

وذكر في (ص١٧٤) تعريف الاستبصارات العقلية بأنها الشواهد والأدلة غير الحاسمة التي تقوي الدليل الأصلي اليقيني الذي لا بد منه في **المسائل العقلية Mental Proof**.

القانون الخامس: في أفعال واجب الوجود ويشتمل ثلاث قواعد: أولًا: أنه لا خالق إلا اللّه تعالى، وثانيًا: في نفي الغرض والمقصود عن أفعال واجب الوجود، وثالثًا: في حدوث المخلوقات وقطع تسلسل الكائنات.

القانون السادس: في المعاد وبيان ما يتعلق بحشر الأنفس والأجساد، وتحدث هنا عن رأي الفلاسفة الإلهيين والتناسخية ومذهب أهل الحق ورأيه في كل منها، والإيمان وعذاب القبر.

القانون السابع: في النبوات والأفعال الخارقة للعادات وناقشها في بيان جوازها في العقل وفي بيان وقوعها بالفعل.

وذكر في (ص٣١٨) أن الإنسان قلما يستقل بنفسه وفكرته وحوله وقوته في تحصيل أغراضه الدنيا ومقاصده الأخروية لا بمساعدة له من نوعه، وأن هذا أساس العلاقات والمعاملات بين الأفراد فيما يتعلق بتلبية الاحتياجات والحاجات. وينشأ عنها الانقياد والاستسخار من البعض للبعض، **التفاعلات الاجتماعية Social Interaction**.

القانون الثامن: الإمامة، موضحًا وجوب الإمامة وشروطها وما يتعلق بها، وبيان معتقد أهل السنة في إمامة الخلفاء الراشدين. وذكر في (ص٣٢٥) مفهوم أن من يحدث له عبوسة تغلب على مزاجه (الاكتئاب) تقل شواغله البدنية وتصرف عنه اشتغاله بمتعلقات حواسه الظاهرة، فيصير كالمبهوت، وحينئذ يرى من الصور ويسمع من الأصوات حسب ما يراه النائم في منامه، وإن كان مستيقظًا، وهو ما يراه بعض المرضى والمصروعين وصف حالة **اكتئاب Depression**.

ثم ينتهي الكتاب بمجموعة فهارس الكتاب وتتضمن فهرس الموضوعات، وفهرس الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية، والأبيات الشعرية، والأعلام، ثم الفرق والطوائف، ثم الأماكن والبلدان، ثم المصطلحات والمسائل، ثم مراجع التحقيق والمقدمة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

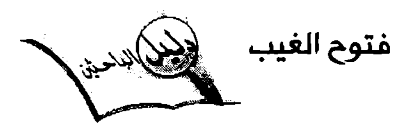
- الإدراك **Perception**.
- الصور العقلية **Mental Image**.
- أنواع الاستقراء **Induction**.
- مراحل معالجة المعلومات **Information Process**.
- القدرة **Ability**.
- العجز **Deficiency**.
- البرهان العقلي **Mental Proof**.
- التفاعلات الاجتماعية **Social Interaction**.
- الاكتئاب **Depression**.

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

فتوح الغيب



- تأليف/ الجيلاني محيي الدين عبد القادر.
- طبع على هامش كتاب « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار » للشطنوفي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

المؤلف هو « الجيلاني »، محيي الدين عبد القادر بن موسى جنكي دوست، ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ. ولد سنة (٤٧٠) هجرية؛ بجيلان، وهي بلاد وراء طبرستان، ودخل بغداد سنة (٤٨٨) هجرية، وعمره آنذاك ثمانية عشرة سنة، وتوفي سنة (٥٦١) هجرية، وعمره (٩١) سنة.

طبع كتاب « فتوح الغيب » لمحيي الدين عبد القادر الجيلاني، بطول الهامش الجانبي لصفحات كتاب الشطنوفي « بهجة الأسرار ومعدن الأنوار » الذي سبق عرضه، وعدد صفحاته (٢٣٨) صفحة وهو منشور بالقاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي سنة (١٣٣٠هـ).

عرض الكتاب:

يعرض الشيخ « عبد الرازق » - بن محيي الدين عبد القادر الجيلاني مؤلف الكتاب - أربعة وسبعين مبدءًا، فهمها من كتاب فتوح الغيب، ويذكرها هنا لمريدي الحق من الطلاب، وهذه المبادئ تعد أساسًا لإصلاح النفس وتعديل السلوك، والتقرب إلى اللّٰه تعالى واكتساب الخصال الحميدة، ومن هذه المبادئ ما يلي:

١ - لا بد لكل مؤمن من ثلاثة أشياء: أمر يمتثل به، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به.

٢ - يقول الشيخ اتبعوا ولا تبتدعوا، وأطيعوا ولا تمرقوا، ووحدوا ولا تشركوا، واصبروا ولا تجزعوا، واسألوا ولا تسأموا.

٣ - مواجهة الابتلاء: إذا ابتلي العبد ببلية تحرك أولًا في نفسه بنفسه، فإن لم يتخلص منها استعان بالخلق، فإن لم يجد في ذلك خلاصًا، رجع إلى ربه بالدعاء والتضرع.

٤ - الموت عن الخلق وعن الهوى: إذا مِتَّ عن الخَلق قيل: رحمك اللّٰه وأماتك عن

الهوى، وإذا مِتَّ عن هواك قيل: رحمك اللّه وأماتك عن إرادتك، وإذا مِت عن الإرادة قيل لك: رحمك اللّه وأحياك حياة لا موت بعدها، وتُغنى غنى لا فقر بعده، وتُعطى عطاء لا منع بعده.

٥ - في الزهد في الدنيا: إذا رأيت الدنيا في يدي أربابها بزينتها وخدعها، فكن كمن رأى منظرًا قبيحًا رائحته كريهة، فإنك تغض بصرك عن منظره وتسد أنفك عن رائحته، وهكذا كن في الدنيا إذا رأيتها، سد أنفك عما يفوح من روائح شهواتها ولذاتها فتنجو منها.

٦ - الفناء عن الخلق والهوى والإرادة: يقول افن عن الخلق بإذن اللّه، وعن هواك بأمر اللّه، وعن إرادتك بفعل اللّه، فيكون فناؤك عن الخلق باستغنائك عنهم، واليأس مما في أيديهم.

٧ - إذهاب غم القلب: يوصي بالاستغفار والتوبة في سائر الأحوال؛ لأن فيها اعترافه بذنبه. كما أنهما يؤديان إلى السكون ثم الهداية والأنوار الروحية **Spirituality**.

٨ - الرضا بالحال يؤدي إلى راحة البال **Well – Being**، وترك الالتفات إلى ما سواها، لأن قسم غيرك لا يصل إليك أبدًا، وقسمك قد وصل إليك.

٩ - الكشف والمشاهدة: يكشف للأولياء من أفعال اللّه ما يبهر العقول، وهي قسمان جلال وجمال؛ فالجلال والعظمة يورثان الخوف والوجل، أما الجمال فهو تجلي القلوب بالأنوار.

١٠ - التحكم في الأهواء: النفس « الشهوة » ضد اللّه وعدوه، والأشياء كلها تابعة للّه، والنفس خلق، ولها تمني وشهوة ولذة، فإذا وافقت الحق في مخالفة النفس كنت للّه خصيمًا على نفسك.

١١ - مواجهة الشهوة: إذا لقيت شهوة النكاح على الفرد، في حالة الفقر وعجز عن مؤنته فصبر منتظرًا الفرج من الباري ﷻ، إما بزوالها أو إقلاعها بقدرته التي ألقاها وأوجدها فيعينه ويصونه، أو بإيصالها إلى الفرد، سماه اللّه صابرًا راضيًا بقسمته فيزيده عصمة وقوة.

١٢ - النهي عن الانشغال بالمال عن طاعة اللّه: إذا أعطاك اللّه مالًا فاشتغلت به عن طاعته، حجبك به عن دنيا وأخرى، وربما سلبك إياه وأفقرك لاشتغالك بالنعمة عن

المُنعم، وإن اشتغلت بطاعته عن المال جعل لك موهبة ولم ينقص منه، وكان المال خادمك وأنت خادم المولى، فلتعش في الدنيا مدللًا وفي العقبى مكرمًا.

١٣ - الرضا بالنعمة والبلوى: لا يختار الفرد جلب النعماء ولا دفع البلوى، فالنعماء واصلة إليك إن كانت قسمك استجلبتها أو كرهتها، والبلوى حالة بك إن كانت قسمك مقضية عليك سواء كرهتها أو رفعتها بالدعاء، أو صبرت لرضى المولى، بل سلّم في الكل، فإن كانت النعماء فاشتغل بالشكر، وإن كانت البلوى فاشتغل بالصبر.

١٤ - اتباع أحوال المتقين: يوصي فيقول: « لا تَدّعِ حالة القوم يا صاحب الهوى، أنت تعبد الهوى وهم عبيد المولى، أنت رغبتك الدنيا ورغبتهم العقبى، أنت أنسك بالخلق وأنسهم بالحق ».

١٥ - التوجه إلى اللّه وحده: لا تسألوا الناس شيئًا بألسنتكم ولا بقلوبكم، توجهوا إلى اللّه وحده واعلَموا أن اللّه كل يوم هو في شأن، يرفع قومًا ويخفض آخرين، فخوف الذين رفعهم إلى عليين أن يحطهم إلى أسفل سافلين، ورجاؤهم أن يبقيهم ويحفظهم على ما هم عليه من الرفع وخوف الذين حطهم إلى أسفل أن يبقيهم ويخلدهم على ما هم عليه من الحط، ورجاؤهم أن يرفعهم إلى عليين.

١٦ - الاتكال على غير اللّه شرك: ما حجب الفرد عن فضل اللّه إلّا لاتكاله على الخلق والأسباب أو الصنائع، فما دمت قائمًا مع الخلق مترددًا إلى أبوابهم فأنت مشرك باللّه فيعاقبك بالحرمان.

١٧ - لا تشكو إلى أحد ما نزل بك، ولا تتهمن الرب ﷻ فيما فعل فيك أو أنزل بك من البلاء، بل أظهر الخير والشكر، فكذبك بإظهارك الشكر من غير نعمة عندك خير من صدقك في إخبارك جلية الحال بالشكوى من الذي خلا من نعمة اللّه.

١٨ - الأمر بوفاء الوعد: إذا وعدت بوعد فوف بوعدك، ولا تخلف كي لا يزول إيمانك.

١٩ - في قول الرسول ﷺ: « **دَعِ ما يريبك إلى ما لا يريبك** »: خذ بالعزيمة التي لا يشوبها ريب ولا شك، أي اتباع الفطرة والبعد عما يخالفها، ودع ما في أيدي الخلق، ولا ترجو الخلق ولا تخافهم، وخذ من فضل اللّه.

٢٠ - الابتلاء على قدر الإيمان: يقول الرسول ﷺ: « **إنّا معشر الأنبياء أشد الناس بلاء** »

ثم الأمثل فالأمثل؛ فاللّه يبتلي المؤمن على قدر إيمانه، فالرسول بلاؤه أعظم من الأولياء وهكذا فيديم اللّه البلاء لهم حتى لا يغفلوا عن اليقظة؛ لأنه يحبهم.

٢١ - في الرضا بما قسم اللّه تعالى: ارض بالدون وألزمه حتى يبلغ الكتاب أجله، فتنتقل إلى الأعلى، واعلم أن القسم لا يفوتك بترك الطلب، وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب.

٢٢ - في الحث على ملازمة بذل الجهد في الطاعة: احذر معصية اللّه، والزم بابه، وابذل جهدك في طاعته، معتذرًا متضرعًا، واقطع بأنك عبده، والعبد وما ملك لمولاه، وأحسن الأدب.

٢٣ - ما يؤدي إلى ثبات شجرة الإيمان: اجعل شجرة إيمانك وغرسها وبذرها ثابتة مثمرة، وهذا يأتي بأداء الأوامر، والصبر على ترك المناهي، والتسليم إليه في المقدور، أما مَن لا يفعل ذلك فتكون شجرة إيمانه جافة.

٢٤ - يقول لا تكشف البرقع عن وجهك حتى تخرج من الخلق وتوليهم ظهر قلبك - إشارة إلى الحياء - ويزول هواك ثم تزول إرادتك.

٢٥ - إذا أردت السرور وراحة البال **Well - being** فاخرج من الكبر، واصبر على مجاري الأقدار فيك، وارض بالقضاء في جميع الأحوال، عندئذ تنعم بالمعرفة والعلوم، وتكون في الآخرة - دار السلام - مع الأنبياء والأبرار.

٢٦ - النهي عن قول الرجل أي شيء أعمل، وما الحيلة: أكثر ما يقول العبد ما الحيلة، فيقال له: قف مكانك حتى يأتيك الفرج، فاللّه أمرك **بالصبر Patience**، **والمصابرة Forbearing & Longsuffering**؛ فالصبر من الإيمان كالرأس من الجسد. ومن المعروف أن قلة الحيلة والاستسلام من **اليأس Despair** والقنوط.

٢٧ - في البغض في اللّه: إذا وجدت بقلبك بغض شخص أو حبه، فاعرض أعماله على الكتاب والسنة، فإن كانت فيهما مبغوضة فأبشر بموافقتك اللّه ﷻ ورسوله، وإن كانت أعماله فيها محبوبة وأنت تبغضه، فاعلم بأنك صاحب هوًى، ظالمًا له ببغضك إيّاه، وعاصٍ للّه ولرسوله، فتب إلى اللّه من بغضك، واسأله محبة هذا الشخص.

٢٨ - مراتب الرجال: رجل لا لسان له ولا قلب وهو العاصي لا خير فيه، ورجل له لسان بلا قلب فينطق بالحكمة ولا يعمل بها، ورجل قلب بلا لسان وهو مؤمن ستره اللّه

من خلقه وتيقن أن السلامة في الصمت، ورجل يدعى في الملكوت بالعظيم وهو من تعلّمَ وعَلِمَ وعَمِلَ.

٢٩ - النهي عن السخط على اللّه تعالى: ما أعظم السخط على اللّه واعتراضك عليه واستبطاءك للرزق وكشف الكروب؛ لأن لكل أجل كتابًا.

٣٠ - في الورع: عليك بالورع وإلّا فالهلاك ملازم لك، ويقول الرسول ﷺ إن ملاك الدين الورع، وهلاكه الطمع، ويقول « أبو بكر الصديق » كنا نترك سبعين بابًا من المباح مخافة أن نقع في الجُناح.

٣١ - بيان الدنيا والآخرة وما ينبغي أن يعمل فيهما: اجعل آخرتك رأس مالك، ودنياك ربحه واصرف زمانك في تحصيل آخرتك، وإن فضل من زمانك شيء اصرفه في دنياك ومعاشك.

٣٢ - ذم الحسد والأمر بتركه: إن الحسد يضعف الإيمان، ويسقط الفرد من عين مولاه ويبغِّضه إليه، كما أن الفرد لا بد ألّا يحسد أخاه؛ لأن من لديه الكثير من النِّعم سيحاسب طويلًا على النعم التي أعطاها اللّه له في الدنيا.

٣٣ - في الصدق: لا تَدَّعوا ما ليس لكم.

٣٤ - متى يصح للسالك أن يكون في زمرة الروحانيين: تدخل في زمرة الروحانيين عندما تعادي جوارحك، وتنفرد عن حركاتك وسمعك وبصرك وكلامك وعملك وجميع أجزائك؛ لأن فيها حجاب عن اللّه.

٣٥ - الفناء وكيفيته: عندما يفتح اللّه على العبد أبواب البلايا وأنواع المحن (في النفس والمال والأهل والولد والقلب) يصبح متحسرًا كسيرًا، يسأل اللّه لم ير إجابة طلبه، وإن رجع إلى الخلق لم يجد إلى ذلك سبيلًا، عندئذ تأخذ النفس في الذوبان، والهوى في الزوال، والإرادة في الرحيل، حتى إذا فني العبد من الأخلاق الإنسانية والصفات البشرية يبقى روحًا فقط يسمع نداء داخله، ويمطر اللّه عليه بحار رحمته ولطفه.

٣٦ - في بيان حالتي العافية والبلاء: النفس لها حالتان، عافية و بلاء، فإذا كانت في بلاء يظهر الجزع والشكوى والسخط والاعتراض، وإذا كانت في عافية يظهر الشره والبطر واتباع الشهوات ولا يقنع بما في يده من النعم ويبقى في تعب طويل، إلّا من رحم اللّه بالصبر في العسر والشكر في اليسر.

٣٧ - ذم السؤال من غير اللّه: لا يسأل الناس إلّا الجاهل باللّه وضعيف الإيمان وقليل الصبر.

٣٨ - سبب عدم استجابة دعاء العارف باللّه: لمقام العارف باللّه خوف ورجاء، وهما كجناحي الطائر لا يتم الإيمان إلّا بهما فإن غلب عليه أحدهما يهلك.

٣٩ - النعمة والابتلاء: الناس رجلان، منعم عليه ومبتلى، فإذا أصاب المنعم عليه بقدر يكدره من أنواع البلايا ليتعظ فكأنه لم ينعم عليه قط وينسى ذلك النعيم.

٤٠ - في الحديث القدسي: **« من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين »**: يمتحن اللّه المؤمن بأنواع المحن، ويضطره إلى مسألة الخلق، ثم السؤال له ﷻ، ثم ينتقل من السؤال باللسان إلى السؤال بالقلب.

٤١ - مراتب التقرب إلى اللّه: ابتداء التقرب هو الورع، وانتهاؤه الرضى والتسليم إشارة إلى راحة البال **Well – being**.

٤٢ - فيما ينبغي للمؤمن أن يشتغل به: ينبغي للمؤمن أن يشتغل أولًا بالفرائض، ثم السنن، ثم النوافل، والفضائل.

٤٣ - ذم النوم: النوم أخو الموت، فهو نقص في الحالة، والخير كل الخير في اليقظة.

٤٤ - دفع البعد عن اللّه و كيفية التقرب منه: لا يخلو أمر الفرد من قسمين، إما أن يكون قريبًا من اللّه أو غائبًا عنه، فإن كنت غائبًا عنه فقم وأسرع في الطيران إليه بجناحين أحدهما ترك اللذات، والثاني احتمال الأذى والمكاره.

٤٥ - في الزهد، غض البصر عن الدنيا وزينتها وشهواتها تنجو منها.

٤٦ - سبب ابتلاء طائفة من المؤمنين: يبتلي اللّه المؤمنين الأحباب ليردهم بالبلاء إلى السؤال، فإذا سألوا قد تحصل الإجابة وقد لا تحصل، فيتأدب العبد عند نزول البلاء، ويفتش عن ذنوبه في ترك الأوامر وارتكاب النواهي.

٤٧ - الأمر بطلب الرضا عن اللّه والفناء به: الرضا أو الفناء هو الراحة الكبرى والجنة العالية، والانشغال بالأقسام إن كانت لم تُقسَم للعبد حُمق وجهالة، وإن كانت قسمت فالانشغال بها شرهٌ وحرص وشرك.

٤٨ - الزهد في الدنيا والآخرة: من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا ومن أراد اللّه

فعليه بالزهد في الآخرة.

٤٩ - في ترك الحظوظ: توجد أربع حالات في تناول الحظوظ والأقسام، الأولى بالطبع وهو حرام، والثانية بالشرع وهو المباح والحلال، والثالثة بالأمر وهي حالة الولاية وترك الهوى والرابعة بالفضل وهي زوال الإرادة.

٥٠ - فناء العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والأماني: إذا فني العبد عن الخلق والهوى وصل إلى الحق واصطفاه واجتباه وأحبه.

٥١ - عدم المنازعة في القَدَرِ والأمر بحفظ الرضا به: على المرء ألّا ينازع في القدر، ويوافق جميع ما يجري عليه مما يحلو أو يمر.

٥٢ - صرف النظر عن كل الجهات وطلب جهة فضل اللّه: ما دمت تنظر إلى واحدة من الجهات لا يفتح لك جهة فضل اللّه، فسد الجهات جميعًا بإمحاء نفسك وفنائك.

٥٣ - الرضا على البلية والشكر على النعمة: إن كانت حالتك بلية فَتَصَبَّر، ثم ارض، ثم وافق، ثم افن في اللّه، وإن كانت نعمة فاشكر باللسان والقلب والجوارح.

٥٤ - التوقف عند كل شيء حتى يتبين لك إباحة فعله: المؤمن يقف عند كل قسم من مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وسائر الأشياء، فلا يأخذ حتى يحكم له بجواز الأخذ.

٥٥ - المحبة والمحبوب وما يجب في حقهما: أحب من يحبك واستجب لمن يدعوك.

٥٦ - الموت الذي لا حياة فيه والحياة التي لا موت فيها: الموت الذي لا حياة فيه هو الموت عن الخلق وعن النفس والهوى والإرادة في الدنيا والأخرى، والحياة التي لا موت فيها هي الحياة بفعل اللّه بلا وجود.

٥٧ - النهي عن التسخط على اللّه في تأخير إجابة الدعاء: عليك بالشكر والصبر ودوام الدعاء وصدق الالتجاء وحسن الظن باللّه وانتظار الفرج منه.

٥٨ - الأمر بالدعاء والنهي عن تركه: اسأل اللّه جميع ما تريد من خير الدنيا والآخرة ما لم يكن فيه محرم.

٥٩ - جهاد النفس وتفصيل كيفيته: العبادة مخالفة النفس، فيقول اللّه تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٦٠ - قوله تعالى كل يوم هو في شأن: يسوق اللّه المقادير إلى المواقيت.

٦١ - الأمر بطلب المغفرة والعصمة والتوفيق والرضا والصبر من اللّه تعالى: نطلب من اللّه المغفرة للذنوب السابقة والعصمة منها في الأيام اللاحقة، والتوفيق لحسن الطاعة، والرضا بمر القضاء، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء.

٦٢ - الشكر والاعتراف بالنعم: إن كان بك من نعمة فهي بتوفيق من اللّه، وإن كان ترك معصية فهي بعصمة اللّه وحفظه، ويجب الشكر والاعتراف بهذه النعم.

٦٣ - المريد والمراد: إذا كنت مريدًا فأنت حَمَّال لكل شديد وثَقيل، لأنك طالب والطالب مشقوق عليه حتى يصل إلى مطلوبه، وإذا كنت مرادًا فلا تتهم اللّه بإنزال البلاء بك؛ لأنه قد يبتليك ليرفع منزلتك إلى منازل الأولياء.

٦٤ - من إذا دخل الأسواق ومال إلى ما فيها ومن إذا دخلها وصبر: من دخل السوق وتعلق قلبه بفتن اللذات والشهوات كان ذلك سبب هلاكه وتركه دينه، ومن تصبر وتركها فهو كالمجاهد ينصره اللّه على نفسه وهواه، ويكتب له الثواب الجزيل في الآخرة.

٦٥ - من يطلعه اللّه على عيوب غيرهم: قد يطلع اللّه وليه على عيوب غيره وكذبه وشركه، فيغار لربه ولرسوله ودينه ويشتد غضبه، فيجري على لسان الولي ذكر عيوبه وأفعاله الخبيثة.

٦٦ - ما ينبغي للعاقل أن يستدل به على وحدانية اللّه: لا بد أولًا أن ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه، ثم في جميع المخلوقات فيستدل بها على خالقها ومبدعها.

٦٧ - في التصوف وعلى أي شيء مبناه: التصوف مبني على ثمان خصال هي: السخاء، والرضا، والصبر، والإشارة، والغربة، والصوف، والسياحة، والفقر.

٦٨ - في الوصية: عليك بالإخلاص للّه، والتواضع وذكر اللّه، وإيّاك وفضول تصرفات الجوارح، وعليك بطاعة اللّه ورسوله، وحسن الظن في المسلمين، وأكل الحلال.

٦٩ - في الوقوف مع اللّه والفناء عن الخلق: كن مع اللّه كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس.

٧٠ - خصال أهل المجاهدة والمحاسبة وأولي العزم: لأهل المجاهدة وأولي العزم خصال:

الأولى: ألّا يحلف باللّه صادقًا ولا كاذبًا عامدًا ولا ساهيًا.

الثانية: اجتناب الكذب لا هازلًا ولا جادًّا.

الثالثة: يحذر أن يَعِد أحدًا شيئًا فَيُخلِفُه.

الرابعة: يجتنب أن يلعن شيئًا من الخلق.

الخامسة: يجتنب من الدعاء على أحد من الخلق وإن ظلمه، وتلك إشارة إلى الاتسام بالصفح **Forgiving**.

السادسة: ألاّ يقطع الشهادة على أحد من أهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفاق.

السابعة: يتجنب النظر إلى المعاصي ويكفّ عنها جوارحه.

الثامنة: يتجنب أن يجعل على أحد من الخلق منه مؤنة - أي تعبًا - صغيرة أو كبيرة.

التاسعة: يقطع طمعه من الآدميين، ولا يطمع فيما في أيديهم.

العاشرة: التواضع.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الأنوار الروحانية Spirituality.**
- **راحة البال Well - being.**
- **الصبر Patience.**
- **المصابرة (longsuffering)، Forbearing.**
- **اليأس Despair.**
- **الصفح Forgiving.**

القائم بالعرض

د.صفاء إسماعيل مرسي

* * *

قاعدة في المحبة



- تأليف/ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني (٦٦١ - ٧٢٨هـ).
- تحقيق/ محمد رشاد سالم.
- القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد اللّه تقي الدين أبو العباس الملقب بشيخ الإسلام. ولد في (٦٦١هـ) في حران بلدة تقع في الشمال الشرقي من بلاد الشام في جزيرة ابن عمرو بين دجلة والفرات، وهو أحد علماء المسلمين.

من شيوخه زين الدين بن المنجا، والمنجد بن عساكر وغيرهم، ومن تلامذته شمس الدين بن قيم الجوزية، ومحمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي. من مؤلفاته في التفسير « رسالة في منهاج التفسير وكيف يكون »، وفي العقائد « الإيمان »، و « الاستقامة »، و « الرد على المنطقيين »، و « رسالة في أمراض القلوب وشفائها ». توفي سنة (٧٢٨هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢١٨) صفحة، بدأها **بالفصل الأول في محبة اللّه - تعالى - معناها وشروطها**، مشيرًا إلى حب اللّه تعالى، ومعاني المحبة، ودرجات المحبة. وبين ما يستجلب به العبد محبة اللّه، وما يستجلب به العبد محبة اللّه له، وعلامات محبة العبد للّه تعالى.

أما الفصل الثاني فتناول ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية من مولده، ونشأته، وشيوخه، حتى وفاته.

ثم عرض لنص الرسالة. وبدأها بقاعدة عظيمة في المحبة وما يتعلق بها، وأن الحب والبغض أصل كل فعل وحركة في العالم، وبيَّن فيها أن المحبة والإرادة أصل للبغض والكراهية. وأشار إلى أن **الحركات Movements** هي إما **إرادية Voluntary** عرفها بأن الفرد يشعر بها، أو طبيعية وهي التي تحدث على وفق طبع المتحرك، أو قسرية **لا إرادية Involuntary** (ص٩) وهي التي تحدث على خلاف طبعه.

ثم بدأ بأن المحبة التي أمر اللّه بها هي عبادته وحده لا شريك له، وأن كل عمل في العالم هو بحسب نية صاحبه، وليس للعامل إلا ما نواه وقصده. فالمحبة المحمودة هي المحبة النافعة التي تجلب لصاحبها **السعادة Happiness** (ص١٦) والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء.

وأشار إلى أن أهل الطبع والمتفلسفة لا يشهدون الحكمة الفانية من المخلوقات، وأن أهل الكلام ينكرون طبائع الموجودات وما فيها من القوى والأسباب.

وأن المحبة والإرادة أصل كل دين. وبين معاني كلمة دين، وأنه لا بد لكل طائفة من بني آدم من دين يجمعهم. وأن الأمور السماوية تقع مشتركة عامة.

ثم أشار إلى أن الدين هو التعاهد والتعاقد، وجاء الحديث ليشير إلى أن « **لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له** ».

وبين أن الدين الحق هو طاعة اللّه وعبادته، ولا يستحق أحد أن يعبد ويطاع على الإطلاق إلا اللّه وحده لا شريك له.

وعرض أن كل دين غير الإسلام باطل. ولا بد في كل دين من شيئين العقيدة والشريعة أو المعبود والعبادة.

وتنوع الناس في المعبود والعبادة، فلكل منهم شرعة ومنهاجًا. وأن الإيمان باللّه واليوم الآخر والعمل الصالح موجبات للسعادة.

وعرض لذم اللّه التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة، والتفرق والاختلاف يوجب الشرك وينافي حقيقة التوحيد.

وأن بعض المتفلسفة يقولون أن المقصود بالدين مجرد المصلحة الدنيوية. وأن الحب أصل كل عمل والتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان، ويتفاوت حال الشخص الواحد في محبة الشيء الواحد بحيث يقوى الحب تارة ويضعف تارة.

وأن العشق هو المحبة الكامنة التامة. ومنكرو لفظ العشق لهم من جهة اللفظ مأخذان، ومن وجهة المعنى مأخذان؛ المأخذ الأول من وجهة اللفظ أنه ليس لفظًا مأثورًا عن السلف، وباب الأسماء. والمأخذ الثاني أن المعروف من استعمال هذا اللفظ إنما هو في محبة جنس النكاح. وأشار إلى أن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب، فإذا أفرط كان مذمومًا فاسدًا مفسدًا للقلب والجسم، وأشار إلى أنه **كالإفراط**

في الغضب **Extreme Anger**، والإفراط في الفرح والذي قد يقصد به الهوس **Mania**، والإفراط في الحزن والذي قد يشار إليه بالاكتئاب **Depression** (ص٥٦).

كما أن العشق فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة، ويشير الأطباء إلى أن العشق مرض وسواسي **Obsessions** (ص٥٨) يفسد التخيل **Imagination** (ص٥٨).

وأن كل محبة وبغضة يتبعها لذة وألم، واللذات ثلاثة أنواع: لذة حسية ملموسة، ولذة متخيلة، ولذة عقلية تختلف باختلاف إدراكها.

وأن اللَّه شرع من اللذات ما فيه صلاح حال الإنسان وجعل اللذة التامة في الآخرة. وأن غلط المتفلسفة ومن اتبعهم في أمر هذه اللذات. وضلال النصارى كذلك في أمر اللذات، وأن اليهود أعلم ولكنهم غواة قساة.

وتفضيل مقالة الفلاسفة في اللذة، وأن حب اللَّه أصل التوحيد العملي، وأصل الإشراك العملي باللَّه الإشراك في المحبة. والمؤمنون يحبون للَّه ويبغضون للَّه.

وأن محبة اللَّه مستلزمة لمحبة ما يحبه من الواجبات والذنوب تنقص من محبة اللَّه.

ثم أشار إلى مراتب العشق مثل العلاقة، ثم الصبابة، ثم الغرام، ويجعلون آخره التتيم. وذكر اللَّه العشق في القرآن ومنها قصة امرأة العزيز.

وأن المتوكلين على اللَّه ليس للشيطان سلطان عليهم، وإنما سلطانه على المتولين أي الموالين له. وعباد اللَّه المخلصون ليس للشيطان عليهم سلطان، وأنه يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين.

وأصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك، والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات. ومحبة اللَّه توجب المجاهدة في سبيله؛ فمن أحب اللَّه وأحبه اللَّه أحب ما يحبه اللَّه وأبغض ما يبغضه اللَّه.

موادَّة عدو اللَّه تنافي المحبة، ومحبة اللَّه ورسوله على درجتين واجبة ومستحبة؛ الواجبة هي محبة المقتصدين، والمستحبة هي محبة السابقين، فيحب ما أحبه اللَّه من النوافل والفضائل محبة تامة.

وأن ترك الجهاد لعدم المحبة التامة هو دليل النفاق. وأن الناس تنقسم إلى أربعة أقسام:

- قوم لهم قدرة وإرادة ومحبة مأمور بها.
- وقوم لهم إرادة صالحة ومحبة كاملة للَّه وقدرة كاملة.

- وقوم فيهم إرادة صالحة ومحبة قوية، لكن قدرتهم ناقصة.

- قوم قدرتهم قاصرة، وإرادتهم للباطل.

وأن العبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل. ومن أحب شيئًا كما يحب اللَّه أو عظمه كما يعظم اللَّه فقد أشرك.

وبين موقف المؤمن من الشرور والخيرات، وما يجب عليه حيالها، فالعلم بالخير سبب لفعله، والعلم بالشر سبب إلى منعه.

ولا يمكن لبني آدم العيش إلا بالتعاقد والتحالف، ولا يمكنهم العيش إلا بما يشتركون فيه من جلب منفعتهم ودفع مضرتهم. ويكون التحالف وفق شريعة منزلة أو شريعة غير منزلة أو سياسة.

وأن المسلمين على شروطهم إلا شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا. كما بين أن المقصود الأول من كل عمل هو التنعم واللذة، وأن النعيم التام هو في الدين الحق.

ومن الخطأ الظن بأن نعيم الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور. والمؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة. ومن الخطأ الاعتقاد أن اللَّه ينصر الكفار في الدنيا ولا ينصر المؤمنين.

وعرض في جزء من الكتاب لرأي ابن تيمية.

وبين حال الإنسان في السراء والضراء. وأن المؤمن أرجح في النعيم واللذة من الكافر في الدنيا قبل الآخرة، وأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. كما أن لذَّات أهل البر أعظم من لذات أهل الفجور.

ولما خاض الناس في مسائل القدر ابتدع طوائف منهم مقالات مخالفة للكتاب. وأن اللَّه يرفع الحرج عن المؤمنين. وأن الإيمان والطاعة خير من الكفر والمعصية للعبد في الدنيا والآخرة.

كما أشار إلى أن المؤمن يحب ما أحب اللَّه، ويبغض ما أبغضه اللَّه، ويرضى بما قدره اللَّه، وأشار هنا إلى الرضا **Satisfaction** (ص١٩٣)، وأن جميع الحركات ناشئة عن الإرادة والاختيار وهي مستلزمة للحياة والعلم.

وبين أن أصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغض.

وأن العلم ينقسم إلى فعلي وانفعالي، وعلم الرب بأفعال عباده الصالحة والسيئة

يستلزم حبه للحسنات وبغضه للسيئات.

وتنقسم الإرادة والمحبة أيضًا إلى فعليتين وانفعاليتين، وذكر أن الإنسان لا يحب الشيء ويريده حتى يكون له به شعور أو إحساس **Sensation** أو معرفة **Cognition** (ص٢١٢).

وانتهى الكتاب إلى بيان أن الحب يتبع الإحساس، والإحساس يكون بموجود لا بمعدوم. والأمور الغائبة لا تعرف ولا تحب وتبغض إلا بنوع من القياس والتمثيل. وبين أن الأمور الغائبة عن المشاهدة (المجردة) **Abstract** (ص٢١٤)، لا تعرف ولا يحس بها إلا عن طريق **المماثلة Analogy**.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الحركات Movements.**
- **إرادية Voluntary.**
- **لاإرادية Involuntary.**
- **السعادة Happiness.**
- **الإفراط في الغضب Extreme Anger.**
- **الهوس Mania.**
- **الاكتئاب Depression.**
- **الوسواس Obsessions.**
- **التخيل Imagination.**
- **الرضا Satisfaction.**
- **الإحساس Sensation.**
- **المعرفة Cognition.**
- **المماثلة Analogy.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء



- تأليف/ القزويني محمد حسن (١٢٤٠هـ).
- تحقيق/ محسن الأحمدي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو المولى محمد حسن بن معصوم القزويني الحائري المنشأ والتحصيل، الشيرازي الموطن والخاتمة. من أعاظم رجال الدين، وأكابر فقهاء الطائفة المصنفين. كان في كربلاء من أجلاء تلاميذ الأستاذ الأكبر الوحيد البهبهاني. من مؤلفاته مصابيح الهداية، ملخص الفوائد الحائرية، تنقيح المقاصد الصولية وغيرها.

توفي سنة (١٢٤٠هـ) بشيراز.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٦٥٠) صفحة، مقسمة إلى عشرة أبواب.

يشير الباب الأول في المقدمات ويبدأها بالحديث عن الحكمة **Wisdom** (ص٢٢)، وأنها تنقسم إلى علم وعمل. ويشير إلى النفس الإنسانية أنها المختصة بالإنسان ولها قوة النطق وإدراك الكليات **Gestalt Perception** (ص٢٥٠)، ووضح هناك كيفية إدراك الكليات كما يحدث في النظرية الجشتالطية وأن العقل يدرك الصور الجزئية ويجمع المشترك ما بين هذه الجزئيات لما بها من اختلاف وتميز على أنها كليات، وأول ما يتم تمييزه الكليات الضرورية الحاصلة من التمييز من تكرار المشاهدات حكمًا ومفهومًا، وهي في ذلك مماثلة لنظرية النمط الأصلي **Prototype** (ص٢٦)، وصارت هذه المشاهدات لصيرورتها مخزونة فيها مستعدة لاستحضارها؛ أي أنها تخزن في مخازن الذاكرة **Memory Storage** (ص٢٦)، كما يوضح أن لكل شيء من الموجودات خاصية لا يشاركه فيها غيره وهي إشارة التمييز **Discriminative** في مبادئ الإدراك والتي تجعل الشيء المدرك مميز عن غيره من المدركات (ص٢٧).

وأشار إلى أن الخلق ملكة للنفس تقتضي سهولة صدور الأفعال عنها من غير فكر

وروية والملكة كيفية نفسانية بطيئة الزوال وهي هنا إشارة إلى **سمات الشخصية Personal Traits** (ص٣٢).

وأشار إلى استراتيجية من استراتيجيات التعلم ألا وهي **الممارسة Practicing** (ص٣٢) التي يكتسب بها السلوك السوي وغير السوي، فأشار إلى أن الفرد يفعل فعلًا بالفكر والاختيار على سبيل التكلف ثم من كثرة المداومة والممارسة يأنس به إلى أن يصدر عنه بسهولة ويصير ملكة له.

وعرف **السعادة Happiness** على أنها وصول الشخص بحركته النفسانية إلى كماله. وبين مراتب السعادة أن يصرف البهجة نحو مصالح نفسه وبدنه من الأمور الحسية وما يتصل بهما من تبديد متوسط من الإفراط والتفريط، ثم يصرف الهمة فيما هو أفضل من إصلاح نفسه وبدنه، ثم إنه يصرف الهمة نحو الفضيلة الإلهية وهي آخر مراتبها. ويشير إلى أن السعادة لا تتم إلا بعد إصلاح الفرد لجميع صفاته وأفعاله على طريق الاستمرار والدوام، وبين طبيعة أن **اللذة الانفعالية Emotional Lust** هي **لذات حسية Sensory Lust** (ص٤١)، لما يظهر من تغيرها بالتزايد مع تزايد القوة الحيوانية وضعفها. واللذة الفعلية المترتبة على السعادة ذاتية عقلية. وعكس السعادة **الشقوة أو اللاسعادة Unhappiness** (ص٤٥) ولها مراتب أيضًا.

ويتناول **الباب الثاني** في تفصيل الأخلاق وأقسامها. أشار في أولها إلى أن القوة الغضبية آليتها القلب وميل الغضبية إلى **الغضب Anger** (ص٥٢)، والإقدام على الأهوال والترفع على الناس.

وأشار إلى أن للنفس قوتين: قوة على **إدراك الذات Self- Perception** (ص٥٣) إما بالقوة النظرية أو العلية، وقوة على التحريك إما بالشهوية لجلب المنفعة، أو الغضبية لدفع المضرة.

كما أشار إلى أن للحكمة سبع ملكات الذكاء؛ أي الملكة الحاصلة من كثرة ممارسة المقدمات المنتجة بحيث يسهل بها ترتيب القضايا واستخراج النتائج. وسرعة الفهم؛ أي الانتقال من الملزوم إلى اللازم بحيث لا يحتاج إلى مزيد تأمل. وصفاء الذهن؛ أي استعداد النفس لاستخراج المطلوب من غير تشويش. وسهولة **التعلم والحفظ Memorizing** (ص٦٠) **والتذكر Remembering**.

وللشجاعة أحد عشر نوعًا منها: كبر النفس وهي **ثقة بالنفس Self-Confidence**

(ص٦٠)، والقدرة على احتمال الكد؛ أي تحمل تعب الجوارح في الأفعال الجميلة والتي تعني **تحمل المشقة Stress-Tolerance** (ص٦٠) وغيرها.

وللعفة اثنا عشر نوعًا منها الحياء والمسالمة والدعة والصبر والقناعة.

أما **الباب الثالث** فكان في كيفية المحافظة على صحة النفوس. وبين أنه كلما ازداد الفرد شوقًا وطلبًا لتحصيل اللذات الدنيوية والأخطار المرتكبة لاقتناء الشهوات الجسمية، ازداد خوفًا وتعبًا. وكلما ازداد منها كثرة وسعة ازداد كرهًا ومشقة.

أما **الباب الرابع** في معرفة الأمراض النفسانية ومعالجتها الكلية. وأشار إلى أنه لا بد لطب الأرواح والمقصود به **العلاج النفسي Psychotherapy** (ص٧٨) من التأسي بطب الأجسام في معرفة حقيقة المرض أولًا ثم علاماته ثم معالجته.

وعرف **الأمراض النفسانية Psychological Diseases** (ص٧٨) أنها انحرافات الأخلاق عن الاعتدال. وبين أن أسبابها وأسباب الانحراف إما خلل في الكمية بالزيادة أو النقص أو الكيفية.

فالزيادة عن الاعتدال كالغضب والنقصان عنه كالبلاهة (**التأخر العقلي Mental Retardation**)، والخمود، ورداءة الكيفية، ومباشرة الذكور. وبين أن الانحراف إما طبيعي بحسب الفطرة أي **موروث Inherited**، أو عادي من مزاولة الأعمال الخبيثة أي **مكتسب Acquired** (ص٨٨)، وبين أن بعضها مرتبط بالبدن والجسم ويظهر ذلك من خلال تغيرات تحدث في البدن نتيجة المرض وفيه إشارة إلى مظاهر المرض، **فالخوف Fear** يحدث في البدن ارتعاشًا (ص٨٩).

أما **الباب الخامس** في المعالجات المختصة برذائل القوة العاقلة. وذكر ما يقابلها من الفضائل، فالعلم بالفضيلة ومحاسنها أعون شيء على إزالة ضدها، وهنا إشارة إلى الميل للاهتمام بالجوانب الإيجابية للفرد، ويشير إليها هنا بأننا نعمل على تقوية وعرض في المقام الأول في ذكر الرذائل ومعالجاتها. وأشار في ظل ذلك إلى **الوساوس Obsessions** (ص٨٣)، وعرفها على أنها خلو النفس من الجزم بما يطابق الواقع سواء خلت من مطلق الجزم أو مع الشك.

والمقام الثاني في ذكر الفضائل المقابلة لها مع ما يدل على الحث عليها وفيه:

وفيه: المقصد الأول في تطابق العقل والنقل وكون العلم أشرف الأشياء.

والمقصد الثاني في تفضيل ما يحمد من العلوم ويذم.

والمقصد الثالث في آداب تعلم التعليم **Education Learning** (ص١١١). ومنها أصول طهارة النفس عن رذائل الأخلاق، وتقليل علائق الدنيا والبعد عن الأهل والوطن، وأن لا تكبر على العلم والمعلم وتحاب المتعلمين عند واحد وإعانة بعضهم لبعض في الحوائج والمقاصد.

والمقصد الرابع في آفات علماء السوء، وأن العالم للدنيا أحسن حالًا من الجاهل. وأن للعلماء خمس علامات هي: الخشية، الخشوع، التواضع، حسن الخلق، الزهد.

الباب السادس في معالجة الرذائل الغضبية وذكر ما يقابلها من الفضائل، وفيها مقامان:

- **المقام الأول**: في ذكر الرذائل بمعالجتها ومنها الإفراط والتهور والجبن وعلاجها تهييج الغضبية بما يبعث عليه لامتناع كون النفس عامة لها، وتحدث في ظل ذلك عن **خوف الموت Death Phobia** (ص٤٢) وعلاجه كعلاج الجبن.

وعرف **الغضب Anger** (ص١٤٩) بأنه كيفية نفسانية موجبة لحركة النفس إلى دفع الأذيات والتشفي بالانتقام ومحوه. ومن المذموم أيضًا **الحزن Grief** (ص١٥٠) وعلاجه إزالة أسبابه من العجب والكبر والحقد والغدر وتحصيل ملكة التروي والاستشارة بالعاقلة، وبين أن من نتائج الغضب **العنف Violence** وسوء الخلق (ص١٥٥).

- **المقام الثاني**: في ذكر معظم الفضائل المتعلقة بالقوة الغضبية ومنها الشجاعة وعلو الهمة؛ أي ملكة السعي في نيل المعالي وما به كمال النفس وعدم الكسل.

والباب السابع في بيان ما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذائل ومعالجتها والفضائل وما يحث عليها: وفيه مقامان:

- **المقام الأول**: وهي ذكر الرذائل ومعالجتها، وبين أن من رذائل القوة الشهوية ملكة كل معصية متعلقة بها كالزنا واللواط أو **الجنسية المثلية Homosexuality** (ص٢٢٣).

- **والمقام الثاني**: في بيان أن معظم الفضائل المختصة بالقوة الشهوية، وبين أن القناعة ملكة توجب اكتفاء النفس في تحصيل المال وصرفها على قدر الكفاف.

الباب الثامن فيما يمكن أن يتعلق بكل من الثلاث أو اثنين منها من الرذائل والفضائل وفيه أيضًا مقامان:

- **المقام الأول**: في الرذائل ومعالجتها. وذكر فيها الحسد والخوف والخجل والتكبر. وبين أن علاج هذه الرذائل مركب من علم وعمل وهو ما يعني أن كل علاج مبني على نظرية و يتبعه تطبيق لهذه النظرية.

وبين أن الحزن ألم نفساني من فوت مطلوب أو فقد محبوب أو الخوف من مكروه (ص٣٣٤).

- **المقام الثاني**: في الفضائل المتعلقة بالقوتين أو الثلاث أو المحتملة لكل منها. وبين فيه أن الصدق والصمت هو من أفضل الملكات والحياء، وعرفها على أنها انقباض النفس وانزجاره عن ارتكاب القبيح العرفي أو العقلي أو الشرعي وهو من جودة الطبع وكرمة الصبر.

الباب التاسع: في ذكر ما يتعلق بالعدالة من الفضائل والرذائل. وجاء في المقام الأول في ذكر أنواع الظلم بالمعنى الأعم.

- **والمقصد الأول** منه في أنواع التعدي عن الأوساط اللازمة مراعاتها فيما بين الصبر والخلق.

- **والمقصد الثاني** في أنواع الظلم التي حاصلها ترك العبد ما يجب عليه مراعاته فيما بينه وبين اللّٰه تعالى ولكونه ظلمًا على نفسه. والمقام الثاني في ذكر أنواع العدالة بالمعنى الأعم؛ أي القيام بالحقوق اللازم مراعاتها وفيه مقصدان الأول: في الحقوق اللازم مراعاتها فيما بينه وبين الخلق وفي ذلك إشارة إلى **العلاقات الأسرية Family Relationships**، والاجتماعية **Social Relationships** (ص٤٢١ - ٤٢٤)، كذلك بين طبيعة **العلاقات الزوجية Marital Relationships** في وصفه لحقوق الزوجة وحقوق الزوج (ص٤٢٥، ٤٢٦). وأشار إلى أن **الرضا Satisfaction** أفضل مقامات الدين وأعلى منازل المقربين (ص٤٧٨)، وأنكر بعض الناس تحقق الرضا **عند المشقة Stresses** (ص٤٧٩)، وما يخالف الهوى وجعل الممكن منها الصبر.

الباب العاشر: في العبادات وهي وإن كانت من حقوق اللّٰه اللازم مراعاتها في تحقق الفضيلة الرابعة أي العدالة؛ إلا أنها لما كانت أصلًا كبيرًا مشتملًا على جزيئات كثيرة أفردناها على أخواتها. وأن النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها لم يتيسر له العدول عنها.

وعرض لفصل في الطهارة وأنها أربع مراتب:

- تطهير الظاهر من الأخباث والأحداث والفضلات.
- تطهير الجوارح من الجرائم والمعاصي والسيئات.
- تطهير القلب من مساوئ الأخلاق وذمائم الملكات.
- تطهير السر عما سوى اللّه - تعالى - من المخلوقات.

وفصل في الصلاة وعرض لطبيعة الصلاة وأوقاتها وما يقال بها.

وأعقبها فصل في الذكر والدعاء وهي مما ينبغي للمؤمن الإكثار منها.

وفصل في تلاوة القرآن والإكثار منها فكله هدى وشفاء ورحمة ونور وموعظة.

وفصل في الصدق والصوم، وفصل في الحج وهو من أعظم الأركان وأحكامها الظاهرة محولة إلى الفقهاء، وفصل في زيارة مشاهد النبي ﷺ وآله والأئمة الطاهرين - عليهم السلام -.

وخاتمة موضحة لأهمية الحب ومراتبه المختلفة وما ظهر في بحث السعادة وأن لكل من القوى الإنسانية لذة تخصها وأذى يختص بها.

وختام فيه إتمام وفيه بيان فضل مدح الحب في اللّه والبغض في اللّه ثم بيان ماهيته وأقسامه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الحكمة Wisdom.**
- **إدراك الكليات Gestalt Perception.**
- **نظرية النمط الأصلي Prototype.**
- **مخزن الذاكرة Memory Storage.**
- **التمييز Discriminative.**
- **سمات الشخصية Personal Traits.**
- **الممارسة Practicing.**
- **السعادة Happiness.**

- اللذة الانفعالية **Emotional Lust**.
- الذات حسية **Sensory Lust**.
- الغضب **Anger**.
- إدراك الذات **Self- Perception**.
- الحفظ **Memorizing**.
- الرضا **Satisfaction**.
- التذكر **Remembering**.
- الثقة بالنفس **Self-Confidence**.
- تحمل المشقة **Stress-Tolerance**.
- العلاج النفسي **Psychotherapy**.
- الأمراض النفسانية **Psychological Diseases**.
- التأخر العقلي **Mental Retardation**.
- الموروث **Inherited**.
- المكتسب **Acquired**.
- الخوف **Fear**.
- الوساوس **Obsessions**.
- تعلم التعليم **Education Learning**.
- خوف الموت **Death Phobia**.
- العنف **Violence**.
- الجنسية المثلية **Homosexuality**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء



○ تأليف/ الدمياطي السيد بكري بن السيد محمد شطا.

○ القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١٩٥٣م).

* * *

عرض الكتاب:

كتب هذا الكتاب على منظومة كتاب « هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء » للشيخ زين الدين بن علي المعبري. يعرض الكتاب في مجمله وصايا كثيرة تتعلق بالعبادة، والأخلاق، والتعلم، والمجاهدة. فقد بدأ المؤلف بعرض ما أطلق عليه « الوصايا التسع » للأتقياء وهي: التوبة، والقناعة، والزهد، وتعلم العلم الشرعي، والمحافظة على السنن، والتوكل، والإخلاص، والعزلة، وحفظ الأوقات. ثم قدم بيانًا للشيم والأخلاق الحميدة وهي: الزهادة في الدنيا، وترك المبالاة بها وبأهلها، والسخاء والجودة، والحلم، والصبر، والتنزه عن خسيس الصنائع، والسكينة، والطمأنينة، والوقار، والورع، والخشوع، والتواضع، والنظافة، واجتناب كل من الضحك، والعجب، والرياء، والحسد، واحتقار الغير والتعالي عليهم، واستعمال المأثور من أوراد النبي.

كما ركز المؤلف على فضيلة العلم والتعلم وأوضح عدة علامات لعالم (من علم) الآخرة وهي: أن لا يطلب الدنيا ويدرك عظمة الآخرة، أن لا يخالف قوله فعله، وأن يكون معنيًّا بتحصيل العلم النافع، وأن يتجنب الترفه في المأكل والملبس والمأوى، وأن يتباعد عن مخالطة السلطان، وأن لا يكون مسارعًا إلى الفتاوى، وأن يقصد من العلوم العلم الذي يوصله إلى سعادة الآخرة.

هناك العديد من الإشارات النفسية التي تطرق لها المؤلف. فقد نظر إلى التصوف باعتباره علم نفس؛ حيث قال عن فن التصوف: « أما حده فهو علم يعرف به أحوال النفس وصفاتها الذميمة والحميدة. وأما موضوعه فهو النفس من حيث ما يعرض لها من الأحوال والصفات » (ص٤). وقدم تعريفات موجزة لمفاهيم نفسية متعددة تشمل: السعادة، « التقوى والتي هي منع النفس من شهواتها » (ص٨)، والنميمة، « نقل كلام

الناس بعضهم إلى بعض بقصد الإفساد والفتنة » (ص١٩)، والقناعة، « الرضا باليسير من العطاء » (ص٢١)، والحلم، « ترك العجلة والتأني في الأمور » (ص٥٧) والصبر، « حبس النفس عن الجزع » (ص٥٧). وأعطى أهمية كبيرة للتفكير؛ حيث يرى أن « الفكر مفتاح المعرفة والكشف » (ص٥١). وعلى نحو أكثر أهمية، حذر المؤلف من النظر إلى المحرمات بقوله: « إياك والنظر فإنه ينقش في القلب صورة المنظور » (ص١٩). ويتفق ذلك مع حقيقة وجود تمثيلات بصرية **Visual Representations** مخزنة للأشياء البصرية **Visual Objects** كما أشارت إليها بحوث علم النفس المعرفي المعاصرة.

كما حدد سببًا مهمًّا للحسد، وهو العداوة والرغبة في الانتقام؛ فيرى أن « الحسد تمني زوال نعم اللَّه تعالى، وأعظم أسبابه العداوة. فإن من آذاه إنسان وغضب عليه تولد منه الحقد المقتضي للانتقام فإن عجز عنه بنفسه أحب أن يتشفى منه بتغير الزمان، وعلاجه أن تعلم أن الكل بتقدير اللَّه تعالى، وأن تتذكر مضار الحسد في الدين والدنيا، إما في الدين فسخطك لقضاء اللَّه وكراهتك لمنحته التي قسمها بين عباده، وإما في الدنيا فتألمك وغمك على الدوام، إذ أعداؤك لا يخلهم اللَّه من نعم يفيض عليهم فلا تزال تتعذب لكل نعمة تراها عليهم و تتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغمومًا ضيق الصدر » (ص٥٩). يتفق ذلك مع مفهوم العدائية في علم النفس الاجتماعي.

وقدم المؤلف تمييزًا بين مفهومين نفسيين هما السخاء والجود؛ حيث يرى أنه « لا فرق بين السخاء والجود إلا أن الأول صفة غريزية فلا يتطرق إليها الرياء؛ لأنه ينبع من النفس الذكية المرتفعة عن إرادة الأعواض وفي مقابلة الشح وهو من لوازم صفة النفس، والجود يأتي به الإنسان متطلعًا إلى عوض إما من الخلق كالثناء أو غيره أو من الحق كالثواب؛ ولذا يتطرق إليه الرياء وفي مقابله البخل، فالسخاء أتم و أكمل من الجود، فكل سخي جواد ولا عكس هذا حاصل » (ص٥٦). ويستشهد بقول القشيري بأن الجود أعلى رتبة من السخاء ونصه « السخاء عند القوم هو الرتبة الأولى ثم الجود ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئًا فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره على نفسه فهو صاحب إيثار **Altruism** » (ص٥٦). وهو هنا يقدم مستويات من سلوك المساعدة **Helping Behavior**.

وبالرغم من أن العزلة هي إحدى الوصايا التسع التي أوصى بها المؤلف الأتقياء، فإنه أشار إلى أهمية التفاعل الاجتماعي **Social Interaction**. ودعمًا لهذا الرأي، استشهد

بالإمام الغزالي حين قال أن « فوائد المخالطة سبع:

الأولى: التعليم والتعلم وهما أفضل العبادات ولا يتصور ذلك إلا بالمخالطة.

الثانية: النفع للناس بماله أو بدنه والانتفاع بالناس بالكسب والمعاملة.

الثالثة: التأديب بأن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية والتأدب بأن يرتاض بمقاساة الناس وبالمجاهدة في تحمل أذاهم كسرًا للنفس وقهرًا للشهوات.

الرابعة: الاستئناس والإيناس وهذا مستحب فيما إذا كان لأمر الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين سمة التقوى.

الخامسة: نيل الثواب بحضور الجنائز وعيادة المريض وحضور العيدين.

السادسة: التواضع فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة وقد يكون الكبر سببًا في اختيار العزلة.

السابعة: التجارب فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم والعقل الغريزي ليس كافيًا في تفهم مصالح الدين والدنيا وإنما تفيدها التجربة والممارسة » (ص٤٤). وبالرغم من ذلك، أوصى المؤلف باختيار الصديق الجيد؛ فقال محذرًا: « لا تصحبن أيها السالك المريد للآخرة من كان متأهلًا للبطالة والتساهل في الدين أي متصفًا بهما؛ لأن صحبة من كان كذلك بلاء محض ومصيبة عظمى إذ الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على الاقتداء بمن تستحسن حاله » (ص٤١).

كما أوصى بضرورة « حفظ الأوقات » (ص٤٥) وتوزيعها (ص٤٧) وهو ما يعد إرهاصًا **لإدارة الوقت Time Management**؛ فيرى « أن النفس إذا وردت على نمط واحد من الطاعات أظهرت الملل والاستثقال لكونها مجبولة على السامة فكان من اللطف بها أن تروح بالنقل من نوع إلى نوع آخر بحسب كل وقت لتزيد لذتها وتعظم اللذة رغبتها ويدوم بدوام الرغبة مواظبتها. فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات وأكثرها فإن النفس مائلة بطبعها إلى ملاذ الدنيا » (ص٤٧).

ومن الوصايا أيضًا، المجاهدة؛ فيرى « أن جهاد النفس تزكيها من رذائلها أي من الأوصاف الذميمة؛ كالعجب، والكبر، والرياء، والحسد، والغضب، وشهوة البطن، والفرج، والبخل، وحب الجاه، وحب المال، والغرور، وطول الأمل. وتحليتها بنور فضائل أي بالصفات الحميدة؛ كالتوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والفقر،

والتواضع، والزهد، والورع، والتوكل، والنية، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والشوق، والأنس، والرضا، وقصر الأمل » (ص١٢٠).

ولزيادة التحصيل أثناء القراءة، أوصى المؤلف بما يلي: « قابل كتابك أيها الطالب قبل المطالعة على الصحيح الواضح المعول عليه من الكتب حتى يصح كتابك؛ فإن ذلك أسرع للفهم وأتقن وأحكم. ثم بعد تصحيح كتابك أيها الطالب متِّن ذلك الكتاب قبل مطالعة شروحه وكرر ذلك حتى يثبت في ذهنك ثم انتقل إلى شروحه فإن ذلك أولى لك من مطالعة الشروح » (ص٩٢) ويقابل التدريب الموزع أو استراتيجية القراءة الفعالة وهي إحدى استراتيجيات التعلم الناجح.

وحدد المؤلف أربع خصال يمكن للشخص بواسطتها الحصول على محبة الآخرين؛ فيرى أن « لسلامة الدنيا خصال أربع:

الأولى: غفرك لجهل قومك: أي تجاوزك عن جهلهم وسترك له والمراد تجاوزك عما يقع منهم في حقك من الإيذاء الناشئ من الجهل.

الثانية: منعك أن تجهل عليهم أي أن تقع في عرض أحد منهم بأن تؤذيه.

والثالثة: أن تكون آيسًا أي قانطًا من سيب أي من عطاء الأناسي.

والرابعة: أن تكون باذلًا لهم سيبك أي عطاءك.

فإذا استكملت فيك هذه الخصال كنت محبوبًا عندهم؛ لأن من تجاوز عن جهلهم وصبر على أذاهم، ولم يجهل على أحد منهم، وآيس مما في أيديهم، وبذل ما في يديه لهم كان محبوبًا عندهم مشكورًا فلا يبغضونه ولا يوصلون إليه مكروهًا فيكون سالمًا من إيذائهم وبغضهم، ومن لم يكن كذلك فلا بد له من نزاعهم ومخاصمتهم » (ص٢٥، ٢٦).

وأشار المؤلف إلى وجود فروق فردية في « الاشتغال بالعلم أو العبادة »، ويستشهد على ذلك برأي الشيخ عبد اللّه اليافعي حين قال أن « ذلك يختلف باختلاف الناس في أحوالهم وذوقهم وقبلياتهم وأذهانهم ونياتهم فينقسمون بذلك خمسة أقسام:

الأول: رجال غلبت عليهم أحوال قوية أزعجتهم واضطرتهم إلى الاشتغال باللّه وحده ولم تدع فيهم للاشتغال بغيره بقية، وهؤلاء ليس لنا عليهم حكم فهم الفرسان في الحقيقة.

القسم الثاني: قوم لهم ذوق في العبادات وأنس وحلاوة في مناجاة مولاهم ويلحقهم تغير وتكدر في المخالطات وتفرق لهم عند الاجتماع في الاشتغال بالعلم، فهؤلاء إن عرفوا الزيادة في قلوبهم وأحوالهم من النقصان لزموا الذي يجدون به الزيادة حيثما كان أو لم يعرفوا فينبغي أن يكثروا من صلاة الاستخارة والدعاء والتضرع إلى مجيب الدعوات في التوفيق للأفضل في حقهم من العلم والعمل هذا كله بعد تعلم أحكام فرض العين.

القسم الثالث: ناس لهم رغبة في العلم وذوق وذكاء ونية صالحة، فهؤلاء ينبغي أن يبذلوا الجهد في الاشتغال بالعلوم بتقديم الأهم منها فالأهم مع التقليل من الدنيا ولزوم سيرة العلماء الأخيار.

القسم الرابع: ناس في أذهانهم بلادة لا يجيء منهم إفادة ولا استفادة فهؤلاء ينبغي لهم بعد تعلم فرض العين أن يستغرقوا وقوتهم في العبادة.

القسم الخامس: ناس فيهم دواعي العلم وجودة الأفهام مع خلوهم من صلاح النية فينبغي لهؤلاء أن يجاهدوا نفوسهم في تحصيل الإخلاص ويذكِّروها فناء الدنيا وحقارتها وغرورها وفتنها وما جاء في الوعد والوعيد وتشبيه بعض العلماء بالحمير والكلاب في نص الكتاب، وأن يشتغلوا بعد فرض العين بذكر اللّه - تعالى - وعبادته في الليل والنهار ليعيد اللّه من بركات العبادة على قلوبهم حتى تصلح وتشرق فيها الأنوار، وحينئذ ينتج اشتغالهم بالعلم النفع ويثمر أزكى الثمار » (ص٦٦).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **النفس Psych.**
- **السعادة Happiness.**
- **النميمة Gossip.**
- **القناعة Content.**
- **الحلم Dream.**
- **الصبر Patience.**
- **التفكير Thinking.**

- التمثيلات البصرية المخزنة Stored Visual Representations.

- العدائية Hostility.

- التفاعل الاجتماعي Social Interaction.

- حفظ وتوزيع الأوقات Time Saving & Distribution.

- القراءة Effective Reading.

- خصال الشخصية Characteristics of Personality.

- الفروق الفردية Individual Differences.

- سلوك المساعدة Helping Behaviour.

القائم بالعرض

د.أحمد محمد مجرية

* * *

اللباب في تسلية المصاب



○ تأليف/ المقدسي أبي الحسن علي بن أيوب بن منصور (٦٦٦هـ - ٧٤٨هـ).

○ تحقيق وشرح وتعليق/ عبد القادر أحمد عبد القادر.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو علاء الدين أبو الحسن علي بن أيوب بن منصور بن الزبير المقدسي الشافعي، ولد سنة ست وستين وستمائة تقريبًا.

برع في الفقه واللغة العربية، وسمع الحديث الكثير بدمشق والقدس ودرس بالأسدية. مات فقيرًا مدقعًا في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٢) صفحة مشتملة على الفهارس، مقسمة إلى أربعة فصول. يبدؤها الكاتب بمقدمة حول المحن والمصائب التي تصيب الفرد، وكيف عليه أن يصبر عليها؛ لأن في الصبر أجرًا عظيمًا. كما أشار في مقدمته إلى أن التعزية هي التصبير وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه، ويهون مصيبته، وفي ذلك إشارة إلى كون التعزية نوعًا من أنواع **المساندة Support** (ص١٣) لمن له مصاب.

بدأ **الفصل الأول** بآيات وأحاديث في فضل الصبر تبين أن جزاءه الأجر الوفير، وكيف أن الصبر على المكروه خير للفرد. وهنا أشار إلى أفضل أنواع العلاجات التي تساعد الفرد على تخطي ما أصيب به من كرب هو **الرضا Satisfaction** (ص١٧) لأنه يجعله يتقبل ما وقع به، أما **السخط أو عدم الرضا** (ص١٧) فلا يولد إلا عدم تقبل للواقع الذي حل به.

أما **الفصل الثاني** فكان فيما يقوله من مات له ميت من الاسترجاع والحمد والشكر. وأورد الأحاديث والآيات التي تبين أن أفضل ما يقال عند الفقر « إنا لله وإنا إليه راجعون »، وتقوم هذه الكلمات بمثابة أسلوب **للمساندة الذاتية Self-Support** (ص٢٠) يستخدمه الفرد ليهون على نفسه تأثير ما وقع به، وتقوى عزيمته لكي يصبر ويتحمل وطأة

ما أصابه.

تناول الفصل الثالث فضل من مات له أولاد صغار فصبر وأن جزاء من مات له أطفال الجنة، وأنه مهما كان عدد الأولاد الذين يموتون له فمصيره الجنة حيث يستقبلون آباءهم يوم القيامة.

نهى الفصل الرابع والأخير عن البكاء جزعًا، وأن الصبر عند الصدمة الأولى هي الأصعب في مرحلة الحزن، وبين كيف يصحب الصدمة الأولى جزع شديد ويقصد به الآسى **Grief** (ص٣٦).

كما أشار إلى أن هناك مظاهر للحزن منهي عنها في الإسلام منها النياح، والندب، وشق الثوب، ولطم الوجه، من قام بهذه السلوكيات وأداها يرتكب معصية. بالإضافة إلى ذلك هناك مظاهر مقبولة للحزن منها دمعة العين وحزن القلب.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- المساندة **Support**.
- الرضا **Satisfaction**.
- عدم الرضا **Dissatisfaction**.
- المساندة الذاتية **Self-Support**.
- الآسى **Grief**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

معراج التشوف إلى حقائق التصوف



○ تأليف/ الحسني العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة.

○ القاهرة: مكتبة أم القرى (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، الطبعة الأولى.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العارف بالله القطب أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني المغربي، كنيته أبو العباس. تلقى العلم على أيدي علماء كبار وأئمة أقطاب منهم محمد البوزيدي ﷺ. ترك مؤلفات مفيدة ومصنفات عجيبة في علوم التصوف، ومن مؤلفاته شرح الحكم العطائية، وشرح المباحث الأصلية، وشرح الآجُرومية بالإشارات الصوفية.

عرض الكتاب:

يقع كتاب « معراج التشوف إلى حقائق التصوف » في (٨٨) صفحة من الحجم المتوسط. ويعتبره علماء التصوف من أنفس كتب التصوف، ولا غناء لطالب العلم الصوفي عن قراءته ودراسته؛ لما يحويه هذا الكتاب من علم قيم ومعارف وحقائق علم التصوف؛ حيث يتناول تعريفات لحقائق المقامات الصوفية.

المفاهيم النفسية التي وردت في الكتاب:

التصوف: علم يعرف كيفية السلوك في حضرة ملك الملوك. وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل. فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة (ص١٥).

التوبة: الرجوع عن كل فعل قبيح إلى كل فعل مليح، وشروطها الندم والإقلاع ونفي الإصرار. والتوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وعدم الإصرار بالجنان، ومهاجرة سيِّئ الخلان (ص١٧، ١٨).

الإنابة: وهي أخص من التوبة؛ لأنها رجوع يصحبه انكسار ونهوض إلى السير. وهي ثلاث مراتب: رجوع من الذنب إلى التوبة، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الفرق إلى الجمع على الله تعالى (ص١٩).

الخوف: انزعاج القلب من لحوق مكروه أو فوات مرغوب وثمرته النهوض إلى

الطاعة والهروب من المعصية (ص١٩).

الرجاء: سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه وإلا فأمنية وغرور. والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير لا يطير إلا بهما (ص١٩).

الصبر: حس القلب على حكم الرب. وهي حبس القلب على مشاق الطاعات والمجاهدات وحبس الروح والسر في حضرة المشاهدات والمعاينات (ص٢٠).

الشكر: فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم والاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع. ومرجعه ثلاث: شكر باللسان، وشكر بالبدن، وشكر بالقلب. ومرجع الكل إلى ما قاله الجنيد: أن لا يعصي اللّٰه بنعمة (ص٢٠).

الورع: كف النفس عما تكره عاقبته (ص٢١).

الزهد: خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها (ص٢٢).

التوكل: ثقة القلب باللّٰه حتى لا يعتمد على شيء سواه، أو التعلق باللّٰه والتعويل عليه في كل شيء علمًا بأنه عالم بكل شيء وأن تكون بما في يد اللّٰه أوثق منك بما في يدك. فأدناه أن تكون مع اللّٰه كالموكل مع الوكيل الشفيق الملاطف، ووسطه كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها، وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل (ص٢٢).

الرضى: تلقي المهالك بوجه ضاحك، أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء أو ترك الاختيار على اللّٰه فيما دبر وأمضى، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار (ص٢٣). التسليم: ترك التدبير والاختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار. فيرادف الرضى على الحد الأخير والرضى أعظم منه على الأولين. وقيل الرضى يكون عند النزول والتسليم قبل النزول وهو التفويض بعينه. فبدايتهما بالصبر والمجاهدة ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرم والكراهية ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرم (ص٢٣).

المراقبة: إدامة علم العبد باطلاع الرب أو القيام بحقوق اللّٰه سرًّا وجهرًا خالصًا من الأوهام، صادقًا في الاحترام (ص٢٣).

المحاسبة: عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات وتكون آخر النهار (ص٢٤).

المشارطة: تكون أول النهار يقول لنفسه في أول نهاره: هذا يوم جديد، وهو عليكِ شهيد، فاجتهدي في تعمير أوقاته بما يقربك إلى اللَّه. ولو مت بالأمس لفاتك الخير الذي تفوزين به فيه.

وكذلك يقول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إدباره. والمشارطة تكون أولًا والمحاسبة آخرًا والمراقبة دائمًا (ص٢٤).

المحبة: ميل دائم بقلب هائم. ويظهر هذا الميل أولًا على الجوارح الظاهرة بالخدمة، وثانيًا على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية، وثالثًا على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين من شهود المحبوب (ص٢٤).

المشاهدة: المشاهدة هي رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلى تكثيف اللطيف (ص٢٥).

المعاينة: إذا ترقق الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة فترجع إلى تلطيف الكثيف. فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم (ص٢٥).

المعرفة: وهي التمكن من المشاهدة واتصالها، فهي شهود دائم بقلب هائم فلا يشهد إلا مولاه مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة، فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة (ص٢٥). ثم ترجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها ومنها:

التقوى: وهي امتثال الأوامر واجتناب المناكر في الظواهر والسرائر ومواصلة الطاعات والإعراض عن المخالفات (ص٢٥).

الاستقامة: استعمال العلم بأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله وأحواله وأخلاقه. وهى في الأقوال بترك الغيبة، وفي الأفعال بترك البدعة، وفي الأحوال بعدم الخروج عن سنة الشريعة (ص٢٦).

الإخلاص: إخراج الخلق عن معاملة الحق. وإفراد الحق تعالى في الطاعة بالقصد أو غيبة القلب من غير الرب (ص٢٦).

الصدق: إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى اللَّه تعالى تعويلًا على ثلج اليقين أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال (ص٢٧).

التصديق: التصديق بوجود الحق فهو تصديق لا صدق، ويقال لمن عظم تصديقه صديق أيضًا، فالصديق يطلق على من عظم صدقه وتصديقه. والفرق بين الصدق

والإخلاص أن الإخلاص ينفي الشرك الجلي والخفي، والصدق ينفي النفاق والمداهنة بالكلية (ص٢٧، ٢٨).

الطمأنينة: سكون القلب إلى اللّه عاريًا من التقلب والاضطراب ثقة بضمان أو اكتفاء بعلمه أو رسوخًا في معرفته. وتكون من وراء الحجاب بتوالي الطاعة ومجاهدة الرياضة وتكون بعد زوال الحجاب بتمكين النظرة ورسوخ المعرفة (ص٢٨).

الشوق: إنزاع القلب إلى لقاء الحبيب (ص٢٨).

الاشتياق: ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به. والشوق يزول برؤية الحبيب ولقائه، أما الاشتياق فلا يزول أبدًا لطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار والقرب إلى الأبد (ص٢٨).

الغيرة: كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيج التنافس في حيازته. قال الشبلي: الغيرة غيرتان فغيرة البشرية على النفوس وغيرة إلهية على القلوب. ومعناه أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبه عند غيره كالزوجة مثلًا، والحق - تعالى - يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره. وفي الحديث: « **لا أحد أغير من اللّه** » ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن (ص٢٩).

الفتوة: وهي الإيثار على النفس بما تحب والإحسان إلى الخلق بما يحب. وقيل: أن لا ترى لنفسك فضلًا على غيرك: والفتى من لا خصم له: ومرجعها إلى السخاء والتواضع والشجاعة في مواطن الاضطراب (ص٣٠).

الإرادة: قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة أو التحبب إلى اللّه بما يرضى، والصبر على مقاساة الأهوال ومنازلات الأحوال (ص٣٠).

المجاهدة: فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات. وهي ثلاث: مجاهدة الظاهر بدوام الطاعات وكف المنهيات، ومجاهدة البواطن بنفي الخواطر الرديئة ودوام الحضور في الحضرة القدسية، ومجاهدة الأسرار باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود (ص٣١).

الولاية: وهي حصول الأنس بعد المكابدة واعتناق الروح بعد المجاهدة (ص٣٢).

الحرية: وهي تصفية الباطن من حب غير الحق حتى لا تبقى فيه بقية لغير اللّه ﷻ (ص٣٢).

العبودية: القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير، وأجمع العبارات هنا ما قاله ابن عطاء: العبودية هي حفظ الحدود والوفاء بالعهود والرضا بالموجود والصبر على المفقود (ص٣٣).

القناعة: الاكتفاء بالقسمة وعدم التشوف للزيادة والاستغناء بالموجود وترك التشوف إلى المفقود (ص٣٤).

العافية: وهي سكون القلب وخلوه من الانزعاج والاضطراب والتقلب. وإن كان بالسكون إلى اللَّه والرضا عنه فهي العافية الكاملة، وإن كان بجريان الأسباب الموافقة فهي العافية العادية (ص٣٥).

اليقين: وهو سكون القلب إلى اللَّه بعلم لا يتغير ولا يحول ولا يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات وارتفاع الريب في مشاهدة الغيب. وعلامته ثلاث: رفع الهمة عن الخلق عند الحاجة، وترك المدح لهم في العطية، والتنزه عن ذمهم عند المنعة (ص٣٦).

علم اليقين: ما كان ناشئًا عن البرهان (ص٣٧).

عين اليقين: ما نشأ عن الكشف والبيان (ص٣٧).

حق اليقين: ما نشأ عن الشهود والعيان. ومثال ذلك كمن سمع بمكة مثلًا ولم يرها فعنده علم اليقين بوجودها، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين، فإذا دخلها وعرف طرقها وأماكنها فهذا عنده حق اليقين (ص٣٧).

النعمة: هي ملازمة الأفراح ومباعدة الأتراح وإصابة الأغراض ونزاهة الأعراض وهي على قسمين: نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال، ونعمة باطنة كالإيمان والهداية والمعرفة (ص٣٨).

الفراسة: وهي خاطر يهجم على القلب أو وارد يتجلى فيه لا يخطئ غالبًا إذا صفا القلب. وهي على حسب قوة القرب والمعرفة فكلما قوي القرب وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة. قال الكتاني: هي مكاشفة الحق ومعاينة الغيب (ص٣٨).

الخلق: وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بسهولة ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم والعفو والجود ونحوها سمي خلقًا حسنًا وإن كانت سيئة كالغضب والعجلة والبخل سمي خلقًا سيئًا (ص٣٩).

الجود: من بذل الأكثر ولا يصعب عليه البذل (ص٤٠).

السخاء: من أعطى البعض وأبقى الأكثر(ص٤٠).

الإيثار: من قاسى الضراء وآثر غيره (ص٤٠).

الفقر: نفض اليد من الدنيا وصيانة القلب من إظهار الشكوى (ص٤٠).

الذكر: وهو إذا أطلق ينصرف لذكر اللسان، وهو ركن قوي في طريق الوصول وهو منشور الولاية (ص٤٢).

الوقت: قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط أو حزن أو سرور. قال أبو الدقاق: الوقت ما أنت به في الحال، فإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى. ويقولون: الصوفي ابن وقته: يريدون أنه مشتغل بما هو أولى به في الوقت لا يدبر في مستقبل ولا ماضي، بل يهمه ما هو فيه. وكل وقت له آداب تطلب فيه وملاينة الوقت القيام بآدابه؛ فَوَقْتُ القهرية آدابه الرضى والتسليم، ووقت النعمة آدابه الشكر (ص٤٣).

الحال: معنى يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ولا تسبب ولا اكتساب من بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو اهتياج، ويظهر آثاره على الجوارح قبل التمكن من شطح ورقص وسير وهيام، وقيل فيها أولها جنون ووسطها فنون وآخرها سكون (ص٤٣).

المقام: ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهاد من الأدب وما يتمكن فيه من مقامات اليقين بتكسب وتطلب. فمقام كل واحد موضع إقامته فالمقامات تكون أولًا أحوالًا؛ حيث لا يتمكن المريد منها؛ لأنها تتحول ثم تصير مقامات بعد التمكين، كالتوبة مثلًا تحصل ثم تنقص حتى تصير مقامًا وهي التوبة النصوح (ص٤٤).

القبض: انكماش وضيق يحصل في القلب يوجب السكون والهدوء (ص٤٥).

البسط: انطلاق وانشراح للقلب يوجب التحرك والانبساط (ص٤٥).

والقبض والبسط حالتان بعد الترقي من حالة الخوف والرجاء. والفرق بين القبض والخوف وبين الرجاء والبسط أن الخوف متعلقه مستقل، إما فوات محبوب أو هجوم محذور بخلاف القبض فإنه معنى يحصل في القلب إما بسبب أو لا. وكذلك الرجاء يكون لانتظار محبوب في المستقبل، والبسط بشيء موهوب يحصل في الوقت (ص٤٥).

الخواطر: خطابات ترد على القلوب تكون بإلقاء ملك أو شيطان أو حديث نفس. فإن كان من الملك فإلهام أو من الشيطان فوسواس أو من النفس فهواجس (ص٤٦).

الواردات: ما يرد على القلوب من التجليات القوية أو الخواطر المحمودة بما لا يكون للعبد فيه تكسب. والفرق بينهما أن الواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع أو ما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط ووارد شوق ووارد خوف، إلى غير ذلك من المعاني (ص٤٦).

النفس: عبارة عما يذم من أفعال العبد وأخلاقه، وقيل النفس محل الأخلاق المعلولة (ص٤٧). وهي ترويح القلوب بلطائف الغيوب، فصاحب الأنفاس أرفع من صاحب الأحوال ومن صاحب الوقت. فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأصحاب الأرواح والأنفاس لأصحاب السرائر. ويرى العارف باللّه الحسني أن النفس أدق من الوقت والمراد بحفظ الوقت حضور القلب فيه وبحفظ النفس حضور السر في مشاهدة الحق. يقال فلان طابت أنفاسه إذا صفا مشربه من عين التوحيد من كدورة الأغيار. وقال القشيري: وقالوا أفضل العبادة حفظ الأنفاس أي دوام الفكرة والنظرة (ص٧٣، ٧٤).

الروح: عبارة عن محل التجليات الإلهية، وقيل محل الأخلاق المحمودة (ص٤٧).

السر: عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية. وهو لطيفة مودعة في القلب كالروح إلا أنه أشرف من الروح لكمال أوصافه (ص٤٧).

النصر: تقوية الجوارح على فعل الخير (ص٤٩).

التأييد: تقوية البصيرة من داخل. فالباعث الداخلي تأييد والبطش ومساعدة الأسباب من خارج نصر (ص٤٩).

الهداية: هي تصويب العبد إلى طريق توصله إلى الحق وقد تطلق على بيانها (ص٤٩).

الرشد: هو توجيه القلب إلى طريق السعادة (ص٤٩).

التسديد: هو القدرة على سلوك طريق الخير وتجنب الشر (ص٤٩).

العصمة: هو وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر (ص٤٩).

الحكمة: إتقان الشيء وإبداعه ففي العلم تحقيقه والعمل به، وفي القول إيجازه وتكثير

معانيه، وفي العمل إتقانه وإكماله (ص٥٠).

العقل: نور يميز به بين النافع والضار، ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار أو نور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية أو قوة مهيئة لقبول العلم؛ سمي عقلًا، لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي. وهو على قسمين: عقل أكبر وعقل أصغر. أما العقل الأكبر فهو أول نور أظهره اللّٰه للوجود ويقال له الروح الأعظم ومن نوره يمتد العقل الأصغر. وهو على قسمين: عقل موهوب وعقل مكسوب. فالموهوب هو الذي جعله اللّٰه فيه غريزة والمكسوب هو الذي يكتسب بالتجاريب والرياضات وارتكاب المحن (ص٥٠، ٥١).

الفناء: قال أبو المواهب: الفناء محو واضمحلال وذهاب عنك وزوال. وقد يطلق الفناء على الفناء في الأفعال، فلا يرى فاعلًا إلا اللّٰه تعالى وعلى الفناء في الصفات فلا يرى سميعًا ولا قديرًا إلا اللّٰه تعالى. وقد يطلق على التخلي والتحلي فيقال: فني عن أوصافه المذمومة وبقي بالأوصاف المحمودة (ص٥٥).

البقاء: الرجوع إلى شهود الحس بعد الغيبة عنه بشهود المعنى، فالغيبة عن الحس وعن الحكمة وعن الفرق فناء وملاحظتهما معًا بقاء (ص٥٥، ٥٦).

القدرة والحكمة: القدرة عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة. والحكمة عبارة عن تسترها بوجود الأسباب والعلل. فالقدرة تبرز والحكمة تستر. والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادرًا في معجزة أو كرامة. وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف. والحكمة ما يسترها عن الحس وأوصاف البشرية وأحكام العبودية، فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة وبطونه في ظهوره بمقتضى اسمه الباطن يسمى حكمة (ص٥٦).

الحس: عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهرًا (ص٥٨).

المعنى: عبارة عن تلطيفها باطنًا فحس الكائنات أوان حاملة للمعاني. فلا قيام للحس إلا بالمعنى ولا ظهور للمعنى إلا بالحس؛ فظهور المعنى بلا حس محال وشهود الحس بلا معنى جهل وظلمة (ص٥٨).

التواجد: تكلف الوجد واستعماله كاستعمال الرقص والشطح والقيام وغير ذلك (ص٦١).

الوجد: الذي يرد على القلب ويصادمه بلا تأمل ولا تكلف إما شوق مقلق أو خوف مزعج أو هو بعد التواجد (ص٦١، ٦٢).

الوجدان: دوام حلاوة الشهود واتصالها مع غلبة السكر والدهش فإن استمر مع ذلك حتى زالت الدهشة والحيرة وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود. وقال أبو علي الدقاق ﷺ: التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد، والوجود يوجب استهلاك العبد، فهو كمن شهد البحر ثم ركب ثم غرق (ص٦٢).

الذوق والشرب والسكر والصحو: الذوق يكون بعد العلم بالحقيقة، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل فيغيب عن رؤية الحدوث في أنوار القدم لكنه لا يدوم ذلك؛ بل يلمع تارة ويخفى أخرى فصاحبه يدخل ويخرج فإذا لمع غاب عن حسه، وإذا خفي رجع إلى حسه ورؤية نفسه، فهذا يسمى عندهم ذوقًا، فإن دام له هذا الدور ساعة أو ساعتين فهو الشرب، وإن اتصل ودام فهو السكر، ومرجعه إلى فناء الرسوم في شهود الحي القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر، ويسمى أيضًا الفناء فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنها نور من أنوار الله فهو الصحو. ويسمى أيضًا بالري وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فنائها ويسمى أيضا فناء الفناء لأنه علم أنه لم يكن ثم شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما (ص٦٣).

المحو: الغيبة عن الكائنات فناء (ص٦٤).

الإثبات: يطلق على محو الأوصاف الذميمة، وإثبات الأوصاف الحميدة. وهي ثلاث: محو الزلة عن الظواهر، ومحو الغفلة عن الضمائر، ومحو العلة عن السرائر (ص٦٤).

الستر: غيبة العبد عن ربه ترويحًا وتنزلًا وشغلًا بشأن من الشئون (ص٦٤).

التجلي: كشف العبد بعظمة ربه وهذا قبل الرسوخ، وأما بعد الرسوخ فلا غيبة له (ص٦٤).

المحاضرة والمكاشفة والمسامرة: المحاضرة حضور القلب مع الرب، ويكون من وراء الحجاب، إما بتواتر البرهان أو بفكرة الاعتبار أو باستيلاء سلطان الذكر على القلب ثم بعده المكاشفة وهي حضور القلب مع الرب بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل، ويكون أيضًا مع الحجاب بنعت القرب في مقام المراقبة. وبعد المحاضرة والمكاشفة المسامرة وهي ظهور أسرار الذات فيغيب العبد عن وجوده ويغرق في بحر الأحدية ساعة أو ساعتين ثم يرجع إلى شاهده وحسه كمن

يستمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر ثم يخرج، وهي من بداية الوجدان ولمعان أنوار المشاهدة، ثم بعدها المشاهدة وهي دوام شهود الحق بلا تعب أو وجود الحق بلا تهمة. وقال الجنيد ﷺ: المشاهدة وجود الحق مع فقدانك. وقد تقدم تفسيرها وإنما أعيدت هنا لترتبها على ما قبلها. قال القشيري: فصاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يدنيه علمه وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته. وأجمع ما قيل في المشاهدة أنه توالي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخللها ستر وانقطاع (ص٦٥، ٦٦).

اللوائح واللوامع والطوالع: وهي ألفاظ متقاربة، وهي لأهل البدايات حين تبرق عليهم أنوار الشهود، ثم تستر فتكون أولًا لوائح ثم لوامع ثم طوالع، فاللوامع أظهر من اللوائح والطوالع أظهر من اللوامع، فقد تبقى اللوامع ساعتين أو ثلاث بخلاف اللوائح فإنها أخف لزوالها بسرعة. وأما الطوالع فإنها أبقى وقتًا وأقوى سلطانًا وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة، لكنها على خطر الأفول لم يتمكن صاحبها من طلوع شمس عرفانه، فأوقات حصولها وشيكة الارتحال وأحوال أفولها طويل الأذيال، لكن إذا غربت أنوارها بقيت آثارها، فصاحبها إذا غربت أنوارها يعيش في بركات أثارها إلى أن تعود ثانية هكذا حتى تطلع شمس نهاره بتمكنه فلا مغيب لها حينئذ (ص٦٦، ٦٧).

البوادة: ما يفجأ القلب من ناحية الغيب على سبيل البغتة إما موجب فرح أو ترح (ص٦٧).

الهجوم: ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع ولا تكسب (ص٦٧).

سادات الوقت: من يكون فوق ما يفجأه حالًا وقوة لا تغيره الهواجم ولا تتصرف فيه البواده، ولا تزعجه الهموم، ولا تحركه المخاوف، وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتمكين (ص٦٧).

التلوين والتمكين: التلوين هو الانتقال من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام وقد يسقط ويقوم فإذا وصل إلى صريح العرفان وتمكن من الشهود فصاحب تمكين. فصاحب التلوين أبدًا في الزيادة وصاحب التمكين وصل وتمكن فانتهاء سيرهم الظفر بنفوسهم. فإن ظفروا بها فقد وصلوا فانخنست أوصاف البشرية واستولى عليها سلطان الحقيقة، فإذا دام ذلك للعبد فهو صاحب تمكين. وقد يكون التلوين بعد التمكين ومعناه النزول في المقامات كنزول الشمس في بروجها فيتلون العارف مع المقادير ويدور معها حيث دارت ويتلون بتلون الوقت فيكون بين قبض وبسط وقوة وضعف ومنع وعطاء وسرور

وحزن وغير ذلك من تقلبات الأحوال غير أنه مالك غير مملوك لا يتغير بتغير الأحوال ولا يتأثر بالزلازل والأهوال (ص٦٨).

القرب: كناية عن قرب العبد من ربه بطاعته وتوفيقه وهو على ثلاث مراتب: قرب بالطاعة وترك المخالفة، وقرب بالرياضة والمجاهدة، وقرب بالوصول والمشاهدة (ص٦٩).

البعد: أول البعد البعد عن التوفيق، ثم البعد عن سلوك الطريق، ثم البعد عن التحقيق (ص٦٩).

الشريعة والحقيقة والطريقة: الشريعة: تكليف الظاهر والطريقة تصفية الضمائر والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده. فالشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لتزيين السرائر. ويقال الشريعة عين الحقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة عين الشريعة من حيث إنها مكلف بها من قبل الشريعة. وقد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يتوصل به إلى شيء أو يكون سببًا في إدراكه، فالأسباب كلها شرائع والمقاصد كلها حقائق، فالحس شريعة المعنى؛ إذ به قبضت والمجاهدة شريعة المشاهدة والذل شريعة العز، وهكذا والحرث والغرس شريعة جني الثمار؛ ولذلك يقولون من غرس الشرائع أثمرت له الحقائق ومن غرس الحقائق أثمرت له الشرائع (ص٧٠).

الذات والصفات: المراد بالصفات صفات المعاني وسائر أوصاف الكمال فكل ما وقع به التجلي والظهور فهو بين ذات وصفات الذات لا تفارق الصفات، والصفات لا تفارق الذات، وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود هو الذي قصد من قال: الذات عين الصفات أي مظهرهما واحد، كما قالوا: الحس عين المعنى اتحد مظهرهما. واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر أثر الصفات؛ إذ لو تجلت بلا واسطة لاضمحلت المكونات وتلاشت؛ ولذلك يقولون: تجلي الذات جلالي وتجلي الصفات جمالي، لأن تجلي الذات بلا واسطة يمحق ويحرق كما في الحديث وتجلي الصفات يكون بالأثر فيكون معه الشهود والمعرفة فهو جمالي، ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات، وعلى كل ما هو جمالي صفات على سبيل التشبيه، فقالوا: الفقر ذات والغنى صفات، الذل ذات والعز صفات، الصمت ذات والكلام صفات وهكذا (ص٧١، ٧٢).

الأنوار: ما ظهر من كثائف التجليات (ص٧٢).

الأسرار: ما بطن فيها من المعاني اللطيفة. فالأسرار أرق من الأنوار؛ فالأسرار للذات والأنوار للصفات لأنها أثرها (ص٧٢).

الضمائر والسرائر: فقيل معناهما واحد، وقيل السرائر أرق وأصفى كما أن الروح أرق من القلب؛ لأن الضمائر كل ما خفي في الباطن خيرًا أو شرًّا، والسرائر ما كمن فيه من المحاسن، والتحقيق أنهما شيء واحد عبارة عما كمن في الباطن من العقائد والنيات بدليل الآية: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [الطارق: ٩] (ص٧٣).

الفكرة: جولان القلب في تجليات الرب. وهي سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له وهي سبب الغنى الأكبر وبها يتحقق السير ويحصل الوصول فمن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له. وكان شيخنا البوزيدي ﷺ يقول: الفقير بلا فكرة كالخياط بلا إبرة (ص٧٥).

النظرة: أرق من الفكرة وأرفع لأنها مبدأ الشهود فالجولان في الأكوان وهدمها وتلطيفها فكرة والنظرة في نفسه أو غيره من التجليات وغيبته عنها بشهود الحق نظرة. فإن تمكن من الشهود ودام فيه سمي العكوف في الحضرة؛ ولذلك يقال أول المقامات ذكر ثم فكرة ثم نظرة ثم عكوف في الحضرة (ص٧٥).

الشاهد: ما يكون حاضر قلب الإنسان وما هو غالب ذكره كأنه يراه ويبصره، وإن كان غائبًا عنه، وكل ما يستولي على قلب الإنسان ذكره فهو شاهده. فإن كان الغالب عليه ذكر العلم فهو بشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهو بشاهد الوجد (ص٧٦).

المريد: الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق ودخل تحت تربية المشايخ وهو من لا إرادة له دون مولاه (ص٧٨).

الفقير: الذي افتقر مما سوى اللّه ورفض كل ما يشغله عن اللّه؛ ولذلك قالوا: الفقير لا يملك ولا يملك، أي لا يملك شيئًا ولا يملكه شيء، فهو أنهض من المريد وأخص لأن المريد قد يكون من أهل الأسباب، وقيل: الفقير هو الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء أي لا يحصره الكون لرفع همته ونفوذ بصيرته (ص٧٨).

الملامتي: هو الذي لا يظهر خيرًا ولا يضمر شرًّا أي هو الذي يخفي ولايته ويظهر من الأحوال ما ينفر الناس عنه (ص٧٨).

المقرب: من كملت أحواله فكان لربه بربه وليس له عن سوى الحق أخبار ولا مع غير

اللّه قرار (ص٧٨).

العباد والزهاد والعارفون: هذه ألفاظ معانيها متقاربة يجمعها معنى التصوف في الجملة الذي هو قصد التوجه إلى اللّه تعالى. إلا أن من غلب عليه العمل كان عابدًا ومن غلب عليه الترك كان زاهدًا، ومن وصل إلى شهود الحق ورسخ فيه كان عارفًا (ص٧٩).

الصالحون: من صلحت أعمالهم الظاهرة واستقامت أحوالهم الباطنة (ص٧٩).

الأولياء: أهل العلم باللّه على نعت العيان من الولي وهو القرب (ص٧٩).

البدلاء: الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن، واستبدلوا صفاتهم بصفات محبوبهم (ص٧٩).

النقباء: الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المكون (ص٧٩).

النجباء: السابقون إلى اللّه لنجابتهم، وهم أهل الجد والقريحة من المريدين (ص٧٩).

الأوتاد: الراسخون في معرفة اللّه وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة (ص٧٩).

القطب: القائم بحق الكون والمكون وهو واحد وقد يطلق على من تحقق بمقام وعلى هذا يتعدد في الزمان الواحد أقطاب في المقامات والأحوال والعلوم. يقال: فلان قطب في العلوم أو قطب في الأحوال. قال القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ﷺ: للقطب خمس عشرة علامة فمن ادعاها أو شيء منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات. ومن هذه العلامات أن يكون متخلقًا بأخلاق الرحمة على قدم موروثه ﷺ، وأن يمد بمدد العصمة وهي الحفظ الإلهي والعصمة الربانية وأن يكون خليفة اللّه في أرضه أمينًا على عباده بالخلافة النبوية وأن يكون نائبًا عن الحق في تصريف الأحكام، وأن يطلع على علم البدء والمراد علمه تعالى الأزلي السابق للأشياء قبل أن تكون وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم (ص٧٩ - ٨٢).

الخلاصة:

ورد في الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الخوف.**
- **الرجاء.**

- المراقبة.
- المحاسبة.
- المشارطة.
- المشاهدة.
- المعاينة.
- المعرفة.
- التصديق.
- الطمأنينة.
- الشوق.
- الاشتياق.
- الغيرة.
- الإرادة.
- المجاهدة.
- القناعة.
- اليقين.
- الفراسة.
- الإيثار.
- الخواطر.
- الواردات.
- النفس.
- التأييد.
- التسديد.
- الحكمة.
- العقل.
- القدرة.
- الحس.
- الوجدان.
- الذوق.
- المكاشفة.
- المسامرة.
- التمكين.
- القرب.
- الذات.
- الفكرة.

القائم بالعرض

د.مي إدريس

* * *

مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة



- تأليف/ ابن العريف أبو العباس.
- جمعه/ أبو بكر عتيق بن مؤمن.
- دراسة وتحقيق/ د. عصمت عبد اللطيف دندس.
- بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٩٣م)، (ط ١).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد أبو العباس أحمد بن العريف بمدينة ألمرية يوم الأحد بعد طلوع فجر الثاني من جمادى الأولى سنة (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م). نشأ في بيئة متواضعة أقرب إلى الفاقة والعوز. واجتهد في طلب العلم، تردد على شيوخ ألمرية ومرسية وقرطبة ينهل من علمهم فكان من شيوخه أبو الحسن البرجي، وأبو محمد عبد القادر القروي المعروف بابن الحناط وغيرهما. لم يقتصر نشاط ابن العريف العلمي ببلدة ألمرية، فقد أقرأ بسرقسطة وبلنسية، وكان فقيهًا وراويًا مجرحًا ومجودًا بارعًا. ولابن العريف أسلوب رشيق رقيق وشعر يدل على حساسيته المرهفة، وموهبته العفوية وشعوره الصادق. من كتبه « مطالع الأنوار »، و« منابع الأسرار ». مات مسمومًا في صفر (٥٣٦هـ/ ١١٤١م).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٦٣) صفحة من القطع المتوسط مشتملة على الفهارس. بدأ بمقدمة وتعريف بعصر ابن العريف: مولده وشيوخه والمناصب التي شغلها، عائلته، صفاته، وشعره، وموقفه من تفضيل الجهاد على الحج، بالإضافة إلى الإشارة إلى تلاميذه وعلاقته بالمرابطين ونكبته.

بدأ الكتاب بتصوف ابن العريف ومنهجه، وسنده في التصوف. ثم جاء على ذكر طريقته في تعليم المريد والمتصوف. وهنا جاءت الإشارة إلى أهمية القدوة **Model** (ص٥٨) في التعلم، وأن الشيخ لازم وضروري لكل سالك لهذا الطريق، وأن الشيخ القدوة يبين للسالك الطريق ويعرفه بما يقرأ.

وبدأ بعد ذلك في وصف المخطوط وما جاء فيه من أدعية أبي العريف التي جمعها ابن مؤمن وسماها « مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة ». فجاء أول ما جاء بمناجاته ودعائه الذي يتقرب به إلى اللَّه، ثم أتى بباب عن كلامه ﷺ، وأشار في فاصل إلى أن الإيمان يرسخ بالتكرار والاستقرار، وأن رسوخ **العادة Habit** يحدث من خلال **التكرار Frequency** (ص٨٦) وهي إشارة لأحد مبادئ التعلم. ثم أشار في فاصل آخر إلى الإخلاص وأهميته لتحل على الإنسان البركة. وعرض لفاصل ثالث حول أن أهل الجنة، وهم المؤمنون، يلازمهم البلاء، وأن المسلم غالبًا ما تصيبه **المشاق Stresses** (ص٨٨)، وبين لنا أحد الأساليب التي يمكن بها تحمل المشقة والتخلص منها، ألا وهي أسلوب **المساندة Supporting** (ص٨٩) وذلك باللجوء إلى اللَّه، فحينئذ تثبت القلوب وينهزم الخوف.

ثم عرض رسائله إلى أئمة وشيوخ الصوفية. وبدأ برسائله إلى الفقيه الفاضل أبي الحكم كيبري، ثم أشار إلى رسائله إلى أبي الحسن بن غالب - رضي اللَّه عنهما -، وسرد على أبي الحسن في هذه الرسائل أخباره المختلفة وما مر بحياته من أحداث.

ثم عرض لرسائله إلى أبي عبد اللَّه محمد بن يوسف الآبار، وذكر في أولى رسائله إلى الخصائص التي يجب أن يتحلى بها معلم الصبيان، وأن عليه أن يشدد عليهم ليتعلموا.

ثم كانت الرسالة التي رد بها أبو عبد اللَّه علي بن العريف. ثم جاء رد أبي العباس ابن العريف على هذه الرسالة.

بعدها تناول الرسائل التي بعثها إلى جملة من الإخوان، وكتب فيها توجيهًا لهم ليعملوا به في حياتهم، وأوصى بأمور ليلزموها ومنها صلاة الجمعة وصلاة الجماعة والصيام.

ثم جاءت رسائله إلى جملة الإخوان في قرطبة، ليطمئن عليهم ويطمئنهم على أخبار من يهمونهم، وأوصاهم بالكيفية التي يدعون الناس بها بالرفق والهوادة. ثم كانت رسائله إلى أبي الحسن سيد المالقي.

ثم كتب إلى الفقيه الكاتب أبي محمد بن الحاج اللورقي، كما كتب إلى أبي علي منصور. وشكى في رسالته إلى الأستاذ أبي خالد بن عبد الجبار القرشي ضيق صدره وهمه، وسرد له أسباب ذلك.

وكتب إلى الفقيه أبي بكر عياش ثم أبي محمد عبد الغفور. وكتب إلى أبي الحسن عامر بن الحسن وأشار فيها إلى كيفية تدريب نفوسنا على أسباب التوبة والإيمان وشكر

كرم اللّه ﷻ. كما أشار إلى كتابه لأبي القاسم بن قسي.

وأشار في رسائله إلى أبي الوليد بن المنذر إلى أن النفس تطالب بالاستقواء والاستقامة، وما زادها هذا الطلب إلا غلوًّا وفسادًا.

أما آخر رسائله فكانت إلى أبي بكر بن مؤمن وشرح فيها اشتياقه وأن به رغبة في القدوم عليه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **القدوة Model.**
- **العادة Habit.**
- **التكرار Frequency.**
- **المشاق Stresses.**
- **المساندة Supporting.**

القائم بالعرض

د.نشوة عبد التواب حسين

* * *

المناظر



○ تأليف/ ابن الهيثم أبو علي الحسن.

○ تحقيق/ أ. د. عبد الحميد صبرة.

○ الكويت: برعاية المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، قسم التراث العربي، (١٩٨٣م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد الحسن بن الحسن بن الهيثم أبو علي في البصرة سنة (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، وتوفي في مصر سنة (٤٣٢هـ/ ١٠٤٠ - ١٠٤١م). ونُقل عن ابن الهيثم أنه قال: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملًا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص. وبلغ هذا الحاكم فتاقت نفسه لرؤيته، وخرج لملاقاته عند حضوره إلى مصر. وسار ابن الهيثم ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له. ووصل إلى الجنادل قبل مدينة أسوان، وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل فعاينه واختبره من جانبيه، فوجد أمره لا يمشي مع موافقة مراده، وتحقق الخطأ عما وعد به، وعاد خجلًا منخزلًا واعتذر. وولاه الحاكم بعض الدواوين فتولاها رهبة، ولم يجد طريقًا للتخلص من ذلك سوى بادعاء الجنون، ولما تحقق وفاة الحاكم (٤١١هـ/ ١٠٢١م) أظهر العقل وعاد لما كان عليه واستوطن قبة على باب الجامع الأزهر، وعمل في نسخ الكتب إلى أن توفي.

عرض الكتاب:

وكتاب «المناظر» أنفس ما أنتجه العلماء العرب في مجال الفيزياء، وهو أهم كتاب في البصريات ظهر في الحقبة الممتدة بين القرن الحادي عشر الميلادي إلى أوائل القرن السابع عشر.

وينقسم هذا الكتاب إلى قسمين:

يختص أولهما بإشراق الأضواء ورؤية المُبصرات على الاستقامة (وهذا موضوع المقالات الثلاث الأولى).

ويختص ثانيهما بانعكاس الأضواء وانعطافها وما يترتب عليهما من إدراك المبصرات في المرايا (وهو موضوع المقالات الأربع الأخيرة). **وسنعرض القسم الأول من الكتاب.**

المقالة الأولى: كيفية الإبصار بالجملة:

الفصل الأول: صدر الكتاب: ويعرض فيه لموضوع الكتاب بصفة عامة، ويبدأ بعرض آراء المتقدمين من أهل النظر فيما يتصل بكيفية الإبصار، فمع تسليمهم بالدور الأساسي للشعاع في حدوث الإبصار إلا أنهم يختلفون حول هيئة الشعاع (ص ٦٠) وكيفية حدوثه: فطائفة ترى أن مخروط الشعاع جسم مصمت متصل ملتئم، وأن الشعاع يخرج من البصر على خط واحد مستقيم إلى أن ينتهي إلى المُبصر، ثم يتحرك على سطح المُبصر حركة في غاية السرعة في الطول والعرض لا يدركها الحس لسرعتها، أو أن البصر إذا فتح أجفانه قبالة المُبصر حدث المخروط في الحال دفعة واحدة بغير زمان محسوس، أو أن الشعاع قوة نورية تنبعث من البصر وتنتهي إلى المُبصر وبتلك القوة يكون الإحساس، أو أن الهواء يتحول عند اتصاله بالبصر إلى شعاع يدرك به البصر المُبصرات. وترى طائفة أخرى أن الشعاع خطوط مستقيمة هي أجسام دقائق أطرافها مجتمعة عند مركز البصر، وأن ما وافق أطراف هذه الخطوط من سطح المُبصر أدركه البصر وما حصل بين أطراف خطوط الشعاع من أجزاء المبصر لم يدركه البصر؛ ولذلك تخفى عن البصر الأجزاء التي في غاية الصغر والمسام التي في غاية الدقة التي تكون في سطوح المُبصرات.

ويُرجع ابن الهيثم هذا الخلاف إلى أن الحقائق غامضة، والمقاييس مختلفة، والمقدمات مُلتقطة من الحواس والحواس غير مأمونة الغلط، والباحث المجتهد غير معصوم من الغلط.

الفصل الثاني: البحث عن خواص البصر: يتضمن هذا الفصل شرحًا للمعاني اللازمة لحدوث الإبصار؛ إذ إن البصر لا يدرك شيئًا إلا إذا كان بينهما بُعد ما، وكان هذا الشيء مقابلًا للبصر، بمعنى أن يكون بين كل نقطة من سطحه وسطح البصر خط مستقيم متوهم أو خطوط مستقيمة متوهمة، وأن لا يتوسط بين سطح البصر والمُبصر جسم كثيف يقطع جميع الخطوط المستقيمة، ولا يدرك البصر شيء من المُبصرات أيضًا إلا إذا كان في المُبصر ضوء ما إما من ذاته أو مشرق عليه من غيره، وكان حجمه مقتدرًا ويُقصد بالحجم (ص٦٦) هنا مساحة المُبصر جسمًا كان أو سطحًا أو خطًا، ولا يدرك البصر شيئًا من المُبصرات إلا إذا كان كثيفًا أو كان فيه بعض الكثافة (ص٦٧)؛ فإن الجسم إذا كان غاية

في الشفيف (ص٦٧) كالهواء فليس يدركه البصر ويدرك ما وراءه، فليس يحس البصر بالجسم المشف إلا إذا كان أغلظ من الهواء المتوسط بينه وبين البصر. ويتأثر الإدراك البصري أيضًا بالتفاعل بين كل من المسافة والحجم والضوء. وإذا اجتمعت هذه المعاني للمُبصر وكان البصر سليمًا من الآفات فإنه يدرك هذا المُبصر.

الفصل الثالث: البحث عن خواص الأضواء: يميز ابن الهيثم في هذا الفصل بين نوعين من الأضواء: يتمثل النوع الأول في إشراق الأضواء من الأجسام المضيئة من ذواتها مثل الشمس والقمر والنجوم والكواكب. ويؤكد في هذا السياق على أن إشراق جميع الأضواء إنما يكون على سموت (ص٧٢) خطوط مستقيمة، وأن الضوء يشرق من كل جسم مضيء من ذاته في جميع الجهات التي بينه وبينها خطوط مستقيمة لا يقطعها شيء من الأجسام الكثيفة، وأن كل جزء من أجزاء الجسم المضيء من ذاته يشرق الضوء منه على هذه الصفة، وأن الضوء الذي يشرق من جزء أعظم يكون أقوى من الضوء الذي يشرق من جزء أصغر. ويُطلق على الأضواء التي تشرق من الأجسام المضيئة من ذواتها مصطلح الأضواء الأول (ص٨٢). ويتمثل النوع الثاني في الأضواء العرضية (ص١٠٤)، وهي أضواء تشرق عن الأجسام الكثيفة، وهي أجسام غير مضيئة من ذواتها، وتضيء عادة بفعل جسم مضيء من ذاته، ويشرق الضوء منها على سموت مستقيمة في جميع الجهات المقابلة لها كما تشرق الأضواء الذاتية. ويشير ابن الهيثم إلى أن كثيرًا من الألوان التي في الأجسام الكثيفة المضيئة بضوء عرضي تصحب الأضواء التي تشرق من تلك الأجسام وتوجد صورة اللون أبدًا مع صورة الضوء.

الفصل الرابع: فيما يعرض بين البصر والضوء: يتضمن هذا الفصل شرحًا لتأثير الضوء في البصر، ومن أمثلة هذا التأثير أن البصر إذا نظر إلى الأضواء القوية التي في غاية القوة تألم بها واستضر، وإذا أطال الناظر النظر إلى ضوء قوي ثم صرف بصره إلى موضع مظلم فإنه يجد صورة الضوء في ذلك الموضع المظلم ويجد مع ذلك شكله، ثم إذا أطبق بصره وتأمل فإنه يجد في بصره صورة ذلك الضوء وشكله. وإذا كان البصر لا يدرك شيئًا من المُبصرات إلا إذا كان مضيئًا فإن الصورة التي يدركها البصر من المُبصر إنما تكون بحسب الضوء الذي في المُبصر وبحسب الأضواء التي تشرق على البصر حال إدراكه لذلك المُبصر وعلى الهواء المتوسط بين البصر والمُبصر. ويتسم تأثير الضوء في الإبصار بالنسبية؛ إذ تُظهر الأضواء القوية بعض المعاني التي في المُبصرات وتخفي

بعضها الآخر، وتُظهر الأضواء الضعيفة بعض المعاني التي في المُبصرات وتخفي بعضها الآخر.

الفصل الخامس: هيئة البصر: يتكون البصر من طبقات وأغشية (ص١٢٧) وأجسام مختلفة ومبدؤه من مقدم الدماغ إذ ينشق عصبتان جوفاوان (ص١٢٧) عن جنبتي مقدم الدماغ فينتهيان إلى الوسط من ظاهر مقدم الدماغ ثم يلتقيان فيصيران عصبة واحدة جوفاء ثم تنقسم هذه العصبة فتصير أيضًا عصبتين متساويتين ثم تمتد هاتان العصبتان حتى تنتهيا إلى حدبتي العظمين المقعرين المحيطين بجملتي العينين، وكل واحدة من العينين مركبة على عصبة من هاتين العصبتين. وتتمثل أول طبقات العين في شحمة بيضاء تملأ مقعر العظم وهي معظم العين وتسمى الملتحمة (ص١٢٧)، وفي داخل هذه الشحمة كرة مستديرة سوداء اللون في أغلب الأحيان تسمى العنبية (ص١٢٧)، وفي وسط مقدم العنبية ثقب مستدير نافذ إلى تجويفها يسمى القرنية (ص١٢٨)، وفي صدر مقعر العنبية كرة صغيرة بيضاء رطبة متماسكة الرطوبة وفيها شفيف وبعض الغلظ وتسمى الجليدية (ص١٢٨)، وتنقسم هذه الرطوبة إلى جزأين مختلفي الشفيف، أحدهما يلي مقدمها وهو الرطوبة البيضية (ص١٢٩)، والآخر يلي مؤخرها وهو الرطوبة الزجاجية (ص١٢٨). وهذه الطبقات متوالية ومتماسة. وطبقات البصر المقابلة لثقب العنبية هي سطوح كرية مركزها نقطة واحدة مشتركة ولهذا فإن الخط المستقيم الذي يمر بمركز العنبية هو عمود على جميع الطبقات المقابلة لثقب العنبية ويمتد في وسط تجويف العصبة التي العين مركبة عليها.

الفصل السادس: كيفية الإبصار: يحدث الإبصار عندما تنفذ صورة الضوء واللون اللذين في سطح المُبصر في شفيف طبقات البصر، لكن كيفية الإبصار لا تصح أن تكون بهذه الصفة فقط؛ وذلك لأن كل جسم متلون مضيء فإن ضوءه ولونه تمتد صورتهما في الهواء إلى جميع الجهات المقابلة، وقد يقابل البصر في الوقت الواحد مبصرات كثيرة مختلفة الألوان وكل واحد منها بينه وبين البصر سموت مستقيمة، وأيضًا فإن المُبصر الواحد قد تكون فيه ألوان مختلفة وتخطيط وترتيب وكل جزء من أجزائه يصدر منه الضوء واللون اللذين فيه في سموت مستقيمة تمتد في الهواء المتصل، وكل واحد من هذه المُبصرات التي تقابل البصر ترد صورة لونه وضوئه في ذلك الوقت، فتحصل في جميع سطح البصر في وقت واحدٍ ألوان كثيرة مختلفة وأضواء كثيرة، فإن أحس البصر

بتلك الصورة الممتزجة فهو يحس بلون مخالف للون كل واحد من تلك المُبصرات، وإن أحس بواحدة من تلك الصور ولم يحس بالباقية أدرك واحدًا من المُبصرات ولم يدرك الباقية. لهذا يرى ابن الهيثم: أن البصر يحس بالصورة التي ترد من نقطة واحدة من سطح المبصر إلى جميع سطح البصر من نقطة واحدة فقط من سطح البصر؛ وذلك لأنه إذا أدرك لون النقطة الواحدة من نقطة واحدة فقط من سطحه أدرك لون الجزء الواحد من المبصر من جزء من سطحه وأدرك لون الجزء الآخر من جزء آخر من سطحه غير ذلك الجزء وأدرك كل واحد من المُبصرات من موضع من سطحه غير الموضع الذي يدرك منه مبصرًا آخر فتترتب له المُبصرات وتتميز وتترتب أجزاء كل واحد من المُبصرات. فإذا قابل البصر مُبصرًا من المُبصرات فإنه يتشكل بين النقطة التي هي مركز البصر وبين سطح ذلك المُبصر المقابل للبصر مخروط متوهم رأسه مركز البصر وقاعدته سطح ذلك المُبصر. وليس يدرك البصر شيئًا من المُبصرات إلا من سموت الخطوط المستقيمة التي تتوهم ممتدة بين المُبصر ومركز البصر فقط. وينفذ الشعاع عبر طبقات العين ويمتد في العصبة الجوفاء ويتأدى إلى مقدم الدماغ وهناك يكون آخر الإحساس (ص١٦٣).

والحاس الأخير (ص١٦٣) الذي هو القوة النفسانية الحساسة تكون في مقدم الدماغ وهذه القوة هي التي تدرك المحسوسات، والبصر إنما هو آلة من آلات هذه القوة وغاية البصر أن يقبل صور المُبصرات التي تحصل فيه ويؤديها إلى الحاس الأخير والحاس الأخير هو الذي يدرك تلك الصور ويدرك منها المعاني المُبصرة التي تكون في المُبصرات.

وإذا كان الإبصار من الصورة التي تحصل في البصر وكان الناظر يدرك المُبصرات ببصرين حصلت صور المُبصرات في كل واحد من البصرين فيحصل للمُبصر الواحد في البصرين صورتان.

ومع ذلك فإن الناظر يدرك المُبصر الواحد في أكثر الأحوال واحدًا، وإنما كان ذلك كذلك لأن الصورتين اللتين تحصلان في البصرين للمبصر الواحد في حال إدراكه واحدًا، تجتمعان وتصيران صورة واحدة من قبل أن يدركها الحاس الأخير وإن الحاس الأخير إنما يدرك صورة المُبصر في حال إدراكه واحدًا من بعد اجتماع الصورتين.

الفصل السابع: منافع آلات البصر: يتضمن هذا الفصل ذكرًا لمنافع طبقات البصر التي سبق وصفها في شرح هيئة البصر؛ إذ إنها آلات للبصر بها يتم الإبصار. ومزية ما تتسم

به طبقات العين من شفيف أن هذا الشفيف يسمح بأن تنفذ فيه صور الأضواء والألوان. وأول منافع القرنية وهي الطبقة الأولى، أنها تغطي ثقب العنبية فتضبط الرطوبة البيضية التي في داخل العنبية فتنحصر ولا تتشتت، ولأن القرنية منكشفة للهواء فإن متانتها تحميها من المؤذيات اللطيفة كالدخان. وتتسم الرطوبة البيضية بأنها رطبة مائعة لترطب الجليدية وتحفظ عليها رطوبتها؛ لأن الجليدية تفسد وتتغير صورتها باليسير من اليبس. ومزية سواد العنبية أنها تُظلم الرطوبة البيضية والرطوبة الجليدية فتظهر فيها لظلمتها صور الألوان والأضواء الضعيفة الخفية. وتفيد متانة العنبية في ضبط الرطوبة البيضية وحفظها فلا يرشح منها شيء إلى الخارج. ويسمح الثقب الموجود في مقدم العنبية بنفاذ الصور إلى داخل تجويف البصر. وأما الرطوبة الجليدية فإن رطوبتها تسهل من انفعالها بالأضواء وسرعة تأثير الصور فيها، ويمنع غلظها من نفاذ صور الأضواء والألوان فيها فتثبت هذه الصور وتظهر للقوة الحاسة. فإما العصبة الجوفاء التي جملة العين مركبة عليها فكانت جوفاء لتجري فيها الروح الباصرة من الدماغ وتصل إلى الجليدية فتغطيها القوة الحساسة على الاستمرار ولينفذ أيضًا الضوء في تجويفها إلى أن يصل إلى الحاس الأخير الذي في مقدم الدماغ.

الفصل الثامن: علل المعاني التي لا يتم الإبصار إلا بها وباجتماعها: ليس يدرك البصر شيئًا من المبصرات إلا إذا اجتمعت له عدة معاني: وجود مسافة تفصل بين البصر والمُبصر؛ وهذا لأن المُبصر إذا اقترب بشدة من العين لا يُرى، وكذلك الأمر إذا بعُدت المسافة بين المُبصر والعين. وتعامد المُبصر على البصر، أي أن يكون بين كل نقطة من سطحه الذي يدركه البصر وبين نقطة ما من سطح البصر خط مستقيم متوهم؛ وهذا لأن الإبصار لا يحدث إلا بانتقال الأشعة من المُبصر إلى البصر، فإن لم يوجد هذا الخط الضوئي المستقيم بين نقطة ما من المُبصر والبصر لا تُبصر هذه النقطة. ووجود ضوء ما، سواء كان هذا الضوء من المُبصر أو من غيره؛ إذا لا تتحقق الرؤية إلا بانبعاث أشعة ضوئية مستقيمة من المُبصرات. وأن يكون حجم المُبصر مقتدرًا؛ إذ إن الأشياء شديدة الصغر لا تُرى. وأن يكون الهواء الذي بين المُبصر وبين سطح البصر أو الجسم الذي بينه وبين سطح البصر مشفًّا متصل الشفيف لا يتخلله شيء من الأجسام الكثيفة؛ وهذا لأن الوسط غير الشفاف يمنع نفاذ الأشعة الضوئية إلى العينين. وأن يكون كثيفًا أو فيه بعض الكثافة، بمعنى أن يكون مشفًّا وشفيفه أغلظ من شفيف الهواء المبسوط بينه وبين سطح البصر

أو الجسم المشف المتوسط بينه وبين سطح البصر؛ حتى يمكن تمييز هذا المُبصر عن الوسط الذي يفصل بينه وبين سطح البصر. وقوة البصر؛ حتى تُبصر المُبصرات.

المقالة الثانية: تفصيل المعاني التي يدركها البصر وعللها وكيفية إدراكها:

الفصل الأول: صدر المقالة: ويقدم فيه تلخيصًا شديد التركيز لأهم الأفكار الوارد ذكرها في المقالة الأولى.

الفصل الثاني: تمييز خطوط الشعاع: يتضمن هذا الفصل وصفًا لخطوط الشعاع التي تُدرك منها المُبصرات. إذ يتشكل بين البصر والمُبصر مخروط رأسه عند مركز البصر وقاعدته عند سطح المُبصر، وتقع صورة المُبصر على سطح الجليدية مرتبة بخطوط الشعاع الممتدة بين المُبصر ومركز البصر كترتيب أجزاء سطح المُبصر، وتحس الجليدية بالمُبصر من الصورة التي تترتب في هذا الجزء من سطحها. ويكون امتداد الصور من سطح الجليدية في جسم الجليدية على استقامة خطوط الشعاع فقط؛ لأن الجليدية لا تقبل هذه الصور إلا من خطوط الشعاع المستقيمة. وتنعطف الصور بعد نفوذها في جسم الجليدية على خطوط مقاطعة لخطوط الشعاع متشابهة الترتيب؛ وهذا لأن جسم الجليدية مختلف الشفيف والجزء المتأخر منها وهو الرطوبة الزجاجية مخالف الشفيف للجسم المتقدم، ومن خاصة صور الأضواء والألوان أن تنعطف إذا لقيت جسمًا مخالف الشفيف للجسم الأول الذي هي فيه، ولأن الصورة لا تصح أن تصل من سطح الجليدية إلى تجويف العصبة وأوضاع أجزائها على ما هي عليه إلا على خطوط منعطفة مقاطعة لخطوط الشعاع حتى لا تتشوه أو تصير صورتين. وليس قبول العضو الحاس للصور كقبول الأجسام المشفة، لأنه يقبل هذه الصور قبول إحساس وتقبل الأجسام المشفة هذه الصور قبول تأدية، ولهذا فإن امتداد الصور في الجسم الحاس ليس بحسب السموت التي توجبها الأجسام المشفة وإنما تمتد بحسب امتداد الجسم الحاس. ويتشابه شفيف الجسم الحاس الذي في تجويف العصبة مع شفيف الرطوبة الزجاجية لئلّا تنعطف الصور أو تتشوه بعد نفاذها من الرطوبة الزجاجية ووصولها للعصبة الجوفاء. وكل نقطتين متشابهتي الوضع من البصرين تمتد الصورتان منهما إلى نقطة واحدة بعينها من العصبة المشتركة. وليس شيء من الصور التي تحصل في سطح الجليدية يمتد في تجويف العصبة على استقامة إلا النقطة التي على رأس سهم المخروط فقط وهي النقطة الأبين والأشد تحققًا وهي التي يدرك منها الحاس الأخير صورة المُبصر، وجميع النقط

الباقية إنما تصل إلى تجويف العصبة على خطوط منعطفة.

الفصل الثالث: كيفية إدراك المعاني الجزئية: يتضمن هذا الفصل إطارًا نظريًّا متكاملًا لتفسير مختلف جوانب الإدراك البصري. ويقوم هذا الإطار على أساس ثلاثة مستويات من الإدراك، الأول هو الإدراك بالحس (ص٢١٦)، والذي يدركه البصر بمجرد الحس هو الضوء بما هو ضوء واللون بما هو لون. وجميع ما يُدرك بحاسة البصر من بعد الضوء واللون ليس يُدرك بمجرد الحس بل يُدرك بالتميز والقياس والمعرفة مع الحس. والثاني هو الإدراك بالمعرفة (ص٢٢٠). والمعرفة ليست هي إدراكًا بمجرد الإحساس وذلك أن البصر ليس يعرف كل ما شاهده من قبل. فلو كانت المعرفة هي إدراكًا بمجرد الإحساس لكان البصر إذا رأى شخصًا قد شاهده من قبل عرفه عند المشاهدة الثانية على تصاريف الأحوال؛ ولذلك ليس تكون المعرفة إلا بالتذكير؛ لأنه إن لم تكن الصورة الأولى حاضرة للذكر لم يدرك تشابه الصورتين ولم يعرف البصر المبصر. والمعرفة هي ضرب من ضروب القياس؛ لأن استقراء المعاني التي في الصورة يكون بالأمارات، فإذا أدرك البصر معنى من المعاني التي في الصورة وكان ذاكرًا للصورة الأولى فقد عرف الصورة. وليس كذلك جميع ما يُدرك بالقياس؛ لأن الإدراك بالقياس يحدث بعد استقراء جميع المعاني المُبصرة أو أكثرها. والإدراك بالمعرفة يتميز عن جميع ما يُدرك بالقياس بالسرعة لأنه إدراك بالأمارات (ص٢٢١). والثالث هو الإدراك بالتمييز والقياس (ص٢٢٢). وأكثر المعاني المُبصرة التي تُدرك بالتمييز والقياس تُدرك في زمان في غاية الصغر ولا يظهر في أكثر الأحوال أن إدراكها بتمييز وقياس لسرعة القياس الذي به تدرك هذه المعاني. وهذا لظهور مقدماتها ولكثرة اعتياد القوة المميزة (ص٢٢٢) لتمييز هذه المعاني، والقوة المميزة إذا أدركت المقدمة الجزئية وكانت ذاكرة للمقدمة الكلية، فإنها في حال فهمها للمقدمة الجزئية قد فهمت النتيجة لا في زمان له قدر يعتد به بل في أقل القليل من الزمان.

وأيضًا فإن المعاني المُبصرة التي تُدرك بالقياس والتميز إذا تكرر إدراكها بالقياس وفهمت القوة المميزة معانيها وصار إدراك القوة المميزة لها إذا وردت عليها من بعد استقرار فهمها بالمعرفة من غير حاجة إلى أن تستقرئ جميع المعاني التي فيها بل تدركها بالأمارات وتصير تلك النتيجة من جملة المعاني التي تدرك لا باستئناف التمييز والقياس واستقراء جميع المعاني التي فيها.

وأيضًا فإن المعاني المبصرة التي تُدرك بالقياس والمعاني التي تدرك بالمعرفة ليس تظهر في أكثر الأحوال كيفيات إدراكها في حال إدراكها لأن إدراكها؛ في غاية السرعة ولأن إدراك كيفية الإدراك إنما يكون بقياس ثانٍ غير القياس الذي وقع به الإبصار. وأيضًا فإن القياس الثاني الذي به تدرك القوة المميزة كيفية إدراكها لما تدركه ليس هو قياسًا في غاية السرعة بل يحتاج إلى فضل تأمل.

وأيضًا فإن الإنسان مطبوع على التمييز والقياس فهو يميز ويقيس الشيء بالشيء دائمًا بالطبع بغير تكلف ولا فكر؛ فالطفل عند أول تنبهه قد يدرك أشياء كثيرة مما يدركها الكامل التمييز ويفعل كثيرًا من الأفعال بالتمييز ومن قياس الأشياء بعضها ببعض. فإذا تؤملت أفعال الأطفال وُجد فيها كثير من المعاني التي لا تتم إلا بتمييز وقياس ما.

ويعطي ابن الهيثم للوقت دورًا مركزيًا في هذا التفسير فانتقال الأشعة عبر الهواء يستغرق وقتًا، ونفاذها بين طبقات البصر، وانفعال طبقات البصر بها، ووصولها إلى العصبة الجوفاء ثم إلى العصبة المشتركة، وبعد هذا الحاس الأخير، ثم الحس أو التعرف أو التمييز أو القياس، كل هذا يستغرق وقتًا.

ويذكر ابن الهيثم اثنين وعشرين معنى من المعاني الجزئية التي يمكن إدراكها، وهي:

« الضوء واللون والبعد والوضع والتجسم والشكل والعظم والتفرق والاتصال والعدد والحركة والسكون والخشونة والملامسة والشفيف والكثافة والظل والظلمة والحسن والقبح والتشابه والاختلاف » (ص٢٣٠). ويقدم تعريفًا مفهوميًا دقيقًا لكل معنى من هذه المعاني.

الفصل الرابع: تمييز إدراك البصر للمبصرات: ليس يدرك البصر شيئًا من المعاني الجزئية منفردًا لأن صور المُبصرات مركبة من عدة من المعاني. والمعاني الجزئية منها ما يظهر في حال ملاحظة البصر للمُبصر ومنها ما ليس يظهر إلا بعد التفقد والتأمل (ص٣١٨). وإدراك البصر للمُبصرات يكون على وجهين إدراكًا بالبديهة (ص٣١٩) وإدراكًا بالتأمل، وذلك أن البصر إذا لحظ المُبصر فإنه يدرك منه المعاني الظاهرة التي فيه في حال ملاحظته ثم ربما تأمله من بعد ذلك وربما لم يتأمله، فإن تأمله واستقرأ جميع أجزائه تحقق صورته. والتأمل الذي به تُدرك صور المُبصرات يكون بالبصر نفسه ويكون بالتمييز؛ إذا أن الصور التي تقع على رأس سهم الشعاع تكون أبين وأشد تحققًا، فإذا أراد البصر التحقق من

صورة مُبصر فإنه يتحرك ويقابل بوسطه كل جزء من أجزاء المُبصر وبذلك يدرك صورة كل جزء من أجزاء المُبصر إدراكًا بينًا محققًا كما أدرك الجزء الذي كان مقابلًا لوسطه في حال ملاحظة المُبصر. ويتحرر بالتكرر والتبيين والتمييز جميع المعاني التي في المُبصر ويتشكل في التخيل الهيئة التي تتآلف من جميع تلك المعاني لجملة المُبصر وتحققت صورة المُبصر التي يتخصص بها عند الحاس الأخير. وتثبت صورة المُبصر بتكرار التعرض لها وتتشكل لها صورة كلية في التخيل. وتتكون في البصر صور كلية لكل نوع من أنواع المُبصرات مع اختلاف الصور الجزئية لأشخاص كل نوع. فإن لم يكن شاهد البصر مُبصرًا من قبل أو كان شاهده ولم يكن ذاكرًا لمشاهدته ولصورته التي أدركها عند المشاهدة الأولى لم يعرف الصورة الجزئية فتكون معرفته لهذا المُبصر بالنوع فقط، وتتحقق صورته الجزئية التي تخص شخصه في البصر من خلال التأمل والتمييز. ولهذا فإن الإدراك بالتأمل يكون على وجهين: إدراكًا بمجرد التأمل وذلك بالنسبة للمُبصرات التي لم يدركها البصر من قبل أو ليس يذكر إدراكه لها، وإدراكًا بالتأمل مع تقدم المعرفة لجميع المُبصرات التي قد أدركها البصر من قبل وهو ذاكر لإبصارها. والإدراك بالتأمل مع تقدم المعرفة يكون بالأمارات ويستغرق زمنًا أقصر من الإدراك بمجرد التأمل؛ لأنه يكون باليسير من التأمل ومن إدراكه بعض المعاني الجزئية. ويختلف زمن التأمل بحسب المعاني التي تُتأمل من المُبصرات؛ فالمعاني الخفية واللطيفة مثل الأعداد والتشابه والاختلاف والمقادير والترتيب تحتاج مزيدًا من التأمل.

المقالة الثالثة: أغلاط البصر فيما يدركه على استقامة وعللها:

الفصل الأول: صدر المقالة: يغلط البصر في كثير مما يدركه من المبصرات ويدركها على خلاف ما هي عليه، وربما يحس بغلطه في حال غلطه، وربما لم يحس بغلطه وظن أنه مصيب ويكون غالطًا؛ ولهذا تتضمن هذه المقالة شرح أغلاط البصر فيما يدركه على الاستقامة، والعلل التي من أجلها يعرض للبصر الغلط، وإلى كم نوع تنقسم أنواع الغلط، وكيف يعرض الغلط في كل نوع من أنواع الغلط.

الفصل الثاني: تقديم ما يجب تقديمه: يتضمن هذا الفصل شرحًا لكيفية إدراك المُبصر الواحد بالبصرين معًا واحدًا في أكثر الأوقات وعلى أكثر الأوضاع، وكيف يكون وضع المُبصر الواحد من البصرين في أكثر الأوقات وعلى أكثر الأوضاع وضعًا متشابهًا، وكيف يكون وضع المُبصر الواحد من البصرين وضعًا مختلفًا ومتى يقع ذلك.

إذا حدق الناظر إلى المُبصر فإن سهمي البصرين يجتمعان على ذلك المُبصر ويلتقيان على نقطة من سطحه، وإن تأمل الناظر ذلك المُبصر السهمين يتحركان معًا على سطح ذلك المُبصر ويمران معًا بجميع أجزاء المُبصر. فإذا التقى سهما البصرين على نقطة من سطح المُبصر الذي يلي البصرين فإن سطح المُبصر تكون قاعدته مشتركة لمخروطي الشعاع المتشكلين بين مركزي البصرين وبين ذلك المُبصر ويكون وضع النقطة التي التقى عليها السهمان عند البصرين جميعًا وضعًا متشابهًا لأنها تكون مقابلة لوسطى البصرين. ولهذا فإن المُبصر الذي يلتقي عليه السهمان يرى واحدًا أبدًا وأن المُبصرات أيضًا التي تلتقي عليها الشعاعات المتشابهة الوضع في الجهة وليس بينها في البعد عن السهم اختلاف متفاوت فإن كل واحد منها يرى واحدًا أيضًا، وأن المُبصر الذي تلتقي عليه الشعاعات المتشابهة الوضع في الجهة ومختلفة الوضع في البعد عن السهمين اختلافًا متفاوتًا فإنه يرى اثنين، وأن المُبصر الذي يدرك بشعاعات مختلفة الوضع في الجهة فإنه يرى اثنين وإن تساوت الشعاعات الخارجة إليها عن السهمين وأن جميع ذلك كذلك ما دام السهمان متلاقيين على مُبصر واحد. وبصفة عامة فلا يرى واحد من المُبصرات اثنين إلا إذا كان وضعه من البصرين وضعًا مختلفًا اختلافًا متفاوتًا إما في الجهة وإما في البعد وإما في الجهة والبعد معًا.

الفصل الثالث: العلل المسببة للغلط: يتضمن هذا الفصل تفسيرًا متفردًا للعلل المسببة للغلط، ويقوم هذا التفسير على أساس المعاني اللازمة للإدراك والتي سبق عرضها في المقالة الأولى وهي بعد المُبصر، والمقابلة، والضوء، وأن يكون حجم المُبصر مقتدرًا، وأن يكون كثيفًا أو فيه بعض الكثافة، وأن يكون الهواء المتصل بينه وبين البصر مُشفًّا لا يتخلله شيئًا من الأجسام الكثيفة. ويضيف ابن الهيثم في هذا الفصل كل من الزمن وسلامة البصر كمعنيين من المعاني التي يتم بهما الإبصار. فإذا اجتمعت للمُبصر هذه المعاني الثمانية وكان كل معنى منها في عرض الاعتدال كان إدراك المُبصر إدراكًا محققًا، وإن عدم المُبصر بعض هذه المعاني أو خرج بعضها عن عرض الاعتدال، وأدركه البصر مع ذلك فليس يدركه إدراكًا محققًا. فعلى سبيل المثال فإن المُبصر المقتدر الحجم قد يدرك البصر صورته من بعد قد تخفى من مثله صورة المُبصر صغير الحجم أو تشتبه. وعرض الاعتدال (ص٣٧٤) في كل واحد من هذه المعاني هو العرض الذي ليس يكون بين الصورة التي يدركها البصر من المُبصر في تضاعيفه وبين صورته الحقيقية

تفاوت محسوس مؤثر في حقيقة صورة المُبصر. ويختلف عرض الاعتدال هذا باختلاف المُبصرات وبحسب كل معنى من المعاني الباقية التي يتم بها الإبصار. ولهذا فإن علل جميع أغلاط البصر إنما هي في خروج المعاني التي يتم بها إدراك المُبصرات على ما هي عليه عن عرض الاعتدال.

الفصل الرابع: تمييز أغلاط البصر: يتضمن هذا الفصل تأصيل شديد الإيجاز لتصنيف مختلف الأغلاط البصرية في ضوء أنواع الإدراك التي سبق عرضها في المقالة الثانية، وهي: الإدراك بمجرد الحس، والإدراك بالمعرفة، والإدراك بالقياس والتمييز.

الفصل الخامس كيفيات أغلاط البصر التي تكون بمجرد الحس: إن الذي يدركه البصر بمجرد الحس هو الضوء بما هو ضوء واللون بما هو لون. والغلط في إدراك الضوء بما هو ضوء واللون بما هو لون إنما يكون في اختلاف كيفيتهما في القوة والضعف فقط. وإذا كان المُبصر مختلف الألوان وكان بعضها قويًا وبعضها رقيقًا أدرك البصر ألوانه بمنزلة الظل والظلمة المتجاورين فيدركه البصر ذا لونين وإن كان كثير الألوان، وإذا كانت أجزاؤه المختلفة الألوان في غاية الصغر فلا يدرك البصر لون كل جزء منها؛ ولهذا فلا تتميز له ألوانها ويدرك جملة المُبصر ذا لون واحد. ويفسر ابن الهيثم أغلاط البصر التي تكون بمجرد الحس في ضوء خروج المعاني التي يتم بها إدراك المُبصرات عن عرض الاعتدال: فعلى سبيل المثال إذا خرج الضوء عن عرض الاعتدال فإن المُبصر الذي فيه ألوان قوية ومتقاربة الشبه إذا أدركه البصر في ضوء نار ضعيفة يدركه ذا لون واحد مظلم لأن الألوان القوية إذا كانت في ضوء ضعيف فإنها تظهر مظلمة، ويظن الناظر أن ذلك المُبصر ذو لون واحد مظلم إذا لم يكن قد تقدم علم الناظر بألوانه.

الفصل السادس: كيفيات أغلاط البصر التي تكون في المعرفة: يظهر الإدراك بالمعرفة عندما يُشَبه البصر صور المُبصرات بأمثالها التي يعرفها وتكثر مشاهدته لها، ويُشبه المعاني التي في المُبصر أيضًا بأمثالها من المعاني التي في المُبصرات فيعرف بذلك شخصية ذلك المُبصر أو نوعيته أو مجموعها ويعرف المعاني التي في ذلك المُبصر. وإذا شك البصر في ماهية المُبصر أو في شيء من المعاني التي يدركها ولم يعرفه في حال ملاحظته فإنه يشبهه بأقرب الأشياء شبهًا به مما قد عرفه أو ألفه، ومن هذه الحال يعرض له الغلط في معرفة المُبصر الذي يغلط في معرفته إذا لم يكن إدراكه المُبصر على غاية التحقيق. وليس يكون إدراك البصر للمُبصر إدراكًا غير محقق إلا إذا كان واحدًا أو أكثر من المعاني

التي بها خارجًا عن عرض الاعتدال؛ فعلى سبيل المثال إذا رأى البصر في سواد الليل نارًا من بعد متفاوت وكانت النار على رأس جبل، وكانت النار صغيرة فربما ظنه كوكبًا في السماء. وعلة الغلط في هذه الحالة هو خروج موضع النار عن عرض الاعتدال: لأن تلك النار بعينها إذا كانت قريبة من البصر لم يشتبه عليه أنها نار ولم يظنها كوكبًا قط. والغلط على هذه الوجه هو غلط في المعرفة. وعلى سبيل المثال أيضًا إذا شاهد البصر أحد المُبصرات من فتحة ضيقة، وكان هذا المُبصر سريع الحركة، فإن الزمان الذي يقطع فيها المُبصر المتحرك عرض مسافة الفتحة الضيقة يكون زمانًا يسيرًا جدًّا، لهذا فربما لم يتمكن البصر في هذا القدر من الزمان تأمل المُبصر تأملًا محققًا. ويكون الغلط في هذه الحالة من أجل خروج الزمان الذي فيه يدرك البصر المُبصر عن عرض الاعتدال. ويقدم ابن الهيثم أمثلة لخروج المعاني التي يتم الإدراك بها عن عرض الاعتدال وتأثير هذا في أغلاط الإدراك بالمعرفة.

الفصل السابع: كيفيات أغلاط البصر التي تكون في القياس: تتركب صور المُبصرات من عدد من المعاني الجزئية، وأكثر أغلاط البصر في المعاني الجزئية وصور المُبصرات إنما يكون غلطًا في القياس. والغلط في القياس يكون على وجهين: أما في المقدمات وإما في ترتيب القياس. والغلط في المقدمات (ص٤١١) يكون على ثلاثة أوجه: أحدها أن يأخذ التمييز مقدمة كاذبة (ص٤١١) ويظنها صادقة (ص٤١١)، والثاني أن يأخذ مقدمة جزئية (ص٤١١) ويظنها كلية (ص٤١١)، والوجه الثالث هو الغلط في اكتساب المقدمات. ويكون ذلك إذا كان في المُبصر معان ظاهرة ومعان خفية تظهر عند استقصاء التأمل، فإذا لم يستقرئ البصر جميع المعاني التي في المُبصر التي يمكن أن يدركها واعتمد المعاني الظاهرة التي في المُبصر وحكم بنتائجها فهو غالط فيما يدركه من نتائج تلك المعاني. وترجع أغلاط البصر التي تكون في القياس أيضًا لخروج المعاني التي يتم بها إدراك المُبصرات عن عرض الاعتدال، فعلى سبيل المثال إذا قرب المُبصر من البصر قربًا شديدًا خارجًا عن الاعتدال فإن البصر يدرك مقداره أعظم من مقداره الحقيقي فيكون غالطًا في مقداره ويكون غلطه في القياس؛ لأن العظم ليس يدرك إلا بالقياس، وتكون علة هذا الغلط هي خروج بعد المبصر عن عرض الاعتدال. ويفرد ابن الهيثم بقية هذا الفصل في تفسير الأغلاط في إدراك اثنين وعشرين معنًى من المعاني الجزئية التي يدركها البصر من المبصرات، والتي سبق الإشارة إليها في المقالة الثانية، ويفسر

هذه الأغلاط في ضوء خروج ثمانية معاني لا يتم إدراك المبصرات إلا بها عن عرض الاعتدال، وهي المعاني التي سبق الإشارة إليها في هذه المقالة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الشعاع **Ray**.
- الشفيف **Transparency**.
- السموت **Azimuth**.
- الأضواء الأولى **Primary Lights**.
- الانعكاس **Reflection**.
- الأضواء العرضية **Secondary Lights**.
- الأغشية **Mesentery**.
- العصب **Nerve**.
- الملتحمة (صلبة) **(Sclera) Conjunctive**.
- العنبية (مشيمة) **Choroids**.
- القرنية **Cornea**.
- الرطوبة الجليدية (العدسة) **Lens**.
- الرطوبة البيضية (الشبكية) **Retina**.
- الرطوبة الزجاجية **Vitreous Humor**.
- الإحساس **Sensation**.
- مركز الحس **Centre of Sensation**.
- الإدراك بالحس **Perception with Sensation**.
- الإدراك بالمعرفة **Perception with Knowing**.
- الأمارات **Tokens**.
- الإدراك بالقياس والتمييز **Perception with Analogy and Discrimination**.

- المسافة (البعد) Distance.
- التوجه Orientation.
- التَّجسم Stereopsis.
- الشكل Shape.
- التفرق Dissipation.
- الاتصال Continuation.
- السكون Static.
- الخشونة Burry.
- الملامسة Treaded.
- الظل Shadow.
- التشابه Similarity.
- الاختلاف Difference.
- التأمل Speculation.
- البديهة Intuition.

القائم بالعرض

د/ هشام حنفي محمد العسلي

* * *

مناقب الشافعي



- تأليف/ البيهقي (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ).
- تحقيق/ السيد أحمد صقر.
- القاهرة: مكتبة دار التراث، (ج ٢)، (١٩٧٠م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

« أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي » كان فقيه شافعي الفارسية وحافظ كبير. كان معروفًا بشيخ خرسان النيسابوري وهي قرية من ناحية بيهق. ولد في شعبان في سنة (٣٨٤هـ). كان البيهقي أوحد زمانه وأحد أئمة المسلمين حتى قيل فيه أن: ما من فقيه شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا « أبا بكر البيهقي »، فإن المنة له على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله. ولو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهبًا يجتهد فيه، لكان قادرًا على ذلك، لسعة علومه، ومعرفته بالاختلاف، ولهذا تراه يُلوِّح بنصر مسائل، من مؤلفاته السنن الكبير في عشرة مجلدات، السنن والآثار في أربعة مجلدات، الأسماء والصفات في مجلدين، المعتقد مجلد، البعث مجلد، الترغيب والترهيب مجلد، الدعوات مجلد، الزهد مجلد، الخلافيات ثلاثة مجلدات، نصوص الشافعي مجلدان، دلائل النبوة أربعة مجلدات، السنن الصغير مجلد ضخم، شعب الإيمان مجلدان، المدخل إلى السنن مجلد، الآداب مجلد، فضائل الأوقات مجلد، الأربعين الكبرى مجلد، الأربعين الصغرى، الرؤية جزء، الإسراء، مناقب الشافعي، مناقب أحمد مجلد، فضائل الصحابة مجلد، وتواليفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد، جمع بين علم الحديث والفقه، وبيان علل الحديث، ووجه الجمع بين الأحاديث. توفي في عاشر شهر جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين وأربع مائة فغسل وكفن، وعمل له تابوت، فنقل ودفن ببيهق، وهي ناحية قصبتها خُسْرَوْجِرد، هي محتدة، وهي على يومين من نيسابور، وعاش أربعًا وسبعين سنة.

الشافعي: « الإمام الشافعي » أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه نسبة الشافعية

كافة. وهو أبو عبد اللّه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي. ولادته كانت في غزة عام (١٥٠هـ) وهو نفس العام الذي توفي فيه أبو حنيفة. مات أبوه بعد ولادة محمد بمدة قصيرة فنشأ محمد يتيمًا فقيرًا. و « شافع بن السائب » هو الذي ينتسب إليه الشافعي، لقي النبي ﷺ، وأسر أبوه السائب يوم بدر في جملة من أسر وفدى نفسه ثم أسلم. ويلتقي نسبه مع رسول اللّه ﷺ في عبد مناف. أتم حفظ القرآن وعمره سبع سنين. عرف الشافعي بشجو صوته في القراءة. ولازم الشافعي الإمام مالك ست عشرة سنة حتى توفي الإمام مالك (١٧٩هـ) سافر الشافعي إلى نجران واليًا عليها ورغم عدالته فقد وشي البعض به إلى « الخليفة هارون الرشيد » فتم استدعاؤه إلى دار الخلافة سنة (١٨٤هـ) وهناك دافع عن موقفه بحجة دامغة وظهر للخليفة براءة الشافعي مما نسب إليه وأطلق سراحه. عاد بعدها إلى مكة وأقام فيها نحوًا من تسع سنوات لينشر مذهبه من خلال حلقات العلم التي يزدحم فيها طلبة العلم في الحرم المكي ومن خلال لقائه بالعلماء أثناء مواسم الحج. وتتلمذ عليه في هذه الفترة الإمام « أحمد بن حنبل ». ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد سنة (١٩٥هـ)، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء ويقصده الطلاب من كل مكان. مكث الشافعي سنتين في بغداد ألف خلالها كتابه (الرسالة). قدم مصر سنة (١٩٩هـ) تسبقه شهرته. ثم بدأ بإلقاء دروسه في جامع عمرو بن العاص فمال إليه الناس وجذبت فصاحته وعلمه كثيرًا من أتباع الإمامين « أبي حنيفة ومالك ». وكان الشافعي مشهورًا بتواضعه وخضوعه للحق، وتشهد له بذلك دروسه ومعاشرته لأقرانه وتلاميذه وللناس. كما أن العلماء من أهل الفقه والأصول والحديث واللغة اتفقوا على أمانة الشافعي وعدالته وزهده وورعه وتقواه وعلو قدره، وكان مع جلالته في العلم مناظرًا حسن المناظرة، أمينًا لها طالبًا للحق لا يبغي صيتًا وشهرةً، وظل الإمام الشافعي في مصر ولم يغادرها يلقى دروسه ويحيط به تلامذته حتى لقي ربه في (٣٠ رجب ٢٠٤ هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٨٠) صفحة ويتضمن عشرين بابًا؛ هي:

الباب الأول: ما يستدل به على معرفة الشافعي ﷺ بصحة الحديث وعلته.

الباب الثاني: ما يستدل به على إتقان الشافعي الرواية ومذهبه في قبول الأخبار واحتياطه فيها.

ووصف الشافعي في (ص٢٦) سمات الشاهد الذي تؤخذ بشهادته وهو أن يكون

من حدث به ثقة في دينه، معروفًا بالصدق في حديثه، عاملًا لما يحدث به عالمًا بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يؤدي الحديث بحروفه كما سمعه، ولا يحدث به على المعنى؛ لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه ولم يدر لعله يحيل الحلال إلى الحرام، حافظًا إن حدث من حفظه، وأن يتفق مع أهل الحفظ في الحديث بريئًا من أن يكون مدلسًا، يحدث عمن لقي ما لم يسمع منه أو يحدث عن النبي ﷺ بما يحدث الثقات خلافه. (سمات الشاهد **Witness Traits**).

الباب الثالث: ما يستدل به على فصاحة الشافعي ومعرفته باللغة وديوان العرب.

الباب الرابع: ذكر أبيات مما أنشد الشافعي لنفسه أو أنشد لغيره.

ذكر في (ص٧٩) سمات الصديق:

أحب من الإخوان كل مواتي	وكل غضيض الطرف عن عثراتي
يصاحبني في كل أمر أحبه	ويحفظني حيًّا وبعد وفاتي
فمن لي بهذا ليت أني أصبته	فقاسمته مالي مع الحسنات

(الصداقة وأسس العلاقات الاجتماعية **Friendship and Social Relation**)

ذكر في (ص٨٧) مجموعة من الأبيات تتحدث عن العدوان **Aggression** وعواقبه وأفضل الطرق التي يتبعها الإنسان لتجنب العداء (أساليب التعامل مع الأعداء ويفيد في علم النفس السياسي **Political Psychology**).

لما عفوت ولم أحقد على أحد	أرحت نفسي من غم العداوات
إني أحيي عدوي عند رؤيته	لأدفع الشر عني بالتحيات
وأحسن البشر للإنسان أبغضه	كأنه قد حشا قلبي محبات
ولست أسلم من خل يخالطني	فكيف أسلم من أهل العداوات؟

وتحدث في (ص٨٧، ٨٨) أن الكلام قد يودي بصاحبه، وأن استخدام المنطق في الحديث حكمة **Wisdom**.

احفظ لسانك أيها الإنسان	لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه	قد كان هاب لقاءه الأقران

كما قال:

لا خير في حشو الكلام	إذا اهتديت إلى عيونه
والصمت أجمل بالفتى	من منطق في غير حينه
وعلى الفتى بطباعه	سمة تلوح على جبينه
من ذا الذي يخفى عليك	إذا نظرت إلى قرينه

الباب الخامس: ما يستدل به على معرفته الطب.

الباب السادس: ما يستدل به على معرفته بالنجوم.

الباب السابع: ما يستدل به على معرفته بالرمي والفروسية.

الباب الثامن: ما يستدل به على فراسته وإصابته فيها.

وذكر(ص١٣٢) حديث عن الشافعي يحذر فيه من معاملة الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسح وكل من به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق فاحذره فإنه صاحب التواء ومعاملته عسرة، وعقب الرازي بأن هذا استدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن؛ لأن علتهما علة مزاج. (**الاضطرابات الانفعالية Emotional Disturbance** المصاحبة للإعاقات البدنية).

الباب التاسع: ما يؤثر عن الشافعي في فضل العلم والترغيب في تعلمه وتعليمه والعمل به.

الباب العاشر: ما يستدل به على اجتهاد الشافعي في طاعة ربه وزهده في الدنيا.

الباب الحادي عشر: ما يستدل به على تمكن الشافعي من عقله وما يؤثر عنه في الآداب.

ذكر في (ص١٩٠) أن الشافعي كان يقول: الانبساط مجلبة لقرناء السوء والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط (الانبساط/ الانطواء / **Introversion / Extroversion**).

الباب الثاني عشر: ما يستدل به على سخاوة الشافعي وحسن جوده وما يؤثر عنه في السخاء.

الباب الثالث عشر: ما يستدل به على شهادة أئمة المسلمين وعلمائهم للشافعي ﷺ بالتقدم في العلم واعترافهم له وحسن ثناتهم عليه وجميل دعائهم له.

الباب الرابع عشر: ما يؤثر من خضاب الشافعي - رحمه اللّه - ولباسه وهيئته ونقش خاتمه.

الباب الخامس عشر: وصية الشافعي - رضي اللّه عنه وأرضاه -.

الباب السادس عشر: مرض الشافعي وأوجاعه ووفاته وتربته ومقدار سنه نيف وخمسين عامًا.

الباب السابع عشر: أهل الشافعي وأولاده - رحمهم اللّه -.

الباب الثامن عشر: من روى عنهم الشافعي من علماء الحجاز واليمن ومصر والعراق وخراسان.

الباب التاسع عشر: أصحاب الشافعي الذين حملوا عنه العلم ورووا عنه الحديث وحكوا عنه حكاية.

الباب العشرون: من قعد في مجلس الشافعي بعد وفاته ونشر علمه وهو يوسف ابن يحيى.

ثم تلي ذلك فهارس الكتاب وتتضمن أبواب الجزء الثاني، وفهرس الآيات الواردة به، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس رواة الأحاديث، وفهرس الأمكنة، وفهرس الأماكن والبلدان، وفهرس الأيام والفرق والطوائف، وفهرس الكتب المذكورة به، وفهرس التصويبات، ثم فهرس المراجع.

الخلاصة:

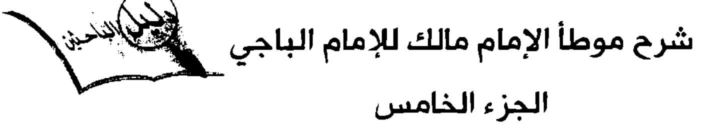
ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **سمات الشاهد Witness Traits.**
- **الصداقة وأسس العلاقات الاجتماعية Friendship and Social Relation.**
- **العدوان Aggression.**
- **الحكمة Wisdom.**
- **الاضطرابات الانفعالية المصاحبة للإعاقات البدنية Emotional Disturbance.**
- **الانبساط/ الانطواء Introversion/ Extroversion.**

القائم بالعرض

د.غادة محمد عبد الغفار

المنتقى



شرح موطأ الإمام مالك للإمام الباجي

الجزء الخامس

○ القاهرة: دار الفكر العربي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن وارث الباجي الأندلسي، من أعيان الطبقة العاشرة من علماء السادة المالكية المولود سنة (٤٠٣هـ) والمتوفى سنة (٤٩٤هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٩٠) صفحة وهو يشرح كتاب موطأ الإمام مالك بن أنس ﷺ. ويتناول هذا الكتاب عدة موضوعات منها ما يتعلق بالمعاملات والبيع والشراء: مثل بيع الطعام بالطعام، وبيع الحيوان بعضه ببعض، ويأتي هذا في بابين. والحكرة والتربص ويأتي هذا في أربعة أبواب، والتسعير على ضربين وفيه ثلاثة أبواب، كما عرض المؤلف للسلف وبيع العرض وبيع الغرر والملامسة والمنابذة وما جاء في الربا وفي الدين والمساقاة وكتاب القرائض؛ بالإضافة إلى كتاب الأقضية الذي جاء في خمسة أبواب: حيث عرض فيه المؤلف الترغيب في القضاء بالحق من خلال تناول حديث رسول الله ﷺ في (ص١٨٢) روى مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئًا، فإنما أقطع له قطعة من النار** » ويشير المؤلف إلى قوله ﷺ: « **لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له** » أنه يريد - والله أعلم - أن يكون أحدهما أعلم بمواقع الحجج وأهدى إلى إيراد ما يحتاج من ذلك وأشد تبيينًا لما يحتج به، قال أبو عبيدة اللحن بفتح الحاء الفطنة، واللحن بإسكان الحاء الخطأ في القول. وفي هذا الحديث إشارة إلى الفروق الفردية في القدرة على **المحاجّة Argumentation**.

وفي الباب الثاني من كتاب الأقضية عرض المؤلف لمجلس القاضي وأدبه وعرض في (ص١٨٥) ما قاله مالك في الموازنة: يكره للقاضي أن يقضي إذا دخله همٌّ أو نعاس

أو ضجر شديد ووجه ذلك ما روي عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: « **لا يقضِ القاضي وهو غضبان** » فكل حالة منعته من استيفاء حجج الخصوم كما يمنعه الغضب كان له حكمه في المنع من ذلك. وفي هذا إشارة إلى **الانفعالات السلبية Negative Emotions** وما لها من تأثير سلبي على أداء الفرد؛ حيث يفقد الغضب الفرد القدرة على حسن مواجهة وتقدير الموقف والحكم الصحيح أو تقديره؛ لذلك نهى النبي ﷺ من أن يقضي القاضي وهو غضبان.

تناول المؤلف بعد ذلك ما جاء في الشهادة وفيه عدة أبواب منها في عدد المزكين، في لفظ التزكية، في معنى العدالة، في حال الشهادة..... إلخ، ثم تناول المؤلف التحكيم وفيه بابان: **الباب الأول**: في صفة من يجوز تحكيمه، **الثاني**: في تبين الأحكام التي يجوز التحكيم فيها. كما عرض المؤلف للقضاء في شهادة الصبيان، ثم تناول اليمين، وما جاء في الحنث على منبر النبي ﷺ. وأخيرًا تحدث المؤلف عن القضاء في الرهن من الحيوان.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **المحاجّة Argumentation**.
- **الانفعالات السلبية Negative Emotions**.

القائم بالعرض

د. أمنية الشناوي

* * *

المنتقى
شرح موطأ الإمام مالك للإمام الباجي
الجزء السابع

○ القاهرة: دار الفكر العربي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف بن وارث الباجي الأندلسي، من أعيان الطبقة العاشرة من علماء السادة المالكية المولود سنة (٤٠٣هـ)، والمتوفى سنة (٤٩٤هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٩٠) صفحة وهو يشرح كتاب موطأ الإمام مالك بن أنس ﷺ. ويتناول هذا الكتاب عدة موضوعات منها كتاب المكاتب، كتاب القسامة، كتاب العقول وفيه تحدث المؤلف عن ما جاء في دية العمد إذا قبلت وجناية المجنون. حيث أشار في (ص٧١) « مالك عن يحيى بن سعيد أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان أنه أتي بمجنون قتل رجلًا، فكتب إليه معاوية أن اعقله ولا تُقِدْ مِنْهُ، فإنه ليس على مجنون قود » لأن حكم المجنون القاتل أن يعقل ولا يقاد منه، ووجه ذلك أن فعله من غير قصد فأشبه قتل الخطأ، وقتل الخطأ يختص بالعقل دون القصاص. وقال أشهب: وهذا في المجنون الذي لا يعقل ولا يفيق. وقال ابن القاسم في المجنون والمعتوه لو وقف على إنسان فخرق ثيابه أو كسر له سنًّا فلا غرم عليه.

وفي هذا إشارة إلى المسئولية الجنائية **Criminal Responsibility** وشروط قيامها التي من بينها توافر الحالة العقلية، وتوافر القدرة على ممارسة الأهلية، أي القدرة على التصرف بشكل طبيعي.

كما تناول المؤلف صفة العمد وتمييزه عن الخطأ، والقصاص في القتل. حيث أشار في (ص١٢٠) « عن مالك أنه بلغه أن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان يذكر أنه أتي بسكران قد قتل رجلًا فكتب إليه معاوية أن اقتله به » ووجه ذلك أن السكران إذا قصد إلى القتل قتل؛ لأنه يبقى معه من الميز ما يثبت به عليه القصاص. وفي العتبية عن ابن القاسم يقاد من السكران بخلاف المجنون يريد الجنون المطبق والصبي الذي

لا يعقل ابن سنة ونصف ونحوه. ويتفق هذا مع ما أشار إليه علماء النفس من عدم سقوط المسئولية الجنائية إذا ارتكب الفرد الجريمة أثناء تعاطيه المخدرات أو الكحوليات طالما يتعاطى هذه المواد بكامل إرادته وهو على علم بنتائج إغفاله.

كما تناول المؤلف كتاب الجامع وعرض فيه لعدة موضوعات منها ما جاء في حسن الخلق (ص٢٠٩) وفيه أشار المؤلف إلى ما ورد عن « مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: ما خيّر رسول اللّه ﷺ في أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول اللّه ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة للّه، فينتقم للّه بها ». قول عائشة - رضي اللّه عنها - ما خيّر رسول اللّه ﷺ في أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، يحتمل أن يريد بذلك ما خيّره اللّه ﷻ بين أمرين من الأعمال مما يكلفه أمته إلا اختار أيسرهما، ويحتمل أن ما خيره اللّه ﷻ بين عقوبتين ينزلهما بمن عصاه إلا اختار أيسرهما، ويحتمل أن يريد بذلك ما خيّره أحد من أمته ممن لم يدخل في طاعته ولا آمن به بين أمرين كان في إحداهما موادعة ومسالمة وفي الآخر محاربة أو مشاقة إلا اختار ما فيه الموادعة وذلك قبل أن يؤمر بالمجاهدة. يشير الاحتمال الأول إلى **صراع الاقتراب - الاقتراب Approach-Approach Conflict** الذي يخير فيه الفرد بين أمرين كلاهما محبب إلى نفسه، وهنا كان رسول اللّه ﷺ يختار ما تكاليفه أقل بالنسبة لأمته. وفي الاحتمال الثاني إشارة إلى **صراع التحاشي - التحاشي Avoidance -Avoidance Conflict** والذي يخير فيه الفرد بين أمرين كلاهما غير مرغوب وعليه أن يختار أحدهما، وهنا يختار ﷺ ما هو أقل في العقوبة لأمته. أما الاحتمال الثالث ففيه إشارة إلى **صراع الاقتراب - التحاشي Approach-Avoidance Conflict** والذي يخير فيه الفرد بين أمرين أحدهما غير مرغوب والآخر مرغوب فيختار المرغوب، وهنا يختار ﷺ المسالمة أو الموادعة التي فيها خير للدعوة في هذا الوقت.

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها المؤلف في كتاب الجامع، ما جاء في الغضب (ص٢١٤): مالك عن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلًا أتى إلى رسول اللّه ﷺ فقال: يا رسول اللّه علمني كلمات أعيش بهن ولا تكثر علي فأنسى، فقال رسول اللّه ﷺ: « **لا تغضب** ».

مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ: قال: « **ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب** » ومعنى ذلك واللّه أعلم

أن الغضب يفسد كثيرًا من الدين؛ حيث يأتي في وقت غضبه من القول والفعل ما يأثم به ويؤثم غيره، ومعنى قوله ﷺ: « **لا تغضب** » يريد والله أعلم: لا تمض ما يبعثك عليه غضبك وامتنع منه وكف عنه. وقوله ﷺ: « **ليس الشديد بالصرعة** » (الصرعة الذي يصرع الناس ويكثر منه)، يحتمل أنه يريد أن الشدة التي ينتفع بها هي الشدة التي يملك بها نفسه عند الغضب.

وفي هذين الحديثين إلى الغضب وهو من **الانفعالات الأولية Primary Emotions** الذي قد يشتد على الفرد ويصعب عليه التحكم فيه فيؤدي إلى بعض النتائج الضارة أو السلبية.

كما تناول المؤلف ما يتقى من الشؤم حيث عرض في (ص٢٩٤) ما روى الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: « **لا طيرة وخيرها الفأل** » قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: « **الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم** ». وقال ﷺ لمعاوية ابن الحكم حين قال له: كنا نتطيّر قال: « **إنما ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم** » فمنع من التطير بما يراه الإنسان من طائر أو سائح أو بارح. كما أشار في (ص٢٩٥) إلى ما روي عن النبي ﷺ أنه أحب الفأل قيل له وما الفأل قال الكلمة الحسنة وهي التي تذكر بما يرجوه من الخير فتسر به النفس وربما كان بمعنى البشارة بما قدره الله ﷻ من الخير. وأشار المؤلف في (ص٢٩٨) أن التفاؤل شيء يلقيه الله ﷻ في قلب المتفائل عند سماع الفأل من السرور بالشيء وقوة رجائه فيه أو التوجع من الشيء وشدة حذره منه يظن ذلك ويلقيه الله ﷻ على لسانه، وقد وافق ذلك ما قدر الله، ويكون بعض الناس في ذلك أكثر موافقة.

وفي هذا إشارة إلى **مفهوم التفاؤل Optimism** ويقصد به علماء النفس شعور سار مصحوب بتوقع حدوث أمر مرغوب.

كما تناول المؤلف ما جاء في الصدق، وما جاء في طلب العلم، وما جاء في تركة النبي ﷺ، وما جاء في الأمر بالرفق بالمملوك وذلك على سبيل المثال وليس الحصر.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **المسئولية الجنائية Criminal Responsibility.**

- صراع الاقتراب – الاقتراب **Approach-Approach Conflict**.
- صراع التحاشي – التحاشي **Avoidance-Avoidance Conflict**.
- صراع الاقتراب – التحاشي **Approach-Avoidance Conflict**.
- الانفعالات الأولية **Primary Emotions**.
- التفاؤل **Optimism**.

القائم بالعرض

د. أمنية الشناوي

* * *

المنية والأمد



- تأليف/ الهمذاني أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار.
- جمعه/ أحمد بن يحيى المرتضى.
- تحقيق/ عصام الدين محمد علي.
- الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية (١٩٨٥م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

الهمذاني أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الأسد آبادي. من أشهر رجال المعتزلة، ولد بهمذان بفارس، وكان في أول أمره أشعريًا في علم الكلام، وشافعيًا في الفقه. ولكن بعد مرحلة من النظر والتأمل، اتبع المعتزلة. فأخذ عن أبي إسحاق بن عياش المتوفى سنة (٣٨٦هـ). وفي سنة (٣٦٠هـ) اتصل عبد الجبار بالصاحب بن عباد، وزير السلطان فخر الدولة البويهي، فعينه قاضيًا في مدينة الري، وأصبح يلقب بقاضي القضاة، وهناك أملى تآليفه الغزيرة، حيث يقول الحاكم عنه: « أن له أربعمائة ألف ورقة مما صنف في كل فن ». ومصنفاته أنواع، منها في علم الكلام: كتاب الدواعي والصوارف، وكتاب الخلاف والوفاق. وآماليه الكثيرة: كالمغني، والفعل والفاعل، وكتاب المبسوط، وكتاب المحيط، وقد كثر أتباعه وتلاميذه. وتوفي بالري سنة (٤١٥هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٩٦) صفحة، وهـو من القطع المتوسط. ويشتمل على جزءين.

يختص الجزء الأول (ص١ - ١٠٠) بعرض طبقات المعتزلة التي سجلها قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني، وأكملها الحاكم بالطبقتين الحادية عشرة والثانية عشرة. وركز المؤلف عبد الجبار الهمذاني في عرضه لهذه الطبقات على سرد الجوانب الشخصية لهؤلاء الرجال.

وبدأ المؤلف هذا الجزء بالتعريف بالمعتزلة، وعرض باستفاضة لمبرر تسميتهم بهذا الاسم (ص٣ - ١٣). هناك عدة أسباب لتسميتهم بالمعتزلة، نكتفي هنا بالسبب

الذي أورده الهمذاني في كتابه، إذ ذكر أن واصلَ بن عطاء، وعمرو بن عبيد، اعتزلا حلقة الحسن، واستقلّا بأنفسهما، وسبب ذلك كما يقول الشهرستاني: روى أنه دخل واحد على الحسن البصري، فقال: يا إمام الدين لقد ظهر في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل عندهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم أنت لنا في ذلك اعتقادًا؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء: « أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا، ولا كافر مطلقًا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به، على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه: « معتزلة ». ثم تناول المؤلف بإيجاز أهم القضايا التي أجمع عليها المعتزلة (ص١٢ - ١٦). (وأعاد عرضها في الجزء الثاني من هذا الكتاب) وهي:

١ - **نفي صفات الباري تعالى**: وهدفهم من وراء ذلك التوحيد المطلق. كما أشاروا (في موضع آخر) إلى أن اللّه ﷻ ليس له علم ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر، ولا صفة أزلية، وزادوا على ذلك بقولهم: إن اللّه تعالى لم يكن في الأزل اسم، ولا صفة. والدارس المتأمل لفكر المعتزلة يدرك أنهم جمعوا بين الصفات والذات، ووحدوا بينهما للتنزيه (ص١٤).

٢ - **كلام اللّه مخلوق**: وهدفهم من وراء ذلك التنزيه المطلق (ص١٠٥). فهم يزعمون أن كلام اللّه ﷻ حادث، وأكثرهم يسمون كلامه مخلوقًا (ص١٤).

٣ - **أن أنعال العباد مخلوقة لهم، وأفعال الحيوانات خارجة عن قدرة اللّه بمعنى فعلها**، وليس بمعنى خلقها أو تقديرها؛ فالإنسان حر، ويتبع ذلك مسؤوليته عن كل ما يفعل، ليحق حسابه (ص١٠٥). ويقابل هذا التصور مصطلح **الاختيار Volition** أو **مصطلح الإرادة الحرة Free Will**. كما أشاروا (في موضع آخر) إلى أن اللّه تعالى غير خالق لإكساب الناس، ولا لشيء من أعمال الحيوانات، وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس للّه ﷻ في أكسابهم (ولا في أعمال سائر الحيوانات) صنع وتقدير (ص١٤).

٤ - **حال الفاسق منزلة بين المنزلتين**، وذلك إلى أن يتوب (ص١٠٥). فهو ليس

مؤمنًا ولا كافرًا. ولهذا سماهم أهل السنة والجماعة « معتزلة » لاعتزالهم قول الأمة بأسرها (ص١٤).

٥ - وجوب كثير من الأشياء على العبد، من غير أن يكون من أمر اللّه تعالى فيه أمر، مثل التأمل والنظر **Speculation**، والاستدلال **Reasoning**، وشكر النعم لوقوعها في مقدور المخلوق بأقدار الخالق تعالى.

٦ - إنكار مفاخرة زائدة لرسول اللّه ﷺ على الأنبياء، كالشفاعة.

واختتم المؤلف هذا الجزء بعرض الطبقات العشرة للمعتزلة، التي ذكرها القاضي عبد الجبار (ص١٧ - ١٠٠)، مبرزًا في كل طبقة المشهورين من رجالهم، وأهم القضايا التي تناولوها، ثم عرض الطبقتين الحادية عشرة، والثانية عشرة التي أكملها الحاكم.

ويختص الجزء الثاني والمعنون « فلسفة المعتزلة وفرقهم » (ص١٠١ - ١٥٠) بتقديم صورة صادقة لفلسفة المعتزلة، ثم لفرقهم. ويبدأ المؤلف هذا الجزء بتقديم عرض مختصر لنشأة المعتزلة، ومبرر تسميتهم بهذا الاسم (ص١٠٢ - ١٠٤)، ثم يلخص لنا أهم المسائل التي اتفق عليها المعتزلة (ص١٠٥، ١٠٦)، (وهذا الجزء تكرار لما سبق عرضه في الجزء الأول من هذا الكتاب).

ويعرض باستفاضة للمسائل الفلسفية التي تناولها المعتزلة في مباحثهم، في إطار اللّه والإنسان والعالم؛ حيث ظهرت ثلاث مسائل جوهرية في الإسلام في النصف الثاني للهجرة هي: مشكلة الخلافة، وقدرة الإنسان على أعماله، ونفي الصفات، وشغلت هذه المسائل الفلاسفة والمفكرين، وعرض المؤلف لأهم القضايا الفلسفية التي تضمنها المذهب المعتزلي (ص١٠٩ - ١٥٠). حيث تناول باستفاضة قضية التوحيد (ص١٠٩- ١٣٥). ثم قضية وجود العالم (ص١٣٥ - ١٤١). وأخيرًا قضية الأجسام الطبيعية (ص١٤١ - ١٤٦). ويبرهن المؤلف على تأثر المعتزلة بالفلاسفة اليونان، الذين نفذت أفكارهم إلى العالم الإسلامي عن طريق حركة الترجمة الشهيرة في العصر العباسي. ثم انتقل إلى إلقاء الضوء على ما اختلف حوله أهل الأصول (ص١٤٧، ١٤٨) فيما يتعلق بالتوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والسمع والعقل، فيفرق الشهرستاني في البداية بين معنى « الأصول » و « الفروع ». يقصد بالأصول: معرفة الباري - تعالى - بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم. وبالجملة؛ كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين، فهي من الأصول. ومن المعروف أن الدين إذا كان منقسمًا إلى معرفة

وطاعة، والمعرفة أصل، والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًّا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًّا. الفروع: هو موضوع علم الفقه، وقال بعض العقلاء: كل ما هو معقول، ويتوصل إليه بالنظر والاستدلال، فهو من « الأصول ». وكل ما هو مظنون ويتوصل إليه بالاجتهاد فهو من « الفروع ». ويعرف « أهل السنة » وجميع الصفاتية « التوحيد » بأنه « إن اللَّه - تعالى - واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له ». وقال أهل العدل: إن اللَّه - تعالى - واحد في ذاته، لا قسمة ولا صفة له، وواحد في أفعاله لا شريك له. فلا قديم غير ذاته، ولا قسيم له في أفعاله، ومحال وجود قديمين، ومقدور بين قادرين، وذلك هو التوحيد. وأما العدل **Justice** على مذهب أهل السنة: فإن اللَّه تعالى عدل في أفعاله، بمعنى أنه متصرف في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. فالعدل: وضع الشيء موضعه، وهو التصرف في الملك، على مقتضى المشيئة والعلم. والظلم بضده، فلا يتصور منه جور في الحكم، وظلم في التصرف ومعنى العدل عند المعتزلة فهو: ما يقتضيه العقل من الحكمة **Wisdom** وهو: إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة. ثم ينتقل إلى عرض معنى الوعد والوعيد عند أهل العدل: قال المعتزلة: لا كلام في الأزل، وإنما أمر ونهي، ووعد ووعيد بكلام محدث، فمن نجا فبفعله استحق الثواب، ومن خسر فبفعله استوجب العقاب، والعقل من حيث الحكمة يقتضي ذلك. أما السمع والعقل: فهي عند أهل السنة الواجبات بالسمع، والمعارف كلها بالعقل؛ فالعقل لا يحسن ولا يقبح، ولا يقتضي ولا يوجب، والسمع لا يعترف، أي لا يوجد المعرفة، بل يوجب. وعند المعتزلة: المعارف كلها معقولة بالعقل، واجبة بنظر العقل، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع، والحسن والقبح، صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح (ص١٤٨).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الاختيار Volition.**
- **الإرادة الحرة Free Will.**
- **التأمل والنظر Speculation.**
- **الاستدلال Reasoning.**
- **العدل Justice.**

- الحكمة **Wisdom**.
- الوعد **Promise**.
- الوعيد **Threatening**.
- السمع **Hearing**.
- العقل **Mind**.

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

الهم والحزن

- تأليف/ ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن عبيد (٢٠٨هـ - ٢٨١هـ).
- تحقيق/ مجدي فتحي السيد.
- القاهرة: دار السلام (١٩٩١م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٠٥) صفحة تتناول جميعها الهم والحزن وما قد يحدثه في الفرد، وبدأ الكتاب بمتواصل الأحزان دائم الفكرة. وتساءل هل يحب اللّه كل قلب حزين، وأن الهم والحزن يكفران الذنوب، وبين حديث آدم عليه السلام عن الهم والحزن.

وأشار إلى صور من الأحزان كأحزان يعقوب على يوسف عليهما السلام، وأن القلب الخالي من الحزن خراب. وأن الأحزان في الدنيا ثلاثة: حزن لفراق من تحب، وحزن الوالد على ولده، ورجل افتقر بعد غنى. وتساءل هل يستجاب الدعاء عند الأحزان؟ وبين أحزان المسلم على ضياع صلاة الجمعة؛ وذلك لأنه لم يلحق بصلاة الجماعة. وأن الحزن جلاء القلوب وعرض لأقوال بعض الصالحين عن الحزن. وتساءل هل يزيد الحزن والهم من الحسنات؟ وأشار إلى حديث القرآن عن الحزن، وأن هناك حزنًا عليك وحزنًا لك، وأن الحزن نوعان: حزن حائل وحزن جامد؛ فالحزن الحائل ما جمد في البدن ورتع، فذلك الذي ما ترى صاحبه إلا كئيبًا **Depressed** (ص٤٣) محزونًا ومغمورًا. وأن حزن الآخرة يطرد فرح الدنيا، وعرض للهموم والأحزان في حياة الحسن البصري، وأن منازل الأبرار ترتفع بالحزن. وأن هناك من يظهر عليه حزن الخلائق جميعها، وعرض لتساؤل هل للمؤمن راحة دون لقاء اللّه؟ وبين بعض معاني الحزن عند السلف الصالح، وأشار إلى قدر الحزن المطلوب، وفضل الحزين يوم القيامة.

تناول الكتاب حديث داود عليه السلام إلى ربه، وبين حال المؤمن آناء الليل وأطراف النهار.

وعرض لما جاء في الكمد أي الكرب **Distress** (ص٥٩). وتساءل هل البكاء مسلاة؟ وبين مسار الحزن وأنه يبدأ بانكسار القلب، فإذا علا الحزن قلبًا أبهمه وحيره فانهدت منه القوى فسمي الكمد.

وتساءل عن نهاية الحزن؟ وبين أن الحزن ينتهي بالكمد، وأن الكمد ينتهي إلى تلف النفس وهي إشارة إلى **الاضطرابات النفسية Psychological Disorders** (ص٦٠) والتي قد تنتج عن الحزن. وأن هناك بكاءً للخوف وهو صعب وبكاء للمحزون وهو حلو.

أشار أيضًا إلى حديث العلماء عن الحزن، وأن الرجل يبكي على ذنبه طول الليل، ويلبس ما يلبس العبيد ليحزن، وبين ما هو حزن الحزن، وتساءل هل حزنت لضياع العمر؟ وأن لا راحة للمؤمن دون لقاء اللّه، وعرض للأحاديث التي بشرت المؤمنين ومنها « **ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا** ». وبين شدة كمد يعقوب على يوسف - عليهما السلام -. ووصف الأولياء الأتقياء، وأن الحزين ينشغل عن الدنيا بالآخرة، وتساءل مرة أخرى أين الراحة والفرح؟ ووصف في حديثه عن العباد والزهاد ومظاهر الحزن لديهم تأثير الحزن على الناس، وكيف أن الحزن يبدأ في البدن فيعطي كل عضو قسطه، ثم إلى القلب والرأس فيسكنهم فمتى جرى القلب بشيء تجري فهاجت الحرقة صاعدة، فاستثارت الدموع من شئون الرأس حتى تسلمها إلى العين فتذرها، وهي إشارة إلى ارتباط الحزن **بالأفكار Thoughts** (ص٧١)، والتي قد ترتبط به. وأن هناك بكاءً موجعًا مقلقًا وهو الذي يبدأ التنفس فيه بالزفير وينتهي بشهيق. والحزن والبكاء في مجلس الوعظ. وهل الحزن من أفضل العبادة؟ ومن أشد الناس المؤمن الصادق، وأن قلوب الأبرار تغلي بأعمال البر، وأجر بكاء يعقوب على يوسف وسببه.

وبيَّن حال من ملأت الآخرة قلوبهم، وجعل اللّهَ أكبر همه. وعرض لشدة أحزان عتبة الغلام، وهموم عطاء السليمي، ورجل يبكي ويضحك معًا. وأن من وحي اللّه إلى أنبيائه من آداب حامل القرآن. ووصف حال أهل الجنة في الدنيا، وصور شدة حزن عمر ابن الخطاب على أخيه.

وانتهى الكتاب إلى الفزع لذكر مواقف يوم القيامة، وأن داود الطائي حزينٌ مهمومٌ، وتساءل ما للمرأة الحزينة من أجر؟ وهل يسأل المؤمن ربه الحزن؟ وهل في الجنة أرفع من درجة العلماء؟ وعرض لما جاء في الحزن والهم على ألسنة الصحابة والتابعين،

وكيفية ذهاب الحزن من القلوب، وما هي أسباب حزن المؤمن؟ وهل في الدنيا راحة؟ وكيف قد يذهب عقل الرجل من شدة حزنه؟

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **المكتئب Depressed.**
- **الكرب Distress.**
- **الاضطرابات النفسية Psychological Disorders.**
- **الأفكار Thoughts.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

الوابل الصيب من الكلم الطيب



○ تأليف/ ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ).

○ اعتنى به/ أبو عبد الرحمن عماد الدين بن زين العابدين بن علي العلامي.

○ القاهرة: مكتبة العلوم للنشر والتوزيع (٢٠٠٥م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٣٩) صفحة من القطع الصغير متضمنة الفهارس، مقسمة إلى أربعة فصول تدور حول سعادة العبد، وأنها تكمن في ثلاثة أمور: إذا أنعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. كما أشار إلى كيف يواجه ويتعامل الفرد مع ربه، وانقسم الفصل الرابع إلى خمسة وسبعين فصلًا في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يتخلى عنها لشدة الحاجة إليها.

ويشير **الفصل الأول** إلى استقامة القلب والجوارح واليقظة لمعرفة ما يفسد الأعمال، وأشار إلى تدافع الحسنات والسيئات، وعلامات تعظيم الأمر والنهي، ثم انتهى الفصل بمراتب الناس في الصلاة.

وتناول **الفصل الثاني** القلوب وأنها ثلاثة؛ قلب خال من الإيمان، وقلب قد استنار بنور الإيمان لكن عليه ظلمة الشهوات، وقلب يملؤه الإيمان واستنار بنوره وانقشعت عنه حجب الشهوات، وتكلم عن خلوف فم الصائم، وهل هو في الدنيا أم الآخرة، وكيف اختلفت الآراء في ذلك.

أما **الفصل الثالث** ففي الصدقة وآثارها، وأشار إلى الفرق بين الشح والبخل؛ فالشح هو شدة الحرص على الشيء وجشع النفس عليه، والبخل منع الإنفاق بعد حصوله. وبين في هذا الفصل أهمية الذكر، ووضح طبقات الناس في العلم والهدى، وأنه شفاء للقلوب كما أنه أصل موالاة اللَّه ﷻ.

وأشار إلى مجالس الذكر وأنها روضة من رياض الجنة ومجالسة للملائكة، وأن على الناس مداومة الذكر قبل أن يصاب الفرد بالكبر الذي قد يصحبه **الخرف Dementia** (ص١١٩) وينكر عقله. كما بين أن الجنة تبنى بالذكر، وأنه سد بين العبد وبين جهنم، وأن الملائكة تستغفر للذاكر، وأنه أمان من النفاق.

ثم جاء **الفصل الرابع** في الأذكار الموظفة التي لا ينبغي للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة إليها، وقسمه لعدة فصول: الأول فيما يذكر طرفي النهار ويقصد به ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والمغرب.

والثاني في أذكار النوم، وما يذكر عند الذهاب للنوم. أما الثالث ففي أذكار الانتباه من النوم، وما يذكره المسلم عند استيقاظه من النوم. ثم الرابع ففي الأذكار التي تذكر عند الفزع من النوم والقلق، وجاء هنا على ذكر **الأرق Insomnia** (ص١٥٢)، وما يقال عند الأرق حتى يستطيع الفرد النوم.

والفصل الخامس في الأذكار التي تقال عند رؤية ما يكرهه الفرد أو يحبه، وأشار هنا إلى **الحلم Dream** (ص١٥٢).

أما **السادس والسابع** فكان في أذكار الخروج وما يذكر عند الدخول إلى المنزل.

وتناولت **الفصول الثامن والتاسع والعاشر والحادي والثاني والثالث والرابع عشر** الأذكار التي تقال عند دخول المسجد والخروج منه، وعند سماع الأذان، والاستفتاح، وأذكار الركوع والسجود وما يقال بين السجدتين، وأدعية الصلاة بعد التشهد، والأذكار المشروعة بعد السلام، وعند التشهد.

وجاء **الفصل الخامس عشر** في ذكر الصلاة على النبي ﷺ.

أما **السادس عشر** ففي الاستخارة.

وتناول **الفصل السابع عشر** في أذكار الكرب والغم والهم، ونرىٰ أن هذه الأذكار تمثل شكلًا من أشكال أساليب المساندة والعلاج عندما يشعر الفرد **بالكرب Distress** (ص١٦٩ - ١٧١)، كما أشار إلى الأدعية التي يقولها الفرد عندما يشعر بالحزن والكرب ليجد فيها المسلم المساندة والقوة من اللّٰه ﷻ.

أما **الفصل الثامن عشر** ففي الأذكار الجالبة للرزق والدافعة للضيق والأذى.

والفصل التاسع عشر في الأذكار التي تقال عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانًا وغيره.

الفصل العشرون في الأذكار التي تطرد الشيطان، وأشار هنا إلى الوسوسة والشك وما جاء في دفعهما والأحاديث التي تحفظ المسلم، وتعتبر هذه إشارة إلى مصطلح **الوسواس القهري Obsessive Compulsive** (ص١٧٣).

تلى ذلك **الفصل الحادي والعشرون** في الذكر الذي تحفظ به النعم، وما يقال عند تجددها.

أما **الثاني والعشرون** ففي الأذكار التي تقال عند المصيبة.

الثالث والعشرون في الأذكار التي يدفع بها الدين ويرجى قضاؤه.

وجاءت أذكار **الفصل الرابع والعشرين** في ما جاء من الأذكار التي يرقى بها من اللسعة واللدغة وغيرهما.

الفصل الخامس والعشرون في ذكر دخول المقابر.

أما السادس والسابع والثامن والتاسع والعشرون والثلاثون فجاءت أذكارها في الريح إذا هاجت والرعد، ونزول الغيث والدعاء عند زيادة المطر وكثرة المياه والخوف منها.

ويشير **الفصل الحادي والثاني والثلاثون** إلى ما يذكر عند رؤية الهلال، ويقوله الصائم عند فطره.

والفصول من الثالث والثلاثين وحتى السابع والثلاثين في الأذكار التي تقال عند السفر، وعند ركوب الدابة، وعند الرجوع من السفر، وما يقال والفرد على الدابة إذا استصعبت أو انفلتت.

وعرض **الفصل الثامن والتاسع والثلاثون والأربعون** إلى الأذكار التي نقولها عند دخول القرية أو البلدة، وعند النزول بمنزل ما، وما يذكر عند تناول الطعام والشراب.

اهتمت **الفصول من الحادي والأربعين وحتى الثالث والأربعين** بكل ما يتعلق بأذكار الضيف إذا نزل بقوم ما، وأذكار السلام، وما يقال عند العطاس.

وتدور **الفصول من الرابع والأربعين وحتى الخامس والأربعين** حول النكاح والتهنئة به، وذكر الدخول بالزوجة، وما يذكر عند الولادة، والذكر المتعلق بالولد.

أما الفصل السادس والأربعون فكان في الأذكار التي تقال عند سماع صياح الديكة والنهيق والنباح.

أما السابع والأربعون ففي الذكر الذي يطفئ الحريق.

واهتم **الفصل الثامن والأربعون** بما يذكر ككفارة المجلس.

وتناولت أذكار **الفصل التاسع والأربعين** فيما يقال ويفعل عند **الغضب Anger** (ص١٩٧)، وأشار في ظل ذلك إلى ما يقال ويفعل عند الغضب وهو ما يمكن الإشارة إليه على أنه **استراتيجيات علاج الغضب Anger Therapy Techniques** (ص١٩٧).

والفصل الخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء.

أما **الحادي والخمسون** فجاء فيما يقال عند دخول السوق.

وتناول **الثاني والخمسون** في الرجل إذا اخدرت رجله.

أما **الفصل الثالث والخمسون** ففي الدابة إذا ما عثرت.

والرابع والخمسون فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة.

وتناول **الفصل الخامس والخمسون** فيمن أميط عنه أذى.

أما **السادس والخمسون** ففي رؤية باكورة الثمرة.

وأشارت أذكار **الفصل السابع والثامن والخمسين** في الشيء الذي يراه الفرد ويعجبه ويخاف عليه من العين، وما جاء في الفأل والطيرة.

وركز **الفصل التاسع والخمسون والستون** على ما يقال عند دخول الحمام أو دخول الخلاء، والخروج منه.

أما **الحادي والستون والثاني والستون** فجاء فيما يقال عند الوضوء، والفراغ من الوضوء.

وكانت أذكار **الفصل الثالث والستين** في صلاة الجنازة.

واهتم **الفصلان الرابع والخامس والستون** بالأذكار التي تقال عندما يقول الفرد هجرًا أو جرى على لسانه ما يسخط اللَّه ﷻ، وما يقال عند اغتياب أخ لأخيه المسلم.

وجاء **الفصل السادس والستون** فيما يقال عند كسوف الشمس وخسوْف القمر.

أما **السابع والستون** فأشار إلى ما يقوله الفرد عند ضياع شيء ما.

وعرضت **الفصول الثامن والتاسع والستون والسبعون** في الأذكار التي جاءت في عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة، وما يعتبر أحب الكلام إلى اللَّه ﷻ، وما جاء في الذكر المضاعف.

وتناول **الفصل الحادي والسبعون** فيما يقال لمن حصلت له وحشة.

أما **الثاني والسبعون** فاهتم بالذكر الذي يقال عند لبس ثوب جديد.

كما عرض **الفصل الثالث والسبعون** للأذكار التي تقال عند رؤية الفجر.

والفصل الذي تلاه - **الرابع والسبعون** - في التسليم بالقضاء والقدر بعد بذل الجهد في تعاطي ما أمر به من الأسباب.

أما **الفصل الأخير - الخامس والسبعون** - فكان في جوامع أدعية النبي ﷺ وتعوذاته التي لا غنى للمرء عنها.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الخرف **Dementia**.
- الأرق **Insomnia**.
- الحلم **Dream**.
- الكرب **Distress**.
- الوسواس القهري **Obsessive Compulsive**.
- الغضب **Anger**.
- استراتيجيات علاج الغضب **Anger Therapy Techniques**.

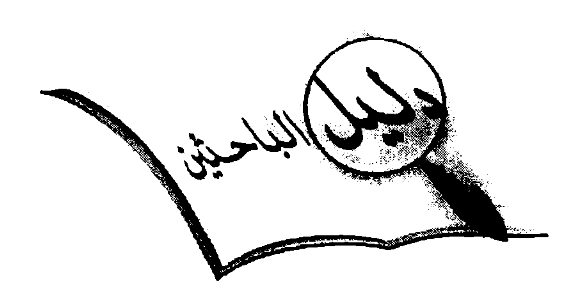
القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

القسم الثالث

أصول الفقه



الإحكام في أصول الأحكام
(المجلد الأول)



- تأليف/ الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي.
- ضبطه وكتب حواشيه/ الشيخ إبراهيم العجوز.
- بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يشمل المجلد الحالي جزئين (الأول والثاني)، ويقعان في (٥٥٣) صفحة، يشغل الجزء الأول منه (٢٤٣) صفحة من القطع المتوسط، وملخصه كالتالي:

الجزء الأول

*** القاعدة الأولى: مفهوم أصول الفقه ومبادئه:**

يعرف الفقه بأنه الفهم، ويفرق بينه وبين العلم فيقول: كل عالم فَهِم، وليس كل فَهِم عالِمًا. ويعرف أصول الفقه بأنها أدلة الفقه، وغايتها هي الوصول إلى الأحكام الشرعيَّة، عن طريق ثلاثة: علم الكلام، سواء المنطوق أو المضمر أو المفهوم (ص ٩)، وعلم العربية، والأحكام الشرعية، فهذه الثلاثة هي أصول الفقه، ويتناولها المؤلف في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المبادئ الكلامية:

يفرق بين الدليل والنظر والعلم والظن، فالدليل هو الناصب للدليل، أو ما فيه دلالة وإرشاد؛ سواء كان موصلًا إلى علم أو إلى ظن. أما النظر فهو الرؤية بالعين، أو الرأفة أو المقابلة أو التفكر والاعتبار. كما يعرف الفهم بأنه «التصرف بالعقل في الأمور السابقة بالعلم والظن(ص١١)، للمناسبة للمطلوب، بتأليف خاص، قصدًا لتحصيل ما ليس حاصلًا في العقل »، أما العلم فهو «صفة يحصل بها لنفس المتصف بها التمييز بين

حقائق المعاني الكلية؛ حصولًا لا يتطرق إليه احتمال نقيضه. أما الظن فهو ترجح أحد الاحتمالين في النفس على الآخر من غير قطع.

القسم الثاني: المبادئ اللغوية:

خص اللَّه الإنسان دون الحيوان بالمقاطع الصوتية التي عندما تختلف تحدث الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية، وهي موضوعة لمعنى، ويذكر لذلك المعنى أصلين؛ الأول أنواعه، والثاني بداية وضعه.

- **الأصل الأول: أنواع اللفظ:**

إما أن يكون اللفظ الدال مفردًا أو مركبًا:

النوع الأول: اللفظ المفرد: وفيه ستة فصول:

١ - حقيقته: هو ما دل بالوضع على معنى (**Semantic**) (ص١٦)، ولا جزء يدل على شيء أصلًا.

٢ - أقسام دلالته: إما أن تكون دلالته لفظية أو غير لفظية، واللفظية إما دلالة مطابقة أي تدل على المعنى، أو دلالة تضمّن بمعنى تدل على ما فيه من صفات متضمنة فيه، وغير اللفظية دلالة التزام أي أن المعنى له لازم من الخارج وينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه.

٣ - أقسام المفرد: إما اسم أو فعل أو حرف.

٤ - الاسم: هو ما دل على معنى في نفسه، وهو إما واحد أو متعدد، فإن كان واحدًا فمفهومه منقسم على أربعة وجوه:

- القسمة الأولى: إما أن يشترك في مفهومه كثيرون أو لا. وإما أن يكون صفة كالعالِم والقادر، أو عينًا كإنسان وفرس، أو يكون معنى كالعلم والجهل، وهو إما اسم عين كأسد، أو اسم معنى كفضل، وقد يكون الاسم مؤلفًا من اسمين. كعبد اللَّه، أو فعلين. كقام قعد، أو حرفين: إنما، أو اسم وفعل مثل: تأبط شرًّا، أو حرف واسم: كتسميته بزيد، أو فعل وحرف: قام على، وهذه القسمة لها ثلاث مسائل هي:

أ - كثير من المعاني لم تضع العرب لها ألفاظًا تدل عليها (ص٢١).

ب - يكون الاسم متواطئًا عندما يتحد المنسوب مع المنسوب إليه للفظ، مثل خمري، إما أن نعني أنه شبيه بلون الخمر أو أنه بطعم العنب.

جـ - أنه بتعدد الأسماء تتعدد المسميات.

- القسمة الثانية: ينقسم الاسم إلى ظاهر ومضمر وما بينهما، والظاهر إما صحيح أو معتل، أما المضمر فهو إما منفصل أو متصل، وما بينهما هو اسم الإشارة.

- القسمة الثالثة: الاسم إما حقيقة أو مجاز، ومسائل هذه القسمة خمسة هي:

أ - الأسماء الشرعية: كلفظ الصوم والصلاة والقرآن، فالصلاة في اللغة بمعنى الدعاء، وفي الشرع بمعنى الأفعال المخصوصة.

ب - الأسماء المجازية: وهي إما بقرينة أو لا.

جـ - إن كلام اللّه تعالى حق وليس مجازًا.

د -الرسول ﷺ بعث إلى الكل فهو للناس كافة.

هـ - اختلف في إطلاق الاسم على مسماه المجازي.

- القسمة الرابعة: الاسم إما علم أو صفة، وله مسألتان:

أ - بقاء الصفة المشتق منها حقيقة أم لا ؟

ب - هل الأسماء اللغوية ثبتت قياسًا أم لا ؟

٥ - الفعل وأقسامه: **الفعل Verb** ما دل على حدث مقترن بزمان، **والحدث Acedent** هو اسم الفعل، **والزمان Time** هو ماض، وحال، ومستقبل، وأمر.

٦ - الحرف وأصنافه: الحرف هو ما دَلّ على معنى في غيره، وهو إما للإضافة أو للعطف أو للنداء أو الاستثناء أو الاستفهام.

النوع الثاني: المركب: المركب من مفردات الألفاظ هو **الكلام Speech** (ص٦٥) ويقصد به معنى الكلام اللساني وليس النفساني، وهو ما يطلق على ما أُلّف من حروف وأصوات، والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى.

- الأصل الثاني: مبدأ اللغات وطرق معرفتها:

ما وضع من الألفاظ الدالة على معانيها هو لمناسبة طبيعية بين اللفظ ومعناه، فإن لم يكن بين اللفظ ومعناه مناسبة طبيعية لما كان اختصاص ذلك المعنى بذلك اللفظ أولى من غيره، وعلّم اللّه - تعالى - آدم الأسماء كلها وكل ما يمكن التخاطب به (**التخاطب Communication**) (ص٧٠) وذلك إما بالوحي أو بأن يخلق اللّه الأصوات والحروف

ويسمعها له، ويخلق له العلم الضروري بأنها قصدت للدلالة على المعاني.

القسم الثالث: المبادئ الفقهية والأحكام الشرعية:

الحكم الشرعي يستدعي حاكمًا، ومحكومًا فيه، ومحكومًا عليه، وهي أربعة أصول:

- الأصل الأول: الحاكم:

لا حاكم سوى اللّه تعالى، ولا حكم إلا ما حكم به، **فالعقل Reason** (ص٧٢) لا يُحَسِّن ولا يُقَبِّح، وفيه ثلاث مسائل:

- المسألة الأولى: إن إطلاق الحُسن أو **القُبح Ugliness** على الأفعال يتم باعتبارات ثلاثة:

١ - **الحَسن Beaty** ما وافق الغرض، والقبيح على ما خالفه.

٢ - الحَسن هو ما أمر الشارع بالثناء على فاعله وهو الحلال، والقبيح هو ما أمر الشارع بذم فاعله وهو الحرام.

٣ - الحسن هو ما لفاعله - مع العلم به والقدرة عليه - أن يفعله دون حرج.

- المسألة الثانية: شكر المنعم واجب.

- المسألة الثالثة: تنقسم الأفعال إلى ما حَسّنَهُ العقل، وما قَبّحَهُ، وما لم يفصل العقل فيه بحُسنٍ ولا قبح. كما تنقسم إلى ما هو مباح، وواجب، ومندوب، وحرام، ومكروه.

- الأصل الثاني: حقيقة الحكم الشرعي وأقسامه:

حقيقة الحكم الشرعي هي خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد، وهو ستة فصول:

الفصل الأول: حقيقة الوجوب:

الوجوب في اللغة هو الثبوت والاستقرار، وفي العرف الشرعي هو ما يستحق تاركه العقاب على تركه (ص٨٦) وهو سبع مسائل:

- الأولى: الفرق بين الواجب والفرض: الواجب هو الثابت، أما الفرض فهو التقدير. وقد يكونان بالمعنى نفسه.

- الثانية: واجب العين وواجب الكفاية: واجب العين لا يسقط بفعل الغير بخلاف واجب الكفاية **Notobligatory if one does it**.

- الثالثة: الواجب **Obligatory due** ما لا يجوز تركه مع القدرة عليه.

الرابعة: وقت وجوب الفعل، قيل أنه أوله، وفعل الواجب بعد ذلك يكون قضاء، وقيل أن وقت الوجوب هو آخر الوقت وإلا فهو نفل يسقط به الفرض، وقيل أن الواجب يتعين بالفعل في أي وقت.

الخامسة: فعل الفرض خارج وقته فهو قضاء.

السادسة: تأخير فعل الواجب عن أول الوقت فيه معصية.

السابعة: ما لا يتم الواجب إلا به ولا يوصف بالوجوب؟ كالطهر للصلاة، فهو شرط لا يتم الواجب إلا به، فشرط الطهر ليس واجبًا وإنما الواجب الصلاة إذا وجد الشرط.

الفصل الثاني: المحظور:

المحظور أو المحرم **Forbiden** في اللغة هو ما كثرت آفاته، وفي الشرع هو ضد الواجب، ومن أسمائه المحرم والمعصية والذنب، وله ثلاث مسائل:

١ - يجوز أن يكون المحرم أحد الأمرين لا واحدًا بعينه.

٢ - استحالة الجمع بين المحظور والوجوب في فعل واحد، ويجوز انقسام الفعل الواحد إلى واجب وحرام كالسجود للّه والسجود لصنم.

٣ - المحرم مضاد للواجب.

الفصل الثالث: المندوب:

المندوب **Preferable but not obligable** وفي اللغة مأخوذ من الندب، وهو الدعاء إلى أمر مهم، وفي الشرع هو ما فعله خير من تركه، أو هو ما يمدح على فعله ولا يذم على تركه، أو هو المطلوب فعله شرعًا من غير ذم على تركه، وفيه مسألتان:

١ - المندوب ليس مأمورًا به، ولا يسمى تاركه عاصيًا.

٢ - هل المندوب من أحكام التكاليف؟ التكليف فيه كلفة ومشقة، بينما المندوب مساوٍ للمباح في التخيير بين الفعل والترك من غير حرج، مع زيادة الثواب على الفعل.

الفصل الرابع: المكروه:

المكروه في اللغة مأخوذ من الكريهة وهي الشدة في الحرب، وفي الشرع، قد يراد به الحرام، أو ترك ما مصلحته راجحة، أو ما نهي عنه نهي تنزيه لا تحريم.

الفصل الخامس: المباح:

المباح **Allawable** في اللغة مشتق من الإباحة، وهي الإظهار والإعلان أو الإطلاق

والإذن، وفي الشرع هو ما خير المرء فيه بين فعله وتركه شرعًا، أو هو ما استوى جانباه في عدم الثواب والعقاب، وفيه خمس مسائل:

١ - المباح هو ما انتفى الحرج عن فعله وتركه.

٢ - المباح غير مأمور به.

٣ - هل المباح داخل في مسمى الواجب؟ المحرم جائز الترك.

٤ - هل المباح يدخل تحت التكليف؟ التكليف هو طلب ما فيه كلفة ومشقة، بينما المباح ليس فيه كلفة لكونه مخيرًا بين الفعل والترك.

٥ - هل المباح حَسَن أم لا؟ المباح حسن باعتبار موافقته للغرض، وليس باعتبار أنه مأمور بالثناء على فاعله.

الفصل السادس: الأحكام الثابتة بخطاب الوضع والأخبار:

وهي ستة أصناف:

١ - الحكم على الوصف بكونه سببًا، السبب في اللغة هو ما يمكن التوصل به إلى مقصود ما (السببية أو العلية **Causality**) (ص١١٠).

٢ - الحكم على الوصف بكونه مانعًا.

٣ - الشرط، كالطهارة للصلاة.

٤ - الحكم بالصحة، الصحة في اللغة مقابل السقم، وفي الشرع هي العبادات أو عقود المعاملات.

٥ - الحكم بالبطلان، وهو الفاسد.

٦ - العزيمة والرخصة، الرخصة ما أبيح فعله مع كون حرامًا، والعزيمة عقد القلب على أمرٍ ما.

- **الأصل الثالث: المحكوم فيه:**

هو الأفعال المكلف بها، وفيه خمس مسائل:

١ - **يمتنع التكليف Authorization** بالجمع بين الضدين، وبالمستحيل، وبما **لا يطاق Unability** (ص١١٥).

٢ - لا يشترط في التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلًا حالة التكليف؛ بل لا مانع

من ورود التكليف بالمشروط وتقديم شرطه عليه.

٣ - ممتثل التكليف مطيع، والطاعة حسنة، والحسنة مستلزمة الثواب.

٤ - يجوز التكليف بالفعل قبل حدوثه ويمتنع بعد حدوثه.

٥ - تجوز النيابة فيما كُلِّفَ به العبد من الأفعال البدنية.

الأصل الرابع: المحكوم عليه: وهو المُكَلَّف، وفيه خمس مسائل:

١ - شرط المكلف أن يكون عاقلًا فاهمًا للتكليف (**راشد Adult**) (ص١٢٩)؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم مُحَال كالجماد والبهيمة والمجنون والصبي.

٢ - جواز تكليف المعدوم؛ لأنه أسوأ حالًا من غير المكلفين السابقين؛ وذلك لعدم تهيئته لفهم الخطاب الموجه إليه.

٣ - المُلجَأ إلى الفعل بالإكراه لا يسعه تركه في جواز تكليفه بهذا الفعل.

٤ - تكليف الحائض بالصوم واجب، فلو لم يكن واجبًا عليها فلِمَ وجب عليها قضاؤه؟

٥ - إن المكلف بالفعل أو الترك يعلم كونه مكلفًا قبل التمكن من الامتثال.

* * *

*** القاعدة الثانية: الدليل الشرعي وأقسامه وأحكامه وأصوله:**

ينقسم الدليل الشرعي إلى صحيح في نفسه ويجب العمل به، وما ظن أنه دليل صحيح وليس كذلك.

القسم الأول: ما يجب العمل به:

وهو ستة أصول:

- الأصل الأول: معنى الكتاب:

الكتاب هو ما نقل إلينا بين دفتي المصحف، وهو القرآن المنزل على نبينا على لسان جبريل، وهو المحتج به شرعًا على الأحكام الشرعية، وهو خمس مسائل:

١ - إن ما نقل من القرآن متواترًا فهو قرآن، أما ما هو آحاد فليس من القرآن.

٢ - التسمية: آية من القرآن في سورة النمل، وليست آية في أول كل سورة.

٣ - القرآن مشتمل على آيات محكمة وأخر متشابهة، والمحكمة هي ما ظهرت معناها، أما المتشابهة فما فيه احتمال.

٤ - لا يشتمل القرآن على ما لا معنى له؛ لأنه كلام اللّه تعالى.

٥ - يحتوي القرآن على ألفاظ مجازية، وعلى كلمات غير عربية.

- الأصل الثاني: السُّنة:

السُّنة في اللغة هي الطريقة، وفي الشرع هي العبادات النافلة المنقولة عن الرسول ﷺ. وتشتمل على مقدمتين وخمس مسائل:

المقدمة الأولى: عصمة الأنبياء:

الأنبياء قبل النبوة لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة أو صغيرة، أما بعد النبوة فهم معصومون عن كل ما يخل بصدقهم في تبليغ الرسالة عن اللّه تعالى.

المقدمة الثانية: معنى التأسي والمتابعة والموافقة والمخالفة:

التأسي (الاقتداء) Modeling يكون بالغير في الفعل أو الترك، المتابعة قد تكون في القول أو في الفعل أو في الترك، **والموافقة Agreement** هي مشاركة أحد الشخصين للآخر في القول أو في الفعل أو في الترك أو في الاعتقاد، **والمخالفة Disagreement** قد تكون في القول أو في الفعل. أما المسائل الخمس فهي كالتالي:

١ - هل أفعال النبي ﷺ دليل لشرع ذلك الفعل لنا؟ البعض يقول أنها محمولة على الوجوب، ومنهم من يقول مندوب أو مباح.

٢ - اتباع النبي في أفعاله والتأسي به عبادة، وهي حب في اللّه.

٣ - إذا فعل شخص فعلًا؛ وسكت عنه النبي؛ فلا يدل ذلك على جوازه أو إباحته.

٤ - أفعال الرسول إما متماثلة أو مختلفة.

٥ - إن أكثر الأحكام مستندها أقوال الرسول وليس أفعاله.

- الأصل الثالث: الإجماع:

الإجماع **Consensus** (ص٢١١): في اللغة هو العزم على الشيء والتصميم عليه، أو هو الاتفاق، ويتعلق بالإجماع سبع وعشرون مسألة وهي:

١ - اختلف العلماء في تصور اتفاق أهل الحل والعقد على حكم واحد غير معلوم بالضرورة.

٢ - مَن ادعى وجود الإجماع على حكم واحد فهو كاذب، وذلك لكثرة أهل الحل والعقد وتفرقهم في البلاد.

٣ - الإجماع حجة شرعية، يجب العمل به على كل مسلم.

٤ - الإجماع حجة على أنه لا اعتبار بموافقة من هو خارج عن الملة، ولا بمخالفته.

٥ - لا اعتبار بموافقة العامي من أهل الملة في انعقاد الإجماع ولا بمخالفته.

٦ - المجتهد إذا كان مبتدعًا فإما أن يكفر ببدعته؛ أو لا يكفر، وإذا كان فاسقًا فهو كالكافر والصبي، ولا يجوز تقليده فيما يفتي به.

٧ - الإجماع ليس هو إجماع الصحابة؛ بل إجماع أهل كل عصر.

٨ - إن سوغت الجماعة الاجتهاد في مذهب المخالف كان خلافه معتدًّا به.

٩ - التابعي إذا كان من أهل الاجتهاد في عصر الصحابة؛ هل ينعقد إجماع الصحابة مع مخالفته أم لا ؟ انقسموا فريقين.

١٠ - إجماع أهل المدينة لا يكون حجة على من خالفهم في حالة إجماعهم.

١١ - لا يكفي في انعقاد الإجماع اتفاق أهل البيت مع مخالفة غيرهم.

١٢ - لا ينعقد إجماع الأئمة الأربعة مع وجود المخالف لهم من الصحابة.

١٣ - الإجماع حجة **Argumentation** بدلالة العقل، وهو أن الجمع الكثير لا يتصور تواطؤهم على الخطأ.

١٤ - إذا ذهب واحد من أهل الحل والعقد إلى حكم وعَرّفَ به أهل عصره ولم ينكر عليه منكر؛ يكون ذلك إجماعًا.

١٥ - إذا ذهب واحد من أهل الحل والعقد إلى حكم في مسألة؛ ولم ينتشر بين أهل عصره لكنه لم يعرف له مخالف؛ فهو ليس بإجماع.

١٦ - هل انقراض العصر شرط في انعقاد الإجماع أم لا ؟ اختلف العلماء.

١٧ - الأمة لا تجتمع على الحكم إلا عن مأخذ ومستند يوجب اجتماعها.

١٨ - لا ينعقد الإجماع إلا عن مستند، سواء بالاجتهاد أو بالقياس **Reasons**.

١٩ - إذا اختلف أهل العصر في مسألة على قولين؛ هل يجوز لمن بعدهم إحداث قول ثالث؟ ذهب الجمهور إلى المنع من ذلك.

٢٠ - إذا استدل أهل العصر في مسألة بدليل أو تأولوا تأويلًا؛ فهل يجوز لمن بعدهم إحداث دليل أو تأويل آخر؟ إما أن يؤيدوه، أو يبطلوه، أو يسكتوا عنه.

٢١ - إذا اختلف أهل عصر في مسألة على قولين؛ واستقر هذا الخلاف؛ فهل ينعقد إجماع من بعدهم على أحد القولين؟ ذهب الجمهور إلى المنع.

٢٢ - إذا اختلفوا في مسألة على قولين؛ فهل يجوز اتفاقهم على أحد القولين والمنع من جواز المصير إلى القول الآخر؟ اختلفوا.

٢٣ - هل يمكن وجود خبر أو دليل ولا معارض له وتشترك الأمة في عدم العلم به؟ الأمة غير مكلفة بالعمل بما لم يظهر لهم ولم يبلغهم.

٢٤ - أمة محمد ﷺ لا يصدق عليهم الاتفاق على الخطأ.

٢٥ - هل دية اليهودي مثل دِية المسلم أم نصفها أم ثلثها؟ ديته الثلث.

٢٦ - ثبوت الإجماع بخبر الواحد، بمعنى أن ما يثبت بخبر الواحد لا يكون إلا ظنيًّا في سنده، وإن كان قطعيًّا في متنه.

٢٧ - إنكار حكم الإجماع الظني غير موجب للتكفير، أي لا يكفر جاحد الحكم المجمع عليه.

إلى هنا انتهى الجزء الأول، من المجلد الأول.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **لغة Language.**
- **تفكير Thinking.**
- **معنى Semantic.**
- **كلام Speech.**
- **تخاطب Communication.**
- **عقل Reason.**
- **عقاب Punishment.**
- **سببية أو علية Causality.**

- قدرة **Ability**.
- وسع **Capacity**.
- استدلال **Reasoning**.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

الإحكام في أصول الأحكام
المجلد الأول (الجزء الثاني)



- تأليف/ الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي.
- ضبطه وكتب حواشيه/ الشيخ إبراهيم العجوز.
- بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر.

***

التعريف بالمؤلف:

تم تعريفه مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع هذا الجزء في (٣٠٦) صفحة من القطع المتوسط، ويشمل الصفحات من (٢٤٤ - ٥٥٣)، ويستكمل فيه المؤلف ما ورد في الجزء الأول من أصول الأحكام، فيبدأ بعرض الأصل الرابع:

- **الأصل الرابع: فيما يشترك فيه الكتاب والسُّنة والإجماع:**

وهو نوعان، يتعلق أحدهما بالنظر في السند، والآخر بالنظر في المتن:

النوع الأول: النظر في السند: وهو الإخبار عن المتن، ويشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: حقيقة الخبر وأقسامه:

الخبر Predicate هو الكلام المحتمل الصدق والكذب، ويطلق على الإشارات الحالية والدلائل المعنوية، أو قد يكون مجازًا، وينقسم معنى الخبر إلى ثلاث قِسَم:

الأولى: ينقسم الخبر إلى صادق وكاذب (ص٢٥٣).

الثانية: ينقسم الخبر إلى ما يعلم صدقه، وما يعلم كذبه، وما لا يعلم صدقه ولا كذبه.

الثالثة: ينقسم الخبر إلى متواتر وآحاد.

الباب الثاني: **المتواتر Recurrent:**

التواتر في اللغة هو تتابع الأشياء واحدًا بعد واحد بينهما مهلة **Frequenc**، وفي الشرع تتابع الخبر عن جماعة بلغوا في الكثرة إلى حيث فصل العلم بقولهم، وفيه ست مسائل:

١ - إن خبر التواتر مفيد للعلم، ودليل ذلك هو ما يرد علينا من الأخبار حسب وجداننا، كالعلم بالمحسوسات عند إدراكنا لها بالحواس (الإحساس **Sensation** والإدراك **Perception**) (ص ٢٥٩) ومن أنكر ذلك فقد ظهر جنونه.

٢ - العلم الحاصل عن خبر التواتر ضروري، أي لا يحتاج إلى واسطة مفضية إليه.

٣ - إن خبر التواتر لا يولّد العلم.

٤ - يحصل العلم عن الخبر المتواتر بشروط، إما ترجع إلى المُخبِر، أو إلى المستمعين؛ فالشروط الراجعة إلى المُخبر أن يكون علمه مستندًا إلى الحس لا إلى دليل العقل (ص٢٦٧). أما الشروط الراجعة إلى المستمعين فمنها أن يكونوا مؤهلين لقبول العلم.

٥ - يتفاوت الناس في قوة إدراك وفهم القرائن **Evidences** (ص٢٧٢).

٦ - إذا بلغ عدد المخبرين حد التواتر؛ واختلفت الشواهد **Indications** التي أخبروا عنها؛ فالكل مخبرون إما بالتضمن أو بالالتزام.

الباب الثالث: الآحاد **Ones**:

ويشمل أربعة أقسام:

- القسم الأول: خبر الواحد ما أفاد الظن **Doubt**، وهو غير مطرد ولا منعكس، وبه سبع مسائل.

١ - الواحد العدل إذا أخبر بخبر هل يفيد خبره العلم؟ اختلف العلماء، فمنهم من يقول أنه يفيد العلم ومنهم من يقول أنه يفيد الظن.

٢ - إذا أخبر الواحد بين يدي الرسول ﷺ بخبر؛ ولم ينكر عليه؛ هل يعلم كونه صادقًا فيه؟ يقول البعض أن ذلك دليل العلم بصدقه.

٣ - إذا أخبر واحد بخبر عن أمر مُحَس بين يدي جماعة؛ وسكتوا عن تكذيبه؛ فقد عُلِمَ من ذلك صدقه؛ لأن سكوتهم عن التكذيب يدل على صدقه.

٤ - إذا روى واحد خبرًا، وعملت الأمة مجمعة بمقتضاه؛ فإن ذلك يدل على صدقه قطعًا.

٥ - لو وجد شيء بمشهد من الخلق الكثير؛ لتوفرت الدواعي على نقله إذا انفرد الواحد بروايته عن باقي الخلق ولم يخبر بذلك أحد سواه؛ فذلك يدل على كذبه.

٦ – جواز التعبد بخبر الواحد العدل عقلًا.

٧ – الذين قالوا بجواز التعبد بخبر الواحد العدل عقلًا؛ اختلفوا في وجوب العمل به، فمنهم من نفاه، ومنهم من أثبته.

– القسم الثاني: شروط وجوب العمل بخبر الواحد، وهي أربعة:

١ – أن يكون الراوي مكلفًا: أي لا يكون مجنونًا، ولا صبيًّا، (راشد **Adult**) ولا مراهقًا **Adolescent** (ص٣٠٤).

٢ – أن يكون مسلمًا.

٣ – أن يكون ضبطه لما يسمعه أرجح من عدم ضبطه، وذكره له أرجح من سهوه **الذاكرة Memory والاستدعاء Recall** (ص٣٠٧).

٤ – أن يكون الراوي متصفًا بصفة **العدالة Justice** (ص٣٠٨).

وهناك مسائل متشعبة عن شروط العدالة وهي ثمان مسائل:

١ – أن مجهول الحال غير مقبول الرواية؛ بل لا بد من معرفة سيرته وكشف سريرته (ص٣١٠).

٢ – الفاسق المتأول الذي لا يعلم فسق نفسه؛ إما أن يكون فسقه مظنونًا، أو مقطوعًا به.

٣ – هل يثبت الجرح والتعديل بقول الواحد أم لا؟ اختلف العلماء.

٤ – اختلفوا في قبول الجرح والتعديل دون ذكر سببهما.

٥ – إذا تعارض الجرح والتعديل؛ فإما أن يكون الجارح قد عيّن السبب، أو لم يُعَينه.

٦ – طرق التعديل متفاوتة، إما أن يُصَرح المُزكي بالتعديل قولًا (أي يقول هو عدل) أو لم يصرح ولكن عُمِلَ بشهادته أو بروايته.

٧ – اتفق الجمهور على عدالة الصحابة، وأن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم، وذلك لوجود أدلة على عدالتهم ونزاهتهم (ص٣٢٠).

٨ – اختلفوا في مسمى الصحابي، هل هو مَن رأى النبي ﷺ ولم يروِ عنه، أو هو مَن رأى النبي ﷺ وطالت مدة صحبته وأخذ العلم عنه.

– القسم الثالث: مستند **الراوي Narrator** وكيفية روايته: الراوي إما أن يكون صحابيًّا

أو غير صحابي، فإن كان صحابيًا وأخبر عن الرسول ﷺ بحديث فهو واجب القبول، واختلفوا في خمس مسائل:

١ - يجب الكشف عن حال الراوي، هل سمعه من النبي أم سمعه من غيره.

٢ - إذا قال الصحابي سمعت النبي ﷺ يأمر بكذا أو ينهى عن كذا، يكون حُجَّةً.

٣ - إذا قال الصحابي أُمِرنَا بكذا، أو نهينا عن كذا، وأوجب علينا كذا، وحرم علينا كذا، وأبيح كذا، فيجب إضافة ذلك إلى النبي.

٤ - إذا قال الصحابي من السُّنة كذا؛ فيجب أن يوضح سنة النبي أم الخلفاء.

٥ - إذا قال الصحابي كنا نفعل كذا، وكانوا يفعلون كذا، فهو محمول على فعل الجماعة.

- القسم الرابع: فيما اختلف في رد خبر الواحد به: وفيه عشر مسائل:

١ - اختلفوا في نقل حديث النبي ﷺ بالمعنى دون اللفظ (ص٣٣١).

٢ - إذا أنكر الشيخ رواية الفرع عنه، فإما أن يكون إنكار جحود وتكذيب، أو نسيان وتوقف، فإن كان الأول يمتنع العمل به، وإن كان الثاني اختلفوا فيه.

٣ - إذا روى جماعة حديثًا، وانفرد واحد منهم بزيادة في الحديث، فإما أن يكون مجلس الرواية مختلفًا أو متحدًا.

٤ - إذا سمع الراوي خبرًا؛ ونقل بعضه وحذف بعضه، فإذا كان الخبر متضمنًا أحكامًا لا يتعلق بعضها ببعض جاز ذلك.

٥ - خبر الواحد إذا ورد موجبًا للعمل فيما تعم به البلوى؛ فهو مقبول عند الأكثرين.

٦ - إذا روى الصحابي خبرًا؛ فإما أن يكون مجملًا، أو ظاهرًا، أو نصًّا قاطعًا في متنه.

٧ - خبر الواحد العدل إذا ثبت أن النبي ﷺ عمل بخلافه؛ فلا يرد له الخبر (صفحة ٣٤٣).

٨ - قبول خبر الواحد فيما يُوجب الحد وفي كل ما يسقط بالشبهة.

٩ - خبر الواحد إذا خالف القياس **Reasoning**؛ فإما أن يتعارض من كل وجه؛ بأن يكون أحدهما مثبتًا لما نفاه الآخر، أو من وجه دون وجه.

اختلفوا في قبول الخبر المرسل **Frequency**؛ بأن يقول الفرد العدل: قال رسول اللّه ﷺ ولم يلق النبي، واتفقوا أنه إذا كان من مراسيل الصحابة كان مقبولًا.

* * *

النوع الثاني: وفيه بابان:

الباب الأول: فيما يشترك فيه الكتاب والسُّنة والإجماع:

كل من الأصول الثلاثة إما أن يدل على المطلوب بمنظومه أو لا بمنظومه، كالتالي:

- القسم الأول: دلالات المنظوم:

وهي تسعة أصناف:

الصنف الأول: الأمر: وفيه أربعة أبحاث:

البحث الأول: فيما يطلق عليه اسم الأمر حقيقة: **الأمر Imperative** قسم من أقسام الكلام، والكلام أمر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد ونداء، **والكلام Speech** هو المعنى القائم بالنفس، أو العبارة الدالة بالاصطلاح (ص٣٥٦). واختلفوا في إطلاق اسم الأمر على الفعل، فوافقوا على أنه ليس حقيقة في نفس الفعل من حيث هو فعل، بل من حيث هو شيء.

البحث الثاني: حدّ الأمر **Definition of Imperative**: الأمر هو قول القائل لمن دونه أو ما يقوم مقامه، وهذا فاسد لأنه قد يوجد فيما ليس بأمر؛ كالتهديد والإباحة والإرشاد والامتنان والإكرام والتسخير والتعجيز.

البحث الثالث: الصيغة الدالة على الآمر: للأمر صيغة تخصه وتدل عليه دون غيره في اللغة.

البحث الرابع: مقتضى صيغة الأمر: وفيه اثنتا عشرة مسألة:

١ - صيغة الأمر حقيقة فيه إذا وردت مطلقة بدون شواهد **Indications**.

٢ - إذا كانت صيغة إفعل ظاهرة في الطلب؛ فالفعل المطلوب إما أن يكون راجحًا على تركه، أو واجبًا، أو مندوبًا.

٣ - اختلفوا في الأمر الخالي من القرائن، أنه مقتض للتكرار، أو مرة واحدة، أو محتمل التكرار.

٤ - الأمر المعلق بشرط أو بصفة؛ هل يقتضى تكرار المأمور بتكرر الشرط والصفة؟ اختلفوا.

٥ - هل يقتضى في الأمر المطلق تعجيل فعل المأمور به؟ منهم من قال بالتعجيل، ومنهم من قال بالتراخي.

٦ - هل الأمر بشيء معين نهي عن أضداده؟ وإذا كان نهيًا؛ فهل نهي تحريم أم تنزيه أو كراهة.

٧ - الإتيان بالمأمور به يدل على الجواز (ص٣٩٥) أم أنه مسقط للفريضة؟

٨ - إذا وردت صيغة الأمر « افعل » قبل الحظر؛ مثل (إذا حللتم فاصطادوا)؛ هل هي للوجوب؟ البعض أقرها والبعض نفاها.

٩ - الأمر بالعبادة في وقت محدد إذا لم تُفعَل فيه لعذر؛ هل يجب قضاؤها بعد ذلك الوقت؟ نعم.

١٠ - أمر المُكَلَّف لغيره بفعل؛ لا يكون آمرًا لذلك الغير بذلك الفعل، مثل: « مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع » لأنه أمر الشارع.

١١ - هل الأمر المتعلق بالأعم يكون متعلقًا بالأخص؟ لا.

١٢ - الأمران المتعاقبان إما أن لا يكون الثاني معطوفًا على الأول أو يكون معطوفًا.

الصنف الثاني: النهي: **النهي Prohibition** مقابل الأمر، وصيغة « لا تفعل » لها سبعة محامل: التحريم والكراهة والتحقير وبيان العاقبة والدعاء واليأس والإرشاد. وفيه ثلاث مسائل:

١ - هل النهي عن التصرفات يقتضي فسادها؟ نعم، ولكن اختلفوا في جهة الفساد؛ هل من جهة اللغة أم المعنى؟

٢ - النهي عن الفعل لا يدل على صحته.

٣ - النهي عن الفعل يقتضى الانتهاء عنه دائمًا.

الصنف الثالث: معنى اللفظ العام والخاص: العام هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له، والخاص هو كل ما ليس بعام، وهو غير مانع لدخول الألفاظ المهملة فيه. وفي العام والخاص خمس وعشرون مسألة:

١ - لا يوصف شيء من الخاصة بكونه عامًّا لا حقيقة ولا مجازًا.

٢ - لمعنى العموم صيغة في اللغة تدل عليه، وهي كل وجميع.

٣ - أقل الجمع اثنان؛ فالاثنان فأكثر جماعة في الكتاب والسُّنة واللغة.

٤ - هل العام بعد التخصيص حقيقة في الباقي أم مجاز؟ اختلفوا.

٥ - هل يصح الاحتجاج بالعموم بعد التخصيص فيما بقي؟ اختلفوا.

٦ - جواب السؤال تابع له في عمومه وخصوصه.

٧ - هل اللفظ الواحد من متكلم واحد في وقت واحد له معنيان؟ يجوز بشرط عدم الجمع بينهما.

٨ - نفي المساواة بين الشيئين يقتضي نفي الاستواء في العموم.

٩ - المقتضي لا عموم له (والمقتضي هو ما أضمر ضرورة صدق المتكلم).

١٠ - الفعل المتعدي إلى مفعولين أو أكثر؛ هل هو عام بالنسبة لمفعولاته كلها؟ أثبته البعض ونفاه الآخر.

١١ - إن انقسم الفعل إلى أقسام؛ فالواقع منه لا يقع إلا على قسم واحد منه فقط، ولا يكون عامًّا لجميعها.

١٢ - نهي الرسول عن بيع الغَرَر، ما يكون مجهول العاقبة لا يدري أيكون أم لا يكون، وقضاؤه بالشفعة للجار؛ هل يعمم على كل غرر وكل جار؟ إذا كان الراوي عدلًا وعارفًا باللغة يجوز.

١٣ - إذا حكم النبي ﷺ بحكم في واقعة خاصة؛ وذكر علته، فإنه يعم من وُجِدَت في حقه تلك العلة.

١٤ - هل دلالة المفهوم لها عموم؟ يختلف حسب نوع المفهوم، إما مفهوم موافقة أو مخالفة.

١٥ - العطف على العام هل يوجب العموم في المعطوف؟ اختلفوا.

١٦ - إذا ورد في القرآن خطاب خاص بالنبي؛ لا يعم الأمة ذلك الخطاب، والبعض قال: يعم في بعض الحالات.

١٧ - هل خطاب النبي لأمته خطاب للباقين؟ أي: هل حكمه على الواحد هو حكم على الجماعة؟ اختلفوا.

١٨ - اختلفوا في جمع المذكر هل يدخل الإناث فيه أم لا ؟ كالمسلمين والمؤمنين.

١٩ - هل اللفظ العام (مثل مَن) يعم المذكر والمؤنث؟ أثبته الأكثرون ونفاه الأقلون.

٢٠ - هل يدخل العبد في لفظ المؤمنين أو الناس كلفظ مطلق؟ نعم لأنه ليس كالبهائم.

٢١ - هل يدخل الرسول ﷺ في لفظ الخطاب « الذين آمنوا » أو « أيها الناس » أو « عبادي »؟ نعم لأن النبوة غير مخرجة له عن هذه الأسماء.

٢٢ - الخطاب والأوامر العامة للنبي ﷺ هل تخص الموجودين في زمنه أم لمن بعدهم؟ اختلفوا فيه.

٢٣ - هل المُخَاطب (المتكلم) يدخل في عموم الخطاب أم يمتنع؟ يدخل سواء كان الخطاب أمرًا أو نهيًا أو خبرًا.

٢٤ - قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] يقتضي أخذ صدقة واحدة من نوع واحد وليس من كل نوع صدقة.

٢٥ - إذا قصد باللفظ المدح أو الذم؛ منع من عمومه.

الصنف الرابع: تخصيص العموم: التخصيص هو قصر العام على بعض منه، وهو إخراج بعض ما تناوله الخطاب عنه، وفيه مسألتان:

١ - جواز تخصيص العموم على أي حال، سواء إخبار أو أمر.

٢ - اختلفوا في الغاية التي يقع انتهاء التخصيص إليها؛ هل في جميع ألفاظ العموم إلى الواحد (مثل مَن).

الصنف الخامس: أدلة تخصيص العموم:

القسم الأول: الأدلة المتصلة: وهي أربعة أنواع:

النوع الأول: الاستثناء: **Exception** الاستثناء قول ذو صيغ مخصوصة محصورة، دال على أن المذكور به لم يرد بالقول الأول. أو هو إخراج بعض الجملة عن الجملة بلفظ (إلا)، أو ما يقوم مقامه. وصيغ الاستثناء هي: إلا وغير وسوى وخلا وحاشا وعدا وماعدا وما خلا وليس ولا يكون. ومسائله خمس:

١ - شرط صحة الاستثناء أن يكون متصلًا بالمستثنى منه حقيقة من غير فاصل بينهما.

٢ – هل يصح الاستثناء من غير الجنس؟ جَوَّزَهُ البعض ومنعه البعض.

٣ – الاستثناء المستغرق هل يستثنى النصف أم أكثر أم أقل أم المساوي؟ اختلفوا.

٤ – الجمل المتعاقبة بالواو إذا تعقبها الاستثناء رجع إلى جميعها أم إلى الجملة الأخيرة؟ اختلفوا.

٥ – أن الاستثناء من الإثبات نفي **Negation**، ومن النفي إثبات **Affirmation**.

النوع الثاني: التخصيص بالشرط: حد التخصيص هو ما لا يوجد المشروط دونه ولا يلزم أن يوجد عند وجوده، وصيغ الشرط هي: إن وإذا ومن ومهما وحيثما وأينما وإذا ما.

النوع الثالث: تخصيص العام بالصفة: الصفة إما أن تكون مذكورة عقب جملة واحدة أو جمل.

النوع الرابع: التخصيص بالغاية: وصيغها هي: إلى وحتى، ويكون حكم ما بعدها مخالفًا لما قبلها.

القسم الثاني: التخصيص بالأدلة المنفصلة: وفيه أربع عشرة مسألة:

١ – يجوز تخصيص العموم بالدليل العقلي (ص٥١٧).

٢ – يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب، فإذا اجتمع نصان عام وخاص؛ فإما أن يعمل بالعام ويبطل الخاص أو العكس.

٣ – يجوز تخصيص السُّنة بالسُّنة.

٤ – يجوز تخصيص عموم السُّنة بخصوص القرآن.

٥ – يجوز تخصيص عموم القرآن بالسُّنة؛ إلا إذا كانت السُّنة من أخبار الآحاد فاختلفوا.

٦ – يخصص القرآن والسُّنة بالإجماع.

٧ – يجوز تخصيص العموم بالمفهوم؛ لأن العام منطوق به، والمنطوق **Verbal** (ص٥٣٠) أقوى في دلالته من المفهوم.

٨ – هل فعل الرسول ﷺ حجة على غيره؟ أي هل يجوز تخصيصه للعموم؟ أثبته الأكثرون ونفاه الأقلون.

٩ - تقرير النبي ﷺ لما يفعله الواحد مخالفًا للعموم مخصص لذلك العام، ودليل على جواز ذلك الفعل.

١٠ - مذهب الصحابي إذا كان على خلاف العموم لا يكون مخصصًا للعموم.

١١ - إذا كان من العادة تناول طعام خاص وورد خطاب عام بتحريم الطعام؛ فإن اللفظ يجري على عموم كل طعام.

١٢ - إذا ورد لفظ عام ولفظ خاص يدل على بعض ما يدل عليه العام؛ لا يكون الخاص مخصصًا للعام بجنس مدلول الخاص ومخرجًا عنه ما سواه.

١٣ - اللفظ العام إذا عُقِّبَ بما فيه ضمير عائد إلى بعض العام المتقدم لا إلى كله، هل يكون خصوص المتأخر مخصصًا للعام المتقدم بما الضمير عائد إليه أم لا؟ اختلفوا.

١٤ - العموم والقياس حجة، فهل يجوز تخصيص العموم بالقياس؟ اختلفوا.

إلى هنا نهاية المجلد الأول بجزئيه الأول والثاني، ويستكمل المؤلف بقية أصول الأحكام في المجلد الثاني بجزئيه الثالث والرابع.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **إحساس Sensation.**
- **إدراك Perception.**
- **شواهد Evidences.**
- **دليل عقلي Intellectual evidence.**
- **ظن Doubt.**
- **فروق فردية Individual differences.**
- **راشد Adult.**
- **مراهق Adolescent.**
- **ذاكرة Memory.**
- **استدعاء Recall.**
- **عدل Justify.**

- قياس **Reasoning**.
- الخبر المرسل **Frequency**.
- كلام **Speech**.

القائم بالعرض

د.صفاء إسماعيل مرسي

* * *



الإحكام في أصول الأحكام
المجلد الثاني (الجزء الثالث)

- تأليف/ الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي.
- ضبطه وكتب حواشيه/ الشيخ إبراهيم العجوز.
- بيروت: دار الكتب العلمية، بدون سنة نشر.

* * *

التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به في المجلد الأول.

عرض الكتاب:

يقع هذا المجلد في جزأين (الثالث والرابع)، ويشمل (٥١٣) صفحة من القطع المتوسط.

الجزء الثالث: ويشمل (٢٦١) صفحة (من صفحة ٥ إلى صفحة ٢٦٥).

الصنف السادس: المطلق والمقيد: المطلق عبارة عن النكرة في سياق الإثبات، وهو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه. أما المقيد فهو إما لفظ يدل على مدلول معين، أو لفظ يدل على وصف مدلوله المطلق بصفة؛ مثل دينار مصري فهو مطلق بالنسبة للدينار ومقيد من حيث جنسه مصري.

الصنف السابع: المجمل: المجمل في اللغة مأخوذ من الجمع وهو المحصَّل، وهو ليس بمانع ولا جامع؛ سواء كان في الأقوال أو في الأفعال، وفيه ثمان مسائل:

١ - **التحليل Legitimation والتحريم Forbiden** المضافين إلى الأعيان لا إجمال فيهما (مثل حرمت عليكم الميتة).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] مجمل لأنه يحتمل مسح جميع الرأس أو بعضه.

٣ - **لا إجمال في قوله ﷺ: « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان ».**

٤ - **قوله ﷺ: « لا صلاة إلا بطهور »، لا إجمال فيه.**

٥ - اختلفوا في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] هل هو مجمل أم لا؟

٦ - يمكن حمل اللفظ على ما يفيد معنى واحدًا، وعلى ما يفيد معنيين.

٧ - اختلفوا في اللفظ إذا أمكن حمله على حكم شرعي مجدد وعلى الموضوع اللغوي؛ هل مجمل أم لا؟

٨ - إذا ورد لفظ الشارع **Legislatore** وله مسمى لغوى ومسمى شرعي **Legeslavive** فهو مجمل أو محمول على المسمى الشرعي.

الصنف الثامن: البيان والمبين: البيان هو التعريف والدليل (ص ٢٤)، وهو إخراج الشيء عن حيز الإشكال إلى حيز الوضوح، والدليل قد يكون دليلًا عقليًا، أو دليلًا حسيًا أو شرعيًا أو عرفيًا **Conventiona** (ص ٢٥) وقد يكون قولًا أو سكوتًا، أو فعلًا أو ترك فعل. وفيه ثمان مسائل:

١ - الفعل يكون بيانًا، كقول الرسول ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي ». لأن ذلك أدل على معرفة التفاصيل من الإخبار بالقول.

٢ - إذا ورد بعد اللفظ المجمل قول وفعل وكل منهما صالح للبيان؛ فالأول للبيان والثاني للتوكيد.

٣ - هل يجب أن يكون البيان مساويا للمبيَّن في القوة أو يكون أدنى منه؟ اختلفوا.

٤ - يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب سواء كان الخطاب أمرًا أم خبرًا.

٥ - يجوز تأخير ما أوحي به إلى النبي ﷺ من الأحكام والعبادات إلى وقت الحاجة إليه.

٦ - الذين اتفقوا على امتناع تأخير البيان إلى وقت الحاجة اختلفوا في جواز إسماع اللَّه للمكلَّف العام دون إسماعه للدليل المخصص له.

٧ - هل يجوز التدريج في البيان؟ اختلفوا.

٨ - إذا ورد لفظ عام (بعباده أو غيرها) قبل دخول وقت العمل به، يجب اعتقاد عمومه.

الصنف التاسع: الظاهر وتأويله: الظاهر في اللغة هو الواضح، واللفظ الظاهر هو الذي يغلب على الظن فهم معنى منه الفهم (**Comprehension**، والإدراك **Perception**) (ص ٤٨). أما التأويل فمأخوذ من آل يؤول،أي رجع، والتأويل عبارة عن احتمال

يعضده دليل يصير به. وفيه ثمان مسائل:

١ - قول الرسول ﷺ: « **أمسك أربعًا وفارق سائرهن** » له ثلاثة تأويلات: أن الإمساك هو النكاح، أو حصر عدد النساء في أربع، أو اختيار أوائل النساء فقط.

٢ - قول الرسول ﷺ: «**في أربعين شاةٍ شاة** » المراد بها قيمة الشاة.

٣ - قول الرسول ﷺ: « **أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل** » أراد بالمرأة الصغيرة أو الأمة، وأراد بكلمة باطل بطلان النكاح لاعتراض الأولياء عليها إذا زوجت نفسها.

٤ - قول الرسول ﷺ: « **لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل** » المراد به كل صوم وليس القضاء أو النذر فقط.

٥ - قول الرسول ﷺ: « **من ملك ذا رحم محرم عُتِقَ عليه** » فيه تنبيه على حرمة الرحم المحرم وقصد به التعميم.

٦ - قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] أوّله أبو حنيفة بذوي القربى المحتاجين فقط، وهو تأويل بعيد جدًّا؛ لأن الآية ظاهرها كل ذوي القربى.

٧ - قول الرسول ﷺ: « **فيما سقت السماء العشر، وفيما سُقي بنضح أو دالية نصف العشر** » ليس بحجة في الخضروات؛ لأن المقصود هو المقدار وليس ما يجب فيه العشر ونصف العشر.

٨ - قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦] ليس المراد الغسل ولكن المراد المسح.

* * *

- القسم الثاني: دلالة غير المنظوم:

هو ما دلالته لا بصريح صيغته ووضعه، (ص ٦١) ومدلوله إما أن يكون مقصودًا للمتكلم أو غير مقصود؛ وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: دلالة الاقتضاء: وهي ما كان المدلول فيه مضمرًا، إما لضرورة صدق المتكلم وإما لصحة وقوع الملفوظ به، كقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] لا بد من إضمار أهل القرية لصحة الملفوظ به عقلًا.

النوع الثاني: دلالة التنبيه والإيماء: وسيأتي ذكرهما فيما بعد.

النوع الثالث: دلالة الإشارة: الإشارة بيان المقصود من اللفظ (ص ٦٢).

النوع الرابع: المفهوم: المفهوم مقابل المنطوق، والمنطوق هو ما فُهِمَ من اللفظ في محل النطق الكلام المنطوق **Verbal Speech** (ص ٦٣). كما أنَّ المنطوق هو ما فُهِمَ من دلالة اللفظ الإدراك **Perception** (ص ٦٣) وينقسم المفهوم إلى مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة. وفي الأول؛ الموافقة تسع مسائل:

١ - قوله ﷺ: « **في الغنم السائمة زكاة** » هل ينفي الزكاة عن غير السائمة؟ أثبته الأغلبية.

٢ - اختلفوا في الحكم المعلق على شيء بكلمة (إن) هل الحكم على العدم عند عدم ذلك الشيء أو لا.

٣ - اختلفوا في الخطاب إذا قيد الحكم بغايته هل يدل على نفي الحكم فيما بعد الغاية.

٤ - اختلفوا في تقييد الحكم بعدد مخصوص؛ هل ما عدا ذلك العدد بخلافه أم لا.

٥ - اتفق الكل على أن مفهوم اللقب ليس بحجة، وصورته أن يعلق الحكم إما باسم جنس أو باسم علم.

٦ - اختلفوا في تقييد الحكم بإنما هل يدل على الحصر أو لا؟ مثل: « **إنما الأعمال بالنيات** ».

٧ - اختلفوا في قوله ﷺ: « **الأعمال بالنيات** » هل يدل على الحصر.

٨ - اختلفوا في قوله: « لا عالم في البلد إلا زيد ». يدل على نفي كل عالم سوى زيد وإثبات كون زيد عالمًا.

٩ - اتفقوا على أن كل خطاب خصص محل النطق بالذكر لا مفهوم له، وذلك لخروجه مخرج الأعم الأغلب، لا مفهوم له.

ما يشترك فيه الكتاب والسنة دون غيرهما من الأدلة هو النظر في النسخ، ويشتمل على مقدمة ومسائل.

أما المقدمة فتشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: تعريف النسخ **Abrogation** والناسخ والمنسوخ:

النسخ (ص ٩٦) في اللغة بمعنى الإزالة وهي الإعدام، وقد يعني نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقائه في نفسه، ومنه نسخ الكتاب بما فيه من مشابهة النقل.

أما الناسخ فقد يطلق على اللَّه - تعالى - أو على الآية، أو على كل طريق يعرف به نسخ الحكم من خبر الرسول وفعله وتقريره وإجماع الأمة، أو هو الحكم الثابت بنص. أما المنسوخ فهو الحكم المرتفع (ص ١٠١).

الفصل الثاني: الفرق بين النسخ والبَدآء:

البَدآء **Re-starting** (ص ١٠٢) عبارة عن الظهور بعد الخفاء والعلم بعد الجهل، والنسخ يتضمن الأمر بما نهي عنه، والنهي عما أمر به، وظن أن الفعل لا يخرج عن كونه مستلزمًا لمصلحة أو مفسدة.

الفصل الثالث: الفرق بين التخصيص **Specialization** والنسخ:

يشترك التخصيص والنسخ في أن كلًّا منهما قد يوجب تخصيص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ لغة، لكنهما يختلفان من عشرة أوجه:

١ - التخصيص لم يرد المتكلم بلفظه الدلالة عليه، أما النسخ يريد بلفظه الدلالة عليه.

٢ - التخصيص لا يرد على الأمر بمأمور واحد، والنسخ قد يرد على الأمر بمأمور واحد.

٣ - النسخ لا يكون إلا بخطاب من الشارع بينما التخصيص يجوز بالقياس.

٤ - الناسخ يكون متراخيًا عن المنسوخ،خلاف المخصص يجوز أن يكون متقدمًا على المخصص ومتأخرًا عنه.

٥ - أن التخصيص لا يخرج العام عن الاحتجاج به في المستقبل بخلاف النسخ.

٦ - يجوز التخصيص بالقياس ولا يجوز به النسخ.

٧ - النسخ رفع الحكم بعد أن ثبت بخلاف التخصيص.

٨ - يجوز نسخ شريعة بشريعة، ولا يجوز تخصيص شريعة بأخرى.

٩ - يجوز نسخ حكم العام حتى لا يبقى منه شيء بخلاف التخصيص.

١٠ - التخصيص أعم من النسخ.

الفصل الرابع: شروط النسخ الشرعي:

تنقسم إلى متفق عليه ومختلف فيه: المتفق عليه؛ هو أن يكون الحكم المنسوخ شرعيًّا وألا يكون مقيدًا بوقت معين. أما المختلف فيه فكثير؛ كأن يكون ورد خطاب دال على ارتفاع الحكم بعد دخول وقت التمكن من الامتثال، وأن يكون نسخ القرآن بالقرآن، والسنة بالسنة، وأن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين، وتوجد عشرون مسألة في النسخ (ص ١٠٦) وهي:

١ - اتفق على جواز النسخ عقلًا وعلى وقوعه شرعًا.

٢ - اتفق على جواز نسخ حكم الفعل بعد خروج وقته، واختلفوا في جواز ذلك قبل دخول الوقت.

٣ - اتفق على جواز نسخ حكم الخطاب إذا كان بلفظ التأبيد (أي في جميع الأزمان).

٤ - يجوز نسخ حكم الخطاب لا إلى بدل.

٥ - يجوز نسخ حكم الخطاب إلى بدل أخف منه، والخلاف في نسخ الحكم إلى بدل أثقل.

٦ - يجوز نسخ التلاوة دون الحكم، وبالعكس.

٧ - اختلفوا في نسخ الأخبار، هل يجوز نسخ التكليف بالأمر أم لا.

٨ - يجوز نسخ القرآن بالقرآن؛ وذلك لتساويه في العلم به ووجوب العمل.

٩ - لا يجوز نسخ السنة بالقرآن، ويجوز ذلك عقلًا ويقع شرعًا.

١٠ - امتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة.

١١ - اختلفوا في جواز نسخ الحكم الثابت بالإجماع، فنفاه الأكثرون وأثبته الأقلون.

١٢ - الإجماع لا يُنسَخ به لأن المنسوخ به إما أن يكون حكم نص أو إجماع أو قياس.

١٣ - اختلفوا في نسخ حكم القياس.

١٤ - اختلفوا في النسخ بالقياس، وإن كانت العلّة الجامعة في القياس منصوصة فهي

في معنى النص به، وإن كانت غير منصوصة فالقياس قطعي أو ظني بأن العِلّة مستنبطة.

١٥ - اتفقوا على جواز النسخ بفحوى الخطاب مثل: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] يدل على تحريم التأفيف باللفظ وتحريم الضرب بالفحوى.

١٦ - اختلفوا في نسخ حكم أصل القياس هل يبقى معه حكم الفرع أو لا؟

١٧ - إذا ورد النسخ إلى النبي ﷺ، ولم يبلغ الأمة هل يتحقق بذلك النسخ أو لا؟

١٨ - الزيادة على النص كزيادة صلاة سادسة. هل تكون نسخًا؟ لا تكون نسخًا.

١٩ - اتفقوا على أن نسخ سُنَّة من سنن العبادة لا يكون نسخًا لتلك العبادة.

٢٠ - اتفقوا على جواز نسخ جميع التكاليف بانعدام العقل الذي هو شرط في التكليف (ص ١٦٢).

* * *

- الأصل الخامس: القياس: معنى القياس:

القياس في اللغة هو التقدير، وفي اصطلاح الأصوليين ينقسم إلى قياس العكس و قياس الطرد. قياس العكس: هو تحصيل نقيض حكم معلوم ما في غيره، لافتراقهما في عله الحكم. أما قياس الطرد: فهو بذل جهد في استخراج الحق أو هو التشبيه أو هو العلم الواقع بالمعلوم عن نظر. ويعرض في القياس عدة أبواب:

الباب الأول: شرائط القياس: القياس يستدعي أركانًا ونتيجة أو ثمرة، وأركان القياس هي: الفرع، والحكم الشرعي الخاص بالأصل، والعلة الجامعة بين الأصل والفرع، أما ثمرته فهي حكم الفرع، فإذا تم القياس أنتج حكم الفرع استدلالًا **Reasoning** (ص ١٧٣).

القسم الأول: شرائط حكم الأصل ما يُبنَى عليه غيره: وهي ثمانية:

١ - أن يكون حكمًا شرعيًا.

٢ - أن يكون ثابتًا غير منسوخ حتى يمكن بناء الفرع عليه.

٣ - أن يكون دليل ثبوته شرعيًا؛ لأن ما لا يكون دليله شرعيًا لا يكون حكمًا شرعيًا.

٤ - ألا يكون حكم الأصل متفرعًا عن أصل آخر.

٥ - ألا يكون حكم الأصل معدولًا به عن سنن القياس، والمعدول به عن سنن القياس

قسمان: أحدهما ما لا يعقل معناه، والآخر ما شرع ابتداء ولا نظير له.

٦ - إذا كان حكم الأصل متفقًا عليه فقد اختلفوا في كيفية الاتفاق.

٧ - ألا يكون الدليل الدال على إثبات حكم الأصل دالًا على إثبات حكم الفرع.

٨ - اختلفوا في شرط قيام الدليل على تعليل حكم الأصل وجواز القياس عليه نفيًا و إثباتًا.

القسم الثاني: شروط علّة الأصل:

اتفقوا على جواز تعليل حكم الأصل بالأوصاف الظاهرة العَرِيَّة عن الاضطراب، واختلفوا في شروط، وفي كلٍّ منها مسألة:

١ - شرط علة الأصل ألا يكون محلَّ حكم الأصل ولا جزءًا من محله.

٢ - اختلفوا في جواز كون العلة في الأصل بمعنى الأمارة المجردة، أي لا بد أن تشتمل على حكمة.

٣ - امتنعوا عن تعليل الحكم بالحكمة المجردة عن الضابط.

٤ - اختلفوا في جواز تعليل الحكم الثبوتي بالعدم.

٥ - اختلفوا في جواز تعليل الحكم الشرعي بالحكم الشرعي، وشرطوا في العلة ألا تكون حكمًا شرعيًا.

٦ - اشترطوا أن تكون العلة ذات وصف واحد لا تركيب فيه.

٧ - اتفقوا على أن تَعدِيَة العلة شرط في صحة القياس.

٨ - اختلفوا في جواز تخصيص العلة المستنبطة.

٩ - اختلفوا في الكسر هل مبطل للعلة؟ اختلفوا، والكسر هو تخلف الحكم المعلل عن معنى العلة.

١٠ - اختلفوا في النقض المكسور وهو النقض على بعض أوصاف العلة.

١١ - اختلفوا في اشتراط العكس في العلل الشرعية.

١٢ - اتفقوا على جواز تعليل الحكم بعلل، واختلفوا في جواز تعليل الحكم الواحد في صورة واحدة بعلية (ص٢٠٨).

١٣ - اختلفوا في العلة الواحدة الشرعية هل تكون علة لحكمين شرعيين أم لا؟

١٤ - إذا كانت العلة في أصل القياس بمعنى الباعث فشرطها أن تكون ضابط الحكمة المقصودة للشرع.

١٥ - شرط ضابط الحكمة أن يكون جامعًا.

١٦ - اختلفوا في جواز تعليل حكم الأصل بعلة متأخرة عن ذلك الحكم في الوجود.

١٧ - إذا كان الحكم في الأصل نفيًا، والعلة له وجود مانع أو فوات شرط فقد اختلفوا في اشتراط وجود المقتضي لإثباته.

١٨ - يجب ألا تكون العلة المستنبطة من الحكم المعلل بها مما ترجع عليه بالإبطال.

١٩ - اتفقوا على أن نصب الوصف سببًا و علة في الشارع.

٢٠ - اختلفوا في حكم أصل القياس المنصوص عليه هل هو ثابت بالعلة أو النص؟

القسم الثالث: شروط الفرع وهو اسم شيء يبنى على غيره (ص٢١٩):

وهي خمسة:

١ - أن يكون خاليًا من مُعَارِض راجح، يقتضي نقيض ما اقتضته علة القياس، ليكون القياس مفيدًا.

٢ - أن تكون العلة الموجودة فيه مشاركة لعلة الأصل.

٣ - أن يكون الحكم في الفرع مماثلًا لحكم الأصل في عينه لا في جنسه.

٤ - ألا يكون حكم الفرع منصوصًا عليه وإلا ففيه قياس المنصوص على المنصوص وليس أحدهما بالقياس على الآخر أوْلى من العكس.

٥ - ألا يكون حكم الفرع متقدمًا على حكم الأصل (تقديم الوضوء على التيمم).

الباب الثاني: مسالك إثبات العلة الجامعة في القياس وهي ما يتوقف عليه وجود الشيء:

وهي سبعة مسالك:

المسلك الأول: الإجماع **Consensus**: (ص٢٢٢):

وهو ذكر ما يدل على إجماع الأمة على كون الوصف الجامع علة لحكم الأصل إما قطعًا أو ظنًّا.

المسلك الثاني: النص الصريح:

وهو أن يذكر دليل من الكتاب أو السنة على التعليل بالوصف بلفظ موضوع له في

اللغة من غير احتياج فيه إلى نظر أو استدلال، وهو قسمان:

١ - ما صُرِّحَ فيه بكون الوصف علة أو سببًا للحكم.

٢ - ما ورد فيه حرف من حروف التعليل.

المسلك الثالث: ما يدل على العلية بالتنبيه والإيماء:

وذلك بأن يكون التعليل لازمًا من مدلول اللفظ وضعًا، لا أن يكون اللفظ دالًا بوضعه على التعليل، وهو ستة أقسام:

١ - ترتيب الحكم على الموصوف بفاء التعقيب في كلام اللّه أو رسوله أو الراوي.

٢ - لو حدثت واقعة ورفعت إلى النبي ﷺ، فحكم عقبها بحكم ؛ فإنه يدل على كون ما حدث علة لذلك الحكم.

٣ - أن يذكر الشارع مع الحكم وصفًا لو لم يُقَدّر التعليل به لما كان لذكره فائدة.

٤ - أن يفرق الشارع بين أمرين في الحكم بذكر صفة بحيث يوضح أن تلك الصفة هي علة التفرقة في الحكم.

٥ - أن يكون الشارع قد أنشأ الكلام لبيان مقصود ثم يذكر في أثنائه شيئًا آخر.

٦ - أن يذكر الشارع مع الحكم وصفًا مناسبًا، مثل: « لا يقضي القاضي وهو غضبان » فالغضب **Anger** علة مانعة من القضاء، لما فيه تشويش الفكر واضطراب الحال **الانفعال Emotion** (ص ٢٣٠)، وتنقسم أقسام الوصف إلى مسألتين هما:

١ - اختلفوا في اشتراط مناسبة الوصف المومأ إليه.

٢ - اتفقوا على صحة الإيماء فيما إذا كان حكم الوصف المومأ إليه مدلولًا عليه بصريح اللفظ.

المسلك الرابع: إثبات العلة بالسبر والتقسيم:

فالحكم الثابت في الأصل إما أن يكون ثابتًا لعلة أو لا علة.

المسلك الخامس: إثبات العلة المناسبة والإحالة:

ويشتمل على ثمانية فصول:

- الأول: معنى المناسب: المناسب عبارة عما لو عرض على العقول تلقته بالقبول.

- الثاني: معنى شرع الحكم: المقصود من شرع الحكم إما جلب مصلحة،

أو دفع مضرة، أو مجموع الأمرين.

- الثالث: مراتب إفضاء الحكم إلى المقصود من شرع الحكم واختلافها: المقصود إما أن يكون حاصلًا من شرع الحكم يقينًا أو ظنًّا، أو أن الحصول و عدمه متساويان، أو أن عدم الحصول راجح على الحصول (ص٢٣٨).

- الرابع: أقسام المقصود من شرع الحكم واختلاف مراتبه في نفسه: وهو إما أن يكون من قبيل المقاصد الضرورية أو لا. والمقاصد الخمسة هي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

- الخامس: اختلفوا في الحكم إذا ثبت لوصف مصلحي على وجه يلزم منه وجود مفسدة مساوية له أو راجحة عليه، تنخرم مناسبته أو لا؟

- السادس: كيفية ملازمة الحكمة لضابطها وبيان أقسامها: الحكمة اللازمة لضابطها إما أن تكون ناشئة عنه أو لا، والتي لا تكون ناشئة عنه إما أن تكون للوصف دلالة على الحاجة إليها أو لا (ص٢٤٦).

- السابع: أقسام المناسب بالنظر إلى اعتباره،وعدم اعتباره: الوصف المناسب إما أن يكون معتبرًا في نظر الشارع أو لا، واعتباره إما أن يكون بنص أو بإجماع أو بترتيب الحكم.

- الثامن: إقامة الدلالة على أن المناسبة والاعتبار دليل كون الوصف علة:

وذلك لأن الأحكام إنما شرعت لمقاصد العباد.

المسلك السادس: إثبات العلة بالشبه:

و يشتمل على ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: حقيقة الشبه واختلاف الناس فيه: اسم الشبه وإن أُطلِقَ على كل قياس ألحق الفرع فيه بالأصل لجامع يشبهه ولكن اختلف الأصوليون فيه.

- الفصل الثاني: الشبه مع قِرَان الحكم به دليل على كون الوصف علة.

- الفصل الثالث: الشَّبهي إذا اعتُبِرَ جنسه في جنس الحكم دون اعتبار عينه في عينه، لا يكون حجة بخلاف الوصف المناسب.

المسلك السابع: إثبات العلة بالطرد والعكس:

الوصف لا يفيد العلية لا قطعًا ولا ظنًّا (ص٢٦٠).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- تحليل وتحريم Ligitimation & Forbiden.
- فهم Comprehension.
- إدراك Perception.
- الكلام المنطوق Verbal Speech.
- نسخ Abrogation.
- البَدَاء Re-starting.
- استدلال Reasoning
- إجماع Consensus.
- انفعال Emotion.
- الغضب Anger.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

الإحكام في أصول الأحكام
المجلد الثاني (الجزء الرابع)



○ تأليف/ الآمدي سيف الدين أبي الحسن علي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم تعريفه مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع هذا الجزء في (٢٤٦) صفحة من القطع المتوسط ويشغل الصفحات (من ٢٦٧ إلى ٥١٣) ويستكمل فيه المؤلف موضوع القياس وعلاقة الأصل بالفرع:

الباب الثالث: أقسام القياس Syllogism وأنواعه: وهي خمسة أقسام:

الأول: ينقسم القياس إلى ما معنى الجامع فيه باقتضاء الحكم في الفرع أولى منه في الأصل، وإلى ما هو مساوٍ، وإلى ما هو أدنى.

الثاني: ينقسم القياس إلى جليّ وخفيّ، والجليّ ما كانت العلة فيه منصوصة، أما الخفيّ فما كانت العلة فيه مستنبطة من حكم الأصل.

الثالث: ينقسم القياس إلى مؤثر وملائم.

الرابع: ينقسم القياس إلى قياس علة، ودلالة، والقياس في معنى الأصل.

الخامس: القياس إما أن يكون طريق إثبات العلة المستنبطة فيه، أو المناسبة، أو الشبه، أو السّبر والتقسيم، أو الطرد والعكس.

الباب الرابع: مواقع الخلاف في القياس و إثباته على منكريه: وفيه ست مسائل:

الأولى: يجوز التَّعَبُّدُ بالقياس في الشرعيات عقلًا: مثل « **لا يقضي القاضي وهو غضبان** » قاسوا على الغضب ما كان في معناه، كالجوع والعطش والإعياء المفرط الدوافع **Motives** (ص٢٧٢) والعاقل إذا صح نظره واستدلاله **الاستدلال Reasoning** (ص٢٧٣)، أدرك بالأمارات الحاضرة المدلولات الغائبة.

الثانية: اختلاف المتَّفقين على جواز التَّعَبُّدِ بالقياس عقلًا (ص٢٨٧).

الثالثة: إذا نص الشارع على علة الحكم، هل يكفي ذلك في تعدية الحكم بها إلى غير محل الحكم المنصوص، دون ورود التَّعَبُّد بالقياس بها؟ اختلفوا (ص٣١٢).

الرابعة: يجوز إثبات الحدود والكفارات بالقياس؛ ودليل ذلك ثلاث: النص، والإجماع، والمعقول.

الخامسة: يجوز إجراء القياس في الأسباب، مثل قياس الوضوء على التيمم؛ فالنية هي الطهارة المقصودة للصلاة وذلك هو السبب.

السادسة: اختلفوا في جواز إجراء القياس في جميع الأحكام الشرعية.

الباب الخامس: الاعتراضات الواردة على القياس: خمسة وعشرون اعتراضًا:

١ - الاستفسار: وهو طلب شرح دلالة اللفظ المذكور؛ وصيغه متعددة منها الهمزة، وهل، وما، ومن، وأين، وكيف، ومتى، وكم، وأي.

٢ - فساد الاعتبار: يفسد اعتبار القياس لعدم صحة الاحتجاج به مع النص المخالف له.

٣ - فساد الوضع قد يكون القياس صحيح الوضع فاسد الاعتبار؛ لأن صحة وضع القياس أن يكون على هيئة صالحة لاعتباره في ترتيب الحكم عليه.

٤ - منع حكم الأصل: وذلك من قبيل النظر في تفصيل القياس.

٥ - التقسيم: عبارة عن ترديد اللفظ بين احتمالين، أحدهما ممنوع، والآخر مسلّم، وذلك بناء على الغرض منه.

٦ - منع وجود العلة في الأصل: لكون النظر في علة الأصل متفرعًا عن حكم الأصل، وجب تأخيره عن النظر في حكم الأصل.

٧ - منع كون الوصف المدَّعى علة: لما كانت العلية صفة للوصف المذكور ومتوقفة على وجوده، وجب أن يكون النظر فيها نفيًا وإثباتًا، متأخرًا عن النظر في وجود الوصف.

٨ - سؤال عدم التأثير: وهو إبداء وصف في الدليل مُستغنى عنه في إثبات الحكم أو نفيه، وينقسم إلى أربعة أقسام: عدم التأثير في الوصف، وفي الأصل، وفي الحكم، وفي محل النزاع.

٩ - القدح في مناسبة الوصف المعلل به: يلزم ترتيب الحكم لتحصيل المصلحة المطلوبة.

١٠ - القدح في صلاحية إفضاء الحكم إلى ما عُلِّلَ به من المقصود.

١١ - أن يكون الوصف المعلَّل به خفيًّا، وذلك لو علل بالرضا أو القصد فهما من الأوصاف الباطنة الخفية.

١٢ - أن يكون الوصف المعلل به مضطربًا غير منضبط، كالتعليل بالحِكَم والأمثال والمقاصد (ص٣٣٧).

١٣ - النقض: وهو تخلّف الحكم مع وجود ما ادعي كونه علة له.

١٤ - الكسر: وهو النقض على المعنى.

١٥ - المعارضة: وهي وراء ما عَلَّل به المستدل.

١٦ - سؤال التركيب: وهو الوارد عن القياس المركب.

١٧ - سؤال التعدية: وهو أن يُعَيِّن المعترض في الأصل معنى و يعارض به، ثم يقول للمستدل ما عللت به وإن تعدى إلى فرع مختلف فيه.

١٨ - منع وجود الوصف المعلل به في الفرع.

١٩ - المعارضة في الفرع بما يقتضي نقيض حكم المستدل، إما بنص أو إجماع ظاهر، أو بوجود مانع الحكم، أو بفوات شرط الحكم.

٢٠ - الفرق: سؤال الفرق هو المعارضة في الأصل أو الفرع.

٢١ - إذا اختلف الضابط بين الأصل والفرع واتحدت الحكمة.

٢٢ - إذا اتحد الضابط بين الأصل والفرع، واختلف جنس المصلحة.

٢٣ - إذا قيل حكم الفرع مخالف لحكم الأصل فلا قياس؛ لأن القياس عبارة عن تعدية حكم الأصل إلى الفرع بواسطة الجامع بينهما.

٢٤ - سؤال القلب: وهو قسمان قلب الدعوى وقلب الدليل.

٢٥ - سؤال القول بالموجب: وهو تسليم ما اتخذه حكمًا لدليله على وجه لا يلزم منه تسليم الحكم المتنازع فيه.

* * *

- الأصل السادس: معنى الاستدلال استدلال Reasoning (ص٣٦١) وأنواعه:

الاستدلال في اللغة استفعال من طلب الدليل والطريق المرشد إلى المطلوب

وفي اصطلاح الفقهاء فيطلق تارة بمعنى ذكر الدليل وتارة نوع من الأدلة لا يكون نصًّا ولا إجماعًا ولا قياسًا. ومن أنواع الاستدلال اصطحاب الحال، وفيه مسألتان:

الأولى: الاستدلال باستصحاب الحال: اختلفوا في بطلانه أو صحة الاحتجاج به.

الثانية: اختلفوا في جواز استصحاب حكم الإجماع في محل الخلاف فنفاه جماعة وأثبته آخرون.

***

القسم الثاني: فيما ظن أنه دليل صحيح وليس كذلك:

وهو أربعه أنواع:

- **النوع الأول: شَرعُ مَن قبلنا:**

وفيه مسألتان:

الأولى: اختلفوا في النبي ﷺ قبل بعثته، هل كان متعبدًا بشرع أحد من الأنبياء قبله ؟ منهم من نفى ذلك ومنهم من أثبته.

الثانية: اختلفوا في النبي ﷺ وأمته، بعد البعث، هل هم متعبدون بشرع مَن تقدم؟ روي أن النبي ﷺ كان متعبدًا بما صح من شرائع مَن قبله بطريقة الوحي إليه، لا من جهة كتبهم المُبَدَّلَة.

- **النوع الثاني: مذهب الصحابي:**

وفيه مسألتان:

الأولى: اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة المجتهدين إمامًا كان أو حاكمًا أو مفتيًا، واختلفوا في كونه حجة على التابعين ومَن بعدهم من المجتهدين.

الثانية: إذا ثبت أن مذهب الصحابي ليس بحجة واجبة الاتباع، فهل يجوز لغيره تقليده؟ يجوز للعَامّي والمجتهد ذلك.

- **النوع الثالث: الاستحسان Approval**: (ص٣٩٠):

اختلف فيه، فقال به البعض، وأنكره الباقون. والاستحسان هو ما يميل إليه الإنسان ويهواه من الصور والمعاني.

- **النوع الرابع: المصالح المرسلة:**

المصالح قسمان، معتبرة وملغاة.

* * *

*** القاعدة الثالثة: المجتهدين وأحوال المفتين والمستفتين:**

وتشمل بابين:

الباب الأول: المجتهدين:

الاجتهاد **Diligence** في اللغة استفراغ الوسع في تحقيق أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة، أما في اصطلاح الأصوليون فهو استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية على وجه يُحَسُّ من النفس العجز عن المزيد فيه، وفيه اثنتا عشرة مسألة:

١ - اختلفوا في أن النبي ﷺ هل كان متعبدًا بالاجتهاد فيما لا نص فيه ؟ يوجد دليل عقلي على تعبد النبي ﷺ بالاجتهاد والقياس؛ بدليل أمر اللّه له بالمشاورة (وشاورهم في الأمر).

٢ - اتفقوا على جواز الاجتهاد بعد النبي ﷺ، واختلفوا في جواز الاجتهاد لمن عاصره.

٣ - ليس كل مجتهد في العقليات مصيبًا وإن الإثم غير محطوط عن مخالف ملة الإسلام، سواء نظر وعجز عن معرفة الحق أم لم ينظر (ص٤٠٩).

٤ - اتفقوا على أن الإثم محطوط عن المجتهدين في الأحكام الشرعية.

٥ - المسألة الظنية من الفقهيات إما أن يكون فيها نص، أو لا يكون. الأمة مجمعة على تجويز المناظرة **Debate** (ص٤١٨) بين المجتهدين، ولو كان كل واحد مصيبًا فيما ذهب إليه لم يكن للمناظرة معنى أو فائدة.

٦ - اتفقوا في الأدلة العقلية المتقابلة بالنفي والإثبات، على استحالة التعادل بينهما؛ وذلك لأن دلالة الدليل العقلي يجب أن يكون مدلولها حاصلًا، فلو تعادل الدليلان في نفسيهما لزم من ذلك حصول مدلوليهما.

٧ - لا خلاف في صحة اعتقاد الوجوب والتحريم، أو النفي والإثبات معًا، في مسألتين مختلفتين، كوجوب الصلاة وتحريم الزنا.

٨ - اتفقوا على أن حكم الحاكم لا يجوز نقضه في المسائل الاجتهادية لمصلحة الحكم.

٩ - المكلف إذا اجتهد في مسألة خلصت له أهلية الاجتهاد فيها اتفقوا على أنه لا يجوز له تقليد غيره في خلاف ما أوجبه ظنه.

١٠ - هل يجوز أن يقال للمجتهد: احكم فإنك لا تحكم إلا بالصواب.

١١ - القائلون بجواز الاجتهاد للنبي ﷺ اختلفوا في جواز الخطأ عليه في اجتهاده.

١٢ - اختلفوا في النافي، هل عليه دليل أو لا ؟ النافي إما أن يكون نافيًا بمعنى ادعائه عدم علمه بذلك وظنه، أو مدعيًا للعلم، أو الظن بالنفي.

الباب الثاني: التقليد، المفتي، المستفتي:

التقليد: عبارة عن العمل بقول الغير من غير حجة مُلزِمَة، أو أخذ المجتهد بقول مَن هو مثله، أما الرجوع إلى قول النبي أو ما أجمع عليه أهل العصر فلا يكون تقليدًا.

أما المفتي: فلا بد أن يكون من أهل الاجتهاد، وأن يكون عارفًا بالأدلة العقلية.

أما المستفتي: فهو إما أن يكون عالمًا بلغ رتبة الاجتهاد أو لا.

أما ما فيه الاستفتاء فهو إما أن يكون من القضايا العلمية أو الظنية الاجتهادية.

وفيه ثمان مسائل:

الأولى: اختلفوا في جواز التقليد في المسائل الأصولية المتعلقة بالاعتقاد في وجود اللَّه تعالى، وما يجوز عليه، وما لا يجوز (ص٤٤٦).

الثانية: العامي من ليس له أهلية الاجتهاد يلزمه اتباع قول المجتهدين والأخذ بفتواه، والبعض قال: لا يجوز ذلك إلا بعد أن يتبين له صحة اجتهاده بدليله.

الثالثة: القائلون بوجوب الاستفتاء على العامي، اتفقوا على جواز استفتائه لمن عرفه بالعلم، وأهلية الاجتهاد، والعدالة (قيمة العدل **Justify**) (ص٤٥٣).

الرابعة: إذا استفتى العامي عالمًا في مسألة، فأفتاه، ثم حدث مثل تلك الواقعة، فهل يجب على المفتي أن يجتهد لها ثانيًا، ولا يعتمد على الاجتهاد الأول ؟ اختلفوا.

الخامسة: هل يجوز خلو عصر من الأعصار عن مجتهد يمكن تفويض الفتاوى إليه؟ اختلفوا.

السادسة: مَن ليس بمجتهد، هل تجوز له الفتوى بمذهب غيره من المجتهدين؟

البعض جوزه والبعض نفاه.

السابعة: إذا حدثت للعامي حادثة، وأراد الاستفتاء عن حكمها، فإما أن يكون في البلد مُفتٍ واحد، أو أكثر، فإن كان الأول وجب عليه الرجوع إليه، وإن كان الثاني اختلفوا فيه.

الثامنة: إذا اتَّبَعَ العامي بعض المجتهدين في حكم حادثه فليس له الرجوع عنه.

* * *

*** القاعدة الرابعة: الترجيحات:**

الترجيح **Probability** عبارة عن اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب، مع تعارضهما بما يوجب العمل به وإهمال الآخر.

الباب الأول: ترجيحات الطرق الموصلة إلى التصديقات الشرعية:

التعارض إما أن يكون بين منقولين، أو معقولين، أو منقول ومعقول:

- القسم الأول: التعارض بين منقولين:

الترجيح بينهما منه ما يعود إلى السَّنَد، ومنه ما يعود إلى المَتن، ومنه ما يعود إلى المدلول، ومنه ما يعود إلى أمر من الخارج.

- القسم الثاني: التعارض بين معقولين:

المعقولان إما قياسان، أو استدلالان، أو قياس واستدلال. فإن كان التعارض بين قياسين، فالترجيح بينهما قد يكون بما يعود إلى أصل القياس، وقد يكون بما يعود إلى فرعه، وقد يكون بما يعود إلى مدلوله، وقد يكون بما يعود إلى أمر خارج (ص٤٨٧).

الباب الثاني: الترجيحات الواقعة بين الحدود الموصلة إلى المعاني المفردة التصورية:

تنقسم الحدود إلى عقلية وسمعية؛ كانقسام الحجج.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- قياس Syllogism.

- استحسان Approval.

- دوافع Motives.

- اجتهاد Diligence.
- مناظرة Debate.
- استدلال Reasoning.
- قيمة العدل Justify.
- ترجيح Probability.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

إحكام الفصول في أحكام الأصول



○ تأليف/ الباجي أبو الوليد (٤٠٣هـ - ٤٧٤هـ).

○ حققه وقدم له/ عبد المجيد تركي.

○ الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨٦م)، الطبعة الأولى.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٩٨٢) صفحة من القطع المتوسط يتضمن:

- التمهيد ويحتوي تمهيد لأصول الفقه، وأوضح أن هذا الكتاب في أصول الفقه على الطريقة الجدلية، أو المنهجية التشريعية، ألفه فقيه أصولي من علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري (٤٧٤هـ - ١٠٨١م) وتناول:

مكانة « ابن حزم » الأصولي والمنطقي في تاريخ الأصول والمنطق الإسلامي:

(مقارنته بالغزالي ثم بابن تيمية) حيث تعلق « ابن حزم » بتبنى المنطق اليوناني وتطبيقه على الشريعة الإسلامية ورفض منطق الفقهاء؛ أي أن « ابن حزم» يقول بقياس المناطقة ويرفض قياس الفقهاء ويبين ما يتمتع به الأولون من قدرة على التحديد الصحيح ثم على بناء النتائج على المقدمات بناءً مستقيمًا وهو ما يشير إلى مفهوم: (**القياس المنطقي Syllogism**) انظر (ص٦٩).

في حين طبق الغزالي المنطق اليوناني على النصوص الدينية الإسلامية، ولكن دون رفض لقياس الفقهاء والجدل في المنهجية التشريعية. وفعلًا لقد مجد المنطق اليوناني في كتابه» المنقذ من الضلال، ويذهب « الغزالي» إلى أن يقرن تمثيل المناطقة بالقياس الشرعي وهو ما يشير إلى مفهوم (**المماثلة Analogy**) انظر (ص٧٠)، فكلاهما يؤدي إلى أحكام ظنية وذلك بإضافة أمر إلى أمر، دون المرور بالكليات.

- رفض « ابن تيمية الحنبلي » (٧٢٨هـ - ١٣٢٨م) للمنطق اليوناني جملة ونقضه إياه مع تمجيده بالقياس الشرعي الإسلامي، فهو أيسر استعمالًا وأكثر وضوحًا وأوفر خصبًا من القياس اليوناني.

والخلاصة أن « ابن تيمية » لا يؤمن بجدوى الأشكال المنطقية للوصول إلى حقائق ثابتة، ويؤكد أن محور النظر مادة العلم لا صورة القياس.

تطبيق « ابن حزم » لمنطق أرسطو على الشريعة الإسلامية: المدخل إلى المنطق:

وهو خاصة من تأليف « فرفوريوس » الصوري؛ ويبين فيه صاحبه ما معنى الحد والرسم والفرق بينهما، ثم يفصل الحديث في الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض.

وقد أراد « ابن حزم » من الأصوليين أن يستفيدوا من هذا الباب ليدققوا تحديد معنى الكلمات التي بدونها لا يتم فهم شيء من الشريعة وتبين تطبيق أحكامها تطبيقًا صحيحًا. ويرى أن أصحاب القياس إذ يجهلون هذا الباب يلحقون الأشباه بأشباهها معتمدين على ظاهر الأشياء، بينما المنطق السليم يقتضي الإلحاق حسب الجنس والنوع وهو ما يشير إلى مفهوم (**المنطق Logic**) انظر (ص٧٢).

ويفرق « ابن حزم » بين الحد: وهي الصفات والمعاني الدالة على طبيعة ما في الشيء والمميزة له مما سواه، والرسم: وهي الصفات والمعاني المميزة له مما سواه، إلا أنها غير دالة على طبيعته. وذلك أن الحد يعتمد على تمييز « يوجد من أجناس وأنواع » بينما الرسم يعتمد على تمييز « يوجد من أعراض أو من خواص ». وهو ما يشير إلى مفهوم (**التعريف الإجرائي Operational Definition**) انظر (ص٧٦).

عندما قاوم « ابن حزم » أصحاب القياس الفقهي لجأ إلى عدة حجج نقلية وعقلية وكذلك لجأ إلى اعتبارات داخلة في باب التحديد وراجعة إلى معاني الجنس والنوع. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحجج Arguments**) انظر (ص٧٧).

ويفرق « ابن حزم » بين قياس الفقهاء الذي يرفضه وقياس الفلاسفة الذي يقول به:

قياس الفقهاء: هو شيء سماه الأوائل الاستقراء، ومرة أخرى يرجع إلى معاني الجنس والنوع ليبين لماذا يرفض هذا النمط من النظر والبحث؛ فالاستقراء عنده « هو أن تتبع بفكرك أشياء موجودات يجمعها نوع واحد وجنس واحد ويحكم فيها بحكم واحد »، ثم يلجأ إلى تعبير فلسفي من المنطق اليوناني؛ إذ ينصح كل شخص « أن لا يسكن إلى

الاستقراء أصلًا إلا أن يحيط علمًا بجميع الجزئيات التي تقع تحت الكل الذي يحكم فيه » وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستقراء Induction**) انظر (ص٧٨).

وبقدر ما ينفر من القياس الفقهي - وذلك حرصًا منه على طلب الحقيقة التي أوجبها العقل، أو فرضتها المشاهدة، أو أقرها الحس، أو أقام عليها البرهان - يقبل؛ ولهذه الأسباب يُقبل على القياس الفلسفي. وتفصيل ذلك أن القضيتين، أي المقدمة الأولى والمقدمة الثانية إذا كانتا صحيحتين في طبعهما وتركيبهما فالانقياد لهما حينئذ لازم وهو ما يشير إلى مفهوم (**المقدمات Premises**) انظر (ص٧٩).

وعلى غرار « ابن حزم » تقريبًا حاول « الغزالي » الاستفادة من المنطق. إلا أنه على خلاف « ابن حزم » لم يرفض منطق الفقهاء. وهكذا حاول التوفيق بينهما وصاغ أقيسة فقهية على شكل القياس الفلسفي، كما سعى إلى إقامة نقاط شبه بينهما، وقربه من القياس الشرعي؛ اعتبار العلة نوعًا من المقدمة الثانية من البرهان.

الجدل في المنهجية التشريعية:

يرجع الفقيه في صناعته إلى القرآن أولًا فيستمد من نصه أصولًا عامة يعتمد على نهجها، ويستوحي من سوره فلسفة أخلاقية يستنير بهديها، ويستخرج من آياته قضايا أمهات يقيس على حكمها.

ولقد أوضح الإمام « الشافعي » (٢٠٤هـ - ٨١٩م) السبيل المنجي لما وضع في الرسالة أصول الفقه وقرر في مقدمتها أن « ليست تنزل بأحد من أهل دين اللّه نازلة إلا وفي كتاب اللّه الدليل على سبيل الهدى فيها ».

كذلك يلجأ المجتهد إلى الحديث النبوي فيجده مكملًا للقرآن مبينًا له ومتممًا، فيأخذ عنه وكأنه أخذ عن القرآن، ولقد قصد « الشافعي » بوضعه علم أصول الفقه إلى إقامة الاجتهاد على أسس منطقية وموضوعية محكمة.

وفي خضم من المسائل الخلافية التشريعية، ظهر فن الجدل الذي يستمد حجيته من القرآن والحديث وأقوال الأئمة، أصحاب المذاهب الفقهية والمدارس الكلامية، بقطع النظر عن الخلاف الذي يبرر وجوده بل يفرض الاعتماد عليه. ذلك أن هذا الفن يحرص على أن يمد المجتهد بأحسن المناهج وأحكمها وأدقها وأصوبها حتى يستفيد عن خبرة وبصيرة من هذه المسائل الخلافية المستنبطة عبر العصور المختلفة. وهو ما يشير إلى مفهوم (**المحاجَّة Argumentation**) انظر (ص٨٩)، ثم تناول الجدل في الشريعة

والعقيدة وتطوره التاريخي.

فصل في بيان الحدود التي يحتاج إليها في معرفة الأصول:

- الحد هو اللفظ الجامع المانع. ومعنى ذلك أنه يجمع المحدود على معناه فيمنع ما ليس منه أن يدخل فيه وما هو منه أن يخرج عنه.. وهو ما يشير إلى مفهوم (**التعريف الإجرائي Operational Definition**) انظر (ص١٧٠).

- وحد العلم معرفة المعلوم على ما هو به.

- والعلم المحدث ينقسم إلى: ضروري ونظري.

فالضروري ما لزم نفس المخلوق لزومًا لا يمكنه الانفكاك عنه ولا الخروج منه. وهو يقع من ستة أوجه، الحواس الخمس وهي حاسة البصر والسمع والشم والذوق واللمس. والسادس ما علمه المخلوق ابتداء من غير إدراك حاسة من هذه الحواس كالعلم بحال نفسه من صحته وسقمه وفرحه وحزنه. والعلم النظري ما احتاج إلى تقدم النظر والاستدلال ووقع عقبيه بغير فصل.

- والاعتقاد تيقن المعتقد من غير علم. والجهل اعتقاد المعتقد على ما ليس به. والفقه معرفة الأحكام الشرعية. وأصول الفقه ما انبنت عليه معرفة الأحكام الشرعية. والدليل ما صح أن يرشد إلى المطلوب، وهو الدلالة والبرهان والحجة والسلطان.

- والمستدل هو الطالب للدليل، وقد يسمى بذلك المحتج بالدليل. والمستدل عليه هو الحكم، وقد يقع على السائل أيضًا. والمستدل له هو الحكم. والاستدلال هو التفكر في حال المنظور فيه طلبًا للوقوف على حقيقة حكم بما هو نظر فيه أو لغلبة الظن، وإن كان مما طريقه غلبة الظن. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستدلال Reasoning**) انظر (ص١٧١).

- والظاهر في الأقوال هو المعنى الذي يسبق إلى فهم السامع من المعاني التي يحتملها اللفظ.

- والعموم استغراق ما تناوله اللفظ به.

- والخصوص إفراد بعض الجملة بالذكر، وقد يكون إخراج بعض ما تناوله العموم عن حكمه، ولفظ التخصيص أبين فيه.

فصل في بيان الحروف التي تدور بين المتناظرين:

- من ذلك « ما » لها عشرة مواضع، خمسة منها تكون فيها اسمًا وخمسة منها تكون فيها حرفًا.

فأما الخمسة التي تكون فيها اسمًا فأحدها أن تكون موصولة نحو قولك: ما أكلت الخبز. والثاني أن تكون موصوفة نكرة نحو قولهم: مررت بما خير منك وبما معجب لك. وتكون للتعجب، وللاستفهام، وللجزاء. أما المواضع التي تكون فيها حرفًا فأحدها أن تكون نافية نحو قولك: ما رأيت زيدًا، وتكون كافة، ومسلطة، وزائدة، ومغيرة.

- وأما « مَن » بفتح الميم فإنها عامة لمن يعقل، ولها ثلاثة مواضع، الخبر والجزاء والاستفهام.

- وأما « أي » فإنها تقع لمن يعقل ولما لا يعقل، وهي من ألفاظ العموم، ولها ثلاثة مواضع، الاستفهام والجزاء وبمعنى « الذي ».

- وأما « مِن » بكسر الميم فلها خمسة مواضع، لابتداء الغاية وتمييز الجنس وللتبعيض نحو قولك: أكلت من مال زيد، والرابع أن تكون زائدة والخامس أن تكون أمرًا من المين وهو الكذب، تقول: من يا هذا.

- وأما « إلى » فموضوعة لانتهاء الغاية وتدخل حدًا وهي في معنى الغاية.

- وأما « حتى » فلها أربعة مواضع. تكون جارة نحو قولك: جاء القوم حتى زيد (بكسر الدال في زيد)، وتكون عاطفة: جاء القوم حتى زيد (بتنوين الضم على الدال في زيد)، وتكون ناصبة: سرت حتى أدخل المدينة، وتكون حرف ابتداء، وفي هذه المواضع حكم ما بعدها حكم ما قبلها.

- وأما « أم » فلها موضعان أحدهما السؤال عن معين مثل: أزيد عندك في الدار أم عمرو؟ والثاني أن تكون بمعنى « بل » مثل: هل رأيت زيدًا أم عمرًا؟

- وأما « بل » فلها ثلاثة مواضع، أحدها أن تكون حرف عطف إعراب ما بعده كإعراب ما قبله مثل: ما هذا بشرًا بل ملكًا، والثاني: أن تكون لاستئناف الجمل مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾ [الانشقاق: ٢١، ٢٢]. وهي هنا لإثبات حكمين، أحدهما في السجود والثاني للإخبار عن تكذيبهم، ويقتضي ذلك أن الحكم الثاني أعظم وأبلغ من الأول. والثالث: أن تأتي في أول الكلام فإذا وليت اسمًا خفضته.

- وأما « الواو » فلها عشرة مواضع، تكون للعطف، وصلة وبمعنى « أو » تكون للحال، وللاستئناف، وللقسم، وجوابًا، وتكون بمعنى « رب » وبمعنى « مع » و « الباء ».

- وأما « الفاء » فلها ثلاثة مواضع. تكون عاطفة وجوابًا وزائدة.

- وأما « ثم » فإنها تقتضي الرتبة والمهلة، تقول: رأيت زيدًا ثم عمرًا. وتكون بمعنى « الواو »، مثل قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ [يونس: ٤٦].

- وأما « لا » فلها ستة مواضع. تكون عاطفة ومؤكدة وللنهي وللنفي وللدعاء وزائدة.

باب أقسام أدلة الشرع:

الأدلة على ثلاثة: أصل ومعقول أصل واستصحاب حال.

فأما الأصل فهو الكتاب والسنة والإجماع. وأما معقول الأصل فعلى أربعة أقسام: لحن الخطاب وفحوى الخطاب والحصر ومعنى الخطاب. وأما استصحاب الحال فهو استصحاب العقل إذا ثبت ذلك.

باب في بيان حكم المفصل:

المفصل ينقسم إلى قسمين، غير محتمل ومحتمل.

فأما غير المحتمل فهو النص، مأخوذ من النص، فإذا وجد النص وجب المصير إليه والعمل به. وأما المحتمل فعلى ضربين؛ ظاهر وعام.

ذكر الظاهر وأقسامه وأحكامه:

فالظاهر كالأوامر والنواهي وغير ذلك مما يحتمل معنيين فزائدًا هو في أحدها أظهر، فإذا ورد وجب حمله على ظاهره، إلا أن يدل دليل على العدول عن ظاهره فيعدل إلى ما يوجب الدليل، ثم تناول مسائل الأمر وقسم الكلام إلى أربعة: أمر ونهي وخبر واستخبار.

باب المخير فيها من الأفعال:

إن المخير فيها من الأفعال يجب أن يكون حكمها واحدًا في الوجوب أو الندب أو الإباحة، فإن لم يكن كذلك لم يصح التخيير. إذا ثبت ذلك فالأفعال المخير فيها على ضربين: ضرب يجوز الجمع بينهما كالإطعام والصيام، وضرب لا يصح الجمع بينهما كالتأجيل والتعجيل بمنى.

مسائل النهي: النهي له صيغة تختص به، فإذا وردت متجردة عن القرائن اقتضت التحريم. ويكون النهي على ضربين: نهي تحريم ونهي كراهية.

ذكر العموم وأقسامه وأحكامه:

ذكرنا سابقًا أن المحتمل على ضربين: ظاهر وعموم وتحدثنا عن الظاهر وهنا نتحدث عن العموم. اعلم أن العموم ثمانية ألفاظ: لفظ الجمع كالمسلمين والمؤمنين والفجار، ولفظ الجنس كالحيوان والإبل والناس، والألفاظ الموضوعة للنفي: ما جاءني أحد، والألفاظ المبهمة كمن فيمن يعقل وما فيما لا يعقل، وأي فيهما، وأين في المكان، ومتى في الزمان. وهذان وهؤلاء والأسماء الموضوعة للاستيعاب كالكل والجميع والعموم والشمول والاستيعاب والاستيفاء، والاسم المفرد إذا تعرف بالألف واللام، وما أضيف إلى شيء من هذه الأقسام، وضمير التثنية والجمع.

باب في أحكام ما يقع به التخصيص:

التخصيص يقع بأدلة العقل؛ هذا قول كافة الناس. والدليل على ذلك أن الشرع لا يجوز أن يرد مخالفًا لما علم بالعقل، فإذا ورد اللفظ عامًّا فيما تعلم صحته بالعقل وفيما تعلم استحالته بالعقل علم أنه مقصور على ما علمت صحته بالعقل، وهو ما يشير إلى مفهوم أهمية العقل **Mind** انظر (ص٢٦١).

استدلوا بأن القياس إنما يطلب به علم الحكم فيما لم يرد نطق به؛ ولو نطق بحكمه لم يحتج إلى القياس؛ وما دخل تحت العموم مما يخرجه القياس منطوق بحكمه؛ فالقياس إذا عارضه بمثابة معارضته للنص على العين الواحدة، فلم يجز تخصيص العموم به، والجواب هو أنه يبطل بتخصيص العموم المخصوص بالقياس الخفي.

وتناول المطلق والمقيد: وأوضح أن التقييد يقع بثلاثة: بالغاية والشرط والصفة.

وتناول بيان حكم المجمل والأسماء العرفية:

وأوضح أن الأسماء العرفية أن تكون اللفظة موضوعة لجنس في أصل اللغة، ثم يغلب عليها عرف الاستعمال في نوع من ذلك الجنس.

ثم تناول أقسام أدلة الشرع - الكلام في الأصل أحكام أفعال النبي ﷺ وبين الأقوال والأفعال والإقرار، وتناول أحكام الأخبار وصفة الرواية وأحكامها وبيان أحكام الناسخ والمنسوخ وبين القول في الإجماع وأحكامه، وتناول حكم الاجتهاد، وما يقع به الترجيح

من الأخبار والترجيح في المعاني.

وأخيرًا تناول قائمة المراجع والمصادر باللغة العربية واللغات الأجنبية، وأبرز فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة. كما تناول فهرس الأبيات الشعرية، والأعلام، والكتب، والأماكن، والتعليقات العامة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **القياس المنطقي Syllogism.**
- **المماثلة Analogy.**
- **المنطق Logic.**
- **الحجة Arguments.**
- **الاستقراء Induction.**
- **المقدمات Premises.**
- **التعريف الإجرائي Operational Definition.**
- **المحاجة Argumentation.**
- **الاستدلال Reasoning.**
- **العقل Mind.**

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

أرسطوطاليس في الجدل

○ تأليف/ ابن رشد أبي الوليد.

○ تحقيق/ دكتور محمد سليم سالم.

○ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٨٠م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد، المعروف بابن رشد. عالم قرطبي ولد سنة (٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) في قرطبة بالأندلس، وتوفي في مراكش سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م). فقيه مالكي، وقاضٍ وطبيب، يعد من أهم فلاسفة العرب. من أهم أعماله شروحاته وتلاخيصه لأرسطو ومنها: « تلخيص وشرح كتاب ما بعد الطبيعة »، و « تلخيص كتاب الأخلاق ».

عرض الكتاب:

يقع هذا الكتاب في (٥٠٢) صفحة من القطع الكبير. ويتناول هذا الكتاب موضوع الجدل والذي يدخل في اهتمام موضوع **المحاجة Argumentation** في الدراسات المعاصرة، والمرتبط أيضًا بموضوعات **التخاطب communication** والقدرة على التفاعل بين الأفراد.

وتمثل **المقالات الثمانية** التي سنعرض لها المهارات والسلوكيات الحجاجية المتعددة لفحص العلاقات بين الظواهر المختلفة. وسنعرض فيما يلي لما تضمنته هذه المقالات:

تشير **المقالة الأولى** إلى كلمة الجدل والتي تدل على مخاطبة بين اثنين يقصد كل منهما غلبة صاحبه بأي نوع اتفق من الأقاويل، ويتشابه الجدل في ذلك مع المحاجاة في أنها أيضًا تبدأ عند وجود اختلاف في وجهات نظر الأطراف حول مسألة معينة. وأن الجدل صناعة كأي صناعة أخرى لها أجزاء وهي الأقاويل، والمواضع، وكيف يجب أن يسأل السائل ويجيب المجيب، وكيف يمكن للسؤال والجواب أن يتنوعا. وللجدل ثلاث

منافع؛ الرياضة لأهمية إيجاد قوانين معلومة، وطرق معروفة محصورة تسلكها لإثبات الشيء أو إبطاله، ومناظرة الجمهور وفي العلوم النظرية، وهي صناعة معدة للفلسفة. أما أجزاؤها فهي الأقاويل الجدلية، هذه الأقاويل لها أصناف إما حدود، أو خواص، أو أجناس، أو أعراض.

والمقدمة الجدلية هي قول مشهور يبدأ بالسؤال. والمطلوب الجدلي هو ما لم يكن معلومًا صدقه بنفسه بحسب المشهور، بل يلحقه شك ما في المشهور، والمقدمة أنواع.

أما أصناف الأقاويل الجدلية التي تؤلف هذه المقدمات على هذه المطالب فهي نوعان؛ قياس واستقراء كأحد الآليات المستخدمة والمطلوبة لإقامة الجدل.

ويشير الكاتب إلى أهمية الوقوف على التشابه بين الأشياء؛ لأن ذلك من شأنه أن يشير إلى المعنى الكلي، وهو ما قد نشير إليه بعملية **التجريد abstract** (ص٧٠)، والتي نحصل منها على **المفهوم concept** المميز والمسمى لمجموعة من الأشياء تجمعها خصائص مشتركة.

أما **المقالة الثانية** فتدور حول القول في مواضع الأعراض. ويشير الكتاب إلى أن المسائل تصنف إلى أربعة: كلية موجبة، وكلية سالبة، وجزئية موجبة، وجزئية سالبة. وعدد أرسطو بعد ذلك ثماني وعشرين موضعًا لإثبات الشيء أو إبطاله.

وتهتم **المقالة الثالثة** بمواضع مطالب المقايسات. وتعرض لنا هذه المقالة إلى أربعين موضعًا يكون الشيء أو الموضوع فيها مؤثرًا فقط إذا تبين أنه أفضل من غيره؛ أي تبين أنه يزيد عن الأشياء الأخرى إذا تمت مقارنتهم به؛ ولذلك نختاره دون غيره وهو ما يحدث في حياتنا اليومية عندما نحتاج للمقارنة بين أكثر من شيء والتفضيل فيما بينها.

أما **المقالة الرابعة** فهي القول في مواضع الجنس للشيء أو صفة الشيء. وأن صفة الشيء هذه تكون لازمة قوية، وقد يتمثل ذلك بخاصية في الشيء نفسه أو ضده. وعرض الكاتب لثلاثة وأربعين موضعًا للجنس، تشير في مجملها إلى أن وجود الجنس ضروري للنوع، وأنه يسري على كل نوع. وما كان صفة البعض فليس بجنس، وأن الصفة مفضلة على النوع.

وينصب اهتمام **المقالة الخامسة** على الخاصة. وتشير إلى أنها ثلاثة أنواع؛ إما خاصة بذاتها أو تتسم بصفة الدوام، وهي التي تفصل المخصوص من كل شيء، وإما خاصة بالقياس إلى موجود آخر، وإما خاصة تقاس بالقياس إلى وقت ما.

ويشير الكاتب إلى أن خاصة الإنسان نفسه تنقسم إلى ثلاثة أجزاء؛ فكري وغضبي وشهواني، أي أنه يشير إلى أن الإنسان بناء متكامل من العقل والتفكير **thinking**، **والانفعال emotion**، **والرغبات desires** (ص٢٦٢).

ويوضـح الكتـاب في هذا الجزء أربعة وعشـرين موضعًا للخاصـة، وما يثبتـها وما يضادها.

أما **المقالة السادسة** فتدور حول مواضع الحدود. ويذكر أنها خمسة:

- أن يكون الحد موجودًا للمحدود.
- أن يكون الجنس مأخوذًا في الحد مضافًا إليه الفصل.
- أن يكون الحد مساويًا للمحدود.
- أن يكون قد أتى بهذه الثلاثة أشياء في الحد.
- أن يكون أتى بالحد، إلا أنه لم يأت به جيدًا ولا حسنًا، بل أتى به ناقصًا على الكمال.

وضرب الكاتب مثالًا لذلك: أن المحسوسات؛ والتي يقصد بها الأمور العينية والمعروفة لدى الصبيان؛ أي أن الأطفال في هذه المرحلة يقوم تفكيرهم على المحسوسات ويتسم **بالعيانية concrete**. أما الكهول وكبار السن فأساس تفكيرهم المعقولات الكلية والتي يقصد بها **المجردات abstract** (ص٣١٤، ٣١٥). وعرضت المقالة لمواضع الحدود المختلفة، وأنها تتداخل في بعضها مع الجنس، وفي بعضها الآخر مع الفصل.

وترتبط **المقالة السابعة** والتي تدور حول مواضع الهو هو والغير بالحدود، وذلك أن المثبتة منها تثبت شرطًا من شروطه؛ وهو أن الحد ينبغي أن يكون وما يدل الاسم عليه واحدًا. والمبطلة كافية في إبطال الحد.

وعدَّد لنا الكتاب سبعة مواضع لِلْهُوَ والغير. وأشار إلى أنه يجب أن نعرف في المواضع المقارنة ببعضها بعضًا.

ويشير الكاتب في **المقالة الثامنة والأخيرة** إلى ترتيب السؤال والجواب.

ويبدأ بترتيب السؤال وكيفية إجادته، وأول ما يشير إليه أن يلتمس السائل الموضع الجدلي الذي منه يستنبط القياس، وتنطوي هذه المقالة على ما تحتاجه عملية المحاجاة من تدريب على **المنطق والاستدلال reasoning**، والذي تقوم عليه برامج التدريب على

هذه المهارة، ويعتبر الاستدلال وخاصة الاستدلال المنطقي لازمًا لعمليات الاستمالة **persuasion**.

ثانيًا: أن يعد السؤال ويرتب كل شيء بحسبه.

ثالثًا: أن يخاطب بذلك غيره. وأشار إلى أن نتائج المقدمات قد يتم إخفاؤها لأوجه عديدة. وأشار إلى تسعة أوجه لإخفاء النتيجة ومنها؛ تعمد الإسهاب والحشو بالأشياء التي لا ينتفع بها في المطلوب أصلًا على سبيل الإخفاء، وأن ذلك من شأنه أن يورث المجيب انفعالات نافعة للسائل من نسيان وتبرم وضيق صدر، فيسامح ولا يتحفظ. وتمت الإشارة إلى الوصايا المتعلقة بالسائل، وتلك المتعلقة بالمجيب، وما يمكن أن يفسد سؤال السائل وإجابة المجيب، وأوضحها في عدد من المواضع وبين أن المواضع نافعة في ثلاثة أشياء:

١ - أنها تعطينا القوة على أن نتقلد القول في الموضع الواحد بعينه مرة على جهة الجواب، ومرة على جهة السؤال.

٢ - إفادة القوة على سرعة عمل القياس إما عند السؤال وإما عند المقاومة.

٣ - القوة التي شأنها أن تفعل بها هذين الفعلين، وبهذه القوة يكون الإنسان صاحب صناعة الجدل. وهو ما يشير إلى مضمون عملية التخاطب من خلال عمليات إرسال واستقبال المعلومات، ومهارات التخاطب **communication skills** المستخدمة في هذه العمليات والتي منها استخدام السؤال كوسيلة اتصالية بكفاءة.

وتكون الرياضة في هذه الصناعة عندما نفعل جميع أفاعيل هذه الصناعة على أتم الوجوه. وأفعال هذه الصناعة هي القياس، أو مقاومة أو حجة أو نقض. وتعتبر العمليات السابقة هي ما يمكن أن نشير إليه بعمليات التفنيد **refutation** في المحاجاة والتي نعني بها محاولات إثبات أن صحة حجج الطرف الآخر أو النتيجة المترتبة عليها زائفة أو خاطئة. وأما اختيار السؤال هل هو مستقيم أو غير مستقيم؟! فالقياس هو فعل السائل في إبطال الوضع، والمقاومة هي فعل المجيب في وضع القياس. أما الحجة فيعني بها فعل المجيب إذا تضمن إثبات الوضع. فإذا أتى المجيب بالحجة في تثبيت الوضع، يكون فعل السائل النقض لتلك الحجة.

فالقياس والنقض من أفعال السائل، والمقاومة والحجة من أفعال المجيب. أما إجادة السؤال والجواب فللاثنين. كما أشار إلى أننا لا يجب أن نجادل فيما اتفق الناس عليه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- المحاجة **Argumentation**.
- التخاطب **Communication**.
- التجريد **Abstract**.
- التفكير **Thinking**.
- الانفعال **Emotion**.
- الرغبات **Desires**.
- العيانية **Concrete**.
- المجردات **Abstract**.
- الاستدلال **Reasoning**.
- الاستمالة **Persuasion**.
- عمليات التفنيد **Refutation**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق
من علم الأصول
(المجلد الأول)



- تأليف/ الشوكاني الإمام الحافظ محمد بن علي (١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ).
- تحقيق/ محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.
- بيروت: دار الكتب العلمية (١٩٩٩م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو « أبو علي بدر الدين محمد بن علي بن محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن محمد ابن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف بن محمد بن روق الشوكاني » نسبة إلى شوكان، وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، ولد يوم الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي الحجة سنة (١١٧٣هـ) في بلدة هجرة شوكان. نشأ بصنعاء اليمن، وتربى في بيت العلم والفضل؛ فنشأ نشأة دينية طاهرة، تلقى فيها معارفه الأولى على والده وأهل العلم والفضل في بلدته؛ فحفظ القرآن الكريم وجوَّده، ثم حفظ كتاب الأزهار، للإمام المهدي في فقه الزيدية، ومختصر الفرائض للعصيفري، والملحة للحريري، والكافية والشافية لابن الحاجب، وقرأ التهذيب للعلامة التفتازاني، والتلخيص في علوم البلاغة للقزويني، والغاية لابن الإمام وكان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ، والأدب، ومما ساعد الإمام الشوكاني على طلب العلم والنبوغ المبكر وجوده وتربيته في بيت العلم والفضل، فإن والده، كان من العلماء المبرزين في ذلك العصر، كما أن أكثر هذه القرية كانوا كذلك من أهل العلم والفضل.

صفاته الخُلُقية والخِلْقية: كان متوسط الطول، كبير الرأس، عريض الجبهة، بادي الصحة، موفور العافية. أما صفاته الخلقية فكثيرة، حتى ألف في مناقبه وفضائله الكثيرون من تلاميذه منهم: السيد العلامة إبراهيم بن عبد اللّه الحوثي، والعلامة محمد بن محمد الديلمي، والقاضي العلامة محمد بن حسن الشجني الذماري، ألف في ذلك كتابًا سماه « التقصار في جيد زمن علامة الأقاليم والأمصار ». وكانت حياته بسيطة متقشفة، يعيش على الكفاف الذي وفره له والده؛ فلما تولى القضاء، وأجزل له الأجر تنعم في مأكله

ومشربه وملبسه ومركبه، وأضفى على تلاميذه وشيوخه مما وسع اللَّه عليه به. وكان الشوكاني بارًّا بشيوخه وتلاميذه، فتح أمامهم أبواب العمل في الدولة، ودافع عنهم، وتشفع لهم عند الأئمة في كل أمر وقعوا فيه.

مذهبه الفقهي: تفقه الشوكاني في أول حياته على مذهب الإمام « زيد بن علي بن الحسين » وبرع فيه، وفاق أهل زمانه، حتى خلع ربقة التقليد، وتحلى بمنصب الاجتهاد؛ فألف كتابه « السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار »، فلم يقيد نفسه بمذهب الزيدية، بل صحح ما أداه إليه اجتهاده بالأدلة، وزيف ما لم يقم عليه دليل؛ فثار عليه أهل مذهبه من الزيدية المتعصبون لمذهبهم في الأصول والفروع.

شيوخ الشوكاني: والده، وأحمد بن محمد الحرازي، وعبد الرحمن بن قاسم المداني، وعبد القادر بن أحمد شرف الدين، وعبد اللَّه بن إسماعيل النهمي، وعلي بن إبراهيم ابن علي عامر الشهيد، وهادي بن حسين القارني، ويحيى بن محمد الحوثي، والحسن ابن إسماعيل المغربي، وصديق علي المزجاجي العلامة الحنفي.

مؤلفاته: إبطال دعوى الإجماع على مطلق السماع، وإتحاف الأكابر بإسناد الدفات، وأدب الطلب ومنتهى الأرب، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، وأسلاك الجوهر في نظم مجدد القرن الثالث عشر، والإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام - معجم شيوخه وتلامذته، والإيضاح لمعنى التوبة والإصلاح، وبحث في الاستدلال على ثبوت كرامات الأولياء، والتحف في مذاهب السلف...إلخ.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في مجلدين، المجلد الأول يقع في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط، ورتبه على مقدمة، وسبعة مقاصد، وخاتمة.

أما المقدمة فهي مشتملة على فصول أربعة:

- **الفصل الأول: في تعريف أصول الفقه وموضوعه، وفائدته، واستمداده:**

تعريف الأصول: العلم بالأحكام الشرعية، عن أدلته التفصيلية بالاستدلال وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستدلال **Reasoning**) (ص٢٧)؛ فأصول الفقه ما يختص بالفقه،من حيث كونه مبنيًّا عليه، ومستندًا إليه. وقيل: هو العلم بالقواعد. وقيل: هو نفس القواعد الموصلة إلى استنباط الأحكام... إلخ. وقيل: هو طرق الفقه على وجه الإجمال

وكيفية الاستدلال بها، وما يتبع الكيفية. وفيه: ذكر الأدلة التفصيلية تصريح باللازم المفهوم ضمنًا؛ لأن المراد استنباط الأحكام تفصيلًا، وهو لا يكون إلّا عن أدلتها تفصيلًا ويزاد عليه على وجه التحقيق لإخراج علم الخلاف، والجدل، فإنهما وإن اشتملا على القواعد الموصلة إلى مسائل الفقه، لكن لا على وجه التحقيق، بل الغرض منها إلزام الخصم وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستنباط **Deduction**) (ص٢٩).

والعلم ينقسم إلى ضروري ونظري. فالضروري: ما لا يحتاج في تحصيله إلى نظر. والنظري: ما يحتاج إليه. والنظر: هو الفكر المطلوب به علم أو ظن. وقيل: هو ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول. وكل واحد من الضروري والنظري ينقسم إلى قسمين: تصور وتصديق، والكلام فيهما مبسوط في علم المنطق والدليل ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري. وقيل: هو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول. والأمارة: هي التي يمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيها إلى الظن. والظن تجويز راجح. والوهم تجويز مرجوح. والشك تردد الذهن بين طرفين. فالظن فيه حكم لحصول الراجحية، ولا يقدح فيه احتماله للنقيض المرجوح. والوهم لا حكم فيه، لاستحالة الحكم بالنقيضين؛ لأن النقيض الذي هو متعلق الظن قد حكم به، فلما حكم بنقيضه المرجوح، وهو متعلق بالوهم، لزم الحكم بهما جميعًا. والشك لا حكم فيه بواحد من الطرفين، لتساوي الوقوع واللاوقوع في نظر العقل.

موضوع أصول الفقه:

موضوع علم أصول الفقه هو الدليل السمعي الكلي فقط، من حيث إنه يوصل العلم بأحواله إلى قدرة إثبات الأحكام لأفعال المكلفين، أخذًا من شخصياته. والمراد بالأحوال ما يرجع إلى الإثبات، وهو ذاتي للدليل والأول أولى. وأما فائدة هذا العلم فهي العلم بأحكام اللَّه سبحانه أو الظن بها.

وأما استمداده فمن ثلاثة أشياء:

١ - علم الكلام؛ لتوقف الأدلة الشرعية على معرفة البارئ ﷻ، وصدق المبلغ، وهما مبينان فيه.

٢ - اللغة العربية؛ لأن فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بهما متوقفان عليها؛ إذ هما عربيان.

٣ - الأحكام الشرعية من حيث تصورها؛ لأن المقصود إثباتها أو نفيها، كقولنا: الأمر

للوجوب، والنهي للتحريم، والصلاة واجبة، والربا حرام.

- **الفصل الثاني: في الأحكام:**

وفيه أربعة أبحاث هي: في الحكم، وفي الحاكم، وفي المحكوم به، وفي المحكوم عليه.

البحث الأول: **في الحكم:**

الحكم هو الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع، فيتناول اقتضاء الوجود، واقتضاء العدم، إما مع الجزم، أو مع جواز الترك، فيدخل في هذا: الواجب، والمحظور، والمندوب، والمكروه، وإما التخيير فهو الإباحة.

فالواجب: ما يمدح فاعله، ويذم تاركه، على بعض الوجوه فلا يرد النقض بالواجب المخير، وبالواجب على الكفاية، فإنه لا يذم في الأول، إذا تركه مع الآخر، ولا يذم في الثاني إلا إذا لم يقم به غيره. وينقسم إلى معين، ومخير،ومضيق، وموسع، وعلى الأعيان وعلى الكفاية. ويرادفه الفرض عند الجمهور.

والمحظور: ما يذم فاعله، ويمدح تاركه، ويقال له: المحرم، والمعصية، والذنب، والمزجور عنه،والمتوعد عليه، والقبيح.

والمندوب: ما يمدح فاعله، ولا يذم تاركه، ويقال له: مرغب فيه، ومستحب، ونفل، وتطوع، وإحسان.

والمكروه: ما يمدح تاركه،ولا يذم فاعله. والمباح: ما لا يمدح على فعله، ولا على تركه.

البحث الثاني: **في الحاكم:**

اتفق الأشعرية والمعتزلة على أن العقل يدرك الحسن والقبح في شيئين:

الأول: ملاءمة الغرض للطبع ومنافرته له، فالموافق حسن عند العقل، والمنافي قبيح عنده.

الثاني: صفات الكمال والنقص، فصفات الكمال حسنة عند العقل، وصفات النقص قبيحة عنده.

البحث الثالث: **في المحكوم به:**

هو فعل المكلف، فمتعلق الإيجاب يسمى واجبًا، ومتعلق الندب يسمى مندوبًا،

ومتعلق الإباحة يسمى مباحًا، ومتعلق الكراهة يسمى مكروهًا، ومتعلق التحريم يسمى حرامًا. وفيه مسائل ثلاث:

* المسألة الأولى: أن شرط الفعل الذي وقع التكليف به، أن يكون ممكنًا، فلا يجوز التكليف بالمستحيل، عند الجمهور، وهو الحق، وسواء كان مستحيلًا بالنظر إلى ذاته، أو بالنظر إلى امتناع تعلق قدرة المكلف به. أقوال العلماء في المتنازع فيه: للعلماء في المحال المتنازع فيه أقوال ثلاثة:

القول الأول: التكليف بالمحال جائز عقلًا وغير واقع سمعًا، وهو المختار لجمهور الأشاعرة ومنهم البيضاوي على التحقيق.

القول الثاني: التكليف بالمحال جائز عقلًا وواقع، وقد نسب الأسنوي هذا القول إلى الإمام « الرازي».

القول الثالث: التكليف بالمحال ممتنع عقلًا وبالضرورة غير واقع شرعًا؛ لأنه لا يقع إلا ما كان جائزًا عقلًا، وهو رأي المعتزلة ومختار الشافعي وابن الحاجب.

- الأدلة: استدل أصحاب القول الأول على الجواز العقلي بأنه لا يترتب على فرض وقوعه محال فإن غاية ما يلزم التكليف به أنه يكون مجردًا عن الفائدة، وليس ذلك محالًا؛ لأن أفعال اللَّه - تعالى - لا تعلل بالأغراض. واستدل الأشاعرة على عدم الوقوع بدليلين:

أحدهما: الاستقراء والتتبع للتكاليف الشرعية فإنه بالبحث تبين أن اللَّه - تعالى - لم يكلف عباده إلا بما هو مقدور لهم.

وثانيهما: قوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] يدل على أن التكليف بما ليس في الوسع والطاقة غير واقع.

واستدل أصحاب القول الثاني على الجواز العقلي بما استدل به أصحاب القول الأول.

واستدل أصحاب القول الثالث على أن التكليف بالمحال ممتنع عقلًا بما يأتي:

١ - المحال لا يتصور العقل وجوده وكل ما لا يتصور العقل وجوده لا يجوز عقلًا التكليف به؛ فالمحال لا يجوز عقلًا التكليف به.

٢ - المحال لا يمكن وجوده في الخارج وكل ما لا يمكن وجوده في الخارج لا يجوز

عقلًا التكليف به فالمحال لا يجوز عقلًا التكليف به.

* المسألة الثانية: أن حصول الشرط الشرعي ليس شرطًا في التكليف، عند أكثر الشافعية، والعراقيين من الحنفية.

* المسألة الثالثة: أن التكليف بالفعل - والمراد به أثر القدرة الذي هو الأكوان، لا التأثير الذي هو أحد الأعراض النسبية- ثابت قبل حدوثه اتفاقًا، وينقطع بعده اتفاقًا، ولا اعتبار بخلاف من خالف في الطرفين.

البحث الرابع: في المحكوم عليه وهو المكلف:

تقرر أن المجنون غير مكلف، وكذلك الصبي الذي لم يميز؛ لأنهما لا يفهمان خطاب التكليف، على الوجه المعتبر، كذلك رفع التكليف قبل البلوغ.

- الفصل الثالث: في المبادئ اللغوية:

البحث الأول: عن ماهية الكلام:

وهو يقال بالاشتراك على المعنى القائم بالنفس، وعلى الأصوات المقطعة المسموعة؛ فالأصوات كيفية للنفس، وهي الكلام المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة، المتواضع عليها.

والانتظام: هو التأليف للأصوات المتوالية على السمع. وخرج بقوله الحروف، الحرف الواحد؛ لأن أقل الكلام حرفان، وبالمسموعة الحروف المكتوبة، وبالمتميزة،أصوات ما عدا صوت الإنسان، وبالمتواضع عليها، المهملات، وقد خصص النحاة الكلام بما تضمن كلمتين بالإسناد، وذهب كثير من أهل الأصول إلى أن الكلمة الواحدة تسمى كلامًا.

البحث الثاني: عن الواضع:

اختلف في ذلك على أقوال:

١ - أن الواضع هو اللَّه ﷻ وإليه ذهب الأشعري وأتباعه، وابن فورك.

٢ - أن الواضع هو البشر، وإليه ذهب أبو هاشم ومن تابعه من المعتزلة.

٣ - أن ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والباقي توقيف، وبه قال الأستاذ أبو إسحاق.

٤ - أن ابتداء اللغة وقع بالتعليم من اللَّه ﷻ، والباقي بالاصطلاح.

٥ - أن نفس الألفاظ دلت على معانيها بذاتها، وبه قال عباد بن سليمان الصميري.

٦ - أنه يجوز كل واحد من هذه الأقوال، من غير جزم بأحدها، وبه قال الجمهور.

البحث الثالث: عن الموضوع:

الموضوعات اللغوية هي كل لفظ وضع لمعنى. فيخرج ما ليس بلفظ من الدلائل الموضوعة، وما ليس بموضوع من المحرفات، والمهملات، ويدخل في اللفظ المفردات، والمركبات الستة، وهي: الإسنادي، والوصفي، والإضافي، والعددي، والمزجي، والصوتي.

ومعنى الوضع يتناول أمرين أعم وأخص، فالأعم تعيين اللفظ بإزاء معنى، والأخص تعيين اللفظ للدلالة على معنى.

البحث الرابع عن الموضوع له:

قال الجويني، والرازي، وغيرهما: إن اللفظ موضوع للصورة الذهنية، سواء كانت موجودة في الذهن والخارج، أو في الذهن فقط. وقيل هو موضوع للوجود الخارجي، وبه قال أبو إسحاق. وقيل: هو موضوع للأعم، من الذهني والخارجي، ورجحه الأصفهاني. وقيل: إن اللفظ في الأشخاص، أي الأعلام الشخصية، موضوع للوجود الخارجي، ولا ينافي كونه للوجود الخارجي وجوب استحضار الصورة الذهنية؛ فالصورة الذهنية آلة لملاحظة الوجود الخارجي، لا أنها هي الموضوع لها، وهو ما يشير إلى مفهوم (الصورة الذهنية **Cognitive image**) (ص٩١)، وأما فيما عدا الأعلام الشخصية، فاللفظ موضوع لفرد غير معين.

البحث الخامس: عن الطريق التي يعرف بها الوضع:

لما كان الكتاب والسنة واردين بلغة العرب،وكان العلم بهما متوقفًا على العلم بها، كان العلم بها من أهم الواجبات.

ولا بد في ذلك من معرفة الطريقة التي نقلت هذه اللغة العربية بها إلينا؛ إذ لا مجال للعقل في ذلك؛ لأنها أمور وضعية، والأمور الوضعية لا يستقل العقل بإدراكها فلا تكون الطريق إليها إلا نقلية.

- الفصل الرابع: في تقسيم اللفظ إلى مفرد ومركب:

اعلم أن اللفظ إن قصد بجزء منه الدلالة على جزء معناه، فهو مركب، وإلا فهو مفرد. والمفرد: إما واحد، أو متعدد، وكذلك معناه، فهذه أربعة أقسام:

١ - الواحد للواحد، إن لم يشترك في مفهومه كثيرون، لا محققًا ولا مقدرًا، فمعرفته لتعينه إما مطلقًا، أي وضعًا واستعمالًا، فعلم شخصي، وجزئي شخصي، وجزئي حقيقي، إن كان فردًا، أو مضافًا بوضعه الأصلي.

٢ - اللفظ المتعدد للمعنى المتعدد، ويسمى المتباين،سواء تفاصلت أفراده كالإنسان، والفرس، أو تواصلت كالسيف، والصارم.

٣ - اللفظ الواحد للمعنى المتعدد فإن وضع لكل، فمشترك، وإلا فإن اشتهر في الثاني، فمنقول ينسب إلى ناقله، وإلا فحقيقة ومجاز.

٤ - اللفظ المتعدد للمعنى الواحد، ويسمى المترادف.

وكل من الأربعة ينقسم إلى مشتق، وغير مشتق، وإلى صفة وغير صفة. وهو ما يشير إلى مفهوم (**التصنيف Classification**) (ص١٠١).

المقصد الأول: في الكتاب العزيز:

وفيه أربعة فصول هي:

- الفصل الأول: فيما يتعلق بتعريفه:

هو كلام اللّه العربي الثابت في اللوح المحفوظ للإنزال.

- الفصل الثاني: في حكم ما نقل آحادًا:

قد صح أن النبي ﷺ أخبرنا بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وصح عنه ﷺ أنه قال: « **أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى أقرأني على سبعة أحرف** ». والمراد بالأحرف السبعة: لغات العرب، فإنها بلغت إلى سبع لغات، اختلفت في قليل من الألفاظ، واتفقت في غالبها، فما وافق لغة من هذه اللغات، فقد وافق المعنى العربي والإعرابي.

- الفصل الثالث: في المحكم والمتشابه من القرآن:

المحكم ما له دلالة واضحة، والمتشابه ما له دلالة غير واضحة، فيدخل في المتشابه المجمل والمشترك. وقيل في المحكم: هو متضح المعنى،وفي المتشابه هو غير المتضح المعنى، وهو كالأول، ويندرج في المتشابه ما تقدم. والفرق بينهما أنه جعل في التعريف الأول الاتضاح وعدمه للدلالة، وفي الثاني لنفس المعنى.

- **الفصل الرابع: في المعرب هل هو موجود في القرآن أم لا ؟**

والمراد به ما كان موضوعًا لمعنىً عند غير العرب ثم استعملته العرب في ذلك المعنى، كإسماعيل، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب.

المقصد الثاني: في السنة:

وتناول فيه عدة أبحاث منها: في معنى السنة لغة وشرعًا، وفي استقلال السنة بالتشريع، وفي عظمة الأنبياء، وفي أفعاله ﷺ، وفي تعارض الأفعال، وفي تعارض القول والفعل، وفي التقرير، وفي همه، وإشارته، وتركه ﷺ.

المقصد الثالث: الإجماع:

وتناول فيه عدة أبحاث منها: في مسماه لغة واصطلاحًا، وفي إمكان الإجماع في نفسه، وفي كون الإجماع حجة قطعية أو ظنية، وما ينعقد به الإجماع من كتاب أو سنة. أو قياس؛ فالإجماع عن غير مستند بأن يكون عن عاطفة، أو إلهام وتوفيق من اللَّه - تعالى - لهم بوجه الصواب، غير جائز عند جمهور العلماء، وتناول أيضًا بحث اعتبار المجتهد المبتدع في الإجماع، واعتبار التابعي المجتهد المدرك لعصر الصحابة في الاجتهاد، وفي حجية إجماع الصحابة، وأهل المدينة، وعدم اعتبار من سيوجد في الإجماع، وفي الإجماع السكوتي...إلخ.

المقصد الرابع: في الأوامر والنواهي والعموم والخصوص:

وفرق القرافي بين الأعم والعام، بأن الأعم إنما يستعمل في المعنى، والعام في اللفظ، فإذا قيل: هذا أعم تبادر الذهن للمعنى، وإذا قيل: هذا عام تبادر الذهن للفظ، وهو ما يشير إلى تعريف (**المفهوم Concept**) (ص٣٩٢) والإطلاق والتقييد والإجمال والتبيين.

والظاهر والمؤول والمنطوق والمفهوم والناسخ والمنسوخ، وتناول مسائل كثيرة منها: التخصيص بالشرط وأقسامه، والتخصيص بالصفة، وبالغاية، وبالبدل، وبالحال، وبالظرف والجار والمجرور، وبالتمييز، بالمفعول له والمفعول معه، وبالعقل، وبالحس وبالكتاب العزيز، وبالسنة المطهرة والتخصيص لهما، وتخصيص الكتاب بالسنة المتواترة، وتخصيص الكتاب والسنة المتواترة بفعل النبي ﷺ وبتقريره.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الاستدلال **Reasoning**.
- الاستنباط **Deduction**.
- التصنيف **Classification**.
- الصورة الذهنية **Cognitive Image**.
- المفهوم **Concept**.

القائم بالعرض

د.أشرف محمد علي شلبي

* * *

إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق

من علم الأصول

(المجلد الثاني)



- تأليف/ الشوكاني الإمام الحافظ محمد بن علي (١١٧٣هـ - ١٢٥٠هـ).
- تحقيق/ محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي.
- بيروت: دار الكتب العلمية (١٩٩٩م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم العرض له مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في مجلدين، المجلد الثاني يقع في (٤٤٥) صفحة من القطع المتوسط، وتناول فيه ما تبقى من المقصد الرابع؛ حيث تناول فيه الباب الخامس في المطلق والمقيد، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في حدهما: أوضح فيه أن المقيد هو ما يقابل المطلق، على اختلاف هذه الحدود المذكورة في المطلق، فيقال فيه: هو ما دل لا على شائع في جنسه، فتدخل فيه المعارف والعمومات كلها، أو يقال في حده: هو ما دل على الماهية بقيد من قيودها، أو ما كان له دلالة على شيء من القيود.

المبحث الثاني: في حمل المطلق على المقيد: اعلم أن الخطاب إذا ورد مطلقًا - لا مقيد له - حمل على إطلاقه، وإن ورد مقيدًا حمل على تقييده،وإن ورد مطلقًا في موضع ومقيدًا في موضع آخر، فذلك على أقسام:

١ - أن يختلفا في السبب والحكم، فلا يحمل أحدهما على الآخر بالاتفاق، كما حكاه القاضي أبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين الجويني، وابن برهان، والآمدي.

٢ - أن يتفقا في السبب والحكم، فيحمل أحدهما على الآخر، كما لو قال: إن ظاهرت فأعتق رقبة.

٣ - أن يختلفا في السبب دون الحكم، كإطلاق الرقبة في كفارة الظهار، وتقييدها

بالإيمان في كفارة القتل؛ فالحكم واحد وهو وجوب الإعتاق في الظهار والقتل، مع كون الظهار والقتل سببين مختلفين.

٤ - أن يختلفا في الحكم، نحو: اكس يتيمًا، أطعم يتيمًا.

المبحث الثالث: في شروط حمل المطلق على المقيد: له شروط سبعة:

١ - أن يكون المقيد من باب الصفات، مع ثبات الذوات في الموضعين، فأما في إثبات أصل الحكم من زيادة أو عدد فلا يحمل أحدهما على الآخر، وهذا كإيجاب غسل الأعضاء الأربعة في الوضوء، مع الاقتصار على عضوين في التيمم.

٢ - أن لا يكون للمطلق إلا أصل واحد، كاشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والوصية، وإطلاق الشهادة في البيوع وغيرها فهي شرط في الجمع، وكذا تقييد ميراث الزوجين بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ﴾ [النساء: ١٢].

٣ - أن يكون في باب الأوامر والإثبات، أما في جانب النفي والنهي فلا.

٤ - أن لا يكون في جانب الإباحة.

٥ - أن لا يمكن الجمع بينهما إلا في الحمل، فإن أمكن بغير إعمالهما فإنه أولى من تعطيل ما دل عليه أحدهما.

٦ - أن لا يكون المقيد ذكر معه قدر زائد يمكن أن يكون القيد لأجل ذلك القدر الزائد، فلا يحمل المطلق على المقيد هاهنا.

٧ - أن لا يقوم دليل يمنع من التقييد، فإن قام دليل على ذلك فلا تقييد.

المبحث الرابع: في جريان ما ذكر في تخصيص العام في تقييد المطلق: قضاء رمضان الوارد مطلقًا في قوله سبحانه: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ [البقرة: ١٨٤]، وصوم التمتع الوارد مقيدًا بالتفريق في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وصوم كفارة الظهار الوارد مقيدًا بالتتابع في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ﴾ [المجادلة: ٤]، قال: فمن زعم أن المطلق يتقيد بالمقيد لفظًا ترك المطلق هاهنا على إطلاقه؛ لأنه ليس تقييده بأحدهما أولى من تقييده بالآخر، ومن حمل المطلق على المقيد لقياس حمله هاهنا ما كان القياس عليه أولى.

- **الباب السادس: في المجمل والمبين:**

وتناوله في ستة فصول:

فالمجمل في اللغة المبهم، مِنْ أجمل الأمر إذا أبهم، وقيل: هو المجموع، مِنْ أجمل الحساب إذا جمع وجعل جملة واحدة. وفي الاصطلاح: ما له دلالة على أحد معنيين، لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه، كذلك قال الآمدي. وفي المحصول للرازي: هو ما أفاد شيئًا من جملة أشياء، وهو متعين في نفسه، واللفظ لا يعينه.

تعريف المبين: فهو في اللغة المظهر، من بان إذا ظهر، يقال: بين فلان كذا إذا أظهره، وأوضح معناه.

وفي الاصطلاح: هو ما افتقر إلى البيان. والبيان هو مشتق من البين، وهو الفراق؛ لأنه يوضح الشيء ويزيل إشكاله. قال « أبو بكر الرازي »: سمي بيانًا لانفصاله عما يلتبس من المعاني. وهو ما يشير إلى أهمية تحديد (**التعريف الإجرائي للمفهوم Operational Definition**) (ص١٨).

ثم تناول وقوع الإجمال في الكتاب والسنة، وأقسام المجمل، وفيما لا إجمال فيه.

ومراتب البيان للأحكام وهي خمسة كالتالي:

١ - بيان التأكيد، وهو النص الجلي الذي لا يتطرق إليه تأويل.

٢ - النص الذي ينفرد بإدراكه العلماء، كالواو وإلى في آية الوضوء. فإن هذين الحرفين مقتضيان لمعانٍ معلومة عند أهل اللسان.

٣ - نصوص السنة الواردة بيانًا لمشكل في القرآن، كالنص على ما يخرج عند الحصاد.

٤ - نصوص السنة المبتدأة مما ليس في القرآن نص عليها لا بالإجمال، ولا بالتبيين.

٥ - بيان الإشارة، وهو القياس المستنبط من الكتاب والسنة، مثل الألفاظ التي استنبطت منها المعاني، وقيس على غيرها، وهو ما يشير إلى مفهوم (**القياس المنطقي Syllogism**) (ص٣٥).

- **الباب السابع: في الظاهر والمؤول:**

وفيه ثلاثة فصول:

فالظاهر في اللغة هو الواضح. وقال « الغزالي »: هو المتردد بين أمرين، وهو في

أحدهما أظهر. وقيل: هو ما دل على معنى مع قبوله لإفادة غيره إفادة مرجوة، فاندرج تحته ما دل على المجاز الراجح.

وقيل: هو في الاصطلاح ما دل دلالة ظنية، إما بالوضع؛ كالأسد للسبع المفترس، أو بالعرف؛ كالغائط للخارج المستقذر.

والتأويل مشتق من آل، إذا رجع، تقول: آل الأمر إلى كذا، أي رجع إليه، ومآل الأمر مرجعه.

وتناول أيضًا فيما يدخله التأويل وهو قسمان: أحدهما: أغلب الفروع، والثاني: الأصول؛ كالعقائد، وأصول الديانات، وصفات الباري ﷻ، وشروط التأويل وهي:

١ - أن يكون موافقًا لوضع اللغة، أو عرف الاستعمال، أو عادة صاحب الشرع، وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح.

٢ - أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيرًا فيه.

٣ - إذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون جليًا، لا خفيًّا.

- الباب الثامن من المقصد الرابع: في المنطوق والمفهوم:

وفيه أربع مسائل:

فالمنطوق: ما دل عليه اللفظ في محل النطق، أي يكون حكمًا للمذكور، وحالًا من أحواله.

والمفهوم: ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، أي يكون حكمًا لغير المذكور، وحالًا من أحواله.

والحاصل: أن الألفاظ قوالب للمعاني المستفاد منها؛ فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحًا، وتارة من جهته تلويحًا، فالأول: المنطوق، والثاني: المفهوم. والمنطوق ينقسم إلى:

١ - ما لا يحتمل التأويل وهو النص، وينقسم إلى:

أ - صريح إن دل عليه اللفظ بالمطابقة، أو التضمن.

ب - وغير صريح إن دل عليه بالالتزام، وينقسم إلى دلالة اقتضاء، وإيماء، وإشارة.

فدلالة الاقتضاء هي إذا توقف الصدق أو الصحة العقلية أو الشرعية عليه، مع كون ذلك مقصودًا للمتكلم.

ودلالة الإيماء أن يقترن اللفظ بحكم، لو لم يكن للتعليل لكان بعيدًا.

ودلالة الإشارة حيث لا يكون مقصودًا للمتكلم.

٢ - ما يحتمله وهو الظاهر.

أقسام المفهوم: المفهوم ينقسم إلى مفهوم موافقة، ومفهوم مخالفة.

فمفهوم الموافقة: حيث يكون المسكوت عنه موافقًا للملفوظ به؛ فإن كان أولى بالحكم من المنطوق به فيسمى « فحوى الخطاب » وإن كان مساويًا له فيسمى « لحن الخطاب ».

وحكى « الماوردي والروياني » في الفرق بين « فحوى الخطاب » و « لحن الخطاب » وجهين:

١ - أن « الفحوى » ما نبه عليه اللفظ، و« اللحن» ما لاح في أثناء اللفظ.

٢ - أن « الفحوى » ما دل على ما هو أقوى منه، و« اللحن » ما دل على مثله. وهو ما يشير إلى مفهوم (المقارنة **Comparison**) (ص٥٧).

مفهوم المخالفة: وهو حيث يكون المسكوت عنه مخالفًا للمذكور في الحكم، إثباتًا ونفيًا، فيثبت للمسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى دليل الخطاب؛ لأن دليله من جنس الخطاب، أو لأن الخطاب دال عليه.

وتناول أنواع مفهوم المخالفة وهي:

مفهوم الصفة، والعلة، والشرط، والعدد، والغاية، واللقب، والحصر، والحال، والزمان، والمكان.

- الباب التاسع من المقصد الرابع في النسخ:

وفيه سبع عشرة مسألة منها: في حده، وفي جواز النسخ عقلًا ووقوعه سمعًا، والحكمة من النسخ، وشروطه، وفي جواز النسخ بعد اعتقاد المنسوخ والعمل به، وفي جواز نسخ الأخبار، وفي نسخ التلاوة دون الحكم والعكس ونسخهما معًا، وفي وجوه نسخ القرآن والسنة، وفي نسخ القرآن بالسنة المتواترة... إلخ.

المقصد الخامس: القياس وما يتصل به من الاستدلال المشتمل على التلازم، والاستصحاب، وشرع من قبلنا والاستحسان، والمصالح المرسلة ثم ما له اتصال بالاستدلال:

وفيه فصول سبعة:

في تعريفه: في اللغة تقدير شيء على مثال شيء آخر، وتسويته به؛ ولذلك سمي المكيال مقياسًا وما يقدر به النعال مقياسًا، ويقال: فلان لا يقاس بفلان، أي لا يساويه.

وقيل: إدراج خصوص في عموم، وإلحاق المسكوت عنه بالمنطوق به، واستنباط الخفي من الجلي.

قال الأستاذ « أبو إسحاق »: اختلف أصحابنا فيما وضع له اسم القياس على قولين:

١ - أنه استدلال المجتهد، وفكرة المستنبط.

٢ - أنه المعنى الذي يدل على الحكم في أصل الشيء وفرعه.

ثم تناول حجية القياس، وأركانه، وفي الكلام على مسالك العلة، وفيما لا يجرى فيه القياس والاعتراضات، أي ما يعترض به المعترض على كلام المستدل.

ثم تناول الاستدلال وتعريفه لغة: استفعال من طلب الدليل والطريق المرشد إلى المطلوب. وأما في اصطلاح الفقهاء: فإنه يطلق تارة بمعنى ذكر الدليل، وسواء كان الدليل نصًا أو إجماعًا أو قياسًا أو غيره، وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستدلال **Reasoning**) (ص٢٥١). ثم تناول فوائد متعلقة بالاستدلال.

المقصد السادس من مقاصد هذا الكتاب: في الاجتهاد والتقليد:

وفيه فصلان في الاجتهاد، وفي التقليد وما يتعلق به من أحكام المفتي والمستفتي وتناول في الفصل الأول تسع مسائل منها في حد الاجتهاد، وهو في اللغة مأخوذ من الجهد، وهو المشقة والطاقة، فيختص بما فيه مشقة، ليخرج عنه ما لا مشقة فيه. قال في المحصول: وهو في اللغة عبارة عن استفراغ الوسع، في أي فعل كان.

وأما في عرف الفقهاء: فهو استفراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم مع استفراغ الوسع فيه، وهذا سبيل مسائل الفروع؛ ولذلك تسمى هذه المسائل مسائل الاجتهاد، والناظر فيها مجتهدًا، وليس هكذا حال الأصولي.

ويخرج بطريق الاستنباط نيل الأحكام من النصوص ظاهرًا، أو حفظ المسائل، أو استعلامها من المفتي، أو الكشف عنها في كتب العلم، وهو ما يشير إلى مفهوم

(الاستنباط Deduction) (ص٢٩٢).

المجتهد: هو الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي، ولا بد أن يكون بالغًا عاقلًا، قد ثبتت له ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها.

شروط المجتهد:

١ - أن يكون عالمًا بمواقف الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام، ليتمكن من الرجوع إليها عند الحاجة، ولا يشترط أن يكون حافظًا، وقد حصر الإمام « الرازي » تلك الآيات في خمسمائة آية.

٢ - أن يكون عارفًا بالأحاديث النبوية المتعلقة بالأحكام، بمعنى أن يكون متمكنًا من الرجوع إليها عند الاستنباط، ولا يشترط حفظها، كما لا يشترط معرفة جميع الأحاديث.

٣ - أن يكون متمكنًا من المسائل المجمع عليها حتى لا يفتي بخلاف ما أجمع عليه، ويكفيه غلبة الظن بأن هذه المسألة مستحدثة، وليس لأهل العصور السابقة كلام فيها.

٤ - أن يعرف القياس وشرائطه المعتبرة فيه؛ لأن القياس تبنى عليه أحكام كثيرة.

٥ - أن يكون عارفًا بكيفية النظر، فيكون عارفًا بشرائط الحدود والبراهين وكيفية ترتيب المقدمات فيها، واستنتاج المطلوب منها، ليأمن من الخطأ عند النظر.

٦ - أن يكون عارفًا باللغة العربية، من نحو وتصريف؛ لأن استنباط الأحكام من الكتاب والسنة متوقف على ذلك باعتبار أنهما عربيان.

٧ - أن يعرف الناسخ والمنسوخ، حتى لا يحكم بالمنسوخ ويترك الناسخ.

٨ - أن يكون عالمًا بحال الرواة من تعديل وتجريح، حتى يعرف مقبول الرواية، ومن لا تقبل روايته. ويكفيه في ذلك الاعتماد على تعديل الأئمة السابقين، كالبخاري، ومسلم؛ لأن البحث عن حال الرواة مع طول الزمن بيننا وبينهم متعذر.

المقصد السابع من مقاصد هذا الكتاب: في التعادل والترجيح:

وفيه ثلاثة مباحث:

تناول المبحث الأول الكلام في معنيهما وفي العمل بالترجيح وفي شروطه.

فالتعادل هو التساوي، وفي الشرع استواء الأمارتين.

وأما الترجيح فهو إثبات الفضل في أحد جانبي المتقابلين، أو جعل الشيء راجحًا، ويقال مجازًا: لاعتقاد الرجحان. وله شروط منها:

١ - التساوي في الثبوت، فلا تعارض بين الكتاب وخبر الواحد، إلا من حيث الدلالة.

٢ - التساوي في القوة، فلا تعارض بين المتواتر والآحاد، بل يقدم المتواتر بالاتفاق، كما نقله إمام الحرمين.

٣ - اتفاقهما في الحكم، مع اتحاد الوقت والمحل والجهة.

وتناول المبحث الثاني مذاهب العلماء في تعارض الأدلة النقلية.

ثم تناول في المبحث الثالث وجوه الترجيح بين المعارضين لا في نفس الأمر بل في الظاهر.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **التعريف الإجرائي Operational Definition.**
- **القياس المنطقي Syllogism.**
- **المقارنة Comparison.**
- **الاستدلال Reasoning.**
- **الاستنباط Deduction.**

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

الأشباه والنظائر



○ تأليف/ ابن نجيم الحنفي زين الدين بن إبراهيم.

○ دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر (١٩٨٦م).

* **

التعريف بالمؤلف:

هو زين الدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم الحنفي. ولد بالقاهرة سنة (٩٢٦هـ) وأخذ عن علمائها. فتفقه بالشيخ قاسم بن قطلوبغا، والبرهان الكرخي، والأمين بن عبد العال الحنفي، وشرف الدين البلقيني، وشيخ الإسلام أحمد بن يونس الشهير بابن الشلبي، وأبي الفيض السلمي، ونور الدين الديلمي المالكي. أجازه الكثير من علماء عصره بالإفتاء والتدريس. وكان الفقه الحنفي أعظم اهتماماته العلمية درسًا وإفتاءً وتأليفًا. أخذ عنه العلم والفقه كثيرون، من بينهم الشيخ محمد العلمي، وأخوه الشيخ عمر بن إبراهيم المعروف أيضًا بابن نجيم. وتوفي عام (٩٧٠هـ). ودفن بجوار السيدة سكينة بنت الإمام الحسين بن علي - رضي اللّه عنهم - وترك رصيدًا كبيرًا من الكتب والرسائل.

عرض الكتاب:

يعتمد العرض على النسخة التي قام بتحقيقها محمد مطيع الحافظ، وتقع في (٥٤٢) صفحة من القطع المتوسط. ويضم الكتاب سبعة أبواب، تتناول كلًّا من:

١ - القواعد.
٢ - الفوائد.
٣ - الجمع والفرق.
٤ - الألغاز.
٥ - الحيل.
٦ - الفروق.
٧ - الحكايات والمراسلات.

الباب الأول ويندرج تحته كلٌّ من **القواعد الكلية، وقواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية** (ص١٤ - ١٩٠)، وهي أصول الفقه التي يرتقي بها الفقيه إلى درجة الاجتهاد في الفتوى.

أما القواعد الكلية فتشمل ست قواعد (ص١٤ - ١١٤)، هي:

(١) لا ثواب إلا بالنية (ص١٤).

(٢) الأمور بمقاصدها، والقصد اتصاف الشيء بالحل والحرمة باعتبار ما قُصِد له (ص٢٢).

والقاعدتان السابقتان يشملهما الكلام على النية، وفيها عشرة مباحث:

١ - حقيقة النية.

٢ - ما شرعت النية لأجله.

٣ - تعيين المنوي وعدمه.

٤ - الإخلاص في النية.

٥ - محل النية.

٦ - وقت النية.

٧ - شروط النية.

٨ - الجمع بين عبادتين بنية واحدة.

٩ - التعرض لصفة المنوي من الفريضة والنافلة والأداء والقضاء.

١٠ - عدم اشتراط استمرار النية، وحكمها في كل ركن.

(٣) اليقين لا يزول بالشك (ص٦٠)، ويتعلق بها سبع قواعد:

١ - الأصل بقاء ما كان على ما كان.

٢ - الأصل براءة الذمة.

٣ - من شك هل فعل أم لا؟ فالأصل عدمه.

٤ - الأصل العدم.

٥ - الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته.

٦ - الأصل في الأبضاع التحريم.

٧ - هل الأصل في الأشياء الإباحة أو الحظر أو التوقيف؟

(٤) المشقة تجلب التيسير، وأسباب التخفيف سبعة (ص٨٤ - ٩٠):

١ - السفر. ٢ - المرض.

٣ - الإكراه. ٤ - النسيان.

٥ - الجهل. ٦ - النقص.

٧ - العسر وعموم البلوى.

والمشاق على قسمين (ص٩٠، ٩١):

١ - مشقة لا تنفك عنها العبادة غالبًا (ص٩٠): كمشقة البرد في الوضوء والغسل، ومشقة الصوم في شدة الحر وطول النهار، ومشقة السفر للحج والجهاد وغيرهما، ومشقة ألم الحد ورجم الزناة وقتل الجناة وقتال البغاة.

٢ - مشقة تنفك عنها العبادة غالبًا، وهي على مراتب أو مستويات (ص٩١):

الأولى: مشقة عظيمة فادحة؛ كمشقة الخوف على النفوس والأطراف ومنافع الأعضاء.

الثانية: مشقة خفيفة؛ كأدنى وجع في أصبع أو أدنى صداع في الرأس أو سوء مزاج خفيف.

الثالثة: مشقة متوسطة بين هاتين؛ كمريض في رمضان يخاف من الصوم زيادة المرض أو بطء البرء.

وتخفيفات الشرع على سبعة أنواع (ص٩٢):

الأول: تخفيف إسقاط؛ كإسقاط العبادات عند وجود أعذارها.

الثاني: تخفيف تنقيص؛ كالقصر في السفر.

الثالث: تخفيف إبدال؛ كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم.

الرابع: تخفيف تقديم؛ كالجمع بعرفات.

الخامس: تخفيف تأخير؛ كالجمع بمزدلفة.

السادس: تخفيف ترخيص؛ كشرب الخمر للغصة.

السابع: تخفيف تغيير؛ كتغيير نظم الصلاة للخوف.

(٥) الضرر يزال (ص٩٤)، ويتعلق بها أربع قواعد:

١ - الضرورات تبيح المحظورات.

٢ - الضرر لا يُزال بالضرر.

٣ - ما أبيح للضرورة يتقدر بقدرها.

٤ - ما جاز لعذر بطل بزواله.

(٦) العادة محكَّمة (ص١٠١)، ويدخل تحتها بيان الرجوع إلى العرف والعادة (ص١٠١) في العديد من المسائل الفقهية، حتى صارت أصلًا؛ فالحقيقة تُتَرَك بدلالة الاستعمال والعادة.

والعادة ما استقر في النفوس من الأمور المتكررة المقبولة عند الطباع السليمة، **وأنواعها (ص١٠١) ثلاثة:**

١ - العرفية العامة؛ كوضع القدم.

٢ - العرفية الخاصة؛ كاصطلاح كل طائفة مخصوصة كالرفع للنحاة.

٣ - العرفية الشرعية؛ كالصلاة والزكاة والحج... إلخ.

وإذا تعارض العرف مع الشرع قُدِّم عرف الاستعمال، خصوصًا في الأيمان؛ إلا في مسائل يُقدَّم فيها الشرع على العرف (منها: لو حلف لا يصلي أو لا يصوم أو لا ينكح فلانة... إلخ). وكذلك، فالأيمان مبنية على العرف لا على الحقائق اللغوية.

فالعادة - إذن - تثبت بالتكرار والغلبة. وتنزل المطردة منها منزلة الشرط (فالمعروف عرفًا كالمشروط شرعًا)، ولا عبرة بالعرف الطارئ.

أما القواعد الكلية التي يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية (ص١١٥ - ١٩٠) فتشمل تسع عشرة قاعدة، هي:

(١) الاجتهاد لا يُنقض بالاجتهاد (ص١١٥).

(٢) إذا اجتمع الحلال والحرام، غلب الحرام (ص١٢١).

(٣) الإيثار في القرب (ص١٣٢).

(٤) التابع تابع (ص١٣٣)، ويدخل تحتها قواعد منها:

١ - أنه لا يُفرد بحكم.

٢ - التابع يسقط بسقوط المتبوع (ص١٣٤).

٣ - التابع لا يتقدم على المتبوع.

٤ - يغتفر في التابع ما لا يغتفر في غيره.

(٥) تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة (ص١٣٧).

(٦) الحدود تُدرأ بالشبهات (ص١٤٢).

(٧) الحر لا يدخل تحت اليد (ص١٤٦)، فلا يضمن بالغصب ولو صبيًّا.

(٨) إذا اجتمع أمران من جنس واحد ولم يختلف مقصودهما دخل أحدهما في الآخر غالبًا (ص ١٤٧).

(٩) إعمال الكلام أولى من إهماله متى أمكن وإلا أُهمل (ص ١٥٠)؛ فإذا كانت الحقيقة متعذرة يُصار إلى المجاز (والمهجور شرعًا أو عرفًا كالمتعذر)، وإن تعذرت الحقيقة والمجاز أو كان اللفظ مشتركًا بلا مرجح أُهمل لعدم الإمكان.

(١٠) الخراج بالضمان (ص١٧٥).

(١١) السؤال معاد في الجواب (ص١٧٧).

(١٢) لا ينسب إلى ساكت قول (ص١٧٨).

(١٣) الفرض أفضل من النفل إلا في مسائل (ص١٨٢).

(١٤) ما حَرُم أخذه حَرُم إعطاؤه (ص١٨٣).

(١٥) من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه (ص١٨٤).

(١٦) الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة (ص١٨٦).

(١٧) لا عبرة بالظن البيِّن خطؤه (ص١٨٨).

(١٨) ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله (ص١٨٩).

(١٩) إذا اجتمع المباشر والمتسبب أضيف الحكم إلى المباشر (ص١٩٠).

ويتناول الباب الثاني الفوائد من الأشباه والنظائر (ص١٩١ - ٣٥٨). أحصى منها ابن نجيم خمسمائة في مؤلف له عن النوع الثاني من الأشباه والنظائر. وقد رتبها هنا في أبواب مع إضافة بعض الضوابط والاستثناءات على طريقة كتب الفقه المشهورة، حتى يسهل الرجوع إليها، فشملت:

١ - الطهارة. ٢ - الصلاة.

٣ - الزكاة. ٤ - الصوم.

٥ - الحج. ٦ - النكاح.

٧ - الطلاق. ٨ - العتاق وتوابعه.

٩ - الأيمان. ١٠ - الجنايات.

١١ - السير. ١٢ - الحدود والتعزير.

١٣ - الشركة. ١٤ - البيوع.

١٥ - الكفالة. ١٦ - الفرائض.

١٧ - الوكالة. ١٨ - الإقرار.

١٩ - الصلح. ٢٠ - المضاربة.

٢١ - الهبة. ٢٢ - المداينات.

٢٣ - الإجارات. ٢٤ - الرهن.

٢٥ - الحَجر. ٢٦ - المأذون.

٢٧ - الشُّفعة. ٢٨ - القسمة.

٢٩ - الإكراه. ٣٠ - الغصْب.

٣١ - الوصايا. ٣٢ - الحظر والإباحة.

٣٣ - اللُّقَطَة والآبق والمفقود. ٣٤ - القضاء والشهادات والدعاوى.

٣٥ - الأمانات من الوديعة والعارية وغيرهما.

٣٦ - الصيد والذبائح والأضحية.

والفرق بين الضابط والقاعدة (ص١٩٢) أن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى، أما الضابط فهو الأصل الذي يجمعها من باب واحد.

وتناول الباب الثالث فن الجمع والفرق من الأشباه والنظائر (ص٣٥٩ - ٤٦٥). وفي أوله تنبيه على أحكام يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها، منها:

١ - أحكام الناسي والجاهل والمكره: حد النسيان (ص٣٦٠) في التحرير عدم تذكر الشيء وقت الحاجة إليه، وهو يرادف السهو. أما الجهل (ص٣٦١) فحقيقته عدم العلم عما من شأنه العلم.

٢ - أحكام الصبيان والعبيد والسكارى والعمي. والصبي (ص٣٦٤) لغةً: جنين ما دام في بطن أمه، فإذا انفصل فصبي إلى البلوغ، فغلام إلى تسع عشرة، فشاب إلى أربع

وثلاثين، فكهل إلى إحدى وخمسين، فشيخ إلى آخر عمره؛ وشرعًا: غلام إلى البلوغ وبعده شابٌّ، وفتًى إلى الثلاثين، فكهل إلى الخمسين، فشيخ.

٣ - أحكام الحمل.

٤ - الأحكام الأربعة (الاقتصار والاستناد والتبيين والانقلاب).

٥ - أحكام النقود (ما يتعين وما لا يتعين، وبيان جريان أحدهما مكان الآخر، وبيان حكم الساقط هل يعود أم لا؟، وما فرع على ذلك، وبيان أن النائب يملك ما لا يملكه الأصيل، وبيان ما يقبل إسقاطه من الحقوق وما لا يقبل).

٦ - بيان أن الزيوف كالجياد في بعض دون بعض.

٧ - أحكام النائم والمجنون والمعتوه (ص٣٨٢) [ضعيف العقل].

٨ - بيان ما يعتبر فيه المعنى دون اللفظ وعكسه.

٩ - أحكام الأنثى، والجن، والذمي، والمحارم.

١٠ - أحكام غيبوبة الحشفة.

١١ - أحكام العقود، والفسوخ.

١٢ - القول في الملك، وفي الدَّيْن وأحكامه، وفي ثمن المثل، وأجرة المثل، ومهر المثل.

١٣ - القول في الشرط والتعليق.

١٤ - القول في السفر.

١٥ - القول في أحكام المسجد.

١٦ - القول في الحرم.

١٧ - القول في يوم الجمعة.

١٨ - أحكام الخنثى.

١٩ - أحكام الكتابة.

٢٠ - أحكام الإشارة.

هذا ما تناوله الباب في فن الجمع. أما ما يتعلق بفن الفرق فتناول عددًا كبيرًا؛ كالفرق بين الوضوء والغسل، ومسح الخف وغسل الرِّجل... إلخ.

وفي آخره خاتمة اشتملت على عدد من الفوائد، من أهمها:

١ - **فائدة في أقسام العلوم، وما يعد منها فرض عين (ص٤٥٠)** [ما يحتاج إليه المرء لدينه]، **وفرض كفاية (ص٤٥٠)** [ما زاد عليه لنفع غيره]، **ومندوبًا (ص٤٥٠)** [التبحر في الفقه وعلم القلب]، **وحرامًا (ص٤٥٠)** [الشعوذة والتنجيم والرمل وعلم الطبيعيين والسحر]، **ومكروهًا (ص٤٥١)** [أشعار المولدين من الغزل والبطالة]، **ومباحًا (ص٤٥١)** [أشعار المولدين التي لا سخف فيها].

٢ - **فائدة عن الإمام البخاري في سبيل المحدِّث إلى الكمال في العلم (ص٤٥١، ٤٥٢)**. إذ لا يصير الرجل محدِّثًا كاملًا إلا أن يكتسب أربعًا مع أربع، كأربع مع أربع، في أربع عند أربع، بأربع على أربع، عن أربع لأربع، وهذه الرباعيات لا تتم إلا بأربع مع أربع، فإذا تمت له كلها هانت عليه أربع وابتلي بأربع، فإذا صبر أكرمه اللَّه تعالى في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع.

أما الأولى؛ فأخبار الرسول ﷺ وشرائعه، وأخبار الصحابة ومقاديرهم، والتابعين وأحوالهم، وسائر العلماء وتواريخهم.

مع أربع؛ أسماء رجالهم وكناهم وأمكنتهم وأزمنتهم.

كأربع؛ التحميد مع الخطب، والدعاء مع الترسل، والتسمية مع السورة، والتكبير مع الصلوات.

مع أربع؛ المسندات، والمرسلات، والموقوفات، والمقطوعات.

في أربع؛ في صغره، في إدراكه، في شبابه، في كهولته.

عند أربع؛ عند شغله، عند فراغه، عند فقره، عند غناه.

بأربع؛ بالجبال، بالبحار، بالبراري، بالبلدان.

على أربع؛ على الحجارة، على الأخزاف، على الجلود، على الأكتاف إلى الوقت الذي يمكن نقلها إلى الأوراق.

عن أربع؛ عمن هو فوقه، ودونه، ومثله، وعن كتاب أبيه إذا علم أنه خطه.

لأربع؛ لوجه اللَّه - تعالى - ورضاه، وللعمل به إن وافق كتاب اللَّه تعالى، ولنشره بين طالبيه، ولإحياء ذكره بعد موته.

ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع من كسبه؛ معرفة الكتابة، واللغة، والصرف، والنحو.

مع أربع من عطاء اللّه؛ الصحة، والقدرة، والحرص، والحفظ.

فإذا تمت له هذه الأشياء هانت عليه أربع؛ الأهل، والولد، والمال، والوطن.

وابتلي بأربع؛ بشماتة الأعداء، وملامة الأصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء.

فإذا صبر أكرمه اللّه تعالى في الدنيا بأربع؛ بعز القناعة، وهيبة النفس، ولذة العلم، وحياة الأبد.

وأثابه في الآخرة بأربع؛ بالشفاعة لمن أراد من إخوانه، وبظل العرش، والشرب من الكوثر، وجوار النبيين في أعلى عليين.

٣ – فائدة في اعتقاد الإنسان في مذهبه ومذهب غيره. ففيما يتعلق بمذهب (ص٤٥٢) المرء ومذهب مخالفيه، فيجب الاعتقاد بأن مذهبه صواب يحتمل الخطأ، وأن مذهب مخالفيه خطأ يحتمل الصواب. أما ما يتعلق بمعتقده (ص٤٥٢) ومعتقد خصومه، فيجب الاعتقاد بأن الحق ما هو عليه والباطل ما عليه خصومه.

٤ – فائدة العلوم ثلاثة (ص٤٥٣)؛ علم نضج وما احترق (كعلم النحو، وعلم الأصول)، وعلم لا نضج ولا احترق (كعلم البيان، والتفسير)، وعلم نضج واحترق (كعلم الفقه، والحديث).

وتتناول الباب الرابع فن الألغاز أو المعضلات (ص٤٦٦ – ٤٧٦). وفي الصحاح ألغز في كلامه إذا عمى مراده، والاسم: اللغز والجمع الألغاز. وأصل اللغز جحر اليربوع بين القاصعاء والنافقاء يحفر مستقيمًا إلى أسفل ثم يعدل عن يمينه وشماله عروضًا يعترضها فيخفي مكانه بتلك الألغاز. وقد أسفرت مطالعة مصنفات من سبقوا ابن نجيم من الفقهاء والعمد عن اشتمالها على كثير من هذه الألغاز. فانتخب ابن نجيم من بين هذه الألغاز أحسن ما أورده منها بعض الفقهاء الأحناف، تاركًا منها ما فرع على قول ضعيف.

غطت هذه الألغاز الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والعتاق والأيمان والحدود والسير والمفقود والوقف والبيع والكفالة والقضاء والشهادات والإقرار والصلح والمضاربة والهبة والإجارة والوديعة والعارية والمُكاتب والمأذون والغصب والشفعة والقسمة والأضحية والكراهية والجنايات والفرائض.

وتناول الباب الخامس الحيل (ص٤٧٧ - ٤٨٨). ويُقصد بالحيل الحذق في تدبير الأمور، وهي تقليب الفكر حتى يهتدي إلى المقصود، وأصلها الواو، واحتال: طلب الحيلة. يذكر ابن نجيم أن المشايخ قد اختلفوا في التعبير عن ذلك، فاختار كثير منهم التعبير بكتاب الحيل، واختار آخرون كتاب المخارج، وعند البعض هو الهرب من الحرام. وفي هذا أورد (٢٥) فصلًا: أولها الصلاة، يليه الصوم، ثم الزكاة، فالفدية، ثم الحج، يليه النكاح، ثم الطلاق، فالخلع، فالأيمان، فالعتاق، فالوقف والصدقة، فالشركة، فالبيع والشراء، فالهبة، فالاستبراء، فالمداينات، فالإجارات، فمنع الدعوى، فالوكالة، فالشفعة، فالصلح، فالكفالة، فالرهن، وأخيرًا الوصايا.

وتناول الباب السادس الفروق (ص٤٨٩ - ٥١١)، مختصرةً عن فروق الإمام الكرابيسي المسمى بتلقيح المحبوبي، فذكر فيها شيئًا من كل باب. وألحق بهذا المختصر تتمة للفروق، قيل أنها لأخي المؤلف. زاد فيها - على ما ذكرنا من قبل من أبواب -: كتاب الوديعة، وكتاب الشرب والأشربة، وكتاب المزارعة، وكتاب الآداب.

وتناول الباب السابع والأخير فن الحكايات والمراسلات (ص٥١٢ - ٥٢٢)، الموجزة عن مطالعات المؤلف لأواخر كتب الفتاوى، ومناقب الكردري، وطبقات عبد القادر، مقتصرًا غالبًا على ما اشتمل منها على أحكام. وذيل هذا الباب بوصية الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان لأبي يوسف - رحمهما الله تعالى - وفيها فائدة عظيمة لطلاب العلم.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **النية Intention.**
- **اليقين Certainty.**
- **الشك Doubt.**
- **أسباب تخفيف المشقة Stress Relief.**
- **المشقة Stress.**
- **مستويات المشقة Levels of Stress.**
- **العرف Custom.**

- العادة Habit.
- الضابط Controler.
- القاعدة Rule.
- النسيان Forgetting.
- الجهل Uncertainty.
- الصبي Child.
- المعتقد Belief.

القائم بالعرض

د. فؤاد أبو المكارم

* * *

الأشباه والنظائر في الفروع

○ تأليف/ السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ - ٩١١هـ).

○ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣١١) صفحة من القطع الكبير. اعلم أن فن الأشباه والنظائر فن عظيم به يطلع على حقائق الفقه، ومداركه، ومأخذه، وأسراره، ويتميز في فهمه واستحضاره، ويقتدر على الإلحاق والتخريج، ومعرفة أحكام المسائل التي ليست بمسطورة والحوادث والوقائع التي لا تنقضي على مر الزمان.

ورتب هذا الكتاب على كتب سبعة:

الكتاب الأول: في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه يرجع إليها.

الكتاب الثاني: في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية وهي أربعون قاعدة.

الكتاب الثالث: في القواعد المختلف فيها ولا يطلق الترجيح لظهور دليل أحد القولين في بعضها ومقابله في بعض وهي عشرون قاعدة.

الكتاب الرابع: في أحكام يكثر ورودها ويقبح بالفقيه جهلها كأحكام الناسي، والجاهل، والمكره، والنائم، والمجنون، والمغمى عليه، والسكران، والصبي، والعبد... إلخ.

الكتاب الخامس: في نظائر الأبواب؛ أعني التي هي من باب واحد مرتبة على أبواب الفقه. والمخاطب بهذا الباب والذي يليه المبتدئون.

الكتاب السادس: فيما افترقت فيه الأبواب المتشابهة.

الكتـــاب السابع: في نظائر شتى.

وكل كتاب من هذه الكتب السبعة لو أفرد بالتصنيف لكان كتابًا كاملًا، بل كل ترجمة من تراجمه يصلح أن يكون مؤلفًا حافلًا.

الكتاب الأول: في شرح القواعد التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها: والقواعد هي:

- **القاعدة الأولى: الأمور بمقاصدها**: وفيها مباحث:

الأول: الأصل في هذه القاعدة قوله ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات** » وهذا حديث صحيح مشهور أخرجه الأئمة الستة وغيرهم.

المبحث الثاني: فيما يرجع إلى هذه القاعدة من أبواب الفقه، اعلم أنه قد تواتر النقل عن الأئمة في تعظيم قدر حديث النية. قال « أبو عبيدة »: ليس في أخبار النبي ﷺ شيء أجمع وأغنى وأكثر فائدة منه، واتفق « الشافعي وأحمد بن حنبل وابن المهدي وابن المديني وأبو داود والدارقطني » وغيرهم على أنه ثلث العلم، ومنهم من قال: ربعه، ووجه « البيهقي » كونه ثلث العلم بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه؛ فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها؛ لأنها قد تكون عبادة مستقلة وغيرها محتاج إليها؛ ومن ثم ورد نية المؤمن خير من عمله.

وكلام الإمام « أحمد » يدل على أنه أراد بكونه ثلث العلم أنه أحد القواعد الثلاث التي ترد إليها جميع الأحكام عنده، فإنه قال أصول الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث: « **إنما الأعمال بالنيات** » وحديث: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » وحديث: « **الحلال بيِّن والحرام بيِّن** ».

المبحث الثالث: فيما شرعت النية لأجله: المقصود الأهم منها تمييز العبادات من العادات، وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض كالوضوء والغسل يتردد بين التنظيف والتبرد والعبادة، والإمساك عن المفطرات قد يكون للحمية والتداوي ولعدم الحاجة إليه، والجلوس في المسجد قد يكون للاستراحة، ودفع المال للغير قد يكون هبة أو لغرض دنيوي وقد يكون قربة كالزكاة والصدقة والكفارة، والذبح قد يكون بقصد الأكل وقد يكون للتقرب بإراقة الدماء. فشرعت النية لتمييز القُرَب من غيرها، وكل من الوضوء

والغسل والصلاة والصوم ونحوها قد يكون فرضًا ونذرًا ونفلًا. والتيمم قد يكون عن الحدث أو الجنابة وصورته واحدة، فشرعت لتمييز رتب العبادات بعضها من بعض وهو ما يشير إلى مفهوم (**نية/ مقصد السلوك Intention**) (ص٩).

المبحث الرابع: في وقت النية؛ الأصل أن وقتها أول العبادات ونحوها.

المبحث الخامس: في محل النية؛ محلها القلب قال « البيضاوي »: النية عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا من جلب نفع أو دفع ضر حالًا أو مآلًا. والشرع خصَّصه بالإرادة المتوجهة نحو الفعل لابتغاء رضا اللَّه - تعالى - وامتثال حكمه وهو ما يشير إلى مفهوم (**الدافع Motive**) (ص٢٢).

المبحث السادس: في شروط النية وهي:

١ - الإسلام: ومن ثم لم تصح العبادات من الكافر، وقيل: يصح غسله دون وضوئه وتيممه، وقيل: يصح الوضوء أيضًا. وقيل: يصح التيمم أيضًا ومحل الخلاف في الأصلي أما المرتد فلا يصح منه غسل ولا غيره.

٢ - التمييز: فلا تصح عبادة صبي لا يميز ولا مجنون.

٣ - العلم بالمنوي: قال « البغوي » وغيره: فمن جهل فرضية الوضوء أو الصلاة لم يصحَّ منه فعلها، وكذا لو علم أن بعض الصلاة فرض ولم يعلم الفرضية التي شرع فيها، وإن علم الفرضية وجهل الأركان فإن اعتقد الكل سنة أو البعض فرضًا أو البعض سنة ولم يميزها لم تصحَّ قطعًا، أو الكل فرضًا فوجهان:

أصحهما الصحة؛ لأنه ليس فيه أكثر من أنه أدى سنة باعتقاد الفرض وذلك لا يؤثر. قال « الغزالي »: العامي الذي لا يميز الفرائض من السنن تصح عبادته بشرط أن لا يقصد النفل بما هو فرض، فإن قصده لم يعتد به، وإن غفل عن التفصيل ففيه الجملة كافية.

٤ - أن لا يأتي بمنافٍ: فلو ارتد في أثناء الصلاة أو الصوم، أو الحج، أو أداء الزكاة لم يجب عليه الإعادة، وأما الأجر فإن لم يعد إلى الإسلام فلا يحصل له؛ لأن الردة تحبط العمل وإن عاد فظاهر النص أنها تحبط أيضًا وهو ما يشير إلى مفهوم (**ضبط النية - Intention Control**) (ص٢٨).

المبحث السابع: تناول فيه أمورًا متفرقة اختلف فيها الأصحاب: هل النية ركن في العبادات أو شرط؟ فاختار الأكثرون أنها ركن؛ لأنها داخل العبادات، وذلك شأن الأركان،

والشرط ما يتقدم عليها ويجب استمراره فيها، واختار « القاضي أبو الطيب وابن الصباغ » أنها شرط وإلا لافتقرت إلى نية أخرى تندرج فيها كما في أجزاء العبادات، فوجب أن تكون شرطًا خارجًا عنها، والأولون انفصلوا عن ذلك بلزوم التسلسل، واختلف كلام « الغزالي » في ذلك فعدها في الصوم ركنًا، وقال في الصلاة: هي بالشروط أشبه.

- القاعدة الثانية: اليقين لا يُزال بالشك:

ودليلها قوله ﷺ: « **إذا وجد أحدكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أَخَرَجَ منه شيء أم لا فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا** » رواه مسلم من حديث « أبي هريرة » وأصله في الصحيحين. واستعرض بعض المسائل في ذلك.

- القاعدة الثالثة: المشقة تجلب التيسير:

الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] وقوله ﷺ: « **بعثت بالحنيفية السمحة** » أخرجه أحمد في مسنده.

أوضح أن أسباب التخفيف في العبادات وغيرها سبعة:

- الأول: السفر: قال « النووي »: ورخصه ثمانية (منها) ما يختص بالطويل قطعًا وهو القصر والفطر والمسح أكثر من يوم وليلة (ومنها) ما لا يختص به قطعًا، وهو ترك الجمع وأكل الميتة (ومنها) ما فيه خلاف والأصح اختصاصه به وهو الجمع (ومنها) ما فيه خلاف، والأصح عدم اختصاصه وهو النقل على الدابة وإسقاط الفرض بالتيمم.

- الثاني: المرض رخصه كثيرة: التيمم عند مشقة استعمال الماء، وعدم الكراهة في الاستعانة بمن يصب عليه، أو يغسل أعضاءه، والقعود في صلاة الفرض وخطبة الجمعة والاضطجاع في الصلاة، والإيماء والجمع بين الصلاتين.

- الثالث: الإكراه.

- الرابع: النسيان.

- الخامس: الجهل، وفيه مباحث.

- السادس: العسر وعموم البلوى؛ كالصلاة مع النجاسة المعفو عنها، كدم القروح والدمامل والبراغيث والقيح والصديد.

- السابع: النقص.

فإنه نوع من المشقة إذ النفوس مجبولة على حب الكمال وهو ما يشير إلى مفهوم (المشقة/ الضغط Stress) انظر (ص٥٧)، فناسب التخفف في التكليفات، فمن ذلك عدم تكليف الصبي والمجنون، وعدم تكليف النساء بكثير مما يجب على الرجال كالجماعة والجمعة والجهاد والجزية وتحمل العقل وغير ذلك، وإباحة لبس الحرير وحلي الذهب وعدم تكليف الأرقاء مما على الأحرار.

- **القاعدة الرابعة: الضرر يزال:**

أصلها قوله ﷺ: « لا ضرر ولا ضرار » أخرجه « مالك » في الموطأ. ونظيرها قاعدة « درء المفاسد أولى من جلب المصالح »، فإذا تعارض مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبًا؛ لأن اعتناء الشارع بالمنهيات أشد من اعتنائه بالمأمورات؛ ولذلك قال رسول اللّه ﷺ: « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ».

- **القاعدة الخامسة: الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة:**

من الأولى مشروعية الإجارة والجعالة والحوالة ونحوها جوزت على خلاف القياس لما في الأولى من ورود العقد على منافع معدومة، وفي الثانية من الجهالة، وفي الثالثة من بيع الدَّيْن بالدَّيْن لعموم الحاجة إلى ذلك، والحاجة إذا عمت كانت كالضرورة وهو ما يشير إلى مفهوم (الحاجات Needs) انظر (ص٦٢).

- **القاعدة السادسة: العادة محكمة:**

اعلم أن اعتبار العادة والعرف راجع إليه في الفقه مسائل لا تعد كثرة؛ فمن ذلك: سن الحيض والبلوغ والإنزال وأقل الحيض والنفاس والطهر وغالبها وأكثرها وضابط القلة والكثرة في الضبط والأفعال المنافية للصلاة والنجاسات المعفو عن قليلها، وطول الزمان وقصره في موالاة الوضوء في وجه، والبناء على الصلاة في الجمع والخطبة وبين الإيجاب والقبول والسلام ورده والتأخير المانع من الرد بالعيب، وفي الشرب وسقي الدواب من الجداول والأنهار. وتناول خمسة مباحث في العادة وهو هنا يشير إلى مفهوم (العادة Habit) انظر (ص٧١).

الكتاب الثاني: في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية:

- **القاعدة الأولى: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد.**

- **القاعدة الثانية: إذا اجتمع الحلال والحرام غلب الحرام.**

- **القاعدة الثالثة: الإيثار بالقُرَب مكروه وفي غيرها محبوب:**

قال الشيخ « عز الدين » لا إيثار في القربات فلا إيثار بماء الطهارة ولا بستر العورة ولا بالصف الأول؛ لأن الغرض بالعبادات التعظيم والإجلال، فمن أثر به فقد ترك إجلال الإله وتعظيمه وقال « الإمام » لو دخل الوقت ومعه ماء يتوضأ به فوهبه لغيره ليتوضأ به لم يجز، لا أعرف فيه خلافًا؛ لأن الإيثار إنما يكون فيما يتعلق بالنفوس لا فيما يتعلق بالقرب والعبادات. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الإيثار Altruism**) انظر (ص٨١).

- **القاعدة الرابعة: التابع تابع:**

يدخل في هذه العبارة قواعد:

- الأولى: أنه لا يفرد بالحكم لأنه إنما جعل تبعًا.

- الثانية: التابع يسقط بسقوط المتبوع.

- الثالثة: التابع لا يتقدم على المتبوع.

- الرابعة: يغتفر في التوابع ما لا يغتفر في غيرها وقريب منها يغتفر في الشيء ضمنًا ما لا يغتفر فيه قصدًا، وربما يقال: يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل.

- **القاعدة الخامسة: تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة:**

هذه القاعدة نص عليها « الشافعي » وقال: منزلة الإمام من الرعية منزلة الولي من اليتيم.

- **القاعدة السادسة: الحدود تسقط بالشبهات:**

قال ﷺ: « **ادرأوا الحدود بالشبهات** ».

- **القاعدة السابعة: الحر لا يدخل تحت اليد:**

ولهذا لو حبس حرًّا ولم يمنعه الطعام حتى مات حتف أنفه بانهدام حائط ونحوه لم يضمنه ولو كان عبدًا ضمنه ولا يضمن منافعه ما دام في حبسه إذا لم يستوفها، وتضمن منافع العبد، ولو وطئ حرة بشبهة فأحبلها وماتت بالولادة لم تجب ديتها في الأصح، ولو كانت أمة وجبت القيمة، ولو طاوعته الحرة على الزنا فلا مهر لها بالإجماع، ولو طاوعته أمة فلها المهر في رأي؛ لأن الحق للسيد فلا يؤثر إسقاطها وإن كان الأصح خلافه.

- **القاعدة الثامنة: الحريم له حكم ما هو حريم له:**

الأصل في ذلك قوله ﷺ: « **الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن**

كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ».

قال « الزركشي »: الحريم يدخل في الواجب والحرام والمكروه وكل محرم له حريم يحيط به، والحريم هو المحيط بالحرام كالفخذين، فإنهما حريم للعورة الكبرى، وحريم الواجب ما لا يتم الواجب إلا به، ومن ثم وجب غسل جزء من الرقبة والرأس مع الوجه ليتحقق غسله، وغسل جزء من العضد والساق مع الذراع، وستر جزء من السرة والركبة مع العورة، وجزء من الوجه مع الرأس للمرأة، ويحرم الاستمتاع بما بين السرة والركبة مع العورة في الحيض لحرمة الفرج.

- **القاعدة التاسعة: إذا اجتمع أمران من جنس واحد ولم يختلف مقصودهما دخل أحدهما في الآخر:**

ومن ذلك إذا اجتمع حدث وجنابة كفى الغسل على المذهب.

- **القاعدة العاشرة: إعمال الكلام أولى من إهماله.**

- **القاعدة الحادية عشرة: الخراج بالضمان:**

هو حديث صحيح أخرجه « الشافعي وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان » من حديث عائشة وفي بعض طرقه ذكر السبب وهو أن رجلًا ابتاع عبدًا فأقام عنده ما شاء اللّه أن يقيم، ثم وجد به عيبًا فخاصمه إلى « النبي ﷺ » فرده عليه، فقال الرجل: يا رسول اللّه قد استعمل غلامي، فقال: « **الخراج بالضمان** ». قال « أبو عبيدة »: الخراج في هذا الحديث غلة العبد يشتريه الرجل فيستعمله زمانًا ثم يعثر منه على عيب دسه البائع فيرده ويأخذ جميع الثمن ويفوز بغلته كلها؛ لأنه كان في ضمانه.

- **القاعدة الثانية عشرة: الخروج من الخلاف مستحب.**

- **القاعدة الثالثة عشرة: الدفع أقوى من الرفع.**

- **القاعدة الرابعة عشرة: الرخص لا تناط بالمعاصي:**

ومن ثم لا يستبيح العاصي بسفره شيئًا من رخص السفر من القصر والجمع والفطر، والمسح ثلاثًا، والتنفل على الراحلة، وترك الجمعة، وأكل الميتة، وكذا التيمم.

- **القاعدة الخامسة عشرة: الرخص لا تناط بالشك.**

- **القاعدة السادسة عشرة: الرضا بالشيء رضا بما يتولد منه.**

- القاعدة السابعة عشرة: السؤال معاد في الجواب:

فلو قيل له على وجه الاستخبار: أطَلَّقت زوجتك؟ وقال: نعم، كان إقرارًا به يؤخذ به في الظاهر ولو كان كاذبًا.

- القاعدة الثامنة عشرة: لا ينسب إلى ساكت قول.

- القاعدة التاسعة عشرة: ما كان أكثر فعلًا كان أكثر منه فضلًا:

أصله قوله « ﷺ »: « **أجرك على قدر نصبك** ». رواه مسلم.

ثم تناول باقي الأربعين قاعدة منها: المتعدي أفضل من القاصر، والفرض أفضل من النفل، والفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى من المتعلقة بمكانها، والواجب لا يترك إلا لواجب، وما أوجب أعظم الأمرين بخصوصه لا يوجب دونهما بعمومه، وما ثبت بالشرع مقدم على ما وجب بالشرط؛ ولهذا لا يصح نذر الواجب، ما حرم استعماله حرم اتخاذه، وما حرم أخذه حرم إعطاؤه كالربا ومهر البغي وحلوان الكاهن والرشوة، المشغول لا يشغل ولهذا لو رهن رهنًا بدين ثم رهنه بآخر لم يجز في الجديد، ومن نظائره لا يجوز الإحرام بالعمرة للعاكف بمنًى لاشتغاله بالرمي والمبيت ومنها لا يجوز إيراد عقدين على عين في محل واحد، والاشتغال بغير المقصود إعراض.

الكتاب الثالث: في القواعد المختلف فيها لا يطلق الترجيح لاختلافه في الفروع:

وهي عشرون قاعدة منها:

الجمعة ظهر مقصورة أو صلاة على حالها، والصلاة خلف المحدث المجهول الحال، والنذر هل يسلك به مسلك الواجب، وهل العبرة بصيغ العقود أو بمعانيها خلاف والترجيح مختلف، والحوالة هل بيع أو استيفاء خلاف، والإبراء هل هو إسقاط أو تمليك قولان والترجيح مختلف، والإقالة هل هي فسخ أو بيع، والصداق المعين في يد الزوج قبل القبض مضمون ضمان عقد أو ضمان يد، والطلاق الرجعي هل يقطع النكاح أو لا، والظهار هل المغلب فيه مشابهة الطلاق أو مشابهة اليمين، وفرض الكفاية هل يتعين بالشروع أم لا، وهل العبرة بالحال أو بالمال، وإذا بطل الخصوص هل يبقى العموم، والحمل هل يعطى حكم المعلوم أو المجهول، والقادر على اليقين هل له الاجتهاد والأخذ بالظن.

الكتاب الرابع: في أحكام يكثر ورودها ويقبح بالفقيه جهلها:

القول في أحكام الناسي والجاهل والمكره، قال رسول اللَّه ﷺ: « **إن اللَّه وضع عن**

أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» حديث حسن أخرجه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم.

- من يقبل منه دعوى جهل ومن لا يقبل:

كل من جهل تحريم شيء مما يشترك فيه غالب الناس لم يقبل إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة عن العلماء، ويخفى فيها مثل ذلك كتحريم الزنا والقتل والسرقة والخمر والكلام في الصلاة، والأكل في الصوم، والقتل بالشهادة إذا رجعا وقالا: تعمدنا ولم نعلم أنه يقتل بشهادتنا، ووطء المغصوبة والمرهونة بدون إذن الراهن.

- القول في أحكام الصبي:

قال في كفاية المتحفظ: الولد ما دام في بطن أمه فهو جنين، فإذا ولدته يسمى صبيًّا فإذا فطم سمي غلامًا على سبع سنين، ثم يصير يافعًا إلى عشر، ثم يصير جزورًا إلى خمسة عشر، وهو ما يشير إلى أهمية دراسة مراحل الارتقاء **Development Stages** في علم النفس الارتقائي انظر (ص١٤٢).

- القول في أحكام الأنثى:

تُخالف الذكرَ في أحكام: لا يجزئ في بولها النضح ولا الحجر إن كانت بنتًا، والسنة في عانتها النتف، ولا يجب ختانها في وجه، ويجب عليها غسل باطن لحيتها ويسن حلقها، وتمنع من حلق رأسها، ولبنها طاهر، وتزيد أسباب البلوغ بالحيض والحمل.

ثم تناول القول في أحكام الجان، والقول في أحكام المحارم، وسرد صرائح الأبواب وكنايتها، وتناول تقسيم المضمونات، وأيضًا الكلام في مهر المثل، والقول في الاستثناء، والقول في الأداء والقضاء والإعادة والتعجيل، وتناول أحكام يوم الجمعة.

الكتاب الخامس: في نظائر الأبواب:

ذكر المسائل التي لا يتنجس منها الماء القليل والمانع بالملاقاة عشر، وتناول باب السواك، وأسباب الحدث، وباب الاستنجاء، والوضوء، ومسح الخف، والغسل والتيمم، وباب النجاسات وتقسيمها، وباب الحيض، والصلاة وتارك الصلاة والأذان واستقبال القبلة، وصفة الصلاة، وسجود السهو، وصلاة النفل، والجماعة، وتناول باب الإمامة، وصلاة المسافر والجمعة والعيد والاستسقاء، والجنازة، كما تناول أيضًا باب الزكاة، والصيام، والحج، والصيد، والأطعمة، والبيع، وما يجبر فيه المالك على بيع ملكه وفيه

فروع، وباب البيع والشروط في البيع أربعة أقسام، ثم تناول باب السلم، والقرض، والرهن، والحجر، والصلح، والحوالة، والضمانة، والإبراء، والشركة، والوكالة، والإقرار، والإعارة، والوديعة، والغصب، والإجارة، والهبة، والوصايا، ومحرمات النكاح، والصداق، كما أشار إلى باب الطلاق، والإيلاء، والظهار، واللعان، والعدة، والرضاع، والنفقات والحضانة، والقصاص، والديات، والردة، والتعزير، والجهاد... إلخ.

الكتاب السادس: في أبواب متشابهة وما افترقت فيها.

الكتاب السابع: في نظائر شتى: وذكر فيها الصور التي يقوم فيها مضي الزمان مقام الفعل، والمسائل التي يفتي فيها على القديم وهي بضع عشرة والمسائل التي لا يعذر فيها بالجهل وقد نظم بعضها.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **نية/ مقصد السلوك Intention.**
- **دافع Motive.**
- **ضبط النية Intention Control.**
- **المشقة/ الضغط Stress.**
- **الحاجات Needs.**
- **العادة Habit.**
- **الإيثار Altruism.**
- **مراحل الارتقاء Development stages.**

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

أصول الفقه



○ تأليف/ الخضري محمد (تاريخ مولده ووفاته غير مبين).

○ القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى (١٩٦٩م)، (ط٦).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ محمد الخضري بك، عمل في السودان بكلية جوردون مدرسًا للطلبة الذين يؤهلون للعمل كقضاة بمحاكم السودان الشرعية. كما عمل بمدرسة القضاء الشرعي في مصر، ومفتشًا بوزارة المعارف، ثم عمل مدرسًا للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٩١) صفحة، أفردها المؤلف للحديث عن موضوع أصول الفقه وتعريفه، واستمداده والغاية منه. وقد قسم الكتاب إلى أربعة أقسام أو بتعبير الكاتب أربعة كتب، كل كتاب يختص بقضية فقهية معينة، كالتالي:

الكتاب الأول: **في الأحكام.**

الكتاب الثاني: **في طريق الاستنباط.**

الكتاب الثالث: **في الأدلة.**

الكتاب الرابع: **في الاجتهاد.**

فقد خصص الكتاب الأول للحديث عن الأحكام، فيعرف الحكم ويقسمه إلى تكليفي ووضعي، الحاكم والمحكوم فيه، وهو فعل المكلف والمحكوم عليه وهو المكلف. كما يتكلم عن الواجب وتقاسيمه وعن الأداء والقضاء والإعادة، وحكم الرخصة.

* وقد ورد في **الكتاب الأول** بعض المدلولات النفسية ؛ حيث يذكر في (ص٦) في سياق كلامه عن الفهم أنه « الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، فاعرف الأشباه والأمثال، وقس الأمور عند ذلك واعمد إلى أقربها إلى اللَّه وأشبهها

بالحق » وهذا المعنى قريب إلى مفهوم التفكير الاستدلالي **Reasoning Thinking**.

كذلك ورد في (ص١٣) لفظ علم الجدل **Argumentation** ويقصد بها « القواعد التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء أكان حكمًا شرعيًّا أم لا ».

كما يذكر في (ص٣٩) كلمة الأداء **Performance** « الأداء فعل الواجب في الوقت المقدر له شرعًا ».

كذلك أورد في (ص٧٧) تعريف لكلمة القدرة **Ability** « فالقدرة لا تكن إلا مع الفعل، وأن القدرة هي مناط التكليف » ويذكر في موضع آخر بنفس الصفحة « أن القدرة على الفعل شرط التكليف فلا تكليف بممتنع ».

وفي (ص٧٨) تعريف الشاق من الأعمال (المشقة **Stress**) فيذكر « أن من الأعمال ما يدخل تحت مقدور المكلف ولكنه يشق عليه فعله. ويقسم العمل الشاق إلى ضربين في (ص٧٩):

الأول: ما يكون خارجًا عن المعتاد في الأعمال بحيث يشوش على النفوس تصرفها ويقلقها في القيام بما فيه تلك المشقة.

الثاني: ألا تكون المشقة فيه واصلة إلى حد الضرب الأول، ولكن نفس التكليف به زيادة على ما جرت به العادات قبل التكليف به فهو شاق على النفس؛ ولذلك أطلق عليه لفظ التكليف؛ إذ هو في اللغة يقتضي معنى المشقة ».

وفي (ص٨٩): يقدم وصفًا لأعراض السُّكْر (التسمم الكحولي **Alcoholism**) فيقول: « أن يتحاشوا الصلاة إذا سكروا وصارت ذاكرتهم لا تحافظ على نظام الآي؛ فالآية خطاب لقوم يعقلون ويفهمون بدليل قدرتهم على قصد الصلاة وأداء أركانها، وغاية أمرهم أن حافظتهم ضعفت عن استحضار الآيات غير مشوشة. والآية تشير إلى الكف عن شرب الخمر؛ لأن حال النشوة **Elation** تلزمهم ألا يصلُّوا وهم مأمورون أن لا يخرجوا الصلاة عن وقتها ولا يدرون متى يصحون ».

ويذكر في موضع آخر في (ص٩٨) تعريف آخر للسُّكْر (التسمم الكحولي) بأنه « غيبة العقل من خمر أو ما يشبهه حتى يختلط الكلام ويحصل الهذيان **Deliruim** ».

ثم يتكلم في (ص٩١) عما نسميه الآن مراحل الارتقاء؛ حيث يذكر « أنه لما كان الإنسان يتقلب في أدوار بالنسبة لاستقلاله وعقله، رأى الحنفية أن يذكروا أحكامه من

بدء تكونه إلى تمام عقله، فقسموا حياته إلى أدوار أربعة:

الدور الأول: دور الجنين Fetus.

الدور الثاني: دور الانفصال إلى التمييز Infantile Period « أي: متى انفصل الجنين حيًّا ثبت استقلاله ».

الدور الثالث: دور التمييز إلى البلوغ Adolescence Period.

الدور الرابع: دور ما بعد البلوغ Adulthood Period.

ويرد في (ص٩٤) بعض المفاهيم النفسية أثناء تقديمه تعريف لعوارض الأهلية ومنها:

الجنون (الذهانية) Psychoticism « وهو اختلال في العقل يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهجه ».

وفي (ص٩٥) **العته Dementia** « وهو اختلال في العقل بحيث يختلط كلامه فيشبه مرة كلام العقلاء ومرة كلام المجانين، وكذا سائر أموره ».

وفي نفس الصفحة ورد مفهوم النسيان Forgetting « وهو عدم استحضار الشيء في وقت الحاجة إليه ».

وفي (ص٩٦) **النوم Sleeping** « وهو عارض يمنع فهم الخطاب فأوجب تأخير خطاب الأداء ».

الإغماء Coma « وهو عارض يمنع فهم الخطاب فوق منع النوم له، فلزمه ما لزم النوم ».

وورد في (ص١٠٦) **مفهوم الإكراه Compel** ويعرفه بأنه « حمل الإنسان غيره على ما لا يرضاه قولًا أو فعلًا، بحيث لو خلي ونفسه لما باشره ».

كذلك ورد مفهوم الاختيار **Selection** في نفس الصفحة ويعرفه على أنه « ترجيح فعل الشيء ».

وكذلك الرضا Satisfaction « ارتياح إلى فعل الشيء ».

* أما الكتاب الثاني فيخصصه للكلام في كيفية استثمار الأحكام من الألفاظ، والدلالات. كما يتحدث عن الأمر والنهي.

* وبالنسبة للكتاب الثالث فهو عن أدلة الأحكام التفصيلية ويقسمها إلى أدلة شرعية

لا تنافي قضايا العقول وأدلة نقلية وعقلية. كما يتحدث عن السنة والسند وشرائط الراوي، ويتحدث أيضًا عن مجال الاجتهاد ومجال القياس الذي يقسمه بدوره إلى خفي وجلي.

وقد ورد في هذا الجزء مفهوم التأسي (ص٢٣٧) (**الاقتداء بمفاهيم علم النفس Modeling**) « وهو أن نفعل مثل ما يفعل الرسول ﷺ على الوجه الذي فعله لأجل الاقتداء به ».

* ثم يختتم الكتاب بالكتاب الرابع والذي يخصصه للكلام عن الاجتهاد والتقليد، فيذكر حكم الاجتهاد وشروطه، ووجود الاجتهاد وحرمة التقليد.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **التفكير الاستدلالي Reasoning Thinking.**
- **علم الجدل Argumentation.**
- **الأداء Performance.**
- **القدرة Ability.**
- **المشقة Stress.**
- **السكر (التسمم الكحولي) Alcoholism.**
- **النشوة Elation.**
- **الهذيان Deliruim.**
- **دور الجنين Fetus.**
- **دور الانفصال إلى التمييز Infantile Period.**
- **دور التمييز إلى البلوغ Adolescence Period.**
- **دورما بعد البلوغ Adulthood Period.**
- **الذهانية Psychoticism.**
- **العته Dementia.**
- **النسيان Forgetting.**
- **النوم Sleeping.**

- الإغماء **Coma**.
- مفهوم الإكراه **Compel**.
- مفهوم الاختيار **Selection**.
- الرضا **Satisfaction**.
- الاقتداء **Modeling**.

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

إعجاز القرآن



- تأليف/ الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب.
- تحقيق/ السيد أحمد صقر.
- القاهرة: دار المعارف (١٩٩٥م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

وهو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، ولد في البصرة، وعاش في بغداد، وتتلمذ على عدد كبير من العلماء، وأقام في كنف عضد الدولة، وذكر أنه كان رسول عضد الدولة إلى ملك الروم، ولما عاد إلى بغداد تولى وظيفة القضاء، وقد أوقف الباقلاني حياته على أمرين: التدريس والتأليف، وألف هذا الكتاب عام (٤٠٣هـ).

وكانت له من الكتب نيف وخمسون كتابًا، وأشار محقق الكتاب لعدد (١٨) كتابًا واصفًا إياها، وما قيل عنها، ثم أجمل بقية الكتب، ثم ذكر مجموعة آراء العلماء في الباقلاني، كما ذكر كل ما قيل من عيوب الباقلاني ودافع عن كل تلك الادعاءات، ومات في (٧) من ذي الحجة عام (٧٠٣هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٩٣) صفحة من القطع المتوسط، ويبدأ بمقدمة للمحقق كتبها في سبتمبر عام (١٩٥٤م)، أوضح فيها معجزات الأنبياء المختلفة الحسية منها والعينية، مشيرًا فيها إلى أن القرآن إحدى معجزات الرسول الكريم، ولقد تباينت آراء العرب حوله لبيانه وروعة معانيه، فقال بعضهم أنه شعر، وذكر آخرون أنه سحر، وأن اللَّه أمر المسلمين بتلاوته للتفكر في معانيه والاهتداء ببصائره وهداه، وأن فريقًا من أعدائه طعنوا في إعجازه وجاهروا بشكوكهم، فقام عدد من العلماء يدرأون عنه، ويأتون بالأدلة الواقعة، وألفوا كتبًا للرد عليهم منهم أبو محمد عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وتحدث الكثير عن مسألة الإعجاز منهم علي بن زين في كتابه (الدين والدولة).

وذكر من الكتب التي تحدثت عن إعجاز القرآن أولها: « إعجاز القرآن في نظمه

وتأليفه » لأبي عبد اللَّه: محمد بن يزيد الواسطي، ومن الكتب المؤلفة في القرن الرابع عن إعجاز القرآن ثلاثة أولها: كتاب الرماني ويعرف بالإخشيدي، وبدأوا ببيان إعجاز القرآن، وقسم البلاغة ثلاث طبقات وأن بلاغة القرآن أعلاها طبقة.

والثاني: كتاب الخطابي وهو حمد بن الخطاب البستي؛ حيث صنف ما قيل عن إعجاز القرآن، وقسم فيه طبقات الكلام.

أما الأخير فهو كتاب الباقلاني، ويتكون الكتاب من ستة عشر فصلًا بدأها المؤلف بمقدمة تحدث فيها عن القرآن، وكيف أن أنصاره ابتعدوا عنه فأتاحوا للمغرضين التشكيك فيه، ومحاولة رد جزء بسيط من ذلك التشكيك مما كان على من سبقوه من فصحاء العرب توليه.

وبدأ **الفصل الأول بالحديث عن أن « معجزة نبوة محمد ﷺ هي القرآن »**، وأن معجزة القرآن تتطلب التأمل، على العكس من المعجزات العينية المباشرة كفلق البحر وإخراج اليد البيضاء، وأن أول علامات إعجازه أنه بلسان عربي مبين؛ لما للعربية من الكثير من المعاني والاستعارات والإشارات ووجوه الاستعمالات البديعة.

وذكر أن الرسول ﷺ يعلم أن ما يسمعه كلام اللَّه من جهة الاستدلال، ونحن نعلم ما نقرؤه (ما نعلمه) من هذا على جهة الاستدلال (الاستدلال على معنى ومعجزة القرآن).

وفي **الفصل الثاني « في جملة وجوه إعجاز القرآن »**، ذكر أنها ثلاثة: الأول: هو الإخبار عن الغيوب مما لا يقدر عليه بشر، والثاني: أن محمدًا كان أميًا لا يكتب ولا يحسن القراءة، والثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة لحد يعجز الخلق عنه.

وفي **الفصل الثالث « في شرح وجوه إعجاز القرآن »**، أكد أولًا: أن إخبار القرآن عن الغيوب وصدقه وإصابته في تلك القصص إحدى أوجه إعجاز القرآن، وثانيًا: أن من كان يتلو تلك القصص هو من لم يقف على تلك الأخبار ولم يدرس الآثار، أما ثالثًا: أنه إعجاز في النظم والتأليف والوصف فهو خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام أهل العرب، ومخالف لأساليب خطابهم.

وفي **الفصل الرابع « في نفي الشعر عن القرآن »**، ذكر المؤلف في عدة مواضع قرآنية آيات تنفي الشعر عن القرآن منها: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤١]. وفسَّر بعضهم قولهم أنه شاعر إما أنهم نسبوه إلى أنه يشعر بما لا يشعر به غيره من الصنعة اللطيفة في نظم الكلام،

أو محمولًا على ما كان يرونه في حكمائهم في وصفهم إياهم بالشعر لدقة نظرهم في وجوه الكلام وطرق لهم في المنطق، وفسر أن القرآن ليس كلامًا موزونًا كالشعر المعتاد المتساوي في الإجراء.

وفي **الفصل الخامس « في نفي السجع عن القرآن »**، حيث حاول بعض العلماء نفي السجع عن القرآن لعظمته وحاول بعض آخر إثباته مما يبين به من فضل الكلام والفصاحة.

وفي **الفصل السادس « في ذكر البديع من الكلام »**، ذكر المؤلف أن بديع الكلام في القرآن كامن من باب إظهار إعجازه وضرب أمثلة على أوجه الإبداع في القرآن منها ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، و ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، ومن الكلمات الجامعة الحكيمة ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وعدد من الألفاظ الفصيحة والإلهية ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٍ ﴾ [النمل: ٩١]. وذكر هنا كثير من أوجه البديع في الكلام.

وفي **الفصل السابع « في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن »**، ضرب هنا المؤلف العديد من الأمثلة على الأشعار والكلمات المنثورة والمخاطبات الدائرة بينهم منها خطب للنبي، والإمام علي، وذلك ليتعلم الفرد الفصل بين كلام الناس وكلام رب العالمين.

وذكر أن الكلام **Speech** موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس، وعلى الفرد أن يتخير من اللفظ الأقرب إلى الدلالة على المراد، وأوضح في الإبانة عن المعنى المطلوب، ولم يكن مستكره المطلع على الأذن، ولا مستنكر المورد على النفس، حتى يتأبى بغرابته في اللفظ عن الإفهام، أو يمتنع بصعوبة معناه عن الإنابة، ويجب البعد عن العامي اللفظ، مبتذل العبارة، ركيك المعنى سفسافي الوضع (ص١١٧).

وفي **الفصل الثامن** ذكر المؤلف أن بلاغة القرآن وإعجازه لن يتضح إلا إذا عرض إلى قصيدة وضعها أحد الشعراء الفصحاء الماهرين، وعرض أولًا لكلام مسيلمة الكذاب والذي ادعى النبوة وزعم مقولات له أنها قرآن منزل، وأفاض في وصف ما بهذا الكلام من نواقص لغوية.

ثم ذكر مثالًا لأحد الشعراء الذين لا ترتاب في براعتهم الشعرية وهو امرؤ القيس، وأبان نواقصه ليوضح كيف أن نظم القرآن متميز وأسلوبه متخصص عظيم الشأن وتلاه بنقد لقصيدة للبحتري.

وذكر أهمية معرفة الكلام وأنه أشد من المعرفة بجميع ما وصف وتصوير لما في النفس، وتشكيل ما في القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده، وإن كان قد يقع بالإشارة،

ويحصل بالدلالة والأمارة، كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح؛ فللإشارات أيضًا مراتب وللسان منازل، ورب وصف يصور الموصوف كما هو، ورب وصف يزيد عليه ويتعداه، ورب وصف قصر عنه. إذا صدق الوصف انقسم إلى صحة وإتقان، وحسن وإحسان، وإجمال وشرح واستيفاء وتقريب.

وفي **الفصل التاسع « في الرد على سؤال لو عجز أهل عصر الرسول عن الإتيان بمثل القرآن ربما استطاع من بعدهم؟ »**، وأجاب بأنه إذا كان أهل ذلك العصر عاجزين عن ذلك كان من بعدهم أعجز؛ لأنهم لا يساوونهم أو يقاربونهم فصاحة.

وفي **الفصل العاشر « في التحدي »**، أوضح أن الذين لا يتقنون العربية وفصاحتها ربما لا يدركون إعجاز القرآن إلا إذا تحدى الرسول فصحائهم الإتيان بمثله؛ حتى يدرك الجميع مصادر إعجازه.

وفي **الفصل الحادي عشر « في قدر المعجز من القرآن »**، حدد أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة، وذهب بعضهم إلى أن كل سورة هي معجزة، وعندما تحدى الرسول تحدى بالسور كلها ولم يخصَّ إحداها، ولم يأتوا شيئًا منها بمثله، فعلم أن جميع ذلك معجز.

وفي **الفصل الثاني عشر في أنه هل العلم بإعجاز القرآن ضرورة؟** إذ يرى أن البليغ والأعجمي قد يصل إلى إعجاز القرآن بالاستدلال عليه (**الاستدلال Reasoning**) (ص٣٩٣).

وفي **الفصل الثالث عشر فيما يتعلق به الإعجاز**، ذكروا أن الرسول تحداهم أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها، متتابعة كتتابعها، مطردة كاطرادها، وليس بمثل الكلام القديم الذي لا مثيل له.

وفي **الفصل الرابع عشر « في وصف وجوه البلاغة »**، قسمها إلى عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. وذكر أدلة على كل نوع منها، وذكر أن القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مرتبة ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم وسلامته، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في النفس موقع القبول، وتصوره تصور المشاهد.

وفي **الفصل الخامس عشر « في كلام النبي وأمور تتصل بالإعجاز »**، سأل سائل إن كان

النبي أفصح العرب فهل يمكن أن يكون القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة بقدر لا يبلغه غيره؟ ورد عليه أن كل من كان في عصر الرسول عجز عنه، وأن الرسول لو كان أفصحهم بما أعطاه اللَّه إلا أننا سنجد فرقًا بين ما ينظمه الرسول وكلام اللَّه ﷻ، وتحقق الجميع من أن القرآن نزل على الرسول وظهر من جهته وجعله علمًا على نبوته.

وفي **الفصل السادس عشر « نهاية الكلام »**، ذكر أنه إذا كان الكلام صعبًا وتمييزه شديدًا والوقوع على اختلاف فنونه متعذرًا، وهذا يتضح في كلام الآدميين، فما ظنك بكلام رب العالمين. وكما ذكر أنواع البيان والبديع في الكلام سواء في الجملة والأسلوب والفواتح والخواتم والمبادئ والمثاني، ونظم السور والآيات، ثم الكلام بأنواعه والفصل والوصل من معنًى لمعنًى والجمع بين المؤتلف والمختلف وكثرة التصرف، والبعد عن التكلف والإبداع في المعاني والكلمات، كل هذا يدل على أنه يصدر من رب العالمين، وأن القرآن دل على صدق من حمله وعلى صحة قول المرسل به.

ثم ينتهي الكتاب بفهرس الآيات، والأحاديث، والأشعار، والأعلام، والكتب الواردة في كتاب الإعجاز، والمراجع ثم الموضوعات.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الكلام Speech.**
- **الاستدلال Reasoning.**

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين



○ تأليف/ الشوكاني الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ).

○ **على كتاب عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لابن الجزري.**

○ بيروت: دار الكتب العلمية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

مؤلف الكتاب ابن الجزري الذي ولد بدمشق عام إحدى وخمسين وسبع مائة، وقد مهر في كثير من العلوم خصوصًا علم القرآن، ومن كتبه (النشر في القراءات العشر)، وكذلك (التوضيح في شرح المصابيح)، وكتاب (الحصن الحصين) والذي اختصره في (عدة الحصن الحصين)، وعاش في اليمن عام (٨٢٨هـ) ثم عاد إلى القاهرة عام (٨٢٩هـ)، وتوجه منها إلى شيراز وتوفي بها عام (٨٣٣هـ).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٩١) صفحة من القطع المتوسط، يبدأ بمقدمة للإمام الشارح الشوكاني، المتوفى عام (١٢٥٠هـ)، وترجمة لمؤلف الكتاب الإمام ابن الجزري، ويتكون الكتاب من عشرة أبواب يبدأ بمقدمة للشارح للإمام محمد الشوكاني حول فضل هذا الكتاب، ومدى حسن صنعه وإتقانه وأحكامه.

وبدأ ابن الجزري الكتاب بخطبة ذكر فيها هدفه من تأليف الكتاب ورموزه للكتب التي استخرج منها الأحاديث التي استشهد بها في الكتاب، وصنف أبوابه إلى عشرة أبواب.

الباب الأول: في فضل الذكر والدعاء والصلاة على الرسول وآداب ذلك.

وذكر عدة أحاديث قدسية ترغب العباد في تحسين ظنهم بالخالق، وأن اللَّه يعامل العباد حسبًا لظنهم به، فمن ظن به خيرًا أفاض عليه جزيل خيراته، ونشر عليه محاسن كراماته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن اللَّه - تعالى - معه على هذا النحو، واستدل على رحمة اللَّه ﷻ، وأن ذكر اللَّه لا يفضل عليه شيء من جميع أنواع الصدقة، والجهاد، وأن من يذكر اللَّه ومن يسهو عنه مثل الحي والميت. وذكر أن حلقات ذكر اللَّه ومجالس

العلم النافع -وهو علم الكتاب والسنة - تعد من رياض الجنة، وأن الدعاء عبادة. وذَكَر أن في ذِكْر الرسول والصلاة عليه تقربًا منه وطلبًا للشفاعة، وأن من آداب الذكر أن يكون مكان الذكر نظيفًا، ومن صفات الذاكر أن يكون متعقلًا نظيفًا، ومن آدابه الوضوء واستقبال القبلة والصلاة والخشوع والثناء على اللَّه والصلاة على نبيه وبسط اليدين ورفعهما مع التأدب، والخشوع والأدعية المأثورة، وتكرار الدعاء، واستطرد المؤلف والشارح في شرح كل من هذه الآداب على حدة.

وذكر في (ص٢٩) **الكُرَب (المشاق) Stresses**: جمع كربة، وهي ما يأخذ النفس من الغم، وأن الدعاء يساعد الإنسان على التخلص من كربه.

الباب الثاني: عن أوقات الإجابة وأحوالها وأماكنها، ومن يستجاب له، واسم اللَّه الأعظم، وأسماء اللَّه الحسنى، وعلامة الاستجابة والحمد عليها:

فحدد المؤلف الأوقات التي يستحب فيها الدعاء، منها في ليلة القدر، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وليلة الجمعة، ويوم الجمعة، وساعة الجمعة، وجوف الليل، ونصفه الثاني، ووقت السحر، وعند نداء الصلاة، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود، وعند تلاوة القرآن، وبخاصة الختم، وعند شرب ماء زمزم. وأن من يستجاب دعاؤه هو المضطر، والمظلوم، والوالد على ولده، والإمام العادل، والرجل الصالح، والولد البار بوالديه، والمسافر، والصائم حتى يفطر، والمسلم لأخيه بظهر الغيب، والمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم، والتائب. وأن اسم اللَّه الأعظم هو دعوة سيدنا يونس ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وربما تكون « لا إله إلا هو الحي القيوم ». وأن علامة استجابة الدعاء هي الخشية والبكاء والقشعريرة وسكون القلب.

وذكر في (ص٧٩) أن سوء الكبر هو **الخرف Dementia** وهو ذهاب العقل، وفي (ص٨٣) الروعة بمعنى **الفزع Panic**.

والباب الثالث: في أذكار الصباح والمساء، والليل والنهار، وأحوال النوم واليقظة.

والباب الرابع: فيما يتعلق بالطهور والمسجد والأذان والإقامة والصلاة الراتبة والصلوات المنصوصة:

وبدأ بفضل التسمية قبل أي فعل، والتشهد بعد الوضوء والذي يفتح أبواب الجنة والسلام على الرسول عند الدخول والخروج، وما يقال عند سماع الأذان، وكل ما يقال في الصلاة من أدعية وأذكار، ثم ذكر عدة أدعية منها: « اللَّهم إني أعوذ بك من الجبن،

وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر ».

وذكر في (ص٩١) الهم والحزن وهو الغم على الفائت إذا كانت الزاي مسكونة وبفتحها ضد السرور، وقيل: والفرق بين الهم والحزن...، وذكر أن **الهم (الاكتئاب) depression** إنما يكون لأمر متوقع، وأن **الحزن sadness** يكون من أمر قد وقع، وقيل: إن الفرق بين الهم والحزن أن الحزن للماضي والهم للمستقبل، وقيل: الفرق بينهما في الشدة والضعف فالهم أشد في النفس من الحزن لما يحصل فيها من الغم بسببه.

وذكر في (ص٩١) **العجز deficiency**، وهو ضد القدرة وأصله التأخر عن الشيء. وفي (ص١٠٣) **الكف Inhibition** بمعنى المنع. وفي (ص١١٦) يَفرُط بمعنى العدوان ومجاوزة الحد (**العدوان Aggression**).

أما في الباب الخامس: فذكر ستة فصول فيما يقال عند الأكل والشرب والصوم، والزكاة، والسفر، والحج، والجهاد، والنكاح.

ومنها أن الفرد إذا دعي إلى وليمة فليُجْب وإن كان صائمًا صلى ودعا وبرك. وأن دعاء الإفطار هو « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء اللّه »، وأن من آداب الطعام التسمية والأكل باليمين والأكل مما يلي الفرد.

وذكر في (ص١٣٦) أن **النوم Sleep** موت لكونه شبيهًا له من حيث عدم الإحساس **Sensation** **وفقد الإدراك Perception**.

وفي (ص١٥٠) أشار إلى أرذل العمر هو البلوغ إلى حد الهرم (الشيخوخة) يعود معه كالطفل في ضعف العقل وقلة الفهم (**الشيخوخة وآثارها Aging effects**)، وفي (ص١٦١) الكبر على أنه وسوسة الشيطان للفرد يجعله يرى نفسه ويعظمها ويحقر الآخرين في عينه حتى يدخله **الزهو Over self esteem**.

وفي (ص١٦٧) **التفاؤل Optimistic**. وذكر (ص١٩٥) كلمة وعثاء **stress** بمعنى الشدة والمشقة. **والكآبة Depression** بمعنى التغير والانكسار من المشقة.

أما الباب السادس: فتضمن أمورًا تتعلق برؤية السحاب مقبلًا، والمطر والرعد والهلال والريح والقمر:

فمثلًا عند رؤية السحاب يقول « اللّهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به اللّهم صيبًا نافعًا »، فإن كشفه اللّه ولم يمطر حمد اللّه على ذلك.

وفي (ص٢١٦) **الصرع Epilepsy** كأحد أمراض وأضرار الشيطان للفرد. وفي (ص٢٤٧) **الاستئثار Selfishness** بمعنى الانفراد بالشيء. وفي (ص٢٥١) **الإعياء Fatigue** هو التعب والنصب والعجز. وفي (ص٢٥٦) **الوجد بمعنى الغضب والحزن في النفس Sadness, Anger, Emotional disturbance**.

وفي (ص٢٦٦) اللمم أو اللمه: وهو مأخوذ من ألم به، وهو طرف من الجنون يلم بالإنسان. **والمعتوه Dementia** هو المجنون المصاب بعقله.

أما الباب السابع: فيتعلق بعدة أمور منها في النفس.

فحين يرتدي ثوبًا جديدًا يسميه باسمه ثم يقول « اللَّهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره، وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ». وإذا دخل سوقًا قال « بسم اللَّه، اللَّهم إني أسالك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ».

وفي (ص٣٢٨) **اللجلجة Stuttering** هو التردد في القراءة لثقل اللسان. وفي (ص ٣٤٨) **الكسل laziness** وهي فترة تلحق الإنسان يكون بسببها مثبط عن العمل وعدم انبعاث النفس على الخير وقلة الرغبة فيه.

الهرم Aging Effects بمعنى بلوغ الفرد سن تضعف فيه الحواس والقوى ويضطرب فيه الفهم والعقل وأن أفضل شيء هو طول العمر مع سلامة الحواس وصحة الإدراك.

أما في المال فقال الرسول ﷺ: « **إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئًا يعجبه فليدع بالبركة؛ فإن العين حق** ». وإذا أتى مولود أذن في أذنه؛ وكذلك ما يقال عند سماع صياح الديكة فليسأل اللَّه من فضله، وإذا سمع نهيق الحمار فليتعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم، وكذلك إذا سمع نباح الكلاب.

أما الباب الثامن: فكان فيما يهم من عوارض وآفات في الحياة إلى الممات:

وذكر في (ص٣٤٨) **الشقاق Conflicts** وهو الخلاف والتنازع والعداوة بما يقع من الأسباب الموجبة له، وفي (ص٣٥٧) **الرهاب Panic** بمعنى كثير الرهبة أي الخوف الشديد.

وفي **الباب التاسع: ذكر: الاستغفار وأورد فضله ولم يخص له وقتًا من الأوقات، وأن الاستغفار يمحو الخطيئات، وفضل القرآن العظيم، وفضل سور منه وآيات:**

فذكر أن أفضل الذكر « لا إله إلا اللّه » وهي أفضل الحسنات، وأن غراس الجنة قول: « لا حول ولا قوة إلا باللّه »، وأن قراءة القرآن العظيم تشفع للفرد يوم القيامة. ثم استدرك في شرح فضل الكثير من سور القرآن في إبعاد الشيطان وحفظ من يتلوها.

أما الباب العاشر: حول مجموعة أدعية مطلقات غير مقيدات:

وذكر في (ص٣٧٢) أن البلاء **Disaster** هو كل ما أصاب الإنسان من شدة ومشقة للإنسان يحمله ولا قدرة له على دفعه.

والدرك **Stress** هو شدة المشقة في أمور الدنيا وحصول الضرر البالغ في بدن الإنسان وماله وأهله. وفي (ص٣٧٩) العزائم (الدوافع) **Motives** جمع عزيمة وهي عقد القلب على إمضاء الأمر.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الكُرَب (المشاق) Stresses، البلاء Disaster.**
- **الخرف Dementia.**
- **الروعة Panic.**
- **الهم، والكآبة Depression.**
- **العجز Deficiency.**
- **الكف Inhibition.**
- **العدوان Aggression.**
- **الإحساس Sensation.**
- **الإدراك Perception.**
- **أرذل العمر (الشيخوخة وآثارها) Aging Effects.**
- **التفاؤل Optimistic.**
- **الصرع Epilepsy.**
- **الاستئثار Selfishness.**
- **الإعياء Fatigue.**

- الوجـد بمعنـى الغضـب والحـزن في الـنفس Sadness, Anger, Emotional disturbance.

- اللجلجة Stuttering.

- الكسل laziness.

- الشقاق Conflicts.

- الرهاب Panic.

- الدوافع Motives.

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

الترغيب والترهيب
(الجزء الأول والثاني)



- تأليف/ المنذري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ).
- القاهرة: مكتبة الإرشاد.

* * *

التعريف بالمؤلف:

زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد اللَّه بن سلامة بن سعد المنذري الشامي الأصل، المصري الشافعي. ولد في غرة شعبان سنة (٥٨١هـ)، تتلمذ على يد شيوخ وأئمة كثيرين منهم الكندي، وابن الجلاجلي. (توفي في ٤ من ذي القعدة ٦٥٦هـ). من أهم أعماله « اختصار صحيح مسلم »، و « اختصار سنن أبي داود »، كما أنه صنف شرحًا كبيرًا « للتنبيه » في الفقه، وصنف « الأربعين ».

عرض الكتاب:

يقع هذا المجلد في (٥٧٣) صفحة مقسمة إلى: (٢٨٥) صفحة تمثل الكتاب الأول، و(٢٨٨) صفحة تمثل الكتاب الثاني. كل كتاب منه مقسم إلى مجموعة من الكتب التي تتناول موضوعًا ترغب الشخص فيه وتستميله لاتباعه والقيام به، وترهب من موضوعات أخرى.

تدور فكرة هذا الكتاب حول أساليب الاستمالة **Persuasion** المستخدمة في إقناع الأفراد للقيام بسلوك ما، وذلك من خلال ترغيبهم في هذا السلوك أو ترهيبهم منه. ويهتم الكتاب أكثر ما يهتم بالأمور الدينية. ويبدأ الكتاب أول ما يبدأ:

في الترغيب في الإخلاص والصدق والنية الصالحة. وأورد في هذا الجزء من الأحاديث ما يرغب في الإخلاص، ومنها حديث رسول اللَّه ﷺ أنه: « **من فارق الدنيا على الإخلاص للَّه وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها واللَّه عنه راضٍ** ». كذلك ساق من الآيات ما يؤيد الإخلاص والصدق.

كما أنه رهب من الرياء والشرك والإشراك في العمل لغير اللَّه، وجاءت أحاديث كثيرة لتوضح ما جاء في الرياء والشرك وعاقبتهما عند اللَّه.

ثم كان الترغيب في اتباع الكتاب والسنة النبوية. فقال رسول اللّه ﷺ في هذا المقام: « **من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد** ». وجاء من الكتاب والسنة بما يرهب من عدم اتباع الكتاب والسنة، وارتكاب البدع والأهواء. وأشار في ذلك إلى الترغيب في البدء بالخير ليستن به، والترهيب من البدء بالشر خوفًا من أن يستن به.

* ثم بدأ **الجزء الأول** بالكتاب الأول كتاب العلم؛ فرغب اللّه ورسوله على العلم، وعلى طلب العلم، فقال رسول اللّه ﷺ: « **من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل اللّه له طريقًا إلى الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء. وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** ».

ثم أشار بالأحاديث إلى فضل العلماء وشرفهم إذا عملوا، وفضل طلب العلم والمثابرة عليه. كما وردت أحاديث للترغيب في السفر لطلب العلم، ومجالسة العلماء وإكرامهم وإجلالهم، ورهب من إضاعتهم وعدم المبالاة لهم، كما رهب عن تعلم العلم لغير وجه اللّه تعالى.

كما رهب الكتاب أيضًا من الجدال على غير أسس قوية واضحة، وذكر عن رسول اللّه ﷺ حديثًا في ذلك يقول فيه: « **إنما الأمور ثلاثة، أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فَرُدَّه إلى عالم** ».

ثم يأتي بعد ذلك كتاب **الطهارة**؛ فرهب الكتاب من البول في الماء والمغتسل والحجر وهو ما يعنى به في الحقبة المعاصرة تحت مسمى السلوك الصحي **Health Behavior** (ص٨٢ – ٨٥)، والكلام على الخلاء، وكشف العورة، وأيد ذلك بالحديث والكتاب. كما رهب من إصابة البول الثوب وعدم الاستبراء منه، كذلك تأخير الغسل بغير عذر. ورغب في الوضوء وإسباغه والمحافظة عليه وتجديده.

تلا ذلك كتاب **الصلاة**؛ ورغب في ظل هذا الكتاب في الأذان، وفي تكرار ما يقوله المؤذن، والترغيب فيما يقال بعد الأذان والإقامة، كل ذلك مؤيدًا بما جاء في الكتاب والسنة النبوية. وقد اشتمل هذا الكتاب على كل ما يتعلق بالصلاة وأحكامها المختلفة وما يجب أن يتبع منها، وما يجب اجتنابه.

ألحق كتاب الصلاة بكتاب **النوافل**؛ حيث سرد في ظله الأحاديث التي جاءت لتشير

إلى عدد هذه الركعات وأوقاتها، والترغيب في سنة رسول اللَّه ﷺ في ذلك.

كما جاء على ذكر يوم الجمعة في كتاب منفصل ألا وهو **كتاب الجمعة**؛ فجاء فيه بما يرغب في صلاة الجمعة والتبكير منها، وما يتعلق بالتحضير لهذا اليوم، ورهب عن كل ما قد يفسد هذا اليوم والصلاة فيه.

أما **كتاب الصدقات**؛ فقد أكد ورغب فيه على أداء الزكاة، ورهب من عدم القيام بها. وانتهى بذلك الجزء الأول من كتاب الترغيب والترهيب.

* أعقب ذلك **الجزء الثاني** من هذا الكتاب. واستمر في بداية هذا الكتاب بترغيبه في العمل والأكل من كسب اليد، والترهيب من المسألة، والترغيب في الصدقة والترهيب من طلبها والإلحاح في طلبها، وعرض للأحاديث التي وضحت لمن تجب الصدقة، والتيسير عن المعسر.

أما **كتاب الصوم** فجاء فيه فضل الصوم، وصيام شهر رمضان، والترهيب من إفطار هذا الشهر؛ هذا بالإضافة إلى صيام النوافل كصوم يوم عرفة، ويوم عاشوراء، وصوم شعبان، والترغيب في صوم داود، والترهيب من تخصيص يوم الجمعة أو السبت بالصوم، والترغيب في كل ما يجب اتباعه أثناء الصوم، والترهيب في كل ما قد يفسد الصيام.

ثم عرض بعد ذلك **لكتاب العيدين والأضحية**؛ فرغب في إحياء ليلتي العيدين، والتكبير، وذكر فضله والأضحية. والترهيب من قتل الحيوان لغير الأكل وما جاء في هذا الأمر.

أما الكتاب الذي تلاه فهو **كتاب الحج**؛ فجاء الترغيب في الحج والعمرة، وما جاء فيمن خرج يقصدهما فمات، كما أشار لمن ينفق في سبيل الحج والعمرة، وفي ظل ذلك تناول كل ما يتعلق بهذه المناسك وما يفضل القيام به، وما نهي عنه مؤيدًا بالكتاب والسنة.

أعقب ذلك عرض **لكتاب الجهاد**؛ فأشار إلى الآيات والأحاديث النبوية التي ترغب في الجهاد ومنها إخلاص النية والشهادة، وتلك التي ترهب من التخاذل عنه والفرار منه، أو التغليل والتشديد فيه.

كذلك يرغب **كتاب قراءة القرآن** في كثرة قراءة القرآن، وفضل تعلمه وتعليمه، وفضل قراءة سور محددة وتحسين الصوت في القراءة.

أما **كتاب الذكر والدعاء** فذكر من خلاله الترغيب في الإكثار من ذكر اللَّه - تعالى - سرًّا وجهرًا، والمداومة عليه وما جاء فيمن لم يكثر من ذكر اللَّه، كما رغَّب في حضور

مجالس الذكر، والاجتماع على ذكر اللَّه تعالى. كما رهَّب من أن يجلس الإنسان مجلسًا لا يذكر فيه اللَّه ولا يصلى فيه على نبيه ﷺ. كما أشار إلى الأحاديث التي جاءت في الأحلام **Dreams** (ص٢٦٣) وما يفعله المسلم حين يرى الرؤيا أو الحلم.

ثم أشار إلى كلمات يقولهن من تكرر لديه الأرق أو فزع الليل، وهو ما يشير إلى شكل من أشكال **اضطرابات النوم Sleep Disturbance** ومنها **الكوابيس Nightmares** (ص٢٦٣، ٢٦٤). والترغيب فيما يقوله من حصلت له وسوسة في الصلاة وغيرها من شؤون الحياة اليومية. وانتهى الكتاب بالترغيب في الاستغفار وكثرة الدعاء، وما جاء في فضله والترغيب في كلمات يستفتح بها الدعاء، والترهيب من ترك ذكر اللَّه وذكر رسوله ﷺ.

الخلاصة

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الاستمالة Persuasion.**
- **السلوك الصحي Health Behavior.**
- **الأحلام Dreams.**
- **اضطرابات النوم Sleep Disturbance.**
- **الكوابيس Nightmares.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

الترغيب والترهيب
(الجزء الثالث والرابع)



○ تأليف/ المنذري زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (٦٥٦هـ).

○ القاهرة: مكتبة الإرشاد.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع المجلد في (٦٠٦) صفحة من القطع المتوسط؛ تمثل (٣٠٨) منها الكتاب الثالث، و (٢٩٨) الكتاب الرابع. استمر فيها الكاتب على أسلوبه لإقناع واستمالة المسلم للقيام بما يجب عليه القيام به، وعرض فيما عرض للجزاء الذي يلاقيه المسلم عند اتباعه ما أمر اللّه ورسوله به، وذلك من خلال ترغيب المسلم للقيام بما أمر به، وترهيبه من عدم إتيان ما أمر به اللّه ورسوله.

* ويبدأ **الجزء الثالث** من هذا المجلد **بكتاب البيوع**؛ ورغب الكتاب في البكور في طلب الرزق، والورع، والسماحة في البيع والشراء، ورهب من الكسب الحرام، والغش، والاحتكار، وخيانة أحد الشريكين، كما رهب من اليمين الغموس، والربا، والأمور التي نهى عنها الدين.

أعقب ذلك **كتاب النكاح**؛ وقدم لنا الكاتب في ظل هذا الجزء ما ينظم عملية الزواج من خلال اختيار الزوجين، وحسن العشرة، وترغيب الزوج في الوفاء بحق زوجته وهو ما يمكن أن نطلق عليه في عصرنا الحالي **التعليم الزواجي Marriage Education** (ص٦٣ - ٩٤) والذي يمثل أسلوبًا من أساليب **الإرشاد الزواجي Marriage Counseling** المستخدمة لإرشاد المقبلين على الزواج، ومن يعانون من مشكلات زواجية للتعرف على أسباب هذه المشكلات ومحاولة حلها. كما أشار بالأحاديث إلى تربية الأولاد بدءًا من اختيار أسمائهم ومن تأثير الأسماء القبيحة عليهم.

تلا ذلك **كتاب اللباس والزينة**؛ فرغب الكتاب في لبس الأبيض من الثياب، والترغيب

في كلمات يقولها من لبس ثوبًا جديدًا. والترهيب من لبس النساء للرقيق من الثياب، ولبس الرجال الحرير والذهب والتشبه بالنساء.

أما **كتاب الطعام** فجاء فيه الترغيب في التسمية على الطعام، والترهيب من تركها كما رهب من الأكل والشرب بالشمال. ورغب كذلك في الاجتماع على الطعام ورهب من الإمعان في التشبع والتوسع في المآكل والمشارب شرهًا. هذا بالإضافة إلى موضوعات أخرى وضح ما رغب وما رهب عنه فيها.

ورهب من خلال **كتاب القضاء** وغيره من تولى السلطنة والقضاء والإمارة، لا سيما من لا يثق بنفسه، كما رهب من وثق بنفسه أن يسأل شيئًا من ذلك. ورغب من ولي شيئًا من أمور المسلمين في العدل إمامًا كان أو غيره. وترهيبه من أن يشق على رعيته، أو يجور أو يغشهم، أو يحتجب عنهم، أو يغلق بابه دون حوائجهم، وهو في ذلك يقدم لنا وصفًا **لسمات شخصية القائد الناجح Successful Leader Personality Traits** التي يجب أن يتسم بها (ص١٣١ – ١٤١).

أما **كتاب الحدود** فقد جاء فيه الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وستر المسلم، وإقامة الحدود. والترهيب من المداهنة، وشرب الخمر وبيعها وشرائها، والزنا، كما رهب من اللواط وإتيان البهائم والمرأة من دبرها سواء كانت أجنبية أو زوجته واللواطية (**الجنسية المثلية**) **Homosexuality** والتي عنى بها ميل الشخص لنفس جنسه، وهو في ذلك يعطينا درسًا في **التربية الجنسية Sexual Education** (ص١٩٧، ١٩٨).

أعقب هذا الجزء كتابًا خاصًا **بالبر والصلة وغيرهما**. ويمثل هذا الجزء من الكتاب كتابًا خاصًا في **العلاقات الأسْرية Family Relationship** (ص٢١٣- ٢٢٢) **والعلاقات الاجتماعية Social Relationship** (ص٢٢٣ – ٢٣٣) بشكلها الأعم، فرغب في بر الوالدين وصلتهما، والتأكيد على طاعتهما، والإحسان إليهما، وبر أصدقائهما من بعدهما. والترهيب من عقوق الوالدين، وقطع صلة الرحم. كما جاء الترغيب في كفالة اليتيم، ورحمته، والنفقة عليه، والسعي على الأرملة والمسكين. أشار كذلك إلى أهمية زيارة الإخوان والصالحين، وإكرام الضيف وتأكيد حقه، وترهيب الضيف أن يقيم حتى يؤثم أهل المنزل.

أما **كتاب الأدب** فجاء فيه الترغيب في الحياء وما جاء في فضله، والترهيب من الفحش

والبذاء. والترغيب في الأناة والرفق والحلم، وأشار في ظل ذلك إلى العنف **Violence** (ص٢٦٢) وأنه على العكس من الرفق واللين. كما جاء على ذكر الأحاديث النبوية التي جاءت على ذكر الغضب **Anger** كأحد الانفعالات التي يجب أن يملك المسلم نفسه عند شعوره بها؛ أي التحكم في غضبه **Anger Control** (ص٢٦٤)، فرهب من الغضب ورغب في دفعه وكظمه، وما يفعل عند الغضب. وأشار في ذلك إلى تصنيفات للناس في ظل انفعال الغضب؛ فمنهم بطيء الغضب سريع التغلب عليه أي لديه القدرة على التحكم في غضبه، ومنهم سريع الغضب بطيء التغلب عليه، أي لا يستطيع التحكم فيه. وأوضح من خلال ذلك الخصائص الجسمية لهذا الانفعال **Physical Anger Characteristics** ومنها احمرار العين والوجه، وانتفاخ العروق (ص٢٧٨). عرض لنا أيضًا لأساليب الضبط والتحكم في هذا الانفعال ومنها: الصبر، وتغيير الوضع الجسمي فإذا كان الشخص الغاضب قائمًا فليجلس، وإذا كان جالسًا فليضطجع وهو بذلك يقدم لنا أسلوبًا لتعديل سلوك **Behavior Modification** هذا الانفعال؛ ليتحكم الفرد فيه (ص٢٧٩).

* **الجزء الرابع** من هذا الكتاب يبدأ بالترغيب في الصمت إلا من خير والترهيب من كثرة الكلام. كما رغب في التواضع، ورهب من الكبر والحسد والافتخار.

أعقب ذلك عرضًا **لكتاب التوبة والزهد**؛ وجاء في هذه الكتاب الترغيب في التوبة وإتباع السيئة الحسنة. كما رغب في الزهد في الدنيا والاكتفاء منها بالقليل، والترهيب من حبها والتنافس عليها.

تبع ذلك **كتاب الجنائز**؛ فعرض لنا الكتاب الترغيب في سؤال العفو والعافية، والترغيب في كلمات يقولهن من رأى مبتلًى، والصبر لمن ابتلي في نفسه وماله، والتي يمكن الإشارة إليها على أنها وسائل لتعليم الفرد أساليب المساندة الذاتية **Self-Support** (ص١٤٤ - ١٥٥). كما أشار إلى النصب الذي يصيب الإنسان ويقصد به التعب **Fatigue** (ص١٤٨). وعرض في هذا الكتاب لكل ما يتعلق بالترغيب في ملاقاة الموت، وحداد المرأة على زوجها، والدعاء للميت. والترهيب من الجلوس على القبور، والمرور بقبور الظالمين وديارهم مع الغفلة عما أصابهم.

وينتهي هذا الجزء **بكتاب البعث وأهوال يوم القيامة**؛ وذكر لنا ما جاء في فصل النفخ في الصور، والحشر، والحساب وما يسأل المسلم فيه، وفصل في الحوض والميزان

والصراط، وما جاء في صفة الجنة والنار وما يواجهه الفرد في النار والنعيم الذي سيلاقيه في الجنة وكل ما ذكر؛ ليرغب ويستميل أهل الدنيا للعمل للحصول على الجنة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- التعليم الزواجي **Marriage Education**.
- الإرشاد الزواجي **Marriage Counseling**.
- سمات شخصية القائد الناجح **Successful Leader Personality Traits**.
- الجنسية المثلية **Homosexuality**.
- التربية الجنسية **Sexual Education**.
- العلاقات الأسرية **Family Relationship**.
- العلاقات الاجتماعية **Social Relationship**.
- العنف **Violence**.
- الغضب **Anger**.
- التحكم في الغضب **Anger Control**.
- الخصائص الجسمية للغضب **Physical Anger Characteristics**.
- تعديل السلوك **Behavior Modification**.
- أساليب المساندة الذاتية **Self-Support**.
- التعب **Fatigue**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

الذريعة إلى مكارم الشريعة



○ تأليف/ الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن المفضل.

○ تحقيق/ أبو اليزيد العجمي.

○ المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع (١٩٨٧م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

« الراغب الأصفهاني »، أبو القاسم الحسين بن المفضل، (ولد سنة ٤٩٩هـ وتوفي سنة ٥٦٥هـ)، عاش بين أصفهان وبغداد، صاحب حديث ولغة وشعر وأدب وأخلاق وحكمة، وكان عارفًا بعلوم الأوائل، مقبولًا عند العامة والخاصة، وهو شافعي المذهب، شملت مؤلفاته العديد من مجالات المعرفة الإسلامية، عمل بالتدريس في معاهد عصره، وعن مكانته العلمية: فقد حرص الشيعة على أن يؤرخوا له في كتبهم ويعتبروه من الحكماء، كما لم يغفل أهل السنة الترجمة له والاعتزاز به ونفي التهم عنه، وترجم له كل من « البيهقي والسيوطي والخوانساري ». أما عن كتبه فالموجود منها الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات الراغب وغيرهما، أما المفقود فهو أكثر. وعن وفاته فالراجح أن وفاته كانت سنة (٥٦٥هـ) حيث توفي شهيدًا في موقعة بالأندلس.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٥٠٢) صفحة، من القطع المتوسط، ويضم سبعة فصول نعرضها كالتالي:

الفصل الأول: في أحوال الإنسان وقواه وفضيلته وأخلاقه:

ماهية الإنسان وكيفية تركيبه: يرى « الأصفهاني » أن الإنسان مركب من جسم مدرك بالبصر، ونفس مدركة بالبصيرة، وقد حثَّ اللَّه - تعالى - على التدبر في النفس والتفكر فيها؛ « اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك »، وقيل: « أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه » (ص٧٦).

في قوى النفس: جعل اللَّه للإنسان خمس قوًى هي: قوة الغذاء، وقوة الحس **Sensation**

(ص٧٧)، **ونوة التخيل Imagination** (ص٧٧)، والنزوع، **والتفكر Thinking** (ص٧٨)، وقال: مسكن الفكر وسط الدماغ، ومسكن الخيال مقدمته، ومسكن الحفظ والذاكـرة مؤخرته؛ **مفهوم تحديد مراكز القدرات في المخ Localization** (ص٧٩).

السياسة التي بها يستحق خلافة اللّه تعالى: السياسة نوعان؛ سياسة الإنسان نفسه وبدنه، وسياسة غيره، ولا يصلح لسياسة غيره مَن لا يصلح لسياسة نفسه، (**القيادة Leadership**) (ص٩٢).

فيما يفزع إليه في طهارة النفس: الذي تطهر به النفس هو العلم والعبادات، والذي يطهر البدن الماء، والذي يلزم تطهيره من النفس هو: الفكر والشهوة والحمية، (**الغضب Anger**) (ص٩٨).

في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل والهوى: أول ما يعرض للإنسان هو السانح، ثم الخاطر ثم الإرادة، ثم العزم، ثم العمل، مراحل التفكير (ص١١٠).

الفرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة: الطبع Nature (ص١١٣) والخُلق يقال في القوى المدركة بالبصيرة، والسجية ما يسجى عليه الإنسان ولا يمكن تغييره، **والعادة Habit** اسم لتكرير الفعل، ويقال: الخلق الحالة المكتسبة التي يصير بها الإنسان خليقًا أن يفعل شيئًا دون شيء، من **الاكتساب Acquisition** (ص١١٣).

إمكان تغيير الخُلُق: مع أن بعضهم يرى أن الخلق لا يمكن لأحد تغييره عما جُبِلَ عليه خيرًا أو شرًّا إلا أن ما يؤكد على إمكان تغيير الخلق قوله ﷺ: « **حسّنوا أخلاقكم** ». ويستدل على ذلك بقول اللّه تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩، ١٠]؛ ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد، (**تغيير الاتجاهات Attitude Change**) (ص١١٥).

في ازدياد الإنسان في الفضائل والرذائل بتعاطيها: كل متعاطٍ لفعل فإنه يتقوى فيه بالازدياد منه؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. وباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها، (**التعود Habituation**) (ص١١٩).

الفرق بين ما يحمد ويذم من التّخَلُّق: الفرق بين الخُلُق والتخَلّق: إن الخُلُق معه استخفاف وارتياح، أمّا التَخَلُّق فمعه استثقال واكتساب بجهد، والتخلق نوعان: نوع محمود، ونوع مذموم؛ والأخير يكون على سبيل المراءاة ويقصد به الرياء والتصنع، (**التقليد Imitation**) (ص١٢٢).

سبب اختلاف الناس: تحصل الفضائل بجزئين، إمّا بتعلم بشري يحتاج إلى تدريب وممارسة، أو بفضل إلهي يولد به الإنسان، (**التعلم Learning**)، (**التدريب والممارسة Training and Practicing**) الفرق بين الكسب **والاكتساب Acquisition** (ص١٢٤).

أنواع نعم اللّه تعالى الموهوبة والمكتسبة: نعم اللّه خمسة أنواع:

الأول: السعادة الأخروية وهي الخير المحض؛ ففيها بقاء وقدرة وعلم وغنى.

والثاني: الفضائل النفسية كالعقل والعفة والشجاعة والعدل.

والثالث: الفضائل الجسمية كاعتدال أجزاء الإنسان وجودة التركيب والجمال، **الجاذبية الجسمية Physical Attractiveness** (ص١٣٩).

والرابع: الفضائل المطيفة للإنسان وهي أربعة: المال والأهل والعزّ وكرم العشيرة.

والخامس: توفيق اللّه - تعالى - في هذا كله بتأييده وهدايته. وترتبط هذه الأنواع الخمسة من النعم بموضوع **راحة البال Well-being**.

أصناف الناس: الناس ثلاثة: خاص وهو الذي يسوس، وعام وهو الذي يساس، ووسط وهو الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه، (**القيادة Leadership**)، ومن جهة أخرى يقسم الناس إلى ثلاثة؛ أصحاب الشهوات، وأصحاب الرياسة، **وأصحاب الحكمة Wisdom** (ص١٦٣).

الفصل الثاني: في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها:

أنواع العقل: العقل نوعان؛ فطري وهو القوة المتهيئة لقبول العلوم أي مطبوع **Nurture**، ومستفاد وهو الذي تتقوى به تلك القوة، أي مكتسب **Acquired**، (ص١٦٧).

منازل العقل واختلاف أساميها بحسبها: للعقل عدة منازل وهي:

العقل: اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل (ص١٧٤).

النهى: اسم للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى معرفة ما فيه من المعقول (ص١٧٤).

الحجر: من تحجر أي امتنع وهو اسم لما يشعر به الإنسان من خطر الشر.

اللبّ: وهو الذي خلص من عوارض الشبه، وترشح لاستفادة الحقائق من دون الفزع إلى الحواس.

القلب: وسمي العقل قلبًا لمّا كان يتقلب (ص١٧٦).

الفرق بين العلم والعقل والمعرفة والدراية والحكمة: بقياس العقل إلى العلم هناك ثلاثة أوجه: أحدها: عقل ليس بعلم وهو العقل الغريزي (الفطري)، والثاني: علم ليس بعقل وهو المتعدد، والثالث: عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد، والفرق بين العلم والمعرفة هو أن المعرفة **Knowledge** قد تقال فيما تدرك آثاره وإن لم تدرك ذاته، والعلم لا يكاد يقال إلّا فيما يدرك ذاته، أما الدراية فهي المعرفة المدركة باستعمال الروية والحيل، أما الحكمة **Wisdom** فهي كل علم حسن وعمل صالح (ص١٨٠).

توابع العقل: إذا أشرق العقل في الإنسان يحصل عنه علم ومعرفة وحكمة ويحصل عنه ما يلي:

الذكاء Intelligence: وهو المضاء في الأمور وسرعة القطع بالحق (ص١٨٣).

الفطنة: إدراك ما يدرك أشكاله ويكثر استعمالها في استنباط الأحاجي والرموز.

الفهم Understanding or Comprehension: وهو مقدمة العقل فمن لا يعرف معنى الشيء لا يتحقق عقلًا (ص١٨٣).

البديهة: معرفة ثاقبة تجيء بلا فكر ولا قصد.

الفراسة: الاستدلال بهيئات الإنسان وأقواله على أخلاقه وفضائله ورذائله (**الاستدلال Reasoning**)(ص١٨٦)

الكهانة والعرافة: الكهانة خاصة بالأمور المستقبلية، التنبؤ **Prediction** (ص١٩٠)، والعرافة بالأمور الماضية.

النظر: إجالة الخاطر نحو المرئي لإدراك البصيرة له، إشارة إلى مفهوم الإدراك **Perception** (ص١٩٢).

البلاغة: إجادة اختيار الألفاظ والإصابة في تأليفها، (**القدرة التعبيرية Expressive Ability**) (ص١٩٧).

ثمرة العقل من معرفة اللّه: العقل ثلاث ثمرات؛ معرفة اللّه، وطاعة اللّه، والصبر عن معصية اللّه.

وجوب بعثة الأنبياء: خصّ اللّه العباد برسل، عرفوهم الجزئيات والكليات، إشارة إلى أن معرفة اللّه تعتمد على العقل والمنطق وعلى هداية الأنبياء.

كون الرسل والعقل هاديين الخلق إلى الحق: للّه إلى خلقه رسولان؛ أحدهما من الباطن وهو العقل **Mind**، والثاني من الظاهر وهو الرسول (ص ٢٠٧).

في أنواع الجهل: فرق بين **المجنون Psychotic or Insane** (ص٢٠٧) **والأحمق Mental Deficient والأرعن Impulsive** (ص٢٢٢)، ويذكر أن مراتب الجهل في **الاعتقاد False belief** أربعة:

١ - من لا يعتقد اعتقادًا لا صالحًا ولا طالحًا ؛ وهذا إرشاده سهل.

٢ - معتِقد لرأي فاسد لكنه لم ينشأ عليه؛ وهذا استنزال معتقده الفاسد سهل.

٣ - معتقد لرأي فاسد رانَ على قلبه وتراءت له صحته؛ وهذا لا سبيل إلى تهذيبه.

٤ - معتقد اعتقادًا فاسدًا عُرِفَ فسادُه ويحاول بالباطل؛ وهو فاسق ومنافق. مفهوم **(المعتقدات Believes)**، **(تغيير الاتجاهات Attitude change)** (ص٢٢٢).

كون العلوم مركوزة في نفوس الناس: العلم في نفوس البشر منه ما يوجد من غير تعلم بشري **فطري Nature**، ومنه ما يوجد بأدنى **تعلم Learning & Training**، **والتذكر Memory** إمّا أن يكون باللسان أو بالقلب.

أحوال الناس في استفادة العلم وإفادته: للإنسان في استفادته من العلم أربعة أحوال، حال استفادة، وحال ادخار، وحال إنفاق على نفسه، وحال إفادة لغيره، وكذلك في العلم حال استفادة، وحال تحصيل، وحال استبصار، وحال تبصير وتعليم، **مراحل التعلم Learning Stages** (ص٢٣٩).

ما يجب أن يتحراه المعلم مع المتعلمين منه: حق المعلم أن يكون للمتعلم مثل الوالد - **تنشئة اجتماعية Socialization** (ص٢٤٤) - لأن المعلم سبب الحياة الباقية والوالد سبب الحياة الفانية.

وجوب ضبط المتصدين للعلم: السواس أربعة: الأنبياء والولاة والحكماء والوعاظ **(القيادة Leadership)** وخصال القادة (ص٢٥١).

الحال التي يجب أن يكون الواعظ عليها: حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويهتدي ثم يهدي، ويجب ألّا يجرح مقاله بفعاله - **مفهوم القدوة Model** - (ص٢٥٥) ولا يكذب لسانه بحاله، والواعظ إذا فعل فعلًا قبيحًا اقتدى به غيره فقد جمع بين وزره ووزرهم، **(التعلم بالمحاكاة والاقتداء Imitation & Modeling)** (ص٢٥٥).

كراهية الجدال للعوام وذمه: الجدال مكروه حتى للعلماء فكيف للجهّال الأغبياء، والجدال له شروط وقوانين مع كونه مكروهًا، وإذا لم يكن المجادل متدربًا فإنه يكون خصيمًا، (المحاجة **Argumentation**) (ص٢٦٠). وإذا قصد المجادل اللجاج لا الحجاج فاهرب منه، فإن لم تجد من مزاولته بُدًّا فقابل إنكاره للحق بإنكارك للباطل، كما يشير إلى كيفية التعامل أثناء موقف المحاجة، وكيف يدافع الإنسان عن قضيته وكيف يزاول ويقنع الآخرين.

النطق والصمت: النطق أشرف ما خصّ به الإنسان والذي باين به سائر الحيوان – اللغة **Language** – أما الصمت فهو من صفة الجمادات فضلًا عن الحيوانات.

الكلام المستقبح: بذاء الكلام من القوة الشهوية، أو من القوة الغضبية **Anger** (ص٢٨٤).

المزاح **Joking** والضحك **Laugh**: يكون المزاح محمودًا إذا كان على الاقتصاد؛ لأنه يذهب بالبهاء ويجرئ السفهاء، أمّا الضحك فهو من خصال الإنسان ويميزه عن البهائم، مفهوم (حس الفكاهة **Sense of humor**) (ص٢٨٥).

الفصل الثالث: فيما يتعلق بالقوة الشهوية:

المشاورة Consultation: هي استنباط الرأي من الغير وتكون في الأمور الجزئية التي يتردد المرء بين فعلها وتركها، **اتخاذ القرار Decision Taking** (ص٢٩٤).

التواضع والكبر: يفرق بين الكبر والاستطالة والصلف والصعر والباء والخيلاء والفخر والزهو والعزة والتيه والعجب.

أنواع اللذات وتفاصيلها: للذة ثلاثة أنواع عقلية وبدنية ومشتركة، وجميعها تنقسم عشرة أقسام: مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشموم ومسموع ومبصَر ومركب وخادم ومرفق، والشهوة إما شره للمقتنيات، أو نهم للطعام، أو شبق للنكاح، مفهوم (**الحاجات النفسية Needs**) (ص٣٠٩) إن لم يرشّدها الشخص تضر.

الفصل الرابع: فيما يتعلق بالقوى الغضبية:

ما ينبع من القوى الغضبية: متى تحركت قوة الغضب تحرك دم القلب وتولد ثلاثة أحوال:

إمّا على مَن فوقه فيكون غمًّا **Sadness**؛ لأنه عاجز عن الانتقام منه، أو على مَن دونه

فهذا هو الغضب **Anger**، أو على نظيره فيتردد الدم بين انقباض وانبساط، وهو الحقد **Spite** (ص٣٢٤).

الشجاعة Courage: هي فضيلة بين التهور والجبن (ص٣٢٨).

أنواع الفزع والجزع: **الفزع Panic** من الشيء المخيف والأسى **Grief** (ص٣٣٠) من الشيء المؤلم، ويفرق هنا بين الخوف **Fear** والخشية والوجل والرهبة والهيبة (ص٣٣١).

مداواة الغم وإزالة الخوف: من حق الإنسان أن يقلل من اقتناء ما يورثه **الحزن Sadness** (ص٣٣٢).

ويحترس من الخطيئة، ويقنع بما له، والجزع على ما فات لا يلم ما تشعث، أما الغم على المستقبل فهو ثلاثة وجوه، إمّا في شيء ممتنع كونه أو واجب كونه أو ممكن كونه (ص٣٣٣).

السرور والفرح: هو انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة النفس عاجلًا أو آجلًا.

الحلم والصفح **Forgiving**: العفو هو ترك المؤاخذة بالذنب (ص٣٤٢).

ثوران الغضب وفضل كظمه: أسباب الغضب **Anger** (ص٣٤٥) هي العُجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والتحاسد والانتقام.

الغيرة Jealousy: هي صيانة الإنسان كل ما يلزم صيانته وهي ثلاث: سياسة الرجل نفسه، وسياسته منزله وأهله وسياسة مدينته وضيعته (ص٣٤٧).

الفصل الخامس: في العدل والظلم والمحبة والبغض:

العدل: هو المساواة وهو إما مطلق أو مقيد.

والظلم أنواع: الظلم الأعظم والأوسط والأصغر، وأظلم الناس من جار على نفسه ثم على ذويه ثم على كافة الناس.

ماهية المحبة وأنواعها: فرق بين المحبة **Love** والعشق **Passion** (ص٣٦٣) والصداقة **Friendship** (ص٣٦٥).

فضيلة المحبة: إذا تحابَّ القوم تواصلوا؛ التخاطب **Communication** (ص٣٦٤)، والتفاعل **Interaction** وإذا تواصلوا تعاونوا **Co-operation**، وإذا تعاونوا عملوا، وإذا عملوا عمّروا، وإذا عمّروا طالت أعمارهم.

فضيلة الصداقة: من ظنّ أنه يمكن الاستغناء عن صديق فهو مغرور؛ لأن الصديق تحتاج إليه عند سوء الحال للمعاونة وعند حسن الحال للمؤانسة، موضوع **الصداقة Friendship** (ص٣٦٥).

فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته: التفرد عن الناس عكس الاختلاط بهم - مفهوم **الانطواء Introversion** (ص٣٦٩)، والتفرد مكروه إلا لثلاثة: السلطان والحكيم والمتنسك.

العداوة: هي مضاد الولاية، والولاء أعمّ من الصداقة والمودة، **والعداوة Hostility** (ص٣٧١) ضربان: باطن وظاهر، **العدوان Aggression** نوعان: المضمر والصريح.

الفصل السادس: فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والإنفاق والجود والبخل:

تسخير اللّه همم الناس لمختلف الصناعات وعناية كل واحد بما يتحراه: سخر اللّه كل إنسان لصناعة ما يشرح صدره لها وتطيعه قواه لمزاولتها؛ وذلك كي لا يختاروا جميعًا صناعة واحدة، ولكن اللّه بحكمته جعل كل إنسان مجبرًا في صورة مختار، (**الاختيار المهني Occupational Choice**) (ص٣٧٥).

مناسبة بدن الإنسان لصناعته: كلٌّ ميسر لِمَا خُلقَ له، فجعل اللّه الآلات الفكرية والبدنية للناس مستعدة للصناعات التي يقومون بها؛ فللعلماء قلوب صافية وأمزجة لطيفة وأبدان لينة، أما أصحاب المهن الدنيوية كالزراعة والبناء فلهم عقول كنزة وقلوب قاسية وأبدان خشنة، مفهوم (**خصال الشخصية Personality Characteristics**) (ص٣٧٩).

مدح السعي وذم الكسل: من تعطل وتبطل عُدَّ من الموتى؛ فالدين يحثّ على الحركة والعمل، مفهوم (**الدافعية Motivation**) (ص٣٨٤).

ما ينال أرباب الدنيا من العقوبات الدنيوية: للّه عقوبتان لمن تناول ما لا يجوز، الأولى ظاهرة والثانية خفية، الظاهرة: أمر السلطان بإقامتها وهي معروفة - إشارة إلى مفهوم **العقاب Punishment** -، والخفية: مثل الانشغال والهم الدائم والأمل الذي لا يدرك مداه وكدر العيش (ص٣٨٥).

الفصل السابع: في ذكر الأفعال وأنواع الأفعال:

الأفعال نوعان: الأول: إلهي كالإبداع، والثاني: إنساني ويكون إمّا نفساني أو بدني، والإبداع إيجاد الشيء دفعة واحدة لا عن موجود ولا بترتيب ولا عن نقص، وقد يسمى

تكوين كالشِّعر أو الكلام المنسوج، مفهوم (الإبداع **Creativity**) (ص٤١٦).

الفرق بين الفعل Action والعمل Job والصنع Manufacture: يكون الفعل بإجادة أو غير إجادة بعلم أو بغير علم عن قصد أو عن غير قصد ويكون من الإنسان أو الحيوان أو الجماد، أما العمل فيكون للحيوان وبقصد وبعلم، والصنع يكون للإنسان ويكون بإجادة.

الأفعال الإرادية وغير الإرادية: الأفعال إما تسخيري أو غير تسخيري، والتسخيري إما من اللّه أو من البشر، وغير التسخيري إما إرادي **Voluntary** أو غير إرادي **Involuntary** أي بدون قصد (ص٤١٩).

ما يستحق به من الأفعال اللوم وما لا يستحق:

الأفعال نوعان:

- إرادية: وهي إما عن رويّة (وقد تكون في شرف وخير أو في غير شرف بحسب الغضب أو الشهوة) أو تكون لا عن روية يفعلها الإنسان في نفسه أو في غيره بنفع أو بضرر.

- غير إرادية: وهي إما أن تكون قسرية (خارجية ولا ملامة فيها)، أو إلجائية (كالإكراه على فعل شيء)، أو على سبيل الخطأ (سهوًا أو عمدًا).

الأسباب التي يمكن نسبة الفعل إليها: يحتاج الفعل في وجوده إلى عشرة أشياء: فاعل يصدر عنه الفعل، وعنصر يعمل فيه، وعمل، وزمان، ومكان، وآلة، وغرض قريب، وغرض بعيد، ومثال يحتذى به، ومرشد يرشده.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **إحساس Sensation.**
- **تخيل Imagination.**
- **تحديد مواضع القدرات في المخ Localization.**
- **قوى حافظة (الذاكرة) Memory.**
- **قوى مفكرة (العقل) Mind.**

- قيادة Leadership.
- غضب Anger.
- تقليد Imitation.
- طبع Nature.
- حكمة Wisdom.
- ذكاء Intelligence.
- استدلال Reasoning.
- تنبؤ Prediction.
- فهم Understanding or Comprehension.
- قدرة تعبيرية Expressive ability.
- مندفع Impulsive.
- معتقدات Believes.
- مراحل التعلم Learning stages.
- تعلم بالقدوة والنمذجة Modeling.
- حجاج (المحاجة) Argumentation.
- مزاح وضحك Sense of humor.
- اتخاذ القرار Decision taking.
- حاجات Needs.
- دوافع Motives.
- خوف Fear.
- فزع Panic.
- حزن Sadness.
- آسي Grief.
- راحة البال Wellbeing.

- صفح Forgiving.

- غيرة Jealousy.

- تخاطب Communication.

- صداقة Friendship.

- انطواء Introversion.

- عداوة Hostility.

- الاختيار المهني Occupational choice.

- خصال الشخصية Personality characteristics.

- دافعية Motivation.

- عقاب Punishment.

- إبداع Creativity.

- فعل إرادي Voluntary.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

الرد على المنطقيين



○ تأليف/ ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد (٦٦١ - ٧٢٨هـ).

○ باكستان: إيبك رود - لاهور، مطبعة معارف لاهور، إدارة ترجمان (١٩٧٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يحتوي هذا الكتاب على (٥٤٨) صفحة من القطع الصغير، يبدأ بمقدمة الناشر، ثم المصنف، وملخص لأصول المنطق واصطلاحاته، ثم عرض موجز للمقامات الأربعة للكلام، ويتضمن كل مقام ردودًا على أحد الأقوال، وتتضمن المقدمة أهمية كتاب « الرد على المنطقيين »، وأن الكتاب يتحدث عن أساس الفكر البشري منذ أقدم العصور قبل الإسلام، وتطوراته في عهد الإسلام حتى عصر المصنف، محاولًا كشف الفساد والعوج بشكل دقيق، وأنه يميز بين الصحيح والخطأ في أقوال المنطقيين، ثم وصف الصورة الأصلية للكتاب وغلافه وهوامشه وخط الناسخ. ولا يوجد بالكتاب أبواب أو فصول محددة، وينقسم إلى أربعة مقامات كل منها أكبر من الذي قبله حتى الأخير، وتضمن عدة وجوه للأدلة على بطلان إحدى دعاوى أهل المنطق، وكان يبدأ دومًا بالتمهيد، ثم يذكر دعواهم مفصلة، ثم يرد عليها. وقد تخلل الكتاب أبحاث شتى على سبيل الاستطراد، على عادة المصنف، أما تقسيم الفصول والعناوين فقد كانت من وضع الناشر. وفي نهاية الكتاب توجد مجموعة فهارس الكتاب؛ منها فهرس الأعلام، وفهرس الكتب، وفهرس الأماكن.

* **بدأ كتابه بمخلص يتضمن أصول المنطق واصطلاحاته**، وأنه يقوم على مصطلحين أساسيين هما الحد والقياس، وعرف الحد بأنه نظري لا بد من طريق ينال به، والطريق الذي ينال به التصديق هو القياس، والعلم إما تصور نظري (التعريف أو الحد) وإما تصديق (وهو ما يتم بالقياس).

أما الحد فهو يتألف من الصفات الذاتية إن كان حقيقيًّا، وتحدث عن طرق الاستدلال والقياس فهو إما قياس الشمول، ويعني به الاستدلال بالكلي على الجزئي، وقياس التمثيل والاستقراء وهو ما يعني الاستدلال بالجزئي على الكلي. وذكر أن الكلام يكون في أربعة مقامات؛ مقامين سالبين ومقامين موجبين، فالأولان هما:

١ - في قولهم أن التصور المطلوب لا ينال إلا بالحد.

٢ - أن التصديق المطلوب لا ينال إلا بالقياس.

والآخران هما:

٣ - أن الحد يفيد العلم بالتصورات.

٤ - أن القياس أو البرهان الموصوف يفيد العلم بالتصديقات.

المقام الأول: « أن التصورات غير البديهية لا تنال إلا بالحد »:

- **الوجه الأول في الرد:** أن أساس المنطق القول بلا علم.

- **والوجه الثاني:** أن تعريف المحدود بحد آخر يستلزم التسلسل.

- **والوجه الثالث:** تتصور مفردات العلوم بغير الحدود.

- **والوجه الرابع:** لا يعلم حد مستقيم على أصلهم.

- **والوجه الخامس:** أن الحد الحقيقي إما متعذر وإما متعسر.

- **والوجه السادس:** أن معرفة الأنواع بغير حد أولى من معرفة ما لا تركيب فيه، وأن الحقائق الثابتة غير تابعة لما في الأذهان.

- **والوجه السابع:** أسبقية تصور المعنى على العلم بدلالة اللفظ عليه.

- **والوجه الثامن:** إمكان تصور المعنى بدون اللفظ.

- **والوجه التاسع:** أن الموجودات المتصورة إما أن يتصورها الإنسان بحواسه الظاهرة كالطعم، واللون، والريح، والأجسام التي تحمل الصفات، وإما أن يتصوره بمشاعره الباطنة، كما يتصور الأمور الحسية الباطنة الوجدية مثل الجوع والشبع والحب والبغض، والفرح والحزن واللذة والألم، والإرادة والكراهية، والعلم والجهل (ص١٢).

- **والوجه العاشر:** أن جميع الموجودات يتصورها الإنسان بمشاعره فقط.

- **والوجه الحادي عشر:** لا يمكن النقض والمعارضة إلا بعد تصور المحدود بدون الحد (النقض). وتحدث عن أنواع النقض وأحكامه.

- **والوجه الثاني عشر**: البداهة والنظر ليس من لوازم المعلومات.

وذكر في تعريف العقليات أن الناس **يتفاوتون في الإدراك Individual Differences in Perception** تفاوتًا لا يكاد ينضبط طرفاه (ص١٤).

المقام الثاني: « المقام الإيجابي في الحدود والتصورات »: والسؤال هو هل يمكن تصور الأشياء بالحدود؟ وأوضح المؤلف أن الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره، كالاسم وليس فائدته تصوير المحدود، وتعريف حقيقته. وهذا ما يدعيه اليونانيون المنطقيون.

وذكر مصطلح **الصورة الذهنية Mental Image** على أنه ماهية الشيء وما يتصوره بالذهن وأجزاء الماهية هي تلك الأمور المتصورة (ص٢٥).

وحدد المؤلف أجزاء المنطق في ثمانية أجزاء هي:

١ - المفردات وهي المقولات المفردة.

٢ - التركيب الأول وهو تركيب القضايا.

٣ - التركيب الثاني، وهو تركيب القياس من القضايا.

٤ - البرهاني.

٥ - الجدلي.

٦ - الخطابي.

٧ - الشعري.

٨ - السفسطة.

وفي الرد على أهمية الحدود في تصوير الحقائق يرى خمسة وجوه:

- يتمثل **الوجه الأول** في أن الحد سواء جعل مركبًا أو مفردًا لا يفيد معرفة المحدود، فهو مجرد قضية خبرية.

والوجه الثاني خبر الواحد بلا دليل لا يفيد العلم.

والوجه الثالث أنه لو حصل تصور المحدود بالحد لحصل ذلك قبل العلم بصحة الحد.

والوجه الرابع أن معرفة المحدود يتوقف على العلم بالمسمى واسمه فقط.

والوجه الخامس أن فائدة الحدود قد تكون أضعف من فائدة الأسماء.

وذكر أهمية معرفة الحدود الشرعية من الدين كالصلاة والزكاة والصيام والحج والغيبة والكبر والإسلام، ثم ذكر أقسام الحدود اللفظية وأن الأسماء لها ثلاثة تصنيفات:

أ - ما يعرف وحده باللغة.

ب - ما لا يعرف إلا بالشرع كأسماء الواجبات الشرعية.

جـ - ما يعرف بالعرف العادي وهو عرف الخطاب باللفظ.

المقام الثالث « المقام السلبي في الأقيسة والتصديقات » في قولهم أنه لا يعلم شيء من التصديقات إلا بالقياس، والرد أن حصر العلم على القياس قول بغير علم، وأن الفرق بين البديهي والنظري أمر نسبي، وأن الأدلة قد يلزمها كل من المتواترات وهي اشتراك الناس في رؤية أو الإحساس بشيء ما، والمجربات وهي ما يجربه الناس ويتفقون عليه، وتحصل بالحس والعقل. وأن المتواترات قسمت إلى نوعين هما: تجريبات وحدسيات، فإن كان الحس المقرون بالعقل من فعل الإنسان كالأكل والشرب سماه تجريبًا، وإن كان خارجًا عن قدرته كتغير شكل القمر سماه حدسيًّا.

وذكر أن الشم والذوق واللمس هي حس **Sensation** محض لا يحصل إلا بمباشرة الحيوان لذلك، فهم كالجنس الواحد، وأن إنكار المتواترات هو من أصول الإلحاد والكفر (ص٩٧).

ولقد قسم اليونانيون العلوم إلى ثلاثة أنواع: إما علم طبيعي لا يتجرد عن المادة لا في الذهن ولا في الخارج وهو طبيعي وموضوعه الجسم، والعلم الرياضي وهو علم مجرد عن المادة في الذهن لا في الخارج كالكلام في العدد والمقدار، والعلم الإلهي وهو ما يتجرد عن المادة فيهما، موضوعه الوجود المطلق بلواحقه، التي تلحقه من حيث هو وجود كانقسامه إلى واجب وممكن وجوهر وعرض.

وذكر أن النفس تتلذذ بمعرفة الحقيقة وعلم ما لم يكن تعلمه، وقد تتلذذ باللَّهو واللعب، وأن النفس إذا اعتادت العلم الصحيح، والقضايا الصادقة فيكون في ذلك تصحيح الذهن والإدراك وتعويد النفس أنها تعلم الحق وتقوله لتستعين بذلك على المعرفة التي هي الهدف الأسمى (ص١٢٤).

وذكر أن الأنبياء يستدلون بالآيات وبالقياس الأولى، وأن الاستقراء **Induction** يعنى الاستدلال بالجزئيات على الكلي فإن كان تامًّا فهو استقراء تام يفيد اليقين، وسرد عدة قصص أطلقها المناطقة وكذبها ونفاها المؤلف، منها ما يدور حول الإسكندر وذي

القرنين، وقصص الأنبياء والمرسلين، ثم تحدث عن الإمام الغزالي وفضله، وأنه أول من أدخل المنطق في أصول الفقه، وتحدث عن العقول، فيرى أن العقل **Mental** مصدر عقل يعقل عقلًا، وهو أيضًا غريزة في الإنسان (ص١٩٦).

المقام الرابع « المقام الإيجابي في الأقيسة والتصديقات »، في قولهم أن (القياس يفيد العلم بالتصديقات)، والرد أن القياس المنطقي عديم التأثير في العلم وجودًا وعدمًا، وأنه أحد الأسباب المعوقة عن حصول العلم، وأن أساليب القياس لديهم ما هي إلا صورة الدليل من غير بيان فساده أو صحته.

وذكر أن النظر في العلوم الدقيقة كالمنطق يفتق الذهن ويدربه **Mental Training** ويقويه على العلم (ص٢٥٥).

وضرب المؤلف أمثلة على علمية هذه الأشياء، منها العلم بجهة القبلة، والفلك المستدير، والعلم بالهلال، والعلم بطلوع الفجر، والأسبوع، أما كون الأفلاك تسعة فليس عليه دليل، وأن التكلم بلا علم في الشرعيات وفي العقليات به ضرر بليغ، ووضع أدلة على أن الأنبياء كلهم مسلمون ودينهم واحد، وأن تعليم الأنبياء جامع للأدلة العقلية والسمعية جميعًا، وأكد أن استعمال القياس المنطقي في حق اللَّه ممنوع.

وذكر لفظ الوساوس **Obsessive Ideas** وهو تصور الشخص مع عدم وجود الشيء في الخارج، وأنه ليس من العلم في شيء (ص٣٥٨).

ثم تحدث عن المشهورات لدى « ابن سينا »، فذكر أن (خلقة) الإنسان من الرحمة والخجل والحمية وغير ذلك. وتحدث عن أن الإنسان لو توهم نفسه وأنه خلق مرة تام العقل، ولم يسمع أدبًا ولم يطع انفعالًا نفسانيًّا أو خُلقًا، لم يستطع الحكم في القضايا بشيء، فالمشهورات إما من الواجبات، وإما من التأديبات التي تتطابق عليها الشرائع الأولية، وإما خلقيات وانفعاليات، وإما استقرائيات (ص٣٩٧).

أما « الرازي » فعرف المشهور بأنه صادق وقد يكون أوليًا، وأن السبب في الشهرة إما كونه أوليًّا أو تعلق النظام به « الكذب القبيح » أو الانفعالات النفسانية أو الاستقراء العام (ص٣٩٨).

وتحدث عن أنواع التصورات **Images**، فمنها ما يكون مجملًا أو مفصلًا؛ فالإنسان يخطر له الإنسان ولا يستحضر صفاته؛ فيكون التصور مجملًا، وقد يخطر له صفات مثل كونه ناطقًا، ضاحكًا، أو حساسًا فهو تصور مفصل (ص٤١٩).

وأشار إلى أن الإنسان يجد في نفسه لذة العدل والصدق والعلم والإحسان والسرور، وذلك ما لا يجده من الظلم والكذب والجهل. والناس الذين وصل إليهم ذلك والذين لم يصل إليهم ذلك يجدون أنفسهم من اللذة والفرح والسرور بعدل العادل وبصدق الصادق، وأنها من اللذات الباطنة التي أفضل من اللذات الظاهرة (ص٤٢٣).

وعرف **الحكمة Wisdom** على أنها عند سائر الأمم نوعان: علم وعمل، وأنها عند المسلمين كما عرفها مالك على أنها: معرفة الدين والعمل به، وتتضمن الحكمة العملية كل من علم الأخلاق، وسياسة المنزل، وسياسة المدنية (ص٤٢٤).

وأشار إلى أن الإنسان والحيوان، ناطقها وغير ناطقها، تدرك في المحسوسات الجزئية معاني جزئيةً غير محسوسة ولا متأذية من طريق الحواس، مثل إدراك الشاة معنى في الذئب غير محسوس، وإدراك الكبش معنى في النعجة غير محسوس، إدراكًا جزئيًا يحكم به كما يحكم الحس بما يشاهده، هذه القوة التي سموها **الوهم Delusion** هي التي يدرك بها الإنسان صداقة الصديق وعداوة العدو؛ لذا يقولون « الحاكم على النفوس الوهم » (ص٤٢٩).

وأن كمال الإنسان العملي أربعة: إصلاح الشهوة والغضب والعدل بينهما، والعلم بذلك (ص٤٣٧).

وفرقوا بين قوة « التخيُّل » و « الوهم ». أما **التخيُّل Imagination** أن يتخيل الحسيات والوهم أن يتصور في الحسيات معنى غير محسوس (ص٤٧٠).

وتحدث عن أنواع **الصرع Epilepsy**، حيث يدعي الأطباء أنه كله من الأخلاط، فذكر أن هذا خطأ، ويرى أن كبار العلماء والأطباء والفلاسفة يقرون بنوعين من الصرع: صرع من الخلط، وصرع من الجن (ص٤٧٠).

وتحدث بوجهة عامة عن ضلال الفلاسفة في نفي علم اللّه، وأن السمع والبصر له تعالى، وأن القرآن أخبرنا بالمستقبلات، وتحدث عن معنى الوعظ في القرآن، وتحدث عن الدعوة بالموعظة والحكمة، وأن الجدل (**المحاجة Argumentation**) تكون بعلم، والحكمة بعلم، وأن فائدة المحاجة هو تبين الخطأ (ص٥١٤).

كما رد على نفيهم وجود الجن ذاكرًا أدلة على وجودهم ووجود الملائكة والوحي. وناقش فكرتهم أن الأنبياء لا يوحى إليهم وإنما لديهم ما يسمى بالنفس الفلكية، وأن نفوس البشر تتصل بالنفس الفلكية الموجودة تحت العقول وتنفس في نفوس البشر

ما فيها، وأكد أن كلامهم مبني على أصول فاسدة، وأن الأنبياء بالفعل يعلمون الأشياء بتفاصيلها، وأنهم يخبرونها بالوحي، وميز بين الملائكة والجن، وتحدث عن الوحي وكون جبريل له ستمائة جناح وأنه مطاع فوق السموات، وأنه تمثل رجلًا عند الوحي، وأنه كان يظهر أمام الصحابة بصفة أعرابي، وأن الملائكة كانوا ينزلون في الغزوات لتأييد المسلمين والأنبياء، وأكد أن القرآن نزل على محمد رسول اللّه ومبلِّغ كلامه، وأن جميع الأنبياء مسلمون.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الاستقراء Induction.**
- **الفروق الفردية في الإدراك Individual Differences in Perception.**
- **الصورة الذهنية Mental Image.**
- **الإحساس Sensation.**
- **العقل Mental.**
- **التدريب العقلي Mental Training.**
- **الوساوس Obsessive Ideas.**
- **أنواع التصورات Images.**
- **الحكمة Wisdom.**
- **الوهم Delusion.**
- **التخيُّل Imagination.**
- **الصرع Epilepsy.**
- **المحاجة Argumentation.**

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

الرسالة



- تأليف/ الشافعي الإمام المطلبي محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤هـ).
- تحقيق وشرح/ أحمد محمد شاكر.
- القاهرة: دار التراث (١٩٧٩م)، الطبعة الثانية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي، وهو عالم لم يظهر مثله في علماء الإسلام في فقه الكتاب والسنة. تأدب بأدب البادية، وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر. سماه أهل مكة « ناصر الحديث »، وتواترت أخباره إلى علماء الإسلام في عصره، فكانوا يغدون إلى مكة يناظرونه ويأخذون عنه في حياة شيوخه.

دخل العراق ليأخذ عن أهل الرأي علمهم ورأيهم وينظر فيه، ويجادلهم، ويحاجهم، ويزداد بصرًا بالفقه، ونصرًا للسنة. ثم دخل مصر في سنة (١٩٩هـ) فأقام بها حتى مات يعلم الناس السنة وفقه السنة والكتاب، مات ودفن بمصر. عاش (٥٤) سنة، ولد سنة (١٥٠هـ) بغزة، ومات ليلة الجمعة آخر يوم من رجب سنة (٢٠٤). ألف كتبًا كثيرة منها « الأم » الذي ألفه في مصر، وكتاب « اختلاف الحديث »، و « الرسالة ».

عرض الكتاب:

يقع هذا الكتاب في (٦٨٠) صفحة من القطع المتوسط. وجاء في مقدمة الكتاب تعريف بمن هو الشافعي وكيف وصل إلى مصر، وما هي مؤلفاته. وأشار إلى أن النسخة المخطوطة لكتاب الرسالة هي أصل الربيع ونسخة ابن جماعة. وتنقسم الرسالة إلى ثلاثة أجزاء، ويتضمن كل جزء منها أبوابًا عديدة تشير في مجملها إلى الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، والعقائد والفرائض المختلفة التي جاء بها الدين الإسلامي.

ويتناول **الجزء الأول** من الكتاب في بدايته الإشارة إلى بعثة الرسول ﷺ، ويستشهد على بعثته وما كان عليه الناس، وما أصبحوا عليه بعد البعث بآيات من القرآن العظيم.

ثم يشير في باب كيف البيان إلى معنى البيان، وأن هناك ما أبانه اللّٰه نصًّا مثل جمل

الفرائض التي فرضت علينا، وما حرم علينا القيام به.

أما في باب البيان الأول فيشير إلى ما ذكره اللَّه في المتمتع، ومنه المتمتع بالعمرة والحج، وبيان كم ليلة للصيام، والإشارة التي جاء بها الكتاب فيما يتعلق بمدة العمرة والحج والصيام وما إلى ذلك.

ويشير باب البيان الثاني إلى كيفيات الوضوء، والغسل من الجنابة، وأن أقل غسل للعضو يكون مرة واحدة. كما بين الكم والعدد في الميراث والتوريث، واعتماد الشرع على القرآن وحده فيما يختص بهذه الأمور.

ويتعلق باب البيان الثالث بفرض الصلاة؛ فبين على لسان الرسول ﷺ عدد ما فرض من الصلوات، ومواقيتها، وسننها، والزكاة ومواقيتها، وكيفية أداء العمرة والحج.

أما باب البيان الرابع فيشير إلى أن ما لم يذكره القرآن سنَّه الرسول ﷺ، وأننا نأخذ عن الاثنين معًا الكتاب والسنة.

وفرض علينا دائمًا وأبدًا في الباب الخامس التوجه إلى اللَّه، وأن نستقبله دائمًا. فخلق العلامات لتوجهنا ولنستدل بها. وأن ليس لأحد أن يحرم أو يحلل شيئًا إلا بالاستناد للكتاب والسنة، أو الإجماع والقياس، والذي نعني به الاستدلال المنطقي **Logical Reasoning** (ص٣٩)، وضرب مثلًا بقضية القرآن أهو عربي أم أعجمي، واستدل من الكتاب والسنة على أنه عربي جاء على لسان عربي.

تناول بعد ذلك ثلاثة أبواب: يشير الأول منها إلى ما جاء في الكتاب للتعميم ويراد به الأمور العامة، ولكنه يتضمن المخصوص منها. ويتحدث الثاني عن الأمور التي فرضت بشكل عام في ظاهرها، ولكنها جمعت بين العام والخاص. أما الثالث فيشمل الأمور التي تشبه الأمور العامة في ظاهرها، ولكن يقصد بها الاختصاص فقط.

ثم جاء على بيان الصنف أو النوع الذي يبين سياق الحديث معناه، وتحدث عن بني إسرائيل ثم إخوة يوسف في هذا المجال.

ثم أوضح في الباب الذي يليه كيف أن بعض ما جاء عامًّا في القرآن جاء تفصيله في السنة النبوية، وكيف أنها أوضحت ما قد يكون غامضًا في القرآن الكريم، وذلك فيما يتعلق بالجزاء من السارق والزاني وأحكام الميراث وكيفية الوضوء.

ثم أشار إلى بيان أن اللَّه ﷻ أمر باتباع أوامره، واتباع رسوله وسنته، وأنه فرضها ونص عليها في آيات كثيرة من الكتاب.

كما فرض اللَّه - تعالى - طاعة الرسول وذكرها في القرآن الكريم مقرونة بطاعته. وأنه من استعصى عليه أمر ما في الدين ولجأ إلى القرآن فلم يستطع الجزم بما عليه القيام به، لجأ إلى سنة الرسول ﷺ. كما أشار إلى آيات لا حصر لها تشير إلى أن طاعة الرسول من طاعة اللَّه.

ثم جاء بباب **يوضح فيه ما يؤيد اتباع الرسول**، وعدم اتباع الآخرين ممن سواه. وبين أن سنن الرسول مع كتاب اللَّه وجهان؛ نص الكتاب وما تبعه من سنة الرسول لتوضيح ما نص عليه، والآخر جملة بيَّن رسول اللَّه فيه عن اللَّه معنى ما أراد بالجملة، والثالث ما سن رسول اللَّه فيما ليس فيه نص الكتاب. ففرض اللَّه على نبيه اتباع ما يوحى إليه، ولم يجعل له تبديله من تلقاء نفسه.

أعقب ذلك **باب فرض الصلاة** وبين فيه أن اللَّه افترض الطهارة على المصلي في الوضوء والغسل من الجنابة، وأما من أدخل نفسه في حالة كالسكر فلا يسقط عنه فرض الصلاة، وعليه أن يعوضها حين يفيق من سكره. وأن هناك فروضًا وأوامر من اللَّه يأتي بها القرآن وتؤكدها السنة النبوية كضرب الزانية والزاني الحرين مائة جلدة، والرجم للزاني والزانية الحرين الثيبين.

أما **باب الفرائض التي أنزل اللَّه فيها نصًّا واضحًا**. فبين أن اللَّه أمر بصيام شهر رمضان، وأوضح ذلك في كتابه كما أنه أوضح حد الزنا، وما يفعل بكل من الزاني والزانية توضيحًا تامًّا. كذلك أوضح الصيام في السفر وفطره، وكيفية القضاء. ومن الفرائض الأخرى التي وضحها القرآن الطلاق، والطهارة، وكيفية الاغتسال، والميراث والمواريث، ومقدارها.

أما الصلاة فتعتبر من الفرائض التي أجملت في الكتاب وفصلت في السنة، فبينت السنة أوقاتها، وعدد ركعاتها، وما يقرأ فيها، وصلاة السفر قصرًا، والتوجه للقبلة، وصلاة الأعياد، والاستسقاء وغيرها.

كذلك الزكاة فرضت في القرآن وجاء تفصيلها في السنة. فوضحت السنة حجم الزكاة في الفرس والإبل والأنعام، والمال والذهب وغيرها. وينطبق ذلك على الحج وتعدد في الزوجات.

أما **الجزء الثاني** من الكتاب فتحدث في أوله عن المحرمات من النساء. فبين اللَّه - تعالى - من هن المحرمات، وفسرتها السنة. كما أشار القرآن إلى محرمات الطعام؛ وذلك لأن بعض أنواع هذا الطعام كان يؤكل قبل الإسلام. وأوضح القرآن عدة المعتدة،

لكنه لم يشر إلى ما يجب عليها أن تتجنبه أثناء العدة.

وأوضح الكاتب في رسالته أن القرآن جاء ببعض جوانب الدين جملة وفصلتها السنة النبوية، وجاء ببعضها الآخر تفصيلًا فجاءت السنة لتؤكده، وجاءت السنة في بعض جوانبها ببعض الأمور التي لم ترد في القرآن كالتشهد.

أما **باب العلم** فيشير إلى أن العلم علمان علم عامة لا يسع بالغًا غير مغلوب على عقله جهله مثل الصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت، وزكاة المال. وأن اللَّه حرم الزنا، والقتل، والسرقة، والخمر، وهو علم موجود نصًّا في كتاب اللَّه، وموجود عامة عند أهل الإسلام ينقله عوامهم عمن مضى من عوامهم. والوجه الثاني ما ينوب العباد من فروع الفرائض مما ليس فيه نص كتاب، ولا في أكثره نص سنة، وما كان منه يحتمل التأويل ويستدرك قياسًا ومنه القتال، فاحتمل أن يكون على كل مطيق له، ولا يسع أحدًا منهم التخلف عنه. فاحتملت آيات القرآن الكريم أن يكون معنى فرضها غير معنى فرض الصلوات، وذلك أن يكون الفرض في القتال فرض كفاية.

ثم جاء **باب خبر الواحد**؛ وأشار إلى أنه لا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع أمورًا منها أن يكون من حدث به ثقة في دينه، معروفًا بالصدق في حديثه، عاقلًا لما يحدث به عالمًا بما يحيل معاني الحديث من اللفظ، وأن يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمع، ولا يحدث به على المعنى؛ لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بمعناه قد يحيل الحلال إلى حرام. ويستمر في ذلك حتى ينتهي بالحديث موصولًا إلى النبي أو إلى من انتهي به إليه دونه؛ لأن كل واحد منهم مثبت عمن حدثه، ومثبت على من حدث عنه.

أما **الجزء الثالث** من الرسالة فيبدأ بالإشارة إلى أن من يروون عن الرسول ويحدثون عنه يجب أن يكونوا من الموثوق فيهم؛ لأن الرسول أشار في حديثه إلى أن « **من كذب علي فليلتمس لجنبه مضجعًا من النار** ».

كما أوضح أن من يحمل الفقه قد يكون غير فقيه، فيكون له حافظًا ولا يكون فيه فقيهًا.

وجاءت دلالة على أن حديث رسول اللَّه يثبت بنفسه، وأنه ليس لأحد مع رسول اللَّه أمر، وأن طاعة اللَّه في اتباع أمر رسول اللَّه.

ثم عرض بعد ذلك **لباب الإجماع** والذي أشار فيه إلى اتباع الجماعة، وأنه يجب على

المسلم أن يلزم جماعته، وأنه ليس من المفروض على المسلم مخالفة جماعته.

أما ما يؤخذ بالقياس فهو ما لم يذكره الكتاب ولا السنة. وللقياس والاجتهاد معنى واحد . فكل ما نزل بمسلم وفيه حكم في القرآن والسنة فهو لازم، وما لم يكن فيه حكم يجتهد بالقياس بما هو معروف.

ثم عرض لباب الاجتهاد كباب منفرد، وأشار فيه إلى أحاديث تجيز الاجتهاد فذكر رسول اللّه أنه « **إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** ». والاجتهاد لا يكون إلا على مطلوب.

أما باب الاستحسان وأشار الكاتب في هذا الباب بالدليل إلى أنه في حالة أن لا يكون هناك نص من الكتاب والسنة يوضحان الفرض أو ما يجب أن يتبعه المسلم، يقاس على ما هو موجود ويماثل عليه، وفي ذلك استحسانٌ له. وضرب عددًا من الأمثلة في زكاة الزرع، والمال، والقتال، والجهاد، وما إلى ذلك من الأمور الدينية.

وجاء في باب الاختلاف أن له وجهين؛ أحدهما أن الاختلاف محرم وبخاصة في كل ما أقام اللّه به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه. وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسًا، فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس وإن خالفه فيه غيره. وما من شيء اختلف الناس عليه إلا وجد له دلالة من الكتاب والسنة، أو قياسًا عليهما، أو على واحد منهما، وضرب مثلًا على ذلك في المطلقات، وما يجب عليهن من الانتظار بعد الطلاق لوضوح الحمل أم لا، وأوضحت الأحاديث ما يؤيد الآية الكريمة ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

وأوضح منزلة الإجماع والقياس، وأننا نحكم بالكتاب والسنة أولًا ثم يحكم بالسنة في الأمور التي لم يستدل على تفصيلها من الكتاب، ويحكم بالإجماع أو القياس في حالة غياب حالة واضحة يحكم على أساسها فنماثل بين الحالتين لإصدار الحكم.

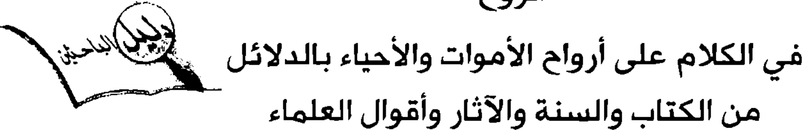
الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة المفاهيم النفسية الآتية:

- **الاستدلال المنطقي Logical Reasoning**.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين



الروح
في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء

○ تأليف/ ابن قيم الجوزية، الإمام شمس الدين أبي عبد اللَّه (٧٥١هـ).

○ القاهرة: مكتبة المتنبي.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٦٧) صفحة، ويتضمن إحدى وعشرين مسألة، يفصل كل مسألة عن الأخرى فواصل تشرح كل ما يتعلق بالأرواح والأموات، مع البحث في معنى الموت، وماهية الروح، كما سرد بعض الرؤى التي رآها الصالحون، وذكر أنواع العذاب المختلفة التي قد تقع على المؤمنين وغيرهم من غير المؤمنين. **ونفصل هذه المسائل فيما يلي:**

تناولت **المسألة الأولى** شعور الأموات بالأحياء، وبما يفعلونه في دنياهم، وقد يتصلون بهم في منامهم وأحلامهم ليخبروهم بما يفعلونه. هذا بالإضافة إلى أن الأموات يسمعون الأحياء عندما يمرون على قبورهم، ويردون عليهم سلامهم.

كما أن الميت يستأنس بمشيعيه، وينتفع بقراءتهم للقرآن، والدعاء لهم، والترحم عليهم.

أما **المسألة الثانية** فتتعلق بأن الأرواح قسمان؛ أرواح معذبة وأخرى منعمة، وأن الأرواح المنعمة تتزاور فيما بينها وتتلاقى.

ويتساءل الكاتب من خلال **المسألة الثالثة** عن تلاقي أرواح الأحياء بالأموات. وتشير الأحاديث النبوية أن أرواح الأموات تأتي للأحياء في منامهم لتطلعهم على ما هم فيه، وكيف غفر اللَّه لهم، ورحمهم وجازاهم حسن الجزاء. ويشير الكاتب في ظل هذه المسألة إلى الرؤيا ويقصد بها « **الحلم** » **Psychology of Dream** (ص٢٩، ٣٠)، وأنها من حديث النفس أي أن الحلم تنفيس عما يعتمل بالنفس، ويشير إلى أن النفس تتجرد بالنوم أو الموت من كل أساليب مقاومتها؛ ونعني بذلك أن دفاعات النفس تستكين

بالنوم، فيظهر ما في النفس في ظل غياب هذه الدفاعات.

ويحاول الكاتب أن يلم في **المسألة الرابعة** بالإجابة عن ما الذي يموت؟ الروح أم البدن؟ واختلفت الآراء في ذلك؛ فالبعض يشير إلى أن الأبدان هي من تموت والأرواح خلقت للبقاء. ويرى أن الصواب أن موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد بها أن تعدم وتضمحل وتصير عدمًا فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب.

ثم عرض لمسألة – في ظل **المسألة الخامسة** – أن الأرواح تتميز بتميز أبدانها، وأنها بعد الموت لا تميز لها بل لا وجود لها على الإطلاق بل تعدم؛ ومن هنا تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها، فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها، فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها، وتكتسب النفسُ الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه، وهو ما يمكن أن نشير له في علم النفس **بتفاعل النفس مع الجسم Psychosomatic Interaction** (ص٣٨، ٣٩).

وأشارت **المسألة السادسة** إلى عودة الروح إلى صاحبها في قبره للمساءلة، وأن الروح الطيبة تعود عودًا طيبًا وتجازى بالحسنى، والخبيثة منها يكون عودها عودًا غير محمود وحسابها يكون عسيرًا.

كما أشار إلى أن العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة؛ فتنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

وتعرض **المسألة السابعة** إلى ما نجيب به على الملاحدة والزنادقة فيما يتعلق بإنكارهم لعذاب القبر وسعته وضيقه. وتكمن الإجابة التي يسوقها الكتاب في الأحاديث التي وردت في أن اللّٰه جعل أمر الآخرة غيبًا لا يعلمه إلا هو، وأن الروح تشهد غسل البدن وتكفينه وحمله، وما إلى ذلك. كما أن الملائكة لا يحجبها عن الميت شيء حتى في لحده فهي معه. وأن الرسل يشهدون بما تشيره عليهم عقولهم وفطرتهم، وأن الفهم عن الرسول يحدث بلا غلو ولا تقصير.

وأوضح أن ما بين الدنيا والآخرة يطلق عليه البرزخ. وأن اللّٰه جعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان، وأن الملائكة تنزل على المحتضر ويرونهم.

وأن اللَّه جعل لبني آدم بعثين؛ الأول يوم مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول، والثاني يوم يرد اللَّه الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار.

ويثير الكاتب من خلال **المسألة الثامنة** حكمة كون عذاب القبر لم يذكر في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به. فكانت الإجابة أنه جاء في مجمله في القرآن، وتفصيله في السنة النبوية الشريفة من خلال الأحاديث التي رواها الرسول في هذا الموضع.

أما أسباب عذاب القبر - التي جاءت في **المسألة التاسعة** - ففي مجملها أن العذاب لمن جهل باللَّه وأضاع أمره، وارتكب المعاصي (فيعذب ساكن القبر لأشياء كثيرة عددها الكاتب وأحصاها في ظل هذه المسألة).

أما فيما يتعلق بالمنجيات من عذاب القبر والذي جاءت به **المسألة العاشرة**. فقد كانت إجابتها في تجنب كل ما يغضب اللَّه ورسوله.

وتناولت **المسألة الحادية عشرة** مدى عمومية سؤال القبر، وهل يختص به المسلم فقط. وتبين من خلال الأحاديث التي سردت أن سؤال القبر يتساوى فيه المسلم المحاسب، والكافر، والمنافق؛ حيث يسأل المسلم عن ربه ورسوله ودينه فيجيب، أما الكافر والمنافق فلا يستطيع الإجابة.

كما ظهرت التساؤلات حول مدى خصوصية سؤال القبر في **المسألة الثانية عشرة**، وهل تختص به الأمة المسلمة دون سائر الأمم. فاختلفت الأقوال في أن السؤال للأمة المسلمة فقط، وأشارت أخرى إلى أن السؤال يوجه لجميع الأمم على السواء.

أما في سؤال الأطفال في قبورهم في **المسألة الثالثة عشرة**. فيرى في هذه المسألة رأيان؛ الأول: أنهم يسألون، لأنه يفرض عليهم الصلاة ويدعى لهم بالمغفرة، والثاني: أن السؤال لمن عقل من هو اللَّه ومن هو رسوله وما هو دينه.

ثم كان السؤال في **المسألة الرابعة عشرة** حول عذاب القبر، هل هو منقطع أم مستمر؟ فكانت الإجابة أن هناك من يستمر بهم العذاب حتى يوم القيامة، ومنهم من يعذب لمدة معينة ثم يرفع عنه هذا العذاب. كما أشار إلى أن دعاء الصالحين - سواء كانوا أحياء أم أمواتًا دفنوا مع الميت - ترفع عن المعذب عذابه.

وأشار بعض من تناولوا هذه المسألة إلى تغير الروح أكثر من مرة، فيرون أن الإنسان

تتبدل له ألف روح فأكثر في مقدار ساعة من الزمان.

ثم كان التساؤل حول مستقر الروح بعد الموت هل هو في السماء أم الأرض؟ وذلك في **المسألة الخامسة عشرة**، واختلفت الآراء في ذلك؛ منهم من قال أن الأرواح المؤمنة في السماء والكافرة في الأرض، ومنهم من أشار إلى أنها تستقر بباب الجنة، أو أنها تتخذ شكل طير في الجنة.

ثم جاءت **المسألة السادسة عشرة** لتجيب عن تساؤل ما إذا كانت الأرواح تنتفع بشيء من الأحياء أم لا؟ وهنا جاء الإجماع على أن هذه الأرواح تنتفع من أعمال الأحياء، وذلك بقراءة القرآن، والصوم، والحج، وغيرها. وورد في ذلك كثير من الأحاديث حول مدى انتفاع الموتى بما يهديه لهم الأحياء. وأشارت بعض الآراء إلى أن أكثر ما ينتفع به هو العلم، وحفر نهر أو بئر، أو غرس نخلة، أو بناء مسجد، أو وراثة مصحف، أوترك ولد صالح.

كما جاء تساؤل في طيات هذا الكتاب حول ما إذا كانت الروح مخلوقة محدثة أم قديمة، وذلك في ظل **المسألة السابعة عشرة**. واختلفت الآراء أيضًا حول هذه المسألة، فيرى بعضهم أنها مخلوقة محدثة ويستدل على ذلك بالحديث والقرآن الكريم، وأنها لو كانت قديمة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها، وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها.

أما فيما يتعلق بتقدم خلق الأرواح على الأجساد أو تأخر خلقها والتي تقدم عرضها في **المسألة الثامنة عشرة**. فقد استند بعضهم إلى الآيات والأحاديث التي أيدت تقدم خلق الروح على البدن، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ١١]. ومن ذكر أن البدن تقدم خلقه على الروح.

أما حول ما إذا كانت النفس جزءًا من أجزاء البدن أو عرضًا من أعراضه. **فإن المسألة التاسعة عشرة** تناولت مهمة الإجابة عن هذا التساؤل. وتضاربت الأقوال فيما يتعلق بهذه المسألة. وأشارت إلى ما أطلق عليه الكاتب: النقوش العقلية (ص١٩٩، ٢٠٣) والتي يمكن أن نشير إليها **بالمخططات العقلية Mental Schemata**، وأن النفس تسهم في تكوين هذه النقوش العقلية، وتساعد على **الإدراك Perception** والتعلم، وأن هذه المخططات مترابطة مع بعضها البعض.

كذلك أشار الكاتب إلى أن كل فرد يدرك نفسه (ص٢٠٧)، والإدراك عبارة عن

حصول ماهية المعلوم عند العالم، وإنما يصح إذا كانت النفس غنية عن المحل إلى آخره، وفي هذا إشارة إلى **مفهوم الذات Self-Concept**، وأن العلم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم عن العالم، أي أن تكون الذات متسقة مع الواقع الذي تعيش فيه.

تناول الكاتب أيضًا مصطلح **عته الشيخوخة Dementia** (ص٢٠٩)، وذلك عندما ذكر أن الشيخ في أرذل عمره يصير كالطفل أو أسوأ حالًا منه.

كما أنه ذكر ما أسماه بالكيفيات النفسانية (ص٢١٣) والتي يمكن اصطلاحها على أنها **سمات الشخصية Personality Traits** للفرد وطبيعتها وما تتسم بها من خصائص كالنفس اللينة، والوادعة، والقاسية.

أما **المسألة العشرون** التي تناولها الكتاب فكانت هل النفس والروح شيء واحد أم متغايران؟ فأشار بعض العلماء إلى أن النفس والروح شيء واحد، وأشار آخرون إلى أنهما متغايران.

وأشارت **المسألة الحادية والعشرون إلى أن النفس ليست واحدة بل ثلاث أنفس**؛ النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة. فالنفس المطمئنة هي التي تطمئن إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة والتوكل والرضا به والسكون إليه. وتعني النفس اللوامة النفس المتقلبة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض وتلطف، وما إلى ذلك من حالات النفس المختلفة. أما النفس الأمارة فهي المذمومة، التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقَّها اللَّه وثبتها وأعانها.

وأشار الكاتب إلى أن هذه الأنفس تتواجه وتتقابل وتتصارع مع بعضها البعض. وما يغلب على الفرد منها في النهاية هو ما يشكل الشخصية، وقد أشار الكاتب إلى أن الشيء الواحد تكون صورته واحدة، وهو منقسم إلى محمود ومذموم؛ كالفرح والحزن، والأسف والغضب، والغيرة والخيلاء وما إلى ذلك. كما أنه أشار إلى ما أسماه **بالوسوسة** (ص٢٥٦) ويعني به ابتداع ما لم تأت به السنة ولم يفعله رسول اللَّه ﷺ كمن يحتاط بزعمه فيغسل أعضاءه في الوضوء فوق الثلاثة فيسرف إلى صب الماء في وضوئه، ويغسل ثيابه مما لا يتيقن نجاسته احتياطًا، وهذا يقابل في علم النفس الحديث **بالوسواس القهري Obsessive Compulsive Disorder**، والذي قد تتمثل أعراضه في أفكار، أو طقوس، أو أفعال قهرية يقوم بها الفرد.

وينتهي الكتاب بالتمييز بين عدد من المفاهيم الدينية كأولياء الرحمن وأولياء الشيطان،

والحب في الله والحب مع الله وما إلى ذلك من أمور أخرى.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الحلم Psychology of Dream.

- مخططات عقلية Schemata Mental.

- تفاعل النفس مع الجسم Psychosomatic Interaction.

- الإدراك Perception.

- مفهوم الذات Self-Concept.

- سمات الشخصية Personality Traits.

- عته الشيخوخة Dementia.

- الوسواس القهري Obsessive Compulsive Disorder.

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *



رياض المعرفة

○ تأليف/ عبد الرحمن العدوي.

○ القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث (٢٠٠٣م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد بمدينة طنطا بمصر سنة (١٩٢٣م)، وحفظ القرآن الكريم في سن العاشرة وعين مديرًا عامًا للمساجد بوزارة الأوقاف سنة (١٩٦٣م)، وحصل على درجة الماجستير سنة (١٩٧٠م)، والدكتوراه سنة (١٩٧٨م)، وعمل مستشارًا للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (١٩٧٧ - ١٩٨٥م)، واختير عضوًا بمجمع البحوث الإسلامية سنة (١٩٩٢م)، وعمل أستاذًا بكلية الدعوة الإسلامية من سنة (١٩٨٥م) إلى الآن، وبلغت مؤلفاته في التفسير والفقه المقارن (١٥) مؤلفًا، وأنشأ المركز الإسلامي لدار الأرقم بمدينة نصر، وهو رئيس مجلس إدارته منذ سنة (١٩٩٢م)، ثم عين عضوًا بمجلس الشعب المصري سنة (٢٠٠٠م)، وانتخب وكيلًا للجنة الدينية بمجلس الشعب، وعمل عضوًا بلجنة الشئون الدينية بالإذاعة والتليفزيون المصري، وشارك في عدد من المؤتمرات العلمية بمصر والعالم العربي والإسلامي.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٦١٨) صفحة من القطع المتوسط ويتضمن الكتاب:

أولًا: الدراسات القرآنية:

معركة تحويل القبلة: اتخذت المعارك ضد الإسلام والمسلمين مظاهر وأشكالًا شتى منها:

١ - كذب المشركين على رسول اللَّه ﷺ ودعوته فيتمثل فيما يذيعونه في الناس من أنه ساحر وأن ما جاء به هو السحر الذي يفرق بين الابن وأبيه وبين المرء وزوجه، وأن القرآن من قول البشر وليس من كلام اللَّه. وهكذا يكذبون عليه وهم يعلمون أنه الصادق الأمين.

٢ - وأما القهر فقد مارسوه مع الذين آمنوا وعذبوهم وألهبوا ظهورهم بالسياط ووضعوا الحجارة في حر الظهيرة على صدر « بلال » وعذبوا « سمية وياسر » حتى استشهدا أثناء التعذيب، وعذبوا « عمار بن ياسر » وما تركوا وسيلة من وسائل القهر إلا ومارسوها مع المسلمين. وهو ما يشير إلى مفهوم (**العدوان Aggression**) انظر (ص٨).

٣ - التهوين من شأن الدعوة ورسولها فقد كان مشركو مكة يلتقون بالحجيج من قبائل العرب ويحذرونهم من دعوة الرسول ﷺ.

٤ - أسلوب الضغط والإخافة فيتمثل فيما اتفقوا عليه من مقاطعة بني هاشم ومن إلجائهم إلى شِعْب « أبي طالب » لا يبيعون لهم ولا يشترون منهم ولا يمدونهم بطعام ولا يسمحون لأحد بأن يساعدهم في شيء. وهو ما يشير إلى مفهوم (**ضغوط الجماعة Group Pressures**) انظر (ص٩).

معارك المنافقين في المدينة: واجه الإسلام في المدينة معارك المنافقين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون ومن أساليبهم الخبيثة:

١ - إظهار الإيمان مع جماعة المؤمنين حتى إذا انفردوا بإخوانهم من المنافقين أعلنوا كفرهم ونفاقهم.

٢ - الكيد للمسلمين واتخاذ الوسائل الماكرة ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا.

٣ - امتلاء قلوبهم بالغيظ والحقد على المسلمين كلما رأوا وحدتهم وتآلف قلوبهم.

٤ - يكرهون الخير للمسلمين ويفرحون لما يصيبهم من الشر والهزيمة.

٥ - يحقرون أعمال المسلمين، ويتهكمون بهم، ويقللون من قيمتهم ومن قيمة ما يصنعون.

٦ - يؤذون النبي والمؤمنين بكل ما يستطيعون من القول والفعل، فإذا انكشف أمرهم حلفوا كاذبين واعتذروا بأن قولهم كان على سبيل الفكاهة وليس الإساءة والإيذاء.

معارك اليهود في المدينة: معارك اليهود وهم أصحاب دعاية ومجادلة، وتحريف للكلم عن مواضعه، ونقض للعهود، وحقد لا يهدأ، وكراهية للإسلام والمسلمين. وقد واجه القرآن الكريم هذه المعارك مواجهة صريحة أحبطت مكائدهم وكشفت عن حقيقة الإسلام ناصعة في هدايته للبشر وأنه الحق المبين.

وكان من أشد المعارك في المدينة معركة تحويل القبلة التي اتخذها اليهود مادة لدعايتهم ضد الإسلام، وتشكيك المؤمنين في صدق نبيهم وفي قرآنهم، وفي عبادتهم، وقد حشدوا لذلك وسائل الكيد والتضليل، والأكاذيب، والمجادلة بالباطل، والنزاع المتشعب الأطراف.

لقد كان تحويل القبلة للمسجد الحرام إعلامًا من اللَّه بتميز الجماعة المسلمة، واختصاصها في القبلة والعبادة، وارتباطها بأبيها « إبراهيم » الذي سماهم المسلمين والذي دعا ربه وهو يرفع قواعد البيت أن يبعث فيهم هذا النبي الذي يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ولم يكن بد من تميز المكان الذي يتجه إليه المسلم في صلاته حتى تكون أمة الإسلام ذات منهج مستقل متكامل ليس فيه شبهة اقتباس أو تبعية.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: المعروف: لفظ يشمل أعمال البر كلها، وهو اسم لكل فعل يعرف بالشرع، أو بالعقل حسنه.

والمنكر: كل ما تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو يقبحه الشرع، أو يحرمه، أو يكرهه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عيني على كل مكلف قادر على الأمر والنهي. وإنَّ في جعل الأمر والنهي فرض عين حرزًا للأمة من الفساد والخلل.

وسيلة التغيير وضوابطه: ووسيلة تغيير المنكر كما جاءت في السنة النبوية الشريفة تكون بالفعل لا بالقول حسب المستطاع، وما تدعو إليه حاجة التغيير، فعن « أبي سعيد الخدري » قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: « **من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان** » رواه مسلم.

وقد وضع العلماء ضوابط لتغيير المنكر وتجعل منه مصلحة، وتبعده عن أن يكون مفسدة وهي:

١ - ألَّا يؤدي تغيير المنكر إلى مفسدة أشد مما قصد تغييره - درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

٢ - أن يكون الآمر الناهي عالمًا بما يأمر به وينهى عنه.

٣ - يجب في الآمر الناهي أن يطابق فعله قوله، فلا ينهى عن منكر ويأتي مثله.

٤ - يجب على الآمر الناهي شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه.

٥ - تغيير المنكر واجب على من قدر عليه، ولو لحقه لوم لا يتعدى الأذى فإن توقع الأذى فلا عليه أن ينكر بقلبه، ويكون قد أدى ما عليه.

٦ - أن يكون الأمر والنهي بالحكمة والموعظة الحسنة. والحكمة: وضع الشيء في موضعه، فلا يغلظ حيث يجب اللين، ولا يلين حيث يجب الحزم. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحكمة Wisdom**) انظر (ص٢٩).

٧ - أن يتدرج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويلزم الرفق وحسن القول، ويقدم بين يدي موعظته الدعاء لمن يعظه فيقول: وفقني اللّه وإياك لما يحبه ويرضاه.

٨ - أن يتجنب النصح أمام الناس؛ فإن من نصحك أمام الناس فقد فضحك. وفي ذلك يقول الشاعر:

تعمدني بنصحك في انفرادي ... وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصح بين الناس نوع ... من التوبيخ لا أرضى استماعه

لولي الأمر وللناس حدود: من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يعرف الآمر الناهي حدوده التي يجب عليه ألا يتجاوزها، فليس لأحد من أفراد الأمة أن يوقع العقاب على مرتكب المنكر، فإن ذلك ليس من شأنه وإنما يقوم به ولي الأمر إذ كانت إقامة الحدود إليه، والتعزير إلى رأيه، والحبس والإطلاق له. ومن تغيير المنكر باليد للقادر عليه: منع السارق من إتمام سرقته والغاصب من الاعتداء على المغتصب، والمتلف والمخرب لملك عام أو خاص من تنفيذ جريمته، ومن يحاول خطف فتاة من تنفيذ ما يريد، ومن يخطف حقيبة سيدة من الهروب بها، ومن يحتك بامرأة من الاستمرار في آثامه. وهو ما يشير إلى مفهوم: (**الانحرافات السيكوباتية Psychopathic Deviations**) انظر (ص٣١).

ميراث البنات - مناقشة وبيان: كان الميراث في الجاهلية قبل الإسلام يقصر توزيع التركات على الذكور الكبار الذين يحملون السيف ويحمون العشيرة، ويحرم البنات والنساء والصغار من الذكور؛ لأنهم يعالون ولا يعولون.

وفي صدر الإسلام كان التوارث مبنيًّا على الهجرة والمؤاخاة؛ أما الهجرة فقد كان المهاجر يرث أخاه المهاجر الذي يخالطه ويعايشه ويناصره، وأما المؤاخاة فقد كان المتآخيان اللذان يؤاخي بينهما رسول اللّه ﷺ من المهاجرين والأنصار يرث كل منهما

أخاه، وكانت هذه المرحلة من نظام المواريث تهدف إلى تكوين الأمة الإسلامية القوية المرتبطة، وتفضيل التناصر والتآخي على سائر القرابات النسبية.

ثم جاءت المرحلة التالية بإبطال التوارث بالهجرة والمؤاخاة.

أهمية دراسة المجتمع: إن عناية القرآن الكريم في آياته الأولى ببيان طوائف المجتمع وخصائص كل طائفة منهم يكشف للمؤمنين مقدار أهمية المجتمع الذي يعيشون فيه ومعرفة خصال المتقين وأهل الكفر والمنافقين ليكونوا على بينة في التعامل مع كل طائفة بما يحمي المؤمنين من عداوتهم وكيدهم، ويكونوا على حذر مما يكيده أعداؤهم، ويسعون فيها إلى تفريق جماعتهم، وتوهين عقيدتهم، والنيل من عزتهم.

ثانيًا: قطوف من السنة الشريفة:

تناول فيها السنة ومنزلتها من كتاب اللّه، فمن قال: (يكفينا ما في كتاب اللّه) فقد هدم شرائع الإسلام وأحكامه وفرائضه وآدابه ومبانيه كلها؛ للأسباب التالية:

١ - آيات القرآن الكريم تدعو إلى اتباع رسول اللّه ﷺ في قوله وفعله وحكمه وتنفي الإيمان عمن يرد ذلك ولا يسلم به تسليمًا تامًّا لا شك فيه.

٢ - القرآن لا يستغني عن السنة فهي مبينة للقرآن ومفسرة له ومفصلة لأحكامه، ولا يفهم القرآن بغير السنة، ومن استبعدها فقد أغلق عليه فهم القرآن ومعانيه.

٣ - رأي النبي هو الصواب؛ لأن اللّه أراه إياه، فالبيان من اللّه واللفظ لرسولنا الكريم وليس غيره.

٤ - الآيات المتشابهات في القرآن تبينها السنة، والذين في قلوبهم زيغ يرفضون بيانها. والذين يرفضون السنة يتبعون ما تشابه من القرآن وهم كما وصفهم المولى ﷻ ممن زاغت قلوبهم.

شرف مكة على غيرها: حب الرسول الكريم لمكة شرف يتوج جبينها مع ما حباها اللّه من نعم ومزايا، منها:

١ - يشرفها ما اختصت به في الجانب الإيماني الذي يتمثل في رسالات اللّه لأنبيائه وبخاصة أبو الأنبياء « إبراهيم » وولده « إسماعيل » - عليهما السلام -.

٢ - شرف اللّه مكة بالبيت الحرام الذي رفع قواعده سيدنا « إبراهيم » وولده « إسماعيل » - عليهما السلام -.

٣ - شرف اللَّه مكة بالاستجابة لدعاء إبراهيم ربه أن يبعث في أهل مكة رسولًا منهم يتلو عليهم آيات اللَّه ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

٤ - جعلها مهبط الوحي للرسالة الخاتمة؛ فكانت البداية في غار حراء بمكة.

٥ - جعل فيها مناسك الحج الذي يجمع المسلمين من بقاع الأرض ليشهدوا اللَّه والناس أنهم أمة واحدة، تأتلف قلوبها وأفئدتها على طاعة اللَّه، ويطوفون حول مركز واحد يعلن للجميع وحدتهم في الحركة والهدف والغاية متجردين من كل ما يشغلهم عن مطلبهم الأسمى وغايتهم وهي رضا ربهم.

٦ - كان أهلها السابقون الأولون إلى الإيمان باللَّه ورسوله وهم الركيزة الأولى لكتائب المؤمنين.

٧ - جعل فيها من حرمات اختصت بها؛ فقد حرم فيها القتال وسفك الدماء وجعلها بلدًا يعمه الأمن والأمان للإنسان والطير والحيوان والنبات.

مكانة الحرمين الشريفين: الحرم المكي يطلق على بيت اللَّه الحرام، والحرم المدني يطلق على مسجد رسولنا الكريم، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الحرمين الشريفين وسمو مكانتهما، ورفعة منزلتهما، وثواب اللَّه الذي يضاعفه لمن صلى فيهما.

رحمة الرسول في قيادة الأمة: من يتتبع سيرة الرسول الكريم يجدها لم تكن قاصرة على المؤمنين به، وإنما كانت رحمته شاملة لكل البشر، حتى أنه كان يحزن أشد الحزن على الذين لم يهتدوا إلى الحق الذي جاء به، ويجد أيضًا الرحمة سمة ظاهرة في حياته وتصرفاته كلها، سواء كانت على المستوى الفردي مع الضعفاء، أو النساء، أو الأطفال أو الأعراب الذين لا يفقهون إلا قليلًا، أم كانت على المستوى العام في قيادة الأمة وسياسة الدولة، ففي كل موقف من المواقف العصيبة التي تستدعي في نظر الناس استعمال العنف والقسوة والمؤاخذة نجد رسول اللَّه ﷺ يعالج الموقف في رفق ورحمة بمن أخطأه الصواب، أو وقع في معصية المخالفة، أو كان من المعتدين وأقدر اللَّه رسوله الكريم عليه فرحمه وعفا عنه. وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحكمة Wisdom**) انظر (ص١٠٣).

الشورى في التشريع الإسلامي: الشورى مبدأ من المبادئ الرئيسة التي أمر اللَّه رسوله بها في قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وسميت بها سورة من سور القرآن الكريم وهي « سورة الشورى » وهي من السور المكية مما يدل على أن عناية

الإسلام بتقرير مبدأ الشورى كان منذ بدايته في مكة، ولم يتأخر الأمر بها إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ومبدأ الشورى من المبادئ التي تتصل بالحكم وقيام الدولة الإسلامية ويعتبر من فرائض الإسلام كالصلاة والزكاة فيه، لا تكتمل الاستجابة لأمر اللّه إذا تركت « الشورى » كما لا تكتمل إذا تركت الصلاة أو الزكاة.. وسار الرسول على مبدأ الشورى ومن بعده الخلفاء.

منهج الصائمين كما يرسمه الرسول: يتمثل المنهج الذي حث عليه الرسول الكريم ودعا إليه في الآتي:

١ – مسارعة الصائم إلى عمل الخير ومضاعفة الحسنات.

٢ – لا تفوت الصائم خصلة من خصال الخير وهي كثيرة، ويقدر عليها كل فرد.

٣ – جعل الصيام وسيلة لتعود الصبر في كل أمور الإنسان في الحياة.

٤ – المواساة: بمالك أو بجاهك أو بجهدك وصحتك فتعطي الفقراء وتكثر من العطاء.

٥ – أن تفطر صائمًا ولو بتمرة أو شربة ماء أو رشفة لبن، ولا تحقرن من المعروف شيئًا.

٦ – التخفيف في هذا الشهر عمن ولاك اللّه أمره من خادم أو عامل أو أجير أو مرؤوس تقصد به وجه ربك.

٧ – أن يحفظ لسانه عن قول الزور والكذب والطعن واللعن والغمز واللمز وكل قول نهى عنه الرسول.

تحريم المسكرات والمخدرات في الشريعة الإسلامية: يتلخص دليل تحريم المخدرات والسموم البيضاء فيما يلي:

١ – أنها من الخبائث الضارة بعقل الإنسان وحياته وماله.

٢ – أنها مسكرة ومخامرة للعقل، والرسول ﷺ يقول: « **كل مسكر حرام** ».

٣ – أن فيها نشوة الخمر ومآسيها وخبائثها فتأخذ حكم الخمر قياسًا عليها.

٤ – يدخل تحريمها في عموم قول رسولنا الكريم ﷺ: « **لا ضرر ولا ضرار** » وهو ما يشير إلى مفهوم (**تعاطي المواد المؤثرة نفسيًا Drug Abuse**) انظر (ص١٤٦).

ثالثًا: السيرة النبوية:

وتناول فيها النسب الشريف الزكي للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وتحدث عن سفير الإسلام إلى دار الهجرة « مصعب بن عمير » وتناول فيها حياته وقصة إسلامه وما تعرض له وكيف كان سفيرًا للإسلام في الحبشة والمدينة.

رابعًا: الدراسات الفقهية:

تناول فيها: السنة والبدعة في صلاة الجمعة، وخصائص التكريم لشهر رمضان ومنها: بدء الوحي ونـزول القرآن، والصيام والقيام فيه، وبشـارات للمؤمنيـن فيه واختصاص العشر الأواخر منه بمزيد من الفضل والعبادات الخاصة فيه ومنها: صلاة التراويح وقيام الليل، والقراءة في قيام رمضان، وعبادة الصائم في العشر الأواخر من رمضان، وزكاة الفطر من رمضان، وأحكام الصيام، كما بيَّن حج الجاهلية والحج في الإسلام، ومناسك الحج والعمرة (مواقيت وأحكام)، والحج فريضة الوحدة الإسلامية، وأهمية الحج كمنهج إلهي في تربية الأمة الإسلامية، وتناول عيد الأضحى وأحكام الأضحية وفقه الصلاة والخطبة والأضحية. وبين دواعي الزواج العرفي وصوره ومآسيه ثم قدم علاج هذه الدواعي وهو ما يشير إلى مفهوم: (الزواج غير الشرعي **illegal**) انظر (ص٣٤١)، كما بين حق الرجل في الطلاق وحق الخلع للمرأة.

خامسًا: الاجتهاد بين أصول الشريعة الإسلامية:

أوضح أن النص القطعي في دلالته ليس موضعًا للاجتهاد ولا يجوز لأحد أن يعرضه على رأيه أو رأي غيره، فذلك من التعدي على حدود اللَّه والخروج على شرعه.

مجالات الاجتهاد: يكون الاجتهاد في النصوص التي تكون دلالتها ظنية، وقد تحدد مجال الاجتهاد في القرآن والسنة في المواضع التالية:

أولًا: الاجتهاد في القرآن:

١ - يكون في تعيين المراد من النص الظني الدلالة الذي يحتمل أكثر من معنى.

٢ - يكون في تحديد أحد المعنيين في لفظ يحتملهما معًا؛ لأنه من قبيل المشترك اللفظي الذي وضع في اللغة لأكثر من معنى، وذلك مثل لفظ « القرء » فإنه موضوع في اللغة للحيض وللطهر، وهنا يجتهد الفقهاء في تحديد أحد المعنيين ويسوق من القرائن اللغوية والشرعية ومما جاء في الكتاب والسنة للمعنى المراد.

٣ - يكون الاجتهاد عندما يبدو في الظاهر أن النصوص متعارضة.

ثانيًا: الاجتهاد في السنة النبوية الشريفة:

١ - في تعيين المعنى المراد من لفظ الحديث الثابت عن رسولنا الكريم إذا كان لفظه مما تختلف الأفهام في تحديد المراد منه.

٢ - في الجمع بين الحديثين المتعارضين ظاهرًا أو ترجيح أحدهما على الآخر إذا لم يمكن الجمع بينهما.

٣ - الاجتهاد في صلاحية الحديث المروي للاستدلال به في المسألة؛ فقد لا يقتنع المجتهد بثبوت الحديث عن رسولنا الكريم، أو يقتنع بثبوته ولكنه يعتقد أنه ليس في هذه المسألة بعينها فلا يراه حجة فيها، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستدلال Reasoning**) انظر (ص٣٧١).

من هو المجتهد؟: المجتهد هو الفقيه الذي يبذل أقصى وسعه لتحصيل حكم شرعي بطريق الاستنباط. فغير الفقيه لا يكون مجتهدًا مهما بذل من جهد في النظر في الأدلة الشرعية، فهو ليس مؤهلًا لفهم الأدلة واستنباط الأحكام الشرعية منها، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستنباط Deduction**) انظر (ص٣٧٣) وأشار إلى اجتهاد الصحابة وميزه لثلاثة أنواع:

اجتهاد لم يرد فيه نص، واجتهاد وافق النص، واجتهاد وجد نص يخالفه.

كما بين الاجتهاد بعد عصر الراشدين، ونشاط الحركة الفقهية، وظهور المذاهب الفقهية وأوضح أن القرن الثاني الهجري كان مليئًا بالنشاط العلمي والفقهي زاهيًا بأعلام المشتغلين بالاجتهاد والفتوى، وما كان بينهم من صلات علمية ومناظرات ومحاورات أثرت كثيرًا في تقارب وجهات النظر بينهم ومعرفة كل مدرسة من مدارس الفقه والأصول والقواعد وطرق الاستدلال والاستنباط لدى المدارس الأخرى، أضف إلى ذلك ما كان بين العلماء من رحلات ومكاتبات جعلت مراكز الفقه متصلة بالرحلة والرسالة، وكان لذلك أثره في إثراء عملية الاجتهاد، ومع نهاية القرن الرابع الهجري، وبعد رحيل الأئمة المجتهدين عن الحياة تقاصرت همم الذين جاءوا من بعدهم عن الاجتهاد المطلق.

فساد الفكر المادي: إن أصحاب الفكر المادي لا يؤمنون بوجود اللّٰه ولا بكل ما غاب عن حواسهم، ويقيمون الحياة في نظرهم على الأسباب والمسببات، فإذا وجد السبب وجد أثره وإذا لم يوجد السبب فلا وجود للمسبب، وهم يقيمون علاقاتهم على المصلحة، فمن كان في صداقته نفع مادي فهو الصديق الذي يتقرب إليه، ومن كان في

علاقته خسارة مادية فهو الذي يجب الابتعاد عنه، وهم حين يبنون علاقاتهم على النفع والمصلحة يهدرون كل قيم الإنسانية الفاضلة من بر وتراحم ومحبة ومودة وحب للخير العام ولو بغير مصلحة خاصة.

سادسًا: العلاقات الاجتماعية:

تناول فيه قضايا العمل وزيادة الإنتاج؛ فالإسلام لا يفصل بين العمل والإيمان، ولا بين العمل والعبادة، ولا بين العمل وحسن الخلق والعلاقات بين الناس، فكلها دوائر متصلة، وحبات عقد مترابطة، تفقد كل واحدة منها قيمتها إذا جاءت منفردة عن قريناتها.

وأشار إلى أن عباءة الإسلام لا تستر إرهابيًّا، وأشار إلى العلاقات بين المالك والمستأجر « دور السكنى »، والضوابط الإسلامية بين المالك والمستأجر للأراضي الزراعية، وأن السياحة مشروعة والسائحون لهم الأمان، وأوضح أن الدراسة الجنسية مشروعة في إطار الإسلام؛ فدراسة العلاقات الجنسية في إطارها الشرعي وتحت مظلة من الأهداف والغايات الشريفة التي تتصل بحقوق اللّه وحقوق العباد، يجعلها بمعزل عن الآثار الجانبية الضارة إذا ما درست هذه الأمور في صراحة مباشرة لغير غاية أو هدف نبيل. مما يشير إلى مفهوم (التربية الجنسية **Sexual Education**) انظر (ص٥٣٠).

سابعًا: قضايا معاصرة:

بين فيه سماحة الإسلام وكيف أن الحاقدين يقلبون الحقائق، وبين سباق العلم في زراعة الأعضاء، وأشار إلى تحذير شامل من عمليات نقل الأعضاء.

حكم الدين في الاستنساخ البشري: وبين أن قضية الاستنساخ يجب التفريق فيها بين استخدام الهندسة الوراثية في النبات والحيوان لإنتاج سلالات قوية ونافعة، وكذلك في علاج الأمراض ومحاصرة توارث المرض، والارتقاء بالطب، ومعالجة الإنسان، فإن ذلك نافع ومفيد طالما أنه ليس فيه مخالفة للمنهج الذي اختاره اللّه للخلق ولا مانع من مزاولته بإجراء التجارب فيه للوصول إلى نتائج إيجابية نافعة.

أما استنساخ الإنسان الذي تحيط به المخاطر من كل جانب فإنه يعرض الإنسان – الذي كرمه اللّه – لأن يكون مجالًا للعبث والتجربة وإيجاد أشكال مشوهة وممسوخة فذلك حرام ويجب التصدي له ومنعه بكل الوسائل، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الاستنساخ Clone**) انظر ص (٦١٥).

الخلاصة:

ورد في الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- العدوان Aggression.
- ضغوط الجماعة Group Pressures.
- الحكمة Wisdom.
- الانحرافات السيكوباتية Psychopathic Deviations.
- تعاطي المواد المؤثرة نفسيًّا Drug Abuse.
- الزواج غير الشرعي illegal.
- الاستدلال Reasoning.
- الاستنباط Deduction.
- التربية الجنسية Sexual Education.
- الاستنساخ Clone.

القائم بالعرض

د.أشرف محمد علي شلبي

* * *

علم الجذل في علم الجدل



- تأليف/ نجم الدين الطوفي.
- تحقيق/ فولفيارت هاينريشس.
- بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (١٩٨٧م).

* * *

تعريف المؤلف:

هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعد الطوفي. وُلد في قرية من قرى بغداد هي قرية طوفى سنة (٦٥٧هـ)، فيها تلقى تعليمه الأولي، وفي سنة (٦٩١هـ) دخل الطوفي بغداد، واستمر في قراءة الفقه والنحو والصرف، وأضاف إلى ذلك الحديث والأصول، وشيئًا من المنطق، ثم سافر دمشق سنة (٧٠٤هـ) واستمر في دراسة الفنون المذكورة على مشاهير علماء هذه المدينة، وفي سنة (٧١١هـ) لقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية. وقد ولاه قاضي قضاة الحنابلة سعد الدين الحارثي الإعادة في بعض مدارسهم، ثم وقع بينهما كلام في الدرس، واتهم الطوفي بالرفض، وفُوِّض أمره إلى بعض النواب، فعُزِّز، وطُوِّف به، وحُبس أيامًا، ثم أُطلق، ونُفي. ونفت السلطات الطوفي إلى دمشق، ولم يمكنه الذهاب إليها، وذلك بسبب هجاء رَمَى به أهلها، فسافر إلى دمياط، ثم رجع وسافر إلى مدينة قوص في صعيد مصر، وأقام فيها مدة، وطالع أكثر كتب خزائن قوص، وصنف الكثير من الكتب هناك. واتَّسم الطوفي بقوة الحافظة وشدة الذكاء، وفضل المعرفة، والاقتصاد في لباسه وأحواله. وله عدة كتب أهمها « **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية** »، و « **الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية** »، و « **مختصر روضة الناظر وجُنة المناظر** »، و « **درء القول القبيح في التحسين والتقبيح** »، و « **الانتصارات الإسلامية وكشف شُبه النصرانية** »، إضافة إلى مجموعة من الرسائل والشروح والمختصرات.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٨٣) صفحة. ويتكون من: **المقدمة** (ص٢ - ٥)، **وخمسة أبواب** (ص٧ - ٢٠٩) **والخاتمة** (ص٢٠٩ - ٢٤٥).

وتتناول **المقدمة تعريف الجدل** لغة؛ ترجع مادة (ج د ل) - لغويًّا - في جميع تصاريفها إلى معنى القوة والامتناع والشد والإحكام، فيكون الجدل مشتقًّا من هذا المعنى الجامع الكلي، أما **الجدل (المحاجة) Argumentation** - اصطلاحًا - فهو رد الخصم عن رأيه إلى غيره بالحُجة، أو علم أو آلة يتوصل بها إلى فتـل الخصم - أي صرفه - عن رأيه إلى غيره بالدليل (ص٢ - ٤). ويوضح الطوفي أن مادة الجدل: أصول الفقه، وأن موضوعه: الأدلة من جهة ما يبحث فيه عن كيفية نظمها، وترتيبها على وجه يوصل إلى إظهار الدعوى، وانقطاع الخصم، وغايته: رد الخصم عن رأيه ببيان بطلانه (ص٤).

ويتناول **الباب الأول حُكم الجدل شرعًا** (ص٧ - ١١). فيذكر أن المقصود من المناظرة[1] إما أن يكون فتل الخصم عن رأيه فقط، وإظهار الغلبة كيف كان، أو إظهار الحق فقط كيف كان أو هما جميعًا، فإن كان المقصود به الأول فهو حرام، لا يتجه في تحريمه خلاف، وإن كان المقصود بالجدل القسمين الآخرين، وهما إظهار الحق مجردًا، أو مع فتل الخصم عن رأيه ففعله مشروع بالجملة. أما عن تعلم الجدل لإظهار الحق فهو فرض كفاية (ص٧).

ويتناول **الباب الثاني آداب الجدل** (ص١٣ - ١٨). يُقَسِّم الطوفي آداب الجدل إلى نوعين: « آداب مشتركة » يشترك فيها المتناظرين، و« آداب مختصة » تختص بكل واحد منهما. أما الآداب المشتركة فمن أهمها:

١ - أن يكون الهدف من المناظرة إظهار الحق لإظهار الفضيلة (ص١٣).

٢ - أن يُلينَ كل منهما لخصمه الكلام، ولا يُغلظ عليه، وليتلق ما يصدر عنه بقبول ولطف وتحسين (ص١٣).

٣ - أن يتناوب الخصمان الكلام مناوبة لا مناهبة، بحيث يُنصت المعترض للمستدِل حتى يفرغ، ثم المستدِل للمعترض حتى يقرر اعتراضه (ص١٣).

٤ - أن يقبل كل واحد منهما من صاحبه الحُجة، فإنه أنبل لقدره، وأعون على إدراك الحق (ص١٤).

٥ - أن يلزم كل واحد منهما مقالته ولا ينكرها خوف الانقطاع؛ فالانقطاع خير من المكابرة (ص١٤).

---

(١) يستخدم الطوفي المُناظرة كمرادف للجدل. وفي اللغة العربية التناظر يعني التراوض في الأمر، وفلان يراوض فلانًا علي أمر أي يداريه ليُدخله فيه، لسان العرب. القاهرة (١٩٨١م)، (ص١٧٧٦).

٦ - لا يناظر أحدهما الآخر في علم لا يفهمه أو هو فيه ضعيف (ص١٤).

٧ - وإن أُفحم أحدهما فليسكت الآخر، ولا يضحك منه فيزيده خجلًا (ص١٤).

٨ - وليجتنبا الكلام في المناظرة في كل وقت يمنع فيه الحاكم من الحكم (ص١٦).

أما **الآداب المختصة فتعني الأسس الفنية للمُناظرة** (ص١٧، ١٨)، وهي تدخل في صميم عملية التناظر لا في آداب التناظر، ومنها:

١ - تقرير الحجة دون فصل، فإذا أخر المستدِل الدليل وقتًا يسيرًا فلا يُشاح في ذلك، وإن طال الفصل طولًا خارجًا عن العادة بحيث يشعر بتعذر الدليل عليه، فيحتمل أن يُعد منقطعًا، ويحتمل ألا يُعد منقطعًا، ويُفرق الطوفي بين نوعين من المُناظرة: نوع يسبقه إعداد وتحضير، فيعد الساكت معه منقطعًا، ونوع يقع بغتة فلا يُعد منقطعًا (ص١٧).

٢ - ينبغي على المعترض أن يشرع في الاعتراض على الدليل عُقيب فراغ المستدِل من تقريره، فإن أخره عن ذلك فحكمه نحو من حكم تأخير المستدِل ذكر الدليل عن الدعوى (ص١٨).

ويتناول **الباب الثالث أركان الجدل** (ص١٩ - ٢٦)، وهي ما يتوقف تحقق الجدل عليه وهي خمسة: **الدال، الدليل، المستدِل، والمستدَل عليه** - بفتح الدال - **والمستدَل له** - بفتح الدال - (ص١٩، ٢٠). **وورد في هذا الجزء المفاهيم الآتية:**

١ - **الدال**: ويطلق على اللّه - تعالى -، وبالنيابة على الرسول ﷺ، وعمومًا على كل من ذكر دليلًا ليدل به على أمر (ص١٩).

٢ - **الدليل**: هو المعنى المُرشد إلى المطلوب، وهو فعيل بمعنى فاعل أي دال، وفاعليته مجاز إذ هو بالحقيقة مدلول به لا دال؛ إذ الدال بالحقيقة هو الشارع. ورُسم الدليل اصطلاحًا بما تُوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري علمًا أو ظنًّا. وقيل: الدليل ما أوصل إلى علم مقابل الأمارة أي ما أوصل إلى ظن (ص٢٠).

٣ - **المستدِل**: هو ذاكر الدليل يطلب به الوصول إلى مطلوبه، وقد يُستعمل المستدِلُّ في طالب الدلالة من المتصدِّي للاستدلال. فإذن يُطلق المستدِلُّ على كل من الخصمين. وهو من باب الاستفعال وهو طلب الفعل، كما يقال: استعطى واستعفى، إذا طلب العطاء والعفو. فذاكر الدليل يطلب به الاهتداء إلى الحكم، أو قطع الخصم، والمعترض من يطلب دليل الحكم من المستدِلِّ، والمشهور الظاهر في المستدلِّ أنه ذاكر الدليل (ص٢٠).

٤ - **المستدَل عليه** - بفتح الدال -: هو الحكم المطلوب بالدليل (ص٢٠).

٥ - **المستدَل له** - بفتح الدال -: ويُطلق على السائل المعترض إن كان مسترشدًا، أو إفحامه إن كان مُعاندًا، أو على علة الاستدلال (ص٢٠).

٦ - **فرض الفتوى**: وهو أن يُسأل المستدِلُّ عامًّا فيجيب خاصًّا؛ مثل أن تكون المسألة ذات صُور، فيسأل السائل عنها سؤالًا يقتضي الجواب من جميع صورها، فيجيب المسئول على صورة أو صورتين منها (ص٢١).

٧ - **فرض الدليل**: أن يفتي المستدِلُّ عامًّا ثم يدل خاصًّا (ص٢١).

ويتناول **الأركان التي تستعين بها المناظرة أو الجدل**، وهي ما يمكن أن نُطلق عليها الإجراءات التنفيذية، ويتمثل **الركن الأول في السؤال**؛ حيث يتناوله في أربعة فصول (ص٢٧ - ٣٥).

يتناول **الفصل الأول** أدوات الاستفهام (ص٢٧ - ٢٩) وهي عشرة: أربعة متوالية، وستة متجارية. أما **المتوالية** فتعني المتفاوتة في المرتبة قوة وضعفًا، ومنها الهمزة، وهل، وما، ومن (ص٢٧). وأما الستة **المتجارية** فـ: أين، ومتى، وكيف، وكم، وأي، وأيان، وأم (ص٢٨).

ويتناول **الفصل الثاني** أقسام السؤال (ص٣١، ٣٢) وهي أربعة: الأول: السؤال عن الحكم، كقول السائل: ما حكم هذه المسألة عندك؟ والثاني: السؤال عن الدليل، كقوله: ما الدليل على ما ذكرت أنه حكم؟ والثالث: السؤال عن وجه دلالته، كقوله: ما وجه دلالة ما ذكرت على الحكم؟ والرابع: السؤال عن وجه صحته، كقوله: هل هذا الدليل صحيح أم لا؟

ويبين **الفصل الثالث** صحيح السؤال من فاسده (ص٣٣، ٣٤). **وفساد السؤال** إنما يكون لتطرق خلل إلى بعض متعلقاته. ومتعلقات السؤال أربعة وهي أركانه: سائل، ومسؤول، ومسؤول به، ومسؤول عنه. فالخلل في السائل؛ أن يجيء مجيء مُعاند مُعاجز متعنت لا مجيء مستفيد أو كاشف عن حق، ويُعلم ذلك منه بأن يسأل عن الواضحات (ص٣٣). والخلل في المسؤول أن يكون ممن لا يفيد سؤاله، إما بالأصالة كالعامِّيِّ الذي لا يعلم، والصبي الذي لا يفهم، أو بالعرض كالمجنون والمغمى عليه، وأشباه ذلك (ص٢٣). والخلل في المسؤول به وهو صيغة السؤال بأن يتضمن إبهامًا وإجمالًا يحتاج إلى تفسير، والمسؤول بالخيار إن شاء سكت، وإن شاء نبه على وجه فساده،

وإن شاء استفسر ثم أجاب، وإن شاء أجاب بدون الاستفسار إذا فهم المراد بالسؤال (ص٢٣، ٢٤). والخلل في المسؤول عنه أن يكون غامضًا يتعذر الوقوف عليه، ثم تعذر الوقوف عليه تارة يكون مطلقًا كالسؤال عما استأثر اللَّه ﷻ بعلمه، وتارة يكون بالإضافة إلى المسؤول كسؤال المبتدئ في نوع من العلم عن دقائقه. فإذا انتفى الخلل المذكور عن السؤال بأقسامه؛ كان صحيحًا بأن يكون السائل مستفيدًا، أو مفيدًا، والمسؤول أهلًا، والسؤال بيِّنًا، والمسؤول عنه قريب الاستخراج للمسؤول عن مقدماته (ص٢٤).

ويتناول **الفصل الرابع** ما يلزم السائل (ص٢٥)؛ ينبغي أن ينتمي السائل إلى مذهب معيَّن يذبُّ عنه وينصره، فإن كان مقلدًا لزمه الانتماء إلى مذهب من قلده، وإن كان مجتهدًا لم يلزمه.

ويتناول **الركن الثاني** للمناظرة أو **للجدل وهو: الجواب** في فصلين (ص٣٦، ٣٧).

يتناول **الفصل الأول** أقسام الجواب (ص٣٦)، وهي تتبع أقسام السؤال؛ لأنه بناء عليه. فالجواب عن الهمزة - على سبيل المثال - بنعم أو لا، والجواب عن أين بالمكان.

ويتناول **الفصل الثاني** بيان صحيح الجواب من فاسده (ص٣٧)، وفساد الجواب يكون إما لفساد السؤال؛ لأنه تابع له يفسد بفساده، أو لخلل خاص، مثل أن يعرض عن محل السؤال إلى غيره.

ويناقش **الفصل الثالث** قضية جواز أن يعمم المجيب الجواب إذا كان السؤال عامًّا (ص٣٧). ويُغلِّب المؤلف جانب عدم الجواز.

ويتناول **الركن الثالث للجدل وهو: الاستدلال** (ص٣٨) ويعرف بأنه: إثبات الحكم المدعى بدليله. أو يُقال: طلب المستدِلِّ إثبات الحكم بدليله (ص٣٨).

ويتناول **الركن الرابع للجدل وهو: الاعتراضات** (ص٣٨) ويعرفها بأنها: الاعتراضات جمع اعتراض وهو مقابلة السائل دليل المستدِلِّ بما يمنع من حصول المقصود منه.

ويتناول **الباب الرابع أقسام الاستدلال** (ص٣٩ - ٩١). يُقسم الاستدلال - الذي هو إثبات الحكم بالدليل - وفقًا لعدة أقسام منها:

١ - أن الاستدلال إما **عقلي**، كاستدلالنا على أن النفي والإثبات لا يجتمعان. أو **حسي** كإدراكنا المحسوسات، واستدلالنا على لوازمها، كإدراك الألوان، والطعوم، أو **شرعي** كاستنادنا في الدلالة إلى خبر قام الدليل على جواز التعويل عليه، كالخبر الشرعي في

الأحكام الشرعية، أو مركب من ذلك كالاستدلال بالتواتر، المركَّب من دلالة السمع والعقل بناءً على مقدمتين (ص٣٩).

٢ - باعتبار الدليل فإن إدراكه وحكمه إما كلي/ عقلي، أو جزئي/ حسي (ص٤٠).

٣ - الدليل مستقل في نوعه بتحصيل الدليل أو غير مستقل (ص٤٠).

ومعارضة الدليل تنقسم إلى معارضة تختص بمنع مقدمات الدليل، ومعارضة خارجة عن الدليل نفسه، وهي التي ترد بعد الفراغ من المقدمات (ص٤١). وينتقل بعد ذلك إلى بيان **الاستدلال الشرعي**، وهو يكون إما بالكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، أو غيرها (ص٥٠) فيتعرض للكتاب والسنة والإجماع (ص٥٠ - ٥٤). ثم يتناول **القياس** ويذكر أن له أركانًا أربعة هي: أصل، وفرع، وعلة، وحكم (ص٥٤)، ثم يتناول أهم الاعتراضات الواردة عليه (ص٥٥ - ٩١) مثل: **الاستفسار** عن اللفظ الغريب أو المبهم، **وفساد الاعتبار** (ص٥٦)، **وفساد الوضع** (ص٥٧)، **والمنع** وأنواعه المشهورة أربعة وهي: منع الحكم في الأصل، ومنع الوصف فيه، ومنع كونه علة فيه، ومنع وجوده في الفراغ (ص٥٨)، **والتقسيم** (ص٦٠)، **وعدم التأثير** وأنواعه (ص٦٣)، **والمعارضة** (ص٦٧ - ٧١)، **والفرق** (ص٧١)، **وقلب الدليل** (ص٧٦)، **والقول بالموجب** (ص٧٨). ثم يتناول **الاستدلال** مرة أخرى (ص٨١ - ٩١)، ويذكر خمسة عشر نوعًا له من خلال ذكر أمثلة توضيحية لكل نوع، ومنها: الدليل النافي، ووجود السبب بوجود الحكم، وانتفاء الحكم بانتفاء شرطه، والتلازم، والاستدلال بالمقدمات الكلية، وكل تصرف صدر من أهله يكون صحيحًا، وقياس الدلالة.

وورد في هذا الباب المفاهيم الآتية:

١ - **الاستدلال العقلي**: كاستدلالنا على أن النفي والإثبات لا يجتمعان (ص٣٩).

٢ - **الاستدلال الحسي**: كإدراكنا المحسوسات، واستدلالنا على لوازمها، كإدراك الألوان، والطعوم (ص٣٩).

٣ - **الاستدلال الشرعي**: كاستنادنا في الدلالة إلى خبر قام الدليل على جواز التعويل عليه كالخبر الشرعي في الأحكام الشرعية (ص٣٩).

٤ - **الاستدلال المركب**: كالاستدلال بالتواتر المركَّب من دلالة السمع والعقل بناءً على مقدمتين (ص٣٩). وهو يكون إما بالكتاب، أو السنة، أو الإجماع، أو القياس، أو غيرها (ص٥٠).

٥ - **القياس**: تعدية حكم المنصوص عليه إلى غيره بجامع مشترك، أو يُقال: الحكم على معلوم بمثل الحكم على معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المجتهد وله أركان أربعة هي: أصل، وفرع، وعلة، وحكم (ص٥٤).

٦ - **فساد الاعتبار**: بيان أن الدليل غير معتبر في هذا المكان، وإن كان معتبرًا في نفسه ككون الاستدلال بنص على خلاف الإجماع أو بقياس مخالف للنص (ص٥٦).

٧ - **فساد الوضع**: أن لا يكون القياس صالحًا لإفادة الحكم المطلوب به كتلقي التضييق من التوسيع، والتخفيف من التغليظ، والإثبات من النفي أو العكس (ص٥٧).

٨ - **المنع**: وأنواعه المشهورة أربعة وهي: منع الحكم في الأصل، ومنع الوصف فيه، ومنع كونه علة فيه، ومنع وجوده في الفراغ (ص٥٨).

٩ - **التقسيم**: ترديد السائل لفظ المستدِلِّ بين احتمالين متساويين، واختصاص كل احتمال بحكم غير الآخر من منع أو تسليم، كقوله: أي شيء تعني بمدلول هذا اللفظ؟ (ص٦٠).

١٠ - **عدم التأثير**: إبداء المعترض وصفًا في علة الأصل مستغنى عنه في حكمه، إما لكونه طرد ما لا يناسب ربط الحكم به، أو لكونه مؤثرًا يستغنى عنه في حكم الأصل بغيره، أو لعدم اطراده في جميع صور النزاع. والأول يسمى عدم التأثير في الوصف، والثاني عدم التأثير في حكم الأصل، والثالث عدم التأثير في محل النزاع (ص٦١).

١١ - **النقض**: تخلف الحكم عما علل من الوصف (ص٦٣).

١٢ - **المعارضة**: المقابلة على جهة المُدافعة (ص٦٧ - ٧١).

١٣ - **الفرق**: إبداء وصف في الأصل أو الفرع يناسب ما اختص به من الحكم كإبداء الرجولية في الرجل (ص٧١).

١٤ - **قلب الدليل**: استبقاء المعترض علة المستدلِّ وأصله مع بطلان حكمه، وقيل: هو تبيين المعترض أن ما ذكره المستدلُّ يدل عليه فقط، أو له وعليه، وهو إما **قلب تسوية**، أو **قلب خلاف** (ص٧٦).

١٥ - **القول بالموجَب** - بفتح الجيم -: تسليم ما ذكره المستدِلُّ مع استبقاء الخلاف معه، وهو راجع إلى المنع لأن المعترض يمنع دلالة المستدِلُ على محل النزاع، وأنه عنه بمعزل (ص٧٨).

ويتناول **الباب الخامس تحليل المناظرات** الواردة في القرآن الكريم حسب قواعد الجدل (ص٩٣ - ٢٠٩). وقد بلغ عدد السور التي تناول مناظراتها بالتحليل أربعًا وخمسين سورة، وتراوح نصيب السور ما بين مناظرة واحدة، وست عشرة مناظرة.

وتتناول **الخاتمة** (ص٢٠٩ - ٢٤٥) ذكر جملة من الماجريات الجدلية الواقعة في ماضي الزمان بين الناس.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- الجدل.	**- الدليل.**
- الأمارة.	**- المستدلُّ.**
- المستدل عليه.	**- الاستدلال.**
- القياس.	**- فساد الاعتبار.**
- فساد الوضع.	**- المنع.**
- التقسيم.	**- عدم التأثير.**
- النقض.	**- المعارضة.**
- الفرق.	**- قلب الدليل.**

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

الفصل في الملل والأهواء والنحل
(الجزء الأول)



- تأليف/ ابن حزم الإمام أبي محمد علي بن أحمد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).
- القاهرة: المطبعة الأدبية في سوق الخضار القديم (١٣١٧هـ)، جـ١، ط١.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، المولود بقرطبة في الأندلس سنة (٣٨٤هـ)، عمل والده وزيرًا في بلاط المستكفي، وكان ابن حزم وزير المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر، وكان متفننًا في علوم جمة، عاملًا بعلمه زاهدًا في الدنيا بعد الرياسة، وقد توفي في سنة (٤٥٦هـ). ومن مؤلفاته: كتاب الطوق والحمامة، وكتاب النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبايح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع: المعتزلة والمرجئة والخوارج والشيعة، وكتاب في فقه الحديث: الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الإسلام، وكتاب في الواجب والحلال والحرام والسنة والإجماع أورد فيه أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين في مسائل الفقه والحجة لكل طائفة وعليها. وهذا الكتاب الذي بأيدينا. والفِصَل بكسر ففتح جمع فَصْلة بفتح فسكون كقصعة، وقصع النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لتثمر. كما له العديد من الأشعار.

عرض الكتاب:

يقع كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل في خمسة أجزاء. يتكون الجزء الأول فيه - والذي سنعرض له الآن - من (٢٢٤) صفحة، تحوي عددًا من القضايا قسمها المؤلف في أبواب، فيذكر في باب مختصر جامع في ماهية البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق في كل ما اختلف فيه الناس وكيفية إقامتها.

وفي هذا الباب يورد « ابن حزم »: « واذكر الطفل حين ولادته ولا تمييز إلا ما لسائر الحيوان من الحس والحركة الإرادية فقط، فتراه يقبض رجليه ويمدهما، ويقلب أعضاءه حسب طاقته، ويألم إذا أحس بالبرد أو الحر أو الجوع، وإذا ضرب أو قرص » (ص٤).

وكأنه بهذا يعرض للخصائص الارتقائية لمرحلة الرضاعة **Infantile Period**، والأرجاع الأولية **Reaction**.

ويورد في موضع آخر « إذا قويت النفس **Psych** يحدث لها من التمييز الذي ينفرد به الناطق من الحيوان، فهم ما أدركت بحواسها الخمس **Senses** » (ص٥).

كذلك يورد «إن الإدراك السادس علمها بالبديهيات، فمن ذلك علمها بأن الجزء أقل من الكل » (ص٥). وكأنه هنا يتحدث عن الفهم **Comprehension**.

ويذكر في الباب التالي - وهو باب الكلام على أهل القسم الأول، وهم مبطلو الحقائق وهم السوفسطائية - « أن من سلف من المتكلمين ثلاثة أصناف؛ فصنف منهم نفى الحقائق جملة، وصنف منهم شكوا فيها، وصنف منهم قالوا هي حق عند من هي عنده حق، وهي باطل عند من هي عنده باطل. وعمدة ما ذكر من اعتراضهم فهو اختلاف الحواس في المحسوسات كإدراك البصر **Visual Perception** من بعدٍ عنه صغيرًا، ومن قرب منه كبيرًا » (ص٨).

ثم يذكر بعد ذلك في باب الكلام على القائلين بالدهر (من قال أن العالم قديم وليس له مدبر) - رده على خمسة اعتراضات لديهم.

ثم يورد بعد ذلك البراهين الضرورية على إثبات حدوث العالم بعد أن لم يكن، وتحقيق أن له محدثًا لم يزل لا إله إلا هو.

ثم يأتي بعد هذا باب الكلام على من قال أن للعالم خالقًا لم يزل، وأن النفس والمكان المطلق الذي هو الخلاء، والزمان المطلق الذي هو المدة، لم تزل موجودة، وأنها غير محدثة.

ويورد في هذا الباب: « أن النفس عند هؤلاء جوهر قائم بنفسه حامل أعراضه **Characteristics** لا متحرك ولا منقسم ولا متمكن، أي لا في مكان » (ص٢٤).

يأتي بعد هذا الكلام على من قال أن فاعل العالم ومدبره أكثر من واحد. ثم الكلام على النصارى وفرقهم الذين لا يقرون بالتوحيد مجردًا؛ بل يقولون بالتثليث. ويذكر فرقهم المختلفة من أصحاب آريوس، وأصحاب بولس الشمشاطي، وأصحاب مقدونيوس، وفرقة الملكانية، وفرقة النسطورية، وفرقة اليعقوبية، ويعلق عليها ابن حزم بأن « هذه الأقوال إذا تأملها ذو عقل علم أنها وساوس ».

ثم يورد بعد ذلك القول في إثبات النبوة؛ حيث يقول أن « الشعر البديع، وصناعة البلاغة اللائقة ممكن لدى الذهن اللطيف والذكاء النافذ **Intelligence**، وغير ممكن من ذي التأخر العقلي **Mentally Retarded** والغباوة المفرطة » (ص٧١).

ويفصل القول في الكلام على من قال أن في البهائم رسلًا، والكلام على من جعل للجمادات تمييزًا، ثم الرد على من زعم أن الأنبياء - عليهم السلام - ليسوا أنبياء اليوم، ولا الرسل اليوم رسلًا، والكلام على من قال بتناسخ الأرواح.

كما فصل في الكلام على من أنكر الشرائع من المنتمين إلى الفلسفة بزعمهم وهم أبعد الناس عن العلم جملة؛ حيث يقول ابن حزم أن الفلسفة على الحقيقة تهدف إلى إصلاح النفس، وهي بهذا المعنى لا تتعارض مع الشريعة، وأن من ينكر الشريعة وينتمي إلى الفلسفة إنما يجهل المعاني الحقيقية للفلسفة.

يورد بعد هذا الكلام على اليهود، وعلى من أنكر التثليث من النصارى، ومذهب الصابئين، ومن أقر بنبوة زرادشت من المجوس وأنكر ما سواه.

ويسهب ابن حزم بعد ذلك في إيضاح المتناقضات الظاهرة في التوراة والإنجيل، وتبين ما بها من تحريف، ويورد فصل في أن السامرة بأيديهم توراة غير التي مع سائر اليهود، والكلام في أن النصارى ما قالت مقالتها إلا تبعًا لما قالته اليهود في أسفارها. ويبين فساد قول اليهود أن مسكن بني إسرائيل بمصر أربعمائة وثلاثون سنة. ويصف قيام بني إسرائيل على موسى، وتوضيح ما في التوراة من تحريفات. والكلام على أن التوراة لم تكن موجودة إلا في الهيكل عند الكهان. والكلام في بيان إقرار المسلمون بالتوراة وغيرها من كتب الأنبياء وبيان خطأ من أنكر أن التوراة والإنجيل غير محرفين.

وينهي الجزء الأول بالكلام في ذكر شيء من كلام أحبار اليهود.

الخلاصة :

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- مرحلة الرضاعة **Infantile Period**.
- الأرجاع الأولية **Reaction**.
- النفس **Psych**.
- الحواس الخمس **Senses**.

- الفهم Comprehension.
- الإدراك البصري Visual Perception.
- الخصال Characteristics.
- الذكاء Intelligence.
- التأخر العقلي Mental Retarded.

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

الفصل في الملل والأهواء والنحل
(الجزء الثاني)



○ تأليف/ ابن حزم الإمام أبي محمد علي بن أحمد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).

○ القاهرة: المطبعة الأدبية في سوق الخضار القديم (١٣٢٠هـ)، جـ٢، ط١.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف في الجزء السابق.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٩٤) صفحة، يرد فيها « ابن حزم » على عددٍ من القضايا.

يبدأ « ابن حزم » هذا الجزء بتوضيح أنه سيورد ما في الإنجيل وكتب النصارى من تناقض، فيذكر أنها أربعة كتب ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة، أول هذه الكتب كتاب مَتَّى اللاواني تلميذ المسيح، وألفه بعد تسع سنين من رفع المسيح.

والكتاب الثاني ألفه مارقش الهاروني تلميذ شمعون الصفا بن توما المسمى باطرة، بعد اثنين وعشرين عامًا من رفع المسيح.

والكتاب الثالث ألفه لوقا الطبيب الإنطاكي تلميذ شمعون باطرة بعد تأليف مارقش.

والكتاب الرابع ألفه يوحنا بن سيذاي من تلاميذ المسيح، وألفه بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة.

ثم يتطرق إلى ذكر ما تثبته النصارى بخلاف نص التوراة، وتكذيبهم لنصوصها التي بأيدي اليهود، وادعاء بعض علماء النصارى أنهم اعتمدوا في ذلك على التوراة التي كتبها بطليموس، رغم أن ابن حزم أورد خلافًا كثيرًا بين ما يقول به اليهود وما يقول به النصارى. مثال ذلك أعمار الأنبياء من ولد آدم.

وكذلك أورد بعض الافتراءات التي يفتري بها النصارى على الأنبياء؛ والتي يطلق عليها ابن حزم لفظ الهوس. ثم يوضح أن من يسمونهم النصارى بالحواريين، هم غير الحواريين الذين ذكروا في القرآن الكريم.

ويستكمل « ابن حزم » الكلام عن أكاذيب النصارى وافتراءاتهم، ويرد على بعض اعتراضات للنصارى على المسلمين، ويوضح كذبها وفسادها.

بعدها يتحدث في ذكر صفة وجوه النقل الذي عند المسلمين لكتابهم ودينهم؛ ثم لما نقلوه عن أئمتهم حتى يُعرف أين نقل سائر الأديان من نقلهم.

ثم يذكر بعض الأمور التي يعترض بها جهلة الملحدين على ضعفة المسلمين؛ حيث ادعوا نطق الكواكب وتدبيرها، وفي هذا يقول ابن حزم « وهذا كفر لا حجة **Argument** عندهم على ما قالوه منه، أكثر من أن المحتج لهم قال: لما كنا نعقل، وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل منا » (ص٩٦).

كذلك من ضمن ما اعترض به الجهلة هو أنهم قالوا أن البراهين قد صحت بأن الأرض كروية، والعامة تقول غير ذلك، ويردُّ ابن حزم بأن أحدًا من أئمة المسلمين لم ينكر تكوير الأرض، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت بتكويرها.

كما يرد على من حاول تحديد عمر أو تاريخ للدنيا؛ حيث قال: « لم يأت قط عن رسول اللّه ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه عليه السلام خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمر لا يعلمه إلا اللّه ﷻ ».

وينتقل « ابن حزم » إلى الكلام عن نحل المسلمين وافتراقهم فيها، وبيان الحق في كل نحلة. فيوضح أن فرق المقرين بملة الإسلام خمسة وهم: أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج. ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق. وأن أكثر افتراق أهل السنة في الفتيا. ويوضح أن هذه الفرق اختلفت في عددٍ من المسائل هي:

١ - التوحيد ونفي التشبيه، ويرد « ابن حزم » هنا على من قال بأن للّه تعالى جسمًا.

وقد وردت في هذا الجزء بعض الكلمات التي لها دلالة نفسية؛ حيث يقول: « إن فاعل الجسم والعرض ليس جسمًا ولا عرضًا، وهذا برهان يضطر إليه كل ذي حس بضرورة العقل »(ص١١٧).

٢ - ثم يستكمل كلامه عن القول في المكان والاستواء، والرد على من يقولون بوجود مكان للّه.

٣ - ثم يوضح أن الناس اختلفوا في علم اللّه؛ حيث يذكر المعتزلة أن إطلاق العلم

للَّه ﷻ إنما هو مجاز لا حقيقة، في حين قال سائر الناس أن للَّه - تعالى - علمًا حقيقة لا مجازًا.

٤ - ثم يستطرد في الكلام في سميع بصير وفي قديم.

٥ - الكلام في الحياة؛ حيث يذكر أنهم قالوا: « إن الدليل أوجب أن الباري - تعالى - حي؛ لأن أفعال الحكمة **Wisedom** لا تقع إلا من حي » (ص١٥٣).

كما يتحدث في هذا الموضع عن فكرة المتصل **Continuum**؛ حيث يقول: « إن كل صفة في العالم فهي ضرورة ولا بد عرض بين الطرفين، أو أحد ذي الطرفين، وإما ذات ضد فحاملها بالضرورة قابل للأضداد » (ص١٦١).

٦ - الكلام في الوجه واليد والعين والجنب والقدم والتنزه والعزة والرحمة والأمر والنفس **Psych** والذات **Self** والقوة والقدرة **Ability** والأصابع (ص١٦٦).

٧ - الكلام في المائية (الماهية) **Identity**؛ حيث ذهب طوائف من المعتزلة إلى أن اللَّه - تعالى - لا مائية له، وذهب أهل السنة إلى أن للَّه - تعالى - مائية لا يعلمها غيره (ص١٧٣).

٨ - ثم يختتم هذا الجزء بإيضاح الاختلاف بينهم في السخط **Dissatisfaction** والرضا **Satisfaction** والعدل والصدق والملك والخلق والجود والإرادة **Will** والسخاء والكرم وما يخبر عنه - تعالى - بالقدرة عليه، وكيف يصح السؤال في ذلك كله (ص١٧٥).

وقد وردت في هذا الجزء بعض الكلمات ذات الدلالة النفسية حيث يقول: « إن المحال ينقسم أربعة أقسام لا خامس لها، أحدها: محال بالإضافة، والثاني: محال في الوجود، والثالث: محال فيما بيننا في التفكير المنطقي **Logical Thinking** عندنا، والرابع: محال مطلق؛ فالمحال بالإضافة مثل نبات اللحية لابن ثلاث سنين وإحباله امرأة وكلام شديدي التأخر العقلي **Sever Mental Retarded** في دقائق المنطق » (ص١٨١).

ويقول أيضًا: « أيقدر اللَّه - تعالى - على أن يحيل حواسك كما فعل بصاحب الصفراء الذي يجد العسل مرًّا كالعلقم، وبصاحب ابتداء الماء النازل في عينيه فيرى خيالات لا حقيقة لها، وكمن في سمعه آفة (خلل) **Defect** فهو يسمع طنينًا لا حقيقة له أم لا يقدر؟ فإن قالوا يقدر قيل له فما يؤمنك من أنك بهذه الصفة، فإن قال أن كل من يحضرني يخبرني بأن لست من أهل هذه الصفة قيل له: وهكذا يظن ذلك

الموسوس Thought Disorder » (ص ١٨٨).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- حجة Argument.
- الحكمة Wisedom.
- المتصل Continuum.
- النفس Psych.
- الذات Self.
- القدرة Ability.
- الماهية Identity.
- عدم الرضا Dissatisfaction.
- الرضا Satisfaction.
- الإرادة Will.
- التفكير المنطقي Logical Thinking.
- خلل Defect.
- المتأخر عقليًّا تأخرًا شديدًا Sever Mental Retarded.
- اضطراب التفكير Thought Disorder.

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

الفصل في الملل والأهواء والنحل
(الجزء الثالث)



- تأليف/ ابن حزم الإمام أبي محمد علي بن أحمد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).
- القاهرة: المطبعة الأدبية في سوق الخضار القديم (١٣٢٠هـ)، جـ٣،ط١.
- وقد طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف في الجزء الأول.

عرض الكتاب:

يقع هذا الجزء في (٢٦٤) صفحة. يستكمل « ابن حزم » في هذا الجزء الرد على أقوال فرق المسلمين في بعض القضايا؛ فيبدأ بالكلام في الرؤية؛ حيث ذهب البعض إلى أن اللّه يُرى في الدنيا والآخرة، في حين ذهب البعض إلى أن اللّه لا يُرى إلا في الآخرة، وهناك من أنكر أن اللّه يُرى في الآخرة.

وقد ورد في هذا الجزء كلمة الحاسة السادسة **الإدراك Perception**؛ حيث يقول: « إنما قلنا أنه - تعالى - يُرى في الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة في العين الآن، لكن بقوة موهوبة من اللّه - تعالى -، وقد سماها بعض القائلين بهذا القول: الحاسة السادسة، وبيان ذلك أننا نعلم اللّه ﷻ بقلوبنا علمًا صحيحًا، فيضع اللّه - تعالى - في الأبصار قوة تشاهد بها اللّه تعالى وترى بها كالتي وضع في الدنيا في القلب » (ص٢).

كذلك ورد تعريف لكلمة **الإدراك Perception**؛ حيث يذكر أن « الإدراك عندنا في اللغة معنًى زائدٌ على النظر والرؤية وهو معنى **الإحاطة Scanning**، ليس هذا المعنى في النظر والرؤية » (ص٢، ٣).

ثم ينتقل إلى الكلام في إعجاز القرآن؛ حيث يذكر قيام البرهان عن أن القرآن معجز، قد أعجز اللّه عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن.

ثم الكلام في القدر، فيوضح أن هناك طائفة ذهبت إلى أن الإنسان مجبر على أفعاله وأنه لا استطاعة له أصلًا، في حين ذهبت طائفة أخرى إلى أن الإنسان ليس مجبرًا، وأثبتوا

له قوة واستطاعة. وقد وردت في هذه الفقرة بعض الأقوال ذات الدلالات النفسية؛ حيث ذكر « أن اللَّه تعالى نص على أننا نعمل ونفعل ونصنع، وأما الحس **Sensation** فإنه بالحواس وبضرورة العقل وببديهة علمنا يقينًا علمًا لا يخالج فيه الشك، أن بين الصحيح الجوارح وبين من لا صحة بجوارحه فرقًا لائحًا؛ لأن الصحيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارًا لها دون مانع، والذي لا صحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله أصلًا » (ص٢٣)، وذلك يشبه لدينا الآن في علم النفس دور **العقل Mind**.

كما يذكر أيضًا « وقد علمنا أن الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة في اللغة العربية ألفاظ مترادفة، كلها واقع على معنى واحد، وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره أو تركه باختياره » **الإرادة Will** (ص٢٤).

ثم يحدثنا بعد ذلك عن ماهية **الاستطاعة Ability**، فيذكر أن « الاستطاعة عرض من الأعراض تقبل الأشد والأضعف، فتقول: استطاعة أشد من استطاعة، واستطاعة أضعف من استطاعة، وأيضًا فإن الاستطاعة لها ضد وهو **العجز Disability** » (ص٢٨).

ويستطرد في هذا الموضوع، ويخلص إلى أن الاستطاعة هي فعل اللَّه ﷻ وأنه لا يفعل أحد خيرًا ولا شرًّا إلا بقوة أعطاه اللَّه تعالى إياها.

ثم يبدأ في الكلام في الهدى والتوفيق، فيطرح آراء فرق المسلمين المختلفة، ويخلص إلى أن اللَّه تعالى قسم هدى السبيل قسمين، كفورًا وشاكرًا، ووضح أن الكفور أيضًا هُدى السبيل.

وينتقل إلى الكلام في الإضلال، فيوضح أن هناك من النصوص القرآنية الكثير الذي يذكر أن اللَّه تعالى أضل من شاء من خلقه، وجعل صدورهم ضيقة حرجة. وأن الهدى والتوفيق هو تيسير اللَّه - تعالى - المؤمن للخير الذي له خلقه، وأن الخذلان تيسرة الفاسق للشر الذي له خلقه.

وقد ورد في هذا الجزء « إذا عصم اللَّه النفس، غلب التمييز بقوة من عنده هي له مدد وعون، فجرت أفعال النفس على ما رتب اللَّه ﷻ في تمييزها من فعل الطاعات، وهذا هو الذي يسمى **العقل Mind** » (ص٥١).

وينتقل إلى الكلام في القضاء والقدر، ويذكر أن معنى القضاء في لغة العرب أنه الحكم.

ويذكر أن معنى قضى: قدر وحكم ورتب، ومعنى القضاء والقدر: حكم اللَّه تعالى في شيء بحمده أو ذمه، وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط.

ثم الكلام في البدل؛ حيث يجيب على سؤال: هل يستطيع الكافر ما أمر به من الإيمان، أم لا يستطيعه؟ حيث يجيب: هو مستطيع في ظاهر الأمر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه، وغير مستطيع للجمع بين الإيمان والكفر ما دام كافرًا، وما دام لا يؤتيه اللَّه ﷻ العون، فإذا آتاه إياه تمت استطاعته.

تلى ذلك الكلام في خلق اللَّه ﷻ لأفعال خلقه، وقد ورد في هذا الجزء مصطلح الإرادة **Will**؛ حيث يذكر « أن الإرادة لا يقدر الإنسان على صرفها، ولا على إحالتها ولا على تبديلها بوجه من الوجوه، وإنما يظهر من المرء تبديل حركاته وسكونه، وأما إرادته فلا حيلة له فيها » (ص٥٥). كذلك يورد في ذلك الجزء كلمة الخلق؛ حيث يذكر أن لفظة الخلق مشتركة تقع على معنيين، أحدهما للَّه - تعالى - لا لأحد دونه وهو الإبداع من عدم إلى وجود.

ثم يأتي الكلام في التعديل والتجوير (العدل والظلم)؛ حيث يذكر أن هذا الباب هو أصل ضلالة المعتزلة، فقد اعتقدوا أن اللَّه تعالى لا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم، وأنه يقبح منه - تعالى - ما قبحت عقولهم، وهذا تشبيه مجرد للَّه تعالى بخلقه.

ثم يذكر أن اللَّه تعالى يحابي من يشاء ويمنع من يشاء، وأن هذا هو العدل، لا ما تظنه المعتزلة عدلًا بجهلها وضعف عقولها.

كما وردت كلمة الحكمة **Wisdom** في ذلك الجزء؛ حيث يذكر: « إنما سمي الحكيم حكيمًا على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرذائل، فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيمًا عاقلًا » (ص١١٥).

كما ورد في ذلك الجزء أيضًا تعريفًا للنسيان **Forgetting**؛ حيث يذكر أن « النسيان لا يقدر أحد على الخلاص منه، ولا يتوهم التحفظ منه، ولا يمكن أحد دفعه عن نفسه » (ص١٣٧). ثم يأتي للكلام في قضية هل شاء اللَّه ﷻ كون الكفر والفسق، وأراده اللَّه تعالى أن يحدث من الكافر والفاسق؟ أم لم يشأ ذلك ولا أراد كونه. وفي هذا الجزء وردت كلمة كف **Inhibition**؛ حيث يقول « نص اللَّه تعالى نصًا جليًا لا يحتمل تأويلًا على أنه كره أن يخرجوا في الجهاد الذي افترض عليهم الخروج فيه مع رسول اللَّه ﷺ، فقد كره تعالى كون ما أراد، ونص على أنه ثبطهم عن الخروج في

الجهاد ثم عذبهم على التثبيط » (ص١٥٠).

وينتقل بعد ذلك إلى الكلام في اللطف والأصلح؛ حيث يذكر المعتزلة أنه ليس عند اللَّه - تعالى - شيء أصلح مما أعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم، ولا عنده هدى أهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن.

ويتحدث في جزء الكلام في هل للَّه تعالى نعمة على الكفار، أم لا؟ فيذكر أن المتكلمون اختلفوا في هذه المسألة؛ حيث قالت المعتزلة: إن نعمًا للَّه تعالى على الكفار في الدين والدنيا، وقالت طائفة أخرى أن اللَّه - تعالى - لا نعمة له على كافر أصلًا.

وينتقل بعد ذلك إلى كتاب الإيمان، وفيه يناقش الكفر والطاعات والمعاصي والوعد والوعيد، كما يذكر اعتراضات جماعة المرجئة على قضية الكفر والإيمان.

ويذكر أن: « إن قال قائل: من أين قلتم أن التصديق لا يتفاضل، ونحن نجد خضرة أشد من خضرة، وشجاعة أشد من شجاعة، لا سيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات **Characteristics** النفس معًا » (ص٢٢٠).

ثم يختتم هذا الجزء من الكتاب بالكلام فيمن يكفر ومَن لا يكفر، والكلام في تعبد الملائكة وتعبد الحور العين والخلق المستأنف، وهل يعصي مَلَك أم لا.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الإدراك Perception.**
- **الإحاطة Scanning.**
- **الحس Sensation.**
- **العقل Mind.**
- **الإرادة Will.**
- **الاستطاعة Ability.**
- **العجز Disability.**
- **الحكمة Wisdom.**
- **النسيان Forgetting.**

- كف Inhibition.

- صفات Characteristics.

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

الفصل في الملل والأهواء والنحل
(الجزء الرابع)



○ تأليف/ ابن حزم الإمام أبو محمد علي بن أحمد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).
○ القاهرة: مطبعة التمدن بمصر (١٣٢١هـ)، جـ٤، ط١.
○ وقد طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف في الجزء الأول.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٢٧) صفحة، وفيه يستكمل « ابن حزم » ما بدأه في الجزء السابق من طرحه لبعض القضايا التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية المتعددة؛ فيبدأ بذكر قضية هل تعصي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟، ويذكر أن طائفة المرجئة و« ابن الطيب الباقلاني » من الأشعرية يذهبون إلى أن رسل الله ﷺ يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدًا، حاشا الكذب في التبليغ فقط.

وذهب جميع أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلًا معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة. وأن الله ربما عاتبهم على وقوعهم في الخطأ بالكلام كما فعل مع نبينا عليه السلام في أمر « زينب » أم المؤمنين، وطلاق « زيد » لها، وفي قصة « ابن أم مكتوم » رضي الله عنه. وربما يبغض المكروه في الدنيا، كالذي أصاب « آدم » و « يونس » - عليهما السلام -.

ويستعرض بعد ذلك كلامهم في معصية بعض الأنبياء، فيذكرون « آدم » عليه السلام ومعصيته لأمر الله تعالى وأكله من الشجرة. والكلام في « نوح » عليه السلام عندما سأل الله عن نجاة ابنه من الطوفان.

والكلام في « إبراهيم » عليه السلام، والكلام في « لوط » عليه السلام، والكلام في إخوة « يوسف » - عليهم السلام - والكلام في « موسى » عليه السلام، والكلام في « يونس » عليه السلام، والكلام في « سليمان » عليه السلام، والكلام في « محمد » ﷺ.

يرد في ذلك الجزء مفهوم السهو؛ حيث يذكر أن « لا يجوز أن ننهى عن السهو (النسيان) **Forgetting** لأن الانتهاء عن السهو ليس في بنيتنا ولا في وسعنا » (ص٢٩).

ثم يتطرق بعد ذلك إلى الكلام في الملائكة - عليهم السلام -، وهل يخطئون ويعصون، كما يتحدث عن ادعاء قوم أن « إبليس » كان ملكًا فعصى، ورد « ابن حزم » على تلك الأباطيل.

ثم يأتي إلى ذكر هل يكون مؤمنًا من اعتقد الإسلام دون استدلال، أم لا يكون مؤمنًا مسلمًا إلا من استدل؛ حيث ذهب « الطبري » والأشعرية كلها حاشا « السمناني » إلى أنه لا يكون مسلمًا إلا من استدل وإلا فليس مسلمًا، وقال « الطبري »: من بلغ الاحتلام أو الإشعار من الرجال والنساء أو بلغ المحيض من النساء، ولم يعرف اللَّه ﷻ بجميع أسمائه وصفاته من طريق الاستدلال، فهو كافر حلال دمه وماله، وقال أنه إذا بلغ الغلام أو الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك، وقالت الأشعرية: لا يلزمهما الاستدلال على ذلك إلا بعد البلوغ.

ثم ينتقل إلى الكلام في الوعد والوعيد؛ حيث يوضح مدى اختلاف الناس في الوعد والوعيد، فذهبت كل طائفة لقول:

منهم من قال أن صاحب الكبيرة ليس مؤمنًا لكنه كافر وفاسق.

ومنهم من قال بأن كل ذنب صغير أو كبير فهو خروج عن الإيمان والإسلام، ثم يستعرض « ابن حزم » الرد على مقالاتهم تلك.

وينتقل إلى الحديث عن الموافاة، فيذكر ابن حزم أن المتكلمين اختلفوا في معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة، وهم أنهم قالوا في إنسان مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتدًا كافرًا، وآخر كافر متمرد أو فاسق، ثم مات مسلمًا تائبًا. كيف كان حكم كل واحد منهما قبل أن ينتقل إلى ما مات عليه عند اللَّه تعالى.

ثم الكلام في من لم تبلغه الدعوة، ومن تاب عن ذنب أو كفر ثم رجع فيما تاب عنه. والكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة. والكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ.

ثم ينتقل إلى الكلام في القيامة وتغيير الأجساد، وأنه ليس في الأجساد جزء الحياة إلا النفس وحدها.

وينتقل إلى قضية أخرى، وهي الكلام في خلق الجنة والنار؛ حيث ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وذهب جمهور المسلمين إلى أنهما قد خلقتا.

كما يورد أيضًا الكلام في بقاء أهل الجنة والنار أبدًا. ثم يتحدث في الكلام في الإمامة والمفاضلة، فيقول أن جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج اتفقوا على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيها أحكام اللَّه ويسوسهم بأحكام الشريعة، إلا النجدات من الخوارج؛ حيث قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أنم يتعاطوا الحق بينهم.

وقد ورد في هذا الجزء في منطق **الاحتجاج (المحاجة) Arguementation**: « إنما يجب أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة، سواء صدقه المحتج أم لم يصدقه؛ لأن من صدق بشيء لزمه القول به أو بما يوجبه العلم الضروري، فيصير الخصم يومئذ مكابرًا منقطعًا إن ثبت على ما كان عليه » (ص٩٤).

ويستطرد في الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة؛ حيث يذكر أن الناس اختلفوا في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء - عليهم السلام -. فذهب بعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة إلى أن أفضل الأمة بعد رسول اللَّه ﷺ « علي بن أبي طالب »، وذهبت الخوارج كلها وبعض أهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة إلى أن أفضل الصحابة بعد رسول اللَّه ﷺ « أبو بكر » و« عمر »، وكذلك اختلفوا في أي النساء أفضل، وهل يكن في طبقة أعلى من طبقات الأنبياء في الجنة. فهل تكون السيدة « عائشة » مع النبي ﷺ في الجنة في طبقة أعلى من طبقة نبي اللَّه « موسى » أو « عيسى » - عليهما السلام - في الجنة.

ثم ينتقل إلى الكلام في حرب عليّ ومن حاربه من الصحابة - رضي اللَّه عنهم - حيث يذكر أن الناس اختلفت في تلك الحرب فقالت جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة أن « عليًا » كان المصيب في حربه وكل من خالفه « عليّ » خطأ، في حين اختلف كثير من طوائف المعتزلة في أن قتاله مع أهل الجمل كان خطأ، بينما قالت الخوارج أنه مصيب في قتاله أهل الجمل وصفين.

ثم يذكر بعد ذلك الكلام في إمامة المفضول، فذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من

يوجد في الناس أفضل منه، في حين ذهب جميع الزيدية من الشيعة وجميع أهل السنة إلى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه.

ثم الكلام في عقد الإمامة، بماذا تصح؟ حيث اختلفوا في هل تصح الإمامة بإجماع فضلاء الأمة، أم تصح بعقد أهل حضرة الإمام والموضع الذي فيه قرار الأئمة. لكنهم لم يختلفوا في أن عقد الإمامة تصح بعهد من الإمام الميت، إذا قصد فيه حسن الاختيار للأمة عند موته، ولم يقصد بذلك هوى.

وينتقل إلى الحديث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حيث يوضح اتفاق الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من واحد منهم.

يلي ذلك ذكر الكلام في الصلاة خلف الفاسق، والجهاد معه، والحج، ودفع الزكاة إليه، ونفاذ أحكامه من الأقضية والحدود وغير ذلك.

ويختتم هذا الجزء بذكر العظائم المخرجة إلى الكفر من أقوال أهل البدع من المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيع؛ حيث يذكر فيها شنع الشيعة، وشنع المعتزلة، وشنع المرجئة. كما يذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم.

وقد ورد في هذا الجزء تعريف للعجز **Disability**؛ حيث يذكر « أن من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه، وأن من لا قدرة له على شيء فصفة العجز والضعف لاحقة به » (ص٢١٤).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **السهو(النسيان) Forgetting.**
- **المحاجة Arguementation.**
- **العجز Disability.**

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

الفصل في الملل والأهواء والنحل
(الجزء الخامس)



- تأليف/ ابن حزم الإمام أبو محمد علي بن أحمد (٣٨٤ - ٤٥٦هـ).
- القاهرة: مطبعة الموسوعات بباب الخلق (١٣٢١هـ)، جـ٥، ط١.
- وقد طبع على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف في الجزء الأول.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٤٢) صفحة. وفيه يستكمل « ابن حزم » ما بدأه في الأجزاء السابقة من طرح لبعض القضايا التي اختلفت فيها الفرق الإسلامية المتعددة؛ فيبدأ الجزء الخامس بذكر المعاني التي يسميها أهل الكلام اللطائف والكلام في السحر والمعجزات التي فيها إحالة الطبائع، وهل تجوز لغير الأنبياء أم لا؛ حيث يذكر أن « الباقلاني » يقول أن الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء، ويقلب الإنسان حمارًا على الحقيقة، وأن كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة، وأنه لا فرق بين آيات الأنبياء وبين ما يظهر من الإنسان الفاضل ومن الساحر أصلًا. ويرد « ابن حزم » على ذلك بأن هذا الحق لا يجوز لغير اللّه، وأنه يكون تبديلًا لكلمات اللّه - تعالى - إلا أن يشاء اللّه.

وفي هذا الجزء يذكر: « وأما ذو الآفة، كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها، وإنما الماء المطل على حدقته يوهمه أنه رأى شيئًا وقطع بذلك، فإذا تثبت في كل ذلك لاح له الحق من الظن، وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه، فإن نفسه تظن ما يتوهمه فتقطع به، ولو قوي تميزها لفرقت بين الحق والباطل » (ص٩). وهو هنا يتكلم عما يمكن تسميته بالتشويه الإدراكي **Perceptual Abirration**.

كذلك يذكر « ابن حزم » أنه لو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة، لوجب القطع على ما في قلبه وأنه ولي اللّه تعالى، وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة - رضي اللّه عنهم -.

كما يقدم تعريفًا للعجز **Disability** هو « العجز ضد القدرة، وأن ما قدر الإنسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه، وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه، وأن نفي القدرة إثبات العجز، وأن نفي العجز إثبات للقدرة » (ص١٢).

ثم ينتقل إلى الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع، فيذكر أننا لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كون الشياطين والجن، ولا وجوب امتناع كونهم في العالم أيضًا بضرورة العقل، لكن علمنا بضرورة العقل إمكان كونهم؛ لأن قدرة اللَّه تعالى لا نهاية لها.

وفي موضع آخر يقول: « ونحن نشاهد الإنسان يرى من له عنده ثأر فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته، ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط، ويرى من يخاف فتحدث له حال أخرى من صفرة ورعشة وضعف نفسه » (ص١٣). وكأنه يتحدث عن الخصائص الفسيولوجية للانفعالات **Physiological Characteristics of Emotions**.

كما يعرف « ابن حزم » الصرع **Epilepcy** فيذكر أن « اللَّه ﷻ ذكر أن تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة، وأن الشيطان يمس الإنسان الذي يسلطه اللَّه عليه مسًّا كما جاء في القرآن، يثير به من طبائعه السوداء والأبخرة المتصاعدة إلى الدماغ، كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم، فيحدث اللَّه ﷻ له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده » (ص١٤).

ثم ينتقل إلى الكلام في الطبائع (الخصال) **Characteristics** فيذكر « أنها قوة في الشيء يوجد بها على ما هو عليه ». كما يذكر أن « من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والبحيرة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة، وكلها ذات معنى واحد » (ص١٥).

ويفرق بين العادة والطبيعة، فيذكر أن « العادة **Habit** في لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجيري، ألفاظ مترادفة على معنى واحد، وهي ما أكثر استعمال الإنسان له مما لا يؤمن تركه إياه، ولا ينكر زواله عنه، بل هو ممكن وجود غيره ومثله، بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع ».

« وكل الطبائع والعادات مخلوقة خلقها اللَّه ﷻ، فرتب الطبيعة على أنها لا تستحيل أبدًا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل، كطبيعة الإنسان » (ص١٦).

ثم يتحدث في قضية نبوة النساء، فيذكر أن طائفة ذهبت إلى إبطال كون النبوة في النساء جملة، وبدّعت من قال ذلك، وطائفة ذهبت إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة.

بعدها يواصل عرض بعض القضايا الدينية، واختلاف الفرق الإسلامية فيها، كالكلام في الرؤيا، والكلام في أي الخلق أفضل: أهم الأنبياء أم الملائكة؟ والكلام في الفقر والغنى، والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم أم لا؟ والكلام في خلق اللَّه - تعالى - للشيء: أهو المخلوق نفسه أم غيره؟ وهل فعل اللَّه من دون اللَّه تعالى هو المفعول أم غيره؛ حيث ذهب قوم إلى أن خلق الشيء هو غير الشيء المخلوق، ثم يأتي للكلام في البقاء والفناء، والكلام في المعدوم: أهو شيء أم لا؟

وينتقل للكلام في الأحوال مع الأشعرية ومن وافقهم؛ حيث ذكر الأشعرية أن هناك أحوالًا ليست حقًّا ولا باطلًا، ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة، ولا هي موجودة ولا معدومة، ولا هي معلومة ولا مجهولة، ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء. وقالوا من هذا علم العالم بأن له علمًا، ووجوده لوجوده.

ثم يذكر بعد ذلك الكلام في خلق اللَّه ﷻ للعالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة، والكلام في الحركة والسكون، والكلام في التولد، والكلام في المداخلة والمجاورة والكمون.

ويعرف الكمون **Latency**: وأما الكمون فإن طائفة ذهبت إلى أن النار كامنة في الحجر، وذهبت طائفة إلى إبطال هذا، وقالت أنه لا نار في الحجر أصلًا، وهذا قول « ضرار بن عمرو » (ص٦١).

كما يذكر في موضع آخر « أن في الأشياء ما هو كامن، كالدم في الإنسان ». « ومن الأشياء ما ليس كامنًا كالنار في الحجر والحديد، لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة إذا تضاغطا احتدم ما بينهما من الهواء فاستحال نارًا » (ص٦٢).

والكلام في الاستحالة، والكلام في الطفرة، والكلام في الإنسان، والكلام في الجواهر والأعراض وما الجسم وما النفس، ويفصل الكلام في النفس **Psych**، فيذكر أن « العقل فعل النفس، وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها » (ص٧٢).

وفي موضع آخر يذكر أن « النفس جسم من الأجسام، فمن الدليل على أن النفس جسم من الأجسام انقسامها على الأشخاص » (ص٨٩).

ويذكر في موضعٍ آخر « أن الروح والنفس شيء واحد، وأن النفس والروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنىً واحد » (ص٩٢).

ثم يأتي لذكر الكلام في المعارف، فيذكر أن الناس اختلفت في المعارف، فقال قائلون: المعارف كلها باضطرار إليها، وقال آخرون: المعارف كلها باكتساب لها، وقال آخرون: بعضها باضطرار وبعضها باكتساب.

ثم الكلام على من قال بتكافؤ الأدلة، ومعنى هذا أنه لا يمكن نصر مذهب على مذهب، ولا تغليب مقالة على مقالة، حتى يلوح الحق من الباطل ظاهرًا بينًا لا إشكال فيه؛ بل دلائل كل مقالة فهي مكافئة لدلائل سائر المقالات، وقالوا كلما ثبت بالجدل فإنه بالجدل ينقض.

ثم الكلام في الألوان، ويختتم الكتاب بالكلام في المتوالد والمتولد؛ فالحيوان كله ينقسم أقسامًا ثلاثة؛ متوالد ولا بد ولا يتولد كالصفار المتولد في البطن وشحمة الأرض، ومتولد ولا بد لا يتوالد كحيوان الثلماندرية، وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضًا كالجعلان. وكل ذلك خلق اللّه، يخلق ما يشاء كما شاء لا إله إلا هو.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **التشويه الإدراكي Perceptual Aberration.**
- **العجز Disability.**
- **الخصائص الفسيولوجية للانفعالات Physiological Characteristics of Emotions.**
- **الصرع Epilepcy.**
- **الطبائع (الخصال) Characteristics.**
- **العادة Habit.**
- **الكمون Latency.**
- **النفس Psych.**

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

فصول الأحكام

وبيان ما مضى عليه العمل

عند الفقهاء والحكام



○ تأليف/ الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف.

○ تحقيق/ الباتول بن علي.

○ المملكة المغربية: منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية (١٩٩٠م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٥٧) صفحة من القطع المتوسط. ويبدأ بمقدمة بمبررات التأليف وهي ما ابتلي به الفقهاء والحكام من الفتيا بين الأنام في الأحكام، فيذكر أن أول ما يقضي به اللّه - تعالى - بين الخلائق يوم القيامة هو الدماء، وأول ما ينظر فيه من الأعمال الصلاة. وينقسم الكتاب إلى جزأين:

الأول: التمهيد ويحتوي على ستة وعشرين فصلًا.

والثاني: الأبواب الرئيسة للكتاب وعددها ثلاثة عشر بابًا.

*** أولًا: التمهيد، ويعرض فيه ستة وعشرين فصلًا كالتالي:**

١ - في السجن وما يتعلق به وتنازع العلماء فيه، وهل الرسول ﷺ سجن أحدًا أو حكم على أحد بالضرب أم لا (**العقاب Punishment**) (ص١٦٠).

٢ - في بيان ما يجب للّه - تعالى - على القاضي من القيام بالقسط (**العدل Justice**) (ص١٦٨).

٣ - في بيان الأخبار والمرويات في معاني آية الأمر بالقسط، ويذكر عددًا من الأحاديث النبوية معناها أن كل والٍ أو أمير يأتي يوم القيامة مغلولًا لا يفكّه إلا العدل.

٤ - في بيان ما يجب للقاضي على المَلك وأهل خاصته: على المَلِك أن يشرف منزلة القاضي وينفذ حكمه في نفسه وولده وأهله وأهل مملكته؛ لأن سلطانه من سلطانه.

ويذكر أمثلة لبعض الخلفاء الراشدين مع القضاة في زمانهم وكيف أنهم حكموا بالقسط (القيادة **Leadership**) (ص١٧٢).

٥ - في بيان ما يستحق القضاء وذكر خصال القاضي الكفء.

٦ - القاضي لا يكون من غير أهل الاجتهاد.

٧ - في بيان مقعد القاضي في يوم الفصل في الحكم.

٨ - في بيان ما يلزم القاضي من أفعاله وأحواله في جميع أحكامه.

٩ - القضاء في المسجد من الأمر القديم لكنه مستحب ولا يقضي القاضي إذا طرقه هَمٌّ أو ضجر أو حزن أو وهو جائع ولا عطشان (**إشباع الحاجات Needs**) (ص١٨٧).

١٠ - وجوب الإشهاد على قرار المتحاكمين عند القاضي.

١١ - ما يجب على كاتب القاضي (يتولى عقد المقالات).

١٢ - توقيف الخصم على وثائق خصمه وما يجب على القاضي في ذلك.

١٣ - في التداعي والتزكية والتعدي والتجريح وإيجاب اليمين والنكول عنها والشهادة على السماع وما يقطع الدعاوى (سيكولوجية الشهادة في علم النفس الجنائي **Criminal psychology**) (ص٢٠٢).

١٤ - عدد المقبولين في التعديل (**قيمة العدل Fair**) وأقوال الفقهاء في ذلك.

١٥ - كيف يكون التعديل بين الغرباء من أهل البدو والحضر.

١٦ - جواز التعديل والتجريح من غير تفسير.

١٧ - عدم جواز شهادة الخصم والظنين والجار لنفسه.

١٨ - ما تجوز فيه الشهادة على السماع خمسة: النكاح والموت والنسب وولاية القاضي وعزله.

١٩ - في اليمين التي تجب بالخلطة والتي تجب بغير خلطة.

٢٠ - جواز جمع يمينين في يمين من حكمين مختلفين.

٢١ - عدم جواز جمع يمينين في يمين من حكمين مختلفين وذلك في الميراث.

٢٢ - رد اليمين وما يجب فيها كبطلان الدعوى والغرامة.

٢٣ - كيفية حلف الحالف: يحلف قائمًا ومتوجهًا للقبلة.

٢٤ - جواز شهادة عدلين فأكثر على السماع في كل شيء فيما طال زمانه.

٢٥ - في بيان الحيازة والاستحقاق فيما شهدت به البينة على الخطوط المكتوب بها الوثيقة.

٢٦ - جواز الشهادة على خطوط الموتى العدول كالمعمول به في صدقات النساء والأوقاف.

*** ثانيًا: أبواب الكتاب:**

الباب الأول: في بيان الترشيد والتعنيس لليتامى وغيرهم وشهادة المولى عليه وشهادة النساء في الولادة والدعاوى، وفي عيوب الإماء والنساء وما لا يطلع عليه الرجال:

ويحتوى هذا الباب على ستة فصول ملخصها كالتالي:

١ - في بيان الترشيد: الرشد **Rationality** هو الصلاح في العقل والدين، أو هو صحة العقل وصلاح الدين.

٢ - في ترشيد المرأة: لا يجوز للبكر التصرف في مالها حتى تدخل بيتها، ويرى ابن دينار أنها لا يجوز لها ذلك حتى تمضي سنة لها مع زوجها.

٣ - شهادة النساء في الولادة والدعاوى: تجوز إذا شهدن الجسد ذكرًا كان أم أنثى.

٤ - مواضع قبول شهادة النساء دون الرجال: في خمسة مواضع هي: الولادة والاستهلال والحيض والرضاع وفي عيوب النساء التي لا يطَّلع عليها الرجال.

٥ - الأوجه التي لا تعمل فيها شهادة النساء: في تسعة أوجه: القصاص والنكاح والطلاق والعتاق والتعزير والتزكية والتجريح والشهادة على الشهادة ووكالة في غير مال.

٦ - في بيان عيوب النساء: خمسة: هي الجنون (الذهان) **Psychosis** (ص٢٣٩) والجذام والبرص والرتق والقرن في الفرج.

الباب الثاني: في بيان معاني الاستحقاق Merit والدعاوى Legal proceedings وفي جميع العيوب في أحكام الحيازات Possessions:

ويحوي ثمانية فصول منها:

١ - في معنى الاستحقاق: هو على ثلاثة أوجه أن يستحق جميع المبيع، أو يستحق شيئًا منه بعينه، أو يستحق جزءًا منه مشاع.

٢ - في اختلاف الأسواق في الشيء المعيب: تغير ثمن السلعة من سوق إلى سوق يتعذر على المشتري ردها.

٣ - في التدليس في البيع: إذا كان التدليس من البائع يرد إليه، أما إذا كان البائع لا يعلم العيب في السلعة فلا يرد.

٤ - فيمن اطلع على عيب في عبد ابتاعه: إذا علم البائع بذلك فعليه اليمين.

٥ - في بيع البراءة: البراءة تكون في بيع الرقيق وفي الميراث.

٦ - في مدة الحيازة: من حاز شيئًا عشر سنين فهو أحق به، وحيازة الثياب سنة وسنتان إذا لبست، والدواب ثلاث سنين، وكذلك في العبيد والعروض.

الباب الثالث: في بيان كتب القضاة بعضهم إلى بعض والتعجيز عندهم والإعذار والصلح والاسترعاء والحمالة، واختلاف الوكيل مع الموكل والإعارات والرهن وتضمين الصناع:

ويحوي هذا الباب خمسة وعشرين فصلًا منها التالي:

١ - القاضي ينفذ ما خاطبه به غيره من القضاة: وذلك سواء وافق مذهبه أم لا.

٢ - جواز التنفيذ وإن لم يُسَمِّ من خاطبه وأسماء شهود الوصية **testamentary**.

٣ - متى يقبل القاضي ما يخاطبه به خلفاؤه وأمناؤه: إذا كان الخطاب بغير بينة وكان مختومًا عليه وعرف خاتمه.

٤ - أين يكون التداعي: حيث يكون المدعي أم المدعى عليه أم الشيء المدعى فيه؟ يرى المؤلف: حيث يكون المدعى عليه.

٥ - متى يفسخ القاضي حكمه: إذا تبين له أن الحق غير ما قضى به إذا لم يوافق قول أي من العلماء، أما إذا وافق قول أحدهم لم يفسخه (اتخاذ القرار **Decision taking**) (ص٢٧٣).

٦ - هل ينقض القاضي الحكم لأن أحد الشهود ساخط **discontented**: هناك رأيان: إما أن تنقض القضية التي شهد فيها المسخوط أو لا تنقض.

٧ - من ينقض حكمه من القضاة: القضاة ثلاثة: قاضٍ عادل عالم وأحكامه كلها جواز، وقاض عادل جاهل وهذا يتعقب أحكامه من بعده، وقاض جائر متعسف لا تنفذ أحكامه.

٨ - لا يقبل قول قاضٍ بعد عزله: إذا زعم بعد عزله أنه حكم في شيء فلا يقبل بقوله.

٩ - لا يتم حكم القاضي إلا بعد الإعذار للمحكوم عليه: والإعذار موكول إلى اجتهاد الحكام، وأشهره إعطاء مهلة من خمسة عشر يومًا ثم ثمانية أيام ثم ثلاثة.

١٠ - لا حجة بعد الإعذار إلا في ثلاث: النسب والطلاق والعتق.

١١ - عمل القاضي الجديد مع الخصوم في الأجل: ينفذ في الموضع الذي انتهي إليه ولا يضرب أجلًا جديدًا.

١٢ - إنكار أحد الخصمين لحق من الحقوق ثم ثبوته عليه: لا حكم له بتلك البينة؛ لأنه زورها بإنكاره لأصل الحق.

١٣ - جواز الصلح بين المتخاصمين: ندب اللّه تعالى عباده إلى الصلح.

١٤ - في صلح الأب على ابنته البكر: إذا كان حقها في الميراث فلا يجوز صلحها.

١٥ - في صلح الوصي على أيتامه: جائز نافذ ما لم يكن فيه غبن.

١٦ - في اختلاف الآمر مع المأمور: القول قول الآمر والمأمور ضامن فقط.

١٧ - ما يلزم فيه الضمان في الحمالة: تلزم الرجل الضمانة بأربعة أوجه: إذا قال أنا كفيل أو ضمين أو حميل أو زعيم (الالتزام **Commitment**) (ص٢٩٠).

١٨ - ما لا تجوز فيه الكفالة: لا تجوز الكفالة في ثمانية: الكتابة والصرف والقصاص والحدود والتعزير وفيما بيع بعينه وأجازة الأجير في عمل وفي حمولة دابة بعينها.

١٩ - أوجه جواز الحوالة: لا تجوز الحوالة إلا في ثلاث: أن تكون من أصل دَيْن، أو أن يكون الدَّيْن حالًا، أو أن لا يغره من فلس يعلمه من غريمه.

٢٠ - في العارية: إذا تلف الشيء المستعار دون تضييع لا ضمان فيه، وإذا تلف بغير بينة يعاب عليه، والاستعارة **borrowing** تمليك منفعة مؤقتة بغير عوض، وبالتالي هي عمل خيري تطوعي.

٢١ - في الرهون: لا يتم حوز الرهن **Mortgage** إلا بالقبض ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] والأشياء المرهونة نوعان فيما يعلم هلاكه، وفيما يخفى هلاكه.

٢٢ - في ضياع الرهن: يحلف أنه ضاع منه بلا دُلسة ولا يعرف له موضعًا.

٢٣ - في الصناع: الصناع ضامنون لما تلف عندهم وعليهم غرم قيمته.

٢٤ - فيما يلزم الفرَّان وما لا يلزمه: لا ضمان على الفرَّان فيما احترق من الخبز إذا بقي منه ما يستدل به على ما يدعيه.

الباب الرابع: في بيان أحكام الشفعة.

الباب الخامس: القسمة بين الشركاء، وإجازة القاسم وكاتب الوثيقة وجامع الدعاوى في الجدارات.

الباب السادس: في بيان أحكام الضرر وحريم الآبار وأحكام الهبات والأحباس والصدقات.

الباب السابع: في بيان أحكام الوصايا والعتق والتدبير والكتابة والولاء.

الباب الثامن: في بيان معاني النكاح والطلاق والعدة.

الباب التاسع: في بيان أحكام البيوع والسلم، وبيع الخيار والمرابحة، وأكرية الدور والأرضين، ومشاكل البيوع.

الباب العاشر: في بيان معاني العيوب في الدواب والتدليس فيها والمجاعلة على حفر الآبار والبناء وما ضارعه.

الباب الحادي عشر: في بيان أحكام الأكرية والمزارعة والجوائح والإقرار والاستثناء.

الباب الثاني عشر: في بيان أحكام الملتقط المجهول والأثلاث والضمان والأمناء وتجاهل المرتهن قيمة الرهن.

الباب الثالث عشر والأخير: في بيان أحكام الدماء والجنايات والديات والفرية والسرقة.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى ذكر المفاهيم النفسية الآتية:

- **القيادة Leadership.**
- **المحاجة Argumentation.**
- **تغيير الاتجاهات Attitude Change.**
- **العدل Justice.**

- العقاب **Punishment**.
- القيم **Values**.
- الحاجات **Needs**.
- مرحلة الرشد **Rationality**.
- الجنون (الذهان) **Psychosis**.
- اتخاذ القرار **Decision Making**.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

مختصر منهاج القاصدين



○ تأليف/ المقدسي، الإمام الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة (٦٥١ - ٦٨٩هـ).

○ القاهرة: دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع (١٩٨٢م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلامة نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي.. المعروف بابن شيخ خطيب الجبل.

ولد الإمام نجم الدين بدمشق في شهر شعبان سنة (٦٥١هـ). وتفقه على يد والده - عبد الرحمن بن أبي عمر قاضي القضاة شيخ الجبل، وولي القضاء في حياة أبيه بإشارته ولـم يبلغ الثلاثين من عمره. كان - رحمه اللّه - خطيب الجبل، وقاضي القضاة، ومدرس أكثر المدارس، وشيخ الحنابلة.

اختصر كتابه هذا - من كتاب « منهاج القاصدين » للإمام عبد الرحمن بن الجوزي الذي اختصره بدوره من كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي. وقد قام بتخليصه من المسائل الفقهية التي موضعها كتب الفقه، وجعله كتابًا أخلاقيًا تربويًا، وأصبح من السهل قراءته بعد أن صار يمثل عشر حجم الكتاب الأول.

توفي بمنزله بقاسيون في يوم الثلاثاء ١٢ من جمادى الأولى سنة ٦٨٩هـ، ودفن في الصالحية.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٦٣) صفحة، والكتاب مقسم إلى أربعة أرباع كالتالي:

الأول: ربع العبادات.

الثاني: ربع العادات.

الثالث: ربع المهلكات.

الرابع: ربع المنجيات.

وكل واحدة من هذه الأقسام الأربعة يشتمل على كتب وأبواب وفصول.

ففي الربع الأول، ربع العبادات: يناقش فيه الكاتب كتاب العلم وفضله وما يتعلق به من آفات العلم وبيان علماء السوء وعلماء الآخرة، وكتاب الطهارة وأسرارها والصلاة وما يتعلق بها من فضائل الصلاة وأوقات النهي عن الصلاة، وكتاب الزكاة وأسرارها وما يتعلق بها من دقائق الآداب الباطنة في الزكاة وصدقة التطوع وفضلها، وكتاب الصوم وأسراره ومهماته وما يتعلق به من سنن الصوم وأسراره وآدابه.

وكتاب الحج وأسراره وفضائله وآدابه ونحو ذلك، وكتاب آداب تلاوة القرآن الكريم وذكر فضله، وكتاب الأذكار والدعوات والأوراد وفضلها وعددها وترتيبها.

وورد في هذا الربع بعض المفاهيم ذات الدلالة النفسية، حيث ورد في (ص١٨): « ينبغي قطع العلائق الشاغلة، فإن الفكرة متى توزعت قصرت عن إدراك الحقائق ». وهذا ما نطلق عليه الآن تركيز الانتباه **Concentration of attention**.

وفي (ص٢٥): وردت كلمة المواد والتي تقابل كلمة المنبهات **Stimuli** فيذكر أن المواد إما ظاهرة وهي ما يشغل السمع والبصر، وإما باطنة وهي أشد كمن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا، فإنه لا ينحصر فكره في فن واحد، ولم يغنه غض البصر؛ لأن ما وقع في القلب كافٍ في الاشتغال به.

أما الربع الثاني، ربع العادات، والذي قسم بدوره إلى عدد من الكتب، فقد أفرده الكاتب للحديث عن آداب الأكل والاجتماع عليه والضيافة، وكتاب النكاح وآدابه وما يتعلق به، وكتاب آداب الكسب والمعاش وفضله وصحة المعاملة، وفضل الكسب الحلال والعدل واجتناب الظلم في المعاملة وكتاب آداب الصحبة والأخوة ومعاشرة الخلق وحقوق الأقارب، وآفات العزلة.

وكتاب آداب السفر، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتب الإنكار، وآداب المعيشة وأخلاق النبوة، ومعجزاته صلى اللَّه عليه وآله وسلم.

وورد في هذا الجزء بعض المدلولات النفسية حيث يذكر في (ص٩٨) « أن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينًا على الطبع ويسقط وقعه واستعظامه » وفي موضع آخر بنفس الصفحة يذكر « ومما يدل على سقوط وقع الشيء بسبب تكرره ومشاهدته ». وهذا

ما نطلق عليه التكيف الحسي **Sensory Adaptation**.

وبالنسبة للربع الثالث، ربع المهلكات، والذي قسم إلى كتاب شرح عجائب القلوب، ومداخل إبليس في قلب الإنسان، وكتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلوب وعلامات مرض القلب وعوده إلى الصحة، وبيان الطريق إلى معرفة الإنسان عيوب نفسه، وكتاب كسر الشهوتين: شهوة البطن، وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان وآفات الكلام، وكتاب ذم الغضب والحقد والحسد وفضل الإيثار، وحد البخل والسخاء، وكتاب ذم الجاه والرياء وعلاجهما وفضيلة الخمول، وبيان ما يصح من نشاط العبد بسبب رؤية الخلق وما لا يصح، وكتاب ذم الكبر والعجب، وعلاجهما، وكتاب الغرور وأقسامه ودرجاته.

وورد في هذا الجزء بعض المدلولات النفسية، حيث يذكر في (ص١٣٧): « وكما أن العلة الموجبة لمرض البدن لا تعالج إلا بضدها، إن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من البرودة فبالحرارة، فكذلك الأخلاق الرذيلة التي هي من مرض القلب، علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى ». وهذا يعد أحد طرق تعديل السلوك **Behavioral Modification**، وهي إحلال سلوك جديد مرغوب محل سلوك قديم غير مرغوب.

(ص١٤٠) « أن يخالط الناس، فكل ما يراه مذمومًا فيما بينهم، يجتنبه ». وهذا ما نطلق عليه المطاوعة الاجتماعية **Social Compliance**.

(ص١٤٢) يذكر: « ومتى ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه (التدعيم **Reinforcement**)، ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال تغوفل عنه (التجاهل **Neglection**) ولا يكاشف به، فإن عاد عوقب سرًّا **Punishment** ».

ثم ينتقل إلى الربع الأخير، ربع المنجيات، ويتناول فيه كتاب التوبة وذكر شروطها وأركانها، وكتاب الصبر والشكر، وبيان اجتماع الصبر والشكر على وجه واحد، وكتاب الرجاء والخوف وفضيلة الرجاء وذكر خوف الأنبياء والصحابة والتابعين، وكتاب الزهد والفقر، وكتاب التوحيد والتوكل، وبيان فضل التوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وبيان معنى الأنس بالله والرضا بقضائه ﷻ. ثم باب النية والإخلاص والصدق، وباب المحاسبة والمراقبة وباب التفكر، وباب ما جاء في فضل ذكر الموت، وباب ذكر

وفاة رسول اللّه ﷺ، ثم يختتم الكتاب بباب في سعة رحمة اللّه تعالى، وقد قسم الكاتب هذه الأبواب إلى فصول ناقش فيها القضايا التي تتعلق بكل باب.

ويرد في هذا الجزء بعض المدلولات النفسية، ففي (ص٢٣٢) يذكر أن المريض لا يدري أنه مريض، وكأنه يتحدث عن نقص الاستبصار **Lack of insight**.

(ص٢٤٠) في معرض حديثه عن الصبر على الشهوات، فيقول: « قطع الأسباب المهيجة للشهوة، فإنه إنما يهيج بالنظر، والنظر بالقلب، والقلب يحرك الشهوة ودواء هذا العزلة ». (ومرادف هذا في علم النفس الآن أسلوب التجنب **Avoidance**).

(ص٢٤٩) يذكر: « حيث خلق اللّه شهوة الطعام وسلطها عليك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى تناول الغذاء » (**الحاجة Need**).

وفي نفس الصفحة يذكر: « ثم هذه الشهوة لو لم تسكن عند أخذ مقدار الحاجة من الطعام لأسرفت وأهلكت نفسك، فخلق لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها » وكأنه يتحدث عن إشباع الدافع **Satisfaction**.

(ص٢٥٩) « **الرجاء Hope** هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب عنده ».

(ص٢٦٣) « **الخوف Fear** عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ».

(ص ٢٩٧) يورد كلمة الغريزة على أنها مرادف لمفهوم الدافع **Motive** حيث يقول: « غريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام ».

(ص٣٢٤) ترد كلمة **المراقبة Self Monitoring** حيث يقول: « ينبغي أن يراقب الإنسان نفسه قبل العمل وبعد العمل، هل حركه عليه هوى النفس أو المحرك له هو اللّه تعالى خاصة ؟ ».

(ص٣٣٧) يرد مفهوم الكرب **Distress** فيذكر: « أما الميت عند موته، فإنه ينقطع صوته من شدة ألمه؛ لأن الكرب قد بالغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع منه ».

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- تركيز الانتباه **Concentration of attention**.
- **المنبهات Stimuli**.

- التكيف الحسي Sensory Adaptation.
- تعديل السلوك Behavioral Modification.
- المطاوعة الاجتماعية Social Compliance.
- التدعيم Reinforcement.
- التجاهل Neglection.
- عوقب سرًّا Punishment.
- نقص الاستبصار Lack of insight.
- التجنب Avoidance.
- إشباع الدافع Satisfaction.
- الحاجة Need.
- الرجاء Hope.
- الخوف Fear.
- الدافع Motive.
- المراقبة الذاتية Self Monitoring.
- مفهوم الكرب Distress.

القائم بالعرض

د. نرمين عبد الوهاب

* * *

مفتاح الوصول في علم الأصول



○ تأليف/ التلمساني الإمام أبي عبد اللّٰه محمد بن أحمد المالكي الشريف.

○ تحت إشراف/ فضيلة الشيخ أبي بكر محمود قاضي القضاة بنيجيريا.

○ مكتبة الكليات الأزهرية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبي عبد اللّٰه محمد بن أحمد المالكي الشريف التلمساني من علماء القرن الثامن الهجري. ولد في عام (٧١٠ هـ) وتوفي عام (٧٧١هـ).

عرض الكتاب:

يتكون الكتاب من (٢٠٣) صفحة، ويبدأ الإمام حديثه بالثناء على علم الشريعة، والإشارة أن ما يتمسك به المستدل على حكم من الأحكام الفقهية منحصر في جنسين: دليل بنفسه، ومتضمن الدليل.

الجنس الأول: الدليل بنفسه:

ينقسم إلى: أصل بنفسه، ولازم عن أصل.

- **النوع الأول: الأصل بنفسه:**

وهو صنفان: أصل نقلي وأصل عقلي.

الصنف الأول: وهو الأصل النقلي - يشترط فيه:

١ - أن يكون صحيح السند إلى الشارع صلوات اللّٰه عليه.

٢ - متضح الدلالة على الحكم المطلوب.

٣ - مستمر الأحكام.

٤ - راجحًا على كل ما يعارضه.

أفرد الإمام لكل شرط من هذه الشروط الأربعة بابًا كاملًا كما يلي:

الباب الأول: في السند (ص٨ - ٢٨): يشير الإمام أن الأصل النقلي إما أن ينقل تواترًا،

وإما أن ينقل آحادًا. والتواتر خبر جماعة يستحيل اتفاقهم على الكذب، وخبر الآحاد ما لا يبلغ حد التواتر.

والأصل المستدل به يكون من الكتاب، أو من السنة. فأما الكتاب: فلا بد أن يكون متواترًا، أما السنة: فلا يشترط في الخبر المستدل به أن يكون متواترًا عند المحققين من الأصوليين.

ويتعلق الاعتراض على سند الأخبار الأحادية بجهتين:

الجهة الإجمالية: حيث اختلف الأصوليون في قبول أخبار الآحاد جملة، فإذا استدل المستدل على حكم من الأحكام بخبر الآحاد، فإن للمعترض أن يمنع قبول أخبار الآحاد.

الجهة التفصيلية: من شرط السند أن يكون مقبول الرواة، متصلًا إلى النبي ﷺ. ولكي يتم قبول الرواة لا بد أن يكون عدلًا، ضابطًا. وفيما يتعلق باتصال الرواية بالنبي ﷺ، فإن القادح في اتصال الرواية به ﷺ، إما انقطاع السند: أي أن يكون بين الراويين واسطة محذوفة، وإما الإرسال: وهو أن يروي غير الصحابي الحديث عن النبي ﷺ، وإما الوقف: وهو أن لا ينتهي الحديث إلى النبي ﷺ.

الباب الثاني: في كون الأصل النقلي متضح الدلالة (ص٢٩ - ١٣١): يشير الإمام في هذا الباب أن اتضاح الدلالة يختلف باختلاف المتن، والمتن إما قول، أو فعل، أو تقرير.

يدل القول على الحكم من جانبين: جانب المنطوق، وجانب المفهوم. ويشير الفعل إلى فعله ﷺ، وقد تقرر في أصول الدين عصمة الأنبياء من المعاصي، فإذا فعل النبي ﷺ فعلًا فهو غير معصية. وقد اختلف العلماء في حكم فعله ﷺ، وأشهرها القول بالوجوب. أما التقرير، فالنبي ﷺ لا يُقر على الخطأ ولا على معصية؛ لأن التقرير على المعصية معصية، فالعاصم له من فعل المعصية عاصم له من التقرير عليها. ومن شرط التقرير الذي هو حجة: أن يعلم به النبي ﷺ، ويكون قادرًا على الإنكار، وأن لا يكون قد بين حكمه قبل ذلك بيانًا يسقط عنه وجوب الإنكار. فإذا تقرر هذا فالإقرار إما على الحكم، أو على الفعل.

الباب الثالث: في كون الأصل النقلي مستمر الأحكام (ص١٣٢- ١٤٥): ومعناه أنه غير منسوخ، يشير حد النسخ إلى رفع الحكم الشرعي بالدليل الشرعي المتراخي عنه، وقيل: إنهاء الحكم الشرعي. ويذكر القاضي « أبو بكر الطيب » أن حقيقته الرفع، والفرق بينهما

في المثال: أن من استأجر دارًا سنة، فتمت السنة، فيقال: قد انتهى عقد الإيجار، ولا يقال: ارتفع ولو تهدمت الدار في أثناء السنة قيل: ارتفع العقد، ولا يقال: انتهى.

الباب الرابع: في كون الأصل النقلي راجحًا (ص١٤٦ – ١٥٥):

يشير الإمام أن الترجيح يقع إما من جانب السند، وإما من جانب المتن، ولترجيحات السند عشرة أسباب كما يلي:

١ – كبر الراوي.

٢ – أن يكون الراوي لأحد الخبرين أعلم وأتقن من الراوي الآخر.

٣ – أن يكون الراوي مباشرًا للقصة بنفسه.

٤ – أن يكون أحد الراويين صاحب الواقعة، فهو أولى.

٥ – أن يكون أحد الراويين أكثر صحبة، فهو أولى.

٦ – كثرة رواية أحدهما.

٧ – أن يكون أحدهما أقرب إلى النبي ﷺ.

٨ – كون الراوي سمع الحديث من غير حجاب.

٩ – أن يكون أحد الراويين لم تختلف الرواية عنه بخلاف الآخر.

١٠ – أن يكون أحد الراويين متأخر الإسلام؛ لأنه أقل احتمالًا للنسخ.

ولترجيحات المتن عدة أسباب كما يلي:

١ – أن يكون أحد المتنين قولًا والآخر فعلًا.

٢ – أن يكون أحد المتنين دالًّا بمنطوقه، والآخر بمفهومه.

٣ – أن يكون أحدهما قصد به الحكم، والآخر ليس كذلك.

٤ – أن يكون أحد المتنين واردًا على غير سبب.

٥ – أن يكون أحدهما إثباتًا والآخر نفيًا.

٦ – أن يكون أحدهما ناقلًا عن أصل البراءة والآخر منفيًّا.

٧ – أن يكون أحدهما يتضمن احتياطًا، فإنه أرجح.

هذا فيما يتعلق بالصنف الأول وهو الأصل النقلي.

أما الصنف الثاني مما هو أصل بنفسه، وهو الأصل العقلي ويعني به الإمام الاستصحاب،

والاستصحاب ضربان: استصحاب أمر عقلي أو حسي، واستصحاب حكم شرعي.

- النوع الثاني: وهو ما كان لازمًا على أصل:

الناشئ على الأصل، لا بد وأن يدل على حكم، وذلك الحكم إما أن يكون مماثلًا للأصل، وإما أن يكون مناقضًا لحكم الأصل، وإما أن يكون ليس بمماثل ولا مناقض. فإن كان مماثلًا لحكم الأصل، فلا بد من المغايرة بين الحكمين في المحل، لاستحالة اجتماع المثلين، وإذا تغاير المحلان فذلك هو قياس الطرد. وإن كان مناقضًا لحكم الأصل؛ فلا بد من المغايرة بينهما في المحل، لاستحالة اجتماع النقيضين، وذلك هو قياس العكس. وإن كان ليس بمماثل ولا مناقض، فذلك هو الاستدلال.

تناول الإمام قياس الطرد من (ص١٥٨ - ١٩٤)، حيث تحدث عن أركان القياس وهي: الأصل، والعلة، والفرع، والحكم، كما تحدث عن أقسامه وهي: قياس لا فارق، وقياس العلة، وقياس الدلالة.

وفي (ص١٥٨) أشار الإمام إلى أن القياس عبارة عن إلحاق صورة مجهولة الحكم بصورة معلومة الحكم، لأجل أمر جامع بينهما يقتضي ذلك الحكم. والصورة المعلومة الحكم تسمى أصلًا، والصورة المجهولة الحكم تسمى فرعًا. ويشير هذا التعريف إلى المماثلة **Analogy** وهي إحدى الآليات المعرفية التي يستعين بها الأفراد للقيام بالاستنتاجات وعمل الأحكام، وهي عملية فهم موقف جديد في ضوء آخر مألوف يعد أساسًا أو مصدرًا للمماثلة ويمد القائم بها بنموذج للقيام بالاستنتاجات حول الموقف غير المألوف أو هدف المماثلة.

وتناول الإمام قياس العكس في الصفحات من (ص١٩٤ - ١٩٦)، وفي (ص١٩٦) أشار الإمام أن **الاستدلال Reasoning** قد يكون بطريق التلازم بين الحكمين، وقد يكون بطريق التنافي بينهما، فإذا كان بطريق التلازم فهو ثلاثة أقسام: استدلال بالعلة على المعلول، واستدلال بالمعلول على العلة، واستدلال بأحد المعلولين على الآخر. وإن كان بطريق التنافي بين الحكمين فله أيضًا ثلاثة أقسام: تنافٍ بين حكمين وجودًا أو عدمًا، وتنافٍ بينهما وجودًا فقط، وتنافٍ بينهما عدمًا فقط.

ويتناول علمُ النفس الاستدلالَ من حيث كونه فعلًا ذهنيًّا مؤلفًا من أحكام متتابعة إذا وصفت لزم عنها بذاتها حكم آخر غيرها. ويبحث عالم النفس في الاستدلال من حيث هو فعل ذهني واقعي، لا من حيث هو صحيح أو قاصر؛ حيث يهتم عالم النفس إلى

حركة الذهن وكيفية تكوُّن الحجج العقلية وارتقائها، ولا يهتم بصحتها وفسادها.

وأخيرًا تناول الإمام الاستدلال في الصفحات من (ص١٩٦ - ٢٠٣).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- المماثلة Analogy.

- الاستدلال Reasoning.

القائم بالعرض

د. أمنية الشناوي

* * *

مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين « ابن حزم » و « الباجي »



- تأليف/ د. عبد المجيد تركي.
- ترجمة وتحقيق/ شاهين، عبد الصبور.
- مراجعة/ محمد عبد الحليم محمود.
- لبنان: دار الغرب الإسلامي (١٩٨٦م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ألفه « د. عبد المجيد تركي » عام (١٩٧٦م)، وهو مدير بحوث في المركز الوطني للبحث العلمي بباريس، وأستاذ محاضر بجامعة السوربون، وهذا الكتاب نشر ضمن دراسات ووثائق بالجزائر.

عرض الكتاب:

يتكون الكتاب من (٥٨٦) صفحة من القطع المتوسط، ويبدأ بكلمة المترجم « د. عبد الصبور شاهين » يصف فيها أهمية هذا الكتاب للثقافة العربية الإسلامية، وشكر لمؤلفه ووصف لمدى دقته وموضوعيته وأن الكتاب تحقيق من النصوص بالاعتماد على مخطوطة (إحكام الفصول في أحكام الأصول) للباجي، وهي نسخة من خزانة جامعة القرويين بفاس عام (٦٨١هـ). واعتمد المحقق عليها إذ يرى أنها نسخة كاملة أفضل مما اعتمد عليه المؤلف في كتابه.

ثم كلمة المؤلف التي بدأها بالشكر لكل من سانده في تأليف الكتاب، والشكر للمترجم، والقائم بالمراجعة، مؤكدًا بذله جهدًا وفيرًا بهدف الأمانة العلمية، وأنه استفاد من ذلك للتأكد من ترجمة الفرنسية ومدى وضوح الفكرة بها، وأنه ساعد المحقق في الحصول على مراجع تسانده في عملية التأصيل وأكد أن النسخة التي اعتمد عليها هي أفضل من نسخة المحقق.

يبدأ الكتاب بتمهيد عرف فيه علم أصول الفقه، وأنه علم وسيط بين المنطق الأرسطي والقانون الوضعي، ثم بدأ بمدخل وضع به تعريف وتحديد الموضوع؛ حيث إن الدراسة

هنا تقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية كما يتصورها فقيهان أندلسيان هما « ابن حزم الظاهري » و « الباجي المالكي »، وأشار المؤلف إلى ترك عدة مذاهب. وأن كل ما سبق القرن الخامس الهجري لا يمكن الاعتماد عليه في الفكر التشريعي الأندلسي، ثم تحدث عن الصعوبات التي واجهته للحصول على تلك المناظرات، ثم حدد خطة البحث وأنه اعتمد على البحث عن محور رئيس لدى الاثنين، ويتضمن الكتاب خمسة فصول هي:

الفصل الأول: بعنوان الأسس التاريخية للمناظرات بين ابن حزم والباجي: بدأ بحديث المؤلف عن أهمية الجدل في المناظرات، وأن اللَّه يلوم من يجادل بغير علم بالقضية التي يجادل فيها، وأن اللَّه يعلمنا أن نحرص على ألا نسلم إلا بما يقوم على البرهان العقلي، وتحدث عن قواعد فن المناظرة في المحاجة والتي يجب أن يتبعها المسلم وهي أدب البحث والوضوح في البيان واتباع الحق، وتبني وجهة النظر التي يفرضها الدليل القاطع. ويرى المؤلف أن المجادلات في عصر الرسول اتسمت بطبيعة عقلية اتسم بها الفكر الإسلامي، ويرى المؤلف أن الشافعي هو المؤسس الحقيقي لعلم أصول الفقه وأنه مؤسس علم وفن الجدل والخلاف.

وعن العلاقة بين الكلام والفقه، وذكر أن « الشيرازي » يرى أن المتكلم يعرف القياس ويمارس المنهج العقلي ويجتهد في العقليات إلا أن المتكلم يحتاج لدليل شرعي لا يعرف عنه شيئًا فرأيه لا يعد ضمن آراء المجتهدين، أما « الأصولي » فيعرف أصول الشريعة إلا أنه يجهل الأدلة التفصيلية مفردة بل يدركها كمجمل عام، وحدد أنواع الكتابة الفقهية في ميدان الجدل على أنها ثلاثة أنواع هي الخلافيات وآداب البحث والجدل، وعرف « الباجي » الخلافيات على أنها: «علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشبهة، وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية ». إذن هي لديه الجدل.

وتحدث « الباجي » عن آداب الجدل **Argumentation** أو المحَاجة (وهو المصطلح النفسي المعاصر المستخدم بدلًا من الجدل) (ص٤٢) بأنها تفرض تحديد المسألة تحديدًا دقيقًا، وتحديد الإجابة المقدمة عنها، وألا يتحدث الخصمان في نفس الوقت، وألا يقاطع أحدهما الآخر حتى ينتهي تقديم آرائه، كما لا يوجه له سؤالًا حتى تكتمل مناقشة السؤال الأول، وأن المناظرة **Debate** يلزمها دقة وتلطف، وأن يلتفت الفرد إلى خصمه، وأنه ملزم بالذهاب إليه بكل انتباه، ويستخدم الأساليب الحسنة، دون سخرية أو لوم أو مغالطة رأي الآخر.

وذكر في (ص٤٣) شروط الجدل وهي أن ينعقد بين خصمين متساويين، ويلتمسا شروط الأمانة والصحة وليس بهما علة أو عاهة، وألا يستغل أحدهما صلته بأي صاحب جاه حتى لا يصدر عنه مزاج مغضوب، فيضع الخصم في مركز لا يساعده على إعداد أدلته وربط المسائل الملتبسة في المناقشة.

ورصد المؤلف عدة مؤلفات حول الجدل واصفًا مزايا كل منها وعيوبه، ورصد المؤلف ما كتبه الكثير من المؤلفين وأن المناظرات بين « الباجي » و « ابن حزم » تؤكد على انتصار « الباجي » على « ابن حزم »، ورصد المؤلف تلك المناظرات وأسباب تفوق « الباجي » واضطراب « ابن حزم »، ورأى المؤلفين أن « الباجي » أحد أئمة المسلمين ولا ينازع في المناظرة الفقهية.

أما الفصل الثاني فدار حول أهمية استخدام القرآن والسنة كأساس للمناظرة، والحكم بمدى صحة أو خطأ الرأي في الأمور الفقهية.

أما الفصل الثالث فكان حول الإجماع وحدد المؤلف أهميته وشروطه ومن نستطيع الاعتماد عليهم في الإجماع مؤكدًا أنهم الصحابة وأهل الثقة.

وذكر تعريف « ابن حزم » للعقل **Mind** (ص١٨٠) على أنه: استعمال الطاعات والفضائل، ويعرف أن حقيقة العقل إنما هي « تمييز الأشياء المدركة بالحواس وبالفهم، ومعرفة صفاتها التي هي عليها جارية على ما هي عليه فقط من إيجاب حدوث العالم وأن الخالق واحد لم يزل، وصحة نبوة من قامت الدلائل على نبوته، ووجوب طاعة من توعدنا بالنار على معصية، والعمل بما صححه العقل من ذلك كله وسائر ما هو في العالم موجود، ما عدا الشرائع، وأن يوقف على كيفيات كل ذلك فقط ».

وذكر في (ص١٩٤) أن الإنسان لديه نزوع للكذب « فيرى أن هناك إرادة متعمدة لدى الإنسان لكي يخدع الآخرين ».

وفي الفصل الرابع حول القياس **Analogy** عرفه (ص٣٢١) على أنه « عملية عقلية تسمح بربط حالة تطبيقية (فرع) ذات صفة شرعية غير منصوص عليها في الشريعة، بحالة أخرى (أصل) محددة شرعًا، يمكن لمبدأ علة الحكم فيها أن ينطبق على الأولى، والبحث عن هذه العلة الشرعية المتضمنة فعلًا في الحالة الأصلية ولكنها بصفة عامة غير صريحة، وتعريفها المحدد، مما يسمح بربط الحالة الثانية بها عقلًا كما تربط شرعًا ».

وميز في (ص٣٢٥) بين الاستدلال **Reasoning** والقياس؛ فالاستدلال يبيح البحث

العقلي الحر القائم على الاستحسان، أما « الباجي » فيرى أن القياس نوع مخصوص من الاستدلال، أما « الشيرازي » فيرى أنهما طريقتان متماثلتان، كما أكدا أن القياس والاجتهاد لفظ واحد.

وذكر « الباجي » في (ص٤٣١) أن اليقين الحاصل بالمعرفة العقلية لا يصح أصلًا إلا بالعقل، أو بالحواس مع العقل، أو ما أنتج من ذلك، فمن أبطل حجة العقل ثم ناظر في ذلك بحجة العقل فإن صححها رجع إلى العقل ودخل معنا، وإن أبطلها سقط القول معه؛ لأنه يقر أنه يتكلم بلا عقل.

وعرف البداهة في (ص٤٤٢) فقال: إن معارف الفرد أي علمه بما يعلم ينقسم لقسمين: أولهما: ينقسم إلى قسمين الأول ما يعرفه الإنسان بفطرته وهو المنطق والتمييز والتصرف والفرق بين المشاهدات وأسماه ابن حزم العقل، والثاني ما يعرفه الإنسان بحسه المؤدي لليقين بتوسط العقل لمعرفة أن النار حارة، والقسم الثاني: هو صحة المعرفة **Knowledge**.

وفي (ص٤٤٨) عرف النوع على أنه ما نسمي به كل جماعة متفقة في حدها أو رسمها مختلفة بأشخاصها فقط مثل الملائكة والناس والجن، وأن النوع واقع تحت الجنس، وأن الجنس لفظ جامع لنوعين من المخلوقات ويدل على جماعة تختلف أشخاصهم وأنواعهم.

وذكر في (ص٤٥٨) العلاقة بين المعرفة العقلية والمعرفة الحسية فيقول « ابن حزم »: إن الغائب عن الحواس من الأشياء المعلومة ليس بغائب عن العقل؛ بل هو شاهد فيه كشهود ما أدرك بالحواس ولا فرق. وإذا أيقن المرء أن الحواس موصلات إلى النفس، وأن النفس إنما يصح حكمها بالمحسوسات، إذا صح عقلها من الآفات، وبأن تتفرغ من كل ما يشغل عقلها، وانفردت بأن تستبين به وتفكر فيما دلها عليه لم يجد المرء حينئذ لما يشاهد بحواسه فضلًا عما شاهده بعقله دون حواسه، فلا غائب من المعلومات أصلًا، أما ما غاب عن العقل لم يجز أن يعلم البتة (طرق اكتساب المعارف).

الفصل الخامس سرد فيه المؤلف التطورات التاريخية للمناظرات الشرعية بعد « ابن حزم » و « الباجي » وتحدث عن عدة مؤلفين وإسهام كل منهم في علم أصول الفقه والشريعة، ثم تلى ذلك خاتمة ذكر فيها المؤلف أن كتابه حقق الهدف المرجو منه لوضع صورة كاملة حول علم الجدل، وأصول المناظرات وأصول الفقه والشريعة، والخلافات

والمشكلات التي قد تنشأ عنه، والأساليب المنهجية المتبعة بتلك المناظرات التي يتبعها كل مناظر للرد على الآخر.

وفي نهاية الكتاب مجموعة من الفهارس تتضمن فهرس الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام، والأماكن، ثم مراجع الكتاب.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الجدل (مفهوم المحاجة المعاصر في علم النفس) Argumentation.**
- **العقل Mind.**
- **الاستدلال والقياس Reasoning, Analogy.**
- **أنواع المعارف Knowledge.**
- **المناظرة Debate.**

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

القسم الرابع

التراجم والسير



إخبار العلماء بأخبار الحكماء



- تأليف/ القفطي جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف.
- القاهرة: مكتبة المتنبي.

* * *

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة من القطع الصغير، ويتضمن سرد المؤلف لأخبار العلماء والحكماء مرتبة ترتيبًا أبجديًّا، بهدف ذكر من اشتهر منهم من كل قبيلة وأمة قديمها وحديثها - حتى وقت تأليف الكتاب - وما حفظ عنه من قول انفرد به كل منهم، أو كتاب ألفه أو حكمة ابتدعها ونسبت إليه، ولم يتوقف عند الحكماء العرب فقط بل تناول سير بعض الفلاسفة الإغريق، واليونانيين القدماء، وبوجه خاص البارزين في مجال الطب والهندسة والكيمياء.

ولقد تناول المؤلف ما يقرب من (١٥٠) عالمًا وحكيمًا، تناول سيرة بعضهم بشكل مفصل ومنهم على سبيل المثال سيدنا « إدريس » عليه السلام، و « أرسطو »، و « أفلاطون »، و « أرشميدس »، و « بقراط »، و « ثابت بن سنان »، و « جالينوس »، و « جابر بن حيان »، و « الحسن بن الهيثم »، و « ديمقراطيس »، و « ذو النون المصري »، و « سنان بن ثابت الحراني »، و « طيموخارس » اليوناني الحكيم الرياضي، و « عبد اللَّه بن المقفع »، و « عبد اللَّه بن الحسن » الصيدلاني المنجم، و « ابن حزم الأندلسي »، و « عمر الخيام عيسى بن يوسف المعروف بابن العطارة » المتطبب، و « فيثاغورث » الفيلسوف اليوناني، و « محمد بن زكريا أبو بكر الرازي » الطبيب، و « ابن خطيب الري »، و « المختار ابن الحسن بن عبدون المعروف بابن بطلان »، و « موسى بن شاكر » المهندس المشهور. وكان يسرد حياة كل منهم، وأهم أعماله، وأهم كتبه، وما قيل عنه، وكيف مات.

أما ما يمكن أن يستفاد به من الكتاب في علم النفس فهو جانبان:

أولًا: ذكره بعض المقولات ذات المدلول النفسي على لسان العلماء.

وثانيًا: سرده لعدد من الكتب تدور حول النفس الإنسانية - على الرغم من عدم

ذكره لتفاصيلها - والتي يمكن لمن يريد الاستزادة السعي للاطلاع عليها بشكل مفصل للوقوف على تفاصيل رؤية مؤلفيها حول النفس الإنسانية، وطبائع البشر.

ونوجز تلك الأهمية فيما يلي:

أول من ذكره كان سيدنا « إدريس » عليه السلام، وبعد أن سرد المؤلف حياته، وما قيل عنه في كثير من الكتابات، وكيف مات، ذكر أنه قال أن حياة النفس في الحكمة (وهو ما يرتبط بعلم النفس الاجتماعي) (ص٦).

أما « بسيلوخس » (آمون الملك الحكيم) وهو كما ذكر المؤلف أحد الملوك الأربعة الذين صحبوا هرمس (وهو إدريس عليه السلام)؛ حيث ذكر سمات الملك المحبوب، وكيف يستطيع اكتساب حب وطاعة الرعية في أربعة أمور هي:

١ - أن يعرف أن يده تكون على قوم كثير.

٢ - أن الذين يده مطلقة عليهم أحرار لا عبيد.

٣ - أن سلطانه لا يلبث وقال له: وإياك أن تهمل الحرب والجهاد وأن الرعية تسكن إلى من أحسن إليها، وتنفر ممن أساء، والسلطان برعيته فإذا نفروا منه كان سلطان نفسه.

٤ - أن يبتدئ بسلطانه على نفسه ليستقيم له سلطانه على غيره (علم النفس السياسي).

وهذا المفهوم هو أحد مكونات الحكمة؛ فالحاكم يحكم غيره والحكيم يحكم نفسه (ص٧).

أما « ثاذون » وهو طبيب ظهر في صدر الإسلام، وكان طبيبًا للحجاج، ويحكي المؤلف أنه دخل عليه يومًا فقال له الحجاج: أي شيء دواء الطين؟ فقال له: عزيمة مثلك أيها الأمير، فرمى الحجاج بالطين (أحد المواد التي يدمن الفرد تعاطيها لكن لم يذكر معناها الدقيق) ولم يعد إليها (مما يشير إلى أن الإرادة **Willing** هي أولى خطوات العلاج من الإدمان، وهي أحد المفاهيم والأساليب التي يعتمد عليها علم النفس العلاجي) (ص٧٦).

أما « جبرائيل بن بختيشوع » في كتابه امتحان الطبيب قال: أنه يجب أن يكون الطبيب متيقظًا ذكيًّا، قادرًا على استعمال القياس، يستخرج وجوه العلاج من تلقاء نفسه (مفهوم الاستدلال) (ص٩٣).

كما أشار في موت « يعقوب بن إسحاق » إلى أنه مات بمرض التهاب الأعصاب، وأن أصلها في الدماغ، وأن وجع العصب يؤدي إلى وجع الرأس والدماغ، ومع تفحل المرض أدى ذلك للموت (علم النفس العصبي - الفسيولوجي) (ص٢٤٦).

وذكر على مدار صفحات الكتاب عدة كتب نفسية منها كتاب النفس « يعقوب بن إسحاق »، وذكر فيه أن النفس جوهر بسيط غير دائر، وكتابه في ماهية الإنسان والعضو الرئيس منه، وكتابه في النفس وذكر أنها في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس، وكتاب في علة النوم والرؤيا وما تأمر به النفس (وهو مفهوم تفسير الأحلام **Dreams**) (ص٢٤٦).

كما ذكر في « أرسطو طاليس » وكتابه « عن النفس »، والكتاب الذي قسمه لأقسام منها أقسام الزمان، والنفس، والشهوة، وأمر الفاعل والمنفعل والفعل، وأمر المحبة، وأنواع الخيرات، ومنها ما هو معقول، ومنها ما هو في النفس، وما يكون عنها (ص٣٩).

كتاب « أرستجاليس » وهو طبيب له كتاب يعرف بكتاب طبيعة الإنسان (ص٥٣).

وكتاب « بقراط » حول طبيعة الإنسان، أما « ثابت بن إبراهيم وكنيته أبو الحسن » وكان طبيبًا ببغداد له الكثير من المؤلفات منها كتاب في النفس، ومقالة النظر في أمر النفس (ص٦٤).

أما « فلوطرخس » وهو فيلسوف كان له كتاب الغضب **Anger**، وكتاب فيما دل عليه مداراة العدو والانتفاع به، وكتاب في النفس (ص١٧٠).

« وقسطا بن لوقا البعلبكي » فيلسوف شامي نصراني في أيام العباسي، وله كتاب الفرق بين النفس والروح، أما محمد بن زكريا المعروف « بأبي بكر الرازي » طبيب المسلمين فكتب كتابًا في النفس، وكتاب ميزان العقل (ص١٧٣).

وكذلك كتب « محمد بن عمر بن الحسين » (أبو الفضل الفخر الرازي المعروف بابن الخطيب) كتاب رسالة في النفس (ص١٨٧).

وكذلك كتب « المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم » (أبو الحسن) الطبيب البغدادي المعروف « بابن بطلان »، وهو طبيب منطقي نصراني من أهل بغداد كتب أيضًا كتابًا في النفس (ص١٩٢).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

الحكمة Wisdom.

الإرادة Willing.

الاستدلال Reasoning.

الأحلام Dreams.

الغضب Anger.

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

التنبيه والإشراف



○ تأليف/ المسعودي العلامة المؤرخ الجغرافي أبي الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ).

○ قام بتصحيحه ومراجعته/ عبد اللّٰه إسماعيل الصاوي.

○ القاهرة: دار الصاوي للطبع والنشر (١٣٥٧هـ).

* * *

التعريف بالمؤلف:

عالم، وفلكي، وحاسب، وجغرافي، وفقيه، ومحدث، وجدلي، ونظار، ودياني، ومؤرخ، وناسب، وأخباري، وفيلسوف، وأديب، وكان ملمًّا بعدة لغات كثيرة كالفارسية، والهندية، واليونانية، والرومية، والسريانية، وكان ذا حظ وافر من مختلف الثقافات التي وصل إليها علم الإنسان منذ بدأ اللّٰه الخلق إلى عصر المسعودي.

وهو غريب فيما ينقل، مبدع فيما يصف، قصاص بارع، ذو أسلوب جذاب، وعبارة ممتعة، وقد تتلمذ له كثير من العلماء والمؤرخين، وأكثروا من النقل عنه والتوثيق له. وهو كثير التنقل بالقارئ من تاريخ إلى علم إلى فقه إلى أدب وشعر إلى فلسفة إلى نقد، إلى غير ذلك، مما يدل على أنه ذو ثروة علمية فذة.

مؤلفاته:

له كتب كثيرة منها:

- أولًا: الكتب التي أشار إليها في كتاب التنبيه والأشراف وهي:

أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة - الكتاب الأوسط - مروج الذهب ومعادن الجوهر، في تحف الأشراف من الملوك وأهل الدرايات - فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف - ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور - نظم الجواهر في تدبير الممالك والعساكر - الاستذكار لما جرى في سالف الأعصار - نظم الأعلام في أصول الأحكام - نظم الأدلة في أصول الملة - المسائل والعلل في المذاهب والملل - خزائن الدين وسر العالمين -

المقالات في أصول الديانات - سر الحياة - رسالة البيان في أسماء الأئمة - الأخبار المسعوديات - وصل المجالس - تقلب الدول وتغير الآراء والملل - الإبانة في أصول الديانة - مقاتل فرسان العجم - الصفوة في الإمامة - الاستبصار في الإمامة.

- ثانيًا: الكتب التي أشار إليها في كتاب مروج الذهب والإحالة إليها وهي:

كتاب المبادئ والتراكيب - الرؤوس السبعة - الزاهي - الدعاوى - الاسترجاع - مزاهر الأخبار، وظرائف الآثار - الرؤيا والكمال - طب النفوس - حدائق الأذهان في أخبار الرسول - القضايا والتجارب - الواجب في الفروض اللوازم - الزلف.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٢٣) صفحة من القطع المتوسط، وهو يحوي لمعًا من ذكر الأفلاك وهيئاتها، والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها، والرياح ومهابها، والأرض وشكلها ومساحتها، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب الأنهار، وذكر الأمم السبع القديمة، ولغاتها ومساكنها ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم، وجوامع تاريخ العالم والأنبياء، ومعرفة السنين القمرية والشمسية، وسيرة الرسول ﷺ، وغزواته وسني هجرته، وسير الخلفاء الراشدين والخلفاء من بعدهم، مع التعرض إلى ذكر من كان في عهدهم من ملوك الروم والأفدية التي حدثت في أيامهم في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين، وتكلم عن الخلفاء جميعًا إلى سنة (٣٤٥هـ) وهي السنة التي مات فيها.

ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها والعناصر وتراكيبها وكيفية أفعالها:

قال المسعودي: وقد تنازع الناس في الفلك ممن سلف وخلف، فقال أفلاطون وثامسطيوس والرواقيون وعدة ممن تقدم عصر أفلاطون وتأخر عنه من الفلاسفة: إنه من الطبائع الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، إلا أن الغالب عليه النارية وليست ناريته محرقة إنما هي مثل النار الغريزية في الأبدان، وقال آخرون: إنه من النار والهواء والماء دون الأرض وذهب « أرسطاطاليس » وأكثر الفلاسفة ممن تقدم عصره وتأخر عنه وغيرهم من حكماء الهند والفرس والكلدانيين إلى أنه طبيعة خامسة خارجة عن الطبائع الأربع ليست فيه حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة، وأنه جسم مدور كري أجوف يدور على محورين وهما القطبان أحدهما رأس السرطان من تلقاء نقطة

الجنوب، والآخر رأس الجدي من تلقاء نقطة الشمال، وخط الاستواء في وسط الفلك وهو خط ما بين الشمال والجنوب.

والعناصر أربعة: نار وهواء وماء وأرض، فاثنان من هذه العناصر حاران وهما النار والهواء، وهما يتحركان بطبعهما صعدًا إلا أن أسبقهما إلى العلو النار؛ فهي طافية على الهواء، والنار يابسة والهواء رطب. واثنان باردان وهما الماء والأرض وهما يتحركان بطبعهما سفلًا عند حركتهما، إلا أن أسبقهما إلى السفل الأرض، والأرض يابسة، والماء رطب.

ذكر البيان عن قسمة الأزمنة، وفصول السنة:

الأزمنة أربعة: الربيع، والصيف، والخريف، والشتاء:

- **فالزمان الأول:** الربيع وهو طبيعة الدم حار رطب، مدته ثلاثة وتسعون يومًا وثلاث وعشرون ساعة وربع ساعة، وذلك من عشر تبقى من آذار إلى ثلاثة وعشرين يومًا تخلو من حزيران، وهو من نزول الشمس أول دقيقة من الحمل، وهو الاستواء الربيعي إلى دخولها أول دقيقة من السرطان، وهو المنقلب الصيفي.

- **الزمان الثاني:** الصيف وهو حار يابس، سلطانه المرة الصفراء، مدته اثنان وتسعون يومًا وثلاث وعشرون ساعة وثلث ساعة، وذلك من ثلاثة وعشرين يومًا تمضي من حزيران إلى أربعة وعشرين تمضي من أيلول، وهو من دخول الشمس أول دقيقة من السرطان إلى دخولها أول دقيقة من الميزان.

- **الزمان الثالث:** الخريف وهو بارد يابس، سلطانه المرة السوداء، مدته ثمانية وثمانون يومًا، وسبع عشرة ساعة، وثلث خمس ساعة. وذلك من أربعة وعشرين يومًا تمضي من أيلول إلى اثنين وعشرين يومًا تخلو من كانون الأول، وذلك من نزول الشمس أول دقيقة من الميزان، وهو الاستواء الخريفي إلى نزولها أول دقيقة من الجدي، وهو المنقلب الشتوي.

- **الزمان الرابع:** الشتاء وهو بارد رطب سلطانه البلغم، مدته تسعة وثمانون يومًا وأربع عشرة ساعة من تسعة تبقى من كانون الأول إلى أحد وعشرين يومًا تخلو من آذار، وذلك من دخول الشمس أول دقيقة من الجدي إلى نزولها أول دقيقة من الحمل.

ذكر الأقاليم السبعة وقسمتها وحدودها وما قيل في طولها وعرضها، ثم ذكر البحار وأعدادها

وما قيل إلى أطوالها وعروضها واتصالها وانفصالها، ومصبات عظام الأنهار إليها وما يحيط بها من الممالك وغير ذلك من أحوالها.

١ - البحر الحبشي: هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبلة وفارس وكرمان وعمان والبحرين واليمن وأيلة والقلزم من بلاد مصر والحبشة، وليس في المعمور بحر أعظم منه وهو مساوٍ في الطول لخط الاستواء آخذ من أقصى بلاد الحبشان التي في المغرب إلى أقصى بلاد الهند والصين في المشرق.

٢ - البحر الرومي: هو بحر الروم والشام ومصر والمغرب والأندلس والإفرنجة والصقالبة.

٣ - البحر الخزري: هو بحر الخزر والباب والأبواب وأرمينية وأذربيجان وموقان والجيل والديلم وآبسكون وهي ساحل جرجان وطبرستان وخوارزم.

٤ - بحر بنطس: وهو بحر البرغر والروس يمتد من الشمال من ناحية المدينة التي تدعى لازقة وذلك وراء القسطنطينية، وطوله ألف ميل وثلاثمائة ميل في عرض ثلاثمائة ميل.

ذكر ملوك الفرس:

الطبقة الأولى من ملوك الفرس: أولهم جيومرت، وإليه ترجع الفرس في أنسابها، وهو عندهم آدم أبو البشر وأصل النسل، ملك أربعين سنة - أوشهنج ملك أربعين سنة - طهمورث ملك ثلاثين سنة.

الطبقة الثانية: أولهم منوشهر ثم سهم بن أمان بن اثفيان.

الطبقة الثالثة: كيقباذ، وكيقاوس، وكيخسرو.

ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين:

عدد ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكًا، وجملة ما ملكوا من السنين مائتان وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يومًا.

ذكر الأفدية بين المسلمين والروم:

الفداء الأول: فداء أبي سليم جرى في أيام ولد العباس في خلافة « الرشيد » باللامس من ساحل البحر الرومي على نحو خمسة وثلاثين ميلًا من طرسوس سنة (١٨٩هـ) والملك على الروم « نقفور بن إستبراق »، يقال: إنه فودي بكل أسير كان بأرض الروم من

ذكر وأنثى، وذلك على يد « القاسم بن الرشيد » وباسمه، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين من أعمال حلب، وكان عدد من فودي به من المسلمين في اثني عشر يومًا ثلاثة آلاف وسبعمائة، وقيل: أكثر من ذلك. وفي هذا الفداء يقول « مروان بن أبي حفصة » في كلمة له طويلة يمدح بها الرشيد:

وفكت بك الأسرى التي شيدت لها   محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعيا المسلمين فكاكها   وقالوا سجون المشركين قبورها

وهو ما يشير إلى مفهوم (المدح **Compliment**) انظر (ص١٦١).

الفداء الثاني: فداء ثابت في خلافة « الرشيد » أيضًا باللامس في سنة (١٩٢هـ) والملك على الروم « نقفور بن إستبراق » أيضًا، وكان القيم به « ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي » أمير الثغور الشامية، وكان عدد من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة ونيفًا من ذكر وأنثى.

الفداء الثالث: فداء خاقان في خلافة « الواثق » باللامس في المحرم سنة (٢٣١هـ) والملك على الروم « ميخائيل بن توفيل » وكان القيم به « خاقان » الخادم التركي، وعدد من فودي به من المسلمين في عشرة أيام أربعة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين من ذكر وأنثى.

الفداء الرابع: فداء شنيف في خلافة « المتوكل » باللامس في شوال سنة (٢٤١هـ) والملك على الروم « ميخائيل بن توفيل »، وكان القيم به « شنيف » الخادم مولاه، وحضر « جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القرشي القاضي »، و « علي بن يحيى الأرمني » صاحب الثغور الشامية، وكان عدد من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين ومائتي رجل.

الفداء الخامس: فداء « نصر بن الأزهر وعلي بن يحيى » في خلافة « المتوكل » أيضًا باللامس في صفر سنة (٢٤٦هـ) والملك على الروم « ميخائيل بن توفيل »، وكان القيم به « علي بن يحيى الأرمني » أمير الثغور الشامية « ونصر بن الأزهر الطائي الشيعي » من شيعة ولد العباس المراسل، وكان عدد من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفان وثلاثمائة وسبعة وستون من ذكر وأنثى.

الفداء السادس: فداء ابن طغان في خلافة « المعتضد » باللامس في شعبان سنة (٢٨٣هـ) والملك على الروم « أليون بن بسيل » فقتل أبو الجيش بدمشق في ذي القعدة،

وتم الفداء في أيام ولده « جيش بن خمارويه بن أحمد بن طولون »، فكان عدد من فودي به من المسلمين في عشرة أيام ألفين وأربعمائة وخمسة وتسعين من ذكر وأنثى.

الفداء السابع: فداء « رستم » ويعرف بفداء الغدر في خلافة « المكتفي » باللامس في ذي القعدة سنة (٢٩٢هـ)، والملك على الروم « أليون بن بسيل »، والقيم به « رستم ابن بردو الفرغاني » أمير الثغور الشامية، وكان عدد من فودي به من المسلمين في أربعة أيام ألفًا ومائة وخمسة وخمسين من ذكر وأنثى، ثم غدر الروم وانصرفوا ببقية الأسرى.

الفداء الثامن: فداء رستم أيضًا ويعرف بفداء التمام في خلافة « المكتفي » أيضًا باللامس في شوال سنة (٢٩٥هـ)، والملك على الروم « أليون »، والقيم به « رستم بن بردو »، وكان عدد من فودي به من المسلمين ألفين وثمانمائة واثنين وأربعين من ذكر وأنثى.

ثم ذكر تأريخ الأمم والأنبياء والملوك، وجامع تاريخ العالم من آدم إلى نبينا محمد ﷺ.

وتناول ذكر التأريخ من مولد رسول اللّه ﷺ، ومبعثه، وهجرته، ومغازيه، وسراياه، وسواريه، وكتّابه، ووفاته، وتاريخ الخلفاء والملوك بعده، وأيامهم، وكتّابهم، ووزرائهم، وحجابهم، وقضاتهم، ونقوش خواتيمهم، وما كان من الحوادث العظيمة الديانية والملوكية في أيامهم. وحصر تواريخهم إلى سنة (٣٤٥هـ) في خلافة « المطيع ».

ذكر السنة الثانية من الهجرة وتعرف « بسنة الأمر » لأنه أمر فيها بالقتال، ثم ذكر السنة الثالثة من الهجرة وتعرف « بسنة التمحيص »، والسنة الرابعة « بسنة الترفيه » حيث بعث ﷺ « المنذر بن عمرو الأنصاري » في صفر في سبعين رجلًا من الأنصار إلى أهل نجد ليقرئوهم القرآن ويعلموهم الدين، فلما انتهوا إلى الموضع المعروف ببئر معونة، على أربع مراحل من المدينة بين أرض بني سليم وأرض بني كلاب، أغار عليهم « عامر ابن الطفيل الكلابي » فقتلهم وكان فيهم « عامر بن فهيرة » مولى أبي بكر الصديق.

وذكر السنة الخامسة من الهجرة وتعرف « بسنة الأحزاب » حيث كانت غزوته ﷺ الخندق، وهي غزوة الأحزاب، سارت إليه قريش وغطفان وسليم وأسد وأشجع وقريظة والنضير وغيرهم من اليهود، فكان عددهم أربعة وعشرين ألفًا، منها قريش وأتباعها أربعة آلاف، معهم ثلاثمائة فرس، وألف وأربعمائة بعير قائدهم « أبو سفيان صخر بن حرب »، والمسلمون نحو من ثلاثة آلاف.

فأشار « سلمان الفارسي » على رسول اللّه ﷺ بالخندق، ثم نصر اللّه رسوله، وهزم الأحزاب، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرًا.

ثم ذكر السنة السادسة من الهجرة، وتعرف « بسنة الاستئناس »، والسنة السابعة، وتعرف « بسنة الاستغلاب »، والسنة الثامنة من الهجرة، وتعرف « بسنة الفتح »، والسنة العاشرة من الهجرة وتعرف بسنة « حجة الوداع »، والسنة الحادية عشرة من الهجرة، وتعرف « بسنة الوفاة »، ويعد استخدام أسلوب الربط الشرطي بين كل سنة وحدث ما لسهولة تذكرها إشارة إلى مفهوم **استراتيجيات التذكر Remember strategies** انظر (ص٢١٦).

وذكر خلافة أبي بكر الصديق، وخلافة عمر بن الخطاب، وخلافة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وخلافة الحسن بن علي ﷺ، وذكر أيام معاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد بن معاوية، وذكر أيام مروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وذكر خلافة عمر بن عبد العزيز، وذكر أيام يزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك... إلى خلافة المطيع.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الغرائز Instincts.**

- **استراتيجيات التذكر Remember Strategies.**

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

المختار من رسائل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال بن هارون الصابي



○ نقحه وعلق على حواشيه/ الأمير شكيب أرسلان.

○ بيروت: دار النهضة الحديثة، (بدون سنة نشر).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو « إبراهيم بن هلال بن هارون الحراني »، قال في حقه « أبو منصور الثعالبي »: هو أوحد العراق في البلاغة، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية من البراعة في الصناعة، وكان قد بلغ التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوزراء، وتقلد الأعمال الجلائل مع ديوان الرسائل، وحلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره، ولابس خيره ومارس شره، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء، وشاع ذكره في الآفاق وكان « الصابي » نصرانيًّا ولكنه كان يعاشر المسلمين أحسن عشرة، ويصوم معهم شهر رمضان ويحفظ القرآن الكريم حفظًا يدور على طرف لسانه وسن قلمه. وكان « المهلبي » لا يرى الدنيا إلا به، ويعجب جدًّا ببراعته ويستدعيه في أوقات أنسه، فلما مات « المهلبي » اعتقل في جملة عمال المهلبي وأصحابه، ولما خلي عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى. أمر ملك بغداد وسائر العراق أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية يشتمل على ذكر قديمه وحديثه، فامتثل أمره وسمى كتابه بـ « التاجي » نسبة إلى تاج الملة من ألقاب عضد الدولة وأخذ يشتغل في تصنيفه.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤١٥) صفحة من القطع المتوسط وتناول فيه نشأة هذا الكتاب، أنشأه « أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي » عند فتح بغداد وانهزام المماليك عنها في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة بشرح الحال ووصف الخلاف إلى الأمير ركن الدولة « أبي علي الحسن بن أبي شجاع بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي بن شيرزيل الأصغر بن شيركنده بن شيرزيل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه » ويقول:

إن للَّه قضايا نافذة، وأقدارًا ماضية، فيهن النعم السوابغ، والنقم الدوامغ، فأما النعم فيؤتيها عباده أجمعين بادية، ثم يجتذبها الشاكرين منهم عائدة، وأما النقم فلا تقع سلفًا وابتداءً، لكن قصاصًا وجزاءً، بعد إمهال وإنظار، وتحذير وإنذار، فإذا حلت بالقوم الظالمين فقد طوى في إنائها صنع لآخرين معتبرين، فلا يخلو أهل الطاعة من الثبات والاستبصار [وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحكمة Wisdom**) انظر (ص١٨)]، وأهل المعصية من الارتداع والازدجار.

الحمد للَّه على أن أحل مولانا السيد ركن الدولة وسيدنا الملك الجليل عضد الدولة - أطال اللَّه بقاءهما - بالمحل الذي قصرت عنه الهمم العالية، ووقفت دونه الأقدام الساعية، وأغضت على فضيلته العيون الرامقة، وأقرت بمزيته الأفواه الناطقة، وجعل أشياعهما العالين المنصورين، وأعداءهما السافلين المدحورين، فهما - أدام اللَّه عزهما - السيدان اللذان من تذلل لهما عز، ومن تعزز عليهما ذل، ومن دخل في ذمتهما سلم ونجا، ومن خرج عنهما هلك وهوى. [وهو ما يشير إلى مفهوم (**المدح Compliment**) انظر (ص٢٧)]. فلما أزف شخوصنا إلى الأهواز (سبع كور بين البصرة وفارس) لاستدرار ما تأخر من أموالها، واستقراء ما اختل من أعمالها، والنظر في أشياء من مصالحها.

ويواصل حديثه عن « سبكتكين » فيقول: أقررناه في الحضرة، ورفهناه عن ضحاء السفرة (الضحاء: ارتفاع النهار واشتداد وقع الشمس)، وائتمناه على ما غبنا عنه من خدمة السرير وتدبير الأمور ونحن لا نظنه بلغ حيث بلغ في استيطاء المركب المردى، واستمراء المطعم الموبى، ولا تجاوز حدود الدالة المحتملة، والصغائر المغتفرة، ولم ندع أن استظهرنا بتجديد عهد بيننا وبينه أحكمناه وعقد وكدناه، فما هو إلا أن خلا ذرعه وامتد باعه، حتى نزت به نوازي البطنة، وهدرت على يديه شقاشق الفتنة (الشقشقة: لهاة البعير، وقيل: جلدة في حلق الجمل العربي يهدر فيها)، واستنفر من الغلمان من كان حاضرًا معه، واستجر وكاتب من كان غائبًا عنه، واستجاش بطوائف من العوام بسطهم وأهرجهم وأباحهم وأمرجهم (الهرج: الاختلاط أو الفتنة في آخر الزمان أو شدة القتل) ففاظت على يديه وأيديهم نفوس المسلمين. وهو ما يشير إلى مفهوم (**التمرد Disobedience**) انظر (ص٣٣).

ما كتبه عن معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه عند ظفره بروزبهان بن ونداد خرشيد العاصي عليه بالأهواز:

سنة خمس وأربعين وثلاثمائة خرج « روزبهان بن ونداد خرشيد » الديلمي على « معز الدولة » وخرج أخواه « بلكا » بشيراز، و « أسفار » بالأهواز، ومال الديلم إلى « روزبهان » ولقوا معز الدولة بما يكره واختلفوا عليه، فسار « معز الدولة » لمحاربته فبلغ ذلك ناصر الدولة « ابن حمدان » فاهتبل هذه الغرة للاستيلاء على بغداد وأرسل إليها ولده « أبا المرجى » فأعاد « معز الدولة » الحاجب « سبكتكين » وغيره ممن يوثق بهم للمحافظة على بغداد وقصد « روزبهان » ببقية رجاله من الأتراك وسأله رجاله من الديلم المسير فمنعهم منه خوفًا من انحيازهم إلى عدوه، وأرضاهم بالعطاء، وعبر معز الدولة في سلخ رمضان وعبى جيشه كراديس تتناوب الحملات فاصطلت نار الحرب واستمر القتال إلى المساء، فنفذ نشاب الأتراك فاستدعي الغلمان وكانوا خلف الجيش، ومعهم نشاب وحملوا حملة واحدة وكان الغلمان مستريحين، فصادموا صفوف « روزبهان » وخرقوها وانتصر « معز الدولة » وانهزم « روزبهان » وأخذ أسيرًا وجماعة من قواده وقتل عدد وافر من رجاله وعاد به إلى بغداد وشهَّره وسجنه، ثم بلغه أن الديلم عازمون على الثورة لإخراجه فغرقه ليلًا، وأما أخوه الخارج بشيراز فسار إليه « ابن العميد » بجيوش فقاتله وظفر به، وأعاد عضد الدولة إلى ملكه، وانطوى خبر « روزبهان » وإخوته بعد أن استفحل أمرهم، واصطنع « معز الدولة » الأتراك بعد هذه الواقعة وأطال أيديهم على الديلم وأقطعهم الإقطاعات في وسط البصرة.

ما كتبه عن المطيع للَّه – رحمه اللَّه – إلى ركن الدولة أبي علي بخبر أسر الدمستق سنة اثنتين وستين وثلاثمائة:

سنة إحدى وستين وثلاثمائة أغار الروم على الرها ونواحيها وأثخنوا في ديار الجزيرة، وما زالوا حتى بلغوا نصيبين، ولم يقف في وجههم أحد حتى إن « ابن حمدان » صاحب الموصل كفهم عن نفسه بالمال، فنفر أهالي تلك البلاد إلى بغداد واستنفروا المسلمين فثار معهم أهل بغداد وقصدوا دار الخليفة الطائع، وهم يجلبون ويصخبون، وكان « بختيار بن معز الدولة » يتصيد في نواحي الكوفة، فخرج إليه وجوه أهل بغداد منكرين عليه انهماكه بالصيد وإهماله ثغور الإسلام، وترك الجهاد في الروم، فأجابهم إلى ذلك وكتب إلى الحاجب « سبكتكين » يأمره بالتهيؤ والاستعداد، وأن يستنفر العامة، فنفروا

واجتمع منهم خلق لا يحصى، وكتب إلى « أبي تغلب بن حمدان » ينبئه بعزمه على الغزو ويأمره بإعداد الميرة، فأجابه مستبشرًا، ولكن اجتماع العامة للجهاد أظهر بينهم من أصناف الفرق كالبنيوية، والفتيان مع وجود الخلاف بين أهل السنة والشيعة ما حرك الفتنة في مدينة السلام، فنهبت الأموال، وقتل الرجال، وأحرقت المحال ومنها الكرخ مركز الشيعة، ومحط التجارة. [وهو ما يشير إلى مفهوم (**التفاعل بين القائد والأتباع Leader followers Interaction**) انظر (ص٦٥)].

ثم إن « بختيار » أرسل إلى الخليفة يطلب مالًا للغزو، فأجابه أن صرف الأموال على من تجبى إليه، وحفظ البلاد على من هي بيده وأنا ليس لي إلا الخطبة فترددت الرسائل بينهما حتى بلغت إلى التهديد، فبذل الخليفة أربعمائة ألف درهم لأجل الجهاد التزم من أجلها أن يبيع من ثيابه وأنقاض داره، فلما دفعها إلى « بختيار » صرف أكثرها في شهواته ولم يزحف إلى لقاء العدو، فلما رأى الروم ما رأوا من قعود المسلمين عن القتال عاودوا الكرة وطمع « الدمستق » في أخذ آمد فزحف إليها وفيها « هزارمرد » غلام « أبي الهيجاء ابن حمدان » فكتب إلى « أبي تغلب » يستصرخه فسير إليه أخاه « هبة اللَّه بن ناصر الدولة »، واجتمعا على قتل « الدمستق » فلقياه سلخ رمضان وكان في كثرة إلا أنهما لقياه في مضيق تعجز الخيل أن تجول فيه فنصرهما اللَّه عليه وانهزم الروم، وأخذ « الدمستق » أسيرًا، وبقي في الأسر إلى أن مات في السنة التالية.

ما كتبه عن عز الدولة إلى الملك عضد الدولة جوابًا عن كتابه بفتح جبال القفص والبلوص:

سنة سبع وخمسين وثلاثمائة استولى « عضد الدولة » على كرامان، وكان فيها اليسع من آل إلياس أصحابها، والسبب أن إلياس هذا سولت له نفسه مغالبة عضد الدولة على حدود ملكه، وكان بعض أصحابه قد فارقوه والتجأوا إلى عضد الدولة فسار إليه فحمل أمواله وانهزم إلى بخارى ووضع عضد الدولة يده على كرامان وأقطعها ولده « أبا الفوارس » واستعمل عليها « كوركير بن جستان » وما تم له الاستيلاء عليها حتى اجتمع القفص والبلوص وفيهم أبو سعيد البلوصي وأولاده على كلمة واحدة في الخروج فضم عضد الدولة إلى كوركير « عابدَ بن علي » فسار إليهم بجيش والتقى الفريقان في عاشر صفر فاقتتلوا واشتد القتال وأسفر عن هزيمة القفص فقتل منهم الآلاف، وقتل اثنان من ولد « أبي سعيد » ثم تعقبهم « عابد » يثخن فيهم أينما لقيهم، إلى أن انتهى إلى هرموز فملكها، وافتتح بلاد التبز ومكران، وأسر ألفي أسير، والتمس الباقون الأمان على

أن يسلموا حصونهم، ثم سار « عابد » إلى قبائل أخرى يعرفون بالحرومية والحاسكية، كانوا عصاة يقطعون السوابل، فأوقع بهم ومهد بلادهم لعضد الدولة، وما لبث البلوص أن عادوا إلى ما كانوا عليه من التمرد والاعتداء وسفك الدماء، فسار حينئذ « عضد الدولة » إلى كرامان ورماهم بـ « عابد بن علي » مرة ثانية.

ما كتبه عن نفسه إلى الملك عضد الدولة جوابًا عن كتابه بقتل بختيار بن معز الدولة وانهزام أبي تغلب بن حمدان:

سنة ست وستين وثلاثمائة، سار « عضد الدولة » قاصدًا العراق لمحاربة ابن عمه « بختيار »، لما كان يبلغه عنه وعن وزيره ابن بقية من شتمه القبيح والتمالؤ مع أصحاب الأطراف، « كحسنويه الكردي »، و « فخر الدولة بن ركن الدولة »، و « أبي تغلب ابن حمدان »، و « عمران بن شاهين » على عداوته، [وهو ما يشير إلى مفهوم (العداوة Hostility) انظر (ص١٠٠)].

فضلًا عما كان يحبب إليه العراق من حسن موقعه وعظم مملكته، فانحدر « بختيار » إلى واسط للقاء عضد الدولة، وكان « حسنويه » و « أبو تغلب » قد وعداه بالنجدة فلم يفيا بوعدهما، فسار « بختيار » إلى الأهواز والتقاه « عضد الدولة » إلى هناك، فاقتتلا، فمال بعض جند « بختيار » إلى « عضد الدولة » فانهزم « بختيار » وفر شريدًا إلى واسط فآواه « ابن شاهين » صاحب البطيحة وأهداه مالًا وسلاحًا، وأقام « بختيار » بواسط، وأحضر ما كان له من الأموال في بغداد وفرقها في أصحابه، وقبض على وزيره « ابن بقية » لأنه جبى الأموال لنفسه واستبد بالأمر دونه، وقصد باعتقاله التزلف إلى ابن عمه؛ لأنه كان يفسد الأحوال بينهما، وترددت رسل الصلح، وفي غضون ذلك حضر عند « بختيار » « عبد الرازق وبدر » ابنا « حسنويه » بألف فارس، فعدل عن الصلح، وسار « عضد الدولة » إلى البصرة وأصلح بين ربيعة ومضر، وكانوا في الحروب من مائة وعشرين سنة. وأرسل « عضد الدولة » إلى « بختيار » يدعوه إلى طاعته وأن يسير عن بغداد إلى أي جهة أراد، وضمن له المساعدة بما يحتاج إليه من مال وسلاح، فأحس « بختيار » بالعجز عن مقاومته، وخرج عن مدينة السلام راضيًا بما أنفذه إليه « عضد الدولة » من الأموال والخلع، وكان قد طلب منه وزيره « ابن بقية » فقلع عينيه وأنفذه إليه، فدخل عضد الدولة بغداد وخطب له بها، وأمر « بابن بقية » فألقي تحت أرجل الفيلة فقتلته وصلب على رأس الجسر في شوال.

ما كتبه عن بعض الرؤساء إلى الملك عضد الدولة يهنئه بفتح ميافارقين:

لما انهزم « أبو تغلب بن حمدان »، وقتل « بختيار »، سار « عضد الدولة » إلى الموصل فملكها، وبث السرايا في طلب « أبي تغلب »، وكان مع « أبي تغلب » المرزبان بن بختيار وأبو إسحاق وأبو طاهر ابنا معز الدولة ووالدتهما، فسار إلى نصيبين، فسير إليه « عضد الدولة » سرية استعمل عليها « أبا الوفاء طاهر بن محمد »، فسار « أبو تغلب » إلى ميافارقين، فطارده « أبو الوفاء »، فسار نحو بدليس ثم عاد إلى ديار الجزيرة، واستصحب أمواله وتفقد قلاعه، فسار إليه عضد الدولة بنفسه فلم يظفر، وتعسف أبو تغلب إلى بدليس فتبعه « طغان » صاحب عضد الدولة، ففر إلى الروم فأدركه عسكر عضد الدولة فهزمهم، ثم عاد إلى بلاد الإسلام، وأقام بآمد إلى أن فتحت ميافارقين، وذلك أن أبا الوفاء حاصرها ثلاثة أشهر، فامتنعت عليه لحصانتها، وكان واليها « هزامرد » فمات، فكتب إلى أبي تغلب بخبر وفاته، فأمر أن يقام مقامه غلام من الحمدانية اسمه « مؤنس » فأخذ « أبو الوفاء » يراسل أعيان البلدة في التسليم، واستمال إليه منهم « أحمد بن عبيد اللَّه »، وأرسل إلى مؤنس يطلب منه المفاتيح فأرسلها إليه، وطلب منه الأمان على يد « أحمد ابن عبيد اللَّه » فأمنه، واستولى على ميافارقين، وكان أثناء حصاره إياها قد افتتح جميع الحصون التي تجاورها.

ثم استعرض المؤلف نسخة كتاب إلى المطيع للَّه عن عز الدولة أبي منصور عند دخوله الموصل وانهزام أبي تغلب بن حمدان، وكتب عن الوزير أبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي إلى الأمير عضد الدولة أبي شجاع.

فصل في العهود والتقليدات:

تناول فيه نسخة عهد إلى أبي الحسن علي بن ركن الدولة الملقب بفخر الدولة عن الطائع للَّه أمير المؤمنين، وتناول أيضًا نسخة عهد إلى قاضي القضاة « أبي الحسين محمد ابن قاضي القضاة أبي محمد عبيد اللَّه بن أحمد بن معروف، ونسخة عهد عن المطيع للَّه إلى أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد اللَّه بن حمدان، ونسخة عهد إلى القاضي أبي بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة عن المطيع للَّه لما قلده القضاء بجند يسابور، وكتب بتقليد أبي أحمد الحسين بن موسى نقابة الطالبيين عن المطيع للَّه. ونسخة كتاب قرئ على منبر واسط أيام عصيان المماليك ببغداد.

وكتب إلى الصاحب « أبي القاسم إسماعيل بن عباد » - رحمه اللَّه - وزير الأمير مؤيد

الدولة بن ركن الدولة بأصبهان استماحة، هو « أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد ابن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني » كان نادرة الدهر في كرمه وأدبه، أخذ الأدب عن « أحمد بن فارس » اللغوي، وعن « أبي الفضل بن العميد » وغيرهما.

قال « أبو منصور الثعالبي » في يتيمته في حق الصاحب: ليس تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوِّ محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم، وتفرده بالغايات في المحاسن، وجمعه أشتات المفاخر؛ لأن همة قولي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومساعيه وقال « أبو بكر الخوارزمي » الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ودب ودرج من وكرها، ورضع أفاويق درها، وورثها عن آبائه، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء؛ لأنه كان يصحب « أبا الفضل ابن العميد » فقيل له: صاحبُ « ابن العميد » ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علمًا عليه، وذكر « الصابي » في كتاب التاجي أنه إنما قيل له الصاحب؛ لأنه صحب « مؤيد الدولة بن بويه » منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر هذا اللقب عليه واشتهر به، وسمي به كل من ولي الوزارة بعده، وكان أولًا وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة بن بويه تولى وزارته بعد أبي الفضل بن العميد، فلما توفي مؤيد الدولة استولى على مملكته أخوه « فخر الدولة » فأقر الصاحب على وزارته، وكان مبجلًا عنده. [وهو ما يشير إلى مفهوم (المكانة الاجتماعية **Prestige**) انظر (ص٤٠٦)].

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الحكمة Wisdom**.
- **المدح Compliment**.
- **التمرد Disobedience**.
- **العداوة Hostility**.
- **التفاعل بين القائد والأتباع Leader followers Interaction**.
- **المكانة الاجتماعية Prestige**.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

المقتبس من أنباء أهل الأندلس



- تأليف/ القرطبي، ابن حيان (٣٧٧ - ٤٦٩هـ/ ٩٨٧ - ١٠٧٦م).
- حققه وقدم له وعلق عليه/ د. محمود علي مكي.
- القاهرة: مطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر (١٩٩٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو « أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن وهب بن حيان مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك » من أهل قرطبة، ويتفق الكثيرون من الباحثين على أنه من أعظم مؤرخي الإسلام، وهو بغير شك أعظم مؤرخ أنجبته الأندلس، بل والغرب كله - الإسلامي والمسيحي منه على السواء - طوال العصور الوسطى، ولا يستثنى من هذا الحكم إلا فيلسوف التاريخ « أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون » الذي يعتبر في تاريخ الفكر الإنساني كله ظاهرة فذة غريبة.

وقد رزق « خلف » بابنه « حيان » وسنه في نحو السادسة والثلاثين، وكان قد بدأ يتدرج في مناصب الحكم، وكان له نصيب من ثروة، وكان « حيان » على ما يبدو هو ولده الوحيد.

و تتلمذ « ابن حيان » على ثلاثة من الشيوخ هم:

١ - الفقيه المحدث « عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموي القرطبي ».

٢ - اللغوي النحوي « أبو عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج » المعروف بـ« ابن أبي الحباب القرطبي »، وأصله من البربر من مصمودة.

٣ - العالم اللغوي الشاعر المشهور « صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي البغدادي ».

وقد شارف التسعين من عمره، وظل قويًا ممتعًا بحواسه كلها حتى هذه السن، وتأتي النهاية يوم الأحد لثلاث بقين من ربيع الأول سنة (٤٦٩هـ)، ٣٠ من أكتوبر (١٠٧٦م) في يوم من أيام الخريف القرطبي الدافئ، وتنطفئ شعلة هذا القلم الفذ الذي حمله أعظم مؤرخ عرفه أهل الأندلس.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٥٤) صفحة من القطع الكبير ويتضمن تصدير للأستاذ / محمد أبي الفضل إبراهيم رئيس لجنة إحياء التراث الإسلامي، وتناول حياة « خلف بن حسين » كاتب المنصور والد « ابن حيان »، ثم تناول حياة أبي مروان بن حيان، وأساتذته وكيف أسهموا في تكوينه.

ابن حيان في ظل « بني جهور »: (٤٢٢ - ٤٦٢هـ/ ١٠٣١ - ١٠٧٠م):

حينما أعلنت نهاية خلافة بني مروان في سنة (٤٢٢هـ/ ١٠٣١م) كان « ابن حيان » ينتقل من الشباب إلى الكهولة؛ فقد كانت سنه خمسًا وأربعين سنة، وكان « أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور » بعد إلغاء الخلافة الأموية ابتكر لأهل قرطبة نظامًا جديدًا للحكم أشبه ما يكون بالنظم الجمهورية، فإنه لم يستبد بالسلطة استبداد غيره من ملوك الطوائف، مما يشير في (ص٣٢) لمفهوم (الإبداع في المجال السياسي **Political Creativity**)، وإنما كوَّن مجلسًا للحكم من شيوخ أهل قرطبة وانتخب أمينًا لهذا المجلس، وكان لا يصرف أمرًا إلا بعد الرجوع لهذا المجلس، وعاد هذا النظام بنتائج جيدة على قرطبة؛ فعاد إليها بعض الصلاح، واستتب بها الأمن، وتوفي « أبو الحزم جهور » سنة (٤٣٥هـ/ ١٠٤٣م)؛ فخلفه ابنه « أبو الوليد محمد بن جهور » فاقتفى خطى أبيه في السياسة، وظل الأمر كذلك حتى بلغ الكبر مبلغه من « أبي الوليد بن جهور »، واشتد التنافس بين ولديه « عبد الرحمن، وعبد الملك » وهنا بدأ الفساد يدب إلى الدولة الجهورية من الداخل، بينما كانت مطامع جيرانها من ملوك الطوائف تهدد سلامها من الخارج. وفي هذا العصر كتب على « أبي مروان » أن يعيش آلامه وأحزانه وهو يرى بناء أمته الأندلسية ينتقض ركنًا ركنًا، وقد سجل تاريخ بلده، وأحداث عصره، وقد تجنب الاشتراك في الحياة السياسية في بلده، ومع ذلك فقد بلغ مكانة كبيرة بين هؤلاء الملوك، وبث اللَّه هيبته في نفوسهم وظل متشبثًا بصفته الوحيدة، وهي كونه مؤرخًا.

ابن حيان ووظائف الدولة:

شغل منصب (إملاء الذكر في ديوان السلطان) براتب كبير خلال حكم « أبي الوليد ابن جهور » (٤٣٥هـ - ٤٦٢هـ).

محنة « ابن حيان »:

تعرض ابن حبان « لأبي الوليد بن جهور » بنقد لاذع شديد ذكر فيه أنه ما كان

يصلح لولاية الأمر في قرطبة، فثارت الحمية بابنه « عبد الملك » وأقسم على الفتك « بابن حيان »، غير أن « أبا الوليد » - وهو السياسي الحصيف - بادر بحماية ابن حيان، مما يشير في (ص٣٧) لمفهوم (التفكير الناقد **Critical Thinking**).

صداقات ابن حيان وحياته الخاصة:

أصدقاؤه هم نفر من أهل الفكر عرفهم واتصل بهم في عالم الفتنة البربرية المضطرب، أو ممن كانت صلته بهم ترجع إلى شبابه المبكر، وكان « ابن حيان » رجلًا كثر المعجبون به ولكن قل أصدقاؤه، ومنهم:

١ - الشاعر الكبير « أبو الوليد أحمد بن عبد اللّٰه بن زيدون » وكان يقيم في كنف بني جهور حتى سنة (٤٤١هـ/ ١٠٤٩م) حينما اجتذبه بلاط « المعتضد بن عباد » في إشبيلية ثم أصبح وزير إشبيلية، واستمرت هذه الصلة بين « ابن حيان » وابن صديقه « أبي بكر محمد بن أبي الوليد بن زيدون » ويشير في (ص٤١) لمفهوم (الصداقة **Friendship**).

٢ - الفقيه النبيه « أبو القاسم سوار بن أحمد بن سوار القرطبي » وكان حافظًا للمسائل فصيح اللسان محببًا إلى الناس معظمًا لديهم.

ثقافة ابن حيان العامة:

- كان من النماذج الفذة على سعة الثقافة، وحسن الإدراك، وكان من أجمع علماء العصور الوسطى لعلوم الإسلام، وكان عميق الإدراك لرسالته الحقيقية، وهي كتابة التاريخ؛ فهو لم يفتح على نفسه باب التنويع والتفريع وكانت مشاركة « ابن حيان » في غير التاريخ من العلوم جانبية ثانوية، وحتى فروع الثقافة الأخرى لم تكن إلا جداول، أو روافد تمد تيار علمه الحقيقي وهو علم التاريخ وهو ما يشير في (ص٤٦) إلى أنه كان صاحب (رؤية **Vision**).

وهكذا نرى أن مفهوم « ابن حيان » لمادة كتابته كان أشبه ما يكون بمفهومنا الحديث للتخصص العلمي الحق مما يشير في (ص٤٦) لمفهوم (التفكير العلمي **Scientific Thinking**).

- من مظاهر اهتمامه بالأدب روايته لكتاب « الفصوص » لصاعد البغدادي، وأيضًا روايته لكتاب « الألفاظ » عن « أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب »، وكتاب « إصلاح المنطق ».

- ومن مظاهر ثقافة ابن حيان كتاباته في ميدان الجغرافية الأندلسية.

تلاميذ ابن حيان:

١ - **طاهر بن مفوز المعافري الشاطبي** (٤٢٧ - ٤٨٤هـ/ ١٠٣٦ - ١٠٩١م): وكان تلميذًا لأبي عمر بن عبد البر النمري، كما روى كذلك عن العذري، وأبي الوليد الباجي فضلًا عن أخذه عن ابن حيان.

٢ - **أحمد بن سليمان بن خلف الباجي**: هو ابن الفقيه المالكي المشهور بـ « أبي الوليد الباجي » وخليفته في حلقته بعد وفاته.

٣ - **مالك بن عبد اللَّه العتبي السهلي**.

٤ - **عبد اللَّه محمد بن دري التجيبي الركلي**: وكان من أصحاب الفقيه « أبي الوليد الباجي »، و « ابن حيان ».

٥ - **عبد الرحمن بن محمد بن عتاب**: وهو من أَجَلِّ الشيوخ المحدثين.

٦ - **أبو الوليد أحمد بن عبد اللَّه بن طريف بن سعد**.

٧ - **ابنه عمر بن حيان بن خلف**: تتلمذ على أبيه، وعلى الفقيه « أبي محمد بن حزم ».

٨ - **المحدث الكبير « أبو علي الغساني حسين بن محمد المعروف بالجياني »**: وكان رأس المحدثين بقرطبة؛ فضلًا عن علمه الواسع بكتب اللغة ورواية الأشعار وكتب التاريخ. وهو ما يشير في (ص٥٢) إلى مفهوم (الانفتاح العقلي على الخبرة - **Open Minded**).

٩ - **الجغرافي اللغوي العظيم عبد اللَّه بن عبد العزيز البكري**: وكان له مكانة خاصة عند ابن حيان.

كتب ابن حيان:

١ - المقتبس: هو تاريخ الأندلس منذ الفتح العربي وحتى آخر حكم المستنصر (٩١ - ٣٦٦هـ/ ٧١١ - ٩٧٦م) وهو نتاج شبابه.

٢ - المتين: كان يتألف من ستين مجلدة، وقد ضاع هذا الكتاب، ويذكر « ابن حيان » فيه أخبار عصره ويمعن فيه مما شاهده ويعتبر نتاج شيخوخته، وكان بحكم معالجته للتاريخ المعاصر يحتاج إلى تنقيح مستمر وإضافات يقتضيها تتابع الأحداث الواقعة

تحت بصر ابن حيان وبين يديه، أي يتناول منذ الفتنة حتى قرب وفاة ابن حيان (٣٩٩ - ٤٦٣هـ / ١٠٠٨ - ١٠٧١م).

٣ - أخبار الدولة العامرية: يعالج الفترة التي تنحصر بين ولاية « هشام المؤيد » الخلافة (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) وثورة « محمد بن هشام المهدي » على العامريين في سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) وإطاحته بهذه الأسرة التي ظلت خلال ثلث القرن الماضي مستبدة بالسلطة حاجبة عنها الخليفة الشرعي؛ أي منذ تولي هشام المؤيد الخلافة حتى ثورة المهدي، ومصرع « عبد الرحمن شنجول بن المنصور » (٣٦٦ - ٣٩٩هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨م).

٤ - البطشة الكبرى: ألفه وسنه تناهز الخامسة والثمانين وهو آخر ما خطه ابن حيان ويصف تعرض قرطبة لغزو « المأمون بن ذي النون » الذي ضرب عليها حصارًا كثيفًا؛ فبادر عبد الملك بن جهور إلى الاستنجاد بـ « المعتمد بن عباد »، ولكن جيش « المعتمد » لم يلبث أن غدر بـ « ابن جهور » وخلعه عن رياسة قرطبة، وأعلنت في المدينة الدعوة « للمعتمد »، وتقرر نفي من بقي من بني جهور إلى (شليطش) حيث مات عميدهم « أبو الوليد » بعد نكبتهم بأربعين يومًا. مما يشير في (ص٦٥) لمفهوم (الصراع **Conflict**).

ومن هذه الكتب الأربعة يتألف ما يعرف باسم (التاريخ الكبير) لابن حيان.

منهج ابن حيان في كتابة التاريخ:

حينما شرع « ابن حيان » في (تاريخه الكبير) بشطريه القديم والمعاصر تأمل مناهج الكتابة التاريخية التي اتبعها المؤلفون من قبله في المشرق والأندلس فرأى بينها خلافًا ولكنه استعان بكل المناهج التي استخدمها المؤرخون من قبله:

ففيه النظرة الشاملة إلى كل أمير، وفيه التاريخ الداخلي الذي لا يقتصر على كبريات الأحداث السياسية، والعسكرية المرتبطة بالحاكم، وإنما يلقى ضوءًا على حياة الشعب العامة والخاصة، وعلى أحواله الاجتماعية والاقتصادية، وفيه التأريخ الثقافي والفكري، وفيه سرد الأحداث بترتيب السنين، وفيه التراجم المفصلة لرجالات الدولة وطبقاتهم من حجاب، ووزراء، وكتاب، وقضاة.

على أن « ابن حيان » لم يخضع كتابته التاريخية لمنهج واحد يطبقه على كل ما يكتب،

بل كان من المرونة وسعة الأفق بحيث يستخدم لكل حقبة ما يلائمها. مما يشير في (ص٧١) لمفهوم (**مناهج البحث العلمي Scientific Methodology**).

مصادر ابن حيان:

كان « ابن حيان » عميق الشعور برسالته، مدركًا لقيمة عمله تمام الإدراك، واعيًا للمنهج السليم الذي ينبغي لمؤرخ من مستواه أن يتبعه. ولهذا فقد اجتهد في أن يجمع أكبر عدد من المصادر، التي تنوعت بتنوع الموضوعات التي عالجها في تاريخه منذ الفتح الإسلامي للأندلس حتى عصره.

أ - مصادر « المقتبس »: نلاحظ أن مصادر ابن حيان خلال العصور التي لم يدركها أي منذ الفتح العربي للأندلس حتى الدولة العامرية - وهي موضوع كتاب « المقتبس » - كانت تقوم على كتب من سبقه من المؤرخين ومنهم : محمد بن وضاح، فرج بن سلام البزاز، ابن الأشعث القرشي الإشبيلي، يحيى بن إسحاق الطبيب، وكثير غيرهم.

ب - مصادر « أخبار الدولة العامرية » و « المتين » و « البطشة الكبرى »:

نجد « ابن حيان » لم يرجع إلى كتاب؛ فذكريات الدولة العامرية كانت لا تزال في الأذهان، ولعل أهم مراجع « ابن حيان » في تسجيل أخبار العامريين إنما كان أبوه « خلف ابن حسين » كاتب « المنصور » ولم يكتف بما نقله عن أبيه، بل استعان بغيره من كتَّاب « المنصور ».

أما كتاب « المتين » فقد تعددت فيه مصادر « ابن حيان » وتنوعت تنوعًا كبيرًا؛ فكان من أولها مشاهداته، فإذا غاب عنه شيء عمد إلى استكماله ممن رأوا الأحداث وشهدوها، بل واشتركوا فيها في كثير من الأحيان، ومن أهم من أمدوا « ابن حيان » بكثير من أخبار الفتنة البربرية ورأوها رأي العين: الفقيه « أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عون ابن حدير القرطبي »، ومن مصادره أيضًا بعض العلماء والوجهاء الذين كانوا يعيشون في مختلف مدن الأندلس، ويبدو أنه كان يكلفهم بتتبع الأحداث الواقعة في بلدانهم ومن هؤلاء: « أبو بكر الرشتشاني الفقيه » و « القرشي » و « أبو الفتح البرزالي » و « أبو أمية ابن هاشم القرطبي »، ومن مصادره أيضًا المكاتبات التي كانت ترد إليه من أصدقائه، ومكاتبيه في المدن المختلفة. مما يشير في (ص٧٥) لمفهوم (**مصادر المعلومات Source of Knowledge**).

مكانة ابن حيان مؤرخًا، وخصائص كتابته التاريخية:

يعد « ابن حيان » بحق صاحب لواء التاريخ بالأندلس، ويعتبر قمة الكتابة التاريخية في الأندلس، والذي يتتبع الكتابة التاريخية في الأندلس يمكنه أن يقدر الوثبة العظيمة التي أتيحت لهذا العلم من « عبد الملك بن حبيب الإلبيري » أول مؤرخي الأندلس حتى « ابن حيان » أي على طول قرنين ونصف من الزمان، وكانت بداية هذا العلم على يد « ابن حبيب » طموحة متواضعة في الوقت نفسه.

وقد أتى « ابن حيان » في القرن الخامس الهجري؛ فاعتبر « أمير مؤرخي الأندلس ».

خصائص كتابته:

١ - الاستبلاغ في الدقة والضبط: كان « ابن حيان » كاتبًا يُخْضِع كل ما يقرأه، أو يشاهده، أو يبلغه، لميزان نقدي علمي يبدو سابقًا لعصره في تلك الأيام، حتى كأنه من نتاج عصرنا الحديث، ولم يكن مجرد ناقل، بل إن شخصيته القوية تهيمن على كل ما يورده، سواء في أسلوب الكتابة، أو في الميزان النقدي الصارم، مما يشير في (ص٨٦) لمفهوم (نقد المعرفة **Critical of Knowledge**).

٢ - تحديد التواريخ بالأيام: نجده يوفر على الباحث المعاصر الجهد؛ فيثبت ما يقابل التقويم الهجري من التاريخ العجمي (أي التقويم الميلادي)؛ ومنها مقابلته بين الروايات وتحكيم المنطق التاريخي والعقلي في المفاضلة بينها إذا تعددت، مما يشير في (ص٨٦) لمفهوم (التفكير الناقد **Critical Thinking**).

٣ - التفصيل الواسع والإدراك الواعي لقيمة الأشياء الصغيرة، أو الدقيقة، فالتفاصيل الصغيرة كثيرًا ما تكمل الصورة الكبرى للأحداث، أو الشخصيات؛ ولهذا فإن لها من القيمة ما لا يقل عن تسجيل عظائم الأمور.

٤ - الإحاطة الشاملة بالتاريخ الإسلامي في المشرق والمغرب.

٥ - نزاهته وصدقه وتجرده من الهوى، وهو ما يشير في (ص٨٩) إلى مفهوم (الموضوعية **Objectivity**).

عقيدة ابن حيان وآراؤه السياسية:

عصبيته لقوميته الأندلسية، واعتداده بها أشد الاعتداد، واعتقاده بأن الأندلس ينبغي أن تحتل مكانًا من أمكنة الصدارة في العالم الإسلامي، ولم يمنعه ذلك من نقد شعبه أَمَرّ

النقد، بل لعل ذلك الحب هو الذي حملهم على المبالغة في النقد إلى أبعد حد.

- أبرز معالم تفكير « ابن حيان » هو الاعتداد بالجماعة، أو وحدة الأندلس التي اكتملت في ظل خلافة بني أمية ثم أطاحت بها الفتنة البربرية إلى الأبد؛ فقارئ تاريخ « ابن حيان » سواء منه (المقتبس، أو المتين) يحس دائمًا بإيمان « ابن حيان » بقضية الوحدة الأندلسية.

جانب آخر من جوانب عقيدة « ابن حيان » وتفكيره السياسي هو نزعته إلى (الأرستقراطية)؛ فهو لا يعني التعالي على الشعب، أو احتقاره، وإنما هو يعني البعد عن الابتذال ودعوات التهريج السياسي التي شاعت في الأندلس بعد ثورة « محمد بن هشام المهدي » على دولة العامريين.

ابن حيان أديبًا:

لعل أعظم ما ميز « ابن حيان » المؤرخ وجعله نموذجًا فريدًا في التاريخ الإسلامي هو كونه أديبًا في الوقت نفسه، والأدب والتاريخ يمتزجان في كل ما سطره قلمه، وكل صفحات تاريخه الكبير، ولا سيما كتابه « المتين »، تعتبر من أروع نماذج النثر الأندلسي على الإطلاق. وهذا الشيء لم يتح ولا يتاح للكثير من المؤرخين، لا سيما إذا التزموا مع ذلك التسجيلَ الدقيقَ المفصلَ؛ فالتاريخ معدود من العلوم، غير أنه تحول على يد « ابن حيان » إلى أدب خالص محض. وقد أعان « ابن حيان » على ذلك امتلاكه لناصية اللغة على نحو لا نراه توفر لمؤرخ قبله ولا بعده، وثروة عظيمة من مفردات اللغة يستخدمها في سهولة وانسياب، ويحفل نثر « ابن حيان » بالصور التي تبهر النظر، تَرِدُ بسيطة بلا افتعال، ولا تصنع بلاغي، وكثيرًا ما يستخدم التشبيه والاستعارة والكناية.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الإبداع في المجال السياسي Political Creativity.**
- **التفكير الناقد Critical Thinking.**
- **الصداقة Friendship.**
- **رؤية Vision.**
- **التفكير العلمي Scientific thinking.**

- الانفتاح العقلي على الخبرة Open - Minded.
- مناهج البحث العلمي Methodology Scientific.
- الصراع Confllict.
- مصادر المعلومات Source of Knowledge.
- نقد المعرفة Critical of Knowledge.
- الموضوعية Objectivity.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *



النزاع و التخاصم
فيما بين بني أمية وبني هاشم

○ تأليف/ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن محمد الحسيني (٧٦٦ - ٨٤٥هـ/ ١٣٦٤ - ١٤٤٢م).

○ تحقيق/ حسين مؤنس.

○ القاهرة: دار المعارف (١٩٨٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد « تقي الدين » في حارة برجوان في حي الجمالية في القاهرة سنة (٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م). تولى تربيته وتعليمه جده لأمه ابن الصائغ، وأراد له أن يكون حنفي المذهب، وقد ظل المقريزي حنفيًّا حتى توفي أبوه سنة (٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) فتحول إلى المذهب الشافعي وكانت سنه إذ ذاك عشرين سنة، ومال المقريزي إلى المذهب الظاهري، ودرس المقريزي بعد ذلك دراسة واسعة في الفقه واللغة والتاريخ، وطاف على الشيوخ، ولقي الكبار وجالس الأئمة وأخذ عنهم، وكان من بين من درس عليهم « عبد الرحمن ابن خلدون »، وكان « المقريزي » من خيرة تلاميذه، ودخل « المقريزي » وظائف الدولة؛ فعمل موقعًا بديوان الإنشاء، وكان بعد ذلك نائبًا من نواب الحكم عن قاضي القضاة الشافعي، ثم خطيبًا بجامع عمرو بن العاص ثم مدرسًا بمدرسة السلطان حسن، ثم أصبح إمامًا بجامع الحاكم بأمر اللَّه، ثم مدرسًا للحديث بالمدرسة المؤيدية.

وفي سنة (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م) اختاره السلطان « برقوق » محتسبًا للقاهرة والوجه البحري، ثم سافر إلى دمشق في صحبة السلطان « فرج بن برقوق »، وكسب صداقة واحد من كبار الأمراء هو « بشتك الداودي » ونالته منه دنيا عريضة، وتولى النظر على أوقاف القلانسي والبيمارستان الغوري بمدينة دمشق، وقضى بدمشق عشر سنوات ودرس في أثنائها في المدرستين الأشرفية والأقبلية، ثم عاد إلى القاهرة، وترك الوظائف وانقطع للتأليف، وفي سنة (٨٣٤هـ/ ١٣٨٠م) رحل إلى الحجاز بأسرته حاجًّا وجاور هناك نحو خمس سنوات اشتغل في أثنائها بالتدريس والتأليف، ثم عاد إلى مصر حيث لزم

داره يؤلف الكتب والرسائل حتى توفي في حارة برجوان يوم الخميس (١١ من رمضان سنة ٨٤٥هـ) ودفن قبل صلاة الجمعة من اليوم التالي بحوش الصوفية البيبرسية بعد عمر حافل بالتدريس والتأليف.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة من القطع المتوسط ويتضمن مقدمة المحقق والتي يعرض فيها لحياة « المقريزي » واستعرض مخطوطات النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، كما ويتضمن مقدمة المؤلف، والغرض من تأليف الكتاب؛ حيث إن موضوع النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ظل من موضوعات السياسة الحية التي لا يمل المسلمون الحديث فيها حتى أصبحت بالنسبة لكل عصر وكأنها مشكلة سياسية راهنة.

ووضع « المقريزي » في هذا المؤلَّف السؤال ولم يجب عنه وهو: كيف وصل بنو أمية إلى الخلافة وهم كانوا - في رأيه - أقل القوم استحقاقًا لها؟

الجواب: أن الخلافة ما دامت قد أصبحت سياسة وقوة، ومالًا، وجاهًا؛ فإن الذي يفوز بها هو الأمهر في شئون الدنيا، والسياسة، والقوة، والمال، ولا ينتصر فيها قط الأتقى، أو الأقوم خلقًا، أو الأشد تمسكًا بالدين؛ لهذا فاز بالخلافة أولًا « بنو أمية » ثم « بنو العباس »، وعندما يتعلم بعض آل « علي » أسرار السياسة، وأساليب الوصول إلى الحياة والسلطان سيفوزون بها أيضًا.

- في (ص٢٥) ذكر في العداوة بين « بني أمية » و « بني هاشم » في أيام جاهليتها، ثم شدة عداوة بني أمية لرسول اللَّه ﷺ، ومبالغتهم في إيذائه، وتماديهم في تكذيبه فيما جاء به، مما يشير إلى المفهوم النفسي (العدائية **Hostility**).

مثالب بني أمية:

- تناولها المؤلف بدءًا من عداوة « أبو سفيان » للنبي ﷺ. ففي (ص٢٧) يوضح كيف أسلم « أبو سفيان » على يد « العباس » ﷺ كما منع الناس من قتله وجاء رديفًا للرسول ﷺ وسأل أن يشرفه، ويكرمه، وينوه به، وتلك يد بيضاء، ونعمة غراء، ومقام مشهور؛ فكان جزاء ذلك من بنيه أن حاربوا « عليًّا »، وسموا « الحسن »، وقتلوا « الحسين »، وحملوا النساء على الأقتاب حواسر، وكشفوا عورة « علي بن الحسين » حين أشكل عليهم بلوغه، وبعث « معاوية بن أبي سفيان » إلى اليمن « بسر بن أرطأة » فقتل ابني « عبيد اللَّه

ابن العباس » وهما غلامان لم يبلغا الحلم. مما يشير في (ص٢٧) إلى المفهوم النفسي (العدوان **Aggression**).

– ويذكر المؤلف أن من مثالب بني أمية (ص٣٠) أكل « هند » كبد « حمزة »؛ فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق، ونقروا بالقضيب بين ثنيتي « الحسين »، ونبشوا « زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب »، وصلبوه، وألقوا رأسه في عرصة الدار تطؤه الأقدام، وتنقر دماغه الدجاج. مما يشير إلى المفهوم النفسي (العنف **Violence**).

– وضربوا « علي بن عبد اللَّه بن العباس » بالسياط مرتين على أن تزوج بنت عمه الجعفرية التي كانت عند « عبد الملك بن مروان »، وسموا « أبا هاشم بن محمد ابن علي »، وضرب « سليمان بن حبيب بن المهلب » « المنصور » بالسياط قبل الخلافة، وقتل « مروان الحمار » « الإمام إبراهيم بن محمد بن علي » أدخل رأسه في جراب نورة، والنورة هي الحجر الجيري، أو أخلاط أملاح الكالسيوم، والباريوم، وتستخدم لإزالة الشعر، والمقصود هنا أنهم وضعوا رأسه في جراب مملوء بالجير.

في (ص٣٤) يشير المؤلف أنهم قتلوا يوم الحرة « عون بن عبد اللَّه بن جعفر »، و « الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب »، و « العباس بن عتبة ابن أبي لهب »، و « عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب »، وبنو أمية قد هدموا الكعبة حيث ضرب الأمويون الكعبة إبان ثورة « عبد اللَّه بن الزبير » مرتين بالمنجنيق المرة الأولى سنة (٦٤هـ) على يد « الحصين بن نمير »، والمرة الثانية سنة (٧٣هـ) على يد « الحجاج بن يوسف »، كما هدم « الحجاج » سنة (٧٤هـ) الزيادات التي كان « عبد اللَّه بن الزبير » قد أدخلها على الكعبة، وغيروا أوقات الصلاة، ونقشوا أكف المسلمين، ومنهم من أكل وشرب على منبر رسول اللَّه ﷺ. ويشير هنا إلى المفهوم النفسي (**السلوك المضاد للمجتمع Antisocial Behavior**).

– ويشير المؤلف في (ص٣٧) إلى « أن الضعيف لا يكون خليفة؛ لأنه الذي ينال القوي منه عند انتشار الأمر عليه، والمداهن لا يكون إمامًا، ولا يوثق منه بعقد، ولا بوفاء عهد، ولا بضمير صحيح، ولا يَخِيب كريم، والمأفون لا يكون إمامًا ». مما يشير إلى المفهوم النفسي (**خصال القائد Leader Characteristics**).

أصل المنافرة بين بني هاشم وبني أمية :

ويوضح في (ص٣٩) قول « هاشم »: يا معشر قريش، إنكم جيران اللَّه وأهل بيته،

وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار اللَّه، يعظمون حرمة بيته، وهم ضيف اللَّه، وأحق الضيف بالكرامة ضيفه؛ فأكرموا ضيفه وزواره، فإنهم يأتون شعثًا غبرًا، من كل بلد على ضوامر كالقداح، وقد زحفوا، وتفلوا، وقملوا، وأرملوا؛ فأقروهم، وأغنوهم، وأعينوهم. مما يشير إلى المفهوم النفسي (**سلوك المساعدة Helping Behavior**).

عداوتهم للرسول والإسلام :

تمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بني هاشم « أبو القاسم محمد بن عبد اللَّه ابن عبد المطلب بن هاشم » رسول اللَّه ﷺ بمكة يدعو قريشًا إلى توحيد اللَّه، وترك ما كانت تعبد من دونه؛ فانتدب لعداوته ﷺ جماعة من بني أمية. ويشير ذلك في (ص٤٣) إلى المفهوم النفسي (**العدوان Aggression**)، ومنهم:

١ - أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية: حتى هلك على كفره في أول سنة من الهجرة.

٢ - عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية: كان أشد الناس عداوة لرسول اللَّه ﷺ؛ عن عطاء عن الشعبي: أن رسول اللَّه ﷺ قال لعقبة بن أبي معيط يوم بدر: « **واللَّه لأقتلنك** ». فقيل: أتقتله من بين قريش؟ قال: « **نعم، إنه وطئ على عنقي وأنا ساجد؛ فما رفعت حتى ظننت أن عيني قد سقطت، وجاء يومًا وأنا ساجد بسلى شاة فألقاها على رأسي؛ فأنا قاتله** ». ويشير إلى ذلك في (ص٤٤) إلى المفهوم النفسي (**العقاب Punishment**).

٣ - الحكم بن أبي العاص بن أمية: وكان مؤذيًا لرسول اللَّه ﷺ بمكة، ويشتمه، ويسمعه ما يكره؛ فلما كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفًا من القتل فلم يحسن إسلامه وكان مغموصًا عليه في دينه. ويشير إلى ذلك في (ص٤٤) إلى المفهوم النفسي (**المجاراة Conformity**).

٤ - مروان بن الحكم.

٥ - عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن أمية.

٦ - الوليد بن عتبة بن ربيعة.

٧ - شيبة بن ربيعة بن عبد شمس، عم هند أم معاوية، وقتل يوم بدر.

٨ - أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية؛ عندما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة فأتى به « العباس ابن عبد المطلب » ﷺ رسولَ اللَّه ﷺ وقد أردفه، وذلك أنه كان صديقه في الجاهلية، فلما

دخل على رسول اللَّه ﷺ سأله أن يؤمنه، فلما رآه رسول اللَّه ﷺ قال له: « **ويلك أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا اللَّه** » فقال: بأبي أنت وأمي! ما أوصلك وأحلمك، واللَّه لقد ظننت أنه لو كان مع اللَّه غيره لقد أغنى عني شيئًا، فقال: « **يا أبا سفيان ألم يأن أن تعلم أني رسول اللَّه تعالى** »، فقال: بأبي أنت وأمي! ما أوصلك وأحلمك وأكرمك، أما هذه ففي النفس منها شيء. فقال له « العباس »: ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك، فشهد وأسلم وحينما بويع أبو بكر الصديق ﷺ، جاء أبو سفيان إلى علي ﷺ فقال: « أغلبك على هذا الأمر أقل بيت في قريش، أما واللَّه لأملأنها خيلًا ورجالًا » فقال علي: « ما زلت عدو الإسلام وأهله فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيئًا، إنا رأينا أبا بكر لها أهلًا ».

٩ - معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية.

١٠ - حمالة الحطب واسمها أم جميل بنت حرب بن أمية.

إبعاد الرسول ﷺ لبنى أمية عنه وإخراجهم من ذوي قرباه:

إن النبي ﷺ، لما مضى على الذي بعث به، وقامت بنو هاشم وبنو المطلب دونه وأبوا أن يسلموه، وهم من خلافه على مثل ما قومهم عليه، إلا أنهم أَنِفُوا أن يستذلوا ويسلموا أخاهم لمن فارقه من قومه؛ فلما فعلت ذلك بنو هاشم وبنو المطلب وعرفت قريش ألا سبيل إلى محمد ﷺ معهم، أجمعوا على أن يكتبوا فيما بينهم على بني هاشم وبني المطلب ألا ينكحونهم ولا ينكحون إليهم، ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم، وكتبوا صحيفة في ذلك وعلقوها بالكعبة. مما يشير للمفهوم النفسي (التجنب **Avoidance**) (ص٦٣).

قال « موسى بن عقبة »: « فلما أفسد اللَّه صحيفة مكرهم، خرج رسول اللَّه ﷺ ورهطه (فعاشروا) وخالطوا الناس؛ فانظر رحمك اللَّه كيف لم يجعل رسول اللَّه ﷺ القرابة في النسب وحدها قرابة معتبرة في أحكام اللَّه تعالى ﷻ ما لم تقترن به القرابة الدينية؛ فإنه كما قد رأيت أخرج بني أمية من ذوي القربى مع كونهم بني أبيه عبد مناف بن قصي، لما كان من عداوتهم له في دين اللَّه ﷻ وتكذيبهم لما جاء به من النبوة والرسالة. وكيف جعل بني المطلب بن عبد مناف من ذوي القربى لأجل مسالمتهم له في الجاهلية وتسرعهم إلى مناصرته، ومؤازرته وموالاته، ومعاضدته، وأنهم لم يربأوا بأنفسهم عن مساندته، بل أمدوه بأنفسهم حيث تخلى عنه الناس، ودخلوا معه الشعب، مؤمنهم وكافرهم؛ فالمؤمن دينًا، والكافر حمية ». مما يشير هنا في (ص٦٧) للمفهوم النفسي (المساندة **Support**).

ومن هنا تظهر فائدتان:

إحداهما: أن العبرة بقرابة الدين لا بقرابة الطين.

والأخرى: أن مجرد القرابة ليس بشيء.

وقد قيل: أقرب الوسائل المودة وأبعد النسب البغضة.

« وليت إذا ولي بنو أمية عدلوا، أو أنصفوا، بل جاروا في الحكم وعسفوا، واستأثروا بالفيء كله، وحرموه بني هاشم جملة، وزادوا في العتو والتعدي، حتى قالوا: إنما ذوي القربى قرابة الخليفة منهم »، مما يشير هنا في (ص٦٨) للمفهوم النفسي (التسلطية **Authoritarianism**).

فصل: تولية الرسول ﷺ لبني أمية :

ولَّى رسول اللَّه ﷺ أربعة من بني أمية أعماله:

« عتاب بن أسيد » على مكة، و « أبان بن سعيد بن العاص » على البحرين، و « خالد ابن سعيد » على صنعاء، و « أبو سفيان » على نجران، وكان « المهاجر بن أبي أمية ابن عبد اللَّه بن مخزوم »، أخو أم سلمة أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - على صدقات كندة والصدف، ثم ولاه أبو بكر الصديق ﷺ اليمن، وكان « عمرو بن العاص بن وائل ابن هاشم بن سعيد بن سهم السهمي »، حين وفاة رسول اللَّه ﷺ على عمان، وكان على الطائف « عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دهمان الثقفي »، ومات رسول اللَّه ﷺ وهو عليها؛ فإذا كان رسول اللَّه ﷺ قد أسس هذا الأساس وأظهر بني أمية لجميع الناس بتوليتهم أعماله فيما فتح اللَّه عليه من البلاد كيف لا يقوى ظنهم، ولا ينبسط رجاؤهم، ولا يمتد إلى الولاية أملهم؟ أم كيف لا يضعف أمل بني هاشم وينقبض رجاؤهم، ويقصر أملهم؟

فصل: بنو هاشم وولاية الأعمال:

ولما كانت بنو هاشم من بين قريش كلها قد اختصها اللَّه ﷻ بأمر الدعوة إلى اللَّه والنبوة والكتاب؛ فحازت بذلك الشرف الباقي، وكانت أحوال الدنيا من الخلافة والملك ونحوه زائلة، ولهذا زواها اللَّه تعالى عنهم تنبيهًا على شرفهم، وعلو مقدارهم؛ فإن ذلك هو خيرة اللَّه لنبيه محمد ﷺ، كما ثبت أنه ﷺ لما خير اختار أن يكون نبيًّا عبدًا، ولم يختر أن يكون نبيًّا ملكًا، وسأل مثل ذلك لآله قائلًا ﷺ: « **اللَّهم اجعل رزق آل محمد قوتًا** ».

فصل: سبب خروج الخلافة بعد الرسول ﷺ عن علي بن أبي طالب:

ذهب بعضهم إلى أن السر في خروج الخلافة بعد رسول اللَّه ﷺ عن « علي ابن أبي طالب » إلى « أبي بكر »، و « عمر »، و « عثمان »، أن « عليًّا » لو ولي الخلافة حينئذ وهو أبو الحسنين لأوشك أن يقول قائل، ويتخيل متخيل أنه ملك متوارث لا يكون إلا في آل البيت؛ فصان اللَّه العقائد من هذه الشبهة، ولهذا السر جعل ﷺ الخلافة لعامة قريش، ولم يخص بها أهل بيته، ولا بني هاشم حتى لا يتخيل متخيل أنه ملك متوارث.

وثبت من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: « **إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا إلا خلة الإسلام. لا تبقين في المسجد خوخة** (باب صغير وسط باب كبير نصب حاجزًا بين دارين، وهو كذلك مخترق ما بين كل دارين) **إلا خوخة أبي بكر** ». فكان أمر رسول اللَّه ﷺ بإبقاء خوخة أبي بكر ﷺ في المسجد مع منع الناس كلهم من ذلك إشارة ودليلًا على خلافته بعد رسول اللَّه ﷺ، وإن ذلك من رسول اللَّه ﷺ تنبيهًا للناس بأن « أبا بكر » ﷺ يصير إمام المسلمين، ويخرج من بيته إلى المسجد كما كان رسول اللَّه ﷺ يخرج.

فصل: تولي بني العباس الخلافة :

أخذ بنو العباس بن عبد المطلب بن هاشم الخلافة، وأقاموا خلفاء نيفًا على خمسمائة وعشرين سنة؛ والخلافة إنما صارت إليهم بعدما ضعف أمر الدين وتخلخلت أركانه، وتداول الناس أمر الأمة بالغلبة؛ فأخذها حينئذ بنو العباس بأيدي العجم أهل خراسان، ونالوها بالقوة، ومناهضة الدول، ومساورة الملوك، حتى أزالوا بعجم خراسان دولة بني أمية، وتناولوا العز كيف كان؛ فما وصل أمر الأمة إلى أهل العدالة، والطهارة، ولا وليهم ذو الزهادة والعبادة، ولا ساسهم أرباب الورع والأمانة حينما ولَّى عبد اللَّه بن محمد ابن علي بن عبد اللَّه بن عباس الملقب بالسفاح ابن أخيه إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبد اللَّه سنة ثلاث وثلاثين ومائة الموصل فدخلها في اثني عشر ألفًا؛ فأول ما بدأ به أن دعا أهل الموصل فقتل منهم اثني عشر رجلًا؛ فنفر أهل البلد وحملوا السلاح؛ فنادى: من دخل الجامع فهو آمن؛ فأتاه الناس يهرعون إليه، فأقام الرجال على أبواب الجامع وقتل الناس فيه قتلًا ذريعًا تجاوز فيه الحد، وأسرف في المقدار، فيقال أنه قتل أحد عشر ألف إنسان، بحيث لم ينج من رجال الموصل مع كثرتهم إلا نحو أربعمائة رجل دفعوا الجند؛ فأفرجوا لهم، فلما كان الليل سمع صراخ النساء اللاتي قتل رجالهن،

فأمر من الغد بقتلهن، فأقام رجاله ثلاثة أيام يقتلون النساء والصبيان.

فصل: الخلافة الإسلامية والملة الموسوية:

تشابه أمر الأمة المحمدية بأمر الأمة الموسوية، لما توفي رسول الله ﷺ لم يخلفه في أمته أحد من بني هاشم الذين هم أقرب العرب إليه؛ بل خلفه ﷺ أبو بكر الصديق ﵁، وهو من بني تيم بن مرة، فانظر كيف كان أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في البعد من جذر رسول الله ﷺ كبعد يوشع من أصل موسى ﵇؛ فإن أبا بكر ﵁ إنما يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب بن لؤي بعد عدة آباء، وكذلك يوشع إنما يلتقي مع موسى في يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - بعد عدة آباء. كذلك تشابه أمرهما في بعض النواحي الأخرى.

رسالة للجاحظ في بني أمية:

إن الأمة قد صارت بعد إسلامها والخروج من جاهليتها إلى طبقات متفاوتة ومنازل مختلفة: فالطبقة الأولى عصر النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر - رضي الله عنهما - وست سنين من خلافة عثمان ﵁، كانوا على التوحيد الصحيح، والإخلاص المخلص، مع الألفة، واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة. وليس هناك عمل قبيح، ولا بدعة فاحشة، ولا نزع يد من طاعة، ولا حسد، ولا غل ولا تأول حتى كان الذي قتل عثمان بن عفان ﵁، وما انتهك منه، ومن خبطهم إياه بالسلاح، وبعج بطنه بالحراب وفري أوداجه بالمشاقص، وشدخ هامته بالعمد، مع كفه عن البسط، ونهيه عن الامتناع، ومع ضرب نسائه بحضرته، وإقحام الرجال على حرمته مع اتقاء امرأة عثمان نائلة بنت الفرافصة بنت الأحوص بن عمرو بن ثعلبة عنه بيدها، حتى أطنوا إصبعين من أصابعها، وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجردًا بعد سحبه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- العداوة **Hostility**.
- العنف **Violence**.
- السلوك المضاد للمجتمع **Antisocial Behavior**.
- خصال القائد **Leader Characteristics**.

- العدوان **Aggression**.

- سلوك المساعدة **Helping Behavior**.

- العقاب **Punishment**.

- المجاراة **Conformity**.

- التجنب **Avoidance**.

- المساندة **Support**.

- التسلطية **Authoritarianism**.

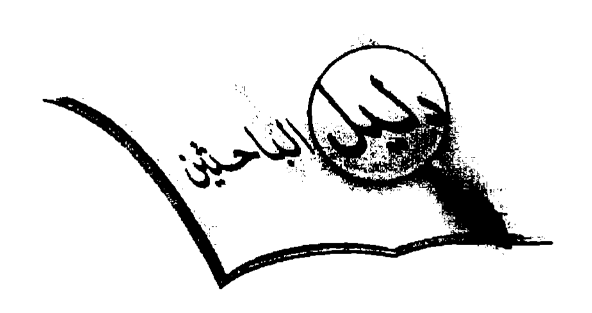
القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

القسم الخامس

التصوف



الأنوار القدسية
في معرفة قواعد الصوفية



○ تأليف/ الشعراني، العارف باللّٰه الإمام عبد الوهاب (٨٩٨ - ٩٧٣هـ).

○ القاهرة: دار جوامع الكلم (١٩٨٧م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٩٢) صفحة من القطع المتوسط ويتضمن كلمة الناشر ومقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة.

فالمقدمة في بيان عقيدة أهل التصوف، وبيان سندهم بتلقين الذكر وإلباس الخرقة وآداب الذكر.

والباب الأول: في ذكر نبذة في آداب المريد في نفسه.

والباب الثاني: في ذكر نبذة من آداب المريد مع شيخه.

والباب الثالث: في ذكر نبذة من آداب المريد مع إخوانه وأصحاب شيخه.

والخاتمة: في بيان آداب لا تختص بالشيخ والمريد بل هي عامة مع جميع الخلق.

وتشتمل المقدمة على جملة من عقائد أهل التصوف وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة وعلى بيان سند القوم في تلقينهم الذكر، وعلى سندهم في إلباسهم الخرقة للمريد، وعلى بيان جملة من آداب الذكر.

- عقائد القوم وبيان موافقتها لعقائد أهل السنة والجماعة:

أجمع أهل التصوف على أن اللّٰه واحد لا ثاني له، منزه عن الصاحبة والولد، مالك لا شريك له، صانع لا مدبر معه، موجود بذاته من غير افتقار إلى موجود يوجده؛ فالعالم كله موجود به، وهو تعالى موجود بذاته، لا افتتاح لوجوده، ولا نهاية لبقائه، بل وجوده مطلق مستمر، مقدس عن الجهة والأقطار، مرئي بالقلوب والأبصار، لا يحده زمان، ولا يقله مكان.

- بيان سند أهل التصوف في تلقينهم الذكر:

دليل الأشياخ في تلقينهم الذكر لجماعةٍ: ما رواه الإمام أحمد، والبزار، والطبراني وغيرهم بإسناد حسن أن رسول اللَّه ﷺ كان مجتمعًا يومًا مع أصحابه فقال: « **هل فيكم غريب؟** » يعني أهل الكتاب، قالوا: لا يا رسول اللَّه؛ فأمر بغلق الباب وقال: « **ارفعوا أيديكم وقولوا: لا إله إلا اللَّه** ». قال شداد بن أوس: فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا: لا إله إلا اللَّه، ثم قال رسول اللَّه ﷺ: « **اللَّهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها، ووعدتني عليها الجنة، وإنك لا تخلف الميعاد** » ثم قال رسول اللَّه ﷺ: « **ألا أبشروا فإن اللَّه تعالى قد غفر لكم** ».

وأما دليل تلقينهم الذكر فرادى ما رواه سيدي يوسف العجمي شيخ السلسلة في رسالته بسنده المتصل عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: قلت: يا رسول اللَّه، دلني على أقرب الطرق إلى اللَّه ﷻ وأسهلها على العباد، وأفضلها عند اللَّه تعالى؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: « **يا علي، عليك بمداومة ذكر اللَّه ﷻ، سرًّا وجهرًا** » فقال علي ﷺ: كل الناس ذاكرون يا رسول اللَّه، وإنما أريد أن تخصني بشيء، فقال رسول اللَّه ﷺ: « **مه يا علي؛ أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا اللَّه، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا اللَّه في كفة لرجحت لا إله إلا اللَّه** ».

- آداب الذكر وبيان ثمرة التلقين:

إذا تمكن الذكر من القلب، صار الشيطان يصرع إذا دنا من الذاكر كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان؛ فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما باله؛ فيقال: إنه دنا من ذاكر فصرع، وقد عد الأشياخ للذكر ألف أدب ثم قالوا: ويجمع هذه الآداب كلها عشرون أدبًا من لم يتحقق بها فبعيد عليه الفتح، خمسة منها سابقة على الذكر، واثنا عشر حال الذكر، وثلاثة بعد الفراغ من الذكر.

* الخمسة السابقة:

١ - التوبة النصوح.

٢ - الغسل أو الوضوء كلما أراد الذكر.

٣ - السكون والسكوت ليحصل له الصدق في الذكر بأن يشغل قلبه باللَّه: اللَّه. اللَّه؛ بالفكر دون اللفظ ثم يوافق اللسان القلب بقول « لا إله إلا اللَّه ».

٤ - أن يستمد عند شروعه في الذكر بهمة شيخه، بأن يشخصه بين عينيه ويستمد من

همته. مما يشير في (ص٢٣) لمفهوم (الاقتداء المتخيل **Covert Modeling**).

٥ - أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده حقيقة من رسول اللَّه ﷺ؛ لأنه واسطة بينه وبينه، ويشير ذلك في (ص٢٣) لمفهوم (الاقتداء **Modeling**).

* الاثنا عشر التي تكون حال الذكر:

١ - الجلوس على مكان طاهر كجلوسه في الصلاة للتشهد.

٢ - أن يضع راحتيه على فخذه ويستحب جلوسه للقبلة.

٣ - تطييب مجلس الذكر بالرائحة الطيبة.

٤ - أن يكون ملبسه حلالًا.

٥ - اختيار مكان مظلم.

٦ - تغميض العينين وهي أساليب شائعة الاستخدام في إطار عملية (الاسترخاء الذاتي **Self Relaxation**).

٧ - أن يتخيل شخص شيخه بين عينيه ما دام ذاكرًا.

٨ - الصدق في الذكر بأن يستوي عنده السر والعلانية فيه.

٩ - الإخلاص وتصفية العمل من كل شوب.

١٠ - يكثر من ذكر « لا إله إلا اللَّه ».

١١ - إحضار معنى الذكر بقلبه.

١٢ - تفرغ القلب عن كل موجود.

* الثلاثة آداب التي بعد الذكر:

١ - أن يسكت بعد سكون وتخشع.

٢ - أن يلزم نفسه مرارًا بقدر ثلاثة أنفاس إلى سبعة أنفاس، وأكثر، حتى يدور الوارد في جميع عوالمه فتنور بصيرته، وتقطع عنه خواطر النفس والشيطان، وتكشف عنه الحجب.

٣ - منع شربه الماء البارد عقيب الذكر فإن الذكر يورث حرقة وهيجانًا وشوقًا إلى المذكور الذي هو المطلوب الأعظم من الذكر.

- **بيان ثمرة التلقين:**

للتلقين ثمرة عامة وثمرة خاصة، فالثمرة العامة الدخول بالتلقين في سلسلة أهل

التصوف فيصير كأنه حلقة من حلق السلسلة الحديد؛ فإذا تحرك في أمر تحرك معه سائر السلسلة.

أما ثمرة التلقين الخاصة هو تلقين السلوك بعد الدخول في سلسلة أهل التصوف فصورته: أن الشيخ يتوجه إلى اللّٰه تعالى ويفرغ على المريد من قوله له: قل: لا إله إلا اللّٰه، جميع ما قسم له من علوم الشريعة المطهرة فلا يحتاج بعد هذا التلقين إلى مطالعة كتاب من كتب الشريعة حتى يموت.

- فوائد الذكر:

أنه مفتاح الغيب، وجاذب الخير، وأنيس المستوحش، ومنشور الولاية. وروى الشيخان مرفوعًا: « **يقول اللّٰه ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني** »، وفي رواية: « **أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه** »، وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول: آخر كلام فارقت عليه رسول اللّٰه ﷺ، أن قلت: أي الأعمال أحب إلى اللّٰه، قال: « **أن تموت ولسانك رطب من ذكر اللّٰه** ».

الباب الأول: في ذكر نبذة من آداب المريد في نفسه:

١ - الصدق في طلبه للطريق ومحبة الشيخ.

٢ - التوبة من سائر الذنوب.

٣ - ملازمة المجاهدة لنفسه: مما يشير في (ص٣٧) للمفهوم النفسي (**ضبط الذات Self Control**).

٤ - قلة الكلام.

٥ - كثرة الجوع

٦ - ملازمة الأدب مع اللّٰه تعالى.

٧ - مخالفة هوى النفس، مما يشير في (ص٣٩ - ٤١) إلى مفهوم (**الالتزام الديني Religious Commitment**).

٨ - عدم الإخلال بأركان الطريق وشروطها.

٩ - اختيار شيخ متبحر في علوم الشريعة.

١٠ - أن لا يكون له إلا شيخ واحد.

١١ - حذف العلائق الدنيوية.

١٢ - دلالة حاله على مقامه.

١٣ - الأخذ بالأحوط في الدين.

١٤ - إخفاء أحواله ما أمكن.

١٥ - تحمل شدائد الطريق.

١٦ - ملازمة الشيخ.

١٧ - مداومة الذكر.

١٨ - الاحتمال والصفح والرضا والتسليم.

١٩ - الهجرة إلى الشيخ المربي.

٢٠ - اتخاذ شيخ يربيه، وهو ما يشير في (ص٤٨) إلى مفهوم (الراعي **Mentor**) إذا مات شيخه.

٢١ - الصبر على امتحان الشيخ قبل أخذ الطريق.

٢٢ - عدم الالتفات إلى عرض الدنيا.

٢٣ - غض البصر عن رؤية الصور المستحسنة.

٢٤ - السعي لبلوغ مقامات أهل الطريق.

٢٥ - عدم التصدر للإرشاد إلا بإذن الشيخ.

٢٦ - المحافظة على آداب الشريعة.

٢٧ - مجاهدة النفس في ترك الشهوات.

٢٨ - حفظ العهد مع اللّٰه تعالى.

٢٩ - قصر الأمل.

٣٠ - التجرد وعدم الالتفات إلى حطام الدنيا.

٣١ - شرف الهمة.

٣٢ - البعد عن مجالسة الغافلين.

٣٣ - أن لا يطلب التميز عن إخوانه.

٣٤ - التباعد عن فعل ما يميت قلبه.

٣٥ - أن لا يقطع مجلس الذكر قبل أن يغيب عن الأكوان.

٣٦ - تجنب الاعتناء بظاهره إلا بقدر الضرورة.

٣٧ - تغيير هيئة لباسه المخالف لهيئة القوم.

٣٨ - مداومة النشاط ومجاهدة الكسل.

٣٩ - كثرة الإطراق وقلة الالتفات.

٤٠ - مداومة ذكر اللَّه في كل الأوقات.

٤١ - التعاون على البر والتقوى.

٤٢ - اتباع الشرع في سنن الفطرة وآداب الطعام ونحو ذلك.

٤٣ - الحذر من الاهتمام بظهور شأنه.

٤٤ - الإيثار لغيره على نفسه، مما يشير ذلك في (ص٦٤) للمفهوم النفسي (الإيثار **Altruism**).

٤٥ - التباعد عمن لا يعمل بعلمه.

٤٦ - عدم الالتفات إلى ما خرج عنه قبل دخوله في الطريق.

٤٧ - الاجتهاد في طاعة ربه في أول بدايته.

٤٨ - البعد عن الجدال وكل ما فيه حظ للنفس.

٤٩ - البعد عن الحرام والشبهات.

٥٠ - الصبر على السهر والجوع والعزلة مع المحبة والتسليم للشيخ.

٥١ - الفرار ممن يتجرأ على أهل الطريق.

٥٢ - الحرص على شهود الأسحار وفعل السنن والأوراد والتباعد عن المعصية، وترك الادعاء.

٥٣ - جمع الهمة على قراءة أوراد الطريق والإقلال من مجالسة أهل الغفلة.

٥٤ - توبيخ النفس وحثها على السير في الطريق.

٥٥ - الخلو من الحسد والغيبة.

٥٦ - أن يسد عنه باب تعظيمه من المخلوقين.

٥٧ - اختيار أستاذه في علم الشريعة زاهدًا ورعًا.

٥٨ - التقليل من النوم لا سيما وقت السحر والثبات والصدق في طلب الطريق.

٥٩ - تحمل الأذى والمواظبة على النسك والعبادة.

٦٠ - أن تكون أعماله على وفق الشريعة.

٦١ - الصبر على الجوع.

٦٢ - الاشتغال بذكر اللَّه - تعالى - مع حضور القلب.

٦٣ - أن يكون عنده شوق للطريق وأهلها.

٦٤ - أن لا يسامح نفسه في الاشتغال بشيء من الكون ولا يصحب أبناء الدنيا.

٦٥ - رفع الهمة عن طلب الأجر.

٦٦ - الصبر على الامتحان.

٦٧ - العناية بطهارة الظاهر والباطن.

٦٨ - أن لا يتزوج أو يطلق إلا بإذن الشيخ.

٦٩ - أن لا يقلق من تنكرات الأحوال عليه أول دخوله في الطريق.

٧٠ - التورع عن الحرام والشبهات.

٧١ - قطع النظر عن زلاته السابقة على دخوله في الطريق.

٧٢ - أن لا يستبطئ الفتح عليه.

٧٣ - أن يلازم الزهد في الدنيا.

٧٤ - أن يلازم ما أمر به شيخه.

٧٥ - أن يسد على نفسه باب الشهوات.

٧٦ - أن يحن إلى دخول الليل لأجل قيامه.

٧٧ - إظهار الذلة والانكسار إذا هجره إخوانه.

٧٨ - مداومة العمل بروحه أو جسده.

٧٩ - استواء مدح الناس وذمهم عنده.

٨٠ - أن يجعل قلبه دائمًا متوجهًا إلى اللَّه وحده.

٨١ - الخروج من بين الإخوان إذا رأى من نفسه عدم الصدق.

٨٢ - أن لا يزاحم الرجال إلى أن يلتحي.

٨٣ - أن لا يتقلق من طول مجلس الذكر.

٨٤ - أن لا يدعي الصدق في طلب الطريق.

٨٥ - أن يواظب على ما يحفظ حياة قلبه.

٨٦ - أن لا يصبر على ذنب بل يتوب عقبه فورًا.

٨٧ - أن لا يسكن بقلبه إلى غير ربه.

٨٨ - النفرة عن كل من يشغله عن اللَّه ﷻ.

٨٩ - أن يكون مقدس الباطن من سائر الذنوب.

٩٠ - أن لا يتساهل في الأكل من طعام الغير.

٩١ - أن يكون خصمًا لنفسه ما أمكن.

٩٢ - أن لا يتصدر لإزالة منكر إلا بعد تعلم السياسة التامة.

ويشير ذلك كله من (ص٦٥ إلى ١١٣) إلى إطار تصوري وخطة عمل إجرائية مفيدة نابعة منه (لتعديل السلوك، وبناء الشخصية المتكاملة **Behavior Modification & Integrative Personality**).

الباب الثاني: في بيان نبذة من آداب المريد مع شيخه:

إن عمدة الأدب مع الشيخ، هو المحبة له؛ فمن لم يبالغ في محبة شيخه بحيث يؤثره على جميع شهواته، لا يفلح في الطريق؛ لأن محبة الشيخ، إنما هي مرتبة إدمان، يترقى منها إلى مرتبة الحق جل وعلا، كما أن من شرط المحب لشيخه أن يصم أذنه عن سماع كلام أحد في الطريق غير شيخه، وإذا تعذر الفتح على المريد لام نفسه، كما أنه لا يصح دخول الطريق قبل التوبة، وإذا لم يكن للمريد أستاذ يأخذ منه طريقه نفسًا بنفس فهو عابد لهواه، ويشير ذلك في (ص١٢٣) لمفهوم (التعلم **Learning**).

والمريد لا يكتم عن شيخه شيئًا من أحواله، ولا يفعل معه شيئًا يغضبه، ولا يتكدر مما يكلفه به، ويلزم الأدب معه في مجلس الذكر، ولا يشرك معه أحدًا في المحبة، ويحافظ

على الصلاة في زاوية شيخه، ولا يلتفت لشيء من الدنيا، ولا يكتفي باعتقاده في الشيخ، ولا يغير اعتقاده في شيخه، ويرى افتقاره دائمًا لعلم شيخه، ويجمع دائمًا قلبه على اللَّه تعالى، ولا يتساهل بهجر شيخه، ويكثر الشكر على اجتماعه بالشيخ، ولا يتعب شيخه في تربيته، ولا يقول لشيخه لم؟ ولا يرى أنه كافأ أستاذه أبدًا، ولا يأتي حضرة أستاذه إلا بالصدق، ويلازم أستاذه أبدًا ما عاش، ويخدم من قدَّمه أستاذه عليه، ولا يعترض على شيخه أبدًا، ويصبر على تشدد الشيخ معه، ولا يأتي شيخه إلا بنية الاهتداء به، ولا يبدأ شيخه بالسؤال إلا لضرورة، كما أنه يلزم الأدب مع شيخه ولا يطلب منه كرامة، ولا يقيم ميزان عقله على كلام شيخه، ويفتح لإخوانه باب الأدب مع شيخه، ويمتثل أمر شيخه ونهيه، ويعتقد كمال شيخه، وينفذ إشارة شيخه، ويخبر أستاذه بما في قلبه، وينشرح صدره لما منعه عنه شيخه، ويصحب شيخه للتربية لا لعلة أخرى، ولا يتجسس على شيخه، يزيد من اعتقاده في شيخه كلما استتر، ولا يقنع في طريقه بالآباء والأجداد، ويزداد تعظيمًا لشيخه على مر الأيام، ويعتقد في طريقة شيخه أنها على الكتاب والسنة، ويفرغ قلبه لما حصله من العلم إذا جلس بين يدي شيخه، وعليه أن يبادر إلى مصالحة شيخه، ويشكو لشيخه خواطره المستقرة، ويؤول أفعال شيخه، ويفعل ما يأمره به شيخه بغير توقف، ويفني اختياره في اختيار شيخه، ويتبع شيخه في الحب والبغض.

ويشير كل ذلك للمفهوم النفسي (تعلم بالاقتداء **Learning by modeling**) (ص١٧١).

الباب الثالث: في بيان نبذة من آداب المريد مع إخوانه:

من أدب المريد مع إخوانه أن لا ينظر لهم أبدًا إلى عورة، وينفق على نفسه وعلى إخوانه كلما فتح اللَّه عليه، وأن يكون عنده شفقة على دين إخوانه، ويتباعد عن حب الرئاسة، ومسامحته لإخوانه، ومعاملتهم بالكرم والإيثار وعدم تصديق النمام، والتبكير في حضور مجلس الذكر أو العلم كالصلاة، وعدم الخروج من المجلس قبل انتهائه، وعدم الانصراف من المجلس إلا بإذن الشيخ، ويحب لإخوانه ما يحب لنفسه، وذكر اللَّه - تعالى - في أوقات الغفلة، والصبر على الإخوان، وتحذيرهم من سلوك مواطن التهم، وإرشادهم وتعليمهم، وتقدمه عنهم في كل عمل شاق، والقيام بحقوقهم، وإرشادهم إلى ترك البغي، ويشير ذلك في (ص٢٤٦) لمفهوم (**الإرشاد النفسي Counseling**)، وخدمة من مَرِضَ منهم، وخدمة المكفوفين والعجائز والأيتام، وخدمة الأشراف المجاورين في

الزاوية، وكف الظالم عن ظلمه، والصفح والعفو عن زلل الإخوان، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والعفو، والاعتراف بالفضل لمن أحسن إليه، وإكرام كل وارد عليه منهم، وعدم استهانته بحقهم، وإعانتهم في الزواج، وعدم تحقير أحد منهم، وتقديم حوائج إخوانه الضرورية على عباداته، يشير ذلك كله من (ص٢٤٧ إلى ٢٥٨) لمفهوم (**إدارة العلاقات الشخصية Interpersonal Management**).

الخاتمة: في ذكر آداب القوم وشروطهم العامة:

- أدبهم في الأكل:

أن يجتمعوا في الأكل على السفرة، ولا يأكلون فرادى، ومن آدابهم أن لا يعض أحدهم اللقمة واللحمة والقلقاسة فيجدها حارة فيردها إلى الوعاء، وهو ما يشير في (ص٢٦٥) إلى مفهوم (**إدارة السلوك الصحي Management Healthy Behavior**)، ومن آدابهم قلة التحدث على الأكل، وقلة الضحك والمزح.

- آدابهم مع اللَّه:

أن يتعرضوا لنفحات الحق في الليل والنهار، فإن له - تعالى - نظرات إلى قلوب عباده في كل يوم وليلة، فيمنحهم - تعالى - فيها من لطائفه، ومعارفه، وأسراره ما يشاء بقدر استعدادهم.

- آدابهم في السماع:

أن لا ينفعلوا فيه خوفًا من الوقوع في النفاق، وكان الشبلي - رحمه اللَّه - يقول: السماع ظاهره فتنة، وباطنه عبرة؛ فمن عرف السماع وفتنته خاف منه، وكان يقول: لا يصلح السماع إلا لمن ذبح نفسه بسيوف المجاهدات وحيَّ قلبه بنور الموافقات، وهو لأهل المعرفة غذاء لأرواحهم.

- آدابهم في مجالسهم وأحوالهم:

البعد عن مواطن التهم، ومن شأنهم أن لا يقعد معهم في مجلس سماعهم منكر عليهم، وأن يعاملوا كل وقت بما يناسبه، ومن شأنهم المؤاخذة بالنسيان وبكل أمر يوقفهم عن الترقي؛ لأنهم سيارون على الدوام، وينصفوا الناس من أنفسهم بينما لا ينصفون أنفسهم من أحد، وأن لا يغش أحد منهم أحدًا، وأن لا يعدوا أحدًا بوعد إلا في النادر؛ لأن صدق الوعد إنما يكون للأنبياء لعصمتهم، ومن شروطهم الورع والتثبت في كل ما يروونه عن

رسول اللَّه ﷺ، وشدة الورع وكثرة التوقف عن الأكل مما بأيدي أهل زمانهم حتى يعلموا ورعه في كسبه، ومنها أيضًا حفظ آداب الشريعة، والصدق، وأن ينظروا إلى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازدراء والاحتقار، وإغاثة الملهوف... إلخ.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الاقتداء المتخيل Covert Modeling.**
- **الاقتداء Modeling.**
- **الاسترخاء الذاتي Self Relaxation.**
- **ضبط الذات Self Control.**
- **الالتزام الديني Religious Commitment.**
- **الراعي Mentor.**
- **الإيثار Altruism.**
- **تعديل السلوك Behavior Modification.**
- **بناء الشخصية المتكاملة Integrative Personality.**
- **تعلم بالاقتداء Learning by Modeling.**
- **الإرشاد النفسي Counseling.**
- **إدارة العلاقات الشخصية Interpersonal Management.**
- **إدارة السلوك الصحي Management Healthy Behavior.**

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

إيقاظ الهمم في شرح متن الحكم



- تأليف/ الحسني، أحمد بن محمد بن عجيبة (١٢٦٦هـ).
- القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١٩٨٢م)، ط ٣.

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٥٢٥) صفحة من القطع الصغير، يبدأ بمقدمة المؤلف حول الهدف من تأليف الكتاب وعرض لمحتوى الكتاب ويتضمن تعريف التصوف وموضوعه واسمه وحكم الشارع فيه، وتصور مسائله، وفضيلته ونسبته وثمرته، ثم جزء حول سيرة الشيخ وترجمته.

وعرف التصوف على أنه أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام، وأنه بُني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التدبير والاختيار والأخذ بالحقائق.

وموضوع التصوف هو الذات العلية، ويبحث عن تصفية النفوس والقلوب والأرواح وتهذيبها وأول من وضعه هو سيدنا رسول اللَّه ﷺ، واسمه هو علم التصوف ومستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين، ودخل عليه بعض من علم الفقه. وتصور مسائله هي معرفة اصطلاحاته ومنها الإخلاص والصدق والزهد والورع والرضى والتسليم والمحبة والعناء والبقاء والذات والصفات والقدرة والحكمة والروحانية والبشرية.

وذكر أن فوائد الخلوة عشرٌ هي: السلامة من آفات اللسان، وحفظ البصر، وحفظ القلب وصونه من الرياء، وحصول الزهد في الدنيا والقناعة منها، والسلامة من صحبة الأشرار، والتفرغ للعبادة والذكر، ووجدان حلاوة الطاعات، وراحة القلب والبدن، وصيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور، والتمكن من عبادة التفكر والاعتبار.

ثم أخذ في وصف صفات اللَّه وجلاله من كونه الحق ولا يحجبه شيء، وهو الظاهر

للعيان في مظاهره الرحمن وأنه الدهر.

وذكر أن العارف باللّه يتطلب أن تكون همته عالية وعرف الهمم على أنها جمع همة وهي قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام به، وإذا كانت عالية تطلب معرفة اللّه وإن كان طلبها دنيويًّا سميت همة دنية (هذا المفهوم قريب من الدافعية **Motivation**) (ص١٩).

وأن العارف باللّه ينبغي أن يقوم بالتدبير وهو النظر في الأمور وأواخرها وهو ثلاثة أقسام: مذموم ومطلوب ومباح. (مفهوم التفكير **Thinking**) (ص٢٠).

وذكر أن الأعمال: عبارة عن الحركة الجسمانية أو القلبية، (وهو مفهوم **السلوكيات الحركية إرادية ولا إرادية Motor Behavior**)، والصور: جمع صورة وهو ما يتشخص في الذهن من كيفيات (وهو مفهوم الصور العقلية **Mental Images**) (ص٣٠).

وذكر آداب الحضرة القدسية ومنها ترك الرعونة البشرية وهي الأفعال الحمقاء، ومن آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن، وانتهاز الفرصة في العمل وذكروا أن العاقـل يجب أن يكون بصيرًا بزمانه، مقبلًا على شأنه، حافظًا للسانه. ومَنْ حسَبَ كلامَهُ مِنْ عَمِلِهِ قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه. وأن يكتفي العارف بعلم اللّه والاستغناء عما سواه، ورفع اهتمامه بالأكوان ودوام الترقي في مقامات العرفان فيكون فناء في اسم وذات اللّه. وأن يطلب الحق ويكون بالتفرغ والابتهال عن طريق البحث والاستدلال (مفهوم **الاستدلال Reasonin**) (ص٦٧)، وطلبك لغيره يكون بالتعرف والإقبال، وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال.

وأن يسلم ويرضى بما يجري به القدر والقضاء، ثم دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة، وأن يكون تصرف باللّه وله ومن اللّه وإلى اللّه.

وذكر أن العيوب ثلاثة أنواع:

١ - **عيوب النفس**: وتعني تعلقها بالشهوات الجسمانية كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن والمناكح.

٢ - **عيوب القلب**: وهي تعلقه بالشهوات كحب الجاه والرياسة والعز والكبر والحسد والحقد.

٣ - **عيوب الروح**: وتعني تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات وعلى

المريد التطهر من جميع ذلك.

وذكر أن أوصاف البشرية هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبودية وهي أمران:

١ - تعلق القلب بأخلاق البهائم، وهي شهوة البطن والفرج وحب الدنيا وشهواتها.

٢ - التخلق بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد والحقد والغضب والحدة وهي القلق، والبطر وهو خفة العقل، والأشر وهو التكبر وحب الجاه والرياسة والمدح. (**مفهوم الغضب Anger، التوتر Tension، البطر وهو خفة العقل ويعني الهوس Mania**) (ص٨٣، ص٣٩٠).

وأن موت القلب سببه ثلاثة أشياء: حب الدنيا، والغفلة عن ذكر اللَّه، وإرسال الجوارح في معاصي اللَّه. وسبب حياته ثلاثة أشياء: الزهد في الدنيا، والاشتغال بذكر اللَّه، وصحبة أوليائه. وعلامة موته ثلاثة أشياء: عدم الحزن على ما فات من الطاعات، وترك الندم على ما فعلت من الزلات، وصحبتك للغافلين الأموات.

ثم ذكر أن الطمع هو فساد الدين وعكسه الورع وهو صحة اليقين، وأن العارف من الشاكرين، وقسم الشكر إلى ثلاثة أقسام:

- **شكر اللسان**: وهو التحدث بنعم اللَّه.
- **وشكر الأركان**: بمعنى العمل بالطاعة للَّه تعالى.
- **وشكر الجنان**: بالاعتراف بأن كل نعمة بك هي من اللَّه.

وتحدث عن الحزن على أنه التحسر على شيء (**مفهوم الحزن Sadness**) (ص١٥٢)، وقسمه إلى ثلاثة أقسام:

- **حزن الكاذبين** وهو عدم النهوض واستدراك ما فات.
- **وحزن الصادقين** هو حزن مصحوب بالجد والاجتهاد ومحاولة استدراك ما فات.
- **وحزن الصديقين** هو حزن فوات الأوقات والركون للحظوظ والشهوات.

وقسَّمَ أيضًا المؤلف الخشوع في الصلاة إلى ثلاثة أقسام :

١ - خشوع خوف وانكسار وإذلال وهو للعباد والزهاد.

٢ - خشوع تعظيم وهيبة وإجلال، وهو للمريدين السالكين.

٣ - خشوع فرح وسرور وإقبال وهو للواصلين العارفين.

أما النفس والعقل والروح والسر فشيء واحد، لكن تختلف المسميات باختلاف المدارك، فما كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس، وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فمدركه العقل، وما كان من مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح، وما كان من مدارك التحقيقات والتمكنات فمدركه السر، والمحل واحد. (**مفهوم النفس Psych، والعقل Mind**) (ص١١٢).

وذكر أن العارف باللّه ينبغي أن يكسر عوائده، وعرَّف العوائد على أنها كل ما تعودته النفس وأَلِفته واستمرت معه حتى صعب خروجها منه، وقسمها إلى ظاهرة حسية وباطنة معنوية، والحسية هي الأكل والشرب والنوم واللباس وخلطة الناس وكثرة الكلام، أما المعنوية فهي حب الجاه والرياسة وحب الدنيا والحسد والكبر. (**مفهوم العوائد Habits**) (ص٢٣٩).

وعرف الحكماء بأنهم العارفون باللّه الذين يتكلمون باللّه غائبون عن أنفسهم، وعرف مفهوم الحكمة على أنه النظر إلى الأسباب، ولا بد أن تجتمع مع النظر إلى المشيئة وهي القدرة وتقتضي وجود العمل (مفهوم الحكمة **Wisdom**) (ص٣٠٨).

كما ذكر أن العارف هو العاقل العارف باللّه ولو قل له ذكره باللسان، والغافل هو الجاهل ولو كثر ذكره باللسان؛ فالغافل نفسه موجودة إذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدبر شئونه ومآربه وحدسه، فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته، فإذا مسح القضاء ما أبرمه وهدم أمله غضب وسخط وحزن وقنط؛ فأساء أدبه. أما العارف فإذا أصبح فنظر ماذا يفعل اللّه فتلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة ليقينه باللّه (وهو ما تعتمد عليه أساليب العلاج العقلي الانفعالي في علم النفس).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الدافعية Motivation.**
- **التفكير Thinking.**
- **الحركة الجسمانية Motor Behavior.**
- **الصور العقلية Mental Images.**
- **الاستدلال Reasonin.**

- الغضب **Anger**.
- التوتر **Tension**.
- الهوس **Mania**.
- الحزن **Sadness**.
- النفس **Psych**.
- العقل **Mind**.
- العوائد **Habits**.
- الحكمة **Wisdom**.

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

* * *

بهجة الأسرار ومعدن الأنوار
في ذكر بعض مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني

- تأليف/ الشطنوفي، نور الدين علي بن يوسف.
- القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي (١٣٣٠هـ).
- (طبع بطول هامشه الجانبي كتاب « فتوح الغيب » للجيلاني).

* * *

التعريف بالمؤلف:

« الشطنوفي » نور الدين علي بن يوسف، هو تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني وأحد مريديه، وقد كتب هذا الكتاب استجابة للدعوة إلى جمع بعض ما قيل في الشيخ عبد القادر الجيلاني.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٣٨) صفحة من القطع الكبير، بطول (٣٠) سم، خلاف الفهرس، ويحتوي على خمس عشرة فقرة، وجمع المؤلف بعض ما وقع له من قول الشيخ الجيلاني فألف هذا الكتاب، حيث اشتملت فقراته على ذكر أخبار المشايخ والمريدين له، وأخبار حول نسبه وخلقه وعلمه ووعظه وتعظيم الأولياء له، ووفاته ووصاياه، وختمه ببعض مناقب أصحابه وأتباعه.

عرض ملخص الكتاب:

١ - آراء الشيخ عبد القادر في عدد من الموضوعات:

أ - قال في التصوف: الفرق بين المتصوف والصوفي أن الأول هو المبتدئ الشارع في طريق الوصل، والثاني هو المنتهي من قطع الطريق ووصل إلى مَن إليه القطع. كما ذكر أن الصوفي هو من تصفى من الكدر ومن الأحداث، وأصبح القدر والمشيئة هما متنفسه ومستراحه، ويتعلق هذا بما يعرف بالتسامي (**Transcendence**) (ص٦٠).

ب - وقال: إن التقوى ثلاثة أنواع: تقوى العامة وهي ترك الشرك، وتقوى الخاصة وهي ترك الهوى والمعاصي، وتقوى خاصة الخاصة وهي ترك الإرادات في الأشياء وامتثال الأمر.

جـ - وقال في الورع: هو التوقف في شيء وترك الإقدام عليه، وهو ثلاث درجات: ورع العوام عن الحرام والشبهة، وورع الخواص عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة، وورع خواص الخواص وهو ورع عن كل ما لهم فيه إرادة، ولا يتم الورع إلّا بعشر خصال هي:

١ - حفظ اللسان عن الغيبة.

٢ - اجتناب سوء الظنّ.

٣ - اجتناب السخرية.

٤ - صدق اللسان.

٥ - غض البصر.

٦ - معرفة منّة اللَّه عليك.

٧ - إنفاق المال في الحق.

٨ - عدم طلب العلوّ والكِبر.

٩ - المحافظة على الصلوات في مواقيتها.

١٠ - الاستقامة على السُّنة والجماعة.

د - قال في خواطر القلب: إن للقلب خواطر ستة وهي:

١ - خاطر النفس: ويأمر باتباع الشهوات.

٢ - خاطر الشيطان: ويأمر بالكفر والتسويف بالتوبة.

٣ - خاطر الروح: وهو مع خاطر المَلَك يردان بالحق والطاعة للَّه وهما محمودان.

٤ - خاطر اليقين: وهو روح الإيمان ومزيد من العلم.

٥ - خاطر العقل: وهو تارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، وأخرى بما يأمر به الروح والمَلَك.

٦ - خاطر المَلَك: وهو مع خاطر الروح يمثلان الحق والطاعة.

والخواطر في نظره خطاب، فإذا كانت من قِبَل المَلَك فهي إلهام **Inspiration** (ص٧٥)، وإذا كانت من قبل الشيطان فهي وسواس **Obsessions** (ص٧٧)، وإذا كانت من قبل النفس فهي هاجس **Dellusions** (ص٧٧)، وإذا كانت من قبل اللَّه فهي

الحق، ومن علامات الإلهام أنه يرد بموافقة العلم بمعنى أن كل إلهام لا يشهد له ظاهر أو دليل **Inference** فهو باطل، أي دون عرض الدليل على أنه صادق أو محمل الصدق فهو باطل وغير صحيح. ومن علامة الهاجس اللجاج في طلب وصف خصائص صفات النفس، ومن علامة الوسواس الدافع إلى الشر أنه إذا دعا إلى زلة فخولف فيها وسوس بزلة أخرى.

هـ - قال في العقل والشرع: إن العقل والشرع نوران دخلا منافذ قلب المؤمن وامتزجا فيه.

و - كما فرق الشيخ « عبد القادر » بين النفس والهوى والروح والعقل، وقال أن النفس في الإنسان من جنود سلطان الهوى، والروح من جنود سلطان العقل.

ز - قال في الفناء: أن يبقى اللَّه وحده كما كان قبل الخلق، ويقول الشيخ: افن عن الخلق لحكم اللَّه، وعن هواك بأمر اللَّه، وعن إرادتك بفعل اللَّه، فعندئذ تصلح أن تكون وعاءً لعلم اللَّه.

ح - قال في المعرفة باللَّه تعالى: هي الإطلاع على معاني الخفايا، وهي ثلاث درجات؛ معرفة الصفات، ومعرفة الذات، ومعرفة مستغرقة في محض التعريف، ولا يدل عليها شاهد. كما وصف المؤلف طريقة الشيخ « عبد القادر » فقال: إن طريقته التوحيد وصفًا وحكمًا وحالًا، وتحقيقه الشرع.

ومن أقوال الشيخ « عبد القادر الجيلاني »: يا معاشر العارفين اسمعوا بآذان العقول كلام ربكم ﷻ، وأنصتوا بأسماع الأفهام إلى قول بارئكم - سبحانه -، وتدبروا بأفكار القلوب معاني أوامره، واجنوا بنحل أرواحكم شهد حكمه، وانظروا بأبصار بصائركم.

٢ - ذكر وعظه:

يذكر أن أول جلوس للشيخ للوعظ كان في شوال سنة (٥٢١هـ)، في مجلس تجلُّه الهيبة، وتحف به الملائكة والأولياء، فأسرعوا إلى الانقياد له، وقيل: إنه في أحد مجالسه والتي حضرها نائب الوزارة وعدد من الأكابر، خاطبهم الشيخ بمكنون سرائرهم حتى غدت دموعهم سائلة، ورؤوسهم مائلة، وأراهم أعمالهم السافلة، فهم منها وَجِلون، فلامه أحد الشرفاء وقال: لقد قتلتهم، فرد الشيخ أن كَفّ القيم متى لم تكن خشنة لم تخرج الوسخ.

٣ – ذكر شيء من شرائف أخلاقه:

أخبر الشيخ « أبو المعمر الواعظ » قال: ما رأت عيناي أحسن خلقًا، ولا أوسع صدرًا، ولا أكرم نفسًا، ولا أعطف قلبًا، ولا أحفظ عهدًا من الشيخ عبد القادر. وكان مع جلالة قدره وعلو منزلته يقف مع الصغير ويوقر الكبير ويتواضع للفقراء. ويقول الشيخ « البزاز » عنه أن أخلاقه كانت رضية، وأوصافه زكية، ونفسه أبية، وكفه سخية.

٤ – ذكر علمه وتسمية بعض شيوخه:

أخبر « الشريف الموصلي » أن الشيخ عبد القادر كان يتكلم في ثلاثة عشر عِلمًا، فكان يذكر درسًا من التفسير ودرسًا من الحديث ودرسًا من المذهب وغيرها، ويذكر أنه في أحد المجالس قرأ آية، وفسرها بأربعين وجهًا يعزو كل وجه إلى قائله، مما يدل على سِعَة علمه.

٥ – ذكر شيء من أجوبته:

سئل الشيخ عن الموارد الإلهية **Inspirations** فقال: لا تأتي باستدعاء ولا تذهب بسبب. وسئل عن المحبة فقال: تشويش في القلوب يقع من المحبوب فتصبح الدنيا عليه كحلقة خاتم، وسئل عن التوحيد فقال: هو إشارة من الصابر بإخفاء سر السرائر، وسئل عن الشكر فقال: الاعتراف بنعمة المنعم وهو شكر باللسان، وشكر بالأركان، وشكر بالقلب، وسئل عن الصبر فقال: الوقوف مع البلاء بحسن أدب مع اللّه، وهو صبر للّه، وصبر مع اللّه، وصبر على اللّه، كما سئل عن التفريد فقال: هو إشارة من المفرد إلى الفرد عن تفرده عن الكونين.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **تسامي Transcendence.**
- **إلهام وموارد إلهية Inspirations.**
- **وسواس Obsessions.**
- **هواجس Dellusions.**

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

تاج العارفين



- تأليف/ الجُنيد البغدادي (٢١٥ - ٢٩٧هـ).
- الأعمال الكاملة.
- دراسة وجمع وتحقيق: د. سعاد الحكيم.
- القاهرة: دار الشروق (٢٠٠٧م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو الجُنيد البغدادي (٢١٥ - ٢٩٧هـ). وُلد في بغداد في أواخر عهد المأمون. كان والده قواريريًّا، يمتهن بيع الزجاج، وقد توفي والجُنيد لا يزال صغيرًا، فتولى الاهتمام به خاله المربي الصوفي الشهير سري السقطي، فأعطى للجُنيد مثالًا ملموسًا للمجاهدة والعبادة والمحبة والتوحيد. وتـأثر الجُنيد بالحارث المحاسبي وهو صوفي بغدادي، وضع علوم عديدة في علوم الصوفيـة. واكتسـب الجُنيد العلوم الفقهية بالتعلم على أبي ثور الفقيه الشافعي، وبلغ مرتـبة الإفتـاء، وكان يفتـي في حلقـته بحضرته وهو ابن عشرين.

لم يكد يبلغ الجُنيد ثلاثين سنة، حتى رأى سري السقطي أنه أصبح مؤهلًا للتدريس، وإدارة حلقة علم عامة في مسجد المنصور. ولعل الجُنيد هو أول صوفي جلس للتدريس في حلقة عامة في مسجد يعد من أهم مساجد بغداد. ومع تصدي الجُنيد للتعليم في حلقة عامة في المسجد، أرسى قواعد العلم الصوفي، كواحد من العلوم الإسلامية جنبًا إلى جنب مع عـلم الفقه، والحديث، والتفسير وغيرها. وعندما انتشر في الناس أن الجُنيد قعد للكلام، أمَّ مجلسه متعلمون، وعلماء في كافة الاهتمامات والاختصاصات. وقد ذاعت أخبار مجلسه في الآفاق، ولعب دورًا في حياة بغداد الثقافيـة. ولـم يكن الجُنـيد معتزلًا العمل في الدنـيا، ومنقطعًا إلى عمل الآخرة، كما لم يكن متخذًا التعليم مهنة رغم جلوسه للتدريس في جامع المنصور؛ حيث كان يعمل خزازًا، يبيع الأقمشة الحريرية.

فكر الجنيد وتعليمه الصوفي:

سوف نقسم فكر الجنيد الصوفي إلى ثلاثة أقسام:

في القسم الأول: نعرض نظريته في الوجود الإنساني.

وفي القسم الثاني: نوضح مبادئ الطريق الصوفي ومراحله.

وفي القسم الثالث: نوضح ماهية الوصول، وهوية الواصل.

١ - نظرية الجُنيد في الوجود الإنساني:

تعلن أقوال الجُنيد أن جوهر الإنسان هو التوحيد. والإنسان الكامل الإنسانية، الكامل الوجود، هو الإنسان الذي بلغ في التوحيد أعلى منازله، إنه الموحد حقًّا، وإنه المتحقق بتمام الوجود وأمضاه. لقد احتلت « آية الميثاق » مركز المحور في تفكير الجُنيد ومساره الروحاني، وتصور هذه الآية الكريمة مشهدًا يضم كافة الجنس البشري، في نشأة ذريَّة بني آدم. وفي هذه النشأة، وفي عالم لا نحيط بمكانه وزمانه وماهيته، يأخذ الحق تعالى إقرار ذرية بني آدم كافة على أنه ربهم. يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. لقد حمَّل الجُنيد هذه الآية جوهر نظريته كلها:

أ - أنها بداية الوجود الإنساني الفاعل، الواعي، السميع والمجيب، وفيها تميزت الكائنات البشرية، وكانت درجات في مواهب ربهم.

ب - كما أنها ستكون غاية السلوك الروحاني، ومحرِّض الرياضات، والمجاهدات، وألوان الفناءات. هذه اللحظة الفريدة بين الحق وخلقه في الميثاق، هي اللحظة التي تختزن الحال الأكمل للإنسان، والتي سوف يحن أبدًا إليها عندما يحل في العالم الأرضي. وتتلخص رؤية الجُنيد في الوجود الإنساني في أن الإنسان الواحد له وجود واحد، ولكن لهذا الوجود الواحد حال أعلى من حال، ونشأة أعلى من نشأة. وهذه الأحوال المتفاوتة في الكمال الوجودي قد تكون في عالم بعد عالم، مثلًا في عالم الذر، ومن بعده في عالم الدنيا، كما أنها تكون في العالم نفسه، فيرقى الإنسان من حال إلى حال أكمل بالرياضة، والمجاهدة والوهب الإلهي. إن الناس جميعًا، كانوا على أكمل نشأة تخصهم، حين كانوا على صورة ذر، أخذهم ﷻ من ظهور آبائهم، أسمعهم خطابه ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾، وأقدرهم على الردِّ، فقال الكل: ﴿ بَلَىٰ ﴾، لم يمانع إنسان، ولكن على الرغم من هذه

الموافقة العامة، فإن المخاطبين كانوا مراتب في المواهب الإلهية، فمنهم من وهب لهم سبحانه حبه حين أوجدهم، فكانوا أسرع تلبية منَّة منه وفضلًا. وعلى الرغم من تفاوت الناس في موافقتهم في آية الميثاق، فإنهم متساوون جميعًا في الفناء (ص٣١ - ٣٣).

٢ - السلوك الصوفي: أصوله ومراحله:

أ - أصول السلوك ومنطلقاته: يؤكد الجُنيد أن التصوف والطريق التي تسلكها الصوفية هي اتباع نبوي لا إبداعي صوفي؛ فالصوفي يبدع في حدود المسموح، ولا يمارس فتوحاته في الممنوع. كما يدافع عن العلم الصوفي؛ فالعلم الصوفي هو علم إلهامي، لدُنيٌّ، موهوب، لا يكتسبه الإنسان بالتعلم من الكتب، أو من الناس، بل يستفيده من « جلوسه بين يدي اللّه » (ص٣٥).

ب - الأصول التي يبني الجُنيد عليها طريق الوصول: يريد الجُنيد أن يصل، ويصل بمن أراد السلوك من المريدين إلى مقام الفناء الكامل، أي إلى التوحيد الكامل؛ لذلك يتخذ من المجاهدات، والرياضات وسائل لتصفية النفس، وتغيير أخلاقها الطبيعية، ومن أهم الرياضات لديه: الجوع، والزهد في الدنيا، وعدم الركون إلى عادة مألوفة ومستحسنة، والسهر، والصمت. يُمارس السالك هذه الرياضات ليفني نفسه عن الأسباب، فيلحق سره بالحق، ليموت عن نفسه، ويحيى بالحق (ص٣٦، ٣٧).

جـ - مراحل الطريق الصوفي: أكثر المتصوفين يجعلون الطريق سبعة مقامات، تترقى فيها النفس الإنسانية من حال إلى حال، وهذه المراتب السبع للنفس هي: النفس الأمارة، والنفس اللوامة، والنفس الملهمة، والنفس المطمئنة، والنفس الراضية، والنفس المرضية، والنفس الكاملة (ص٤٠).

٣ - ماهية الوصول:

يصل السالك في نهاية الطريق الصوفي إلى صيغته الوجودية التي كان عليها في البداية، النهاية عين البداية. والواصل هنا يحظى بأسماء كثيرة، كل اسم استحقه من حيثية مختلفة؛ فالواصل هو الموحد، وهو الفاني، وهو صاحب الوجود الأتم الكامل، وهو الولي، وهو المحبوب، وهو الصوفي.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٧٦) صفحة. ويتكون من ستة أقسام تبعًا للموضوع:

* **يتناول القسم الأول** (ص٨١ - ٢٢٤) أقوال الجنيد المأثورة مرتبة هجائيًّا.

وقد ورد في هذا الجزء الإشارة إلى المفاهيم التالية:

١ - **الصواب**: كل نطق عن إذن (ص٨٥).

٢ - **الإيمان**: التصديق والإيقان، وحقيقة العلم بما غاب عن الأعيان. وهو ما وقر في القلب من العلم باللَّه، والتصديق بما أخبر من أموره في سائر سماواته وأرضه، مما ثبت في الإيقان (ص٨٩).

٣ - **البلاء**: يكون على ثلاثة أوجه: على المخلطين عقوبات، وعلى الصادقين تمحيص جنايات، وعلى الأنبياء من صدق الاختيارات (ص٩٤).

٤ - **التوبة**: تكون على ثلاثة معانٍ: أولها الندم، والثاني العزم على ترك المعاودة إلى ما نهى اللَّه عنه، والثالث السعي في أداء المظالم (ص٩٦).

٥ - **المحبة**: ميلك إلى الشيء بكُلِّـيَّتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سرًّا وجهرًا، ثم علمك بتقصيرك في حبه. وهي إفراط الميل بلا نيل (ص٩٨).

٦ - **الحياء**: رؤية الآلاء ورؤية التقصير (ص١١١).

٧ - **الخشوع**: تذلل القلوب لعلام الغيوب (ص١١١).

٨ - **الإخلاص**: يرد على عدة معانٍ، نذكر منها: تصفية العمل من الكُدُورات، وارتفاع رؤيتك، وفناؤك عن الفعل. وهو ما أريد به اللَّه من أي عمل كان، وهو سر بين العبد وربه، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيهلكه (ص١١٢، ١١٣).

٩ - **الدنيا**: ما دنا من القلب، وشغل عن اللَّه (ص١١٧).

١٠ - **الرضا**: ثاني درجات المعرفة؛ فمن رضي صحت معرفته باللَّه، بدوام رضاه عنه. وهو رفع الاختيار، وصحة العلم الواصل إلى القلوب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا (ص١٢٤).

١١ - **الزهد**: له معنيان، ظاهر وباطن؛ فالظاهر: بغض ما في الأيدي من الأملاك، وترك طلب المفقود، والباطن: زوال الرغبة عن القلب، ووجود العزوف، والانصراف عن ذكر ذلك (ص١٢٧).

١٢ - **الشفقة «على الخلق»**: تعطيهم من نفسك ما لا يطلبون، ولا تحملهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون (ص١٣٥).

١٣ - **الشكر**: ألا يستعان بشيء من نعم اللَّه تعالى على معاصيه، والاعتراف بالنعم بالقلب واللسان (ص١٣٦).

١٤ - **شاهد الصوفية**: هو أن يقطع منازل المريدين، فيشهد عموم العارفين. وحملة اسم الشاهد الحاضر في الغيب، لا يحرج، ولا يفتر، ولا يتغافل، فإن غفل غفلة مريد فليس بشاهد، وكلما يجرى فيه غير هذا في ظاهر الخليقة فهو باطل، فليس هو طريق الصوفية (ص١٤٠).

١٥ - **الصبر**: تحمل المرارة من غير تعبيس، وحمل المؤمن للَّه تعالى حتى تنقضي أوقات المكروه (ص١٤٢).

١٦ - **الصدق**: حقيقة الصدق تجرى بموافقة اللَّه - تعالى - في كل حال (ص١٤٥).

١٧ - **التصوف**: أن تكون مع اللَّه - تعالى - بلا علاقة. وهو ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع. وهو تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء للَّه على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ في الشريعة (ص١٤٨ - ١٥٠).

١٨ - **المعرفة**: شهود الخاطر بعواقب المصير، وأن لا يتصرف العارف بسرف ولا تقصير. وهي تردد السر بين تعظيم الحق عن الإحاطة، وإجلاله عن الدرك. والمعرفة نوعان: معرفة تعرف، ومعرفة تعريف. معنى التعرُّف: أن يعرفهم اللَّه ﷻ نفسه، ويعرفهم الأشياء به، وهذه معرفة الخواص. ومعنى التعريف: أن يريهم آثار قدرته في الآفاق والأنفس، ثم يحدث لطفًا، تدلهم الأشياء أن لها صانعًا. وهذه معرفة عامة المؤمنين (ص١٦٧).

١٩ - **الفناء**: استعجام الكل عن أوصافك، واشتغال الكل منك بكليته (ص١٨٨).

٢٠ - **القبض والبسط**: يعنى الخوف والرجاء؛ فالرجاء يبسط إلى الطاعة، والخوف يقبض عن المعصية (ص١٩٠).

٢١ - **القناعة**: ألا تتجاوز إرادتك ما هو لك في وقتك (ص١٩٢).

٢٢ - **الفرق بين هواجس النفس ووساوس الشيطان**: إن النفس إذا طالبتك بشيء ألحَّت، فلا تزال تعاودك، ولو بعد حين، حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها،

اللَّهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم إنها تعاودك وتعاودك. وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة، فخالفته بترك ذلك، يوسوس بزلة أخرى؛ لأن جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أن يكون داعيًا أبدًا إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد (ص٢٠٣).

٢٣ - **التوحيد**: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد، الذي لم يلد ولم يولد، بنفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل. وهو الخروج من ضيق الرسوم الزمانية إلى سعة فناء السرمدية (ص٢١٠).

٢٤ - **توحيد « الصوفية »**: إفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأوطان، وقطع المحاب، وترك ما عُلم وجُهل، وأن يكون الحق سبحانه مكان الجميع (ص٢١٠).

٢٥ - **توحيد « الخاص »**: أن يكون العبد شبحًا بين يدي اللَّه سبحانه، تجري عليه تصاريف تدبيره، في مجاري أحكام قدرته، في لجج بحار توحيده، بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الخلق له، وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته، في حقيقة قربه، بذهاب حسه وحركته، لقيام الحق سبحانه له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوله، فيكون كما كان قبل أن يكون (ص٢١٠).

٢٦ - **الوصل**: ترك ارتكاب الهوى. والواصل: هو الحاصل عند ربه (ص٢١٦).

٢٧ - **التواضع** : خفض الجناح للخلق، ولين الجانب لهم (ص٢١٨).

* ويتناول **القسم الثاني** من الكتاب (ص٢٢٧ - ٢٦٩) **عرض سبعة كتيبات** للجُنيد يدور معظمها حول التوحيد، ليس على صعيد النظرية، بل على مستوى الحياة. حيث يعرض كتيب « **الميثاق** » (ص٢٢٩ - ٢٣١) تصور الجُنيد عن التوحيد، وقد سبق عرض تصوره في موضع سابق.

ويتناول كتيب « **دواء الأرواح** » (ص٢٣٢ - ٢٣٥) أهل الخاصة. حيث يصفهم بأنهم « الذين خلوا خلواتهم، وبرئوا من إراداتهم، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وعصفت بهم رياح الفطنة، فأوردتهم على بحار الحكمة، فاستنبطوا صفو ماء الحياة، لا يحذرون غائلة، ولا يتوقعون نازلة، ولا يشرهون إلى بلوغ غاية، بل الغايات لهم بدايات » (ص٢٣٤).

ويقدم في كتيب « **دواء التفريط** » (ص٢٣٦ - ٢٤١) ثلاثة استراتيجيات من استراتيجيات المراقبة الذاتية لمزيد من المجاهدة. فيذكر: « ينبغي للعاقل ألا ينفقد

من إحدى ثلاثة مواطن: موطن يعرف فيه حاله أمتزايد أم منتقص، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه من إلزامها ما يلزمها، ويتقصَّى فيه على معرفتها، وموطن يستحضر عقله برؤيته التدبير، وكيف تختلف به الأحكام، في آناء الليل وأطراف النهار. ولن يصفو عقل لا يصدر إلى فهم هذا الحال الآخر إلا بإحكام ما يجب عليه من إصلاح الحالين الأوَّلين (ص٢٣٦).

ويتناول في كتيب « خاطر الخير » (ص٢٤٢ - ٢٤٦) الأشكال التي يقع خاطر الخير عليها. حيث يقسمها إلى ثلاثة أشكال:

١ - **الخاطر النفساني**: باعثه الشهوة، وطلب الراحة. والشهوة تنقسم إلى نفسانية؛ كمحبة العلو والجاه، والتشفي عند الغيظ. وجسمانية؛ كالطعام والشراب والنكاح واللباس. ولخاطر النفس علامتان قائمتان مقام شاهد عدل على تمييز الخاطر المختص بها، هما:

أ - حضور هذا الخاطر عند احتياجها إلى بعض هذه الأشياء المشتبهات. مثل حضور التزويج عند شدة حاجتها إلى النكاح (ص٢٤٣).

ب - إلحاح بهذا الخاطر، وعدم انقطاعه، حتى يأتي مواليًا، كلما جاهدت في دفعه عن نفسك ألح عليك ولجَّ، ولا ينفع فيه الاستعادة، ولا التخويف، ولا التحذير (ص٢٤٤).

٢ - **الخاطر الشيطاني**: وللخاطر الشيطاني علامتان أيضًا، هما:

تنبيهه ببعض ما تحتاج النفس إليه بداعي الشهوة، أو داعي الراحة في الأوقات المألوف تحصيل النفس مطلوباتها فيها. والفرق بينه وبين الخاطر النفساني أن النفساني يلح ولا يذهب، وهذا يذهب تارة ويكر. فكلٌ ما لهى الإنسان عنه بسبب فتور النفس ألح بالتذكير للشهوة، وتكون حركة النفس عند هذا التذكير أكثر من الخاطر النفساني، إذ الخاطر النفساني إنما خطر لشدة الحاجة (ص٢٤٥).

٣ - **الخاطر الرباني**: ويستدل عليه بشاهدين أيضًا هما:

أ - موافقة الشرع للخاطر وشهادته بصحته.

ب - فتور النفس عن قبوله ابتداء، حتى يحصل لها نوع الترغيب، وهو الهجوم على النفس من غير مقدمات له كالشيطاني. إلا أن سرعة النفس لموافقة الخاطر الشيطاني

أكثر، وهي له أبدر، وهي عن هذا - الخاطر الرباني - أكسل؛ إذ الشيطان إنما يجيؤها من شهواتها وراحاتها، وهذا يأتي من جهة التكليف، وتنفر نفرة من التكليف عند وروده عليها. فهذا الفرق بينه وبين الخاطرين النفساني والشيطاني (ص٢٤٥).

ويتناول في كتيب « الفناء » (ص٢٤٧ - ٢٥٣) أهل البلاء فيذكر: « إن أهل البلاء لما اتصلوا بحادث الحق فيهم، وجارى حكمه عليهم، تغربت أسرارهم، وتاهت أرواحهم عمر الأبد، لا تأويها المواطن، ولا تجنُّها الأماكن، تحنُّ إلى مبتليها حنينًا، وتئن بفناء النائي عنها أنينًا، قد شجاها فقدانها وذلها وجدانها، أسوفة عليه، متشوقة في الوجد إليه. ترى مقادير الألحاظ منه في سرعة يقظتها، يستغرق هلاكها بالجاري عليها في دوام البقاء، وتشديد البلاء، حتى أمتعها بلاؤها، وآنسها به بقاؤها. هم الأبطال فيما جرى عليهم لما أسرَّ إليهم. أقاموا في قهره، انتظار أمره، ليقضي اللّه أمرًا كان مفعولًا. وأهل البلاء يقسمون على قسمين: فمنهم من أوى إلى بلائه، فساكن مراده، وما بلى هواه في الأشياء إيثارًا لمتعة نفسه، وتمتعه بوجود حسه حتى أنكى به ومكر به، وأزال بالمكر عنه مزايلة حاله، واعتد ببلائه شرفًا، ورأى أن سبب الخروج عنه سبب النقصان والضعف (ص٢٥٣).

ويتناول في كتيب « كلام في الألوهية » (ص٢٥٤، ٢٥٥) قضية التوحيد مرة أخرى.

ويتناول كتيب « الفرق بين الإخلاص الصدق » (ص٢٥٦ - ٢٥٨) الفرق بين هذين المفهومين. حيث يذكر أن معنى الصدق هو القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها، بعد الوفاء منك بما عليك مما دلك العلم عليه، في إقامة حدود الأحوال في الظاهر، مع حسن القصد إلى اللّه - تعالى - في أول الفعل. فكان الصدق الأول علمًا للخلق وفصلًا بينهم وبين الإخلاص؛ لأن الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالين: حال الاعتقاد والنية، وحال الفعل والعمل. فأول الإخلاص أن يُفرد اللّه تعالى بالإرادة، والثاني أن يخلص الفعل من الآفة. فالصدق الذي هو عند الخلق صدق فرق بينه وبين الإخلاص، والصدق الذي عند اللّه تعالى هو الصدق مع الإخلاص. وقد يقال: فلان صادق لما يُرى عليه من صفات العلم، وبذل المجهود منه، ولا يُقال: فلان مخلص لغيبة الخلق عن علم إخلاصه؛ فالصدق مشهود في صفة الصادق، والإخلاص معدوم من مشهده (ص٢٥٧). ثم يختتم هذا الجزء بعرض إحدى عشرة مقطوعة تتناول بإيجاز موضوعات متعددة كالفناء، والتوحيد، والعباد، والعلم، والعمل... إلخ.

* ويعرض **القسم الثالث** من هذا الكتاب (ص٢٧١ - ٣١٣) لأربع عشرة رسالة بعضها كتبه الجُنيد إلى أشخاص بعينهم، والبعض الآخر جاءت مغفلة لا تحمل اسم المرسلة إليه.

* ويعرض **القسم الرابع** (ص٣١٥ - ٣٣٢) للأشعار التي كتبها الجُنيد، وكذلك للأشعار التي رواها عن غيره.

* ويعرض **القسم الخامس** (ص٣٣٣ - ٣٤٣) لنماذج من الأدعية والنجوى التي يخاطب بها الجنيد ربه.

* ويعرض **القسم السادس** (ص٣٤٧ - ٣٥٥) لكتاب « السر في أنفاس الصوفية » وقد عرض على شكل ملحق لتشكك المحقق في صحة نسبته للجُنيد، وهو يضم أقواله، وأقوال غيره من متصوفة عصره.

وقد ورد في هذا القسم الإشارة إلى المفهومين التاليين:

١ - **النفس**: ريح اللّه سُلط على نار اللّه، التي في داخل القلب. وأصل النفس من سته: من نار، أو نور، أو على نور، أو على ظلمة، أو من ظلمة، أو من نار النور (ص٣٤٧، ٣٤٨).

٢ - **المُشاهدة**: مُعاينة للسر مع فقدانك، وإقامة العبودية بإزاء الربُوبية، مع فقدان ما دُونه. والمُشاهدة ثلاث: مُشاهدة الرب، ومُشاهدة من الرب، ومُشاهدة بالموت (ص٣٥١).

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- الخشوع **Sincerity**.
- الإخلاص **Reverence**.
- الرضا **Satisfaction**.
- الصبر **Patience**.
- الحياء **Shyness**.
- الصدق **Honesty**.

- المعرفة **Knowledge**.

- القناعة **Conviction**.

- الخاطر **Inner Speech**.

القائم بالعرض

د. عبير محمد أنور

* * *

الرسالة القشيرية في علم التصوف



○ تأليف/ القشيري، عبد اللّه بن هوازن.

○ القاهرة: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع.

* * *

التعريف بالمؤلف:

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد، وكنيته أبو القاسم، وألقابه كثيرة نذكر منها: النيسابوري: نسبة إلى نيسابور وهي عاصمة خراسان من أعظم المدن الإسلامية في القرون الوسطى، وهي مسقط رأس عمر الخيام وفريد الدين العطار، وقد خربت بالحروب والزلازل، وقد أقام فيها الأستاذ القشيري وتوفي فيها.

القشيري: وقد جاء في كتاب الأنساب للإمام عبد الكريم السمعاني أن القشيري نسبة إلى قشير، وجاء في تاج العروس للإمام المرتضى الزبيدي أن قشير هو بطن من سعد العشيرة القحطانية، وكانوا يقيمون بنواحي حضر موت.

ولد الإمام القشيري في شهر ربيع الأول (٣٧٦هـ/ ٩٨٦م)، ببلدة استوا وتوفي في نيسابور صبيحة الأحد (١٦ من ربيع الآخر ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) وقد بلغ عمره آنئذ سبعة وثمانين عامًا. وقد دفن إلى جانب أستاذه الشيخ أبي علي الدقاق - رحمه اللّه -، ولم يدخل أحد من أهله غرفة كتبه إلا بعد سنين احترامًا له.

وللنيسابوري عدد كبير من المؤلفات في أكثر من علم وكان صوفيًّا كبيرًا وكاتبًا في التصوف وعلوم الإسلام ومن أهم مؤلفاته: آداب الصوفية، بلغة المقاصد في التصوف، الجواهر، شرح الأسماء الحسنى، الرسالة القشيرية في علم التصوف ألفها عام (٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م) سيرة المشايخ، لطائف الإشارات وهو تفسير صوفي لآيات مختارة من القرآن الكريم.

عرض الكتاب:

يقع كتاب الرسالة القشيرية في (٤٨٠) صفحة، قسم إلى ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة عرض فيها المؤلف لأصول التوحيد عند الصوفيين فتكلم عن معرفة اللّه وصفاته والإيمان

والأرزاق والكفر والعرش والحق ﷻ. ثم تعرض في الفصل الأول لبعض مصطلحات التصوف مثل الوقت والمقام والمال والقبض والبسط والهيبة والأنس والتواجد والوجود والجمع والفرق والغناء والبقاء والغيبة والحضور والصحو والسكر والذوق والشراب والمحو والإثبات والستر والتجلي والمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة واللوائح والطوالح واللوامع والبداوة والهجوم والتلوين والتمكين والقرب والبعد والشريعة والحقيقة والنفس والخواطر وعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين والوارد والشاهد والروح والسر.

ورد في (ص٨٦) مفهوم **النفس Psycho** وأشار إلى أن نفس الشيء في اللغة وجوده. وعند القوم: ليس المراد من إطلاق لفظ النفس الوجود ولا القالب الموضوع، إنما أرادوا بالنفس ما كان معلولًا من أوصاف العبد مذمومًا من أخلاقه وأفعاله. وفي هذا الجزء قسم النفس إلى قسمين: القسم الأول من أحكام النفس ما نهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه، وأما القسم الثاني فسفساف الأخلاق والدنيء منها. مثل التكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الأخلاق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق الذميمة. وفي هذا إشارة إلى المكون الأول من مكونات الجهاز النفسي عند فرويد وهو **الهو Ed**.

وقد شرح الإمام في الفصل الثاني مقامات أو مدارج أرباب السلوك وأشار فيها إلى التوبة والمجاهدة والخلوة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والخوف والرجاء والحزن والجوع وترك الشهوة والخشوع والتواضع ومخالفة النفس والحسد والغيبة والقناعة والتوكل والشكر واليقين والصبر والمراقبة والرضا والعبودية والإرادة والاستقامة والإخلاص والصدق والحياء والحرية والذكر والفتوة والفراسة والخلق والجود والسخاء والغيرة والولاية والدعاء والفقر والتصوف والأدب وأحكام السفر والصحبة والتوحيد والخروج من الدنيا والمعرفة باللَّه والمحبة والشوق وحفظ قلوب المشايخ والسماع وكرامات الأولياء، وقد ورد في (ص٩٨) مفهوم **الالتزام Commitment** نقلًا عن أبي عثمان المغربي: « من ظن أنه يفتح له شيء من هذه الطريقة أو يكشف له عن شيء منها إلا بلزوم المجاهدة ». ويقول الشيخ أيضًا في نفس الصفحة على لسان أستاذه أبي علي الدقاق - رحمه اللَّه - يقول: مَنْ زَيَّنَ ظاهره بالمجاهدة حسَّن اللَّه سرائره بالمشاهدة، واعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من هذه الطريقة شمعة تنير له الطريق. كما يشير المؤلف أيضًا إلى نفس المصطلح في نفس الصفحة على لسان الإمام السري عندما يقول: يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي فتضعفوا

وتقصروا كما ضعفتُ وقصرتُ. كذا يقول الإمام الحسن القزاز: « بني هذا الأمر (إشارة إلى المجاهدة عند الصوفيين والتي تعني الالتزام عند علماء النفس) على ثلاثة أشياء: أن لا تأكل إلا عند الفاقة، ولا تنام (أي لا تعمل فعل الطاعات) إلا عند الغلبة، ولا تتكلم إلا عند الضرورة ».

كما ورد في (ص١٠١) **مفهوم الحرمان الحسي Sensory Deprivation** يشير الإمام النيسابوري إلى الخلوة والعزلة ويستشهد بحديث سيدنا رسول اللّه ﷺ الذي يقول فيه « **إن من خير معايش الناس كلهم رجلًا آخذًا بعنان فرسه في سبيل اللّه، إن سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغي الموت أو القتل في مظانة، أو رجلًا في غنيمة له في رأس شعفة من هذه الشعاف أو في بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير** » إن الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من إمارات الوصلة ولا بد للمريد - في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته - من الخلوة لتحققه بأنسه (وحقيقة الخلوة الانقطاع من الخلق إلى الحق؛ لأنه سفر من النفس إلى القلب ومن القلب إلى الروح ومن الروح إلى السر ومن السر إلى واهب الكل).

وفي (ص١١٨) يقول الإمام النيسابوري على لسان محمد بن الفضل: « إيثار الزهاد عند الاستغناء وإيثار الفتيان عند الحاجة. قال اللّه تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، وهذه إشارة إلى الإيثار ». وفي (ص١٢٤) ورد **مفهوم الوعي بالمعرفة Meta Cognition** فيقول مؤلف الكتاب على لسان أبي حفص: « أي الحالين للولي أفضل: الصمت أم النطق؟ فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت طويلًا، ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل اللّه تعالى ضِعْفَيْ عُمْرَ نوح حتى ينطق (ليهتدي إلى الخير) ».

ورد في (ص١٢٩، ١٣٠) **مفهوم الحرب النفسية Psychological Ware** يقول المؤلف نقلًا عن منصور بن خلف المغربي: « كان رجلان اصطحبا في الإرادة فترة من الزمن ثم سافر أحدهما وفارق صاحبه ولم يسمع عنه خبرًا فبينما كان هذا الآخر في غزوة يقاتل عسكر الروم إذ خرج على المسلمين رجل مقنع في السلاح يطلب المبارزة، فخرج إليه من أبطال المسلمين واحد فقتله الرومي ثم خرج آخر فقتله ثم ثالث فقتله فخرج إليه هذا الصوفي وتطاردا فحسر الرومي عن وجهه فإذا هو صاحبه الذي صحبه في الإرادة والعبادة سنين فقال له هذا: ما الخبر؟ فقال: إنه ارتد وخالط القوم وولد له أولاد وأصبح

ذا ثروة جيدة فقال: وكنت تقرأ القرآن الكريم بقراءات كثيرة فقال: لا أذكر منه حرفًا، فقال له هذا الصوفي: لا تفعل وارجع فقال: لا أفعل فلي فيهم جاه ومال فانصرف أنت عني وإلا لأفعلن بك ما فعلت بأولئك، فقال هذا الصوفي: اعلم أنك قتلت ثلاثة من المسلمين وليس عليك أنفة في الانصراف، فانصرف أنت وأنا أمهلك فرجع الرجل موليًا فتبعه هذا الصوفي وطعنه فقتله » وفي هذا يقول الإمام النيسابوري: انظر كيف استعمل الصوفي عقله آخذًا من قوله ﷺ: « **الحرب خدعة** » لما علم بقوة المرتد عن الإسلام.

ورد في (ص١٣٨) مفهوم **الأسى Grief** ويعرفه المؤلف بقوله: « حال يقبض القلب عن التفرقة في أودية الغفلة »، وأورد المؤلف بعض أساليب التخفيف من الحزن فيقول عن أبي سعيد الخدري: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « **ما من شيء يصيب العبد المؤمن من وصب أو نصب أو حزن أو ألم يهمه إلا كفَّر اللّه تعالى من سيئاته** »، ويقول أنه جاء في الخبر: « أن اللّه تعالى يحب كل قلب حزين » وهي كلها من أساليب تقوية الوازع الديني عند الفرد مما يساعده من التخفيف من أساه النفسي.

وفي (ص١٥١) أورد المؤلف مفهوم الالتزام مرة أخرى تحت موضوع مخالفة النفس فيقول على لسان ذي النون المصري: « مفتاح العبادة الفكر، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى، ومخالفتها ترك شهواتها، وقال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عند سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها ». ويورد في (ص١٥٢) مفهوم نفسي آخر **الهو ID** وهو مرادف للنفس الأمارة بالسوء فيقول المؤلف على لسان الإمام الجنيد: « النفس الأمارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المتهمة بأصناف الأسواء ».

وفي (ص١٨٣) أورد الإمام مؤلف الكتاب علاجًا إسلاميًّا للتخفيف من الأسى النفسي فيقول: « قال اللّه تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٢٧] وعن عائشة - رضي اللّه تعالى عنها - قالت: قال رسول اللّه ﷺ: « **إن الصبر عند الصدمة الأولى** » ويعرف المؤلف الصبر بأنه حبس النفس على شيء مزعج تتحمله أو شيء لذيذ تفارقه وهو ممدوح ومطلوب. وفي (ص١٨٧) يستشهد بقوله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج: ٥] والصبر الجميل: أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو ».

وفي (ص١٩٥) يورد المؤلف مفهوم نفسي آخر وهو مفهوم **الرضا Satisfaction**

فيعرفه أبو عبد اللّه بن خفيف فيقول: « إن الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضي اللّه تعالى به واختاره، وسئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضيًا؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة ».

وفي (ص٢١٤) من نفس الفصل ورد مفهوم الحياء **Shyness** وفيه يستشهد مؤلف الكتاب بحديث سيدنا رسول اللّه ﷺ والذي يقول فيه: « **الحياء من الإيمان** » وقال نبي اللّه ﷺ ذات يوم لأصحابه: « **استحيوا من اللّه حق الحياء** » قالوا: إنا نستحي يا نبي اللّه والحمد للّه، قال: « **ليس ذلك، ولكن من استحيا من اللّه حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من اللّه حق الحياء** ».

وفي (ص٢٢٠) ورد مفهوم القيمة **Value** خاصة قيمة احترام الغير واحترام طالب العلم فيقول الإمام النيسابوري على لسان سيدي علي الدقاق: أوحى اللّه تعالى إلى داود عليه السلام: إذا رأيت لي طالبًا فكن له خادمًا، وقال سيدنا رسول اللّه ﷺ: « **سيد القوم خادمهم** ».

وفي (ص٢٣٢) ورد مفهوم الاستدلال **Reasoning Deduction** فيقول المؤلف على لسان أبي سعيد الخراز: « المستنبط من يلاحظ الغيب دائمًا ولا يغيب عنه، ولا يخفى عليه شيء، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء: ٨٣] ».

وفي (ص٢٥٨) قدم الإمام النيسابوري طريقة من الأسى **Grief**. فيروي: « أن دلف الشبلي مات له ابن كان اسمه أبا الحسن، فحزنت أمه عليه، وقطعت شعر رأسها، فدخل الشبلي الحمام وتنور بلحيته فكل من أتاه معزيًا قال: ما هذا يا أبا بكر؟ فكان يقول موافقة لأهلي، فقال له بعضهم: أبرني يا أبا بكر لماذا فعلت هذا؟ فقال: علمت أنهم يعزونني على الغفلة، ويقولون أجراك اللّه تعالى، ففديت ذكرهم للّه تعالى بالغفلة بلحيتي ».

أورد المؤلف (ص٢٦٣) تعريفًا نفسيًا للخوف **Fear** نقلًا عن عسكر النخشبي: « إذا ألف القلب الأعراض عند اللّه تعالى صحبته الوقيعة في أولياء اللّه تعالى، ويقال: من صفة الولي أن لا يكون له الخوف؛ لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئًا، وكما لا خوف له فلا رجاء له؛ لأن الرجاء انتظاره محبوب يحصل أو مكروه يكشف وذلك

في الثاني من الوقت، وكذلك لا حزن له؛ لأن الحزن من حزونة القلب، ومن كان في ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن؟ قال اللَّه تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس: ٦٢] ».

وفي (ص٢٨٤) أورد المؤلف مفهوم **التنشئة الاجتماعية Socialization** فيقول في حديث لسيدنا رسول اللَّه ﷺ عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: « **حق الولد على والده: أن يحسن اسمه ويحسن مرضعته ويحسن أدبه** ».

وفي صفحة (ص٢٩٦) يورد المؤلف مفهوم **الصداقة Friendship** ودور الصديق في حياة الفرد، فيقول على لسان يوسف بن الحسين: « قلت لذي النون المصري: مع من أصحب؟ فقال: مع من لا تكتمه شيئًا يعلمه اللَّه تعالى منك ». وقوله على لسان بشر ابن الحارث: « صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ».

وفي (ص٣٠٩) ورد مفهوم الحاسة السادسة أو **البصيرة Insight** فيقول المؤلف على لسان أبي يعقوب النهرجوري: « كنت بمكة المكرمة حرسها اللَّه، فجاءني فقير معه دينار، فقال: إذا كان الغد فأنا أموت، فأصلح لي بنصف هذا الدينار قبرًا، والنصف الثاني لتجهيزي، (يوضح مفهوم الحاجة والفقر اللذين يصادفهما المرء في هذه المنطقة) فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم مضى وتمدد على الأرض، فقلت: هو ذا يتماوت، فذهبت إليه فحركته فإذا هو ميت فدفنته كما أمر ». ومن المعروف أو الشائع عند بعض علماء علم النفس الفسيولوجي وعلم النفس العصبي أن هذه الحاسة تعمل عند عمل نصفي المخ معًا في وقت واحد ».

وفي الفصل الثالث من الكتاب تعرض المؤلف لموضوع الأحوال والكرامات وفيه تحدث عن كرامات الأولياء التي وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة:

١ - جريج الراهب.

٢ - حديث الغار وقضايا هامة في الولي والولاية: معنى الولي، وعصمة الولي، وخوف الأولياء، ورؤية اللَّه بالأبصار، وتغير حال الأولياء والولي، وخوف المكر والولي في الصحوة، وعصمة المشايخ والمريد، وعروض الدنيا، وقبول الشيخ للمريد، وصحبة الأحداث، والحسد، والإيثار، والحركة، والسفر، والتحول، وخدمة الفقراء، والصبر على جفاء القوم، وحفظ آداب الشريعة، وحفظ العهود مع اللَّه تعالى، والتباعد عن أبناء الدنيا، ورؤيا القوم، والوصية للمريد.

وقد ورد في هذا الفصل بعض المفاهيم النفسية مثل التسكين المنظم؛ ففي (ص٣٨٢) ينصح الشيخ مريده أن يقلل من غذائه على التدريج شيئًا بعد شيء حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أن يترك عادته دفعة واحدة، فقد جاء في الخبر: « **إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى** » بمعنى أن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا ظهرًا أبقى ولا أرضا قطع، ثم يطلب منه إشارة الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدينية والهواجس الشاغلة للقلب.

كما ورد أيضًا مفهوم **العلاج المعرفي Cognitive Therapy** (ص٣٨٢) فيقول مؤلف الكتاب: واعلم أن في هذه الحالة قلما يخلو المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوساوس في الاعتقاد، لا سيما إذا كان في المريد كياسة قلب، وكل مريد تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريد؛ فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية. فإنه بالعلم يتخلص لا محالة مما من الوساوس وإن تفرس فيه شيخه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر، حتى تسطع في قلبه أنوار القبول وتطلع في سرِّه شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريد، فأما الغالب فأن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد.

وفي الفصل الأخير تعرَّض المؤلف لأعلام التصوف مثل إبراهيم بن أدهم وحاتم الأصم وإبراهيم الخواص ومعروف الكرخي وذي النون المصري وغيرهم.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- النفس **psycho**.
- الهو **Id**.
- الالتزام **conscience**.
- الحرمان الحسي **sensory deprivation**.
- الإيثار **altruism**.
- الحرب النفسية **psychological war**.
- الأسى **grief**.

- الرضا satisfaction.
- الحياء shyness.
- القيم value.
- الاستدلال reasoning.
- الخوف fear.
- التنشئة socialization.
- البصيرة insight.
- التسكين المنظم systematic desensitization.
- العلاج المعرفي cognitive therapy.
- الوعي بالمعرفة Meta cognition.

القائم بالعرض

د. خالد زيادة

* * *

السر المصون
فيما أكرم به المخلصون



- تأليف/ الصدفي، طاهر بن محمد بن طاهر.
- تحقيق وتقديم/ حليمة فرحات.
- بيروت: دار الغرب الإسلامي (١٩٩٨م)، الطبعة الأولى.

* * *

التعريف بالمؤلف:

« طاهر بن محمد بن طاهر الصدفي »، أندلسي من أهل القرن السادس الهجري وعاش في أواخر عهد المرابطين، وبداية عهد الموحدين يرجح أنه وضع كتابه حوالي سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م). أقام « الصدفي » بمصر ولا سيما في الإسكندرية، وكانت أحوال عيشه مضطربة؛ فتارة نجده قادرًا على الإنفاق على الغير، وإغاثة الملهوف، وتارة نجده معتل الصحة مكابدًا لضيق العيش، ولربما أتى عليه وقت لا يملك فيه غير دينار واحد لا يستغني عنه، وكان أثناء مقامه مواظبًا على زيارة قبر « الإمام الشافعي »، وربما سكن بجواره طلبًا لبركته. ثم استقر مدة بقنا في صعيد مصر، الواقعة على ضفة النيل غير بعيدة من البحر الأحمر؛ المَرسَى الوحيد الذي كان يبحر منه الحجاج. وكان « الصدفي » يتردد بين صعيد مصر والإسكندرية، ولا ندرى كم مرة حج فيها. ويكاد يكون من المحقق أن « الصدفي » ألف كتابه في الإسكندرية، أو قنا، وترجح القرائن أنه أقام ببلاد المشرق إلى أن مات.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع الصغير، ويبدأ بالتحقيق والتقديم، واستعرض أن السر المصون هو المتن الخامس في المجلد الثاني من مجموع البارزي؛ فهو يبين في بداية المجموع أنه جمع، واختار، وانتقى، ورتب النصوص التي يقدمها.

والسر المصون جملة من تراجم الرجال الموصوفين بالصلاح ممن عاصروا المؤلف، ويعتبر السر المصوَن من أقدم المتون المحفوظة في المناقب مما يتعلق ببلاد المغرب والأندلس، وينبه « الصدفي » أنه اقتصر على ذكر مناقب من لقيهم، أو من سمع

عنهم رواية عن رجال ثقات، وقد نظم تراجمه على أساس البلدان بادئًا بالمغرب بما فيه الأندلس ثم مصر ثم الحجاز... إلخ مع مراعاة الترتيب الزمني، ولربما كان قد كرس وقته، واضطلع بدور في التعليم، أو في الإرشاد، وكانت له مراسلات غير منقطعة مع بعض شيوخه، وأصدقائه، ويشير إلى أن: الزهد: مسحة غالبة تظهر في إملاق الأشخاص، وتقشفهم وكثرة الصوم، وقيام الليل، وتفضيل الخلوات، وغشيان القفار وشواطئ البحار (**الالتزام الديني Religious Commitment**) بقدر ما تظهر في مواقف التأمل، والتدبر. يشير إلى مفهوم (**التفكير Thinking**) (ص٢٣).

ويلجأ هؤلاء الصلحاء إلى رياضات شاقة أليمة لتهذيب النفوس ومنها السياحة، والبكاء، وإيلام البدن بالضرب للتكفير عن الذنوب، ويشير ذلك في (ص٢٣) إلى المفهوم النفسي: (**ضبط الذات Self Control**).

وكان للزهاد انحياز مفضل إلى سواحل البحر يطعمون فيها الحلال المصفى، ويصيدون السمك، ويلتقطون الأصداف، والطحالب، وفي ذلك راحتهم من سؤال الناس؛ فالسمك الذي لا يقبل عليه الأغنياء له ذكر مشهور في طلب العلم والحكمة الذي جمع بين الخضر وموسى (ص٢٤) (**الحكمة Wisdom**) وكان البحر مجالًا للسياحة والتأمل؛ فشواطئ الأندلس والإسكندرية تستهوي العباد، والمنقطعين للصلوات وأعمال التدبر مما يشير لمفهوم (**التأمل الذاتي Introspection**).

ومن هؤلاء الصلحاء من كانوا متجردين للجهاد يشاركون في وقائعه بأشخاصهم، أو يسهمون في تجهيز المقاتلين بالخيل، والسروج وعدة السلاح، وكان هذا القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري) أوج الحروب الصليبية في الشرق والغرب مما يشير في (ص٢٦) للمفهوم النفسي (**الصراع Conflict**).

* وتقلب المؤلف وأشخاص حكاياته في وسط اجتماعي ملؤه من عامة الناس من أهل الحرف وصغار الزراع، والصيادين والحياة اليومية لهؤلاء ومشاغلهم، وكان عدد منهم يعملون في معامل النسيج، يصنعون القلنسوات، أو الملاحف، أو يعملون خياطين، وغيرهم نجارون، أو خراطون، أو غراسون للأشجار، أو بستانيون، أو حراسون للمروج، والمراعي. والمذكورون ليسوا أميين، بل منهم كبار الفقهاء الذين يتعيشون من عمل أيديهم كنسخ الكتب.

ومن أهل العلم رجال تجذبهم حياة التصوف، أو أحوال الزهد؛ فينقطعون عن غشيان

الحكام ويلزمون ما يعرف بالانقباض عن السلطان. ورفض مناصب الكتابة، أو القضاء، أو الأحكام دارج في أوساط العلماء. أما بين الصوفية فإنَّ رفض تولي الخطط، وكراهة الاتصال بالحاكمين وتلقي أعطياتهم، أو تناول طعامهم إذا قدر لأحدهم أن تولى القضاء جبرًا في غالب الأحيان، مثل ما وقع « لابن مسرة، وابن ناهض »؛ فإنه لا يلبث أن يتنحى عنه متى وجد إلى ذلك سبيلًا. ويشير ذلك لمفهوم (**إدارة العلاقة مع رموز السلطة Authority Concept**).

وصلحاء آخرون دائمون على صحبة بعض الأمراء، ويغنمون في ذلك انتفاعات يخففون بها آلام العامة، وبهذه الوساطة يخففون غوائل الظلم ويكفون الظلمة عن العدوان، وهم على بينة من أمرهم في استثمار مكانتهم لدى أصحاب الجاه تخفيفًا على المقهورين. وهم دؤوبون على مثل تلك المساعي والشفاعات لإبطال الأحكام الجائرة والفروض المجحفة، وفي ذلك يخاطبون العمال والمشرفين بل وحتى الجنود. مما يشير في (ص٢٩) لمفهوم (**القدرة على حل المشكلات Problem Solving Ability**)، ومفهوم (**العون الاجتماعي Social Helping**).

وأهم ما يثير الانتباه في هذا النص أن الأشخاص الذين هم من الخواص ممن تنسب إليهم خوارق ظاهرة مثل إبراء العميان، والجذمى هم من الفتيان؛ بل هم في بعض الأحيان من الصبيان، ولا شك أن « الصدفي » قد تأثر بعد استقراره بالإسكندرية، تأثرًا عميقًا « بالطرطوشي »، « وبالمذهب الشافعي »؛ فلذلك نلحظ عند أشخاص السر المصون ملامح تتجلى فيها أخلاق صاحب سراج الملوك، ومذهبه في السير. ومن ذلك تأكيد منهجي على واجبات الحكام ودور العلماء في إرشاد الأمراء، ويشير ذلك في (ص٣٠) لمفهوم (**التوجيه والإرشاد النفسي الفردي Counseling Individual**).

إن الصلات الوثيقة بين بلاد المغرب وبين بلاد المشرق ولا سيما مدينة قوص ومدينة قنا قد حظيت بمنزلة خاصة؛ فقد كان شيخ صوفية قنا هو « عبد الرحمن المغربي » المتوفى سنة (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م)، وكانت قنا مركزًا مهمًّا لنشر الكتاب العمدة إحياء علوم الدين؛ فإذا كانت مدينة الأقصر تذكر في مغرب القرن الثالث عشر بفضل « أبي الحجاج الأقصري »؛ فإن المغرب يذكر في مصر، لا سيما بفضل ولي قوص « أبي العباس الملثم » المغربي المتوفى سنة (٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م). مما يشير في (ص٣٢) لمفهوم (**التأثيرات الثقافية Cultural Effects**).

وفي هذا العصر استقر بالإسكندرية تلميذ « أبي مدين » وهو « عبد الرازق الجزولي »؛ فصار من أعيان صلحاء ذلك البلد، وفي هذه المدينة أيضًا كان المغاربة منجذبين إلى درس « أبي الطاهر السلفي ». كان هذا العالم المولود بأصبهان سنة (٤٧٨هـ) من أعلام المحدثين حتى إنه سمي بمحدث الدنيا. أقام بالإسكندرية وعلم بها ستًّا وخمسين سنة من (٥١٩ - ٥٧٦هـ) فحج إليه الطلاب من بلاد الإسلام، وكان من طلبته بعض أمراء المرابطين، وطلاب أندلسيون من ألمرية، وبلنسية، وإشبيلية.

وتشتمل رسالة « صفي الدين بن أبي منصور بن ظافر » على عدد من الإشارات المتصلة بدور المغاربة في تطور التصوف المشرقي ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، وكان القائمون بذلك الشأن من تلاميذ « أبي مدين »، وتلاميذ تلميذه « أبي محمد صالح الماكري » مؤسس زاوية أسفى الذي أقام بنفسه في الإسكندرية مدة عشرين سنة. ومما يلفت الانتباه انجذاب أمراء المرابطين إلى التصوف وينعتون بالملثمين، ويذكر عنهم التخلي عن الأملاك، والمراتب، وتلك حال المترجم ما قبل الأخير في السر المصون واسمه « البربري يغمور »، ومعناه الملثم. وكان من هؤلاء تلاميذ عند « أبي علي الصدفي »، وعند « التونسي »، ويذكر أن مرابطيًّا اسمه « ميمون بن ياسين اللمتوني » هو الذي أدخل إلى المغرب الأقصى نسخة من كتاب الإحياء استعملت بعد إحراق النسخ الأخرى.

* تكتمل صورة التيارات الصوفية في القرن الثاني عشر، وبالمبادلات الروحية بين المغرب والمشرق بما ورد في رسالة القدس التي خصصها « ابن عربي » لذكر شيوخه وبما ورد في المنهاج الواضح، وفي رسالة « ابن أبي منصور »، حيث تمدنا هذه الرسالة بمادة غنية حول الصلاح، وينتمي الأشخاص المذكورون فيها لمجال جغرافي شاسع، ولفئات اجتماعية متنوعة لهم اختيارات روحية متنوعة، ومواقف حول القضايا الأساسية مختلفة، أو متعارضة في بعض الأحيان؛ فالعلاقة بالحاكمين غير معبر عنها بصيغة وحيدة.

ملاحظات حول مضمون التراجم:

(أ) الذين لقيهم ببلاد المغرب من العلماء وصحبته من الأولياء:

١ - الفقيه أبو الربيع سليمان بن يحيى الجزولي المصمودي:

أميرٌ نُعِتَ بالمصمودي، وبالجزولي، تخلى عن الدنيا، وتجرد عن أملاكه، ولبس

الخشن وهو يشير في (ص٤٧) إلى مفهوم (الالتزام الديني **Religious Commitment**)، كان ينهى مريديه عن طلب الصدقات، أو قبولها على ما جرت عليه العادة. لا ينسب إليه المؤلف كرامات باهرة، ولكنه يجتذب الطيور لتلتقط القوت في يديه ولا تفارقه.

٢ - أبو عبد اللّه بن ناهض اللخمي:

كان - رحمه اللّه - قاضيًا يحكم بين الناس بالحق كما أمر، ويأمر بالعدل والإحسان فيما ذكر، وأعرض عن القضاء، وجلس للتعليم، كان يساعد - على الخصوص - الطلبة المتخلفين حيث إنهم يعانون قلة الفهم، ومداخلة الوهم. مما يشير في (ص٤٩) لمفهوم (صعوبات التعلم **Learning Disability**)، ويذكر بواجبات الأمير ويرى نفعًا في التشفع على المتظلمين، إذ على المرء أن ينفق من جاهه كما ينفق من ماله. وهو ما يشير إلى مفهوم (العطاء **Donation**).

٣ - أبو القاسم عبد الرحمن بن عيسى الخزرجي:

لا تسمع أذنه الفحش يعيش من النساخة (نسخ كتاب اللّه ﷻ، وحديث نبيه ﷺ)، وكلما زاد كسبه عن حاجته مرض. أوصى المؤلف بثلاث: اصحب الأخيار، واهجر الدنيا، ولا تقل إلا الحق.

٤ - أبو عبد اللّه محمد بن حسان المعروف بالشرفي:

لا يتورع عن مخالطة الحكام؛ بل يحملهم على سماع نصحه ولو أغلظ في القول، ويذكر الخصال التي يتحلى بها من يخالط العظماء. مما يشير في (ص٥٣) للمفهوم النفسي (التأثير في القادة **Effect of leaders**) وهي: أن يكون عالمًا حتى لا يخدعه الجاه، وزاهدًا حتى لا يسقط في مصيدة الثروة، ولا يخفى تأثير الطرطوشي في هذا المنهج. وقد اختفى وهو يسيح في الأرض.

٥ - أبو العلاء سالم بن عبد القادر الكندي المدعو بحزمة الشوك:

لقب بحزمة الشوك؛ لأنه عندما يتعرض له الفتاك يصبه نكاية في جسمه، أو آفة في نفسه. يبجله الخاصة والعامة. لقيه الصدفي وعمره تسعون سنة، قوته الحشائش خضراء، أو مسلوقة، ويأبى أن يتلبس بشيء من المال.

٦ - الفقيه أبو مروان عبد المالك بن مسرة اليحصبي:

أجبر على قبول خطة القضاء، ولكنه تخلى عنها بعد ذلك. كراماته متصلة بالجهاد،

جرح وأحاط به النصارى، ولكنه نجا وتفرق عدوه وانهزم. كاتبه النصارى بواسطة كاتبهم اليهودي؛ فكان منه أن ألف رسالته « الرد على النصارى ».

كان « ابن مسرة » يمارس أعمال البر، وهو ما يعكس مفهوم (**السلوك الاجتماعي الإيجابي Pro social Behavior**) ويحض على الاشتغال باليد لكسب القوت، وينهى عن التعيش بعلوم الشريعة، ورسالته المذكورة في ترجمته تشهد بسمو الهمة، ورفيع الأسلوب. وقد خصص « ابن الأبار » ترجمة « لابن مسرة » وحلاه بالورع، والتواضع، والزهد، والتقلل وبما خلف بعده من ذكر سني. أما ترجمة « ابن مسرة » عند « ابن بشكول » فهي لا تكتسي أي طابع مميز؛ بل يظهر فيها عالمًا لامعًا ليست عليه أي مسحة من التصوف.

٧ - أبو الحسن بن محمد المعروف بابن الدلال القرشي:

من أصحاب « ابن العريف »، ومختل بنفسه، هائم على وجهه، سوداوي المزاج - مما يشير في (ص٦٢) للمفهوم النفسي (**الاكتئاب Depression**) - ويقول الشعر.

٨ - أبو عبد اللّه محمد بن يحيى المصالي:

ميال هو الآخر إلى الخلوة، عادته الاستغراق في الندم وتبكيت النفس والتلوم، حينما كبرت سنه وناهز الخمسين؛ فقطع العلائق وترك المضائق وقال: دنوت من المعترك، وقاربت الإقدام على محاسبة المترك، وفر بنفسه عن العباد، وكان لا يرى إلا في الجمع والأعياد. ويشير ذلك في (ص٦٤) لمفهوم (**الاغتراب الاجتماعي Social Alienation**)، ويتردد على « أبي يعزى ». عاده المؤلف أيام مرضه. كانت لهذا الصالح مشادة مع عامل غصبه بستانه.

٩ - أبو عبد اللّه سلامة بن دحمان الكتامي:

ظهرت عليه علامات الاصطفاء منذ صباه، سوي المزاج صافي الذهن، مات وعمره ثلاثون سنة، وكانت تطوف على نعشه طيور بيض وهو محمول إلى قبره.

(ب) الذين لقيهم ببلاد المغرب من الزهاد أرباب الكرامات:

١٠ - أبو العباس أحمد بن أبي يعلى المعروف بالغريب:

كان - رحمه اللّه - مبتلى بالجذام، لا يفتر عن تلاوة القرآن حتى في نومه، وكانت له رؤًى وكان عيشه من نسخ الكتب.

١١ - أبو عبد اللَّه مالك بن علي المعروف بالقلانسي:

كان معلمًا في كُتَّاب، وكان يرفض أن يقرئ أكثر من ستة تلاميذ في آن واحد، وكانت حرفته صنع القلنسوات.

١٢ - أبو العباس أحمد بن عبيد اللَّه المعروف بالفايده:

كان أهم شغله الوعظ، وظهرت له كرامات. كان في عنت من كفالة أهله إذ كان له تسعة من الأولاد؛ فدعا اللَّه أن يخلصه منهم؛ فإذا بهم يموتون واحدًا بعد الآخر في مدة شهر.

١٣ - أبو عبد اللَّه محمد بن عثمان المغربي المعروف بالرماد:

كان نساجًا، كلما تملك ثروة خرج عنها حتى فعل ذلك سبع عشرة مرة. كانت له مشادة مع أحد العساكر، وكان قوته السمك، ومن صمغ شجر انقلب طعمه لذيذًا كأنه هبة من السماء.

١٤ - أبو محمد عبد اللَّه بن سليمان المعروف بالباغي:

يمثل الأب الفاضل، وبلده روطا، يجتمع بالخضر. أقحمت في ترجمته قصة بطل آخر من الفتيان المشتغلين بعمل المنسوجات.

١٥ - أبو الوليد خالد بن معبد الشاطبي:

وهو من شاطبة، تمرس بالصلاح وهو ابن عشر سنين تحت تأثير زاهد من المشاهير اسمه عاتق الملاح، تتصل كراماته بالأمن من غارات النصارى ومن القراصنة، والغاصبين.

١٦ - أبو عبد اللَّه محمد بن مطر الأركشي:

من كراماته أنه طرد النصارى وهم يحاصرون حصن أركش، وهو ثالث شخص في هذا المجموع يقوم في وجه عامل جائر.

(جـ) الذين لم يلقهم المؤلف وإنما سمع أخبارهم من ثقات:

١٧ - مجهول الاسم:

في هذه النبذة حكاية أكثر مما هي ترجمة، وهي تدور حول خادم أحد قضاة سبتة لم يذكر له اسم ولا مدفن.

١٨ - مجهول الاسم:

من المجاهيل، وكذا المخبر عنه، والمذكور من طبقة المجاذيب.

١٩ - مجهول الاسم:

يشتغل بالخراطة، مستغرق في الندم، يدخل الخلوة كل مساء ويضني نفسه بالتلوم.

٢٠ - مجهول الاسم:

وهو من قرية من جهة ألمرية، ظهرت كرامته عندما هجم النصارى فجردوا المسلمين من أملاكهم؛ فإذا بقطيعه من الغنم يرد إليه لم ينقص منه شيء.

٢١ - المغاور:

يذكر الصدفي أنه واسع الشهرة، وإن كان لا يذكره باسمه الكامل. ولعله الشخص ذاته الوارد في رسالة « ابن أبي منصور » باسم « أبي الحجاج المغاور »؛ فكلاهما أندلسي من قرطبة ولهما مسار متشابه؛ فهو يقسم أيام عامه بين الحج والجهاد. تظهر همته عند « الصدفي » في القيام في وجه العامل الذي غصبه داره، مما يشير في (ص٩٤) إلى مفهوم (توكيد الذات **Assertivenes**). أما في الرسالة فقد ظهرت كراماته في إحدى أسفاره إلى الحج في حربه للنصارى. لقيه والد مؤلف الرسالة في بلاد المشرق حيث حط عصا التسيار. وقد ورد في المصدر ذاته ذكر رجل من أهل قنا يدعى « عبد اللّه المغاور ». ولعل هؤلاء الأشخاص كانوا من المتطوعين المغاربة الذين ذهبوا للجهاد في جيوش صلاح الدين الأيوبي.

٢٢ - أبو يعزى:

معروف بكراماته؛ فهو بربري من هزميرة، أو هسكورة، تجمع المصادر على أنه لا يتكلم العربية. لقيه « التميمي » بفاس، وزاره بجبله، وقد اتفق كل من ذكره على أنه عمَّر طويلًا، وأنه كان يقتات ببقول البراري ولا سيما أوراق الذفلي وأن الوحوش الضارية من سباع وحيات وغيرها كانت تأنس به فلا تؤذيه، وهو يحميها ويرعاها بما فيها القنافذ، والحمير، والسباع، والطيور، والثعابين، والحيات، كما يظهر رعاية مماثلة للأعشاب والنباتات. ولقد أنفق معظم أيامه المديدة في الغاب وسط السباع وغيرها من الوحوش. كان من تلاميذ « أبي شعيب » صاحب أزمور، خدم أربعين وليًّا ولكنه لم يأخذ عنهم علمًا ظاهرًا وان كان من بينهم العلم « ابن حرزهم »، وإنما عمله فطرة وإلهام من اللّه. توفي سنة (٥٧٢هـ) وعمر أكثر من مائة وعشرين سنة. كانت قريته تاغيا منعزلة عن الناس وسط الغابة الكثيفة.

(د) الذين لقيهم بالبلاد المصرية من العلماء والزهاد والفضلاء:

٢٣ - أبو طالب بن معافى:

من علماء الإسكندرية، كانت دعواته على أمير جائر سببًا في فتنة.

٢٤ - شيخ مجهول الاسم:

زاهد مجهول لقيه المؤلف على ساحل بحر الإسكندرية وكلمه، ولم يدفعه الفضول إلى السؤال عن اسمه.

٢٥ - الشيخ أبو الحسن علي بن المسلم الأنصاري المعروف بابن أبي سعيد:

من علماء الفسطاط، كانت له حظوة عند الأمراء وتعاطف مع الحيوان.

٢٦ - رجل من العاملين:

وهو مجهول، وضمن ذكره حكاية رجل قام من قبره.

٢٧ - شيخ فقير اسمه رزق اللَّه:

لقيه المؤلف في رشيد، وكان شيخًا مملقًا بئيسًا حج أربعًا وعشرين مرة.

٢٨ - رجل صالح بصعيد مصر:

مجهول الاسم لم يعرف سره.

٢٩ - ثلاثة من العباد من أهل قنا.

٣٠ - رجل آخر من قنا.

٣١ - مجهول الاسم:

حكاية عن مخبر لقي مجهولاً على ظهر سفينة؛ فشاهد كراماته وطلب نصيحته.

٣٢ - شيخ ببلاد فارس:

نقل الصدفي كلامه في الحكمة عن مخبر لقيه بمصر.

(هـ) من لقيهم بالحجاز:

٣٣ - أبو محمد عبد اللَّه بن أحمد المعروف بابن عيصير المصري:

وهو مغربي مقيم بمكة، عاشره المؤلف مدة ونسب إليه عدة كرامات.

٣٤ - أبو العباس أحمد بن إسماعيل المعروف بالفنكي المقرئ.

٣٥ - أبو الحسن علي بن حمزة المعروف بالبخاري - رحمه اللّه -:

صاحب كرامات ضد قراصنة النصارى.

٣٦ - أبو محمد عبد اللّه بن مقبل التميمي:

وهو يمني أقام بمكة كلم المؤلف بكلام سامي المعاني.

٣٧ - أبو عبد اللّه بن وابور المرابط المتلثم:

كان مقيمًا بمكة وهو من الأمراء، كرس حياته لعمل البر.

٣٨ - أبو محمد عبد اللّه الرديني:

من أهل مصر، كان من أهل الصلاح المستقرين بالفسطاط، وكان يجمع بين العلم والمال، ولربما زاد على ذلك جاهًا عند الأمراء ليرشدهم إلى سواء السبيل. أكثر الصدفي من مدحه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الالتزام الديني Religious Commitment.**
- **التفكير Thinking.**
- **الحكمة Wisdom.**
- **التأمل الذاتي Introspection.**
- **الصراع Conflict.**
- **القدرة على حل المشكلات Problem Solving Ability.**
- **العون الاجتماعي Social Helping.**
- **ضبط الذات Self Control.**
- **الإرشاد النفسي الفردي Counseling Individual.**
- **التأثيرات الثقافية Cultural Effects.**
- **إدارة العلاقة مع رموز السلطة Authority Concept.**
- **العطاء Donation.**

- صعوبات التعلم Learning Disability.
- التأثير في القادة Effect of leaders.
- الاكتئاب Depression.
- الاغتراب الاجتماعي Social Alienation.
- توكيد الذات Assertiveness.
- السلوك الاجتماعي الإيجابي Pro social Behavior.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

شفاء السائل لتهذيب المسائل
دراسة تحليلية للعلاقة بين السلطان الروحي والسلطان السياسي

- تأليف/ ابن خلدون، عبد الرحمن.
- تحقيق/ أبو يعرب المرزوقي.
- الدار العربية للكتاب (١٩٩١م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

عبد الرحمن بن خلدون غني عن التعريف، فهو عالم أندلسي شهير له إسهامات ثرية في كثير من العلوم الإنسانية والفلسفة، وله أيضًا مئات المؤلفات من أشهرها كتابه « المقدمة ».

عرض الكتاب:

يتناول كتاب « شفاء السائل لتهذيب المسائل » لابن خلدون في مجمله مشكلة بحثية نفسية تربوية تتمثل في مدى فاعلية **التعلم الذاتي Self-Learning** مقابل **التعليم الموجه Guided Education**. فقد كان هذا الكتاب استجابة لمناظرة صوفية حول طرق الوصول إلى المعرفة. فذهب أحد طرفي الجدل إلى أنه يمكن التعلم من الكتب الموضوعة والأقوال الشارحة من غير الحاجة لمعلم أو « شيخ » يقتدى به. وفي المقابل، ذهب الطرف الآخر إلى ضرورة الاقتداء بشيخ، يكون بمنزلة « الطبيب للمرضى والإمام العدل للأمة الفوضى » (ص١٧٥).

فيتكوَّن الكتاب من ستة فصول:

بدأ ابن خلدون **فصله الأول « الكلام في تحقيق طريق المتصوفة وتمييزه على الجملة من بين طرق الشريعة ومدلول هذا اللقب عند من سلف من الأمة »** بتعريف طبيعة التكاليف الشرعية، والتي قسمها إلى نوعين: أحكام تتعلق بالأعمال الظاهرة، وأحكام تتعلق بالأعمال الباطنة. وقد أولى أهمية للأعمال الباطنة أكثر من الأعمال الظاهرة، واعتبر الصوفية طريقًا للمصالحة بين هذين النوعين من العبادات.

وفي الفصل الثاني « القول فيما إليه همم القوم من المجاهدات وما حملهم من البواعث »

أشار ابن خلدون إلى معنى اللطيفة (النفس) وكمالها. ثم قام بتوضيح كيفية اكتساب النفس (اللطيفة) للمعرفة، والفرق بين العلم المكتسب والإلهامي والروحاني، ومعنى السعادة وتفاوتها والحرص على الفوز بأعلى نوع منها، وهو « النظر إلى وجه اللّه تعالى ». وفي نهاية هذا الفصل، قسم المعرفة إلى مراتب مختلفة، واعتبر المعرفة باللّه وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته هي أكمل رتبها.

تناول الفصل الثالث « **الكلام في المجاهدات بإطلاق وأقسامها وشروطها** » ثلاثة أنواع من المجاهدات وهي: مجاهدة التقوى، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف والاطلاع. وأشار إلى وجود خمسة شروط لمجاهدة الكشف والاطلاع، وهي: التقوى، والاستقامة، والاقتداء بشيخ قد خبر المجاهدات، وقطع العلائق كلها عن النفس بواسطة الزهد، وصدق الإرادة. ثم انتقل إلى تقديم بعض التعريفات الخاصة بالتصوف، وبعض الفتوى المتعلقة بمشروعية المجاهدات.

وفي الفصل الرابع « **الكلام فيما نقل المتأخرون اسم التصوف إليه والرد عليهم في ذلك** »، عرض لرأيين يجمعا مذاهب التصوف رغم اختلافها وتشعب طرقها. يتمثل الرأي الأول في رأي « أصحاب التجلي والمظاهر والأسماء والحضرات »، بينما يتمثل الرأي الثاني في رأي « أصحاب الوحدة ».

وفي الفصل الخامس « **الكلام في اشتراط الشيخ في المجاهدة وفي أي المجاهدات يجب وفي أيها يتأكد وفي أيها يجب. ووجه ذلك** »، قام بتحديد درجات الحاجة إلى « الشيخ المعلم والمربي الناصح »، وذلك في ضوء المجاهدات الثلاث. ففي مجاهدة التقوى (الورع)، « فلا يضطر فيها إلى الشيخ، وإنما يكتفي فيها: معرفة أحكام اللّه وحدوده » (ص٢٢٣). وأما مجاهدة الاستقامة (التخلق بالقرآن وبخلق الأنبياء)، « فمحتاجة بعض الشيء إلى الشيخ المعلم » (ص٢٢٤). أما مجاهدة الكشف والإطلاع « فإنها مفتقرة إلى المعلم المربي » (ص٢٢٤).

وفي الفصل السادس والأخير « **الكلام في الفصل بين المتناظرين وتعيين الحق من أقوالهما والصحيح من أدلتها** »، قام بعرض نص المناظرة المتعلقة بالحاجة أو عدم الحاجة إلى شيخ أو معلم في اكتساب المعرفة، والتي تضمنت ثماني حجج ترفض الحاجة إلى الشيخ وثمانية حجج مقابلة تؤيد الحاجة إلى الشيخ. وقد انتهى ابن خلدون إلى تأييد الحاجة إلى الشيخ، شريطة أن يكون التصوف من النوع المشروع.

إضافة إلى القضية الرئيسة في الكتاب الحالي – تقييم فاعلية التعلم الذاتي مقابل التعليم الموجه – هناك العديد من الإشارات النفسية التي تطرق لها ابن خلدون صراحة أو ضمنيًّا. بوجه عام، أشار ابن خلدون إلى أن « الإنسان مركب من جثمان ظاهر وهيكل محسوس وهو الجسد، ومن لطيفة ربانية أودعه إياها وأركبها مطية بدنه. وهي التي يعبر عنها في الشرع تارة بالروح، وتارة بالقلب، وتارة بالعقل، وتارة بالنفس؛ وإن كانت هذه الألفاظ مشتركة بينها وبين مدلولات أخرى. وربما كنى الشارع عنها بالأمانة » (ص١٨٤). ويضيف قائلًا أن النفس تكون « بمنزلة الصبي في أول نشوه، حتى تستكمل في هذا العالم بما يحصل فيها من آثار العلم والعمل » (ص١٨٥). وهكذا، نجد ابن خلدون متأثرًا بالغزالي وأفلاطون في فكرة ثنائية الجسد والنفس، وفي التصور القائل أن النفس تولد كصفحة بيضاء، على التوالي.

ويرى ابن خلدون أن الغرائز تخضع للتنظيم بواسطة التفكير، « فغريزة الغضب تطلب التشفي والانتقام، وفيها كمالها ولذتها. وغريزة الشهوة تطلب اللذة بالمأكول والمنكوح، وبالجملة تحصيل الملائم، وكذلك غريزة العقل التي فيه تطلب تحصيل العلم والمعرفة. والفكر خادمه في جميع ذلك » (ص١٧٨). ثم قام بتوضيح كيف يؤدي التفكير هذه الوظيفة؛ حيث إنه « يركب ويحلل ويجمع ويفصل. فيتصور عداوة شخص ما، ويحرك الجوارح للانتقام منه. ويتصور جمال شخص وكمال صورته، فيحرك الجوارح للالتذاذ به. ويتصور غذاءً ملائمًا وقد وجد الجوع، فيحرك الجوارح لتحصيل ذلك الغذاء. ويتصور كمالًا في شخص، فيود انتزاعه وانفراده به، ويغتنم لذلك ويؤسفه آخر فيتصور الانتقام منه. ويتوهم الكمال في نفسه، فيعجب بذاته، ويزدري غيره لتوهم قصوره » (ص١٧٨). وهكذا، يرى أن للسلوك الاجتماعي أساسًا معرفيًّا؛ مما يتفق مع الكثير من البحوث المعرفية الاجتماعية الحديثة. وعلى نحو أكثر تحديدًا، كان ابن خلدون موفقًا إلى حد كبير في تحديد العمليات الكبرى في أجهزة التفكير، والاستدلال، وحل المشكلات، والتي منها التحليل **Decomposition** ، والتجميع **Assembly**، والتركيب **Synthesis**، والتفصيل **Elaboration**، والعزو **Attribution**.

كما أوضح ابن خلدون الطريقة التي بها يتم استقبال وتمثيل المعلومات من العالم الخارجي، وذلك « ببسط الحواس الظاهرة على المدركات، بانتزاع صورها في الخيال، ثم تجريد المعاني المعقولة منها، ثم تصرف الفكر فيها بالتركيب والتحليل ونظم الأقيسة

حتى يحصل مطلوبها الذي تتوجه إليه » (ص١٨٦). تتشابه هذه المراحل إلى حد كبير مع مراحل الإدراك البصري كما أشار إليها علماء علم النفس المعرفي، والتي تبدأ باستقبال المثير على شبكية العين، وتشفيره (أي تحويله من طاقته الحسية إلى نمط ذي معنى **Meaningful Pattern**)، وتحليله إلى مكوناته الأساسية (وذلك طبقًا لنظرية بيدرمان في التعرف بواسطة المكونات **Biederman's Recognition-by-Components Theory**). وربما يقصد ابن خلدون بمفهوم « الخيال » التمثيل المعرفي، كما سنوضحه لاحقًا.

علاوة على ذلك، يرى ابن خلدون « أن البصر إذا رأى شخصًا ثم غمضت الأجفان دونه، بقي متخيلًا، ثم إذا فتح أجفانه مرة أخرى رآه كما كان ولا فرق بين الحالتين إلا في مزيد الكشف والاتضاح في الإدراك، وإلا فالمرئي بحاله، وكذا إذا أدرك هيكل شخص في غسق من الليل أو سدفة، ولم يتبينه وحصل في خياله، فإنه إذا انتشر الضوء ووضح الصباح اتضح إدراكه وأحاط به من جميع جهاته. والمرئي باقٍ بحاله، فهذه وثبتان في الإدراك: عندما يكون متخيلًا، ثم عندما يصير مرئيًا » (ص١٩٠). فإن إدراك الشخص **Person Perception** أو إدراك الوجه **Face Perception** يمثل مجالًا رئيسًا من المجالات المعرفية الحديثة في الإدراك البصري. طبقًا لابن خلدون، عقب الاستقبال البصري للمثير (الشخص)، يتم تخزينه في صورة تمثيلات معرفية (التي يسميها خيالات). وقد أشارت البحوث إلى أن التمثيلات المعرفية تكون متناثرة **Sparse**. ومن ثم، يصفها ابن خلدون بعدم الوضوح، وذلك عند مضاهاتها مع الصورة الفيزيقية للمثير، كما يحدث في اختبارات الذاكرة المباشرة **Immediate Memory**. وفي موضع آخر، عرض ابن خلدون المثال التالي « أن تبصر زيدًا في الدار عن قرب وفي صحن الدار وقت إشراق الشمس، فهذا كمال الإدراك. وآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيمتثل من صورته ما يتيقن معه أنه هو، ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته » (ص١٩١، ١٩٢). وهكذا، يرى ابن خلدون أن دقة الإدراك البصري تتأثر بكل من المسافة **Distance**، والسياق **Context**، والإضاءة **Lighting**، وهي عوامل ثبت فعلًا تأثيرها على إدراك الوجه. لاحظ أن ابن خلدون هنا قد استخدم صراحة مفهوم التمثيل المعرفي، بقوله: « يتمثل في نفسه ».

وهكذا ندم ابن خلدون في الكتاب الحالي الكثير من الافتراضات المعرفية، يتعلق

معظمها بالإدراك البصري. إضافة إلى ذلك، قدم ابن خلدون إشارات نفسية اجتماعية متعددة، ولكنها لم تكن بنفس مستوى عمق افتراضاته المعرفية.

فعلى سبيل المثال، اشترط ابن خلدون في اللغة ومفرداتها خاصية التواصل الاجتماعي بقوله: « ألفاظ التخاطب في كل لغة من اللغات إنما وضعت لمعانٍ متعارفة من محسوس أو متخيل أو معقول تعرفه الكافة إذ اللغات تواضع واصطلاح، فلا توضع إلا للمعروف المتعاهد. فأما ما ينفرد بإدراكه الواحد في الأعصار والأجيال فلم توضع له، ولا يصح أيضًا التجوز بهذه الألفاظ على طريق المجاز؛ إذ التجوز إنما يكون بعد مراعاة معنًى مشترك » (ص٢١٠). وعرف السعادة بأنها: « حصول النعيم واللذة باستيفاء كل غريزة ما تشتاق إليه من مقتضى طبعها، وذلك هو كمالها. فلذة الغضب بالانتقام، ولذة الشهوة بالغذاء أو النكاح، ولذة البصر بالرؤية، ولذة هذه اللطيفة الروحانية بحصول العلم والمعرفة » (ص١٨٩). وأشار ضمنيًّا إلى المسايرة الاجتماعية أو المجاراة أو الاتباعية بقوله: « النفوس أبدًا مع الجم الغفير، وتقليد الآباء، ومشيخة العصر في القول والعمل » (ص١٨٢). كما أشار إلى الفروق الفردية بقوله: « فكل سالك لا يليق به من التربية ما يليق بغيره. فقد يكون الرجلان على وزن واحد في العلم والعمل. ويعرض لهما عارضان مختلفان، فيحتاجان إلى دواء مختلف. فيصلح لأحدهما من العلاج ما لا يصلح للآخر » (ص٢٣٣).

وعلى نحو أكثر أهمية، أشار ابن خلدون إلى أن هناك نسقًا قيميًّا يوجه السلوك، وهنا يأتي اختيار الفعل الصادر؛ لأنه بديل بين عدة بدائل بينما تتمتع القيم بقدر من الثبات النسبي وذات دور موجه للسلوك (أي الاختيار). فيرى أن « الباطن سلطان الظاهر المستولي عليه، وأعمال الباطن مبدأ لأعمال الظاهر، وأعمال الظاهر آثار عنها » (ص١٧٧). فيقصد بالأعمال الظاهرة: « العبادات والعادات والمتناولات »، بينما يقصد بالأعمال الباطنة: « الإيمان وما يتصرف في القلب ويتلون به من الصفات، أما المحمودة كـ (العفة والعدل والشجاعة والكرم والحياء والصبر)، وأما المذمومة كـ (العجب والكبر والرياء والحسد والحقد) (ص١٧٧). ويفرق بينهما على أساس أن « الأعمال الظاهرة كلها في زمام الاختيار، وتحت طوع القدرة البشرية، وأعمال الباطن - في الأكثر - خارجة عن الاختيار متعاصية على الحكم البشري؛ إذ لا سلطان له على الباطن، بل وترجع الأعمال الظاهرة إليه؛ لأنها تحت سلطانه » (ص١٧٩). وهكذا، يرى أن العلاقة بين

السبب Cause (النسق القيمي) والنتيجة Effect (السلوك الظاهر) هي أحادية الاتجاه Unidirectional، ولكن ليست ثنائية الاتجاه Bidirectional.

الخلاصة:

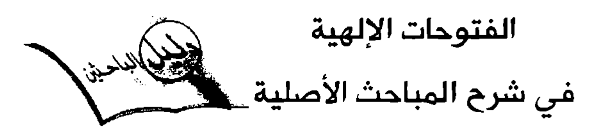
ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- النفس Psycho.
- القيم Values.
- الفروق الفردية Individual Differences.
- الإدراك البصري Visual Perception.
- إدراك الشخص Person Perception.
- التمثيل المعرفي Cognitive Representation.
- التعلم الذاتي مقابل التعليم الموجه Self-Learning vs. Guided Education.
- السعادة Happiness.
- المجاراة Conformity.
- اللغة Language.
- التواصل الاجتماعي Social Communication.

القائم بالعرض

د. أحمد محمد مجرية

* * *



الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية

○ تأليف/ ابن عجيبة أحمد بن محمد الحسني (١٢٢٤هـ).

○ خرج أحاديثه ووضح حواشيه/ الشيخ عبد الوارث محمد علي.

○ بيروت: دار الكتب العلمية (٢٠٠٠م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف به مسبقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٣٠٢) صفحة من القطع المتوسط؛ مقسمة إلى خمسة فصول، يندرج تحت كل فصل عددٌ من الأبواب.

يعرض الفصل الأول لأصل الصوفية، وتطور الإنسان في اقترابه من اللَّه ﷻ، وكيف أن اللطيفة الربانية حين اشتبكت بهذا البدن وسجنت في هذا الهيكل، اختلفت تسميتها باعتبار تطورها وترقيها. وأشار في ظل ذلك للنفس المصابة بأمراض **كالغضب Anger، والقلق Anxiety** (ص٣١).

كما يشير إلى التجريد، والذي نعني به تعرية الشيء، وهو عند الصوفية ثلاثة أقسام؛ تجريد الظاهر: أي ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة اللَّه، وتجديد الباطن: وهو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع اللَّه، وتجريدهما معًا: أي إفراد القلب والقالب له.

والفصل الثاني في فضل الصوفية، وأشار الكاتب هنا إلى جهاد النفس، ونوَّه إلى أن أصل كل داء جسماني إنما هو فساد المزاج، إلى أن يصير فعله وانفعاله على غير المجرى الطبيعي، وهو ما يمكن أن يشار إليه في عصرنا الحالي **بالاضطرابات النفسية الجسمية Psychosomatic Disorders** (ص٦٢).

أما الفصل الثالث فيشير إلى أحكام الصوفية، وهي تسعة، وأولها في حكم الشيخ وما يترتب عليه؛ وأوضح أهمية الشيخ في التعليم، ويذكر لنا كيف يجب على الشيخ أن يعرف مريده، ويعامله بحسب صلاحيته واستعداده، ويعتبر هذا إشارة إلى

الفروق الفردية بين الأفراد Individual Differences (ص٨٧).

كما أشار إلى أن الشيخ يعرف كيف يعالج علة مريده، فإن كان يعاني من قبض النفس (الاكتئاب **Depression**)، ينفع معه مذاكرة ما يقوى على الرجاء ويوجب الفرح، وهو هنا يقدم **العلاج النفسي Behavior Therapy** لهذا الاضطراب (ص٩٠).

كما بين أن الشيخ المتبحر في علمه هو من يستطيع مساعدة كل من يقصده، فيكون عالمًا بالخواطر النفسانية والشيطانية، ويقصد بها الخواطر الرديئة والمقاصد الدنيئة، وهو ما يمكن الإشارة له **بالأفكار اللاعقلانية Irrational Thoughts** (ص٩٤).

ثم كان الحكم الثاني من أحكام التصوف ألا وهو حكم الاجتماع؛ فيقال أن التصوف مبنيٌّ على ثلاثة أركان: الاجتماع، والاستماع، والاتباع. ويشير هنا إلى **التعلم بالقدوة Modeling** عندما قال: « فمشاهدة الأخيار ترفع الهمة، وتقوي العزيمة. والمؤمن مرآة أخيه، فما في المحاذي ينطبع في المحاذي » (ص١٠٠).

ثم جاء الحكم الثالث في اللباس؛ وأوضح أن جميع ألوان اللباس مباحة، واستحب الصوفية لبس الصوف.

ثم كان الحكم الرابع في الأكل؛ وذكر فيه إلى حكم الأكل ومقداره، وصفته، وآدابه، وآداب تحصيل المأكول. وأشار هنا إلى **اضطراب النهم Obesity** في قوله: « الشبع المفرط الذي يفسد المعدة، ويضيع الطعام من غير احتياج محرمٌ، والذي يثقل الأعضاء ولا يفسد شيئًا مكروهٌ » (ص١٢٣، ١٢٦)، حيث بيَّن أن امتلاء البطن يؤدي إلى الكسل، والثقل، وسوء الخواطر، والوساوس.

وتناول في الحكم الخامس ما يلزم من الآداب عند الاجتماع؛ ومن ذلك ذكر اللَّه، وحسن الظن باللَّه وبجميع المسلمين.

ثم ذكر الحكم السادس في حكم الاستماع؛ ويعني به الاستماع إلى الأشعار، والنغم والموسيقى، وتكلم عن حكمه، وأحكامه، وفوائده.

ثم كان الحكم السابع في السفر والقدوم على المشايخ؛ وأشار إلى أن هناك آدابًا قبل الشروع في السفر، وآدابًا حال الشروع فيه، وآدابًا تتبع بعده.

أما الحكم الثامن ففي السؤال أي الطلب؛ فبين حكم السؤال وآدابه ومواطنه المختلفة.

وانتهى بالحكم التاسع وكان في المريد؛ فجاء على ذكر حكم المريد، وكيف يتربى ويتدرج لدى شيخه، فيتعلم منه، ويقتدي به في علوم دينه.

وجاء الفصل الرابع في تقبيح من أنكر هذا الطريق - الصوفية -؛ وعدد الأسباب التي يسوقها من ينكر هذا الطريق، وأن ذلك قد يرجع لجهلهم بحقيقة أنفسهم وشرفها، وجهل كون نفسه خليفة عن اللّه في أرضه، وجهل النفس بالعالم المعقول، والاشتغال بعمل الجوارح الظاهرة والتعمق فيه، والخوض فيما يحسنه العقل ويقبحه، وجهل الإنسان بما يحل له الخوض فيه، وما يحرم عليه، والميل عن المواهب الإلهامية والعلوم اللدنية، والفرق بين العالم الروحاني والعالم الجسماني، والفرق بين العالم والعارف.

أما الفصل الخامس والأخير ففي فقراء العصر ومتشبهي الوقت؛ وبيَّن أن التصوف طريقة من دخلها أحب روحه بمعرفة اللّه، ولكنها صارت عند أقوام حرفة ومعيشة، ويتخذونها شبكة يصطادون بها الدنيا والجاه.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية:

- **الغضب Anger.**
- **القلق Anxiety.**
- **الاضطرابات النفسية الجسمية Psychosomatic Disorders.**
- **الفروق الفردية بين الأفراد Individual Differences.**
- **الاكتئاب Depression.**
- **العلاج النفسي Behavior Therapy.**
- **الأفكار اللاعقلانية Irrational Thoughts.**
- **التعلم بالقدوة Modeling.**
- **اضطراب النهم Obesity.**

القائم بالعرض

د. نشوة عبد التواب حسين

* * *

قواعد التصوف



○ تأليف/ زروق أبو العباس بن محمد.

○ تحقيق/ النجار محمد زهري.

○ القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، الطبعة الثالثة.

* * *

التعريف بالمؤلف:

المؤلف هو زروق، أبو العباس أحمد بن محمد، من أعلام الصوفية وإمام من أئمة أهل الحقيقة، وقد حاز قصب السبق في علمي الشريعة والحقيقة (ولم يُذكر له تاريخ ميلاد أو وفاة).

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (١٣٩) صفحة من القطع المتوسط، وهو بدون مقدمة ولا فهارس، ويهدف الكتاب إلى وضع قواعد التصوف وأصوله، على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة، وذلك من خلال عرض مائتين وسبع عشرة قاعدة للتصوف، تمثل أسس الفضائل **والسلوك الإيجابي Positive Behavior** نعرض لمعظمها كالتالي:

١ - الكلام في أي موضوع ناتج عن تصور ماهيته (**تكوين المفهوم Concept Formation**) (ص٣).

٢ - ماهية الشيء حقيقته، وحقيقته هي ما دلت عليه جملته.

٣ - الاختلاف في الحقيقة الواحدة يدل على بعد إدراك جملتها، ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلاف حال قائل الكلام على حسب ما ناله من علم أو عمل أو حال.

٤ - صدق التوجه عند المتكلم مشروط برضا اللّه تعالى، فلزم تحقيق الإيمان ولزم العمل بالإسلام ولزم الفقه، فلا تصوف إلا بفقه، ولا فقه إلا بتصوف.

٥ - إسناد الشيء إلى أصله يدفع قول المنكر لحقيقته، وأصل التصوف مقام الإحسان؛

أي أن تعبد اللّه تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

٦ - يمكن الاصطلاح للشيء؛ أي استخدام مصطلح **Term** بما يدل على معناه ويشعر بحقيقته ويبين مدلوله من غير لبس مع مصطلح آخر.

٧ - الاشتقاق **Derivation / Etymology** قاض بملاحظة معنى المشتق والمشتق منه، واشتقاق كلمة صوفية تعددت فيه الأقوال:

أ - كلمة صوفية تأتي من الصوفة؛ لأن المتصوف مع اللّه كالصوفة لا تدبير له.

ب - أنه من صوفة القفا للينها؛ فالصوفي هين لين.

جـ - من الصفة أو الخصلة **Characteristic** إذ جملته الاتصاف بالمحاسن.

د - أنه من الصفاء **Clearness / Fineness**.

هـ - أنه من الصفة أيضًا، حيث ينطبق على المتصوف الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨].

٨ - اختلاف النسب قد يكون لاختلاف الحقائق، وقد يكون لاختلاف المراتب في الحقيقة الواحدة.

٩ - لا يلزم من اختلاف المسالك **Conducts** اختلاف النية **Intention**؛ بل قد تكون النية واحدة مع اختلاف مسالكها.

١٠ - لكل شيء أهل ومحل وحقيقة، وأهلية التصوف عند صادق أو عارف محقق أو محب.

١١ - شرف الشيء إما أن يكون لذاته فيطلب لذاته، وإما أن يكون لمنفعته فيطلب لنفعه **Utility**، وإما أن يكون لمتعلق به فتتم الفائدة بوصله بالمتعلق به.

١٢ - فائدة الشيء هي ما قصد له وجوده؛ فالتصوف علم قصد به إصلاح القلوب، وإفرادها للّه تعالى عمّا سواه.

١٣ - العلم بفائدة الشيء باعث على الاهتمام به، لتعلق النفس الإنسانية بما يفيد إن وافقها، والعكس بالعكس.

١٤ - أهلية الشيء تقضي بلزوم عطائه لمن تأهل له واهتم به **Interest**؛ لأنه يقدره ولكن من ليس أهل له فقد يضيعه.

١٥ - استحقاق الأهلية مستفاد من شاهد الحال، وقد يشتبه الأمر فيكون الحَذَرُ أولى، وقد يتجاذب الأمر من يستحقه ومن لا يستحقه فيكون المَنعُ لأحد الطرفين دون الآخر.

١٦ - علم التصوف - ككل العلوم - فيه ما يخص وما يعم، وعليه فيجب أن نُحَدِّثَ الناس على قدر وسعهم أو قدرتهم.

١٧ - اعتبار المهم وتقديمه أبدًا شأن الصديقين في كل شيء (إشارة إلى أهمية وضع الأولويات).

١٨ - الاشتراك في الأصل يقضي الاشتراك في الحكم، والفقه والتصوف شقيقان في الدلالة على أحكام اللّه تعالى.

١٩ - التصوف لا يُعرَف إلّا مع العمل به، فالاستظهار به دون عمل تدليس، والعمل به شرط كماله.

٢٠ - لا يصلح العمل بالشيء إلا بعد معرفة حكمه، ويكون العلم ثم العمل ثم النشر ثم الإجادة، (العلاقة بين المعرفة **Knowledge**، والسلوك **Behavior**).

٢١ - طلب الشيء من وجهه وقصده من مظانه أقرب إلى تحصيله، وقد ثبت أن العلوم الصوفية مِنَحٌ إلهية لا تنال إلا بمعتاد الطلب.

٢٢ - كل حقيقة تظهر في الوجود تقابل بدعوى مثلها، وإدخال ما ليس منها عليها وتغييرها، وذلك بسبب الرغبة في فضل الاستئثار بها، ثم يبين اللّه - تعالى - حقيقتها وينفي معارضيها.

٢٣ - لا علم إلا بالتعلم من الشارع - تعالى - أو من ينوبه.

٢٤ - حكم الفقه عام؛ لأنه يهدف إلى إقامة الدين ورفع منارته وإقامة حكمته، بينما حكم التصوف خاص، فلا يقال للصوفي: فقيه، ولكن يقال للفقيه: صوفي، إشارة إلى العلاقة بين الفقه والتصوف.

٢٥ - مقصد الفقه ومقصد التصوف: الفقه مقصده إثبات الحكم في العموم، بينما التصوف مقصده طلب الكمال.

٢٦ - أصل الاحتجاج بالصحة: عند الاختلاف في الحكم نفيًا أو إثباتًا، إذا ظهر أن أحد الحكمين بني على أصل لا يتم الاحتجاج به، فهو فاسد، وهذا أساس الحكم بالصحة والفساد على الحكام.

٢٧ - لكل شيء مراحل، فطالب العلم في بدايته شرطه الاستماع والقبول **Acceptance**، ثم التصور **Representation**، والفهم **Understanding**، ثم التعليل والاستدلال **Reasoning**، ثم العمل **Application**، والنشر **Publication**.

٢٨ - إحكام وجه الطلب **Goal Orientation** مُعِين على تحصيل المطلوب، فحسن السؤال نصف العلم.

٢٩ - التعاون على الشيء ميسر لطلبه ومسهل لمشاقه على النفس، إشارة إلى مفهوم **Co-operation**.

٣٠ - أصل الفقه والتصوف: مادة الشيء مستفادة من أصوله، والفقه والتصوف أصولهما كتاب اللّه والسنة.

٣١ - للمتكلم في أي فرع من العلوم مهارات وجب توافرها مثل إلحاق الفرع بالأصل، وتحقيق الأصل من الفرع، وتلك إشارة إلى مهارات المتكلم **Argumentation**.

٣٢ - الفرع والأصل: يعتمد الفرع على حسب موافقته للأصل فإن وافق قُبِلَ وإلّا رُدّ.

٣٣ - يجب ضبط العلم بقواعده، فذلك يضبط مسائله ويفهم معانيه.

٣٤ - إذا حقق أصل العلم، وعرفت مواده، ولاحت أصوله، ووضحت فروعه، كان فهمه أيسر بين أصحابه.

٣٥ - العلماء مصدقون فيما يقولون وذلك موكول لأماناتهم؛ أخلاق العلماء.

٣٦ - العلم والحال: مبنى العلم على البحث والتحقيق، ومبنى الحال على التسليم والتصديق.

٣٧ - ما كان مدركًا بالعقل فبرهانه في نفسه.

٣٨ - هناك مراتب مختلفة لتلقي العلم؛ منها التبصر، والاجتهاد، والتقليد، والاقتداء.

٣٩ - لا مُتّبَع إلّا المعصوم ﷺ؛ وذلك لانتفاء الخطأ عنه، ثم من شُهِدَ له بالفضل.

٤٠ - ما دُوِّنَ من كلام الأئمة في كل مجال هو حجة لثبوته بتداوله ويمكن اتباعه.

٤١ - تشعب الأصل قاض بتشعب الفرع، فلزم ضبط النفس بأصل يرجع إليه فقهها؛ أهمية الالتزام بالأصل.

٤٢ - فتح كل أحد ونوره على قدر فتح متبوعه ونوره، أي أن مقام المتبوع وفضله يحدده مقام التابع وفضله.

٤٣ - أساس القبول والرفض للمذهب: ما أنكره المذهب لا يمكن الأخذ به، وما لم ينكره المذهب يجوز الأخذ به.

٤٤ - فيما يعرض للكلام من الأشكال وجوه، وعدم وضوح الفكرة يأتي لعدم وضوح الكلام أو لسوء في الأصل.

٤٥ - تحقيق الأصل لازم لكل من لزمه فرعه، وعليه يجب تحقيق أصول الدين عند كل الأئمة.

٤٦ - وجود المُبهَم والمُشكل في النصوص الفرعية هو ميزان للعقول والأذهان، حتى يستخدم القياس **Syllogism** الفقهي، أي حمل فرع على أصله لعلة مشتركة بينهما.

٤٧ - الكلام في المحتمل بما يقتضيه من الوجوه السائغة فيه، لا يكون على أساس النقض، إذا لم يعتقد أنه المراد.

٤٨ - إثبات الحكم للذات ليس كإثباته لعوارض الصفات.

٤٩ - إنما وضعت التراجم لتعريف المناصب والمراتب، فمن عرفت مرتبته لا تفيد ترجمته.

٥٠ - المعاملات عند الصوفي والفقيه: نظر الصوفي للمعاملات أخص من نظر الفقيه، فالفقيه ينظر إلى ما يُسقِط الحرج والصوفي يرجو الكمال.

٥١ - تنوع الفرع بتنوع أصله، وأصل التصوف مقام الإحسان.

٥٢ - في اختلاف المسالك **Conducts** راحة للسالك وإعانة له على ما أراد من بلوغ الهدف.

٥٣ - تعدد وجوه الحُسنِ يقضي بتعدد الاستحسان، وحصول الحُسن لكل مستحسن.

٥٤ - حظ العامي في المسالك هو الحذر والإشفاق والأخذ بأيسر المسالك وأوضحها.

٥٥ - اللفظ والمعنى: يعتبر اللفظ بمعناه، ويؤخذ المعنى من اللفظ (العلاقة بين اللفظ والمعنى **Semantic**).

٥٦ - كل اسمٍ أو ذِكرٍ خاصيته من معناه، وتصريفه في مقتضاه، وسره في عدده،

وإجابته على قدر همة صاحبه.

٥٧ - مراعاة اللفظ لتوصيل المعنى لازم كمراعاة المعنى في حقيقة اللفظ، وهذه إشارة إلى علم المعنى **Semantics**.

٥٨ - غاية إتباع التقوى التمسك بالورع، وهو ترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس.

٥٩ - من كمال التقوى وجود الاستقامة، وهي حمل النفس على أخلاق القرآن والسنة.

٦٠ - ضبط النفس بأصل يرجع إليه في العلم والعمل لازم لمنع التشعب والتشتت؛ أهمية الالتزام بالأصل.

٦١ - الرياضة تمرين النفس لإثبات حسن الأخلاق ودفع سيئها وهو اختصاص عمل التصوف.

٦٢ - النسُكُ: هو الأخذ بكل ممكن من الفضائل.

٦٣ - الحكيم ينظر في الوجود من حيث حقائقه ويطلب حقائقه من حيث انتهى إليه.

٦٤ - اعتبار ما في النفوس أصلًا، وإدخال ما يقتضي تقويتها من الخواص فرعًا.

٦٥ - اتساع الكلام وتشعبه في الأصل والفرع مفيد لمن له أصل أو محك يرجع إليه.

٦٦ - العلم مفيد في كل الحالات فهو قد يفيد بحثًا على الطلب، أو يفيد كيفية العمل، أو يفيد أمرًا خبريًّا يهدى إليه.

٦٧ - أصل كل أصل من علوم الدنيا والآخرة مأخوذ من الكتاب والسنة.

٦٨ - لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم اللّه فيه.

٦٩ - لا يقبل في باب الاعتقاد مبهم ولا غير حقيقي.

٧٠ - ثبوت المزية لا يقضي رفع الأحكام، ولزوم الأحكام الشرعية لا يرفع خصوص المزية.

٧١ - تحقق العلم بالمزية لا يبيح السكوت عند يقين الحق، إلا عند العلم بحقيقة ما عليه الفاعل.

٧٢ - التوقف في محل الاشتباه مطلوب.

٧٣ - أصل كل شيء اللقمة والخُلطة، فكُل ما شئت فمثله تفعل، واصحب مَن شئت فأنت على دينه، (**مفهوم الصداقة Friendship**).

٧٤ - تكليف ما ليس بالوُسع جائز عقلًا غير وارد شرعًا.

٧٥ - حفظ النظام واجب ومراعاة المصلحة العامة لازم.

٧٦ - العبادة هي إقامة ما طلب شرعًا من الأعمال الخارجة عن العبادات أو الداخلة فيها.

٧٧ - يجب موافقة الحق حتى وإن كان موافقًا للهوى.

٧٨ - التشدد في العبادة منهي عنه كالتراخي فيها، ويرتبط ذلك بمفهوم **Extremeness**.

٧٩ - تحديد ما لم يرد في الشرع تحديده هو ابتداع في الدين لا سيما إن عارض أصلًا شرعيًّا.

٨٠ - ما تركب في الطباع مُعِينٌ للنفوس على ما تريد حسب قواها، (**مفهوما الطبع والتطبع Nature & Nurture**).

٨١ - طلب الشيء بوجه واحد مع الإلحاح أقرب لنواله وأدعى لدوام سببه، (**مفهوم الصبر والمصابرة Forbearing or Longsuffering**).

٨٢ - دوام الشيء بدوام ما رتب عليه، وثوابه على قدر نيته **Intention**، ورتبته على قدر التقرب به.

٨٣ - استواء الفعل والترك في المنفعة، يقضي بترجيح الترك؛ لأنه الأصل والأقرب للسلامة.

٨٤ - ما مدح أو ذم إلا لذاته قد ينعكس حكمه لموجب يقتضي نقيضه.

٨٥ - قد يباح الممنوع لتوقع ما هو أعظم منه كالكذب في الجهاد.

٨٦ - تمرين النفس في أخذ الشيء وتركه وسوقها بالتدريج أسهل لتحصيل المراد منها، (**مفهوم الاقتراب المتتابع Progressive Approximation**).

٨٧ - بساط الكرم قاضٍ بأن اللّٰه تعالى لا يتعاظمه ذنب يغفره، وبساط الجلال قاضٍ بأن يأخذ العاصي ولا يهمله.

٨٨ - الخواص ثابتة في الأفعال والأقوال.

٨٩ - بساط الشريعة قاض بجواز الأخذ بما اتضح معناه من الأذكار والأدعية وإن لم يصح برواية.

٩٠ - ما خرج مخرج التعليم وقف به على وجهه من غير زيادة ولا نقص.

٩١ - حق العبد ألا يفرّط في مأمور، ولا يعزم على محظور، ولا يقصر في مندوب.

٩٢ - فراغ القلب للعبادة والمعرفة مطلوب **Devotion**.

٩٣ - الخلوة: محادثة السر مع الحق؛ أخص من العزلة **Isolation**، ويقصد بالخلوة الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر، وهي نوع من الاعتكاف، كما تعني ترك الاختلاط بالناس وإن كان بينهم.

٩٤ - لا بد من عبادة، ومعرفة، وزهادة، لكل عابد وعارف وزاهد. والزهد زهدان **Asceticism**: زهد العارفين وهو أخذ قدر الضرورة من الجلال وهو أخص من الورع، وزهد المقربين وهو الزهد فيما سوى اللّه - تعالى - من دنيا وجنة وغيرهما، وفي الإعراض عن الشيء احتقار له.

٩٥ - التزام اللازم للملزوم موصل إليه، أي القدرة على مواصلة الاتجاه **Maintaining direction**.

٩٦ - نورانية الأذكار محرقة لأوصاف العبد، ومثيرة لحرارة طبعه بانحراف عن طبعها.

٩٧ - الحكمة تقتضي بأن الدعاء عبودية اقترنت بسبب، كاقتران الصلاة بوقتها.

٩٨ - الذكر عبادة، بدلًا من الدعاء عند اعتراض الاشتغال به.

٩٩ - إعطاء الحكم في العموم لا يقضي بجريانه في الخصوص.

١٠٠ - إثبات الحكم لقضية خاصة لا يجري في عموم نوعها.

١٠١ - **فضيلة الشيء Virtue غير أفضليته Preference**.

١٠٢ - لكل زمان حكم يخصه بحيث يخصص مباحه بمنعٍ أو كراهةٍ أو وجوبٍ، ويُرَدُّ مندوبه لمنع أو كراهة.

١٠٣ - مراعاة الشروط في مشروطها لازم وإلّا لم يصح وجوده له.

١٠٤ - **استراق النفوس Attraction بملائمة طبعها لما فيه نفع ديني مشروع**.

١٠٥ – ما أبيح لسبب أو على وجه خاص أو عام لا يكون شائعًا في جميع الوجوه.

١٠٦ – الأشياء قبل ورود الشرع فيها، قيل: على التوقف، وقيل: على الإباحة، وقيل: على المنع.

١٠٧ – **اعتقاد المرء فيما ليس بقربة قربة، هو بدعة.**

١٠٨ – **التهيؤ للقبول Acceptance** علـى قدر الإصغاء للمقول.

١٠٩ – ما خرج من القلب **دخل للقلب Sincerity، وما قصر** على اللسان لم يجاوز الآذان.

١١٠ – الشِّعرُ حَسَنُهُ حَسَنٌ وقبيحه قبيح.

١١١ – ما أبيح للضرورة قيد بقدرها.

١١٢ – إذا وقف أمر على شرطه في صحته، روعي ذلك الشرط فيه، وإلّا كان العمل به خارجًا عن حقيقته.

١١٣ – **عقوبة الشيء ومثوبته من نوعه، الجزاء من نفس العمل.**

١١٤ – **حفظ العقول واجب لحفظ الأموال والأعراض؛ أي شرط المسئولية الاجتماعية والجنائية Social & Criminal Responsibility.**

١١٥ – **يعذر الواحد بحالة لا يملك نفسه فيها، وله** حكم المجنون في حاله، (شرط المسئولية الجنائية).

١١٦ – الواجد إن لاحظ معنى في وجده – أي ما يصادف قلبه – أفاده علمًا أو عملًا أو حالًا، فوجده من الحقيقة، وإن لاحظ الوزن والألحان فطبيعي، وإن لاحظ نفس الحركة ليس إلّا؛ فوجده شيطاني.

١١٧ – **يعرف باطن العبد من ظاهر حاله، مفهوم التخاطب غير اللفظي Non – Verbal Communication.**

١١٨ – المزية لا تقتضي التفضيل، والاقتداء لا يصح إلّا بذي علم كامل ودين.

١١٩ – الانتساب مُشعِرٌ بعظمة المنتسب إليه والمنتسب فيه في نظر المنتسب.

١٢٠ – مقتضى الكرم أن تحفظ النسبة للمنتسب على وجه طلبه.

١٢١ – لا يشفع عند اللّه أحد إلّا بإذنه وقد أمر بابتغاء الوسيلة إليه.

١٢٢ - لباس الخرقة ومناولة السبحة وأخذ العهد، من علم الرواية، إلا أن يقصد بها حال فتكون لأجله.

١٢٣ - ما صح واتضح وصحبه العمل لازم الإباحة.

١٢٤ - قد تفيد الدلائل من الظن ما ينزل منزلة القطع، وإن كان لا يجري حكمه على جميع الوجوه.

١٢٥ - الفراسة **Heuristic** الشرعية نور إيماني ينبسط على القلب؛ مفهوم الإلهام **Inspiration**.

١٢٦ - إذهاب العقل إن كان بخيالات وهمية سقط اعتبار صاحبه، وإن كان بحقيقة إلهية؛ اعتبر صاحبه، (التمييز بين الضلالات **Delusions**، والهلاوس **Hallucinations**، والإلهامات **Inspiration**).

١٢٧ - معونة اللَّه للعبد على قدر عجزه عن مصالحه وتوصيل منافعه ودفع مضاره.

١٢٨ - ألسِنَةُ الخَلقِ أقلامُ الحَق.

١٢٩ - انفراد الحق - تعالى - بالكمال قاضٍ بثبوت النقص لمن سواه.

١٣٠ - الفقر والغنى وصفان وجوديان يصح اتصاف الحق بالثاني منهما فقط.

١٣١ - من الناس من يَغلب عليه الغنى باللَّه فتظهر عليه الكرامات وينطق لسانه بالدعوى.

١٣٢ - ملك العبد لما بيده من أعراض الدنيا غير متحقق له؛ بل أيضًا هو خازن فيه لقصره عليه.

١٣٣ - الزهد في الشيء (الإعراض عنه احتقار له) أي برودته على القلب حتى لا يعتبر في وجوده ولا في عدمه.

١٣٤ - ما ذُمَّ لا لذاته قد يُمدَح لا لذاته.

١٣٥ - لا يباح ممنوع لدفع مكروه ولا مباح يخشى منه، دون التحقق بالوقوع في ممنوع أعظم منه.

١٣٦ - إفراد القلب للَّه تعالى مطلوب بكل حال.

١٣٧ - الخُلُقُ **Character** هو هيئة راسخة في النفس تنشأ عنها الأمور بسهولة، فحسنها حسن وقبيحها قبيح.

١٣٨ - الأخلاق النفسانية لا تعتبر بالعوارض الخارجة إلّا من حيث دلالتها عليها، مثل البخل **Stinginess** والكِبر **Arrogance** واعتقاد المزية (أي الغرور **Deception**).

١٣٩ - ما جُبِلَت عليه النفوس أو الطبع **Nature** فلا يصح انتفاؤه عنها بل ضعفه وقوته فيها.

١٤٠ - دفع الشر بمثله مشير لما هو أعظم منه فلزم الدفع بالتي هي أحسن.

١٤١ - **الغضب Anger** جمرة في القلب تُذهب ما عند مثيرها من حق أو باطل.

١٤٢ - نفي الأخلاق الذميمة بالعمل بضدها كالدعاء للظالم بالخير.

١٤٣ - ما لا أثر له في الخارج الحسي من المضار فأخذه في الاعتبار مشوش لغير فائدة.

١٤٤ - تمام الشيء من وجه ابتدائه.

١٤٥ - اكتساب الأخلاق عند الحاجة إليها بزوال ضدها متعذر إلّا بتدريب، (**تعديل السلوك Behavior Modification**).

١٤٦ - إقرار المرء بنعم اللَّه عليه دون تتبع ذلك بتفاصيله؛ يزيد في جرأته ويمنعه من التحقق بحقيقته.

١٤٧ - التدقيق في عيوب النفس وتعرفها مفيد؛ حيث إنك لا تصل إلى اللَّه إلّا بعد فناء عيوبك.

١٤٨ - تمييز الخواطر من مهمات أهل المراقبة **Self - Monitoring** وذلك لنفي الصوارف عن القلوب.

١٤٩ - التأثير بالإخبار عن الوقائع أتم لسماعها من التأثير بغيرها.

١٥٠ - سبب اللجوء للرمز **Symbol or Metaphor** في الكلام قلة الصبر عند التعبير.

١٥١ - كَثُرَ المُدَّعُون في طريق الصوفية لغربته، وبَعُدَت الأفهام عنه لدقته.

١٥٢ - وجود الجحد مانع من قبول المجحود؛ لنفور القلب منه **Aversion**.

١٥٣ - تعريف العيوب مع الستر نصيحة، ومع الإشاعة والهَتْك فضيحة.

١٥٤ - حفظ الأديان مقدم على حفظ الأعراض بصفة عامة.

١٥٥ - يوجد خمسة دواعٍ للإنكار على القوم، وهي: التساهل في أمور الدين، ورقة المدرك، وكثرة المبطلين في الدعاوى، وعدم الاعتناء بظاهر الشريعة، وشحة النفوس بمراتبها.

١٥٦ - تعد دعوى المدعي نتيجة دعواه فإن ظهرت صحت، وإلّا فهو كاذب؛ أي أهمية تفنيد الدعاوى **Refutation**.

١٥٧ - من بواعث العمل وجود الخشية، وهي تعظيم ومهابة وخوف وانزعاج من انتقام الرب.

١٥٨ - علامة الحياة الإحساس بالأشياء **Sensation** أو إدراكها **Perception** والوعي بها **Awareness** والميت لا يحسُّ بشيء.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية الآتية :

- تكوين المفهوم **Concept Formation**.
- الاهتمامات **Interests**.
- المعرفة **Knowledge**.
- الفهم **Understanding**.
- الاستدلال **Reasoning**.
- التحليل **Analysis**.
- التقليد والاقتداء **Imitation & Modeling**.
- المحاجة **Argumentation**.
- تعديل السلوك **Behavior Modification**.
- الصداقة **Friendship**.
- التطرف **Extremeness**.
- الصبر والمصابرة **Forbearing & Longsuffering**.
- تقريب متتالٍ **Progressive Approximation**.
- العزلة **Isolation**.

- مواصلة الاتجاه **Maintenance of Direction**.
- التخاطب غير اللفظي **Non–Verbal Communication**.
- الكِبر **Arrogance**.
- الغضب **Anger**.
- الإحساس **Sensation**.

القائم بالعرض

د. صفاء إسماعيل مرسي

* * *

الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية
أو: طبقات المناوي الكبرى
(المجلد الأول)



- تأليف/ المناوي، الشيخ الإمام عبد الرءوف (٩٥٢ - ١٠٣١هـ).
- تحقيق/ د. عبد الحميد صالح حمدان.
- القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث (١٩٩٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

ولد شيخنا الجليل « عبد الرءوف ابن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين ابن يحيى بن محمد زين الدين الحدادي المناوي » القاهري الشافعي - ولد بالقاهرة سنة (٩٥٢هـ). ونشأ في بيت علم وأدب، وبين أسرة كلها صلاح وتقوى، وكان أجدادها قد انتقلوا إلى مصر في القرن السابع الهجري، قادمين من قرية حدادة من تونس (ومن هنا جاءت نسبته الحدادي)، واستقروا في منية بني خصيب بالوجه القبلي من مصر (ومن هنا جاءت نسبته المناوي)، وتتلمذ على يد « الشيخ عبد الوهاب الشعراني »، وأخذ عنه التصوف. وتقلد نيابة الشافعية لبعض الوقت إلى أن انقطع عن مخالطة الناس، وانعزل في منزله، وأقبل على التأليف فصنف في غالب العلوم. ولما خرج من عزلته تولى التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، وتخرج عليه عدد كبير من العلماء الأفذاذ، وهو من عظماء المجددين في الإسلام، فهو قد جمع بين الشريعة والحقيقة، وبين علوم الظاهر والباطن، فجاء فريد عصره ووحيد نسجه. واختاره اللَّه إلى جواره سنة (١٠٣١هـ).

من مؤلفاته:

شرح الفن الأول من كتاب النقاية - كتاب في فني المنطق والكلام - وشرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر - وشرح شرح النخبة وسماه اليواقيت والدرر - وشرح الجامع الصغير من حديث البشير النذير، للإمام السيوطي شروحًا ثلاثة، الكبير سماه: فيض القدير بشرح الجامع الصغير، والوسط سماه: فتح الرءوف القدير بشرح الجامع الصغير، والصغير سماه: التيسير بشرح الجامع الصغير.

الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور، جمع فيه ثلاثين ألف حديث معقبًا كل حديث

ببيان رتبه وميز ما وقع فيه من الزيادات على الجامع الكبير لجلال السيوطي - وكتاب آخر في الأحاديث القصار سماه: المجموع الفائق من حديث خير الخلائق، رتبه على حروف المعجم، وعقب كل حديث ببيان رتبته - كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق، جمع عشرة آلاف حديث في عشر كراريس، كل حديث في نصف سطر - التبيان في فضائل ليلة النصف من شعبان - الأحاديث الواردة في فضل تلاوة القرآن - إسفار البدر عن ليلة القدر - شرح الأربعين النووية - إسعاف الطلاب بترتيب الشهاب - رفع النقاب عن كتاب الشهاب - الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية - نخبة الابتهاج بفوائد الإسراء والمعراج - إتحاف التاج بفوائد الإسراء والمعراج - شرح الباب الأول من كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض المتوفى سنة (٤٥٤هـ) - شرح الشمائل للترمذي - شرح الخصائص الصغرى لجلال الدين السيوطي شرحين، صغيرًا سماه: فتح الرءوف المجيب بشرح خصائص الحبيب، وكبيرًا سماه: توضيح فتح الرءوف المجيب - الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة - المطالب العلية في الأدعية الزهية - مفتاح السعادة بمأثور أذكار العبادة - كنز الطالبين لأوراد الأولياء والمساكين - إتحاف الناسك بذكر السفر والمناسك - تيسير الوقوف على غوامض أحكام الموقوف - شرح كتاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري المتوفى سنة (٩٢٦هـ) سماه: إحسان التقرير بشرح التحرير - بلوغ الأمل في الألغاز والحيل - النبذة السنية في علم المواريث الفرضية - تهذيب التسهيل - إتحاف الناسك بأحكام المناسك - نزهة الحاوي بفتاوى الشرف المناوي - الأزهار في مسائل الأنوار - إتحاف المهرة بالعلوم العشرة، جمع فيه عشرة علوم هي: علم المنطق، فأصول الدين، فأصول الفقه، فالفرائض، فالنحو، فالتشريح، فالطب، فالهيئة، فأحكام النجوم، فالتصوف - إيناس النفوس بشرح القاموس - قرة عين الإنسان بذكر أسماء الحيوان - فردوس الجنان في مناقب الأنبياء المذكورينْ في القرآن... إلخ.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في مجلدين كبيرين يقع المجلد الأول في (٧٤٢) صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على:

الباب الأول: سيرة الرسول ﷺ من ولادته إلى وفاته:

وهو « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة

ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان »، وذكر أنه لما قربت أيام الوحي أحب الخلوة والانفراد، فكان يختلي في جبل حراء بالذكر.

وخلوة طلاب طريق الحق أنواع:

١ - أن تكون لطلب مزيد علم من الحق لا بطريق النظر والفكر، وهذا غاية مقاصد أهل الحق؛ لأن من خاطب في خلوته كونًا من الأكوان أو فكر فيه فليس في خلوة.

٢ - أن تكون خلوتهم لصفاء الفكر ليصح نظرهم في طلب المعلومات، وهذه لمن يطلب العلم من ميزان العقل، وذلك الميزان في غاية اللطافة وهو بأدنى هوى يخرج عن الاستقامة، وطلاب طريق الحق لا يدخلون هذه الخلوة بل خلوتهم بالذكر وليس للفكر عليهم سلطان.

٣ - خلوة لدفع الوحشة من مخالطة غير الجنس والشغل بما لا يعني.

٤ - خلوة لطلب زيادة توجد فيها.

وخلوة حضرة صاحب الرسالة من النوع الأول، فكان بعيدًا من المخالطات حتى من الأهل والمال، واستغرق في بحر الأفكار القلبية.

والخلوة تعد أحد الأساليب التي يستخدمها الصوفيون للارتقاء بالذات، أو ما يمكن أن يطلق عليه الآن مفهوم (**إدارة الذات Self Management**).

الباب الثاني: صفاته الطاهرة:

كان ﷺ ربعًا لا بالطويل ولا بالقصير، لكنه إلى الطول أقرب، بعيد ما بين المنكبين أزهر اللون عظيم الهامة، واسع الجبين، أزج الحاجبين أبلج ما بينهما كأن ما بينهما الفضة المخلصة، أدعج العينين، فيهما تموج من حمرة، مفلج الأسنان يفتر عن مثل حب الغمام. شعره غير جعد ولا قطط بل وسط، أحسن الناس عنقًا. لا ينسب إلى طول ولا إلى قصر، ما ظهر من عنقه للريح والشمس كأنه إبريق فضة مشرب ذهبًا، عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضًا، كالقمر في بياضه، موصول ما بين لبته وسرته بشعر كالقضيب ليس في صدره ولا بطنه غيره، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم رؤوس العظام واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة مما يلي منكبه الأيمن، فيه شامة سوداء، تضرب إلى صفرة حولها شعرات متوالية كأنها عرف فرس، عبل العضدين والذراعين، طويل الزندين، رحب الراحة، سايل الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة، كفه ألين من الخز كأنه

كف عطار، عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق، معتدل الخلق في السمن، بدن في آخر عمره، وكان لحمه متماسكًا يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن.

الباب الثالث: صفاته الباطنة وأخلاقه الظاهرة وآدابه الباهرة:

زينه اللّٰه بالخلق الكريم حيث قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، فمن مكارم أخلاقه ومحاسن آدابه أنه كان أحلم الناس وأشجعهم وأعدلهم وأعفهم، وأجودهم، وهو ما يشير إلى مفهوم (**خصال القائد Leader Characteristics**) انظر (ص٢٥)، لا يبيت عنده درهم ولا دينار. وما سئل قط فقال لا، وكان أصدقهم لهجة، وأشدهم تواضعًا وألينهم وأكرمهم عشرة وهو ما يشير إلى مفهوم (**التواضع Modesty**) انظر (ص٢٥)، وأعظمهم حياء، لا يثبت بصره في وجه أحد، أسكت الناس في غير كبر، وأفصحهم وأبلغهم في غير تطويل، يقبل الهدية ولو جرعة لبن، ويكافئ عليها بأكثر، ولا يأكل الصدقة، يغضب لربه لا لنفسه، ينفذ الحق وإن عاد بالضرر عليه، وكان متواصل الأحزان دائم الفكر ليست له راحة، لا يتكلم في غير حاجة، كثير البكاء والضراعة، يمشي مع المساكين والأرامل لقضاء حوائجهم. وهو ما يشير إلى مفهوم (**سلوك المساعدة Helping Behavior**) انظر (ص٢٥).

وكان خلقه في الطعام أنه يأكل ما وجد، ولا يتكلف ما فقد، وإذا حضر طعامًا لا يرده، وما عاب طعامًا قط. وأكل لحم الإبل، والبقر، والغنم، والدجاج، والسمك، والرطب، والتمر، وشرب اللبن حليبًا وممزوجًا، وأكل الخبز بتمر، والخبز بخل، والخبز بشحم، وكبد الغنم مشويًّا، والقديد، والدباء، والجبن، والثريد، والخبز بزيت، ويأكل بثلاثة أصابع وربما أربعة ونهى عن الأكل بأصبع، وقال: « **أكل الشيطان** »، وباثنين وقال: « **أكل الجبابرة** »، وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ، وكان يشرب في ثلاثة أنفاس ويمص مصًّا ولا يعب.

وأما خلقه في اللباس فكان يلبس ما وجد كتانًا أو صوفًا أو قطنًا، ويحب الثياب الخضر، ولبس البردة والحبرة والجبة والحلة الحمراء، والقباء، والثوب السادج، والأسود والفرو المعلم على أطرافه بسندس. وهو ما يشير إلى مفهوم (**قدوة/ نموذج Model**) انظر (ص٢٩).

الباب الرابع: معجزاته:

وهي كثيرة ومنها أنه انشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، فشرب العسكر كلهم

وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن بسط يده فيه، وحن الجذع الذي كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر حتى سمع منه الناس كصوت الإبل فضمه إليه فسكن، وزويت له الأرض، وسبح الحصى بكفه، والطعام بحضرته، وسلم الحجر والشجر عليه، وكلمه الذراع، وشكى إليه البعير، وسلمت عليه الغزالة، وشهد له الذئب بالنبوة، وذهبت إليه الشجرة من مغارسها، وندرت عين قتادة فردها فكانت أحسن عينيه، وتفل في عين علي وهو أرمد فبرئت ولم يرمد بعد، ومسح رجل « ابن أبي عتيك » لما انكسرت فصحت، وأخبر أنه يقتل « أبي بن خلف » فخدشه يوم أحد خدشًا يسيرًا جدًّا فمات، وعد في بدر مصارع الكفار قبل الوقعة فقتل كل منهم فيما عينه، وقال في « عثمان »: تصيبه بلوى عظيمة فكان ما كان، وأخبر بمقتل « الأسود العنسي » في صنعاء ليلة قتله، وبأن كسرى قتل بفارس في يوم قتله، ودعا « لعلي » بذهاب الحر والبرد فلم يحس بهما بعد، ولابن عباس بالفقه في الدين وعلم التأويل فصار بحرًا، ولأنس بكثرة المال والولد وطول العمر فرزق كثرة ولد وعاش مائة عام، وصارت نخله تحمل في العام مرتين... إلخ.

الباب الخامس: في خصائصه:

الأول: الواجبات عليه: وهي الضحى والوتر وراتبة الصبح والأضحية، ومشاورة العقلاء، وتغيير منكر مطلقًا، ومصابرة العدو في الحرب وإن كثر، وقضاء دين ميت مسلم معسر وطلاق كارهته وتخيير زوجاته بين الطلاق والمقام، والتهجد.

الثاني: المحرمات: وهي الصدقة ولو نفلًا، والكفارة، وتعلم الخط والقراءة والشعر وروايته، ونزع لَأْمَته إذا لبسها قبل القتال، ومد عينيه لمتاع غيره، والإيماء إلى فعل مباح كقتل وضرب مع إظهار خلافه، وتزوج الكتابية والأمة والمن ليستكثر.

الثالث: المباحات: وهي التزوج فوق تسع، وتزوجه محرمًا، وبلا ولي وشهود وبلفظ الهبة إيجابًا لا قبولًا، ووجوب إجابته على امرأة خلية رغب فيها، وتزويجه من شاء لمن شاء، ومكثه بالمسجد جنبًا، وإدامة قضاء نافلة وقت الكراهة، والوصال.

الرابع: الإكرام: فمن ذلك تحريم زوجاته وسراريه على غيره، وأنه خاتم الأنبياء، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول من يقرع باب الجنة ومن يدخلها، ثم الأنبياء، وأول شافع ومشفع.

الباب السادس: في كلامه:

وهو لا يحصيه إلا اللّه، قال عليه الصلاة والسلام: « **الأجر على قدر النصب** »،

و « من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب »، و « اتخذوا عند الفقراء أيادي، فإن لهم دولة يوم القيامة »، و « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور »، و « كونوا في الدنيا أضيافًا، واتخذوا المساجد بيوتًا، وعوِّدوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكر والبكاء »، و « كما تدين تدان »، و « ابن آدم! لك ما نويت، وعليك ما اكتسبت، وأنت مع من أحببت »، و « قل الحق وإن كان مرًّا »، و « يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا »، و « كلٌّ ميسر لما خلق له »، وذَكَر ما يقرب من مائة حديث لرسولنا الكريم وهو ما يشير إلى أن معظمها يحدد ضوابط (العلاقات الاجتماعية Social Relationship) انظر (ص٤٠).

الباب السابع: في ذكر شيء من أدعيته:

وذكر أربعين دعاءً منها:

« اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع ».

« اللَّهم إني أسألـك من الخير كلـه، ما علمت منـه وما لا أعلم، وأعوذ بـك من الشر كلـه ما علمت منه وما لا أعلم ».

« اللَّهم استر عورتي، وآمن روعتي، واقض ديني »... إلخ.

الباب الثامن: في وفاته:

لما أكمل اللَّه تعالى له ولأمته الدين، وأتم عليهم النعمة نقله إلى دار كرامته شهيدًا من أكله الذراع المسموم الذي أهدي إليه بخيبر ليجمع اللَّه له بين شرف النبوة والشهادة، فابتدأ به مرضه في العشر الأخير من صفر سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة، فلما اشتد وجعه تحول لبيت عائشة - رضي اللَّه عنها - وأقام مريضًا نحو اثني عشر يومًا، وتوفي يوم الإثنين ثاني عشر من ربيع الأول، وغسله « علي والعباس » وابناه « قثم والفضل » يعيناهما، « وأسامة بن زيد وشقران » يصبان الماء، « وأوس بن خولي الخزرجي » ينقل الماء من بئر غرس، ولم يجرد من قميصه، وجعل « علي » ﷺ على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه فغسله ودلكه بماء وسدر ثلاث غسلات، ثم كفن في ثياب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، ثم صلى الرجـال عليه فرادى فوجًا بعد فـوج، ثم صلى النسـاء ثم الصبيان، ثم دفن في البقعة التي قبض فيها، فرفع فراشه وحفر له تحته، وفرش له في قبره قطيفة كان يلبسها، ويفترشها.

ثم قدم الطبقة الأولى من الكواكب الدرية، فيمن مات في القرن الأول من نساك الصحابة وزهادهم وهم تسعة وثلاثون رجلًا، وقد قدم منهم الخلفاء الأربعة لما لهم من التميز

على غيرهم، ثم رتب البقية على حروف المعجم، وهؤلاء التسعة والثلاثون إجمالًا:

الإمام أبو بكر الصديق، والإمام عمر الفاروق، والإمام عثمان ذو النورين، والإمام علي، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري - العارف المتفكر، والعالم المتبحر، والعامل المتذكر، داوم على العلم استباقًا، وأحب العمل اشتياقًا. تفرغ من الهموم ففتح له الفهوم، فصار صاحب الحكم والعلوم، وقد قيل: التصوف مكابدة الشوق إلى من جذب إلى فوق، كان ﷺ حكيمًا لبيًا ونحريرًا طبيبًا. كلامه يكثر ومواعظه تغزر، إذا نظر سبر، وإذا ذكر خبر، وكان أكثر عبادته التفكر والاعتبار، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الحكيم Wise**) انظر (ص٨٠).

وأبو ذر الغفاري - العابد الزهيد، القانت الوحيد، رافض الأزلام قبل نزول الشرع والأحكام، أول من حيَّ الرسول بتحية الإسلام، لم تأخذه في الحق لائمة اللوام، ولا تقرعه سطوة الولاة والحكام، أول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود، وصبر على المحن والرزايا، وخدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضول.

أبو هريرة عبد الرحمن أو عبد شمس أحد أعلام الفقراء والمساكين صبر على الفقر الشديد حتى أفضى به إلى الظل المديد. أبو موسى الأشعري، كان بالأحكام والأقضية عالمًا، وفي أودية المحبة والمشاهد قائمًا، وقد قيل: التصوف رتوع القلب الهائم في مرتع العز الدائم. أبو عبيدة عامر بن الجراح، أمين هذه الأمة الأمير الرشيد. بلال بن رباح مؤذن الرسول، الفقير المتجرد، علم الممتحنين في الدين المعذبين، خازن الرسول الأمين، وقد قيل: التصوف قطع العلائق، والأخذ بالوثائق. تميم الداري، الصحابي الكبير ويقال: الداري والديري، فالداري نسبة لجده والديري نسبة إلى دير كان يتعبد فيه قبل الإسلام.

جعفر بن أبي طالب، ذو الجناحين، والهجرتين؛ الجواد أبو الجواد الأسد الضرغام، الباسل المقدام، السخي المطعام، خطيب العارفين، مضيف المساكين، فارق الخلق، ورامق الحق، وقد قيل: التصوف الانفراد بالحق عن ملابسة الخلق. حذيفة بن اليمان، المتعبد على مدى الأيام والأزمان، العارف بالمحن وأحوال القلوب، المشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقاه، وتحرى الخير فاقتناه، سكن عند الفاقة والعدم، وركن إلى الإنابة والندم، وقد قيل: التصوف موافقة صنيع الرحمن والمرافقة مع المنع والحرمان. الحسن بن علي بن أبي طالب، سبط رسول اللّه ﷺ، له في التصوف

الكلام المشرق المرتب، والمقال المرونق المحقق المهذب، وقد قيل: التصوف تنوير البيان، وتطهير الأركان.

الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول اللَّه ﷺ. سعيد بن عامر الجمحي القرشي، زهد في الفتانة السحارة، ونظر إلى طلابها بعين الحقارة، فرغب عن الدنيا مع تقلده الولايات وقيامه فيها برعاية العهود والأمانات، وقد قيل: التصوف مصابرة المنون دون تحقيق الظنون، وكان من عمال الخليفة « عمر » ﷺ على حمص. سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة، كان مجاب الدعوة ما دعي بشيء إلا استجيب له. سلمان الفارسي، ابن الإسلام رافع الألوية والأعلام، الكادح الذي لا يبرح، والزاخر الذي لا ينزح، الحاكم الحكيم، والعالم العليم، أحد الرفقاء والنجباء، وقد قيل: التصوف مقاسات القلق في مراعاة العلق، ومن كلامه: العلم كثير والعمر قصير فخذ من العلم ما تحتاجه لدينك ودع ما سواه.

شداد بن أوس - أخو حسان بن ثابت - سكن فلسطين، وكان ممن أوتي العلم والحلم، وكان ذا عبادة واجتهاد. صهيب بن سنان الرومي، السابق المهاجر، المطعم المتاجر، أسرع الإجابة للَّه وللرسول، وصار بربه يجول ويصول، قد قيل: التصوف، الأخذ بالأصول والترك للفضول، والتشمر للوصول، وهو من السابقين الأولين المعذبين في اللَّه - تعالى - كناه المصطفى ﷺ « أبا يحيى ». عاصم بن ثابت الأنصاري، الطاهر الزكي العابد الوفي، وفَّى للَّه في حياته فحماه من المشركين بعد وفاته، وقد قيل: التصوف المفر من البينونة إلى مقر الكينونة. عامر بن فهيرة، المشروع رشده، المنزوع حسده، المرفوع جسده، خدم المصطفى ﷺ وصحبه في الهجرة، وقد قيل: التصوف استطابة الهلك فيما يخطب من الملك، قتل يوم بئر معونة، قال عمرو بن أمية: إنه بعدما قتل رفع إلى السماء جهارًا حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض. عامر بن ربيعة، الزاهد في العطية والقطيعة، شهد جميع المشاهد، وعم بالذكر البقاع والمساجد، عاش كريمًا، ومضى سليمًا، وهو من المهاجرين الأولين.

عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب، المستغفر التواب، الزاهد في الإمرة والمراتب، الراغب في القربة والمناقب، المتعبد المتهجد، نزيل الحصباء والمساجد، وقد قيل: التصوف: الرهبة من العتو، والرغبة في العلو، وهو ما يشير إلى مفهوم (القناعة **Contentment**) انظر (ص١١٨). عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، كان بالحقائق قائلًا، وعن الأباطيل

واللَّهو مائلًا، ويعانق العمل ويفارق الجدل، يطعم الطعام، ويفشي السلام، وقد قيل: التصوف: التخلق بأخلاق الكرام والاستسلام لنوازل الأحكام، وكان يقوم الليل ويصوم النهار، فبلغ المصطفى - عليه الصلاة والسلام - فقال: « **إن لجسدك عليك حقًّا وإن لأهلك عليك حقًّا** ».

عبد اللَّه بن مسعود، الكلف بالمعبود، الشاهد للمشهود، الحافظ للعهود المعروف بالنسك، صاحب السواد والسرار، والسباق والبدار، وقد قيل: التصوف، مشاهد المشهود، ومراعاة العهود، ومحاماة الصدور.

عبد اللَّه بن عباس، مطعم الأناس، ومكرم الوافدين والجلاس، قطب الأفلاك وعنصر الأملاك، البحر الذخار، والعين الخرار، مفسر التنزيل، ومبين التأويل، وقد قيل: التصوف المنافسة في نفائس الأخلاق، وقصر النفس على أنفس الأعلاق، وكان يسمى ترجمان القرآن، وحبر الأمة، والبحر لكثرة علمه.

عبد اللَّه بن الزبير، المحنك بريق النبوة، المبجل بشرف الأمومة والأبوة، السيف الصارم، الهمام الحازم، مبارز الشجعان، وحافظ القرآن، وقد قيل: التصوف التظاهر بالحق على التكاثر بالخلق، وهو أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين في المدينة.

عبد اللَّه بن جحش الأسدي، المقسم على ربه المشتهر بحبه، أول من عقد له راية في الإسلام، شهد بدرًا وصاهر المصطفى ﷺ بأخته زينب، وقد قيل: التصوف: التماس الذريعة إلى الدرجة الرفيعة، وهو أول أمير أمره ﷺ، وغنيمته أول غنيمة في الإسلام، استشهد بأحد.

عبد اللَّه بن رواحة الأنصاري، المتفكر عند نزول الآيات، المتبصر عند تناول الرايات، استشهد بأرض البلقاء، زاهدًا في البقاء، راغبًا في اللقاء، وقد قيل: التصوف: الوطء على جمر الغضا إلى منازل الأنس والرضا. عبد اللَّه ذو البجادين، المؤاخي للعمرين، الأواه التالي المتجرد من العرض الخالي، وضعه المصطفى ﷺ في حفرته لما قتل بتبوك وسفح عليه من عبرته.

عتبة بن غزوان، الزاهد في الإمرة والسلطان، والتارك لولاية المدن والبلدان، الشاهد لبيعة الرضوان، أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين وكان أول من نزل البصرة وهو الذي اختطها. عثمان بن مظعون، المتقشف المحزون، كان في العبادة ناسكًا، وفي المحاربة فاتكًا، وقد قيل: التصوف: تشوق الصادي عن الكدر إلى صفاء الورود من غير صدر،

أسلم قديمًا ومات في حياة المصطفى ﷺ. عمار بن ياسر أبو اليقظان، الممتلئ من الإيمان، المتثبت حال المحنة والافتتان، الصابر على الذلة والهوان، وقد قيل: التصوف تسور السور، إلى التحلل بالحور.

عمير بن سعد الأنصاري، الأوسي الزاهد، الراكع الساجد، الحافظ للعهد، الوافي بالوعد، الملقن الحفيظ، الخشن الغليظ، استعمله عمر ﷺ على حمص. مصعب بن عمير الدراي، المحب القارئ، المستشهد بأحد، سبق الركب وقضى النحب، ورغب عن التسوف، وقد قيل: التصوف: طلب التأنيس في رياض التقديس، وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل مقدم المصطفى ﷺ.

معاذ بن جبل، المحكم للعمل، التارك للجدل، مقدام العلماء، إمام الحكماء، مطعام الكرماء، القارئ القانت، المحب الثابت، المولى المأمون، الوفي المصون، وقد قيل: التصوف: مزاولة الأنف في رياض القدس، وقال ﷺ: «**معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام**»، و «**معاذ إمام العلماء بِرَتْوة**».

المقداد بن الأسود الكندي، السابق إلى الإسلام، والفارس يوم الحرب والإقدام، ظهرت له الدلائل والأعلام فأعرض عن العمالات، ولازم الجهاد والعبادات.

ذكر الطبقة الثانية من الكواكب الدرية، في تراجم السادة الصوفية، وهم من مات في القرن الثاني أو قبيله من التابعين أو الآخذين عنهم المذكورين بالنسك والتعبد، المعروفين بالتقلل والتزهد، المعرضين عن الدنيا وغرورها، المستروحين إلى العبادة وحبورها، وهم مائة وخمسة وستون؛ منهم:

إبراهيم بن أدهم، الحازم الأحزم، العارف الأعزم، وقد قيل: التصوف: التكرم والتظرف، والتنسم والتنطف.

إبراهيم التيمي بن يزيد الكوفي، كان سالكًا طريق التصوف، جاريًا على منهاج التنسك والتقشف.

إبراهيم بن يزيد النخعي، العامل العالم، العابد الزاهد، كان للعلوم جامعًا ولنخوة النفس واضعًا.

أسلم بن زيد الجهني، وأويس بن عامر، وأبو الجوزاء أوس بن عبد اللّه، وأبو إدريس الخولاني، الزاهد العابد الرباني، كان معروفًا بالتأله، مشهورًا بالتصوف، وأبو بكر بن عياش، القارئ الهشاش، العابد البشاش، المشهور بالحديث والفقه والتزهد، وقيل: إن

التصوف اغتراب لا اقتراب، وانتصاب في ارتقاب.

أبو رجاء العطاردي، صوفي بسهام السنة يناضل، وقد قيل: التصوف قبول الرسول للتوصل إلى الوصول. أبو حازم سلمة بن دينار، المخزومي المديني، الأعرج العابد، الواعظ الزاهد، كان فقيه النفس ثقة نبيلًا زاهدًا كثير العلم كبير القدر عالم المدينة وإمامها. أبو عمران الجوني، عبد الملك بن حبيب الواعظ اليقظان، موقظ الوسنان، ومنفر الشيطان، وقد قيل: التصوف التيقظ والانتباه، والتبصر في رفع التوهم والاشتباه، وهو ما يشير إلى مفهوم (الانتباه **Attention**) انظر (ص١٥٩).

أبو عاصم البصري، وأبو عبيدة الخواص، وأبو مسلم الخولاني، وأبو عثمان الخراساني، كان فقيهًا كاملًا، وواعظًا عاملًا، تزود للارتحال، وتهيأ للانتقال، وقد قيل: التصوف: تصبر في الرشاد وتشمر للمعاد وتسابق إلى العباد. وأبو ريحانة عبد اللّٰه بن مطر، وأبو حبيب البدوي، وأبو أيوب السختياني، وآمنة الرملية ذات الرتب العلية، والمقامات الكشفية، كانت من أصفياء العباد، وأكابر الزهاد. أم حسان الكوفية، وأم سفيان الثوري، وأخت الفضيل، أمة اللّٰه زوجة رباح القيسي، وأم هارون، أم البنين وهي أخت عمر بن عبد العزيز، كانت صوامة قوامة عابدة زاهدة. أمية بنت أبي المودع الموصلية، وبشر بن منصور السليمي، وبكر بن عبد اللّٰه المزني، وبكر بن عمر الناجي، وبلال بن سعد... إلخ.

الطبقة الثالثة من الكواكب الدرية، فيمن توفي بعد المائتين إلى آخر القرن الثالث وهم ثمانية وسبعون، منهم: إبراهيم الخواص، وإبراهيم العلوي، إبراهيم الهروي، وإبراهيم الخراساني، وإبراهيم الحربي... إلخ.

الطبقة الرابعة من الكواكب الدرية، وهم فيمن مات في القرن الرابع وهم خمسة وتسعون منهم: إبراهيم بن أحمد بن المولد، وإبراهيم القرميسيني، إبراهيم أبو إسحاق السبائي... إلخ.

الطبقة الخامسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد الأربعمائة إلى آخر القرن، وهم تسعة عشر ومنهم: إبراهيم القرشي إمام مسجد الزبير، وإبراهيم أبو إسحاق الشيرازي، وأحمد الثعلبي... إلخ.

الطبقة السادسة من الكواكب الدرية فيمن مات بعد الخمسمائة وهم واحد وخمسون منهم: أبو إسحاق بن طريف، وأبو السعود بن شبل، وإبراهيم أبو إسحاق الأندلسي، وأبو بكر النابلسي... إلخ.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- إدارة الذات Self Management.
- خصال القائد Leader Characteristics.
- التواضع Modesty.
- سلوك المساعدة Helping Behavior.
- قدوة/ نموذج Model.
- العلاقات الاجتماعية Social Relationship.
- الحكيم Wise.
- القناعة Contentment.
- الانتباه Attention.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *



الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية
أو: طبقات المناوي الكبرى
(المجلد الثاني)

- تأليف/ المناوي، الشيخ الإمام عبد الرءوف (٩٥٢ - ١٠٣١هـ).
- تحقيق/ د. عبد الحميد صالح حمدان.
- المكتبة الأزهرية للتراث - خلف الأزهر الشريف (١٩٩٤م).

* * *

التعريف بالمؤلف:

تم التعريف بالمؤلف سابقًا.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في مجلدين كبيرين، الثاني منهما (٤٠٨) صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على:

الطبقة السابعة من الكواكب الدرية: فيمن توفي بعد الستمائة إلى آخر القرن السابع، وهم ثلاثة وثمانون رجلًا ومنهم:

إبراهيم الدسوقي القرشي الهاشمي الشافعي، من أقواله: ما أعز الطريق، وما أعز طالبها، وما أعز من يصدق في طلبها، وما أعز الدال عليها. أكل الحرام وقول الحرام يفسد العمل، ويوهن الدين، ومعاشرة أهل الدنس تورث ظلمة البصر والبصيرة. وقال: المبتدئ مجاهد والمنتهي مشاهد، المبتدئ خائف والمنتهي طائف، المبتدئ تائب والمنتهي غائب، المبتدئ محزون والمنتهي مسرور، المبتدئ باكٍ حيران والمنتهي ضحوك مقرور له العينان، المبتدئ صائم قائم والمنتهي في بحار القرب عائم، المبتدئ محجوب بأعماله والمنتهي ناظر إلى مشاهدة جماله، هذا بالظاهر يجري وهذا بالباطن يسري، هذا محجوب وهذا محبوب، هذا سكران وهذا صحوان، المبتدئ يلبس الدلوق (الثوب البالي) والمنتهي يلبس الخلوق (أجود الثياب). وهو هنا يقارن بين المبتدئ والمنتهي وهو ما يشير إلى مفهوم (المقارنة **Comparison**) انظر (ص٨).

إبراهيم بن معضاد بن شداد بن مجاهد الجعبري الشافعي العالم العامل، المتصرف في التصوف بأطراف الأنامل، زاهد موصوف، كان قدوة في القول والعمل، حلو العبارة

لطيف الإشارة، غزير الفضيلة، ذا مناقب جميلة، له نظم ونثر كثير في أحوال الطريق، مات سنة سبع وثمانين وستمائة، عن نحو سبع وثمانين سنة.

إبراهيم بن سعد اللَّه بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، الفقيه الصوفي، له أحوال وكرامات. إبراهيم بن علي بن عبد الغفار بن أبي الدنيا الأندلسي، وأحمد بن الحُنْدُج - بضم الحاء والدال - اليمني، كان من أكابر الصالحين، كراماته ظاهرة، مات في القرن السابع. أحمد بن مسعود بن شداد المقري الموصلي، كان عالمًا عابدًا زاهدًا، مطرحًا للكلفة، ملتحفًا بأثواب الورع والعفة، وطريقه حمدت آثارها، وتربيته سارت بالجميل أخبارها.

أبو أحمد الأندلسي، العارف الكبير، الولي الشهيد، ذو الخوارق الباهرة، والكرامات الظاهرة. أبو العباس البصير، صوفي معروف، أصله من المغرب ثم قدم مصر فقطنها. أبو العباس المرسي، واسمه أحمد بن عمر الأنصاري المالكي، قطب الزمان وقدوة الأوان، نزل الإسكندرية، فعاين أهلها منه على البر بحرًا، كان وافر الزهد والعبادة، لائذًا بالمشيئة والإرادة، ذا معارف وأسرار وأوراد وأذكار ومواعظ وأقوال وكرامات، متفردًا عن الناس، معرضًا عمن سار وساد وساس، وتوفي سنة ست وثمانين وستمائة بالإسكندرية.

أبو بكر بن يوسف المكي المدني، كان فقيهًا عالمًا صوفيًّا كبيرًا، ورعًا زاهدًا، من أعظم فقهاء زبيد (مدينة مشهورة باليمن) وصلحائها، وكان عارفًا بالأدب، والفقه، والتصوف، والطب، وهو من كبار الحنفية.

أبو بكر بن قوام، هو الإمام نجم الدين الصالحي البالسي (نسبة إلى بالس غربي الفرات وبها نشأ)، واسمه محمد بن عمر، وذكر بكنيته؛ لأنه بها اشتهر، وهو زاهد، سار ذكره، واشتهر في الشام أمره. مات بالقرافة بقرية علم ثم نقل ودفن بقاسيون بدمشق الشام، وقبره بها مشهور.

أبو بكر بن علي بن عمر بن الأهدل اليمني، كان من كبار الصلحاء المتمكنين، أرباب الكرامات والمكاشفات، طال عمره حتى زاد على المائة، ومات سنة سبعمائة. أبو العباس الحرار بمهملات المغربي الأشبيلي، نسبة إلى مدينة أشبيلية من مدن الأندلس، عابد موارده صافية، زاهد في الدنيا، تارك لما في أيدي الناس، مستضيء من أنوار المعرفة بأنوار مقباس، ذا كرامات كثيرة ووقائع شهيرة، وكان كثير السياحة.

أبو العباس بن عريف، صوفي بَاعُهُ في التصوف طويل، وعارف غيث تربيته ينهمر ويسيل. كان ذا خوارق عاليات، وآيات بينات.

أبو بكر بن محمد بن ناصر بن الحسين الحميري، كان فقيهًا مجتهدًا، زاهدًا، متقللًا من الدنيا، شديد الورع، لا يأكل إلا ما تيقن حله، كان ذا كرامات، ومات سنة ست وأربعين وستمائة.

أبو بكر بن هوار (من قبيلة من الأكراد تعرف بالهوارين) البطائحي نسبة إلى البطائح؛ حيث مات ودفن بأرض الملحاء، كان في ابتداء أمره من قطاع الطريق، فبينما هو يقطع الطريق، إذ سمع هاتفًا بالليل يقول: أَمَا آن للعاصي أن يتوب! فتاب من وقته، وقد قال: التصوف ذكر بإجماع، ووجد باستماع، وعمل باتباع، وقال: الخوف من اللَّه أن لا يأمن العبد وقوع البطش به مع الأنفاس.

أبو العباس البوني، زمزم الأسرار، ومعدن الأنوار، صاحب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة، ومن أقواله:

- حاسب خواطرك أن تبرز منها شيئًا في قوالب الحركات، إلا ما كان من موافقة الشرع والحكمة. وهو ما يشير إلى مفهوم (النوايا **Intention**) انظر (ص٣٦).

- لا بقاء للعادات مع هدم الآمال، ولا للهوى مع مخالفة النفس، ولا للظلمة مع الذكر، وهو ما يشير إلى مفهوم (العادة **Habit**) انظر (ص٣٦).

- عليك بقتل النفس عن رذيلة الرياء، وحب الرياسة، وشهوة السمعة، فهو الداء العضال، ومحصن الظلمة والضلال. وهو ما يشير إلى مفهوم (**ضبط الذات Self Control**) انظر (ص٣٦).

- الحمد أقسام: حمد على النعم وهو رتبة العامة، وحمد على كل حال وهو حمد العارفين، وحمد للَّه على إلهامه الحمد وهو حمد الصديقين.

وله كتب: لطائف الإشارات، ونهاية القاصدين وغاية الواصلين، والأرواح في قوالب الأشباح، وأسرار الأدوار وتشكيل الأنوار، وقبس الاهتداء إلى وفق السعادة ونجم الاقتداء إلى شرف الزيادة، واللمعة النورانية في الأوراد الربانية، والبرقة اللامعة والهيئة الجامعة، وعلم الاهتداء وأسرار الاقتداء، والتوسلات الكتابية والتوجهات الخطابية، واللطائف وشمس المعارف، وكتاب ما فاه به اللسان ورسمه البنان على ألواح في علم العيان.

أبو الحسن الشُشتري المغربي، العارف الكبير، الصوفي الشهير، وهو نسبة إلى ششتر

من عمل واد آش بالأندلس ومات ودفن بدمياط، كانت وفاته بالطينة بالقرب من دمياط، فحمله الفقراء على أعناقهم إلى دمياط حيث دفن سنة (٦٦٨هـ).

أبو الفضل العباسي، أصله من دمشق، ثم سكن عدن من اليمن، ثم تحول إلى مكة، وبها مات، وكان وحيدًا في وصفه، فريدًا في تواضعه وزهده ولطفه، حسن السيرة والأخلاق.

أبو السعود بن شعبان بن أبي العشائر، شيخ الخرقة السعودية بالقاهرة المعزية، أصله من قرية واسط في العراق، ونشأ بها، فلازم العبادة، ولازم على مخالفة العادة، حتى قهر هوى النفس، ومن أقواله:

- عليك بالاشتغال باللَّه، فإن لم تقدر فاشتغل بما يقربك إليه.

- مراقبة اللَّه مفتاح كل سعادة، وبها يطهر القلب.

- كل ما شغل القلب عن الذكر، فهو دنيا، وكل ما أوقفه عن طلبه، فهو دنيا، وكل ما أنزل الهم بالقلب، فهو دنيا، والأمر وراء ذلك كله.

- الأصول التي يبني عليها المريد أساسه أربعة: شغل اللسان والقلب بالذكر، وجبر القلب على موافقة الرب، ومخالفة النفس والهوى لأجله، وتصفية اللقمة من الشبهة، وهي القطب. وهو ما يشير إلى مفهوم (الالتزام الديني **Religious Commitment**) انظر (ص٤٢).

أبو سعيد القصاب، كان عارفًا صاحب كرامات. وأبو الغيث بن جميل، بحر الحقائق، موضح الدقائق، الملقب شمس الشموس اليمني، عارف تأرج الكون بعرفه، وصوفي ظهرت الأسرار على لسان كشفه، ومن كلامه: أهل الحضرة أربعة أقسام: رجل خوطب فصار كله أذنًا، ورجل أشهد فصار كله عينًا، ورجل مصطلم تحت أنوار التجلي، والرابع لسان حال الشفاعة، وهو أكمل. مات سنة واحد وخمسين وستمائة، ودفن بقرب بيت عطاء باليمن، وتربته لا نظير لها في بلاد اليمن.

أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الأقصري، مات في رجب سنة اثنين وأربعين وستمائة، ودفن بناحية الأقصر بالصعيد، وقبره هناك مشهور مقصود بالزيارة.

أبو القاسم بن منصور بن يحيى السكندري القباري، وأبو القاسم بن سليمان الضياء الأدفوي، وأبو يحيى بن شافع القنائي، وأحمد بن محمد الشيخ الصالح أبو العباس الملثم، وأحمد بن موسى عجيل اليمني، وأحمد بن علوان اليمني الصوفي الكبير... إلخ.

*** الجزء الثالث من كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية:**

وهو يشتمل على تراجم القرنين الثامن والتاسع، وعددها (١٥٣) ترجمة. وقد حفل هذان القرنان بأساطين الصوفية وكبار أرباب الأحوال ممن اشتهروا في العالم الإسلامي، بزهدهم وعلمهم وعملهم، وممن قاموا بنشر تعاليم التصوف وحقائقه، سالكين في ذلك طرق سلفهم الصالح.

الطبقة الثامنة: من الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية: فيمن مات بعد السبعمائة إلى آخر القرن الثامن الهجري (٧٠١ - ٨٠٠هـ) ومنهم :

إبراهيم بن زيد الدين الجلال العقيلي المشهور بالقلانسي، نشأ في صناعة الكتابة، ثم ترك وزهد في الدنيا خوفًا من الوقوع في الشرك، وانقطع واعتزل بدمشق، ثم توجه إلى القاهرة، واشتهر أمره وعظم شأنه وقدره، ثم تحول إلى القدس الشريف إلى أن توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

ابن عطاء اللّه السكندري، اسمه أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء اللّه، الشيخ تاج الدين أبو الفضل الجذامي السكندري الشاذلي، وأصله من إسكندرية، ثم قطن مصر، وكان قد تدرب على العقائد الشرعية، وهذبته العلوم، فاستدل بالمنطوق على المفهوم وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستدلال **Reasoning**) انظر (ص٦) بالجزء الثالث. وهو صاحب كتاب الحكم الذي من تأمله قال: ما هذا منشور، إن هذا إلا لؤلؤ منثور، كل سطر منه جنة قد حفت بالثمار، وأحدقت بأنوار الأزهار، وكل شطر من سطر لو يباع بثمن بخس لاشتري بألف دينار.

عمر الزيلعي العقيلي نسبة لعقيل بن أبي طالب، أبو العباس أحمد بن زيد بن علي ابن حسن بن عطية الشاوري الفقيه الشافعي، وأبو العباس بن الشاطر، وأبو بكر بن محمد ابن يعقوب، المعروف والده بأبي حربة اليمني، مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وأبو بكر بن محمد بن عيسى بن حجاج اليمني، كثير الفتوح وله كرامات مشهورة، مات سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وأبو بكر بن محمد بن عمران، كان فقيهًا عالمًا صوفيًّا، مات سنة ست وسبعين وسبعمائة، وأبو بكر بن إبراهيم بن أبي بكر المعروف بالسراج، صاحب السلامية، قرية من قرى اليمن، مات في آخر القرن الثامن.

أبو بكر بن محمد بن سلامة، وأبو بكر بن أحمد بن دعسين القرشي، وأبو بكر بن محمد الناشري، وأبو يعقوب الصعيدي، وأبو بكر بن علي بن عبد اللّه الشيباني، مات في القدس

سنة سبع وتسعين وسبعمائة. حسين بن إبراهيم بن حسين الجاكي الكردي، وحماد الحلبي، وخضر الكردي، وخليل بن عبد اللّه المكي... إلخ.

تراجم الطبقة التاسعة في القرن التاسع الهجري (٨٠١ - ٩٠٠هـ) فيمن مات بعد الثمانمائة إلى آخر القرن، وهم خمسة وستون منهم:

إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي الأحمدي الصوفي، الخبير الناقد البصير، كان ذا معرفة تامة بالتربية مع كونه أميًّا، وعقل راجح، وتمكُّن قوي من نفسه، حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسانية، ومن أقواله:

- الشريعة كالشجرة، والحقيقة كالثمرة، فلا بد لكلٍّ من الأخرى، لكن لا يدرك ذلك إلا من تم سلوكه، وهو ما يشير إلى مفهوم (**المماثلة Analogy**) انظر (ص٨٥).

- الخيانة تذهب البركة، ومن خان في درهم خان في ألف، وما رأينا خائنًا إلا قصير الذيل، ممحوق البركة.

إبراهيم بن أحمد بن عبد الكافي السيد الشريف برهان الدين أبو الخير الحسني الطباطي، وإبراهيم بن عمر محمد الأدكاوي، ويقال: الأتكاوي، الشافعي. إبراهيم ابن بهادر المغربي الشافعي، المعروف بابن زقاعة، مات سنة ست عشرة وثمانمائة. وإبراهيم ابن عبد ربه، مات سنة ثمان وسبعين وثمانمائة.

أحمد بن عقبة الحضرمي، عالم بالزهد متصف، وعارف من بحر العناية يغترف، أقبل عليه أهل مصر، وهو شيخ الشيخ زروق الذي كان به انتفاعه، وله مؤلفات كثيرة منها: صدور الترتيب، ومن أقواله:

- العبودية لا تقدر على مقاومة الربوبية، ولا في ذرة واحدة، فلما علم الحق عجز الخلق عن القيام بحقه، خاطبهم من بساط الشهوات: كل واحمد اللّه، اشرب واحمد اللّه.

- ارتفعت التربية بالاصطلاح من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولم يبق إلا الإفادة بالهمة والحال، فعليكم بالكتاب والسنة فقط.

- كل علم لا يكون له حقيقة في الباطن، فلا عبرة به، وكل حقيقة لا يظهر لها أثر في الخارج، فلا فائدة فيها.

أحمد بن محمد بن عبد الغني أبو العباس السرسي، ومات سنة إحدى وستين وثمانمائة، عن نحو ثمانين سنة.

أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر الشهاب الأبشيطي، ومات سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة.

*** الجزء الرابع من كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية:**

يشمل تراجم القرن العاشر، والربع الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، وهي حقبة شهدت مولد الإمام المناوي سنة (٩٥٢هـ)، ووفاته سنة (١٠٣١هـ)، أي أنه يكاد يكون معاصرًا لأصحاب هذه التراجم، وشاهدًا على أحوالهم، وعالمًا بأخبارهم، فجاءت هذه التراجم مرآة صادقة، وسجلًّا أمينًا لسيرهم وتاريخ حياتهم حتى سنة (١٠٢١هـ)، وهي سنة الفراغ من تأليفه لهذه الموسوعة الفريدة، ويضم هذا الجزء (١٤٠) ترجمة.

الطبقة العاشرة من الكواكب الدرية، فيمن مات بعد التسعمائة إلى آخر القرن، وهم مائة وستة - رضي اللَّه عنهم - ومنهم:

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن مسعود بن رضوان، شيخ الإسلام، قاضي القضاة، ومات عن نحو ثلاث وثمانين سنة.

إبراهيم المغربي القيرواني، كان عبدًا صالحًا، صوفيًّا، فقيهًا، مفسرًا، أصوليًّا، لغويًّا، عُمِّرَ طويلًا، عن نحو مائة وخمس وأربعين سنة.

إبراهيم أبو الطيب بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصرائي الشاذلي، المشهور بالمواهبي. وأبو الحسن تاج العارفين البكري، شيخ الإسلام، الفقيه، المفسر، المحدث، الصوفي، وأحمد البهلول، وأحمد بن خضر المطوعي، وأحمد الشنواني، وأحمد الزواوي، وأحمد الرومي، وأحمد الكعكي، وأحمد المنير أبو طاقية، وأبو العباس الحريثي، مات بدمياط سنة أربع وأربعين وتسعمائة.

الطبقة الحادية عشر من الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وهم ستة وثلاثون إنسانًا ومنهم:

إبراهيم النبتيتي، والمجذوب الصاحي، وإبراهيم بن تمرخان بن حمزة الرومي الحنفي، وأحمد اليمني المجذوب، وأحمد المغربي المجذوب، وأحمد بن عيسى ابن غلاب بن جميل، وأحمد الضوي، وأحمد الأحمدي الصعيدي، وحسين المطوعي المجذوب، وزين العابدين المناديلي، وسقر بن عمر النيفاوي.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- المقارنة Comparison.
- النوايا Intention.
- العادة Habit.
- ضبط الذات Self Control.
- الالتزام الديني Religious Commitment.
- الاستدلال Reasoning.
- المماثلة Analogy.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

اللمع
في تاريخ التصوف الإسلامي

- تأليف/ الطوسي أبي نصر عبد اللّه علي السراج (٣٧٨هـ).
- تحقيق/ عماد زكي البارودي.
- القاهرة: المكتبة التوفيقية.

* * *

التعريف بالمؤلف:

هو « أبو نصر عبد اللّه بن علي السراج الطوسي » الزاهد شيخ الصوفية، الملقب بطاووس الفقراء، وتوفي في (شهر رجب سنة ٣٧٨هـ/ أكتوبر سنة ٩٨٨م)، صاحب كتاب « اللمع في التصوف » وفد في رمضان إلى بغداد؛ فأفرد له غرفة خاصة في جامع « الشونيزية »، وأعطي رئاسة الدراويش، وقد تجول « السراج » في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية، وتنقل بين القاهرة، وبغداد، ودمشق، والرملة، ودمياط، والبصرة، وتبريز، ونيسابور، سالكًا طريق القوم، ناشرًا لعلومهم ومعارفهم، مجدًّا في الاجتماع بأعلام التصوف الإسلامي في عصره الذهبي، ضاربًا المثل الأعلى لمنهجهم بنفسه سلوكًا، وذوقًا، وفتوة.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٤٦٤) صفحة من القطع المتوسط، واشتمل على ترجمة المصنف، ومقدمة المؤلف، ثم تحدث في باب البيان عن علم التصوف، ومذهب الصوفية، ومنزلتهم من أولي العلم القائمين بالقسط، أوضح فيه أن من أشكل عليه أصل من أصول الدين، وفروعه، وحقوقه، وحقائقه، وحدوده، وأحكامه ظاهرًا وباطنًا فلا بد له من الرجوع إلى هؤلاء الأصناف الثلاثة: أصحاب الحديث، والفقهاء، والصوفية.

وأوضح في باب نعت أصحاب الحديث، ورسمهم في النقل ومعرفة الحديث، وتخصيصهم بعلمه أن أصحاب الحديث تعلقوا بظاهر حديث رسول اللّه ﷺ، وقالوا: هذا أساس الدين؛ لقول المولى ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

وذكر في باب ذكر طبقات الفقهاء وتخصيصهم بما ترسموا به من أنواع العلوم أن طبقات

الفقهاء فضلوا على أصحاب الحديث بقبول علوم أصحاب الحديث والاتفاق معهم في معاني علومهم ورسومهم، ثم خصوا بالفهم والاستنباط في فقه الحديث والتعمق بدقيق النظر في ترتيب الأحكام وحدود الدين وأصول الشرع، فبينوا ذلك، وميزوا الناسخ من المنسوخ، والأصول من الفروع، والخصوص من العموم، بالكتاب والسنة والإجماع والقياس. وبينوا للخلق في أحكام دينهم من القرآن والأثر ما نسخ حكمه وبقي كتابته، وما نسخ كتابته وبقي حكمه، وما كان لفظه عامًّا والمراد به خاص، أو كان لفظه خاصًّا والمراد به عام، أو كان خطاب جماعة والمراد به واحد، أو خطاب واحد والمراد به جماعة، وتكلموا بالاحتجاجات العقلية على المخالفين، واستدلوا بالبراهين البينة على أهل الضلالة؛ نصرة للدين، وهو ما يشير إلى مفهوم (الاستدلال **Reasoning**) انظر (ص١٣)، وتمسكوا بنص الكتاب، أو نص السنة، أو قياس على النص، وناظروا من خالفهم برسم النظر، وجادلوا من جادلهم بأدب الجدل، وعارضوا خصمهم بالمعارضات، واعترضوا عليهم برد الاعتراضات واطراد العلل في المعلومات، فوضعوا كل شيء في مواضعه، ورتبوا كل حد في مراتبه، وفرقوا بين المقايسة والمشاكلة والمجانسة والمقارنة، وميزوا في الأوامر والنواهي ما كان منه حتمًا وما كان منه ندبًا، وما كان منه ترغيبًا وترهيبًا، وما منه محثوثًا عليه ومدعوًّا إليه، فبينوا المشكل، وحلوا العقد، وأوضحوا الطرق، وأزالوا الشبهات، وفرَّعوا على الأصول، وبسطوا المجموع، وأخذوا حدود الدين بالاحتياط. بهم يحفظ على المسلمين حدودهم، وقد ذكرهم المولى ﷻ في كتابه فقال: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١٢٢] وقال النبي ﷺ: « **من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين** ».

وذكر في باب الصوفية وما ترسموا به من العلم والعمل، وما خصوا به من الفضائل، وحسن الشمائل أنهم اتفقوا مع الفقهاء وأصحاب الحديث في معتقداتهم وقبلوا علومهم، ولم يخالفوهم في معانيهم ورسومهم، إذا كان ذلك مجانبًا للبدع واتباع الهوى، ومنوطًا بالأسوة والاقتداء، وشاركوهم بالقبول والموافقة في جميع علومهم. وليس من مذهبهم النزول على الرخص وطلب التأويلات والميل إلى الترفه وركوب الشبهات؛ لأن ذلك تهاون بالدين، وإنما مذهبهم التمسك بالأولى والأتم في أمر الدين، ثم إنهم بعد ذلك ارتقوا إلى درجات عالية وتعلقوا بأحوال شريفة ومنازل رفيعة من أنواع العبادات وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة، ولهم في معاني ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث.

وفي باب تخصيص الصوفية بالمعاني التي قد ترسموا بها من الآداب والعلوم التي تفردوا بها من جملة العلماء:

ذكر من بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم: ترك ما لا يعنيهم، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم؛ إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير اللَّه - تبارك وتعالى - ولهم آداب وأحوال شتى منها:

القناعة بقليل الدنيا عن كثيرها، والاكتفاء بالقوت الذي لا بد منه، والاختصار على ما لا بد منه من مهنة الدنيا: من الملبوس، والمفروش، والمأكول، واختيار الفقر عن الغنى اختيارًا، ومعانقة القلة ومجانبة الكثرة، وإيثار الجوع على الشبع، والقليل على الكثير، وترك العلو والترفع، وبذل الجاه والشفقة على الخلق، والتواضع للصغير والكبير، والإيثار في وقت الحاجة إليه، وأن لا يبالي من أكل الدنيا، وحسن الظن باللَّه، والإخلاص في المسابقة إلى الطاعات، والمسارعة إلى جميع الخيرات، والتوجه إلى اللَّه تعالى، والانقطاع إليه، والعكوف على بلائه، والرضا على قضائه، والصبر على دوام المجاهدة ومخالفة الهوى، ومجانبة شهوات النفس، والمخالفة لها؛ إذ وصفها المولى ﷻ بأنها أمارة بالسوء - مما يشير إلى مفهوم (الهو Id) انظر (ص١٦) - الذي ينشد إشباع الغرائز، ومن شمائلهم أيضًا: مراعاة الأسرار، ومراقبة الملك الجبار، ومداومة المحافظة على القلوب بنفي الخواطر المذمومة.

وذكر في باب الكشف عن اسم الصوفية ولم سموا بهذا الاسم ولم نسبوا إلى هذه اللبسة:

قال الشيخ رحمه اللَّه: إن سأل سائل فقال: قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث، ونسبت الفقهاء إلى الفقه فلم قلت: الصوفية ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم، ولم تضف إليهم حالًا كما أضفت الزهد إلى الزهاد والتوكل إلى المتوكلين والصبر إلى الصابرين؟ فيقال له: لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم؛ وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشريفة، سالفًا ومستأنفًا، وهم مع اللَّه تعالى في الانتقال من حال إلى حال، مستجلبين الزيادة؛ فلما كانوا كذلك لم يكونوا مستحقين اسمًا دون اسم، لذلك لم يضف إليهم حال دون حال. ونسبتهم إلى ظاهر اللبسة؛ لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء - عليهم السلام - وشعار الأولياء والأصفياء، وإضافتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسمًا مجملًا عامًّا مخبرًا عن جميع

الأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة.

وتناول باب التصوف: نعته وماهيته:

سئل « محمد بن علي القصاب » وهو أستاذ الجنيد - رحمه اللّه - عن التصوف ما هو؟ قال: أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام. وسئل « الجنيد » - رحمه اللّه - عن التصوف فقال: أن تكون مع اللّه تعالى بلا علاقة، ويراه « رويم ابن أحمد » - رحمه اللّه - أنه استرسال النفس مع اللّه تعالى على ما يريده، وسئل « سمنون » - رحمه اللّه - فقال: أن لا تملك شيئًا ولا يملكك شيء، مما يشير إلى مفهوم (إدارة الذات **Self Management**) انظر (ص٣٠).

باب صفة الصوفية، ومن هم؟

الصوفية هم القائمون بعقولهم على همومهم والعاكفون عليها بقلوبهم، المعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم.

وسئل « ذو النون المصري » عن الصوفي، فقال: هو الذي لا يتعبه طلب، ولا يزعجه سلب، وهم قوم آثروا اللّه - تعالى - على كل شيء فآثرهم اللّه على كل شيء.

باب التوحيد وصفة الموحد، وحقيقته:

سئل « الجنيد » - رحمه اللّه - عن التوحيد - فقال: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته بأنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد بنفي الأضداد والأنداد والأشباه وما عبد من دونه، بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل، إلهًا واحدًا صمدًا فردًا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال الشيخ - رحمه اللّه -: ووجدت « ليوسف بن الحسين » في التوحيد ثلاثة أجوبة:

الأول: في توحيد العامة؛ وهو الانفراد بالوحدانية بذهاب رؤية الأضداد والأنداد والأشباه والأشكال مع السكون إلى معارضة الرغبة والرهبة.

والثاني: توحيد أهل الحقائق على الظاهر، وهو الإقرار بالوحدانية بذهاب رؤية الأسباب والأشباه بإقامة الأمر والنهي في الظاهر والباطن بإزالة معارضة الرهبة والرغبة مما سواه بقيام شواهد الحق مع قيام شواهد الدعوة.

الثالث: توحيد الخاصة، وهو أن يكون العبد بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يدي اللّه ﷻ.

باب المعرفة، وصفة العارف وحقيقة ذلك ببيانها:

يرى « أبو سعيد الخراز » أن المعرفة تأتي من وجهين: من عين الجود، وبذل المجهود. ويذكر « أبو تراب النخشبي » أن صفة العارف أنه هو الذي لا يكدره شيء، ويصفو به كل شيء، وقال « أحمد بن عطاء » المعرفة نوعان: معرفة حق، ومعرفة حقيقة، فمعرفة الحق: معرفة وحدانيته، ومعرفة الحقيقة على أن لا سبيل إليها؛ لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية.

باب في صفة العارف وما قالوا فيه:

قال « ذو النون » - رحمه اللَّه -: علامة العارف ثلاثة: لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطنًا من العلم ينقض عليه ظاهرًا من الحكم، ولا يحمله كثرة نعم اللَّه - تعالى - عليه، وكرامته على هتك أستار محارم اللَّه تعالى.

وقد قيل أيضًا: إن أصل المعرفة موهبة، والمعرفة نار والإيمان نور، والمعرفة وجد والإيمان عطاء، والفرق بين المؤمن والعارف: المؤمن ينظر بنور اللَّه والعارف ينظر باللَّه ﷻ، وللمؤمن قلب وليس للعارف قلب، وقلب المؤمن يطمئن بالذكر ولا يطمئن العارف بسواه.

والمعرفة على ثلاثة أوجه: معرفة إقرار، ومعرفة حقيقة، ومعرفة مشاهدة، وفي معرفة المشاهدة يندرج الفهم والعلم والعبارة والكلام، والإشارات في المعرفة ووصفها كثير، وفي القليل كفاية وغنية للمستدل والمسترشد، وهو ما يشير في بعض جوانبه إلى مفهوم (المعرفة **Knowledge**) انظر (ص٤٥).

*** كتاب الأحوال والمقامات:**

حيث تناول فيه عدة أبواب عن المقامات وحقائقها، ومعنى الأحوال، ومقام التوبة، والورع، والزهد، والفقر وصفة الفقراء، ومقام الصبر، والتوكل، والرضا، وحال المراقبة وحقائقها، وحال القرب، والمحبة، والخوف، والرجاء، والشوق، والأنس، والطمأنينة، والمشاهدة، واليقين. وهو ما يشير إلى مفهوم (الإيمان **Faith**) انظر (ص٧٥).

*** كتاب أهل الصفوة والاتباع لكتاب اللَّه ﷻ:**

وتناول فيه عدة أبواب في الموافقة لكتاب اللَّه ﷻ، وتخصيص الدعوة ووجه الاصطفاء، وذكر تفاوت المستمعين إلى خطاب اللَّه - تعالى - ودرجاتهم في قبول

الخطاب، وفي شرح استنباط إلقاء السمع والحضور بالتدبر عند التلاوة وفهم الخطاب بما خوطب به العبد، ووصف أرباب القلوب في فهم القرآن، وذكر السابقين، والمقربين، والأبرار من طريق الفهم والاستنباط واستفادة أهل الفهم في أن التدبر، والتفكر، والتذكر لا وصول إليه إلا بحضور القلب؛ مما يشير إلى مفهوم (**العمليات المعرفية Cognitive Processes**) انظر (ص٧٧)، وبيان التشديد في القرآن ووجوه ذلك، وما قيل في فهم الحروف والأسماء، وفي وصف من أصاب في الاستنباط، والإشارة والفهم في القرآن ووصف من غلط وأخطأ في ذلك.

*** كتاب الأسوة والاقتداء برسول اللّٰه ﷺ:**

أورده المؤلف في عدة أبواب هي: وصف أهل الصفوة في الفهم والموافقة والاتباع للنبي - عليه الصلاة والسلام -، وما روي عن رسول اللّٰه ﷺ في أخلاقه، وأفعاله، وأحواله التي اختارها اللّٰه تعالى له، وما روي عن رسولنا الكريم في الرخص والتوسيع على الأمة فيما أباح اللّٰه - تعالى - لهم، ووجه ذلك في حال الخصوص والعموم في الاقتداء برسول اللّٰه - عليه الصلاة والسلام -، وما ذكر عن المشايخ في اتباعهم رسول اللّٰه ﷺ وتخصيصهم في ذلك.

*** كتاب المستنبطات:**

تناول فيه عدة أبواب منها: مذهب أهل الصفوة في المستنبطات الصحيحة في فهم القرآن والحديث، وغير ذلك، وشرحها، وباب في كيفية الاختلاف في مستنبطات أهل الحقيقة في معاني علومهم وأحوالهم، وفي مستنبطات أهل الصفوة في تخصيص النبي ﷺ وشرفه، وفضله على إخوانه - عليهم السلام - من كتاب اللّٰه ﷻ من طريق الفهم، وفي مستنبطاتهم في خصوصية النبي - عليه الصلاة والسلام - وفضله على إخوانه - عليهم السلام - من الأخبار المروية عن رسول اللّٰه ﷺ، وفي مستنبطاتهم في معنى أخبار مروية عن رسولنا الكريم من طريق الاستنباط والفهم.

*** كتاب الصحابة - رضوان اللّٰه عليهم -:**

وأورده في عدة أبواب هي: في ذكر أصحاب رسول اللّٰه ﷺ ومعانيهم، وذكر « أبي بكر الصديق » ﷺ وتخصيصه من بين أصحاب رسول اللّٰه ﷺ بالأحوال التي تعلق بها أهل الصفوة من هذه الأمة وتخلق بذلك واقتدى به، وفي ذكر « عمر بن الخطاب، وعثمان

ابن عفان، وعلي بن أبى طالب » - رضي اللّه عنهم - جميعًا، وفي صفة أهل الصفوة، وذكر سائر الصحابة في هذا المعنى.

* **كتاب آداب المتصوفة:**

تحدث في ذكر الآداب حيث ذكر آدابهم في الوضوء والطهارات، وفي الصلاة، والزكوات والصدقات، والصوم، والحج، وآداب الفقراء بعضهم مع بعض وأحكامهم في الحضر والسفر، وآدابهم في الصحبة، وعند مجاراة العلم، ووقت الطعام والاجتماعات والضيافات، وآدابهم في وقت السماع والوجود، وفي اللباس، وآدابهم في بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب، وفي الجلوس والمجالسة، والجوع، والمرضى مع مرضهم، والمريدين والمبتدئين، والصداقة والمودة، وعند الموت.

* **كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة:**

تناول عدة مسائل منها مسألة في الجمع والتفرقة؛ حيث قال الشيخ - رحمه اللّه تعالى -: الجمع والتفرقة اسمان، فالجمع جمع المتفرقات، والتفرقة تفرقة المجموعات، فإذا جمعت قلت: اللّه ولا سواه، وإذا فرقت قلت: الدنيا والآخرة والكون، وقد تكلم في معنى الجمع والتفرقة المشايخ المتقدمون، فقال « أبو بكر عبد اللّه بن طاهر الأبهري » - رحمه اللّه تعالى - وسئل عن ذلك فقيل له: إلى ماذا أشار القوم إلى معنى الجمع والتفرقة؟ فقال: أشار قوم إلى أن جمعهم في المعرفة، وفرقهم في الأحوال.

ومسألة في الفناء والبقاء: يرى الشيخ - رحمه اللّه تعالى - أن الفناء والبقاء اسمان، وهما نعتان لعبد موحد يتعرض الارتقاء في توحيده من درجة العموم إلى درجة الخصوص، ومعنى الفناء والبقاء في أوائله، فناء الجهل ببقاء العلم، وفناء المعصية ببقاء الطاعة، وفناء الغفلة ببقاء الذكر.

وتناول مسألة في الحقائق حيث يخبرنا الشيخ - رحمه اللّه تعالى -: سمعت « الحسين ابن عبد اللّه الرازي » - رحمه اللّه - يقول: سئل « عبد اللّه بن طاهر الأبهري » عن الحقيقة، فقال: « الحقيقة كلها علم »، فسئل عن العلم فقال « العلم كله حقيقة »، وعن « الشبلي »، أنه قال: « الألسنة ثلاثة: لسان علم، ولسان حقيقة، ولسان حق؛ فلسان العلم ما تأدى إلينا بالوسائط، ولسان الحقيقة ما أوصل اللّه - تعالى - إلى الأسرار بلا واسطة، ولسان الحق فليس له طريق »، وتناول مسألة في الصدق، ويرى « يوسف بن الحسين » أن الصدق هو حب الانفراد، ومناجاة الرب جل وعلا، وموافقة السر والعلانية مع صدق

اللَّهجة، والتشاغل بالنفس دون رؤية الخلق بعد همة النفس، وتعلم العلم والاتباع مع تصحيح المطعم والملبس، وأخذ القوت، وهو ما يشير إلى مفهوم (**الصدق Truth**) انظر (ص٢٢٥)، ومسألة في أصول مذهب القوم، حكي عن « الجنيد » أنه قال: اتفق أهل العلم، على أن أصولهم خمس خلال: صيام النهار، وقيام الليل، وإخلاص العمل، والإشراف على الأعمال بطول الرعاية، والتوكل على اللَّه في كل حال، مما يشير إلى مفهوم (**إدارة النفس Self Management**) انظر (ص٢٢٦).

وتناول أيضًا مسائل في الإخلاص، والذكر، والغناء، والفقر، والروح، والإشارة، والظرف، والمروءة، والرزق، والفراسة، والوهم، والتمني، وسر النفس، والغيرة. حين سئل « الشبلي » عن الغيرة فقال: الغيرة غيرتان: غيرة البشرية، وغيرة الإلهية، فغيرة البشرية على الأشخاص، وغيرة الإلهية على الوقت أن يضيع فيما سوى اللَّه - تعالى -، وهو ما يشير إلى مفهوم (**إدارة الوقت Time Management**) انظر (ص٢٣٧).

ومسألة في الفرق بين الحب والود، الحب فيه بعد وفيه قرب، والود لا فيه قطع ولا بعد ولا قرب، إن شاهد الحب حق اليقين، وشاهد الود عين اليقين، وشاهد الصيانة علم اليقين، والود وصل بلا مواصلة؛ لأن الوصل ثابت والمواصلة تصرف الأوقات.

*** كتاب المكاتبات والصدور والأشعار والدعوات والرسائل:**

وتناول فيه عدة أبواب منها في مكاتبات بعضهم إلى بعض، وصدور الكتب والرسائل، وفي أشعارهم في معاني أحوالهم وإشاراتهم، والدعوات التي كان يدعوا بها المشايخ المتقدمون من أهل الصفوة، ووصاياهم التي أوصى بها بعضهم لبعض.

*** كتاب السماع:**

حيث تناول الشيخ فيه عدة أبواب؛ منها: في حسن الصوت والسماع وتفاوت المستمعين، وفي السماع واختلاف أقاويلهم في معناه، وفي وصف سماع المريدين والمبتدئين، وفي وصف المشايخ في السماع وهم المتوسطون والعارفون، وفي سماع الذكر والمواعظ والحكمة.

*** كتاب الوجد:**

تناول فيه صفات الواجدين ومنها الغشية والأنين والصعقة والصراخ والصيحة وهم على طبقتين: واجد، ومتواجد؛ فأما الواجدون فهم ثلاثة أصناف: صنف منهم وجدهم

مصحوبهم إلا أنه يعارضهم في الأحايين دواعي النفوس والأخلاق البشرية فيكدر عليهم الوقت ويتغير عليهم الحال، والصنف الثاني وجدهم مصحوبهم إلا إذا طرأ عليهم ما يشاكل كل وجدهم من طوارق السمع، والصنف الثالث وجدهم مصحوبهم على الدوام، وقد أفناهم ذلك الوجد؛ لأن كل واجد قد فني بما وجد.

فأما المتواجدون فهم أيضًا على ثلاثة أصناف في تواجدهم: فصنف منهم المتكلفون والمتشبهون وأهل الدعابة ومن لا وزن له، وصنف منهم الذين يستدعون الأحوال الشريفة بالتعرض بعد قطع العلائق المشغلة والأسباب القاطعة فذلك التواجد يجمل منهم؛ فالتواجد من الوجد بمنزلة التباكي من البكاء، وصنف ثالث: أهل الضعف من أبناء الأحوال، وأرباب القلوب، والمتحققين بالإرادات، فإذا عجزوا عن ضبط جوارحهم وكتمان ما بهم تواجدوا ونفضوا ما لا طاقة لهم بحمله، فيكون تواجدهم طلبًا للتفرج والتسلي، فهم أهل الضعف من أهل الحقائق.

*** كتاب إثبات الآيات والكرامات:**

تناول فيه معاني الآيات والكرامات، والأدلة على إثبات الكرامات للأولياء، وذكر من كان له شيء من هذه الكرامات فأظهرها لأصحابه لصدقه وطهارته وسلامة قلبه وصحته، وذكر الخصوص وأحوالهم التي لا تعد من الكرامات وهي في معانيها أتم وألطف من الكرامات.

*** كتاب البيان عن المشكلات:**

تناول فيه شرح الألفاظ الجارية في كلام الصوفية وبيان هذه الألفاظ.

*** كتاب تفسير الشطحات والكلمات التي ظاهرها مستشنع وباطنها صحيح مستقيم:**

تناول عدة أبواب منها: في ذكر من غلط في التوسع، وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل، ومن غلط في الاكتساب، وترك الاكتساب، وفي ذكر طبقات الذين فتروا في الإرادات، وغلطوا في المجاهدات، وسكنوا إلى الراحات، وفي طبقات الذين غلطوا في ترك الطعام والعزلة والانفراد وغير ذلك... إلخ.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- الاستدلال Reasoning.

- الهو Id.
- المعرفة Knowledge.
- الإيمان Faith.
- العمليات العقلية المعرفية Cognitive Processes.
- إدارة الوقت Time Management.
- إدارة الذات Self Management.

القائم بالعرض

د. أشرف محمد علي شلبي

* * *

المناظر الإلهية



- تأليف/ الجيلي، عبد الكريم إبراهيم (٧٦٧ - ٨٠٥هـ).
- تحقيق/ نجاح محمود الغنيمي.
- القاهرة: دار المنار، (١٩٨٧هـ)، ط١.

* * *

التعريف بالمؤلف:

« الجيلي » هو أبرز تلاميذ مدرسة « ابن عربي »، وهو الوحيد الذي واتته الشجاعة لنقد قضايا فكر الشيخ « ابن عربي »، وكتاباته تفيد في فهم القضايا الكبرى في المذهب الصوفي « لابن عربي ».

وهو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن خليفة بن أحمد بن محمود، الكيلاني نسبًا، البغدادي أصلًا، الربيعي عربًا، الصوفي حسبًا، وهو من قرية الجيل من بغداد. ولد عام (٧٦٧هـ) في اليمن وتوفي بين عامي (٨٠٥هـ) و (٨٢٩هـ) ودفن باليمن. وتأثر بالجانب الديني والروحي والصوفي الشائع في أهل اليمن في تلك الأثناء. تتلمذ على يد عدة شيوخ أهمهم الشيخ « إسماعيل الجبرتي »، و « جمال الدين محمد بن المكدش ». من أهم مؤلفاته « الكهف والرقيم في شرح بسم اللّه الرحمن الرحيم »، و « القصيدة العينية »، و « حقيقية اليقين وزلفة التمكين »، و « مراتب الوجود »...إلخ من كتب معظمها مفقودة.

عرض الكتاب:

يقع الكتاب في (٢٨٨) صفحة، يبدأه المحقق بمقدمة حول أهمية تحقيق مخطوطات ومؤلفات الجيلي، وعرض لتعريف الجيلي، وبيئته في عصره وشيوخه ومؤلفاته ونسبة الكتاب له، وتحليل الكتاب ودراسته، وتحليل النسخ الخطية المستخدمة في النشر، ومنهج التحقيق ثم النص المحقق للكتاب.

وحدَّد الجيلي شروطًا في القارئ. وهذا الكتاب تسجيل دقيق لرحلة الجيلي الروحية التي قام بها في حياته السلوكية الصوفية، منذ البدايات وحتى النهايات. ويشرح في كل

مرحلة في قالب منظر من مناظر الكتاب البالغ عددها مائة وواحدًا منظرًا، وهي مناظر الإلهية يصل لها العبد إما بالإلهام الإلهي أو بمساعدة شيخ مربٍّ له معرفة كشفية بالمناظر الإلهية. وأن القارئ يجب أن يعتقد في التنزيه المطلق للَّه تعالى، وأفضلية محمد ﷺ على كل المقربين وختمه للمرسلين، والاعتقاد بصحة ما جاء به محمد ﷺ، وأن يطلب العلم خالصًا لمعرفة اللَّه. وتحدث المحقق عن الطابع الشخصي للكتاب من وصف مظاهر الآثار البدنية للمناظر والحديث المباشر بصيغة المتكلم المفرد، والإحالة إلى المؤلفات السابقة، والمصطلحات صياغة ومعنى، ثم مقولات الجيلي من القرآن الكريم، ومن الحديث الشريف، ومن التراث الصوفي، ومن الشعر، ثم وصفًا للغة الجيلي والمنهج الذي اتَّبعه المحقق للتحقيق.

أما النص المحقق فيبدأ بخطبة الكتاب، ثم المائة والواحد منظرًا إلهيًّا منها: اعبد اللَّه كأنك تراه، والمراقبة، والتجلي على الإطلاق، والشهود، والوجود، وتجلي الأفعال، وتجلي الصفات، واترك نفسك وتعالى، ومحاضرات الأسماء والصفات، والفناء الذاتي، والفناء عن الفناء، والبقاء، والتلوين، والتمكين، والمكالمة، والمسامرة، والمخاطبة، والمحادثة، والمسايرة، والتعليم، والوقوف، والسير، والرجوع، والبشائر، والنذائر، والعلم، والعين، والحق، والحقيقة، والوحدة، والإبهام، والفتق، والإجمال الكلي، والتفصيل الجزئي، والإطلاق، والتقييد، والوصال، والفصال، والتجريد، والتفريد، وخلع العذار، وستر الحال بالحال، والتصوف، والتزندق، والوقوف مع المراسم، والكفر، والإيمان، والإحسان، والشهادة، والصديقية، والعبودية، والهداية، والبداية، والنهاية، والغاية، والجمال، والجلال، والكمال، والاستواء، والاستيلاء، واللذة السارية، والكشف، والعيان، والستر، والشم، والحضائر، والخلع، والمواهب، والأسرار، والطرق المختلفة، والصراط المستقيم، والعناية، والمملكة، والحرف، والكلام، والصورة، والمعنى، والمعارف، والتنكير، والمعية، والعندية، واستغفر اللَّه، وسبحان اللَّه، والحمد للَّه، ولا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، والملائكة المهيمنين، والعرش، والكرسي، والقلم الأعلى، والكون، واللوح، وسدرة المنتهى، ومن أنت؟، ومن أنا؟، والإشارة، والبهت، وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وكن فيكون، والعجز عن الإدراك.

وذكر في (ص٨٤) أن بعض الناس حين ينجذبون إلى بعض المناظر الإلهية فيخرجون

منها وهم لا يدرون أين كانوا ويتعجبون مما كانوا فيه فينكرون ما كانوا عليه وذلك لضعف علمهم وقصور فهمهم (الإنكار **Deny**).

وذكر في (ص١٥٠) الخاطر وهو مفهوم **حديث النفس Inner Speech** وأنواعه، فهو إما أن يكون إلهيًّا فهو حق، أو ملكيًّا فهو إلهام، أو عقليًّا أو نفسيًّا فهو هاجس، أو شيطانيًّا فهو يدعو إلى مخالفة الحق.

ذكر في (ص٢١٥) تعريف « الجنيد » للبسط والقبض على أنهما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء؛ فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف، وميزوا بينهما؛ فالخوف من شيء في المستقبل والرجاء كذلك، أما القبض فلشيء حاضر وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بأجله وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله.

أما « الكاشاني » - من مدرسة ابن عربي - فيرى البسط في مقام القلب بمثابة الرجاء في مقام النفس وهو وارد يقتضيه إشارة إلى قبول ولطف ورحمة وأنس، ويقابله وارد القبض كالخوف في مقابلة الرجاء في مقام النفس وهو وارد يقتضيه إشارة إلى عدم القبول. والبسط في مقام الحق هو أن يبسط اللّه العبد مع الخلق ظاهرًا ويقبضه اللّه إليه باطنًا رحمة للخلق، أما القبض باللّه هو أخذ القلب بوارد يشير إلى ما يوحشه من الصد والهجران، والفرق أنَّ تعلق الخوف والرجاء بالمكروه والمرغوب المتوقع في مقام النفس والقبض والبسط إنما متعلقان بالوقت الحاضر (**السرور/ الحزن Pleasure /Sadness**).

ثم ينتهي الكتاب بمجموعة فهارس الكتاب وتضمنت مصادر الكتاب ومراجع الكتاب العربية والأوربية وفهرست الموضوعات.

الخلاصة:

ورد في هذا الكتاب الإشارة إلى المفاهيم النفسية التالية:

- **الإنكار Deny.**
- **الخاطر وأنواعه (حديث النفس) Inner Speech.**
- **السرور/ الحزن Pleasure /Sadness.**

القائم بالعرض

د. غادة محمد عبد الغفار

كشّاف المصطلحات



المصطلح	الترجمة	الصفحة
المشقة	Stress	١٨٤
أسباب الحفظ والنسيان	Remembering and Forgetting	٧١
استراتيجيات التذكر	Remember Strategies	٥٩٧
استراتيجيات التعلم	Learning Strategies	٩٤
استراتيجيات علاج الغضب	Anger Therapy Techniques	٣٥٧
اضطراب التفكير	Thought Disorder	٥٤٤
اضطراب النهم	Obesity	٦٨٩
اضطرابات النوم	Sleep Disturbance	١٧٣
إفراط حركة	Hyperactivity	٢٤٨
مستويات المشقة	Levels of Stress	٤٤٦
الإبداع	Creativity	٤٩٣
الإبداع في المجال السياسي	Political Creativity	٦١٤
الاتصال	Continuation	٣٢٩
الاجتهاد	Diligence	٤٠١
الإجماع	Consensus	٣٦٨
الإحاطة	Scanning	٥٤٨،٥٤٥
الإحساس	Sensation	٧٠٣
الأحلام	Dreams	٤٨٠
الاختلاف	Difference	٣٢٩
الاختيار المهني	Occupational Choice	٤٩٥
الإدراك	Perception	٥١٦،٥١٤
الإدراك البصري	Visual Perception	٥٤٠
الإدراك بالحس	Perception with Sensation	٣٢٨
الإدراك بالقياس والتمييز	Perception with Analogy and Discrimination	٣٢٨

المصطلح	الترجمة	الصفحة
الإدراك بالمعرفة	Perception with Knowing	٣٢٨
الإرادة	Will	٥٤٤
الإرادة الحرة	Free Will	٣٤٦
الأرجاع الأولية	Reaction	٥٣٩
الإرشاد الأسري	Family Counseling	٢٥٧
الإرشاد الزواجي	Marriage Counseling	٤٨٤
الإرشاد النفسي	Counseling	٦٣٩
الإرشاد النفسي الفردي	Individual Counseling	٦٧٨
الأرق	Insomnia	١٧٨
الاستثارة	Arousal	٤٦
الاستحسان	Approval	٤٠١
الاستدعاء	Recall	٣٧٥
الاستدلال	Reasoning	٦٤٢، ٦٤٤
الاسترخاء الذاتي	Self Relaxation	٦٣١
الاستعداد	Aptitude	٣١
الاستقراء	Induction	١٦١
الاستقلال عن المجال	Field-Independence	٢٣١، ٢٣٤
الاستنباط	Deduction	٤٢١، ٤٢٨
الاستنساخ	Clone	٥٢٧
الاستئثار	Selfishness	٤٧٥
الأسس النفسية لشهادة العيان	Psychology of Eye–Witness	١٢٩
الاضطراب	Disorder	١٧٣
الاضطرابات الانفعالية	Emotional Disturbance	٣٣٤
الاضطرابات النفسية	Psychological Disorders	٥٣١
الاضطرابات النفسية الجسمية	Psychosomatic Disorders	٦٨٩

المصطلح	الترجمة	الصفحة
التفاعل الاجتماعي	Social Interaction	٢٩٤
التفاعل بين القائد والأتباع	Leader followers Interaction	٦٠٢
التفاعلات الاجتماعية	Social Interaction	٢٦٣
التفاؤل	Optimistic	٣٤٢
التفرق	Dissipation	٣٢٩
التفكير	Thinking	٤١٧
التفكير العلمي	Scientific Thinking	٦١٤
التفكير الناقد	Critical Thinking	٦١٤
التفنيد	Refutation	١٠٥
التقدم في العمر	Aging	١٦٦
التقلبات المزاجية	Mood Swings	٢٣٤
التقليد والاقتداء	Imitation & Modeling	٧٠٢
التكرار	Frequency	٣١٣
التكيف	Adapt	١٨٤
التمثيل المعرفي	Cognitive Representation	٦٨٦
التمثيلات البصرية المخزنة	Stored Visual Representations	٢٩٤
التمرد	Disobedience	٦٠٥
التمييز	Discrimination	١٧٣
التنبؤ	Prediction	٤٨٨
التواضع	Modesty	٧١٦
التوافق الزواجي	Marital Adjustment	٤٦
التوجه	Orientation	٣٢٩
التورع في طلب العلم	Devoutness	٦٩
الثالوث الاكتئابي (الحزن والهم والغم)	Depressed Trials	٤١
الثبات	Stability	٧١

المصطلح	الترجمة	الصفحة
المثابرة	Persistency	٧١
الثقة بالنفس	Self-Confidence	٢٨٧
الجدل	Controversy	١٥٠
الآسي	Grief	٢١١
الجنسية المثلية	Homosexuality	١٦٨
الذهان (الجنون)	Psychosis	٥٦٥
الحاجات	Needs	٥٦٥
مركز الحس	Centre of Sensation	٢٤٧
الحالة الانفعالية	Emotional State	٢٤٨
الحجاب الشبكي	Retina	٢٤٤
الحجة	Arguments	٤١٢
التوتر	Tension	٦٤٣
الحركات	Movements	٢٧٩
الحركة الجسمانية	Motor Behavior	٦٤٤
الحزن	Sadness	٦٤٥
الإحساس	Sensation	٣٢٨
الحفظ	Memorizing	٢٨٧
الحكمة	Wisdom	٣٣٥
الحكيم	Wise	٧١٦
سيكولوجية الحلم	Psychology of Dream	٥١٦
الحواس	Senses	٥٣٩
الخاطر (حديث النفس)	Inner Speech	٧٣٧
الخبر المرسل	Frequency	٣٨٣
الخجل	Shyness	١٧٣
الخرف	Dementia	٢١٧

المصطلح	الترجمة	الصفحة
الخشونة	Burry	٣٢٩
الخصال	Characteristics	٥٤٠
خلل	Defect	٥٤٤
الخوف	Fear	٢٧
الخوف المرضي	Phobia	٣٥
الدافعية	Motivation	١٩٣
المساندة الاجتماعية	Social Support	١٨٤
معنى	Semantic	٣٧٠
الدليل	Evidence	١٥٠
دليل عقلي	Intellectual Evidence	٣٨٢
الدوافع	Motives	٤٧٦
الذات	Self	٥٤٤
الذاكرة	Memory	٤٩٣
الذكاء	Intelligence	٥٤٠
الراعي	Mentor	٦٣٩
الرأي	Opinion	١٧٣
الرسالة	Message	١٠٥
الرضا عن الذات	Self Satisfaction	٢٠٤
الرطوبة البيضية (الشبكية)	Retina	٣٢٨
الرطوبة الجليدية (العدسة)	Lens	٣٢٨
الرطوبة الزجاجية	Vitreous Humor	٣٢٨
الرغبات	Desires	٤١٧
رؤية	Vision	٦١٤
السعادة	Happiness	٢٧٩
السكون	Static	٣٢٩

الصفحة	الترجمة	المصطلح
٦٧٩	Pro Social Behavior	السلوك الاجتماعي الإيجابي (البناء)
٣٤	Competitive Behavior	السلوك التنافسي
٤٦	Sexual Behavior	السلوك الجنسي
١٣٠	Wise Behaviour	السلوك الحكيم
٤٨٠	Health Behavior	السلوك الصحي
٦٢٤	Antisocial Behavior	السلوك المضاد للمجتمع
١٧٣	Traits	السمات
٣٤٧	Hearing	السمع
٣٢٨	Azimuth	السموت
١٨٤	Unconscious	اللاشعور
٤٧٦	Conflicts	الشقاق
٤٤٦	Doubt	الشك
٣٢٩	Shape	الشكل
٦٥٩	Patience	الصبر
٤٤٧	Child	الصبي
١٨٥	Mental Health	الصحة النفسية
٢٠٤	Friendship	الصداقة
٦١٥	Conflict	الصراع
٢٧	Epilepsy	الصرع
٢٧٣	Forgiving	الصفح
٤٢٨	Mental Images	الصورة الذهنية
٤٤٧	Controller	الضابط
٤٨٦	Nature	الطبع
٢٤٧	Choroids Seconding-like Tunic	الطبقة المشيمية
٤٣١	Apparent	الظاهر

المصطلح	الترجمة	الصفحة
عوامل انفعالية	Emotional Factors	١٠٥
عوامل معرفية	Cognitive Factors	١٠٦
العون الاجتماعي	Social Helping	٦٧٨
العيانية	Concrete	٤١٧
الغرائز	Instincts	٥٩٧
الغرور	Deception	٧٠١
الغشاء والصلب	Sclerotic Hard Tunic (of the eye)	٢٤٤
الغضب	Anger	٢٥٧
الغيرة	Jealousy	٤٩١
الفروق الفردية	Individual Differences	٢٩٤
الفزع	Panic	٤٧٢
الفصوص الجبهية	Frontal Lobes	٢٤٨
فعل إرادي	Voluntary	٤٩٥
الفعل غير الإرادي	Involuntary	٢٧٩
الفهم	Understanding	٥٤٠
القاعدة	Rule	٤٤٧
القدرة	Ability	٤٦٢
القدرة على حل المشكلات	Problem Solving Ability	٦٧٨
القراءة	Effective Reading	٢٩٤
القراءة والتسميع بمعونة المُعلم المساعد	Shadow Teacher	٩٠
القرائن	Evidences	٣٧٤
القرنية	Cornea	٢٤٧
القلق	Anxiety	٦٨٩
القناعة	Contentment	٧١٦
مخططات عقلية	Schemata Mental	٥١٦

المصطلح	الترجمة	الصفحة
القيادة	Leadership	٥٦٤
القياس	Reasoning	٣٧٦
القياس المنطقي	Syllogism	٤١٢
القيم	Values	٥٦٥
الكبر	Arrogance	٧٠٣
الكثافة	Density	٣٢٥
الكذب	Lie	١١٩
الكرب	Distress	٣٥١
الكسل	Laziness	٤٧٦
الكف	Inhibition	٤٧٥
الكلام	Speech	٣٧٠
الكمون	Latency	٥٥٨
الكوابيس	Nightmares	٤٨٠
اللاسعادة	Unhappiness	٢٨٢
اللذات الحسية	Sensory Lust	٢٨٧
اللذة الانفعالية	Emotional Lust	٢٨٧
اللغة	Language	٤٩٠، ٦٨٦
المتأخر عقليًّا تأخرًا شديدًا	Sever Mental Retarded	٥٤٤
المتصل	Continuum	٥٤٤
المثابرة	Persistence	١٨٩
المجاراة (المسايرة أو الاتباعية) الاجتماعية	Social Conformity	٦٨٦
المجردات	Abstract	٤١٧
المحاجة	Argumentation	٤١٧
المحاكاة	Imitation	١٧٨

المصطلح	الترجمة	الصفحة
المدح	Compliment	٦٠٥
المراقبة الذاتية	Self-Monitoring	٣٥
المزاج	Mood	٣٥
المزاح والضحك	Lough and joking	٤٩٠
المسافة (البعد)	Distance	٣٢٩
المساندة	Support	١٨٤، ٦٢٥
المساندة الذاتية	Self-Support	٢٦٩
المسئولية الجنائية	Criminal Responsibility	٣٤١
المشقة/ الضغط	Stress	٣٥٨
المصابرة	Forbearing، (longsuffering)	٢٧٣
المظاهر الجسمية للغضب	Physical Anger Characteristics	٤٨٤
المظاهر الفسيولوجية للانفعالات	Physiological Characteristics of Emotions	٥٥٨
المعايير الأخلاقية للمشتغلين بالعلم	Scholars Ethical Norms	٩٤
المعتقد	Belief	٤٤٧
المعرفة	Knowledge	٦٦٠
المعلول	Dependent Variable	١٥٣
المفهوم	Concept	٤٢٨
المقارنة	Comparison	٤٣٦
المقدمات	Premises	٤١٢
المكانة الاجتماعية	Prestige	٦٠٥
المكتسب	Acquired	٢٨٧
المكتئب	Depressed	٣٥١
الملامسة	Treaded	٣٢٩
الملتحم	Connecting Tunic Conjunctiva	٢٤٧

المصطلح	الترجمة	الصفحة
الملتحمة (صلبة)	Conjunctive (Sclera)	٣٢٨
المماثلة	Analogy	٤١٢
الممارسة	Practicing	٢٨٦
المناظرة	Debate	٥٨٣
المنطق	Logic	٤١٢
المهارات الاتصالية (التخاطب)	Communication Skills	٤١٦
المهارات الاجتماعية	Social Skills	٦١
المهارات المهنية للمعلم	Professional Skills of Teacher	٦١
الموروث	Inherited	٢٨٧
الموضوعية	Objectivity	٦١٥
النخاع الشوكي	Spinal Cord	٢٤٧
النسخ	Abrogation	٣٨٨
النسيان	Forgetting	٤٤٧
النمو اللغوي	Language Development	٢١٧
النميمة	Gossip	٢٩٣
النية أو المقصد	Intention	٤٤٦
إلهام وموارد إلهية	Inspirations	٦٤٨
الهو	Id	٦٦٧
الهواجس	Delusions	٦٥٠
الهوس	Mania	٢٧٩
الوجد بمعنى الغضب والحزن في النفس	Sadness، Anger Emotional Disturbance	٤٧٦
الوساوس	Obsessive Ideas	٥٠٣
وسع	Capacity	٣٧١
الوسواس	Obsessions	٦٥٠

المصطلح	الترجمة	الصفحة
خصال القائد	Leader Characteristics	٦٢٤
خوف الموت	Death Phobia	٢٨٧
راحة البال	Wellbeing	٤٩٤
راشد	Adult	٣٨٢
سببية أو علية	Causality	٣٧٠
سلوك المساعدة	Helping Behavior	٦٢٥
سمات الشاهد	Witness Traits	٣٣٥
سمات الشخصية	Personality Traits	٥١٦
سمات شخصية القائد الناجح	Successful Leader Personality Traits	٤٨٤
سمات شخصية المعلم	Personality Traits of Teacher	٦١
الشفيف	Transparency	٣٢٨
صراع الاقتراب – الاقتراب	Approach-Approach Conflict	٣٤٢
صراع الاقتراب – التحاشي	Approach-Avoidance Conflict	٣٤٢
صراع التحاشي – التحاشي	Avoidance-Avoidance Conflict	٣٤٢
صعوبات التعلم	Learning Disability	٦٧٩
ضبط الذات	Self Control	٧٢٤
ضبط النية	Intention-Control	٤٥٨
ضغوط الجماعة	Group Pressures	٥٢٧
طرق العلاج العقلاني الانفعالي	Rational-Emotional Therapy	٤١
عته الشيخوخة	Dementia	٥١٦
عدم الرضا	Dissatisfaction	٥٤٤
علم الحال (علم فرض العين)	Obligatory for all Moslems	٧١
علم النفس القضائي (الشرعي)	Forensic Psychology	١٣٠
علم بعض الأحايين (علم فرض الكفاية)	Not Obligatory if One Does It	٧١

المصطلح	الترجمة	الصفحة
عمليات التفنيد	Refutation	٤١٧
فقدان الشهية العصبي	Anorexia Nervosa	٢١٦
قلب الدليل	Argument Proof	٥٣٦
قيمة العمل	Working Value	٦١٢
ماهية العلم	Definition of Science	٧١
متطلبات العمل	Job Specifications	١٣٠
مخزن الذاكرة	Memory Storage	٢٨٦
مدمن الخمر	Alcoholic	١٨٧
مراحل الارتقاء	Development Stages	٤٥٨
مراحل التعلم	Learning Stages	٤٩٤
مراحل معالجة المعلومات	Information Process	٢٦٣
مراقبة الذات	Self-Monitoring	٥٧١
مراكز الحس	Sensory Centre	٢٤٤
مراهق	Adolescent	٣٨٢
مرحلة الرشد	Adulthood	٥٦٥
مرحلة الرضاعة	Infantile Period	٥٣٩
مستويات المشقة	Levels of Stress	٤٤٦
مصداقية المصدر	Source Credibility	١٠٦
السلوك الحكيم	Wise Behavior	١٢٦
مفهوم الذات	Self-Concept	٥١٦
مناهج البحث العلمي	Scientific Methodology	٦١٥
مهارات الراوي	Narrators Skills	١٠١
مهارات المستملي	Writers Skills	١٠١
مهارات طالب العلم	Scholars Skills	١٠١
مهارة الاستدلال الاستنباطي	Deductive Reasoning Skill	١٣٩

المصطلح	الترجمة	الصفحة
مهام العمل	Job Tasks	١٣٠
مواصلة الاتجاه	Maintenance of Direction	٧٠٣
نظرية النمط الأصلي	Prototype	٢٨٦
نقد المعرفة	Critical of Knowledge	٦١٥

❊ ❊ ❊

رقم الإيداع
٢٤١٧٤/ ٢٠١٠
الترقيم الدولي I. S. B. N
978 - 977 - 342 - 991 - 1

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيَا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : **الوظيفة :**

المؤهل الدراسي : **السن :** .... **الدولة :**

المدينة : **حي :** **شارع :** .... **ص.ب :** ....

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : المدينة : .... العنوان : ....

- ما رأيك في الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... **العملة**

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسة منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٨]

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ طباعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،

(من أجل تواصل بنّاء بين الناشر والقارئ)

هَذا الكِتَاب

يأتي في إطار المشروع الحضاري الرائد لتلخيص وتكشيف التراث الإسلامي المتصل بعلم النفس، والذي يضطلع المعهد العالمي بالقيام به لإثراء وتفعيل الفكر الإسلامي والمعرفة الإسلامية في حياتنا الثقافية المعاصرة.

ويأتي هذا الجزء من موسوعة " دليل الباحثين إلى المفاهيم النفسية في التراث: عرض وتكشيف " متضمنًا تلخيصًا لمائة كتاب أخرى من أمهات الكتب والمخطوطات التي قدمها علماء وفلاسفة الحضارة الإسلامية - إبان عصور ازدهارها - لإبراز إسهامهم العلمي في تطور الدراسات النفسية بما قدموه من مفاهيم ومصطلحات وآراء حول موضوعات علم النفس.

والموسوعة تسهم في ملء ثغرة كبيرة افتقدها التأريخ الموضوعي لعلم النفس، وتبرز الدور العلمي للعلماء والمفكرين العرب والمسلمين في مجال الدراسات النظرية والنفسية.

Dar-Alsalam Designs

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com

